﴿ فهرس الجلد الثاني من شرح الشفاء للشهاب ﴾

الجلد الثاني

من شرح الشفاء لشهاب الدين الخفاجي

معارف عموميه نظارت جليله سنك ٢٥٣ نومرو وفي ١٩ صفر سنه
١٣١٤ وفي ١٨ تموز سنه ١٣١٢ تاريخلي رخصتنامه سني حائزدر

درسعادت

١٣١٢

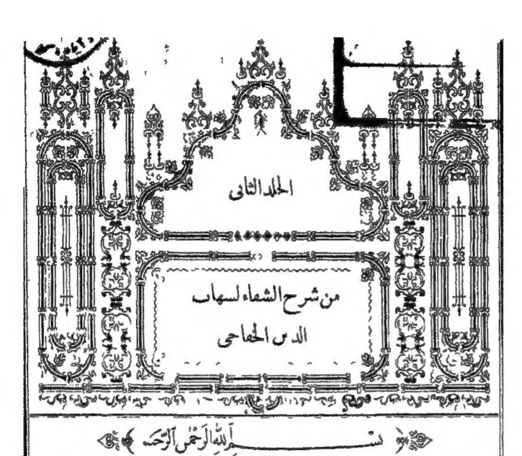

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فصل اما اصل فروعها ﴾ هذا الفصل معقود لبيان اصول الاخلاق صريحا والاشارة الى جمعها تلويحا لتحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها وصدور فروعها للاخلاق المذكورة قبله (وعنصر) هو بضم الصاد وفتحها والاول اشهر والثاني افصح ومعناه الاصل والمادة والعناصر اذا اطلقت يراد بها التراب والماء والهواء والنار لتركب جميع الاجساد منها والينابيع في قوله (ينابيعها) جمع ينبوع وهو ما ينبع الماء منه كالعين وكل ما ينفجر منه الماء (ونقطة دائرتها) والنقطة جزء من الخط والسطح مركب من خطوط منبسطة فاذا كان السطح مستديرا تكون في حاق وسطه نقطة جميع الخطوط الخارجة منها الى الخط المستدير الذي يحيط بالسطح متساوية فتلك النقطة تسمى مركزا وذلك السطح يسمى دائرة وكذا الخط المحيط به ويصح ارادة كل منهما هنا فشبه العقل الذي منه الاخلاق عليه بشجرة اصلها العقل وفروعها الاخلاق ونورها وثمراتها ما يظهر منها وينتفع به غيره ثم شبهه بعين تلك الاخلاق كأنها الفائض منها ثم شبهه بنقطة في الوسط المعتدل يتساوى جميع جوانبها والاخلاق كسطح او خط محيط بها فقال (فالعقل) وهو مشتق اي مأخوذ من عقله اذا شده فمنعه من الحركة لانه يمنع صاحبه مما لا يليق او من المعقل وهو الملجأ لالتجاء صاحبه اليه وهو كما قال الراغب يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ويطلق على العلم المستفاد منه ولذا قال علي كرم الله وجهه (٢) العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يك مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس

(٢) اعلم ان ما نقل عنه رضي الله عنه في بيان العقل على ما وقع في بعض الدواوين بطريق النظم في عدة ابيات وهو هذا
* وان العقل عقلان *
* فمطبوع ومسموع *
* ولا ينفع مطبوع *
* اذا لم يك مسموع *
(قاله مصححه احمد)
(طاهر العسوي)

وضوء العينين ممتنع * وفى الحديث ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى * وقال بعض الحكماء هو جوهر وقال آخرون جسم شفاف محله الدماغ او القلب والاصح انه قوة نفسية هى مبدأ الادراك وليس المراد به هنا العقل العاشر المسمى بالعقل الفعال كما قيل لان اهل الشرع لا يقولون بمثله وقوله (الذى ينبعث منه) اى ينشأ ويخرج وهذا ناظر لكونه ينبوعا وقوله (العلم والمعرفة) العلم يكون بمعنى مطلق الادراك وبمعنى ادراك الكليات والمعرفة ادراك الجزئيات وقيل انهما ما سبق بالجهل وقال الصاوى انها تكون بمعنى العلم كما ان العلم يكون بمعنى المعرفة كما فى قوله تعالى (وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) اى الله يعرفهم والعلم بمعنى المعرفة قال الفاضل المحشى معترضا عليه صرحوا بان العلم بمعنى المعرفة لا يطلق على الله لاقتضائه سبق الجهل وتبع فيه السيد فى شرح المواقف فى قوله علم الله لا يسمى معرفة لا اصطلاحا ولا لغة اجماعا وخطأه فيه الحافظ العراقى رحمه الله تعالى فى نكته على المنهاج فقال ان امام الحرمين فسر العلم به واطلاق المعرفة على الله ورد فى الحديث وكلام الصحابة واهل اللغة والمتكلمين انتهى فاى اجماع مخالف لهذا ومثله يجب من الشريف (وتفرع) اى ينشأ وتظهر ناظر لكونه اصلا (عن هذا) عداه بعن لتضمين تفرع معنى نشأ والمعروف تعديته بعلى وهذا اشارة للاصل الذى هو العقل (ثقوب الرأى) اى نفاذ رأيه فيما تفكر فيه وتدرك به عواقب الامور ومنه كوكب ثاقب اى مضيء فقوله (وجودة الفطنة) وهى الحذق وسرعة الانتقال (والاصابة) اى موافقة الصواب فهو تفسير لثقوب الرأى (وصدق الظن) اى موافقته للواقع كالنقش كما قال

الالمعى الذى يظن بك الظن * كأن قد رأى وقد سمعا

(والنظر للعواقب) اى كانه ينظر عواقب الامور ويشاهدها كما قال

وانى لارجو الله حتى كانما * ارى بجميل الظن ما الله صانع

(ومصالح النفس) مجرور معطوف على العواقب او مرفوع معطوف على ثقوب الرأى اى ما فيه صلاح وخير لها (ومجاهدة الشهوة) اى مدافعتها وممانعتها عما تريده فانه جهاد اكبر واعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك (وحسن السياسة) لغيره بامره من ساسه اذا حكم عليه وهو لفظ عربى لقوله وكنا نسوس الناس والامر امرنا * وليس معربا كما توهمه ابن كمال فى رسالة المعرب كما سيأتى (والتدبير) النظر فى ادبار الامور وعواقبها وهو عطف تفسير لما قبله ايضا (واقتناء الفضائل) اى اكتسابها والتحلى بها (وتجنب الرذائل) اى ترك كل ما يذم ويبغض به الانسان كالكذب والخيانة (وقد اشرنا) اى ذكرنا فيما تقدم فيما اوردناه فى صفاته والاشارة وان كانت تطلق على ما يقابل العبارة قد يراد بها العبارة ايضا لكنه (الى مكانه منه عليه الصلوة والسلام) الضمير الاول له صلى الله تعالى عليه وسلم والثانى للعقل والمكان المرتبة المعنوية فى الفضائل يقولون فلان

مطلب اطلاق المعرفة على علم الله سبحانه

بمكان من الفضل يريدون علو رتبته فيه وقيل المراد مكانه من العقل بمعنى انه حائز له ومالك لامره على طريقة التجريد مبالغة فى تمكنه منه ولايخفى مافيه من التكلف من غير داع له (وبلوغه شأوه ومن العلم الغاية التى لم يبلغها بشر سواه) كما سبق منه (واذ حلالة محله من ذلك) وبل الظرف متعلق بقوله حازت العقول الآتى فى آخر الفصل اى حازت العقول وقت حلوله الى آخره اواذ تعليلية اى حازت العقول لاجل الخ وقيل انه علة للاشارة الى مكانه منه وبلوغه شأوه اى من اجل ان حلالة محله الخ واذ تعليلية كما فى قوله تعالى (ولن ينفعكم اليوم اذظلمتم) وقيل المعنى من اجل ان حلالة محله متحقق بحسب ماعاد ذلك ويجوز ان يكون ذلك لمجرد التحقق ولايخفى ما فى هذا كله من التكلف والذى ظهر لى انه معطوف على ماقبله لانه بمعنى من اشارته الى مكان منه لم يبلغه غيره علو ظاهر فيه فكانه قال اذ علو قدره فيه محسوس مشاهد واذ حلالة محله امر متحقق بالدليل القاطع فاسد عليه بالحس والعقل ومثله يسمى العطف على المعنى وهو فى القرآن وكلام العرب متداول قال ناظر الجيش فى شرح التسهيل فى قوله

احدك لن ترى بثعيلبات * ولا بيدان ناجية ذمولا
ولا متدارك والليل طفل * ببعض نواشغ الوادى حمولا

بتدارك بالجر لان المعنى لست براء ولا متدارك وجعله ابو حيان من العطف على التوهم كقوله

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الاببين غرابها

والاولى انه من العطف على المعنى وفرق بينه وبين العطف على التوهم وقد كلام وقدناه فى كتب المعنى وقوله من ذلك اشارة للاصل ولو سلم الصحة تعلقه بقوله حازت كان معطوفا على ماقبله ولا وجه له (وماشرع فيه) من الاخلاق الشريفة وغيرها (متحقق) لاريب فيه اوارثه بحسب المعنى (عندمن يدبر) اى علم وتفكر بالسبب عن مسببه كما قالوه فى تتبع خواص التراكيب (مجارى احواله) جمع مجرى اومجرى بالضم واصله مسيل الماء والمراد ماجرت به عادته فى احواله ولايخفى لطفه مع ملاحظه قوله اولا ساقيها فانه جار على مجراها وبنحدر اليها (والطراد سيره) الاطراد افتعال من الطرد وهو الجرى خلف شئ من صيد اوغيره ومنه مطاردة الفرسان فى الميدان ومناسبته للسير وان كان المراد بها مطلق الصفات لانها تخص بالعروات وقيل المراد تتابع اطرادها ليوافق قوله مجارى احواله اى محال جريانها والاطراد مصدر اطرد الشئ تبع بعضه بعضا كجرى والانهار تطرد اى تجرى ومنه الاطراد الذى لسرد اسماء الممدوح وابائه من يده والمعنى جرى سيره فى جداول الكتب منسجمة فهو استعارة وجه الشبه فيها الكثرة ولايخفى مافيه من المد (وطالع جوامع كلامه) اماجمع جامع والمراد الكتب الجامعة للحديث الشريف اوكلماته الجامعة للحكم التى تحير فيها عقول العلماء والحكماء (وحسن شمائله) بالجر معطوف على كلامه وهى جمع شمال بمعنى الخلق

والصفة قال * فالمؤمن احد من سالنا * اى من خلق وعادى (وبدائع سيره) اى سيره البديعة وسعى ان يراد بها كتب السير حتى لايكون مكررا مع مامر (وحكم حديثه) بكسر الحاء وفتح الكاف وهي القول المصيب عرض الحق والحديث معروف (وعلمه بما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة) بالتشديد والتخفيف على الانبياء عليهم الصلوة والسلام كالزبور والصحف اى على علمه بذلك والتوراة احل الكتب المنزلة قبل القرآن واصلها ووريه ابدلت الواو تاء وورية فعلة بفتح العين او كسرها وقيل وريها فوعله والانجيل بالكسر وقد يفتح من النجل وهذا امر تقديري اجرى عليه احكام الالفاظ العربية اذ الاشتقاق لايجرى فى غير كلام العرب (وحكم الحكماء) جمع حكمة اى مالهم من الحكم فى كلامهم فانهم كان لهم اعتناء بذلك وقد من الله جمعها ابن مشكويه فى كتاب كبير سماه جاودان خرد وقد طالعته فرايت اكثره ورد فى الاحاديث الشريفة ولكن اين الثريا من الثرى فان رونق الالفاظ النبوية لايمكن مضاهاته (وسير الامم الخالية) اى ماوقع فى زمنهم من الاحوال كما كان صلى الله عليه وسلم يحدث عن بنى اسرائيل وما كان من مجالسهم (وايامها) اى وقائعها فى حروبها ومجادلاتها فان الايام شاعت بهذا المعنى كما يقال يوم حليمة ويوم بعاث وهو اطلاق شائع صار حقيقة فيه ومما قلته مشيرا لهذا المعنى

عجبت من دهري زمان تشاغى * زمان به طيب السرور كاحلامي

لحساب بايام على اثر ماضى * ولكن حروب قد ادعيت بايام

(وضرب الامثال) الامثال جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده الذى وقع فيه اولا مستعار من ضرب الخاتم اوالطين كما حققه اهل المعانى والتفسير وهو مما تعنى به البلغاء لكشف المعنى الممثل له وابرازه فى صورة المشاهد الى غير ذلك والامثال النبوية افردت بالتصنيف (وسياسات الانام) السياسة ضبط امور العامة باللسان والسنان وتدبير احوالهم وليس المراد حسن المداراة كما قاله التلمسانى والانام الخلق وقيل الانام عبارة عما تعرفه اللوم اوالانس اوالجن اوماعلى الارض من الخلق فيحتاج تحسب مايضاف اليه (وتقرير الشرائع) اى بيان ما يتعلق باحكام الشرع فى المعاملات وغيرها (وتأصيل الآداب النفيسة) اى بيان اصول الآداب التى يتادب بها الناس فى مجالسهم ومحاوراتهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (اكرموا عزيز كل قوم) ونهيه عن الملاحاة والمجادلة كامر وقوله (تهادوا تحابوا) وسماها نفيسة لانها مما يتنافس فيها المتنافسون (والشيم الحميدة) جمع شيمة وهي العادة قالوا الانصاف من شيم الاشراف اى عاداتهم والحميدة بمعنى المحمودة مفهوما مماذكر (الى فنون العلم) الى كاف فى الامم السالفة كالطب وغيره لما لم يمنعه الشرع عنه (التى اتخذ اهلها كلامه عليه الصلوة والسلام فيها قدوة) اقتدوا به فيها واستدلوا به عليها (واشاراته) فى انشاء كلامه بها (حجة) دالا عليها

(كالعبارة) بفتح العين بضبط القلم والمحفوظ فيه كسرها كما قاله البرهان الحلبي وذكره الأزهري والجوهري الا انه لم يضبطه والذي في النسخ بكسر العين بمعنى تفسير الرؤيا وهو على قسمين في الرؤيا الصحيحة لأنها على ثلثة اقسام رؤيا ظلمة من الشيطان ومن عوارض بدن الانسان كمن غلبت عليه الحرارة فرأى نارا توقد عنده اوالبرودة فرأى ماء وبحرا اوأكل ما أكل غليظة سوداوية كالباذنجان فرأى سوادا ويسمى اضغاث احلام ولا تأويل لها وكذا من علق فكره في شيء فرآه كما قال المعري

الى الله اشكو انني كل ليلة * اذا نمت لم اعدم خواطر اوهامي
فان كان شرا فهو لابد واقع * وان كان خيرا فهو اضغاث احلام

ورؤيا من الله يرينها ملك الرؤيا عند اهل الشرع او تدركها الروح اذا انقطعت عنها علائق البدن واتصلت بالملأ الاعلى فتلقيها الى القوة المتخيلة فترتسم في الحافظة وتبقى مشاهدته فيها حتى تستيقظ فان كانت النفس قدسية والقوى قوية وقع ما رأته بعينه ولم يحتج للتأويل وهو الاكثر في رؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام ومن كان على سنتهم ولذا اراد الخليل عليه الصلوة والسلام ذبح ابنه ولم يأول رؤياه بالفداء حتى امره الله تعالى به والا فتأول بما يناسبه معنى اولفظا اوحكاية صورة وفعلها عبر بالتخفيف بعبر بالضم عبارة بالفتح كعلافة وظلامة اوعبارة كرسالة وقد تشدد فيقال عبر تعبيرا قال في الكشاف في سورة يوسف رأسهم يكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعروف وقد عثرت على بيت انشده المبرد في الكامل يدل عليه وهو

رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا　　انتهى

هذا ما ذكره من يوثق به في اللغة كالجوهري وصاحب القاموس وغيره وقال في عمدة الحفاظ العبارة بكسر العين مختص بالكلام لعبوره الهواء من لسان المتكلم لسمع السامع ولا يستعمل في تفسير الرؤيا انتهى يعني انها فيه مفتوحة لا غير فوهم بعض الشراح انها بكسر العين لاغير وانه انكر هذا اللفظ مطلقا واساء سمعا فساء ماجاء به ثم جاء من بعده فصار به مصار به العميان فقال انه كلام ضعيف مردود فلم يقف على المراد ولم يأت بما يدفع الايراد فاخطأ في المعنى والعبارة واما تحقيق معنى الرؤيا فليس هذا محله ولعل الدوبة تقضي الله في بحث النبوة وقد افردنا له تعليقة (والطب) وهو مثلث الطاء الا انه لم يستعمل فيما نحن فيه الا بالكسر والمراد به علم يتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة والمرض وهو من علوم الاوائل وللعرب به اعتناء وقد افرد الطب النبوي بالتأليف (والحساب) بكسر الحاء مصدر حسب بمعنى عد ثم صار علما لعلم يعرف به احوال المقادير وهو من العلوم الرياضية القديمة (والفرائض) ذكره بعد الحساب لتوقفه عليه وهو علم يعرف به احوال المواريث وهو جمع فريضة بمعنى مفروضة لان الله فرضه وهو من العلوم الاسلامية واطلاق

بهذا اللفظ عليه بعد نزول القرآن ومعناه ظاهر (والنسب) اى معرفة انساب الناس من آدم عليه الصلوة والسلام الى كل عصر وهو من علم التاريخ وكانت العرب تعتنى به وهو اعلم الناس به واعلم الناس به بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصديق رضى الله تعالى عنه وهو من نسب الرجل اذا عرفته لابيه وثمرته للفرائض ظاهرة وهذه العلوم كلها شرعية وفرض كفاية لاسيما الفرائض والانساب فان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امر بالمحافظة عليها ولعن من انتسب لغير نسبه فقال من خرج من نسبه وانتمى لغير ابيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين كما نقله المناوى (وغير ذلك مما سنبينه فى معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى ابوابه ان شاء الله تعالى) وقد حصل له عليه السلام ذلك (دون تعلم) من احد من البشر والظرف متعلق بقوله علمه السابق (ولا مدارسة) من درس الكتاب اذا قرأه وحفظه اى لم يعرف بأخذه من الافواه وحفظه لشيء من العلوم عن غيره (ولا مطالعة كتب) يقال طالعت الشيء اذا اطلعت عليه اى لم يطلع على شيء من الكتب بقراءتها او سماعها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اميا من قوم اميين لم يره احد قرأ ولا تعلم ممن قرأ واستعمال المطالعة بمعنى القراءة وهو مجاز مشهور قريب من معناه اللغوى (من تقدم) ككتب الانبياء عليهم الصلوة والسلام والحكماء (ولا الجلوس الى علمائهم) اى لم يعرف احد انه جلس عند احد ممن يعلم كتب من تقدم ليأخذها عنه والضمير لمن باعتبار المعنى وكل ذلك الذى حصل له صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو علم لدنى غير مكتسب من احد من البشر واما قوله تعالى (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر) فهو رد على قولهم المذكور بانه كذب محض تشهد العيان ببطلانه وقد تولى الله تكذيبهم فى ذلك كما هو مبسوط فى التفسير (بل) هو صلى الله تعالى عليه وسلم (نبى امى لم يعرف بشيء من ذلك) العلم والمدارسة والمطالعة والمجالسة اى منبئ عن الله او منبأ لاعن مخلوق والامى منسوب الى الام لانه كيوم ولدته امه او الى ام القرى او امة العرب لان القراءة والكتابة كانت عزيزة فيهم والامى الذى لا يكتب ولا يقرأ الكتب بعد وهو الذى لا يكتب وعدم حفظ علمت مناسبة ذكر الامى هنا وفى الحديث انا امة امية لا نحسب ولا نكتب اى على حالنا لم نتعلم حسابا ولا كتابة فلا ينافى ما صدر من علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالحساب (حتى شرح الله صدره) اى وسعه ونوره بالعلم والحكمة وهداه لكل حق من العلوم (وابان امره) اى اظهر امره فى العلم للناس بآياته الظاهرة ومعجزاته الباهرة واقامة الحجج المتواترة (وعلمه) من لدنه العلوم المعهودة وغيرها (واقرأه) اى اقدره على القراءة بما علمه او بما اوحاه اليه بواسطة الملك والاسناد مجازى او التجوز فى الطرف كقوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى) (يعلم) بالبناء للمجهول (ذلك) اى ما علمه صلى الله عليه وسلم من العقل والعلم من غير تعلم (بالمطالعة) اى بالاطلاع على سيره صلى الله تعالى عليه وسلم

وشمائله من كتب الحديث (والبحث عن حاله) وفي نسخة من حاله والظاهر الاول لتعديه بمن وهو بمعنى التفتيش عنه بالسؤال وغيره (ضرورة) منصوب بنزع الخافض متعلق بنعلم اى من وصف على احواله صلى الله عليه وسلم علم ذلك بمجرد التفات الذهن اليه من غير احتياج الى دليل (وبالبرهان القاطع على نبوته صلى الله عليه وسلم نظرا) اى ويعلم ذلك ايضا بالبراهين القاطعة الدالة على نبوته لمن نظر فيها فقوله بالبرهان معطوف على قوله ضرورة وعلى نبوته حال من البرهان ونظرا تمييز والنظر اصله تقليب البصر للادراك ثم استعمل في التامل والفحص والمعرفة الحاصلة منه والاستدلال وهو المراد هنا اى من نظر في دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم علم قوة عقله وانه احاط بعلوم لا نهاية لها (فلا نطول بسرد الاقاصيص) السرد تعداد امور من القصص ونحوها متتابعة متوالية مستعار من سرد حلق الدرع وخيوط النسج والاقاصيص جمع اقصوصة كاحدوثة بمعنى قصة او جمع قصص على خلاف القياس كما قاله التلمسانى فقال قص واقتص بمعنى اخبر والقصص اسم مصدر وقيل انه يحتمل ان يكون جمع اقصاص جمع قصص كانعام وانعام في جمع نعم الا انهم تركوا استعمال اقصاص فانه لم يسمع وفيه تكلف لا يخفى (وآحاد القضايا) احاد بمد الهمزة جمع احد بمعنى مفردها وفي الشفاء سئل ابو العباس عن الآحاد هل هو جمع الاحد فقال معاذ الله ليس للاحد جمع ولكن ان جعلتها جمع الواحد فهو محتمل كشاهد واشهاد وليس للواحد تثنية ولا للاثنين واحد من جنسه انتهى والقضايا جمع قضية وهي الجملة من الكلام الدالة على معنى من الاحكام وهي مرتبة من قول اهل الميزان القول المحتمل للصدق والكذب كالخبر فهي اخص من الكلام والجملة ووزنها فعالى عند الكوفيين وفعائل عند البصريين (اذ مجموعها) اى جميع قصصه وقضاياه (مالا يأخذه حصر) اى ضبط واصل معنى الاخذ حوز الشيء وتحصيله ثم استعمل بمعنى الغلبة والقهر كقوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) كما مر وهذا هو المراد هنا وجعل مجازا او كناية عن انه لا يمكن حصره وكذا قوله (ولا يحيط به حفظ جامع) اى لا يحفظ والاحاطة الاخذ بجوانب الشيء واريد به ما ذكر (وبحسب عقله) قال البرهان هو في الاصل بسكون السين وبفتحها ان تتبع اى بقدر عقله وادراكه وقد جوز فيه السكون لكنه ضرورة والذي في القاموس هذا بحسب ذا اى بعدده وقد يسكن ولم يخصه بالضرورة (كانت معارفه صلى الله تعالى عليه وسلم) جمع معرفة اى علومه (الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان) اى مضمومة الى جميع ما او باقي ما اطلعه الله عليه مما تقدم في الكون من احوال الامم الخالية وكتبهم وسرائرهم وما اطلعه الله عليه من المغيبات التي ستاتي ولما كانت جلالة قدره بواسطة عامة مما يكون اقوى منها بواسطة علمه بما كان قدم ما يكون في المستقبل على ما كان

في الماضي مع سبقه اهتماما بشانه ومقتضى الترتيب العكس (وعجائب قدرته وعظيم ملكوته) مجرور معطوف على علم والمراد مااطلعه الله عليه في الاسراء من حقائق الملائكة والسموات واقداره على ذلك في برهة من الزمن وقد مر ان الملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والجبروت ويطلق ويراد به عالم الامر ويقابله الملك (قال الله تعالى) وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة (وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) اى علمك مالم تكن من شانك وفي قدرتك علمه كالمغيبات والاطلاع على احوال الملكوت ولذا امتن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه فضل عظيم فضله به على مخلوقاته تعالى لانه كقولهم مايكون لك ان تفعل كذا اى لاينبغي ولا يتاتى اولا يصح ولا يمكن ولذا ختم الآية بهذه المنة دون قوله في الآية الاخرى (علم الانسان مالم يعلم) الا انه يبقى السؤال حينئذ على الآية الثانية بانه اى فائدة في ذكر هذا المفعول والتعليم معلوم انه لايكون الا بغير المعلوم وقال في عروس الافراح بعد ما ذكر ان لم النافية مجزوم بها انصال النفي وانفصاله وانهما اجتمعا في قوله وعلمتم مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم وفائدة ذكر المفعول في قوله تعالى وعلمك مالم تكن تعلم فان كان الانسان لا يعلم الامالا يعلم النص على ذكر حالة الجهل التي انتقلوا عنها فانه اوضح في الامتنان انتهى وفي حاشية السيرامي على المطول ان الشارح قال في بعض دروسه الاولى ان يقول مالم تكن تعلم كما في قوله تعالى (وعلمك مالم تكن تعلم) اذلا فائدة في ذكر المفعول اذ التعليم انما يكون لما لم يعلم ولم تكن فيه اشعار بانه لولم يعلمه لم يحصل العلم لجهالته على غير علام الغيوب وهو بعيد اذ ربما يتوهم حصوله من غير تعليمه تعالى وردّ بانه كقوله تعالى (علم الانسان مالم يعلم) الآية فالاولى ان يحمل ذكره على افادة العموم لانه لئلا يتوهم اختصاصه ببعض الافراد كقوله تعالى (ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه) للتأكيد وبذكر لكن قوله من البيان يأباه ويحتمل انه ذكر للسجع انتهى * اقول هذا كله كلام سطحي والذي ظهر لي في الآية ان جملة علم الانسان مفسرة للصلة وما الموصولة عبارة عن الكتابة والقراءة فانه لما قال له صلى الله تعالى عليه اقرأ فقال ما انا بقارئ سواء اريد النفي او الاستفهام قال له كيف لا تقرأ وربك الاكرم تفضل على عباده بنعم من اجلها ان كل انسان كان امياً ملك في ابتداء امره فعلمه الكتابة وقرأتها بالهامه فكيف لا يعلمك وانت اعزهم عليه واقواهم بصيرة فاي فائدة اتم من هذه وكل فعل متعد يدل على فاعل ومفعول ما التزاما ولذا لم يفد ضرب ضارب وضرب المضروب فان اريد عموم او خصوص افاد وهو اعلم انه لو قال مالم تكن تعلم اوعقبه بما عقب به تلك الآية لم يصادق محزه وما قيل من انه لم يذكر الكون في هذه الآية الكريمة وذكره ثمة لانه ورد في مقام حال عن اعتبار القوة والاجتهاد فلا يناسبه ذكر الكون المؤذن بهما بخلاف تلك ويؤيده قول الكرماني في قوله تعالى (وما كان الله ليضيع ايمانكم)

ان كان ذكرت للتأكيد لان معناه كما فى الكشاف ماصح ويعنى به نفى امكان الاضاعة وهو ابلغ من نفى الاضاعة فضلا ومنه يعلم السر فى ايراد ذلك فى قوله وعلمك مالم تكن تعلم فقوله وكان فضل الله عليك عظيما ولم يرد فى هذه الا فى الاول من المبالغة والتأكيد انتهى وقد علمت ما فيه مما تقدم وقوله (حارت العقول فى تقدير فضله عليه) المذكور فى هذه الآية لانه لا يمكن الوقوف عليه ولذا وصفه بانه عظيم ونكره ومايكون عنده تعالى عظيما كيف نعلمه سواء (وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك) الفضل ومالايدرك كيف يوصف وفى قوله خرست دون سكتت وصمت مبالغة لانه يقتضى سلب القوة الناطقة ثم ترقى فقال (او ينتهى اليه) اى كيف يحيط بما لم يصل اليه

﴿ فصل واما الحلم ﴾ اى حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وعدم اظهاره (والاحتمال) هو افتعال من الحمل وهو يكون على الظهر وفى البطن ففرق بينهما لفظا ثم استعمل فى التكليف كقوله تعالى (لا تحملنا مالا طاقة لنا به) وللصبر على المكاره وعدم التأثر منها كما فى الماء لا يحمل الخبث وهو المراد هنا (والعفو) عدم المؤاخذة بالذنب ونحوه وهو قريب من المغفرة وبينهما فرق تقدم (مع القدرة) وفى نسخة المقدرة بفتح الدال وضمها وميم مفتوحه مصدر ميمى بمعنى القدرة ومن كلامهم القدرة تذهب الحفيظة اى الغضب والحمية (والصبر على مايكره) وكان صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا بمرتبة لا تدرك (وبين هذه الالقاب) اى بين مسميات هذه الالقاب (فرق) تميز بها عن غيره واحتاج الى الفرق لتقارب معانيها والمراد باللقب اللفظ الجامد الدال على صفة لا ما اصطلح عليه النحاة وهو كما قال الراغب اسم يسمى به الانسان غير اسمه الاول ويراعى فيه المعنى بخلاف الاعلام (فان الحلم حالة توقر) بفتح المثناة الفوقية وضم القاف المشددة اى اظهار الوقار وهو السكون يقال هو وقور ووقار وتوقر اى ساكن غير مضطرب (وثبات عند الاسباب المحركات) كالغضب مثل ولابد من اعتبار كون هذا لسهوله حتى يخرج التحلم وان كان بعد الاعتياد يصير كذلك (والاحتمال حبس النفس عند) ورود ماتسرها من (الآلام) بمد الهمزة جمع الم وهو مايؤلم فى اى عضو كان (والمؤذيات) بالهمزة والواو والذال المعجمة جمع مؤذية والاذى كل مايتأذى به والمراد بحبس النفس ضبطها حتى تخضع لسلطان العقل وتمتثل لما يأمرها به وفى نسخة العرقى رواية كما قاله التلمسانى المرديات بالراء والدال المهملتين من الردى بمعنى الهلاك (ومثلها) قيل المراد مثل المذكورات وقيل المراد مثل الاحتمال وانث ضميره باعتبار انه حال ولو قال ومثله كان احسن واسلم من التكلف (الصبر) فانه بمعناه لغة الحبس ومنه قتله صبرا اذا امسكه ليقتله فى غير قتال وهذا يؤيد ارجاع الضمير للاحتمال (ومعانيها متقاربة) قال الراغب الصبر الامساك فى ضيق وحبس النفس عما يقتضيه

العقل او الشرع او عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمائه بسبب اختلاف مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في نائبة تضجر سمي رحب الصدر ويضاده الضجر وان كان في الكلام سمي كتمانا ويضاده الاذاعة انتهى ومنه تعلم ان له معنيان خاص وعام فلو حمله المصنف على الخاص كان احوجه وهو الاولى (واما العفو فهو ترك المؤاخذة) بالهمزة وبالواو غير فصيحة وهي الجزاء على مافعل غيره قيل وفي تفسيره بالترك اشعار بانه لا يكون الا عن قدرة لان من لا يقدر عادم لا تارك فتقييده به اولا للتأكيد كمطر نصه كقوله

وان في الحلم ذلا انت عارفه * والحلم عن قدرة فضل من الكرم

لانه ان لم يكن عن مقدرة فهو عجز وما احسن قول ابن زيدون

ارى الدهر ان يبطش فانت يمينه * وان تبسم الدنيا فانت لها ثغر
عطاء ولا من وحكم(٢) ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

(وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى آداب ومحاسن علمها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وارشده بعد ماخلق فيه استعدادا تاما لها كما قال (ادبني ربي فاحسن تاديبي) وهو احد الحكم في كونه صلى الله عليه وسلم ربي يتيما حتى تعلم ان ربه مربيه من غير حاجة لامه وابيه (فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية) وتمامها واعرض عن الجاهلين وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق اى تعاطى العفو عن الناس وترك مؤاخذتهم وفي عدوله عن اعف الاظهر الاخصر نكتة يعرفها من له المام بالادب كما ان في قوله وأمر بالعرف دون اعمل اشارة الى انه متصف به مركوز في جبلته ومن تأمل بذله استخرج منها فوائد لا تحصر وفيهم من فسر العفو بالمساهلة وترك المؤاخذة والحث على مكارم الاخلاق فامره بأخذ ماسهل من اخلاق الناس وافعالهم من غير كلفة وطلب لما يشق واعترض عليه بانه غير مناسب لقوله (وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية) وهذا الحديث كما قاله السيوطي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ في تفاسيرهم وابن ابي الدنيا في مكارم الاخلاق ووصله ابن مردويه من حديث جابر رضي الله تعالى عنه وعزاه الشيخ قاسم للبخاري عن عبد الله بن الزبير في قوله خذ العفو الى آخره انه قال ما انزل الله هذه الآية الا في اخلاق الناس وله في رواية اخرى تعليقا عن عبد الله قال امر الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأخذ العفو من اقوال الناس او من اخلاق الناس واما قوله تعالى (واعرض عن الجاهلين) اى عن عتابهم ولا تمارهم فان كان شاملا لمداراة الكفار فهو منسوخ بآية السيف وان كان امرا بمكارم الاخلاق وعدم مقابلة من سفه فليست منسوخة بقول وبين هذا

(٢) وقد وقع في اكثر النسخ حلم بدل حكم فاله مصححه

ماروواه البخاري من ابن عيينة بن حصين استأذن له الحر بن قيس من عمر رضي الله تعالى عنه في الدخول فدخل عليه وقال له يا ابن الخطاب اما تعطنا الجزل وتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر رضي الله تعالى عنه فقال له الحر يا امير المؤمنين ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم خذ العفو الآية وان هذا من الجاهلين فما جاوزها عمر رضي الله تعالى عنه وكان وقافا عند كتاب الله فهذا يدل على انها غير منسوخة وليس كما قال فانه يجوز ان يكون استشهد بها لشمولها غير الكفار لا ان هذا هو مضاها فقط (سأل) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل) عليه الصلوة والسلام (عن تأويلها) اى تفسيرها وبيان المراد منها فانه احد معنى التأويل (فقال له حتى اسأل العالم) يعنى الله عز وجل والعالم كالعليم من اسماء الله تعالى ويوصف بهما غيره تعالى اما الاول فظاهر واما الثانى فى حق الله فظاهر واما فى غيره فكقوله

فان تسألونى بالنساء فاننى ❊ عليم بادواء النساء طبيب

والثانى فى حق الله تعالى اشهر وقيل المراد بالعالم الكامل فى العلم كما فى قوله (ذلك الكتاب) فيختص به فانه مساو بهذا المعنى للعليم واما العليم فاطلاقه على غير الله لم يسمع والشعر المذكور لابن الوردى وهو من المتأخرين لا يستدل به وهذا الحديث يكفى شاهدا لاطلاق العالم على الله فهو كاف فى ثبوته ❊ اقول هذا عجب من مثله وفيه من الخلط ما لا يخفى اما قوله ان الشعر المذكور لابن الوردى فافتراء عليه لانه شعر فصيح لبعض العرب وهو مذكور فى الشواهد واما استدلاله على العالم بالحديث وهو مذكور فى القرآن كقوله (عالم الغيب والشهادة) فمما يقضى منه العجب واما قول جبريل عليه الصلوة والسلام حتى اسأل العالم دون اسأل الله فكأنه تأدب منه لايهام انه لا يسأل الله بالذات فكأن بينه وبينه واسطة اى من هو عالم بالتفسير وفيه ارشاد لمن سئل عن شئ لا سيما القرآن فينبغى ان يتثبت فيه وفى جبريل تسع لغات جبريل بكسر الجيم وجبريل بالفتح وجبرئل بالفتح مهموزا مشدد اللام وجبرائل بهمزة بعد الالف وجبرئل بفتح وبهمزة بلا الف وياء وجبرئيل وجبرين بنون وفتح الجيم وكسرها وفيه لغات اخر وقال الجوهرى والازهرى وكثير من المفسرين فى جبرائيل وميكائيل ان جبر وميك معناها عبد وئيل وال اسم الله وقال ابو على الفارسى هذا خطأ لان ال لم يذكر احد انه من اسماء الله تعالى ولانه لو كان كذلك كان عبد الله يلزم آخره حالة واحدة ولا يعرب بحسب العوامل قال النووى وهو الصواب ولا يخفى ما فيه فان ال اذا كان اسما لله فهو سريانى فلا ينافيه عدم معرفة العرب له واما اعرابه فلانه لما عرب غير عما كان عليه وجعل اسما واحدا ولذا ارجعوه لاوزانهم والعرف هو الخصال المحمودة لا العرف الشرعى كما توهم (فاتاه) الفاء فصيحة اى فانفصل عنه وفارقه ثم اتاه

مطلب فى لفظ جبريل تسع لغات

(فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك) الظاهر ان المراد به صلة الرحم والرحم بمعنى القرابة وصلتهم بالاحسان اليهم وفعل الجميل وقوله كالهدية والزيارة وارسال السلام ونحو ذلك وضده قطع الرحم ويحتمل التعميم لتعليم الخلق وترك التهاجر المنهي عنه كما في قوله (وتعطي من حرمك) يقال حرمه واحرمه بمعنى اي احسن الى من لم يحسن اليك وهذا ارشاد له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته وان كان لا يرجو غير الله واحسانه (وتعفو عن ظلمك) هذا معنى قوله خذ العفو وما قبله نهي وأمر بالعرف ولم يتعرض لقوله واعرض عن الجاهلين اما لظهوره او للاشارة الى انه في معرض النسخ او لان المراد بالجاهلين من قطع وظلم وهذا اشارة الى اصول الاخلاق واعظمها واحبها الى الله تعالى فتدبر (وقال له واصبر على ما اصابك الآية) وهذه الآية من وصية لقمان لابنه اذ قال له يا بني اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر كما قصه الله تعالى في كتابه الكريم وكل ما قصه الله تعالى من قصص الانبياء عليهم الصلوة والسلام فهو ارشاد له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته وكانه مما امر به ابتداء فلا يتوهم انها ليست في حقه اي اذا امرت بمعروف ونهيت عن منكر واصابك بسبب ذلك مكروه فاصبر له (وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) قال العز بن عبد السلام اولوا العزم اولوا الجد والجهد والصبر وهم المأمورون بالجهاد اوالرسل من العرب وقيل من لم تصبه فتنة وقيل من اصابه بلاء بغير ذنب وهم نوح وابراهيم ومحمد صلى الله تعالى عليهم وقيل نوح وابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد وقيل هم المذكورون في الانعام في قوله (اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) الا يونس لقصة الحوت انتهى ولا ينبغي عد محمد صلى الله عليه وسلم فيهم لقوله كما صبروا كلهم من الرسل وقد علمت انه اختلف فيهم فقال مجاهد هم خمسة وهم اصحاب الشرائع وقيل ثلاثة وقيل ستة وقيل جميع الرسل اولوا عزم وقيل كل الانبياء عليهم الصلوة والسلام اولوا عزم الا يونس لعجلته والفاء في قوله تعالى فاصبر فصيحة لان قبلها (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) اي اذا كان عاقبة الكفرة ما ذكر فاصبر وقد صبر صلى الله عليه وسلم مثل صبرهم وزاد عليهم ومن في من الرسل بيانية او تبعيضية والخلاف دائر على تفسير العزم بالصبر كما هو ظاهر الآية او الجد والاجتهاد او الجهاد (وقال وليعفوا وليصفحوا الآية) الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم العفو عدم المؤاخذة بالذنب والصفح الاعراض عنه وعن ذكره لان من اعرض عن شيء ولاه صفحة عنقه وهذه الآية وان نزلت في الافك وفي حق ابي بكر رضي الله عنه اذ كان ينفق على مسطح لقرابته منه فلما خاض في الافك آلى ان لا ينفق عليه فقال الله تعالى (ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين الى آخره) فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه بلى والله اني لاحب ان يغفر الله لي وعاد الى انفاقه عليه فالنبي صلى الله تعالى

عليه وسلم داخل في عمومها كما في سائر الخطابات فلا يرد على المصنف ان هذه الآية ليست في حقه صلى الله عليه وسلم (وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور) اى من اهم الامور التي ينبغي التصميم والعزم عليها واللام موطئة للقسم ان قلنا ان من شرطية اولام ابتداء ان قلنا انها موصولة كما فصله المعربون وهذه الآية مع ماقبلها كما علمت نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وقد شتمه بعض الانصار واستشهد بها المصنف على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان آخذا بذلك معتمدا عليه (ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله) الباء بمعنى في ويؤثر بمعنى ينقل ويروى من حلمه وتحمله للاذى فانه الغ غير خفي على احد (وان كل حليم) اى ولا خفاء ان كل حليم غيره صلى الله عليه وسلم (قد عرفت منه زلة) بفتح الزاء المعجمة وهي الخطيئة والسقطة قال الشاعر

فمن لا يرى زلة ليس بعدها * عفو وزلات النساء كثير

(وحفظت عنه هفوة) بفتح الهاء وسكون الفاء وهي قريبة من الزلة معنى وقال التلمساني هي بالفاء وهو اكبر وبالقاف وهي السقطة وهو قريب منه وهي من هفا بمعنى زل وسقط او تحرك واسرع (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما) جملة حالية اى مع انه لا بد من الزلة والهفوة في الغضب والمكاره فهو صلى الله عليه وسلم لا يزداد مع ذلك الا صبرا وحلما والمراد بالجاهل ليس ضد العالم وان كان اشهر معنيه بل هو السيء الخلق المجازف في اموره قال الشاعر

الا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فالجهل بهذا المعنى خلاف الحلم ويتعدى بعلى وقد يترك تعديه كقول الحماسي

وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان

وقال بعض الحكماء * لا تحملنك سب الجهول لك * وجرأته السفه عليك * على الاجابة له وفريه عليه فخلم بعين صبرك * خير من سفه يشفي صدرك * وهو بما يدل على مغايرة الحلم للصبر وان كان مقاربا له كما مر وهذا هو المعروف عند العرب في الجهل والاسراف بمعنى الزيادة ومجاوزة الحد (حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين بن عبد التغلبي بفتح المثناة الفوقية وسكون الغين المعجمة منسوب لتغلب اسم قبيلة سميت باسم ابيهم كمنع ولامه مكسورة وقد تفتح في النسب اندلسي جامع يتولى كسر بن ويقال ولد سنة تسع وثلاثين واربعمائة ومات يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمسمائة ودفن يوم الجمعة بعد صلوة العصر وكان فيها فقيها تولى القضاء في ايام المرابطين ولاه يوسف بن تاشفين فسار بأحسن سيرة وبقي فيها مدة عمره وسمع من شيوخ الاندلس واخذ عنه المصنف في رحلته لقرطبة (قالوا حدثنا محمد بن عتاب) بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية والف وباء موحدة وهو ابن محسن الجذامي

الفاضل توفي ليلة الثلاثاء لعشر بقين من صفر سنة اثنين واربعمائة قال
(حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره) هو يحيى بن عبد الرحمن بن واقد بالقاف والدال المهملة
علم منقول من الواقد ضد الفساد قال ابن سهل في احكامه كان ابن واقد مقدما
في اصحاب ابن دريد ثم سقط بعد موته والزم داره ثم اعاده المنصور بن سليمان الى مرتبته
وجعل اماما بجامع الزهراء ثم وقعت له امور اقتضت موته في الحبس ودفن بمقبرة
الربض سنة خمسين واربعمائة وانتصر الله من قاتله بعد ايام وفي بعض الحواشي انه
وقع هنا في اصل السماع واقد بالفاء وفيما سيأتي في كيفية الصلوة على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم واقد بالقاف وهو الصواب والاول هو الذي صححه البرهان الحلبي والتلمساني
قال (حدثنا ابو عيسى) هو الليثي واسمه يحيى بن عبد الله بن ابي عيسى روى
عن ابيه عبيد بن يحيى توفي لعشر بن مضين من رمضان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة قال
(حدثنا عبيد الله) قال البرهان الحلبي هو ابو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير
قال (حدثنا يحيى بن يحيى) قال البرهان الحلبي هو يحيى بن كثير الليثي مولاهم البربري
المصمودي القرطبي الفقيه ابو محمد عالم الاندلس لم يخرج له في الكتب الستة شيء والموطأ
مشهور به وموطأه اصح نسخ الموطأ وقد سمعه بحلب وامرأته بالاسكندرية اما الذي
له ذكر في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي فهو يحيى بن يحيى بن ابي بكر بن
عبد الرحمن بن يحيى بن حماد التميمي ابو زكريا النيسابوري احد الاعلام السنين قال
(حدثنا مالك) بن انس بن مالك بن ابي عامر الاصبحي امام دار الهجرة ومن ائمة
الرحلة بها صاحب المذهب الجليل واختلف فيه هل هو تابعي او من تبع التابعين ولد
سنة ثلاث وتسعين وتوفي في ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة ومات وهو ابن ست
وثمانين واختلف في جده ابي عامر هل له صحبة ام لا (عن ابن شهاب) هو محمد بن مسلم
بن عبد الله بن شهاب الزهري توفي سنة اربع وعشرين ومائة وقيل غير ذلك (عن
عروة) بن الزبير بن العوام اخو عبد الله بن الزبير احد فقهاء المدينة السبعة روى
عن ابويه الزبير واسماء بنت ابي بكر وخالته عائشة رضي الله تعالى عنهم وغيرهم وتوفي سنة
اربع او خمس وتسعين بعد الهجرة وولد سنة اثنين وعشرين وهذا حديث صحيح
في الصحيحين والموطأ واختار المصنف رحمه الله طريق الموطأ فقال (عن عائشة) ام المؤمنين
فريدة الصدق وريحانة الدهر رضي الله تعالى عنها (قالت ما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما) قال البرهان هذا انما خرجه المصنف
من موطأ مالك عن يحيى بن يحيى وقد اخرجه البخاري ومسلم واصحاب السنن
ولم يروه المصنف من غير هذه الطريق لانه امام مذهبه ولاهل الغرب اعتناء به وترجيحه
على غيره من الكتب الستة ولان سنده فيه من هذه الطريق اعلى من سنده في غيره

لان بينه و بين مالك فى هذه الطريق ستة بالسماع و بينه و بينه فى رواية الصحيحين سبعة وفى ابى داود ستة الا انه بالاجازة فلذا اختار هذه الطريق على غيرها لما لها من الشان عنده وفى هذا الحديث الاخذ بالاسهل والارفق مالم يكن حراما او مكروها ونقل النووى عن المصنف انه يحتمل ان يكون تخييره هنا من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان اوفيما بينه و بين الكفار من القتال عقوبتان واخذ الجزية او فى حق امته فى المجاهدة فى العبادة والاقتصاد فيها فيختار الايسر واما قوله (مالم يكن اثما) فيتصور اذا خيره الكفار او المنافقون اما اذا كان التخيير من الله تعالى او المسلمين فيكون الاستثناء منقطعا انتهى قال بعض الشراح انه فهم من قوله مالم يكن اثما الى آخره اى موجب اثم من حرام او مكروه ما فهم من الاستثناء فسماه استثناء وجعله منقطعا لاستحالة ان يخيره الله او خلص المؤمنين بين امرين احدهما اثم وهو مبنى على ان ما فى معنى الاستثناء له حكم الاستثناء الا ترى الى قول النحاة ان قولك لالزمنك او تقضينى حقى بمعنى الا ان تقضينى حقى فكانه قال هنا الا ان يكون اثما * فان قلت هذا مناف لما ورد ان افضل العبادة احمزها اى اشقها على البدن فكيف يختار غير الافضل * قلت انما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يؤثر الايسر لامته تخفيفا عليهم لا فى حق نفسه لانه ارسل بالحنيفية السمحة ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورمت قدماه و يؤيده مع ما فى نفس الامر قوله فى آخر الحديث انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه نعم ان الاختيار بين الاثم وغيره من الله لا يتصور واما من الله فلا فاذا اول بما يوجب الاثم او بمعصى السنة فى حق غيره صح او المراد بالاثم ما لا يليق به صلى الله تعالى عليه وسلم لعصمته كما اذا خير بين ملك كنوز الارض وعيش الكفاف ويدل على انه فى حقه قوله (فان كان اثما كان ابعد الناس منه) اقول قال العز بن عبد السلام و تبعه الزركشى فى قواعده ان قولهم الاجر على قدر المشقة وما ورد فى حديث عائشة رضى الله عنها اجرك على قدر نصبك كما فى مسلم ليس على اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان فى الشرف والشرائط والسنن وكان احدهما شاقا فانه يثاب على تحمل المشقة وذلك كالغسل فى الصيف والشتاء اما اذا لم يتساويا فلا فان الايمان افضل من الاعمال مع خفته والحاصل ان افضل الاعمال انما هو بالمصالح الناشئة عنها فصدق الجنيل افضل من ونائه المال وانقاد الحاكم مظلوما بكلمة افضل من قسمة المال وصيام الليلة انتهى وهذا هو الحق الذى لا يجحد عنه فلا حاجة لما اطالوا به من غير طائل (وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه) اى لا تعاقب احدا بتقصير وقع منه فى حقه بحيث يكون فاعله لم يخالف امر الله فيما فعله لانه برئ من الحظوظ النفسانية والاغراض الدنيوية (الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها) اى بسبب حرمة الله انتهاكها و حرمة الله ما حرمه و جعله محترما ممنوعا رأسا كالتعدى والتجاوز فيه من تهتك الثوب

اذا لبسته حتى احاطته ويقال نهكته الحمى اذا اضعفته واصابته فاسها كها ساولها بما لا يحل واستهلك فلان محارم الله اى فعل ماحرم الله فعله عليه لما فيه من ضعف الدين واستدال حكمه وليس الاستهلاك المبالغة في اتيان ماحرمه الله تعالى كما توهم حتى يرد انه لا يتصف بمجرد فعل محرم او صغيرة مرة واحدة ويحتاج الى الجواب بان من فعل ذلك فقد بالغ في الجرأة على الرب العظيم او يقال انه كان يعفو عند فعل الصغائر ويغضب اذا فعلت الكبائر فان هذا مما لا ينبغي فانه كيف يخطر بالبال انه عليه السلام يعفو عن الصغائر من غير عذر لفاعلها ولا حاجة ايضا الى حمل هذا على مايتعلق بالمال فانه عليه السلام اقتص ممن نال من عرضه كابن خطل وابن ابى معيط والاخطل واى حرمة لله اعظم من حرمة نبيه عليه السلام ومن اذاه فقد اذى الله وانما المراد ماكان يقع من بعض جفاة الاعراب كالاعرابى الذى امسك برداثه وجذبه حتى اثر في جيده الشريف وقول بعضهم له كما تقدم اعدل في القسمة فانك لن تعطى من مال ابيك ونحو ذلك مما صدر منهم لغلظة طباعهم مما لا يفضى الى ارتكاب محرم فمن ارتكب شيئا من محارم الله غضب له عليه السلام التى من جملتها احترامه انتصر وغضب لله لا لحظ نفسه وان تعلق بها اسماعا لدين الله ورسوله عليه السلام (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت رباعيته) رباعية بوزن ثمانية سن بين الثنية والناب من اليمين والاخرى من اليسار وهاتها ثنتان من فوق فالرباعيات اربع (وشج وجهه يوم احد) الشجة جراحة في الوجه او الرأس (شق ذلك) الكسر والشج (على اصحابه شديدا) اى حصل من ذلك في نفوسهم مشقة وامرا شديدا عظيما (وقالوا) له صلى الله تعالى عليه وسلم (لو دعوت عليهم) اى على الكفار بان يهلكهم الله ويستأصلهم باشد العذاب (فقال انى لم ابعث) بالبناء للمجهول اى لم يبعثنى الله (لعانا) اى داعيا على الناس بالطرد والبعد عن رحمة الله (ولكنى بعثت داعيا) للناس الى الله (ورحمة) للناس اجمعين باخراجهم من الكفر للايمان وتاخير العذاب عمن كفر لا لطردهم عن رحمة الله وابعادهم عنه ثم قال داعيا لهم (اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون) دعا لهم ان يهديهم الله تعالى للاسلام فانهم لا يعلمون طريق الحق ولا يعرفون قدر نبيه صلى الله عليه وسلم وما يريد بهم من الخير ولو علموا ذلك لم يصدر عنهم ماصدر وفي سيرة ابن هشام وغيره ان عتبة بن ابى وقاص رماه صلى الله تعالى عليه وسلم فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهرى شجه في وجهه الشريف وان ابن قمئة جرح وجنته ودخلت حلقتان من المغفر في وجنته الشريفة وفي الروض الباسم انه صلى الله تعالى عليه وسلم اصيب وشج وجهه وكسرت رباعيته رماه عتبة بن ابى وقاص فوقع على شفته الايمن فجرح وجنته ودخلت حلقتان من المغفر وشق شفته السفلى وصرح ان محمدا قد قتل

وقد اختلف في اسلام عتبة بن ابي وقاص اخي سعد بن ابي وقاص والصحيح انه لم يسلم وابن شهاب اسلم واما ابن قمئة فنطحه كبش فتردى من شاهق فهلك ولكل شيء آفة من جنسه وقال ابن حاطب اسمع عتبة فقتله ولم يولد احد من نسل عتبة الا ابخر اهتم فسرى جريه لعقبه فبخور اولاده لابي سفاء جدهم وقد قالوا ان رباعيته صلى الله عليه وسلم لم تنكسر من اصلها وانما سقطت وذهبت منها فلقة وكانت فاطمة رضي الله عنها تغسل دمه وعلي كرم الله وجهه يصب عليها الماء بالمجن فلما رأت فاطمة ان الماء يزيد الدم كثرة اخذت قطعة من حصير واحرقتها وذرتها عليه فامسك الدم وكسرت البيضة التي على رأسه الشريف وقال الامام الحصري في خصائصه ان هذا كان قبل نزول قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) او المراد عصمته صلى الله عليه وسلم من القتل لا من مطلق الاذية كما من بيان ذلك وما احسن قول ابن الفارض رحمه الله تعالى في الاشارة لذلك

عن حرجت وجهه بالطرف ✽ من رقتها فانظر لحسن الاثر
لم اجن وقد جنيت وردالخفر ✽ الا تري كيف انشقاق القمر

(وذيل بعضهم فقال)

وما شق وجنته عابثا ✽ ولكنه آية ساطعة للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى ✽ بها كيف كان انشقاق القمر

وبقية قصة احد وما فيها مفصل في السير مشهور فلانطيل السواد به كما في الشرح الحديدي انتهى قال الامام السمرقندي في تفسير قوله عز وجل (وقتلون النبيين بغير حق) طعن الملاحدة لعنهم الله وقالوا ان الله اخبر ان الكفار قتلوا الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقد قال الله تعالى (انا لننصر رسلنا) وقال (انهم لهم المنصورون) وما في معناه من الآيات ومن كان الله ناصره فهو منصور ابدا فما بالهم قتلوا فهو تناقض واجيب بوجهين الاول انه لم يثبت في الكتاب ولا في خبر متواتر قتل رسول من الرسل الذي اخبر الله بنصرهم وانما ثبت قتل الانبياء لان الرسل هم الذين اوتوا المعجزات لاظهار الدين الحق ودعوة الخلق وكان عصمتهم عن القتل من آياتهم الحسية الدالة على صدق دعواهم الرسالة وولاية القتل مما يوهن دعوتهم بخلاف الانبياء اذ ليس لهم دعوة ونشر بعثة والثاني ان المراد النصر بالحجج لا بالعصمة انتهى (وعن عمر) رضي الله عنه قال السيوطي رحمه الله ان هذا لا يعرف عن عمر في شيء من كتب الحديث وسبق له الشيخ قاسم في تخريجه لاحاديث هذا الكتاب وكانه لم يقف له على اصل ايضا ونقدم مافيه (انه قال في بعض كلامه) اي كلام قاله لما رآى ما اصابه صلى الله تعالى عليه وسلم من كسر رباعيته وشجه في غزوة احد (بابي انت وامي يا رسول الله) هذا الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره افديك وتسمى هذه الباء باء التفدية ومعناه انى اجعل ابوى فداء دونك وانما فديهما في خاسك بقوله الرجل لمن هو اعز سابقه

(من نفسه)

من نفسه واهله وماله لانهم كانوا يبذلون الانفس فى صيانة اهلهم وقد تكلم بهذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الكلمة جارية مجرى المثل فى ذلك وقد يظهرون متعلق الجار والمجرور والفداء بكسر الفاء والمد وفتحها مع القصر فكاك الاسير يقال فداه يفديه فداء وفدى وفاداه اذا بذل فداءه وفداه بالتشديد اذا قال جعلنى فداك وهى كلمة تقال فى المعظم وتدخل الباء على المبذول المفدى به وقد تعكس كما فى قوله

فديت بنفسه نفسى ومالى * وما آلوك الا ما اطيق

وجعله فى المعنى من المقلوب كعرضت الناقة على الحوض وقد جرى عمر رضى الله تعالى عنه فى هذا على ما يتداوله العرب والا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم حقيق بان يفدى بالنفوس فضلا عن الآباء والامهات ولقد قال الآخر

نفسى الفداء لقبر انت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

فانظر قصة على كرم الله وجهه اذ فداه بنفسه ونام مكانه لما هموا بقتله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اول من اشترى نفسه من الله كما مر ومقامه دون عمر رضى الله تعالى عنه كما هو معلوم (لقد دعا نوح) عليه الصلوة والسلام (على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) وانما قال عمر رضى الله تعالى عنه هذا لان مشربه كان مشرب نوح عليه الصلوة والسلام كما ان مشرب الصديق رضى الله تعالى عنه كان مشرب ابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام وتذر كتدع بمعنى تترك وديار بمعنى احد وهو مختص بالنفى يقال ما فى الدار ديار ودورى اى احد واصله ديوار فاعل اعلال سيد وميت وادغم والفاء عاطفة للمفصل على المجمل (ولو دعوت علينا) اى على الناس كلهم (مثلها) اى مثل دعوة نوح عليه الصلوة والسلام (لهلكنا من عند آخرنا) هذا التركيب وقع فى كلام العرب والمراد به من اولنا الى آخرنا اى جميعا ولشراح الكشاف فيه كلام فقيل تقديره من اولنا الى آخرنا كما ذكر وعند مقحمة وقيل من بمعنى الى وقيل انه كناية عن هلاك الجميع لانه لا تكون الهلاك عند آخرهم الا اذا شملهم جميعا فان اردت تحقيقه فانظر شروح الكشاف فى اول سورة البقرة (فلقد وطئ ظهرك) الوطئ الدوس بالقدم وفى الشرح الجديد انه لم ينقل ان احدا من المشركين وطئ ظهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقدمه ولعله عبارة عما روى فى السير من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى عند البيت وثمة كرش ذبيحة فيها فادورات فقال ابوجهل لعنه الله لجماعة جالسين ثمه الا رجل يقوم الى هذا القذر فيلقيه على محمد وهو ساجد فاسعف اشقاها وهو عقبة بن ابى معيط فالقاه عليه فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم * اللهم اشدد وطائك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وكانوا اباجهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وعقبة بن ابى معيط وامية بن خلف وعمار بن الوليد وهم المشهورون

فاهلكهم الله جميعا فاما ان يكون سمى هذا وطأ لما فيه من الاهانة الشديدة كما سمى الغزو وطأ او وقع هذا فى قصة لم نقف عليها (وادمى وجهك) اى جرح فى وقعة احد فقال ادميته اذا جرحته فاسلت دمه والذى فعل به صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك عتبة بن ابى وقاص اخو سعد كافر وفيه يقول حسان رضى الله عنه

اذا الله جازى معشرا بفعالهم * ونصرهم الرحمن رب المشارق
فاخزاك ربى يا عتيب بن مالك * ولقاك قبل الموت احدى الصواعق
بسطت يمينا للنبى تعمدا * وادميت فاه قطعت بالبوارق
فهلا ذكرت الله والمنزل الذى * تصير اليه عند احدى البوائق

(وشج وجهك) وقع فى نسخة التلمسانى زيادة هذا هنا وقد سمحت وجنته وجبهته باحد فدخل فى وجنته صلى الله تعالى عليه وسلم حلقتا الدرع فنزعهما عنه ابوعبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه حتى سقطت ثنيته والذى جرحه عبد الله ابن قمئة فقيل لطلحة تبت يداك وردى من شاهق ثقات كافر وقيل اشاحه عتبة بن ابى وقاص فادركه حاطب فقتله كافر وجاء بفرسه (وكسرت رباعيتك) تقدم بيانه وما فيه وعابه (فابيت ان تقول الا خيرا) اى لم تدع عليهم كما دعا نوح عليه الصلوة والسلام على قومه ثم فسر الخير بقوله (فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون) الحق ولا يهتدون الى الصواب وفى النسخ المروية هنا اللهم اهد قومى وهى مفسرة للرواية الاولى على ان المراد بالمغفرة سببها وهو الهداية او التقدير اللهم اهدهم واغفر لهم فلا يرد عليه ما قيل ان الدعاء المذكور صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد وكان بعد احد وثلاثين شهرا من الهجرة فكيف يسال لهم المغفرة وهم كفار وقد نزل (ان الله لا يغفر ان يشرك به) الآية ولو فرضنا ان مغفرة الشرك جائزة عقلا عند بعض المتكلمين فانه ممنوع شرعا فتاويله ووقوعه فى كلام الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم ولا حاجة الى الجواب بان هذه الآية من سورة النساء وهى مدنية مختلف فيها او هذه الآية مخصوصة فيجوز ان دعاءه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قبل نزولها وقيل علمه بمنع الدعاء لهم بالمغفرة لجوازه سواء قلنا المدنى ما نزل بالمدينة او بعد الهجرة او المراد مغفرة ما وقع منهم من كسر الرباعية ونحوه لا مغفرة الشرك وقيل هذا انما صدر من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على سبيل الحكاية عن نبى كان قبله كما رواه مسلم فى صحيحه قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كانى انظر الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحكى عن نبى من الانبياء ضربه قومه وشجوه فكان يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ومثله فى البخارى والمراد بهذا النبى نوح عليه الصلوة والسلام فانه كان يضرب ثم يلف فى لبد ويلقى فى بيته يرون انه قدمات

ثم يخرج ويدعوهم الى الله تعالى فلما آيس منهم دعا عليهم فالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقع به ما وقع حكى ذلك عنه تسلية له وللمؤمنين وقوله لقومى ذكر نسبتهم له تحننا عليهم وبيانا لسبب ذلك ورجاء لرحمة الله تعالى لهدايتهم واضافهم اليه موافقة لما فى نفس الامر وان قيل انه ليس من اهلك كما لا يخفى وقوله فانهم لا يعلمون اعتذار لهم بالجهل الحقيقى او بما هو فى حكمه لعدم جريهم على مقتضى علمهم كما تقول تارك الصلوة المصلوة واحدة والجهل وان لم يكن مع مشاهدة هذه الآيات الباهرة عذرا شرعا فليس فيه شئ من العذاب وقد احساب فيما قبل النسبة ايضا كما هو معلوم فى كتب الاصول لكنه جرى فيه على حكم الظاهر تضرعا الى الله ان لا يعجل عذابهم ويمهلهم حتى يكونوا هم مؤمنين او من ذريتهم وقد حقق الله تعالى رجاءه لانه جعل ذلك عذرا حقيقيا لهم فلا يرد هنا شئ كما توهمه بعضهم (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف عياض رحمه الله (انظر ما فى هذا القول) المذكور فى كلام عمر رضى الله تعالى عنه فى الحديث الذى نقله (من جماع الفضل) الجماع بكسر الجيم ما يجمع كل امر كالخمر جماع الاثم ومفتاحه (ودرجات الاحسان) بالجر معطوف على الفضل اى ما يجمع مراتب الاحسان وكذا قوله (وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم) فيه ما يدل على نهاية هذه الصفات (اذ لم يقتصر على السكوت عنهم) مع ما فعلوه معه صلى الله تعالى عليه وسلم مما لا يحتمل بعضه احد فضلا عن اعز الناس نفسا واشرفهم واعلاهم حسبا ونسبا

وجرح ذوى القربى اشد مضاضة ✲ على النفس من وقع الحسام المهند

(حتى عفا عنهم) مع عظم جرمهم فى حقه اذ قال انى لم ابعث لعانا (ثم اشفق عليهم) اى ابدى شفقته ورحمته لهم (ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر واهد) كما مر بيانه مفصلا (ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى) فان الطبع البشرى تقتضى العطف والحنو على الاهل والاقارب باى حال كانوا (ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون) وقد تقدم بيانه وبينه بهم انه لدعهم ذلك فانشرح صدورهم لاجابتها فجاوزوا الايمان على الكفر ولذا لم يعبر بالجهل بل بعدم العلم تحسينا للعبارة لتحذيبهم برمام لطفه الى الايمان ودخلوا حرم الامان وان كان جهلهم لا يعذر به بعد اتضاح برهان التوحيد وقيام الحجة الباهرة بالمشاهدة والتواتر الا انه اعتذار ظاهرى اغتره سعيا فى تسخير قلوبهم والا فهم عالمون جاحدون مكابرون وليس لهم عذر فهل شرعا كما مر تفسيره (ولما قال له الرجل) هو ذو الخويصرة التميمى ويقال له حرقوص بن زهير رأس الخوارج قال البرهان قتل يوم النهروان كما فى تجريد الذهبى وفى صحيح البخارى هو عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى قال فى الملقى ولعلهما قالاه والصواب ان والده هو القائل والنهروان بفتح النون والهاء

اسم موضع فارسى معرب قال الطرماح

قل فى شط نهروان اغماضى * ودعانى هوى العيون المراضى

وحكى الجواليقى انه سمع من العرب ضمها وكان حرقوص مع على كرم الله وجهه فى حروبه ثم اسس الخوارج وزعم بعضهم انه ذوالثدية وليس كذلك ومقول القول (اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله) اى كن عادلا فيما قسمته فان هذه القسمة ليست عادلة موافقة لامر الله ولرضاه والمقسوم كان من غنائم خيبر اوتبرا ارسله على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه من اليمن وهذا الحديث رواه مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه ونحوه فى صحيح البخارى واخرجه البيهقى وهوحديث صحيح وفى الفاظه اختلاف والمآل واحد (لم يرده) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى جوابه ان بين له ما جهله) اى لم يرده على ان بين له ما جهله من عدالته فى قسمته حيث قال من يعدل ان لم اعدل (ووعظ نفسه وذكرها) التذكير والوعظ بمعنى فعدل عن وعظ القائل الى وعظ نفسه وهو نهاية الحلم منه صلى الله تعالى عليه وسلم (بما قال له فقال ويحك) ويح كلمة ترحم وتوجع لمن وقع فيما لا يرضى وقيل انها كلمة مدح وتعجب وهى منصوبة على المصدرية مضافة وقد ترفع وتترك اضافتها فترحم له لما خالف رضاه الله تعالى عليه او تعجب من صدور مثله من مسلم ووقع فى رواية ويلك (فمن يعدل ان لم اعدل) وفى مسلم اولست احق اهل الارض ان اطيع الله عز وجل وغضب صلى الله تعالى عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه (خبت وخسرت ان لم اعدل) روى بفتح التاء فيهما على الخطاب وضمها على التكلم واقتصر بعضهم على الفتح اى خبت وخسرت ايها القائل ان لم اعدل انا لا تباعك واقتدائك بغير عادل وعلى الضم اقتصر الشمنى رحمه الله لانه معلق بعدم العدل الذى عصمه الله تعالى عنه وهوالمناسب لقوله وعظ نفسه وذكرها ونقل النووى فى شرح مسلم الوجهين وفسره بما تقدم وقال الفتح اشهر وقيل المعنى على الفتح ان لم اعدل خبت لانى امنك لمعادك وتطلعك بما سافى الاسلام لكنى عدلت نظرا لظاهر اسلامك وان ماوقع من سوء ادبك جهلا منك عن محل عقابى (ونهى من اراد من اصحابه قتله) وهو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كما فى البخارى فقال عمر يارسول الله ائذن لى اضرب عنقه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم معاذ الله ان يتحدث الناس انى اقتل اصحابى وفى مسلم ان القائل خالد بن الوليد رضى الله عنه وجمع بينهما بان كلا منهما اراد ذلك وقد صرح به فى مسلم وان عمر رضى الله تعالى عنه لما قال ذلك فقال دعه وادبر فقام اليه خالد بن الوليد فهذا نص على ان كلا منهما قال ذلك وقال المصنف فى شرح مسلم من سب النبى صلى الله عليه وسلم كفر وقتل وسيأتى ذلك فى آخر الكتاب وهذا الرجل لم يقتل * قال الماوردى يحتمل انه لم يفهم منه الطعن فى النبوة وانما نسبه

لترك العدل بناء على تجويز صدور المعاصي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام عند هذا القائل وان لم نصب اوانه لم نسمعه منه وانما نقل له ولم يثبت عنده لان الخبر له واحد ومثله لا يراق به الدماء وهذا تأويل باطل فان المروى يا محمد انى الله مخاطب المواجهة بحضرة الصحابة رضى الله تعالى عنهم حتى استأذنوه صلى الله تعالى عليه وسلم فى قتله وانما الوجه انه صلى الله تعالى عليه وسلم سلك به مسلك غيره من المنافقين استبقاء لانقيادهم وتأليفا لقلوب غيرهم ائلا يتحدث الناس بانه صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل اصحابه فينفروا ويرتدوا فاختار اهون الامرين لحكمة والحديث مصرح بهذا (ولما تصدى له صلى الله تعالى عليه وسلم غورث بن الحارث) تصدى بالتاء المثناة الفوقية والصاد المهملة كذا والدال المشددة والف اى اتاه وتعرض له وغورث بغين معجمة مفتوحة وبضم ايضا وواو ساكنة وراء مهملة مفتوحة وثاء مثلثة وقال بعضهم يجوز اهمال عينه كما نقله البرهان الحلبي قال وعند بعضهم مصغر يعنى غويرث كغويرك وورك فانه يصغر بالفارسية ولم يرد انه كتصغير العرب غويرث وقال القسطلاني انه غويرث ايضا وفى بعض الروايات تسميته دعثور وانه اسلم لكن قيل انهما روايتان (ليفتك به) الفتك بضم الفاء ساكن التاء هو ان يأتى رجل آخر وهو غافل فيهجم عليه فيقتله وقد فتك به بالفتح يفتك بالكسر والضم وهذه القصة كانت فى غزوة ذات الرقاع فى السنة الرابعة من الهجرة (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتبذ) بضم الميم وسكون النون وفتح التاء الفوقية وكسر الموحدة ودال معجمة اى جالس فى ناحية محل وحده بقرب من الناس (تحت سمرة وحده) السمرة بفتح فضم واحدة السمر شجر عظام وهى التى تسمى ام غيلان وهى شجرة عظيمة ذات شوك وكان ذلك دأبه صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفره (قائلا) حال اى مستريحا فى وقت القيلولة وهى وسط النهار اذا اشتد الحر وان لم ينم (والناس قائلون) اى كل منهم فى مكانه منفردا عن اصحابه (فى غزاة) هى غزوة ذات الرقاع كما علم والاختلاف فى زمنها ووجه تسميتها مفصل فى السير والغزاة اسم مصدر بمعنى الغزو (فلم ينتبه) اى لم ينتبه صلى الله تعالى عليه وسلم لمجيئه ان لم يستيقظ من نومه (الا وهو) استثناء من اعم الاحوال وضمير هو لغورث (قائم والسيف صلتا) بفتح الصاد المهملة او ضمها ولام ساكنة وتاء فوقية اى مسلولا مجردا من غمده ويجوز فى السيف رفعه على انه مبتدأ ونصبه على انه مفعول معه وصلتا حال على كل حال (فى يده فقال) غورث له صلى الله تعالى عليه وسلم (من يمنعك منى) لانه رجح وحده حيث لا احد معه لاحد من الاسلام وهو جالس وغورث قائم عليه بسيفه المجرد وفى رواية انه كرر مراجعته ثلاث مرات (فقال الله) اى يمنعنى منك الله الذى عصمنى من الناس كافة (فسقط السيف من يده) اى الحارث قوله الله وفى رواية ان جبريل عليه الصلوة والسلام ظهر له فسقط منه

وفي رواية فشام سيفه اي اغمده فهو من الاضداد وكان غورث من اشجع الناس يتوعد ان يقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل له امكنك الله من محمد فاخذ ازسيفا من سيوفه واقبل حتى قام على رأسه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاخذه) اي السيف الذي سقط منه (رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني) اي من ان اهلك والسيف بيدي (فقال كن خير آخذ) بالمد اسم فاعل اي خير رجل اخذ خصمه وتمكن منه فتكرم عليه (فتركه وعفا عنه) مع القدرة عليه وقيل الاخذ الاسر والاخذ الاسير كما في النهاية وهو غير بعيد ايضا وفي البخاري مسندا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قفل لغزوة ذات الرقاع ونحن معه فادركتنا القائلة في واد كثير العضاة فتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت سمرة علق بها سيفه فنمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعونا فجئناه فاذا عنده اعرابي جالس فقال ان هذا اخترط سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني قلت الله فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه قالوا ولما رأى كرمه وحلمه صلى الله تعالى عليه وسلم اسلم وهو من عظمائه فانزل الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) الآية (وجاء) غورث (قومه) وفي نسخة فجاء قومه (وقال جئتكم من عند خير الناس) حلما وكرما (ومن عظيم خبره) صلى الله تعالى عليه وسلم (في العفو عفوه عن) المرأة (اليهودية) وهي زينب بنت الحارث بن سلام وقيل امرأة سلام بن مشكم اخت مرحب اليهودي كما ورد في الحديث الصحيح الذي اخرجه الشيخان عن انس رضي الله تعالى عنه (التي سمته) اي جعلت له صلى الله عليه وسلم السم (في الشاة) المشوية من الغنم (بعد اعترافها) بوضع السم له صلى الله تعالى عليه وسلم في الشاة (على الصحيح من الرواية) متعلق بقوله عفوه لا باعترافها لعدم اختلاف الرواة فيه ولذا قيل كان الاحسن ان يقدم هذا على قوله بعد اعترافها لانها اهدت له صلى الله تعالى عليه وسلم شاة مصلية اي مشوية لم تعز فقال ما هذه فقالت هدية لك ولم تقل صدقة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأكل منها فاكل هو واصحابه من تلك الشاة ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم امسكوا وقال لها هل سممت هذه الشاة قالت من اخبرك بهذا قال هذا العظم اشار الى ساقها قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان نستريح منك والناس وان كنت نبيا لم يضرك فاحتجم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا على كاهله لمرضه من القلب وقد اختلف فيها فقيل عفا عنها وقيل لا وروى ابو داود انه صلى الله تعالى عليه وسلم عفا وصفحها ونقل البرهان من كتاب شرف المصطفى للشيخ يجمع بين الروايتين انه صلى الله تعالى عليه وسلم صفح عنها حق نفسه لانه كان لا ينتقم لنفسه فلما مات بشر بن البراء

من اكله منها قتلها قصاصا لانه لم يزل معتلا الى الحول حتى مات وقيل انه مات في الحال * وروى معمر في جامعه عن الزهري انها اسلمت فتركها وغيره يقول انه قتلها ولم تسلم وفي جامع معمر ايضا ان ام بشر بن البراء قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم في مرض موته انى لا اتهم لبشر تعني ابنها الا الاكلة بخيبر فقال وانا لا اتهم لنفسي الا ذلك وهو ظاهر في ان المرض الذي مات منه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من تلك الاكلة على سبيل الظن لا القطع لكن ذكر صاحب المواهب في الطب النبوي انه صلى الله تعالى عليه وسلم احتجم من السم فخرجت المادة السمية مع الدم لاخروجا كاملا بقي اثرها مع ضعفه فاثر فيه لما يريد الله له صلى الله تعالى عليه وسلم من تكميل مراتب الفضل بالشهادة زاده الله فضلا وشرفا وفي الروايه اختلاف فيما ان الذي اكله صلى الله تعالى عليه وسلم ساق الشاة وفي اخرى انه كتف اوذراع لانها سألت عن احب اللحم اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا الذراع فاكثرت فيه السم وانه لاك منها مضغة ولم يسغها واساغ بشر لقمته وهذا يؤيد عدم القطع بتأثيره فيه لكن يؤيد ما في المواهب ما ورد في الحديث ايضا انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في مرض موته مازالت اكلة خيبر تعاودني حتى قطعت ابهري فانظر في التوفيق بين الروايتين في الاكل وعدمه * واعلم ان في هذه المسئلة اختلافا للفقهاء فيمن وضع طعاما مسموما لغيره فاكل منه ومات هل عليه قصاص ام لا وهو مبني على انه اذا اجتمع السبب والمباشرة ايهما تقدم فالاكثر على تقديم المباشرة وقولهم انها اسلمت فتركها على بعض الروايات فيه ان الاسلام لا يسقط حقوق العباد الا ان يكون هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه نظر (وانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم) اعصم بزنة احمر بمهملات ويقال له اعصم بدون الف ولام وهو رجل من بني زريق وهم بطن من الانصار وكان بينهم وبين اليهود حلف قبل الاسلام فلما جاء الاسلام برؤاسهم واختلف في لبيد هذا ففي الصحيحين انه يهودي وهو المشهور وقيل انه منافق كان محالفا لليهود ونقل عن المصنف رحمه الله تعالى انه حكم باسلامه وقال البرهان لا اعلم احدا عده من المنافقين فلعل المراد بالنفاق معناه العرفي كما ورد في الحديث آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقد يطلق النفاق على الكفر ايضا (اذ سحره صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره) اى بيانه مفصلا في سحره وما فعله (ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته) تقدم الكلام على فضلا وذلك كما رواه النسائي والبيهقي في الدلائل عن زيد بن ارقم رضي الله تعالى عنه قال سحر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما فجاء جبريل عليه الصلوة والسلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك

عقد لك عقدا في بئر كذا فبعث فاستخرجها فجاء بها فحلها فقام صلى الله تعالى عليه وسلم كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي حتى مات وكانت له امرأة يهودية تسمى زينب تفعل ذلك قال الملمساني وهو من افعال النساء في الاكثر ولذا قال الله تعالى من شر النفاثات دون النافثين تغليبا وقال الواقدي لما رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة سنة ست جاء اليهود الى لبيد بن الاعصم وقالوا انك اسحرنا وقد سحرنا محمد فاصنع له سحرا ونجعل لك جعلا فصنع ما سيأتي فاقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اربعين يوما وقيل ستة اشهر يخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله فبينا هو ذات يوم اذ قال لعائشة رضي الله تعالى عنها ان الله افتاني فيما استفتيته اتاني رجلان فقعد احدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال احدهما ما وجع الرجل قال مطبوب اي مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر في بئر ذروان او ذي اروان فاتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع بعض الصحابة وماؤها كنقاعة الحناء ونخلها كأنه رؤس الشياطين وقيل انه صلى الله عليه وسلم ارسل عليا والزبير وعمارا رضي الله تعالى عنهم اجمعين فنزحوا ماءها واستخرجوا السحر من تحت صخرة بها وتحتها مشاطة من رأسه واسنان مشطة ووتر عقد فيه احدى عشر عقدة فنزل وعشال من سمع مغروز فيها فنزل عليه المعوذتان فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة واخرجت ابرة حتى زال الم والرجلان اللذان رآهما في منامه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل عليهما الصلوة والسلام وما كان يخيل له صلى الله عليه وسلم من انه فعل ولم يفعل من امور الدنيا وجماع زوجاته لا مما يتعلق بالدين والوحي فانه معصوم فيه واعلم انهم اختلفوا في السحر كما انه هل هو امر حقيقي ام محض تخيل لا اصل له والصحيح انه حقيقي بفعل الله بواسطته ان كان بمجرد توجه النفس فهو سحر وان كان باستعانة بخواص بعلمه فعلم الخواص وان كان ببعض الكواكب ودعوتها فدعوة الكواكب وان كان بامتزاج القوى السماوية والعلوية فالطلسمات فان اعتقد تأثيرها بالذات فكفر والاحرام وفاعله لاضرار الناس فيقتل سرا على تفصيل فيه ذكره الفقهاء ليس هذا محله (وكذلك لم تؤاخذ صلى الله عليه وسلم عبدالله بن ابي) هو عبد الله بن ابي بن سلول بن مالك بن الحارث بن عبدالله بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج كان قبل هجرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة رأس الانصار مرشحا لان يكون حاكما عليهم فلما هاجر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اسلم ظاهرا فكان كآحادهم ووقع عجهيه (٢) الجاهلية وعليه حب الرياسة فكان بسبب ذلك رأس المنافقين يصدر عنه امور يكرهها الله ورسوله وكان يبلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فيعفو عنه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم

(٢) قوله عجهيه بوزن مقدمه بمعنى الجهل والحمق والكبر والتعظم قاله مصححه طاهر

(كان)

كان يدارى المؤلفة قلوبهم بامر من الله لئلا يتحدث الناس بانه يقتل اصحابه وكان ابنه عبدالله من كبار الصحابة وخلص المؤمنين فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يكرمه لاجله وسلول علم لام ابى غير منصرف فابى منون وابن بعده يرسم بالالف لانه لم يقع بين علم ابن وعلم اب على الاصح وهو رأس المنافقين هلك فى السنة التاسعة بعد مقدمه عليه الصلوة والسلام من تبوك مرض فى شوال عشرين ليلة وهلك فى ذى القعدة فصلى عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكفنه فى قميصه قبل نزول النهى عن الصلوة على المنافقين كرامة لابنه رضى الله تعالى عنه (واشباهه) جمع شبه بمعنى شبيه اى لم يؤاخذه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يؤاخذ من يشبهه (من المنافقين بعظيم مانقل عنهم) بالبناء للمجهول (فى جهته) اى فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى حق ام المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها (قولا وفعلا) كقوله تعالى (ليخرجن الاعز منها الاذل) يعنى بالاعز نفسه وبالاذل نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين كما نقله البرهان الحلبى فى شرح سيرة ابن سيد الناس وشرحه للبخارى فى تفسير سورة المنافقين (بل قد قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لمن اشار بقتل بعضهم) وهو عمر رضى الله تعالى عنه لما هزم بنوا المصطلق وبلغه قول ابن ابى وقد لطم حليفا له يقال له جهجاه رجل من فقراء المهاجرين ساعده لاخذه لعمر رضى الله تعالى عنه ماصحبنا محمدا الا لنلطم والله مامثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الآية ثم قال لقومه والله لئن امسكتم عن جهجاه وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال له زيد بن ارقم رضى الله تعالى عنه انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين ثم اخبره الله بذلك فقال عمر رضى الله تعالى عنه يارسول الله دعنى اضرب عنقه فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا) آذن لك فى ذلك (لئلا يتحدث الناس) من قبائل العرب (ان محمدا يقتل اصحابه) فهو علة لتركه رعاية للظاهر من اسلامه وصحبته وفى نسخة يتحدث بدون ذكر الناس مبنى للمفعول ولا ينافى ليست لنفى التحدث اذ هو مستانف مقابل لما قبله كما علم مما قررناه وهذا الحديث رواه الشيخان عن جابر رضى الله تعالى عنه وروى الطبرانى ان ابنه رضى الله تعالى عنه لما بلغه مقالة ابيه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعنى اوليه وآتيك برأسه فقال لا ولكن بر اباك وفى الكشاف * فان قلت كيف جاز له صلى الله تعالى عليه وسلم تكرمة المنافق وتكفينه فى قميصه * قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع له لان عمه العباس لما اسر ببدر لم يجدوا له قميصا يستره به وكان رجلا طويلا فكساه ابن سلول قميصه

وكان جاريا على عادة العرب فى المكافاة وروى ان ابنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات ابوه اسألك تكفينه ببعض قمصانك وان تقوم على قبره ولا تشمت به الاعداء ففعل ذلك فقيل له عليه السلام لم فعلت ذلك وهو كافر فقال ان قميصى لن يغنى عنه من الله شيئا وانى لارجو ان يدخل فى الاسلام كثير بهذا السبب فقيل انه اسلم الف من الخزرج بسبب ذلك (وعن انس رضى الله تعالى عنه كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال السيوطى رحمه الله تعالى هذا الحديث رواه الشيخان الى قوله الآتى من مال الله الذى عندك قال فضحك وامر له بعطاء واخرجه بلفظ المصنف البيهقى فى الادب من حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولفظ مسلم كنت امشى مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فادركه اعرابى فجبذه جبذة شديدة الخ (وعليه برد غليظ الحاشية) البرد والبردة كساء كانت العرب تلتحف به والحاشية جانب الثوب وفى رواية الاوزاعى غليظ الصنفة بفتح الصاد المهملة وكسر النون وبالفاء وهى طرف الثوب ايضا (فجبذه اعرابى) جذبه فى جذب اومقلوب منه وهما بمعنى (بردائه جبذة شديدة) وهذا يقتضى انه كان عليه برد ورداء فوقه وان الجذب وقع بهما (حتى اثرت) بتشديد المثلثة مبنى للفاعل اى اظهرت اثرا وعلامة (حاشية البرد فى صفحة عاتقه) الصفحة الجانب او العرض والعاتق ما بين العنق والكتف اوموضع الرداء من المنكب وهو مؤنث ويذكر وفى رواية ان البرد انشق (ثم قال) الاعرابى (يا محمد) قيل مناداته صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا تقتضى انه لم يكن مسلما والسياق يقتضى خلافه وليس فيه ما ينافيه غير ندائه باسمه فلعله كان قبل تحريمه والنهى عنه بقوله (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم) الخ او ان الاعرابى كان قريب عهد بالاسلام فى طبعه غلظة وجفاء فهو معذور وطلب عطاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واحدة من الزكوة يدل على انه من المسلمين المؤلفة قلوبهم وفى كتاب الاجماع من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لايجوز لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا محمد يا احمد ولكن يقول يا نبى الله يارسول الله قال تعالى (لاتجعلوا دعاء الرسول) الخ وقال تعالى (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) اى لاتدعوه باسمه ✽ قال قيل ثبت عن انس رضى الله تعالى عنه ان رجلا من اهل البادية جاء فقال يا محمد الخ احب بانه يحتمل ان ذلك صدر منه قبل اسلامه او فى حال اسلامه قبل النهى او قبل بلوغه فلو ناداه بالكنية هل يحرم ام لا فيه نظر انتهى ✽ اقول الظاهر ان هذا فى جانب مواجهته اما فى غير ذلك فلا يحرم الا ذكره بما لا يشعر بعظمته فلا يرد انه وقع كثيرا فى المدائح النبوية وغيرها كقول حسان رضى الله تعالى عنه

هجوت محمدا فاجبت عنه ✽ وعند الله فى ذاك الجزاء

فان ابى ووالده وعرضى ✽ لعرض محمد منكم وقاء

فلا حاجة الى ان يقال انه مخصوص بغير الشعر لانه قد يقتضيه الوزن ومما يدل هنا ايضا ان الرسول ويارسول بدون اضافته لله كاسمه حتى اعترض على قول ابن مالك في الفيته * مصليا على الرسول المصطفى * ولا وجه له لما مر (احمل لى) قال الملمساني همزته همزة قطع رباعي اى اعنى على الحمل ويجوز ان تكون معنى احمل لى اى اعطنى ما احمل والاول اولى لوجود المحمول انتهى وسمه بعض المحشين فجوز فيه الوصل ايضا الا ان فيما رجح به الاول نظرا (على بعيرىّ) بالتثنية مضافا الى ياء المتكلم (هذين من مال الله الذى عندك فانك لاتحمل لى) بضم التاء وفتحها على مامر وروى لاتحملنى اى لاتعطينى (من مالك ولا من مال ابيك) وقيل انه اسند الحمل اليه لانه سبب آمر به فهو مجاز عقلى فعلى هذا همزته همزة وصل ايضا ثم رد على من قال ان همزته مقطوعة بانه ظن انه من احمل احمالا اى جعل البعير حاملا فلم ينسبه اسناده له وهو مجاز مشهور وليس بشئ لان ماذكره معنى آخر جوزه فى صرح به الجوهرى وكان الرواية عليه (فسكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده) اتصرف فى ماله باذنه واعطى من يأمرنى باعطائه فرد صلى الله تعالى عليه وسلم عليه باللطف رد (ثم قال ويقاد منك) بالبناء للمجهول وبعدم همزة الاستفهام اى او يقاد منك من القود وهو القصاص وهو هنا مجاز عن مطلق المجازاة اى المجازى على ترك ادبك ولم يقل اقيد نفسى منك كراهة ان يذكر ما يشعر باقتصاره صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه ولو مستفهما وقيل انما بناه للمجهول للتعميم فمن يستوفى القود اهو الله ام من عنده من المسلمين وقوله (يا اعرابى) اشارة الى انه معذور لانه من غلظ الاعراب وهم اهل البادية (مافعلت بى) من جذب بردى بان نفعل به مثله او نعزر بما يليق به وسيأتى تحقيقه فى القصاص باللطمة (قال لا قال لم) لا يقاد منك (قال لانك لاتكافئ) بهمزة من المكافاة وهى المجازاة او بالياء اصلية او مبدلة منها (بالسيئة السيئة) فيه مشاكلة لان الجزاء ليس سيئة اواستعارة لانها مثلها بحسب الصورة (فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) سرورا عما رآه من حسن طبعه وانه لم يفعل ذلك بقصد التنقيص منه وتطميبا لقلبه اذ اذى المسرة عقاله (ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى آخر تمر) وهذا من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتحمله الاذى وعدم الضجر مالايخفى وهو ارشاد لامته لاسيما من يتولى مهم امور المسلمين ثم انى عاطف على ماقبل هذا الحديث من حاقه العظيم فقال (قالت عائشة رضى الله عنها) فى حديث اخرجه الشيخان واحمد والترمذى فى الشمائل مع مخالفة يسيرة فى لفظه (ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) رؤية بصرية او علمية (منتصرا) اى منتقما وناصرا لنفسه على غيره (من مظلمة) اى من ظلم وهى بفتح الميم وكسر اللام

وفتحها واقتصر في التقريب على الاول (ظلمها) مبني للمفعول وهو مؤكد او دفع لتوهم كون الظلم لغيره (قط) لاستغراق مامضى كامر (مالم تكن حرمة من محارم الله) اي مالم تكن المظلمة بارتكاب امر حرمه الله وليس بصرف حق له ولا يرد عليه انه قتل ابن خطل والقينتان اللتان كانتا تغنيان بهجو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه حق لله فان ابن خطل ارتد وهجو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسبه كفر كاذيته بخلاف الاعرابي فانه مسلم حمله على مافعله غلظة طبعه وظهر من حواله انه لم يقصد بذلك الاهانة مع مافيه من حكم خفية كاستعطاف قلوب اهل البادية (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) (وماضرب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده شيئا قط) من دابة وانسان وغيره (الا ان يجاهد في سبيل الله) كما في ضربه صلى الله عليه وسلم ابي بن خلف باحد بحربة تناولها من بعض اصحابه اما الحارث بن الصمة كما يأتي او الزبير بن العوام فخدشه بها في عنقه خدشا غير كبير فاحتبس الدم اي لم يخرج بسبب ذلك الخدش فقال قتلني والله محمد فوقع من تلك الضربة مرارا من على فرسه التي كان اعدها ليقتل عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما يأتي وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وفي رواية انه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من اضلاعه ثم مات عدو الله وهم قافلون به الى مكة بسرف بفتح السين وكسر الراء المهملتين وهو غير منصرف لانه مسرف وقيل سطى رابغ ولم يقتل صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة قط احدا الا ابي بن خلف هذا لا قبل ولا بعد وجاء اشد الناس عذابا من قتله نبي وفي لفظ اشد غضب الله على رجل قتله رسول الله فسحقا لاصحاب السعير وفي لفظ اشتد غضب الله عز وجل على رجل قتله رسول الله في سبيل الله اي لان الانبياء عليهم الصلوة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا امر عظيم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اكملهم لطفا ورفقا وشفقة بعباد الله قالوا واحترز بسبيل الله عمن قتله صلى الله تعالى عليه وسلم حدا اوقصاصا لان من يقتله في سبيل الله كان قاصدا قتله وقد اتفق ذلك لابي بن خلف لعنه الله كما يأتي بيانه (وماضرب خادما) له (ولا امرأة) من نسائه وفيه دليل على جواز تأديب الرجل امرأته وضربها ولولا ذلك لم يمدح به صلى الله تعالى عليه وسلم (وجيء اليه صلى الله تعالى عليه وسلم برجل) هذا الحديث اخرجه احمد والطبراني بسند صحيح ولم يسم الرجل (فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع لن تراع) اي لا خوف مني وكرره لطمئن قلبه والروع الخوف والفزع ولن هنا بمعنى لا اي لا اخوف عليك مني ولا من غيري (ولو اردت هذا لم تسلط علي) لان الله عصمني فلن تنالني ما اردته

ات ولا غيرك * فان قلت قوله لو اردت يقتضى انه لم يرده مع انه اراد ذلك لقولهم اراد ذلك * قلت المراد بالارادة سدها وهى مباشرة ما هم به اى لو مددت يدك الى لم تصل الى (وجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم زيد بن سعنة) بفتح السين وسكون العين المهملتين وفتح النون وقيل انها مصمومة وهو عرب وهو حبر من احبار اليهود كما فى الاكمال وفى التهذيب هو صحابى من احبار اليهود الذين اسلموا وهو من اكثرهم مالا وعلما حسن اسلامه وشهد المشاهد وتوفى مرجعه صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك ويقال انه سعيه بالياء التحتيه حكاه ابن عبد البر وقال النون اشهر وعليه اقتصر الجمهور وقال الذهبى انه اصح واما اسيد بن سعنة فالتحتيه فيه اصح واسيد بفتح الهمزة اوهو مصغر وهو حديث طويل رواه البيهقى متصلا عن ابن سلام ووصله ابن حبان والطبرانى وابو نعيم عن عبد الله بن سلام ايضا وسنده صحيح كما قاله السيوطى (قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه) اى يطلب منه صلى الله تعالى عليه وسلم دينا كان له عليه والتقاضى بمعنى المطالبة من كلام العرب قال الحماسى

لحى الله دهرا شره قبل خيره * تقاضى فلم يحسن اليّ التقاضيا

قال التبراح اى طالبنا ومثله كثير فى كلامهم وكلام اهل اللغة فقول شيخنا المقدسى فى الرمز التقاضى معناه لغة القبض لانه تفاعل من قضى يقال تقاضيت دينى واقتضيته بمعنى اخذته وفى العرف الطلب انتهى لا وجه له والذى غره قصور كلام القاموس فظنه غير لغوى بل معنى عرفى وهو غريب منه وفى رواية عن زيد المذكور كنت اريد ان اعلم حال النبى صلى الله عليه وسلم ليطابق ما فى التوراة من حلمه فخرج يوما ومعه على فجاءه رجل كالبدوى فقال يارسول الله ان قرية بنى فلان اسلموا واعلمهم انهم ان اسلموا اتيهم ارزاقهم رغدا وقد اصابتهم سنة وشدة وانى مشفق عليهم ان يخرجوا من الاسلام فان رأيت ان ترسل اليهم شيئا تعينهم فقال زيد بن سعنة يارسول الله انا ابتاع منك بكذا وكذا وسقا فاعطيته ثمانين دينارا فدفعها للرجل وقال له اعجل عليهم بها واعنهم فلما كان قبل الاجل بيوم او يومين او ثلاث خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى جنازة فى نفر من اصحابه فاتيته وتقاضاه (فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه) ضمنه معنى ازاله فعداه بعن ومنكب بكسر الكاف مجمع الكتف والعضد والمجامع جمع مجمع وهو اطرافه وحواشيه وقيل هو التلبيب اى اخذه بطوقه وما يحاذى لبته ونحره وهذا هو الصحيح المعروف لا ما قيل انه ما بين الكتفين فان الثياب كلها كالرداء والقميص تجمع هناك (واغلظ له) اى قال له كلاما غليظا خشنا مع عبوس وتجهم وجهه (ثم قال انكم يا بنى عبد المطلب) مفعول من الطلب واسمه شيبة على الاصح لانه ولد وفى رأسه شيبة ظاهرة فى ذوائبه (مطل) بضم الميم والطاء جمع ماطل والمطل التطويل

في تأخير الحق او خلف الوعد فيه مرارا من مطل الحداد الحديد اذا مده وفي القاموس المطل التسويف بالعدة والدين (فانتهره عمر) رضي الله تعالى عنه بالراء المهملة افتعال من النهر وهو الزجر ونهره وانتهره بمعنى وقال ابن فورك الانتهار الاغلاظ في القول مع صياح وقيل النهر عن الشيء مغالطة (وشدد له في القول) فقال له عمر رضي الله تعالى عنه اي عدو الله اتقول هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتصنع به ما ارى وتقول له ما اسمع فوالذي بعثه بالحق لولا ما اخاف فوته لضربت رأسك (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم) من مقالهما لشدة حلمه ولعلمه كشفا مراد ابن سعنة وان عمر رضي الله تعالى عنه لو كشف له الغطاء لم يصعب عليه ذلك (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا وهو) اي ابن سعنة صاحب الحق (كنا الى غير هذا) المقال الذي قلته (منك احوج يا عمر) اي اكثر حاجة وهو افعل تفضيل من حاج بمعنى احتاج وليس من احتاج على حذف الزوائد شذوذا كما توهم فان ثلاثيه مسموع والمفضل عليه محذوف وهو خبر انا وما عطف عليه ثم بين الغير الذي هما احوج اليه من هذا التشديد بقوله (تأمرني بحسن القضاء) اي وفاء ماله علي (وتأمره بحسن التقاضي) والطلب بلطف (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم دفعا لما عسى يتوهم انه وقع مطل او تأخير منه (لقد بقي من اجله) اي من تاجيل دينه (ثلاث) اي ثلاثة ايام فلذا لم يحسن تقاضيه بخلاف قضائه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانه وقع على احسن وجه فانه فعل ما وعده وزيادة كما اشار اليه بقوله (وامر عمر يقضيه ماله ويزيده) على حقه (عشرين صاعا) من تمر (لما روعه) ما مصدرية اي لاجل ترويع عمر له اذهم بقتله وقال له ما مر (وكان) فعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (سبب اسلامه) لانه كان عالما بالتوراة ورأى فيها ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم وعلاماته فحقق تلك العلامات كلها غير علامتين لشدة حلمه فلما رآها تمت امره وزالت شبهه فحسن اسلامه واراد الله سعادته (وذلك انه كان يقول) لمن عنده من اليهود (ما بقي من علامات النبوة) اي علامات نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم المذكورة في التوراة التي قرأها وعرفها (شيء الا وقد عرفته) اي شاهدته فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة الا وقد عرفتها باعتبار ان الشيء بمعنى العلامة (الا) علامتين (اثنين لم اخبرهما) اي لم اعرفهما وهو بضم الباء فقال خبرته اخبره خبرا اذا اختبرته فصدق الخبر الخبر ثم فسر الشيئين اللذين لم يعرفهما بقوله (يسبق حلمه جهله) يقدم ان الجهل في كلام العرب قديما بمعنى المبادرة للغضب ومقتضاه عدم المبادرة بالايقاع بمن يغضبه وهو مقابل للحلم لا للعلم كقوله

الا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

كما من لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغضب احيانا لله وبسم فلا يتوهم

(من)

من لا يعرف كلام العرب هنا ما لا يليق بصفاته صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد ان حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم يغلب حدته كما في قوله سبقت رحمتي على غضبي او السبق على ظاهره فمن قال المعنى يغلب حلمه على جهله لو كان له جهل كقوله تعالى (فتبارك الله احسن الخالقين) وليس المراد ان له صلى الله تعالى عليه وسلم جهلا يسبقه حلمه لانه لقبحه لا يصلح ان يعد من علامات النبوة وحينئذ فليس من قبيل سبقت رحمتي والجهل هنا وفيما بعده مصدر جهل عليه لانه اشتهى لم ينصب مع ما في كلامه من التناقض (ولا يزيده شدة الجهل الا حلما) هذه هي العلامة الثانية اي جهل غيره عليه بسفاهته واذيته كلما ازدادت واشتدت عليه زاد حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وصبره ما لم تجاوز حدود الله وتؤتى حرماته فانه حينئذ يغضب لله لا لنفسه وهذا من صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم الخارقة للعادة كما عرفته في هذه القصة مع زيد بن سعنة ولذا قال زيد لعمر رضي الله عنه لما عفا عنه وزاده اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وما حملني على ما رأيتني صنعت يا عمر الا اني كنت رأيت صفاته التي في التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف في التوراة واني اشهدك ان هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين واسلم اهل بيته كلهم الا شيخا غلبت عليه الشقوة والى هذا اشار المصنف بقوله (فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحدث) اي الاخبار المستفيضة بين الناس وليس المراد المصطلح عليه ولذا عداه بمن فقال (عن علمه وصبره وعفوه عند القدرة) فوجده به لانه هو المحمود كما مر (اكثر من ان نأتي عليه) يقال اتى على الكتاب قرأه او المال افناه اذا استوعبه كله وهذا التركيب كقولهم اكثر من ان يحصى والكلام عليه مشهور فالمعنى انه لا يمكن استيفاؤه واستقصاؤه (وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة) اي يكفيك ما قدمته مما ثبت بنقل الثقاة فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فيكفي هذا منها (الى ما بلغ) لك وعندك (متواترا) تواترا معنويا عن مجموعهما (مبلغ اليقين) اي وصل بالتواتر مرتبة اليقين الذي لا يشك فيه احد ولو قال مبلغ الضروري كان اولى والقول بانه اراده لا يخفى ما فيه ثم بين ذلك بقوله (من صبره) صلى الله تعالى عليه وسلم (على مقاساة قريش) المقاساة معالجة امور صعبة شاقة بحيث لا يحتمل مثلها وهذا في اول بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم كما تعرفه من طالع السير (واذى الجاهلية) اي تحمله صلى الله عليه وسلم اذى الجاهلية اي اهل الجاهلية وهم الكفار (ومصابرة الشدائد الصعبة معهم) في الحروب الواقعة بينه وبينهم وهي وان كانت سجالا الا انه صب عليهم العذاب فالمصابرة مفاعلة من الصبر عن شدائد الحروب وهم صابرون ان لهم صبر على اصطلاء نارها لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم غلبهم وصابرهم وزاد عليهم حتى ظفر وانتصر (الى ان اظفره الله تعالى بهم وحكمه فيهم) اي جعله الله تعالى ظاهرا

حالا الهم وهم في وصة نصرفه يحكم فيهم بما يريد من قتل واسر وعفو ان شاء (وهم لا تشكون في اسد صال شأفتهم) الاستئصال قطع الشيء من اصله وازالته بالكلية والشافة بشين معجمة وحه وهمزة ساكنة وفاء بلها هاء تأنيث وتبدل الهمزة الفا وهي قرحة تخرج في اصل القدم فتكوى فتذهب وان قطعت مات صاحبها فضرب مثلا وقد تدعى به والمراد ازاله الله تعالى من اصله بحيث لا يبقى له عين ولا اثر ولا اصل ولا فرع وفيه اشارة الى خبثهم وانهم كقرح في الدين حيثه مهلك لصاحبه فشبه هلاكهم اجمعين بقطع تلك القرحه وفيه بلاغة لا تخفى (وابادة خضرائهم) الاباده بالدال المهمله بمعنى الاهلاك وهذا مثل كالذي قبله والخضرة كالسواد تطلق على الناس والقوم بمعنى ازالة سوادهم وخضرائهم هلاكهم قال في النهاية ابيدت خضراء قريش اي دهماؤهم وسوادهم والمراد الجماعة وذهب بعض اهل اللغة الى ان صوابه غضراؤهم بغين معجمة وهي غضارتهم وخيرهم وخصبهم اوطيب عيشهم الذي جعلوا فيها والمراد على كل حال ابدة حالهم والصواب ما تقدم رواية ودراية والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ظفر بهم في حال تمنوا هلاكهم باسرهم بحيث لا يبقى منهم باقية (فاراد) صلى الله عليه وسلم (على ان عفا وصفح) اي مع سبقه اذاهم وتصرفه عليهم بحيث صاروا في قبضة تصرفه وقد احاط بهم الهلاك من كل جانب ماراد على ماكان عليه من حاله الا العفو والصفح لا شيئا الا مستثنى بالاستفهام وفعل ما ساحقون بحيث لو فعل لم يلم والعفو والصفح مترادفان عدم المؤاخذه بالذنب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم تلو بحالا لطفه بهم مسندا اليهم كما في صمائرهم مفوضا ذلك اليهم تكرما منه صلى الله تعالى عليه وسلم (ما تقولون) ما استفهاميه والقول بعدها بمعنى الظن كما صرح به النحاة بقوله (اني فاعل بكم) بفتح همزة ان وهي ومابعدها سادة مسد مفعوليه وهذا متعين وحمل القول على اصله بناء على انه سالهم عما قالوا في انفسهم اوفيما بينهم تكلف مخالف الاستعمال الفصيح (قالوا خيرا) منصوب بمقدر يدل عليه فاعل وقبله اي تفعل خيرا اوانت فاعل خيرا (اخ كريم) اي انت اخ كريم وهي جملة مستأنفه لبيان انه يفعل الخير (وابن اخ كريم) هذا على عادة العرب في تسميه القريب اخا قال تعالى (والى عاد اخاهم هودا) والكريم الجامع للخير والفضائل كما في الحديث الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف الخ (فقال اقول كما قال اخي يوسف) فيه بلاغه وطي بديع ابلغ من قوله

يوسف من الاعمام بالوحوشيه * لهب الدنيا ذالك خالد

لما فيه من الايماء الى تشبيههم بعصابة القرابه بينهم وحسدهم له وكيدهم عليه وقطع رحمه مع ماله صلى الله تعالى عليه وسلم من الشرف الشامخ فانه الكريم بن الكريم وان حسدهم وبعيهم كان سببا لعلو مقامه وتمكنه من نواصيهم وذلهم له معترفين بقصورهم (لا تثريب عليكم الآيه) اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين *

التثريب التعيير والتوبيخ اى لا اوبخكم واعيركم بما يخجلكم ويحتمل ان المراد لا اعتب
عليكم لعدم مبالاتي لكم من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش ومعناه ازالة
الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد لانه اذا ذهب كان غاية الهزال فضرب مثلا
للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب بماء الوجه وفيه جواز الاقتباس من القرآن
ولو مع تغيير ما في المعنى وقد يجوز الوقف على قوله عليكم والظرف متعلق بيغفر
وفيه المسارعة بالمغفرة في وقت يرجى فيه خلافه واليوم بمعنى مطلق الوقت ويجوز
ان يوقف على اليوم اى لا اثربكم اليوم لان المغفرة تذهب الخطيئة اذا بدل الله
من العسر يسرا ومن الحزن سرورا ومن الفرقة الفة ومن الغربة ملكا وبسطة فلا تثريب
في زمان فيه مثل هذا الخبر وبهذا الوقف قرأ القراء ويغفر جملة دعائية او خبرية
مبشرة لهم بذلك (اذهبوا فانتم الطلقاء) بالمد جمع طليق وهو الاسير يطلق ويخلى
سبيله قيل وهو مخصوص بمن كان من قريش ومن ثقيف فيقال لهم العتقاء تمييزا لهم
وهذا بعض حديث طويل وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس
جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته يستلم الحجر بمحجن فلما قضى طوافه دعا عثمان
بن طلحة فاخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على بابها وقال لا اله
الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال
يا معشر قريش اني فاعل الى آخره فخرجوا كانما نشروا من القبور (وقال انس
رضي الله تعالى عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلوة الصبح) منصوب على
الظرفية اى وقت صلوة الصبح (ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الهبوط
النزول من علو لسفل وهو يتعدى ولا يتعدى قال النحاس رضي الله تعالى عنه ثم هبطت
البلاد لا تنبت وباؤه مفتوحة في الماضي مكسورة في المضارع وضمها لغة شاذة وقال
ابن عطية ان الضم اكثر في غير المتعدي وقيل عليه انه لا يوجد الفرق بين المتعدي
وغيره بحركة عين المضارع وحدها والتنعيم بفتح التاء اسم موضع عن يمينه
جبل يقال له نعيم وعن يساره جبل يقال له ناعم والوادي هو نعمان فقيل فيه التنعيم
لذلك وقالت امرأة تذكره

أيا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص اليّ نسيمها

وهو على اربع اميال من مكة وهو طرف الحرم من جهة المدينة (فاخذوا
فاعفاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله) في هذه القصة (وهو الذي
كف ايديهم عنكم الآية) وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم
اى اظهركم ونصركم عليهم فهزمتموهم حتى ادخلتموهم بطنها وحديث انس رضي الله
تعالى عنه المذكور رواه مسلم والترمذي وابو داود والمراد ببطن مكة الحديبية
وضمير الخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه وكان ذلك وهو في اصل
الشجرة فبينما هو كذلك اذ خرج ثلاثون رجلا وقال ابن هشام رحمه الله تعالى

سبعون اوثمانون واخذوا اسراء والسفراء يمشون فى الصلح فاطلقهم وهم الطلقاء وقيل ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر ان عكرمة بن ابى جهل خرج اليه فى خمسمائة فارس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد هذا ابن عمك خرج فى خمسمائة فارس فقال انا سيف الله و بذلك سمى يومئذ فقام اليه فى خيل فهزمه الى حوائط مكة وقيل انه كان يوم فتح مكة وبهذا استدل بعض الحنفية على انها فتحت عنوة ورد بان الآية نزلت قبل الفتح وان الكف بسبب الصلح وهو بعينه الماضى والآية نزلت بالحديبية قيل ومن العجيب قول ابى السعود ان الآية نزلت لما خرج عكرمة بن ابى جهل فى خمسمائة فارس الى الحديبية وبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد بجند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة يوم الفتح انتهى وهو كلام متناقض لان الحديبية كانت سنة ست فى ذى القعدة وفتح مكة كان فى رمضان سنة ثمان وقصة خالد كانت يوم الفتح * اقول من قال المراد فتح مكة فهو ضعيف فان السورة مدنية نزلت قبل الفتح والحمل على ان الماضى اعنى كف لتحقق معنى المضارع وعدا بعيد جدا وايضا ماذكر ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى عسكر فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد الى الحديبية فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة غلط فان خالد بن الوليد لم يكن اسلم يومئذ بل كان طليعة للمشركين كما فى البخارى ولا حاجة الى تأويل كلامه بانه اراد بالفتح قصة الحديبية لانها سميت فى القرآن فتحا مع انه تابع فى هذا الغلط لغيره وعهدته على من قاله اولا وليس ما نقله ايضا مطابقا لما قاله فى تفسيره وفى فتح مكة خلاف فى كتب الفقه وفى الكشاف كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم بالمكافة والمحاجزة وهى بزنة اعتزاله ولذا تركه الماضى رحمه الله تعالى (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لابى سفيان) صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف (وقد سيق اليه) جملة حالية اى قال له القول الآتى وسيق مبنى للمجهول سأقه اى به وقاده والسائق له هو العباس عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما سار النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة و نزل مر الظهران عشاء واوقد عشرة آلاف نار وجعل على الحرس عمر رضى الله تعالى عنه واراد دخولها قهرا لم يعلم الكفار فرقت نفس العباس رضى الله تعالى عنه لاهل مكة فخرج على بغلة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اتى الاراك فقال لعلى اجد ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يخرجوا ويستأمنوه قبل ان يدخلها عنوة فسمعت صوت ابى سفيان يقول لم ار كالليلة نيرانا ولا عسكرا فقلت ابا حنظلة فقال ابو الفضل قلت نعم قال مالك فداك ابى وامى قلت هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الناس واصباح قريش قال ما الحيلة قلت

(والله)

والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فاستأمنه لك فركب خلفي فكلما مررت باحد قال بغلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليها عمه حتى مررت بعمر رضي الله عنه قال ابو سفيان عدو الله
الحمد لله الذي امكن منك بلا عقد ولا عهد وخرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه
وسلم فركضت البغلة ودخلت عليه وعمر رضي الله عنه معه فقال هذا ابو سفيان دعني
اضرب عنقه فقلت اني قد اجرته وجلست فلما اكثر عمر رضي الله تعالى عنه في شانه قال
صلى الله تعالى عليه وسلم مهلا يا عمر اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبح فأتني به
فغدوت به صباحا فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علم انه جاء ليسلم منقادا
(بعد ان جلب اليه الاحزاب) جلب بالجيم والموحدة بمعنى ساق وجمع
واصله من الجلبة وهي اصوات المحاربين والاحزاب جمع حزب وهي الناس
المجتمعة من قبائل شتى للحرب ويقال تحزبوا تجمعوا وهذه غزوة الخندق
التي كانت في سنة خمس واسناد جلب الاحزاب اليه لانه كان قائد جيشهم
وصاحب رأيهم والا فسبب التحزيب انما كان جماعة من اليهود دعوا القبائل
وحركوا فرسانا لذلك كما فصل في السير (وقتل عمه حمزة) سيد الشهداء رضي الله
تعالى عنه (واصحابه) اي اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعود الضمير لعمه
وان صح بعيد (ومثّل بهم) بالتشديد اي شوه خلقتهم بقطع الاطراف وشق
البطن واخراج القلب ونحوه وهو من المثلة بضم الميم وهي العقوبة الشديدة وفيه
(قد خلت من قبلهم المثلات) ويقال مثل بالتخفيف ايضا ونسب قتل حمزة رضي الله
تعالى عنه وقتل اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابي سفيان مع ان قاتل حمزة
وحشي بن حرب واسلم بعد ذلك ولم يباشره ابو سفيان الا انه هو الباعث والسبب
لذلك القتال والمهيج له ولكون قتل حمزة رضي الله تعالى عنه مشهور انه باحد لا يقال
ان عبارة المصنف رحمه الله توهم انه بالاحزاب والمراد بالاصحاب من قتل باحد وكانوا
اكثر من سبعين ولذلك نسب التمثيل له مع ان الممثل زوجته هند لان فعل اهل الرجل
كفعله لاسيما النساء وقد مثل بجماعة غيره ايضا كما اشار اليه المصنف رحمه الله بقوله بهم
فممن مثل به انس بن النضر وعبد الله بن جحش كما فصل في السير (فعفا عنه) ما سبق
منه في كفره لان الاسلام يجب ما قبله (ولاطفه في القول) اذ خاطبه بقوله (ويحك
يا ابا سفيان) اي اتعجب لك ما فعلك ودهائك وظهور حقية الاسلام وعدم تعقل
لاطف كل منهما في مقاله واللطف الرفق والبر ويكون بمعنى الرقة والصغر
(الم يأن لك) اي الم يدن ويقرب علمك فقال اني بابي ادعان وفيه وجاء بما به (ان تعلم
ان لا اله الا الله) اي توحد الله وتصدق به فتسلم اسلاما صحيحا (فقال) ابو سفيان (بابي
انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك) لرحمك اذ خاطبتني بلطف وهديتني الى الحق

مع ما قاسده منى ثم اجابه مصدقا فقال لقد ظننت ان لو كان مع الله اله غيره لقد اغنى شيئا بعد فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم انى رسول الله فقال بابى انت وامى اما هذه ففى النفس منها شئ فقال له العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فشهد شهادة الحق واسلم والحديث مذكور بتمامه فى السير واسلام ابى سفيان رضى الله عنه مشهور وفى بعض النسخ بدل ما احلمك ما اجلك من الجلال ويحتمل انه من الحمل وهى نسخ تصحف وكل هذا جار وفى تاريخ قزوين للامام القزوينى روى عن على بن احمد بن صالح قال حدثنا ابو العباس الهندى القزوينى حدثنا الحسن بن الفضل حدثنا محمد بن مروان البغدادى حدثنا الاصمعى حدثنا مالك بن مغول عن الشعبى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لطم ابو جهل لعنه الله فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فشكت الى ابيها فقال لها ائتى ابا سفيان فاتته فاخبرته فاخذ بيدها حتى وقف بها على ابى جهل لعنه الله وقال لها الطميه كما لطمك ففعلت فجاءت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لابى سفيان قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما شككت ان كان اسلامه الا لدعوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى نقله السيوطى فى كتاب تحفة الادب ومن خطه نقلت (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى) اى غضبه بعيد لا يكون منه الا بعد امور كثيرة بخلاف رضاه فانه رضى بادنى شئ لما جبل عليه من الكرم وحلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وياتى فيه الكلام مبسوطا وهذا لانه متخلق باخلاق الله وهو رحمة من الله ورحمته قد سبقت غضبه وفى الحديث المؤمن بطئ الغضب سريع الرضى وهذا فى غير حقوق الله وفى غير ما يؤدى الى عدم الحمية والمروءة فلا ينافى هذا قول الشافعى من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان ﴿فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة﴾ جواب اما قوله الآتى فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوازى الى آخره وما بينهما جمل معترضة (ومعانيها متقاربة) بعضها قريب من بعض حتى توهم بعضهم لذلك انها مترادفة (وقد فرق بعضهم بينها بفروق) واهل اللغة يعرفون الفرق فى امثاله غفلة منها واضدادها كالبخل والشح وضدها شر الاسماء * ولابن هلال كتاب فى الفروق مفيد جدا وقد قدم ان فرق بينها بفرق حسن فى الراء وتشديدها غنى الا ان بعضهم قال الاكثر فى الفرق التخفيف فى استعماله فى الاجسام والفرق فى المعانى وهذا لا يسكر استعمال احدهما مكان الآخر فهو كلام قليل الجدوى وجمع فروق باعتبار وقوعه بين كل واحد وغيره والا فهو فى الحقيقة فرق وبدأ المصنف بالجود ولا وفى العرف اخره لانه عبارة عن السخاء ولذا قيل كان الاولى تركها وعطفه

(على)

على السخاء و تأخيره (تخلوا الكرم الا نفاق بطيب النفس فيما يعظم) عظم يعظم بضم الفاء فيهما حل مقداره و (خطره) بفتحتين وقد تسكن الطاء قدره ووقعه (ونفعه) لمن يعطى له وذلك انما يكون بكثرته وهذا يختلف باختلاف المعطى والآخذ كان هذا معنى الكرم فى عرف اللغة والا فالكرم بمعنى الشرف والمجد وهو لا يختص بالاعطاء ولذا قال (وسموه ايضا حرية) بضم الحاء وكسر الراء المهملتين المشددة تليها ياء نسبى ياء المصدرية وهى اذا لحقت الاسماء الجامدة والصفات تصيرها مصدرا ولابد فى آخرها من هاء تأنيث ولم يفصل السخاء حال هذه الاسماء الا انها سائغة فى الاستعمال وما وقع فى بعض النسخ هنا من انه جرأة بجيم مضمومة وراء ساكنة تليها همزة وهاء كما فى حواشى ابن رسلان فهو من تحريف الكتاب فانه لا مناسبة له هنا وان كانت الجرأة والكرم اخوان لا يفترقان لاسيما فى زمان فيه خاص الكرام وفاض اللئام واما تسمية الكرم حرية فلان الحر خلاف العبد فالحرية الخلاص من رق الناس فاذا طوقهم منة حصلت له الحرية لان الانسان عبد الاحسان وهذا من كلام الصوفية فانهم قالوا الحرية صفة سولدت بها الاسرار ونهاية السخاء لانه يبذل ماله الى حاجة وهو نهاية السخاء واعلى منه قول بعضهم الحرية ان لا يكون العبد بقلبه تحت رق شئ من المخلوقات ولا من اعراض الدنيا والآخرة ويكون فردا لم يسترقه دنياه ولاهواه ولاحظ ما بعد ماه وقال القرطبى فى كتاب الدقائق من كلام اهل التقى فى التصوف الحرية المحضة هى الخروج من ملك سلطان الشهوة والغضب والقهر بالصبر والعبودية المحضة هى طاعة الارادة فيما لا يضطر النفوس اليه الا بسوء العادة وايثار اللذة وكل من خدم فى زمن الحداثة الشهوة والغضب شق عليه فى زمن الشيخوخة ما يلحقه من ضعف بدنه عن خدمة لذته ومن خدم فى الرأى والادب سن عليه ذلك فى الحداثة وكان فى زمن الشيخوخة مستريحا انتهى (وهذا ضد النذالة) بفتح النون والذال المعجمة واللام هى الخسة والحقارة وهى من لوازم البخل المقابل للكرم كما قيل وفيه اشارة الى انه ليس مقابلا له حقيقة (والسماحة) والسماح (التجافى) تفاعل من الجفاء وهو غلظة الطبع وحقيقته التباعد والترفع يقال جفا السرج عن ظهر الدابة اذا تباعد عنه كما قال عز وجل (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) اى لا يكترثون النوم اى العفو عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس (وهو ضد الشكاسة) بشين معجمة وكاف وسين مهملة بينهما الف وهو كما قال الجمال سوء الخلق وفى القاموس انها البخل والاول انسب هنا والثانى انسب بتفسير السماحة بالجود كما قاله ابن القوطية (والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد) من الصنائع المذمومة كالحجامة واخذ ما لا يحل له (وهو الجود) وفرق بعضهم بينهما قال ابن عصفور فى الممتع السخاء ماخوذ من الارض السخاوية وهى الرخوة ولذا

وصف الله تعالى بجواد دون سخي لانه اوسع في معنى العطاء وادخل في صفة العلاء اسمى وقد تقدم ذلك فعلى هذا هو اخص منه وقال ابن مالك في الكفاية السخي هو الجواد فهو موافق لما قاله المصنف وقال سقراط الجواد هو الذي يعطي للامسئلة صيانة للآخذ من ذل السؤال وقال الشاعر

وما الجود من يعطي اذا ما سألته * ولكن من يعطي بغير سؤال

(وهو ضد التقتير) المعروف في اللغة ان الجود ضد البخل والتقتير التضييق في الانفاق وهو ضد الاسراف والتبذير وهما بمعنى وفرق بينهما صاحب الكشف في سورة الاسراء يقال قترت الشيء واقترته اي ضيقت الانفاق فيه وقال تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) والبخل والتقتير متلازمان لا مترادفان حتى يكون كل منهما ضدا للسخاء ❊ واعلم ان كلام المصنف هنا غير موافق للغة ولا للعرف ولا ادري من اين اخذه ولكن الامر في مثله سهل وهو محتاج للتهذيب وسكت عليه مرة اخرى (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا تؤارى) بالهمزة مبني للمفعول اي لا تساوى ولا تقابل يقال فلان أرى فلانا اي يحاذيه ويساويه وقال الكرماني موافقا للجوهري يقال اريته اي حاذيته ولا يقال واريته والذي عندنا في النسخ يواريه بالواو المبدلة من الهمزة وقد اجازه بعضهم بقلب الهمزة واوا اذا انفتحت وانضم ما قبلها نحو جؤن وقد جزم البرهان الحلبي بانه في كلام المصنف بالواو ويحتمل انه في كلامه بالهمزة ورسمت واوا على قاعدة الرسم في مثله اي هو صلى الله تعالى عليه وسلم لا تساويه احد (في هذه الاخلاق الكريمة) والاوصاف الحسنة من الجود والسخاء والكرم والسماحة

فاق النبيين في خلق وفي خلق * ولم يدانوه في علم ولا كرم

(ولا يبارى) بالباء للمجهول وهو بالموحدة والراء المهملة ومعناه يعارض والمعارضة ان تفعل مثل ما يفعل وهما متقاربان (بهذا وصفه كل من عرفه) بالمشاهدة او بما اشتهر عنه شهرة لا تبقى معها ريب ولا شبهة (حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي) هو الحافظ ابو علي بن سكرة وقد تقدمت ترجمته وهو منسوب لصدف بفتح الدال وهي قرية بقرب القيروان قال (حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو ذر الهروي) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو الهيثم الكشميهني) قال البرهان الحلبي هو بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء بعدها نون كذا في الانساب لابن الاثير وضبطه بالقلم الحافظ عبد الهادي في طبقاته بفتح الكاف وكذا صحح في نسخ السمعاني والصواب ما ذكرناه والنسبة لقرية من قرى مرو قديمة خرج منها جماعة وقد خرجت انتهى وفي آخره ياء نسبة لم تصرح بها لانه معلوم من السياق فما في بعض الشروح من انه لا ياء في آخره وان النسبة فيه على خلاف القياس مما لا ينبغي

منه المحب (وابو محمد السرخسي) نسبة لسرخس بلدة عظيمة بخراسان وقد تقدمت ترجمته (وابو اسحق البلخي) ابراهيم بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن داود المستملي الامام المشهور كما تقدم منسوب البلخ بلدة عظيمة في ماوراء النهر (قالوا حدثنا ابو عبدالله الفربري) تقدمت ترجمته وفربر قرية بسمحل بلدة بخاري قال (حدثنا البخاري) تقدم وسيجيء بعض ذكره قال (حدثنا محمد بن كثير) بلفظ كثير ضد القليل العبدي البصري الحافظ روى عنه اصحاب السنن وتوفي سنة اثنين وعشرين ومائتين وله ترجمة في الميزان فيها كلام لابن معين وقال الذهبي انما هو في ابن كثير المهري وفيه تعقب لكلام المزي لانه قال العبدي قال (حدثنا سفيان) هو ابن سعيد الثوري كما تقدم وهذا الحديث رواه ايضا سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر عن جابر كلاهما واخرجه مسلم والبخاري والترمذي في الشمائل وهو حديث صحيح (عن ابن المنكدر) وهو محمد بن المنكدر بن عبدالله التيمي المدني الحافظ عن ابيه وعن عائشة وابي هريرة رضي الله تعالى عنهما واخرج له اصحاب الكتب الستة (قال سمعت جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما يقول ما سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا فقال لا) وقد علمت ان هذا الحديث اخرجه الترمذي في الشمائل وغيره وفي معناه قول حسان

ما قال لا قط الا في تشهده * لولا التشهد لم يسمع له لالا

ومعنى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اتاه مستحق بطلب عطاءه لا يجبه ويقول له لا اعطيك بدليل اوله حتى اذا لم يجد شيئا اعرض اوقال ائتني غدا ونحوه وهذا هو الذي عناه حسان وهو بناء على الغالب فان النادر كالعدم فهو مبالغة معروفة مألوفة ولم يرد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم ينطق بلا اصلا حتى يرد عليه ان الاحاديث المصرحة بلا نحو لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين كما ص لا تحصى كثرة كما قيل ويجاب عنه بما لا حاجة له ثم قال واما قوله في البردة

نبينا الآمر الناهي فلا احد * ابر في قول لا منه ولا نعم

فهو انما يقتضي صدور لا عنه مطلقا وذا لا ينافي انها لم تكن لتصدر عنه اذا سئل عن شيء من متاع الدنيا لجواز صدورها منه في غير تلك الحال * اقول قد عرفت مافيه اولا تبقى هنا في البيت اشكال كان يجول في الصدر قديما وهو ان الامر والنهي انشاء لا يجاب بلا ونعم فالمرتبع بلا لا يصادف محله هنا ولم يحم حول هذا احد من الشراح مع ظهوره وقد ظهر لي ولله الحمد وجهه فمعنى نبينا الآمر الى آخره انه لا حاكم سواه فهو حاكم غير محكوم فاذا قال في امر لا او نعم وهو لا يقول الا صوابا موافقا لرضى الله تعالى لا يخالفه الا نقير فاسر وليس غيره حاكم عليه فما حكم به ويرد احكامه فهو اصدق القائلين فيما يقوله (وعن انس) بن مالك رضي الله تعالى عنه (وسهل بن سعد مثله) اي مثل الحديث السابق المروي في الصحيحين وحديث انس رضي الله

تعالى عنه هذا فى مسلم وذكره فى الوفاء ايضا ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنا لا يسئل شيئا الا اعطاه والاحاديث فى معناه كثيرة وسهل هو الساعدى الانصارى الصحابى (وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم احود الناس بالخير) اى عامة نفع الناس (واحود ما كان فى شهر رمضان) ورمضان اسم للشهر ويقال رمضان وشهر رمضان وكون العلم المضاف دون المضاف اليه اوهما كلام لا حاجة لذكره ولا يكره ان يقال رمضان وما روى من حديث لا تقولوا رمضان فان رمضان من اسماء الله عز وجل ولكن قولوا شهر رمضان ضعيف لا يعمل به لصحة ما خالفه كما فصله شراح البخارى وهذا الحديث رواه الشيخان وروى فيه احود ما يكون ووقع فى بعض النسخ هنا ايضا واحود الثانى يجوز رفعه مبتدأ ونصبه عطفا على خبر كان وعلى الاول خبره محذوف وجوبا كما قرره النحاة فى نحو اخطب ما يكون قائما والكلام عليه طويل الذيل ليس هذا محله وما مصدرية وكان تامة ولقد عصر من العلاده على ما احاط بالدو وانما زاد حوده صلى الله عليه وسلم فى رمضان لحاجة الصائمين ولانه موسم الخيرات الذى يفضل الله فيه على خلقه بما لم يفضل فى غيره فاتبع سنة الله فى عباده وتخلق باخلاقه (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا لقيه جبريل احود بالخير من الريح المرسلة) لانه عليه الصلوة والسلام يسر بملاقاته وامداده له بالبشرى والكرامة فيحسن كما احسن الله اليه وكان يكرر مجيئه له فى رمضان ليدارسه القرآن ويعارض به قراءة كل منهما على صاحبه بالتجويد ووجوه القراآت احود بالخير من الريح المرسلة قال الكرمانى الجود اعطاء ما ينبغى لمن ينبغى والخير اسم لجميع انواعه مما يقرب العبد الى الله وارسال الرياح اطلاقها بأذن الله فيرسل بالرحمة والمطر قال تعالى (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) وقال (والمرسلات عرفا) اى الرياح المرسلة بالمعروف على احد التفاسير وهو من التشبيه البليغ على سبيل الترقى لجعله احود الناس ثم ذكر ان جوده فى رمضان وعند ملاقاة جبريل ازيد منه فى غيره والمراد بالمرسلة خلاف العقيمة قيل وفى قوله احود من الريح جمع بين الحقيقة والمجاز وفيه بحث يعلم من كلام اهل المعانى فى تحقيق وجه الشبه فى قولهم كلامه احلى من العسل وتقديم قوله بالخير اهتماما به وللدلالة على تقدير مثله فيما بعده اوايثارا كهما فيه لا لدفع توهم تعلقه بالريح المرسلة وليس من الاكتفاء وفى تشبيهه بالريح اشارة الى سرعته وبادرته له وقد علم ان المراد بالريح المرسلة التى لم ترسل بالعذاب لا مطلقها لانها فى القرآن مخصوصة بها * فان قلت ذكر الريح وقد قيل انها اذا كانت مفردة تكون فى العذاب والشر واذا جمعت فهى للنفع والخير * قلت هذا قيل انه مخصوص بما وقع فى القرآن بالاستقراء لا مطلقا فلا ينافيه ما وقع فى هذا الحديث وغيره ويؤيده ما اخرجه ابن ابى حاتم عن ابى بن كعب انه قال كل شئ فى القرآن من الرياح فهو رحمة وكل شئ فيه من الريح فهو عذاب

(وما)

وماورد فى الحديث كما رواه البيهقي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه ماهبت الريح الا جثا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا لا يدل على عدم اختصاصه بما وقع اغلبا فى القرآن لانه قيل انه صلى الله عليه وسلم اراد اللهم اجعلها من جملة رياح القرآن ولا تجعلها من ريحه اى مما ذكر بهذه العبارة فلا دليل فيما ذكر كما قبل الاثرى الى قوله تعالى ﴿ارسلنا عليهم الريح العقيم * وريحا صرصرا﴾ ونحوه وقوله تعالى ﴿وارسلنا الرياح لواقح * ويرسل الرياح مبشرات﴾ وقد قرئ فى بعض آيات الرحمة بالافراد والجمع وورد مفرده فى ذلك فكأنه اغلبي واما تأويل ما فى الحديث بما جاء فيه الجمع فضعيف وقيل يحتمل انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما قال ذلك لان ماهب ان كان ريحا واحدة لم يلقح السحاب وينزل المطر غالبا وان كان رياحا فهو بخلافه ويحتمل ان يكون معناه لا تهلكنا بريح واحدة لا يهب بعدها ريح اخرى وطول اعمارنا حتى يهب علينا ارياح كثيرة (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسندا مسلم فى صحيحه (ان رجلا) هو صفوان بن امية الآتى شأنه كما فى سيرة ابن سيد الناس وغيرها (سأله) صلى الله عليه وسلم (فاعطاه غنما) كثيرة كانت (بين جبلين) اى ملأته واديا بين جبلين كما فهم منه ذلك بحسب العرف وان كان قال للعلم الشارحة بينهما قليله او كثيرة ذلك فان كان اسلم قبل سؤاله فهو ظاهر وقوله (فرجع الى قومه) وهم قريش لانه من اهل مكة وفى نسخة الى بلده (وقال اسلموا) لا ينافيه وان كان قبل اسلامه فانما انه كان فى صدر الاسلام يجوز اعطاء المؤلفة قلوبهم من الكفار من الزكوة او من بيت المال ثم نسخ وقول الصرصري

واتاه اعرابي الحسن البدا * اعطاه شاء بينها جبلان

لعله قصة اخرى فان الرجل المذكور هنا من اكابر قريش ورؤسه قوله (فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة) فان قريشا كانوا يعلمون كرم شيمه وجزيل عطائه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه لا يخشى فاقة ومابارى احدا فى الجود الافاته والفاقة الفقر او اشده وهكذا اولياء امته فى الحديث دعائم امتى عصائب اليمن وان يعون رجالا بالشام كلما مات رجل منهم ابدل الله مكانه آخر اما انهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلوة ولا صيام ولكن بسخاء النفس وسلامة الصدر والنصيحة للمسلمين (واعطى غيره واحد مائة من الابل) الابل اسم جنس جمعي لا واحد له من لفظه كجمل وغنم والذين اعطاهم صلى الله تعالى عليه وسلم مائة ناس كثير منهم ابو سفيان وابنه معاوية والحارث ابن هشام وقد عدهم البرهان الحلبي وقال انهم يبلغون ستين من المؤلفة قلوبهم وكذلك ذكر الشيخ قاسم فى تخريج احاديث هذا الكتاب (واعطى صفوان بن امية مائة ثم مائة ثم مائة) وصفوان بن امية هو بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح قرشي له صحبة وكنيته ابو وهب اسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وهو مشرك

فلما اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفيء ما ذكر قال اشهد بالله ما طابت
بهذا الا نفس نبي فاسلم وروى له اصحاب الكتب الستة وتوفى في خلافة معاوية
سنة اثنتين واربعين بمكة وعلى هذا فاعطاه مرارا غنما وابلا فلا منافاة بينه
وبين ما سبق وعطاؤه له السابق كان من غنائم حنين وهذا الحديث رواه مسلم
(وحده) اى الخصلة والسجية في الكرم والعطاء (كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل
ان يبعث) اى نبيا او يرسل (وقد قال له ورقة بن نوفل) ورقة بواو وراء مهملة
مفتوحتين وقاف وهو ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى كان من افضل اهل
زمانه واعلمهم شاعر بليغ نبيه وكان يقرأ ويكتب الكتب القديمة بالعبرانية
والسريانية ويتأله ويتعبد ولذا سمي القس وتهود في اول امره ثم تنصر وهو ابن عم
خديجة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها وله اشعار كثيرة في التوحيد ولكنه
لم يكن له عقب وورد في الحديث لا تسبوا ورقة فاني رأيت له جنة او جنتين
نعني بذلك ما ورد من طريق آخر انه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه في منامه في الجنة وعليه
حلة خضراء او بيضاء او نحوه كساه من حرير وحلة من سندس وكان حيا في ابتداء
الوحي الى ان نبأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واجتمع بالنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وآمن به كما في اول البخاري وقال ان ادركت زمانك لا نصرنك نصرا مؤزرا وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم اذ ذاك نبيا ولم يؤمر بالدعوة ومات ورقة بعد نبوته
صلى الله تعالى عليه وسلم وقبل رسالته ولذا قالوا انه اول من آمن بالنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من الرجال وهو ثان بالنسبة لخديجة رضي الله تعالى عنها وصحابي
ولذا عرفوا الصحابي بانه من اجتمع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا به
ولم يقولوا بالرسول وهذا مما ينبغي التنبه له وفي نظم السيرة للعراقي في ذكر ورقة

فهو الذي آمن بعد ناسا * وكان برا صادقا مواسا
والصادق المصدوق قال انه * رآه يمشي مفصحا في الجنة

وهذا المذكور هو الصحيح من انه صحابي وقيل انه ليس بصحابي لانه لم ير النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ولم يؤمن به بعد بعثته وعليه جماعة محققون وقول المصنف رحمه
الله تعالى وقد قال الخ ان كانت الجملة معطوفة على ما قبلها فهو صادق على القولين
وان كانت حالا من الضمير في قوله قبل ان يبعث تكون على القول الثاني وهو مؤمن
على كل حال ولذا رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الجنة والاكثر من علمائنا
على انه صحابي (انك تحمل الكل) هذا بعض من حديث صحيح رواه الشيخان لكن
قال السيوطي رحمه الله في تخريجه القائل له صلى الله تعالى عليه وسلم هذا انما هو خديجة
رضي الله تعالى عنها في قصة مكالمتها لورقة في شأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لما رأى جبريل عليه الصلاة والسلام في اول امره وخاف على نفسه فيه وكذا

اعترض عليه الشيخ قاسم فى تخريجه ايضا فقال لااعلم هذا من قول ورقة رضى الله تعالى عنه والذى فى صحيح البخارى وغيره انه من قول خديجة رضى الله تعالى عنها وماقيل من ان القسطلانى جليل القدر لايخفى عليه مثله ولا يبعد صدوره من ورقة لايجدى نفعا مع نقل الصحيحين خلافه وليس مثله محل بحث ولكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة والكل بفتح الكاف وتشديد اللام مصدر بمعنى الكلال وهو الاعياء وفسر بالثقل فقيل انه لازم معناه وهو المناسب للحمل لانه لايقال حمل الاعياء والذى فى البخارى فقيل هذا من قولها ايضا حين قال لها صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى جبريل عليه الصلوة والسلام لقد خشيت على نفسى وهى التى قالت كلا والله لايخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل (وتكسب المعدوم) وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق وتصدق الحديث وتؤدى الامانه والحديث فى اول البخارى والكلام عليه مفصل فى شروحه وحمل الكل هو كقول العرب فى المدح هو حمال اثقال اى يحمل ثقل غيره من الضعفاء والعيال واعانه الخلق بالانفاق عليهم واطعامهم واعطائهم كل مايحتاجون اليه وكفالة الايتام وغيره من وجوه البر وهو استعاره شائع فى هذا المعنى وتكسب قال ابن قرقول بفتح التاء وكسر السين المهملة هى اكثر الروايات واصحها اى تكسب لنفسك تحصل له مالهم وقيل تكسب غيرك اى تعطيه لان كسب جاء لازما ومتعديا وانكر الفراء وغيره اكسبه فى المتعدى وصوبه ابن الاعرابى وانشد ❊ فاكسبنى مالا واكسبته حمدا ❊ فيتعدى بالهمزة لمفعولين وكسب يتعدى لمفعول وقيل يتعدى لمفعولين كاكسب والمعدوم الشئ الذى لاوجود له واما الفقير فيقال له معدم كمكرم قال الشاعر

فالت بنات العم ياسلمى وان ❊ كان فقيرا معدما قالت وان

وقيل ويطلق عليه معدوم ايضا لانه كالمفقود لفقره فاحد المفعولين محذوف ان بنى للمعلوم ومذكور ان بنى للمجهول والمراد على الوجهين انك تعطى الناس الفقراء مالايجدونه عند غيرك لما فيك من مكارم الاخلاق وقول الخطابى رحمه الله تعالى صوابه المعدم بلاواو يريد انك تعطى المعادم الفقير الذى لايجد شيئا خطا لان هذه الرواية صحيحة مشهوره عند رواة الحديث وفيما خشيه صلى الله تعالى عليه وسلم على نفسه وجوه واصحها انه خشى الهلاك من شده الرعب او تمرضهم اياه فارادت خديجة رضى الله عنها دفع ذلك الذى خشيه بقولها المذكور اى لاتخف فانك لايصيبك مكروه لمافيك من جميل الصفات ثم ذكر قصة هوازن وهى صحيحة رواه البخارى وغيره فقال

(ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف) نفس من النساء والذرية غير الاموال التى من غنائمهم لما غزاهم وكانت اربعة وعشرين الفا من الابل واكثر من اربعين الف شاة من الغنم واربعة آلاف اوقية من الفضة والاوقية اربعون درهما وعن ابن فارس انه قوم ماوهبه لهوازن فكان خمسمائة الف الف وقيل ستمائة الف الف

وهوازن اسم قبيلة منسوبة لهوازن بن اسلم وكان يسكن حنينا وهو كما يأتي موضع سمي بحنين بن نابة بن مهلاييل وغزوته صلى الله تعالى عليه وسلم تسمى غزوة حنين وغزوة هوازن وكانت في شوال او في رمضان وامرها معروف مفصل في السير ولما غزاهم وحاز غنائمهم قدم وفدهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم اربعة عشر رجلا رئيسهم زهير بن صرفة وفيهم ابو برقان عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع فسألوه ان يمن عليهم بما اخذ منهم لما بينهم وبينه من مناسبة الرضاعة فقال لهم ابناؤكم ونساؤكم احب اليكم ام اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وما للناس سأل منهم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماعة من المؤلفة اما مالنا فلا فاخذه صلى الله تعالى عليه وسلم منهم قرضا على ان يعوضهم عنه من اول مال يجيء فسلموهم جميعا وكان صلى الله عليه وسلم كساهم وانما فعل ذلك لانه كان بعد القسم وليس للامام ان يمن بعده لتعلق حق الغير به والسبايا جمع سبية بمعنى مسبية قال التلمساني ولا يكون السبي الا في النساء (واعطى) ايضا (العباس) بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البخاري عن انس بعدما (من الذهب مالم يطق حمله) وقد اتى بمال من البحرين وكان اكثر مال اتى فنثر في المسجد فاتاه العباس رضي الله تعالى عنه وقال اعطني فاني فاديت نفسي وعقيلا فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب ليقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه فقال لا فقال فارفعه انت علي فقال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يقدر فقال له كالاول فنثر منه ثم احتمله على كاهله وانطلق فاتبعه صلى الله عليه وسلم بصره تعجبا منه ولم يقم عليه السلام حتى فرقه فلم يبق منه درهم وانما اعطاه لانه خرج لبدر مكرها وكان يخفي اسلامه ثم فدى نفسه وعقيلا كما فصلوه (وحمل اليه صلى الله عليه وسلم تسعون) بتقديم المثناة الفوقية (الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها) رواه الحسن بن الضحاك في شمائله مرسلا الا انه قال ثمانون الفا واخرجه ابن الجوزي في الوفاء وقال سبعون الفا كما قال الشيخ قاسم في تخريج احاديث الشفاء والسيوطي في تخريجه بلفظ سبعين بتقديم السين على الموحدة ويوافقه قول الصرصري في مدحه

سبعون الفا فضها في مجلس ✽ لم يبق منها عنده فلسان

وقوله حتى الى آخره غاية لقوله قسمها وبل لقوله فما رد سائلا وليس المراد انه يرد بعد الفراغ فهو على حد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا (وجاءه رجل فسأله) عطاء شيء يحسن به له (فقال ما عندي شيء) ولم يقصد منعه بذلك حتى لا ينافي ما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما قال لسائل لا قط لان المراد انه لم يمنعه ما سأل من متاع الدنيا وانما مراده اخباره بعذره في عدم

التعجيل له بدليل قوله (ولكن ابتع علىّ) بموحدة ساكنة بعد همزة الوصل ومثناه فوقية مفتوحة وعين مهملة افتعال من البيع بمعنى الشراء فانه يطلق عليهما وفى القاموس اباعه اشتراه اى اشتر ثمن يكون ذلك الثمن علىّ وفى نسخة كذا ثبت فى الحديث وفى شرح الدلجى انه بتقديم المثناة الفوقية على الموحده اى اشتر واسامح بالخيار انتهى وليس هذا ضمان بل وعد منه الا ان وعده صلى الله تعالى عليه وسلم كان ملتزم الوفاء لان وعد الكريم دين ولذا صح انه لما توفى نادى ابو بكر رضى الله تعالى عنه من كان له عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عدة او دين فلأتنا فجاءه جابر رضى الله تعالى عنه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنى كذا فاعطاه له (فاذا جاءنا شئ) مما من الله به من الغنائم اوغيرها وفى قوله جاءنا نعى معاشر المسلمين اشارة الى انه مال الله لعباده لا لى وحدى (قضيناه) اى اديناه ويحتمل ان الضمير هنا وفيما قبله للمعطى اى قضينه قضاء نال به المعطى منه تعالى واختاره بعضهم ولذا لم تقل جابى وقضيته مع قوله على فتأمل والقضاء يشعر بانه لزم ذمته كالدين (فقال له عمر رضى الله عنه ما كلفك الله مالا تقدر عليه فكره صلى الله عليه وسلم ذلك) اى بدا فى وجهه الشريف اثر عدم رضاه به لان فيه كسر خاطر السائل ولان مثله لا يعد تكلفا لما قدره له لما عوده الله من فيض نعمه عليه (فقال رجل من الانصار) كان حاضرا لما رأى من كراهة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك (يا رسول الله انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا) قال البرهان هذا الرجل لا اعرفه وفى حفظى ان القائل بلال رضى الله عنه لكنه مهاجرى لا انصارى فيكون قد قال ذلك بلال والانصارى فان الذى فيه ذكر بلال قصة اخرى المأمور فيها بالانفاق بلال وهو مارواه الطبرانى والبزار مسندا عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بلال وعنده صبرة من تمر وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له يوما اطعمنا يا بلال فقال ماء بقى الا صبرة خبأتها لك ولضيفانك فقال اما تخشى ان تقذف بها فى نار جهنم انفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا ومن العجب ان ارادهذا هنا ولا مناسبة له بما نحن فيه ووقع فى بعض كتب الحديث انفق بلالا ووجه بوجوه منها ان اصله بلالى بالاضافة لياء المتكلم وحذف حرف النداء وابدال الياء الفا كما قالوا وقيل بلالا هنا ليس علما بل فعال من البلل اى انفاقا رطبا سهل به فلوب آكليه ولو قيل انه رد لاصله من النصب واطلق لمشاكلة اقلالا لم يبعد وقد اخرجه العسكرى فى الامثال مرفوعا وفى الطبرانى انفق يا بلال ومعنى اقلالا ان يقلل الله الرزق ويجعله قليلا لان لكل معنى جاما وقوله لا تخش نصب بسبب وقع انفاقا وقيل بلالا كلمتان اى نعم لا وبأباه رواية يا بلال بحرف النداء والذى رواها المصنف رحمه الله ولا تخف دون لا تخش كما مر وقول بعض الشراح الصواب

لاتخش ليصير موروثا عنه صواب من وجهين (فتبسم صلى الله تعالى عليه وسلم وعرف البشر في وجهه) بانبساطه وتهلل اسارىره (وقال بهذا امرت) اى بالانفاق من غير مخافة فقر والتبسم انفتاح الفم من غير قهقهة وهو مبادى الضحك وقد استشكل هذا بان الله امره بقوله (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) قال فى الكشاف لان الاسراف غير محمود وكان صلى الله عليه وسلم ينفق جميع ماعنده ويجوع حتى يربط الحجر على بطنه واجاب القاضى ابو يعلى بان المراد بهذا الخطاب غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وغير خلص المؤمنين الذين كانوا ينفقون جميع ماعندهم عن طيب قلب لتوكلهم وثقتهم بما عند الله اما من كان ليس كذلك يتحسر على ماذهب منه فالمحمود منهم الوسط وهم الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا لانهم لاصبرلهم على الفاقة ولذا صوب عابه صلى الله تعالى عليه وسلم كلام عمر رضى الله تعالى عنه لما راعى ظاهر الحال وامره بصيانة المال شفقة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لعلمه بكثرة السائلين له وبهافتهم عليه ولكل مقام مقال والانصارى راعى حاله صلى الله عليه وسلم فلهذا سره كلامه فقوله بهذا امرت اشارة الى انه امر خاص به وبمن يمشى على قدمه وقوله (ذكره الترمذى) اشاره الى من روى هذا الحديث (وذكر عن معوذ بن عفراء) ذكر بالبناء للمجهول قال السيوطى ذكر هذا الحديث الترمذى فى الشمائل والطبرانى عن الربيع بنت معوذ وسنده حسن يعنى ان المذكور انما هو الربيع بنت معوذ بضم الراء المهملة والتصغير وهو مشدد الياء التحتية اسم امرأة فقول من مصغر الربيع وكذا قال البرهان وقال لعله سقط من النسخ لفظ الربيع او وقف عليه القاضى رواية عن معوذ الا ان معوذا لااعلم له روايه ووقع فى نسخه على الصواب ومعوذ بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الواو المشدده وحكى ابن قرقول فتحها وغيره لايجيزه وكذا ضبطناه عن الصدفى ثم ذال معجمه وقال التلمسانى قيل ان الذال مهمله مع الفتح والكسر والاول اولى وعفراء بعين مهمله وفاء ساكنه وراء مهمله وهمزه ساكنه ممدوده اسم امه وهى عفراء بنت عبيد بن ثعلبه وشهر بذلك واسم ابيه الحارث بن رفاعه بن الحارث بن سواد ومعوذ استشهد ببدر قتله ابو مسافع وقيل انه هو الذى قتل اباجهل وفيه كلام فى السير (قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقناع) بقاف مكسوره او مضمومه فنون والف فعين مهمله ويقال له قنع بكسر القاف وقيل قناع جمع قنع وظاهر قوله (من رطب يريد طبقا) انه مفرد وكذا قوله فى حديث آخر يهدى لنا القناع فيه كعب حب افرده (واجر زغب) بفتح الهمزه وسكون الجيم وكسر الراء واصله اجرى فسقط ياؤه كادل فى جمع دلو وهو جمع جرو بكسر الجيم بوزن علم وهو صغير القثاء وزعم ابن قرقول ان جروا جمعه اجرا على افعال وهو جمع

(جرو)

حرو ورعب بضم الزاي وسكون العين المعجمتين جمع ازعب وهو ماعليه زغب والزغب صغار الريش والشعر فشبهه به مايكون على الفاكهة ونحوها من الصغر وقوله (تريد قثاء) بكسر القاف وضمها وتشديد المثلثة والمد وهي معروفة وهي ضرب من الخيار والهمزة للتأنيث اوللالحاق وهو اسم جنس يطلق على الواحد وغيره ولذا فسر به الجمع ولاحاجة الى تقدير من جنس هذه وعلى كل حال فلايقال ان زغب هنا كالدينار الصفر كما توهم وهو تفسير لقوله اجر وروى الهروى اجنى بالنون بدل اجر وهو جمع جنا وهو الغض الرطب والمشهور الاول وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب القثاء (فاعطانى ملأ كفه حليا وذهبا) بالواو العاطفة وفى الترمذى اوقال ذهبا مماكان عنده مما جاءه من البحرين وهذا ممايدل على الوهم فى رواية معوذ فانه قبل بدر ومال البحرين انما اتاه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ظهور الاسلام والحلى بفتح الحاء المهملة وسكون اللام بزنة ضرب وجمعه حلى بضم الحاء وكسرها ووزنه فعول وهو كل مصاغ من الذهب والفضة وضبطه الممسانى بالمفرد هنا فان كانت الرواية به فواضح والافتحرير قراءته بالوجهين (وعن انس رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم لايدخر شيئا لغد) اخرجه الترمذى وشيئا اعم من المال والقوت وهذا بالنسبة لاغلب احواله صلى الله عليه وسلم وقد وقع خلافه تعليما وتطيبا لقلوب اهله وهو لاينافى التوكل كمالايخفى (والخبر بجوده) اى فى شأن جوده (وكرمه كثير) لايحصى فعن البحر حدث ولاحرج (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رجلا الى صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا الرجل لم يسم والحديث لم يخرجه السيوطى ولاغيره (ساله فاستسلف له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اقترض والسلف والقرض بمعنى (نصف وسق) بفتح الواو وكسرها وهو ستون صاعا وعند اهل الحجاز ثلثمائة وعشرون رطلا واربعمائة وثمانون رطلا عند اهل العراق على اختلافهم فى مقدار الصاع والمد كما قاله البرهان الحلبى رحمه الله تعالى والوسق ايضا مصدر بمعنى ضم الشئ (فجاءه الرجل) الذى اقترض منه (يتقاضاه) اى يطالب بدينه كما مر (فاعطاه وسقا) ضعف ما اخذ منه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له (نصفه قضاء) لما اخذه لك (ونصفه نائل) اى عطاء وهبة لك ووقع فى بعض النسخ هنا زيادة سقطت من اكثر النسخ وهى (وقد قال ابو على الدقاق من شيوخ الصوفية المشاهير وعلمائهم الاخيار وتكلم فى الفتوة وهى عنده الكرم والايثار على رأيهم واصطلاحهم فى الفاظهم ان هذا الخلق لا يكون بكماله الا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان كل احد فى القيامة يقول نفسى نفسى ويقول هو صلى الله تعالى عليه وسلم امتى امتى) انتهى مازيد هنا وانما محمد بن مرزوق فى شرحه

وتبعه التلمسانى و شرحها فلنتمم الفائدة ببعض فوائدها و بيان مافيها فاعلم ان الدقاق هو ابو على الحسن بن على شيخ القشيرى تفقه فى اول امره على القفال وغيره ثم انقطع حتى صار سيد وقته والمتصوفه والصوفية واحده صوفى ويقال تصوف اذا انقطع الى الله تعالى كما يقال تقيس اذا انتسب لقيس وهذا لفظ مولد واصطلاح حدث بعد القرن الاول فقال بعضهم الصوفى هو المنقطع بهمته الى ربه وهم مقتدون باهل الصفة رضى الله تعالى عنهم وهى سقيفة اتخذها ضعفاء الصحابه فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان قبل الاسلام حتى قال لهم صوفه يخدمون الكعبه فقيل الصوفى نسبة لهم وقيل لانهم تجمعوا كما تجمع الصوف وقيل انهم لخشوعهم كصوفه مطروحة على الارض اوهم منسوبون للصوف لانهم وسهولة اخلاقهم او للبسهم الصوف لاختيارهم الفقر وهذا اظهر الاقوال لفظا ومعنى وقيل منسوب للصفة والاصل صفى فابدل احد حرفى التضعيف ياء وقيل انه من الصفاء فقلب وصحح هذا بعضهم لقول البستى

تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا ＊ جهلا فظنوه مشتقا من الصوف
ولست انحل هذا الاسم غير فتى ＊ صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

ولا شاهد فيه لانه على مذهب الشعراء وقد بين المصنف رحمه الله تعالى معنى القوة ﴿ فصل واما الشجاعه والنجده فالشجاعه فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل ﴾ هذا معنى ما قاله الحكماء فى علم الاخلاق ان الله تعالى ركب فى الانسان قوة هى مبدأ الاقدام على الاهوال والمهالك لصورة ان من خاطر بالنفس ربما يهلك النفس وانه لا ينبغى حذر من قدر وهى القوة الغضبية الشديه والشجاعه انقياد هذه القوة لسلطان العقل والنفس الناطقه لكون اقدامها على حسب الروية من غير اضطراب حتى تكون فعالها جميلا محمودا وافراطها التهور وهو الاقدام حيث لا ينبغى وتفريطها الجبن وبهذا عرف معنى الشجاعة والجراءه اعم منها وهذه تختص بالانسان وفسرها ابن القوطيه بالاقدام وهو تفسير للمطلق بالاعم (والنجدة) بفتح النون وسكون الجيم ودال مهمله كما فى النهاية وهى شدة الباس ويقال هم انجاد انجاد اى اشداء شجعان والواحد نجد ككتف واكتاف وقيل انه جمع الجمع جمع نجد على نجاد ونجاد على انجاد وفسرها اهل اللغه بالشجاعه على عادتهم فى التسامح فلاتنافى بينها كما توهم ويؤيده مافى الحديث الآتى عن ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشهور النجده فى معنى المساعدة (ثقة النفس) فى بعض الشروح وثق الشئ بالضم وثاقه صلب واشتد وثقة الوثاق وثقت به بالكسر اوثق ثقة اعتمدت عليه وائتمنته كما فى القاموس والمصنف رحمه الله تعالى استعمل الثقه موضع الوثاقه ولم اظفر به فانه هذا تجوز فيه فانه بمعنى اعتماد النفس على ربها او اعتماده على نفسه (عند استرسالها) اى انطلاقها

(واحدها)

واحدها فيما تؤدى (الى الموت) اى استماتها وطمانينتهما بلا خوف كما ورد في الحديث ايما مسلم استرسل الى مسلم فغدر به الخ وحديث غبن المسترسل ربا (حيث يحمد فعلها دون خوف) فيل ومنشأه قوة النفس وشدتها ولذا عبر عن الشجاعة بعضهم الشدة عما نشأ عنها اسمي وكلامه ماش على تغايرهما والشراح لم يفرقوا بينهما والفرق مثل الصبح ظاهر فان الشجاعة جراءة واقدام يخوض به المهالك كأيدى والنجدة ثباته على ذلك مطمئنا من غير خوف من ان يقع على الموت او يقع الموت عليه حتى يقضى الله له باحدى الحسنيين الظفر او الشهادة فيحيى سعيدا او يموت شهيدا فتلك مقدمة وهذه نتيجتها ولذا اخرها المصنف في الذكر (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم منهما) اى من الشجاعة والنجدة (بالمكان الذى لا يجهل) اى كان متصفا بهما على اعظم وجه ومشهورا بذلك اشتهارا لا يخفى على احد وعدم جهل المكان لعلوه وشرف مكانه كالجبل والقصر فكنى بذلك عن علو قدره صلى الله تعالى عليه وسلم وشهرته على حد قوله

ان الشجاعة والسماحة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

(قد حضر المواقف الصعبة) اى مواضع القتال الشديدة ومصافها لجعلها نفسها صعبة لصعوبة مافيها (وفر الكماة والابطال عنه غير مرة) الفرار الرجوع بسرعة والكماة بضم الكاف جمع كمى على خلاف القياس لانه مخصوص بفاعل المعتل او هو جمع كام بمعنى كمى وان لم يسمع وهو من تكمى اذا استتر فاصله الشجاع اللابس للدرع والبيضة ثم استعمل في مطلق الشجاع كالمستتر فان قيل انه سمى به لانه يستر شجاعته وقت الحاجة كان المناسب حقه فيه ايضا لكن المعروف هو الاول والابطال جمع بطل كحسن وهو الشجاع المعروف بالشجاعة سمى به لانه يبطل عنده دماء الاقران وغير مرة بمعنى مرات والعرب تحمل غير مرة بمعنى مرات مع صدقه على مرتين للابهام ونحوه من الفوائد (وهو) صلى الله عليه وسلم (ثابت لا يبرح) اى لا يفارق مكانه كقوله (فلن ابرح الارض) اى لا افارقها (ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح) اى لا يزول عن مقره قال تعالى (فمن زحزح عن النار) وهذه الحال ان تدل على ثباته صلى الله تعالى عليه وسلم اى تارة مقبل على الحرب وتارة ثابت كالجبل الراسى فلا يتحرك فان اريد باقباله مجرد توجهه بوجهه وبعدم ادباره المقابلة لغيرها فهما حال واحدة واصل معنى الزحزحة التباعد والتنحى عن المكان قال الزبيدى زحه اذا دفعه وكذلك زحزحه وقيل هو من زاحه بمعنى نحاه او من الروح وهو السوق الشديد ويقال زحزحته فتزحزح وازاح اذا باعده فهو المزاح والصحيح الاول وعطفه على الادبار من عطف الخاص على العام وكان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يجب عليه مصابرة العدو وان كثر وزاد على ضعف عسكره ولو اتى عليه واما الآن فان زاد العدو على ضعف المسلمين

جاز انصرافهم عن القتال والا فلا يجوز الا المتحيز اوالتحرف الى فئة فان الفرار من الزحف كبيرة كما فصله الفقهاء والمفسرون (وما شجاع الاوقد احصيت له فرة) احصيت بالبناء للمجهول من الاحصاء وهو العدو الحفظ والفرة المرة من الفرار وهو الهزيمة والفار الهارب (وحفظت عنه جولة سواه صلى الله تعالى عليه وسلم) الجولة بفتح الجيم وسكون الواو واللام المرة من الجولان فى المكان وقيل هى الانكشاف والزوال عن الموقف من غير تقييد بالمرة وفى النهاية جال واجتال اذا ذهب وجاء ومنه الجولان فى الحرب والجائل الزائل عن مكانه وقول الصديق رضى الله تعالى عنه للباطل نزوة وللحق جولة يريد به غلبة من حال على قرنه يجول اسمى والجولة هنا صفة ذم بمعنى فر ولا غلبة وفى الحديث للباطل جولة ثم يضمحل والحاصل ان الجولة تكون بمعنى الفرار وبمعنى الذهاب ليعود والتردد فى المكان ويصح ارادة كل منهما هنا وتكون صفة ذم ومدح ثم ذكر مايدل على ماذكره فقال (حدثنا القاضى ابو على الجيانى فيما كتب لى) هو الامام الحافظ ابو على الغسانى الجيانى بفتح الجيم وتشديد المثناة التحتية ثم الف ونون وياء نسبة لبلدة بها ابن مالك وابو حيان وغيرهما من الائمة وقوله كتب لى دون الى تشعر بانه وقع له ذلك مع ملاقاته بدليل قوله حدثنا فان الكتابة تكون للغائب والحاضر وتتضمن الاجازة وابن الصلاح رحمه الله تعالى لم يفرق بين كتب له واليه اذ قال كثيرا مايوجد فى مسانيدهم ومصنفاتهم كتب الى فلان وهو معمول به عندهم معدود فى المسند الموصول وفيه اشعار قوى بمعنى الاجازة وان لم يقترن بها وعن السمعانى واما الحرمين انه اقوى من الاجازة المجردة قال (حدثنا القاضى سراج) بكسر السين كالسراج المنير وهو سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الاموى توفى لست بقين من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسمائة والذى روى عنه الجيانى هو جد سراج بن عبد الملك كما قاله الغسانى قال (حدثنا ابو محمد الاصيلى) هو ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاصيلى ويقال الازيلى بالزاى والسين انتسابه لاصيلة بلدة بالمغرب معروفة كما قاله ابن قرقول وقال الصاغانى فى الذيل والاصيلة بلدة من اعمال الاندلس قال (حدثنا ابو زيد الفقيه) هو ابو زيد المروزى وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربرى قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخارى وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابن بشار) الامام الحافظ ابو بكر محمد بن بشار بفتح الموحدة التحتية وتشديد الشين المعجمة والف وراء مهملة المعروف ببندار روى عنه اصحاب الكتب الستة عاش بضعا وثمانين سنة مات سنة اثنين وخمسين ومائتين وقيل احدى وخمسين وترجمته مفصلة فى الميزان قال (حدثنا غندر) بضم الغين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وضم وراء مهملة وهو محمد بن جعفر

الهذلي مولاهم البصري الحافظ روى له اصحاب الكتب الستة توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة و ترجمته في الميزان ايضا (٢) عن ابي اسحق) عمرو بن عبدالله السبيعي الهمداني الكوفي احد اعلام الحديث اخذه عن عدة من الصحابة وعدة من التابعين وروى عنه خلق كثير وله نحو ثلاثمائة شيخ وهو شبه الزهري في الكثرة وكان صواما قواما قاريا مات سنة سبع وعشرين ومائة وله تسع وتسعون سنة واخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان (سمع البراء) بن عازب الصحابي المشهور (و) قد (سأله رجل) وهذا الحديث اخرجه القاضي كالترمذي من البخاري في الجهاد في مواضع باختلاف في بعض الفاظه ورواه مسلم في المغازي والنسائي في السير (افررتم) معاشر الصحابة (يوم حنين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال نعم) وحنين بن نابه بن مهلائيل وبه سمي الموضع المعروف وسميت غزوة حنين واوطاس باسم الموضع الذي كانت فيه الوقعة سنة ثمان من الهجرة في شوال ووقع في البخاري انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى حنين في رمضان والمعروف انه في شوال وما ذكره المصنف ورد في بعض طرق الحديث وفي بعضها افررتم ولم يذكر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهي رواية مسلم وعلى هذه الرواية قال النووي جواب البراء رضي الله تعالى عنه من بديع الادب لان تقديره افررتم كلكم فيقتضي انه صلى الله تعالى عليه وسلم وافقهم على ذلك فقال البراء لا والله ما فر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن جماعة من اصحابه جرى لهم كذا وكذا انتهى وهذا الجواب لا يأتي الا على الرواية الثانية وكان ينبغي للشيخ ان يجيب بجواب غير هذا لان هذا الفهم احترز عنه السائل بقوله عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يجيء انه صلى الله تعالى عليه وسلم انهزم قط ولم ينقله احد وقد نقل الاجماع على انه لا يجوز ان يعتقد انه صلى الله تعالى عليه وسلم انهزم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وابو سفيان رضي الله تعالى عنهما آخذين بلجام بغلته يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو وكما يأتي وقد صرح به البراء في حديثه كذا قال البرهان وقيل عليه انه يأتي الجواب على ما رواه المصنف ايضا لان قول السائل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان دفع وهم انه فر معهم لا يدفع انه فر بعد فرارهم فكان نافيا في ما طواه البراء في الجواب الذي تقديره فر من فر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه ولم الذي دفعه قوله (لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر) لانه استدراك لدفع ما يوهم من الكلام السابق وان لم يصرح به وما قيل من انه يمكن ان يقال قصد البراء ان يبين ان فرارهم لم يكن بالكلية واعا ...... عن وجه العدو فخلينا حوله ثم عدنا وكيف يدع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اعز من احد ا

(٢) وقد سقط في نسخ الشهاب هنا «حدثنا شعبة» واظن انه من قلم الناسخ لانه موجود في غير هذا الشرح ويدل عليه ما في التلمساني فانه مقتضيه (طاهر السوري)

او هو من الاسلوب الحكيم وكانه لما سأله عن فرارهم قال له هذا لا يهمك شانه وانما الذي يهمك ان تعتقد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر فتكلف ليس في الكلام ما يدل عليه (ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء) الشهباء يقال لها فضة اهداها له فروة بن نعامة كما في مسلم وفروة بفتح الفاء واسكان الراء ونعامة بضم النون وبالفاء المعجمة وبالمثلثة الجذامي بضم الجيم وبالذال المعجمة وفي رواية ابن اسحق بن نعامة بالعين والميم والمعروف الاول وقال بعضهم ركب صلى الله تعالى عليه وسلم في حنين بغلة تسمى دلدل وكذا قال النووي في شرح مسلم والمعروف الاول ودلدل اهداها له المقوقس وكبرت ونقب الى زمن معاوية رضي الله تعالى عنه ويقال انه وهبها صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله تعالى عنه وكان له صلى الله عليه ولم يسب بغلات اوخمس كما ذكره الحفاظ وذكروا من اهداها له (وابو سفيان) بن الحارث بن عبد المطلب هو ابن عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه المغيرة او اسمه كنيته وكان اخاه من الرضاع وآلف الناس به قبل النبوة وكان يشبهه صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا وكان شاعرا مطبوعا فلما ظهر الاسلام اظهر العداوة وهجا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجابه حسان رضي الله تعالى عنه بما هو مذكور في السير ثم اسلم وحسن اسلامه وابلى بلاء حسنا يوم حنين وتوفي سنة عشرين وصلى عليه عمر رضي الله تعالى عنه وهو احد من ثبت يوم حنين وهم عشرة او اكثر كما فصله اصحاب السير (آخذ بلجامها) اي ممسك عنان بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم والعباس رضي الله تعالى عنه من الجانب الآخر فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لابي سفيان وقال له من انت قال اخوك ابو سفيان بن الحارث فداك ابي وامي فقال نعم اخي ناولني حصا من الارض فناوله ورمى به فاصاب اعينهم كلهم وانهزموا وانما امسكا باللجام لئلا يسرع للاتصال بالعدو لما رأياه من اقدامه صلى الله تعالى عليه وسلم ومسارعته فامسكاها عنه بمقتضى المحبة الاسلامية والرحم وان علما عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وحماية الله تعالى له (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب) هذه الرواية المشهورة بسكون الباء للوقف ويروى بتحريك الباء فيهما وروي بلا كذب وعلى هاتين الروايتين لا اشكال وعلى الرواية المشهورة اشكال مشهور وهو انه يكون موزونا من بحر ويجز الرجز والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصدر منه الشعر لقوله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) فكيف يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ونحوه كقوله

هل انت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله مالقيت

ووقع مثله في كتاب الله تعالى واجيب عنه بان الرجز ليس من الشعر كما ذهب اليه بعضهم استدلالا بهذا وبان العرب تسمى قائله راجزا لا شاعرا وبان المراد بالشعر المنفي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكون ينظم انواعه فيكون سجيته وما وقع نادرا

(لا يعد)

لا يعد قائله شاعرا ونظيره ما قاله الباقلاني في كتاب الاعجاز ان القرآن يقع فيه ذلك
حتى يكون جامعا لانواع الكلام وبمثله لا يكون القرآن شعرا كالبيت او المصراع
اذا وقع في اثناء رسالة او خطبة والجواب المشهور ان الشعر هو الكلام الموزون
المقفى بالقصد وما وقع في الحديث كهذا وفي القرآن كقوله ﴿ يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره ﴾ لم يقصد وزنه فلا يسمى شعرا وهذا في الحديث الصحيح
واما في القرآن فلا لانا اذا سلمنا وقوعه فيه لا بد ان يكون بالقصد والارادة لانه
لا يمكن ان يقع شيء في الخارج بغير ارادته وقد ذكرت هذا لبعض مشايخي فاستحسنه
ثم رأيته في بعض شروح المفتاح وقد اخذناه في كتابنا طراز المجالس وكان ابن
قدامة في كتاب التكملة لحظ هذا فذهب الى انه ليس في القرآن موزون لانا لا نجوز
ان نقرأه على هذه الطريقة بل نصل الكلام ولا نقف على ما يشبه العروض والضرب
وحينئذ لا يكون موزونا وهو كلام حسن وقوله لا كذب اذا حرك يلزمه الوقف
على متحرك وهو لحن لا يصدر عمن هو افصح الناس وفيه نظر وفيه الكذب عنه لانه
صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم عنه مطلقا او معناه لا كذب في الظفر والنصر وما وعدني
الله تعالى اولا اكذب في دعوى النبوة لظهور آياته ووضوح برهان معجزاته
والمقصود تثبيتهم حتى لا يفر احد منهم وقوله زاد غيره ان كان الضمير راجعا للبخاري
اقتضى صنيعه ان هذه الزيادة لم ترد في البخاري مع انها ثابتة في محلين من كتاب الجهاد
وكان ينبغي له اسقاط قوله وزاد غيره ان رجع لغيره ممن سمع البراء فالامر واضح
وقوله انا ابن عبد المطلب كما يقول المحارب انا فلان اشارة الى شجاعته وصولته وانما
انتسب صلى الله تعالى عليه وسلم لجده دون ابيه لاشتهاره بذلك لان اباه مات شابا
في حياة جده وهو طفل فكفله فكانوا يقولون له ابن عبد المطلب لعلو مقامه وكونه
سيد اهل مكة او خصه بالذكر وقد اشتهروا عنه بشارته بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم
وازالة للشك فيها لما عرف من رؤياه المبشرة لذلك كما انبأ بذلك الاحبار والكهان
فكأنه يقول انا ذلك الموعود به فلا بد مما وعدت به لئلا يفروا ويظنوا انه مقتول
او مغلوب وكان عبد المطلب رأى في منامه ان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها
طرف في السماء وطرف في الارض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كأنها
شجرة على كل ورقة منها نور فاذا اهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها
فعبرت بمولود له من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض
فلذلك سماه محمدا كما قاله حين قيل له لم سميته بهذا وليس لاحد من آبائك ولا قومك
مثله فقال رجوت ان يحمده اهل الارض وقيل ان امه لما حملت به قيل لها انك حملت
بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا وقوله انا النبي الى آخره ليس من الافتخار
المنهي عنه لانه جائز في الجهاد لارهاب العدو وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ينصر

بالرعب كامن وهذا جار على عادتهم كقوله

اقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني انا ذلكا

(فما رؤي يومئذ احد كان اشد منه) صلى الله تعالى عليه وسلم اي لم ير في حرب
هوازن اقوى واشجع من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ركب بغلته وقد ظاهر
عليه درعا ومغفرا وطاف على الصفوف يحضهم على القتال ويبشرهم بالفتح ان صدقوا
وصبروا وكانوا نزلوا للقتال في كتائب لم ير المسلمون مثلها عدة وعددا وحملوا حملة
واحدة وكانوا ارمى الناس بالسهام واعرفهم بالقتال فانهزم الناس والنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ثابت ينصب ثبة ونسرة لمن ورثهم وهو يقول يا انصار الله وانصار
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عبد الله ورسوله ثم تقدم بحربته امام الناس فلم نمض قليل
حتى هزمهم الله وانما قال المصنف رحمه الله قيل لان هذه اللفظة لم يثبت عنده بطريق صحيح
واما كونه صلى الله تعالى عليه وسلم اشد من حضر تلك الوقعة واشجعهم فهو مما لا شبهة فيه
ولا يمكن احدا انكاره (وقال غيره) اي غير المحاربي الذي الحديث السابق من روايته
لكنه لم يذكره انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نزل عن بغلته) فانه في رواية مسلم رواه
سلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنه قال لما غشوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل بها وجوههم وقال شاهت
الوجوه فلم يبق احد منهم حتى امتلأت عيناه من تلك القبضة ترابا وهزمهم الله ولا شك
ان النزول في وقت الحرب نهاية من الشجاعة بالانحياز ونسبه العرب نزالا (٢) فلما التقى
المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين) هذه حال مؤكدة وهي قد تكون
موافقة لعاملها معنى كهذه الآية ولى مدبرا وقد تكون موافقة له لفظا كقوله *
اصبح مصحفا لمن اهتدى بصحبه * والاول اقوى لما فيه من ترك التكرار بحسب
الظاهر وفي قوله ولى المسلمون ان اريد جميعهم مجاز بحمل الاكثر منزلة الجمع
والا فلا تجوز خلافا لمن ظنه وقد ثبت جماعة من المسلمين اختلف في عددهم كما
فصل في السير وكتب الحديث (وذكر مسلم) في صحيحه رواية (عن العباس)
رضي الله تعالى عنه عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال فلما التقى المسلمون
والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي
جعل وشرع في فعل ذلك (يركض بغلته نحو الكفار) اي يسوقها ويسرع بها
والركض الضرب بالرجل فمتى نسب الى الراكب فهو اعداء مركوبه نحو ركضت
الفرس ومتى نسب الى الماشي فوطء الارض نحو قوله (اركض برجلك) ونحوه صوب
على الطريقة اي في جهتهم (وانا آخذ بلجامها) اي ممسكه (اكفها) اي امنعها
من السرعة (ارادة ان لا تسرع) اي لاجل ارادة ان لا تسرع نحو العدو فتهجم به
(وابو سفيان) بن الحارث ابن عمه (آخذ بركابه) هذه رواية وفي اخرى ان اباسفيان

(٢) هذه الجملة ليست موجودة في غير شرح الشهاب قاله مصححه «طاهر المسوى»

(كان)

كان يقود بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم آخذ بلجامها من احد جانبيها فلعله تارة كان يفعل كذا وتارة كان يفعل كذا فلا تعارض بين الروايات (ثم نادى) اى العباس رضى الله تعالى عنه وكان جهورى الصوت (يا للمسلمين) بفتح اللام الاولى لدخولها على المستغاث به فان دخلت على المستغاث له كسرت نحو يا لله للمسلمين وكان نداؤه رضى الله تعالى عنه بامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال له ياعباس ناد اصحاب السمرة فناداهم فعطفوا وقاتلوا حتى هزم الله اعداء الدين وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الآن حمى الوطيس وهذا الحديث نقله المصنف رحمه الله تعالى عن مسلم بالمعنى اذ ليس فيه نداء العباس وخص العباس رضى الله تعالى عنه بذلك لانه كان صيتا يسمع صوته من ثمانية اميال واصحاب السمرة هم اصحاب الشجرة وانما خصهم بالنداء لانهم لما بايعوه تحتها بايعوه على الموت وان لا يفروا فذكرهم بذلك وفى خصائص الخضرى كان يجب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مصابرة العدو وان كثروا والامة انما يلزمهم الثبات اذا لم يزد عدد الكفار على الضعف كذا قالوه من غير دليل لكن ذكر الماوردى ان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه اذا بارز رجلا لم ينكف عنه وانه لا يفر من الزحف وخوفه من القتل غير جائز لان الله عصمه انتهى (وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شئ) اى لمهابته كل احد له صلى الله تعالى عليه وسلم وخوفه منه لا يتحرك عنده وقال شئ دون احد مبالغة فان العاقل وغيره سواء فى ذلك فى هذا اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان تعتريه الغضب والحدة احيانا ولكن ذلك غيره على حدود الله لا لنفسه ومناسبة هذا لما نحن بصدده من ذكر الشجاعة ان الغضب بمعنى للبطش والاقدام وهو من معظمها وهذا بعض من حديث صحيح فى شمائل الترمذى (وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) من حديث صحيح رواه الدارمى مسندا (ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود) تقدم الفرق بين الشجاعة والنجدة فليس عطفه عليه عطف تفسيرى كما وهم وفى الافضل ههنا بعد فى المساوى بطريق الكناية كما تقول ما فى البلد اعلم من زيد كما تقدم تحقيقه (ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى اكثر رضى منه لانه صلى الله عليه وسلم كان يرضى بكل شئ من ملبوس ومأكول وغيره ويحتمل ان المراد بالرضى عدم الغضب اى كان اكثر حاله عدم الغضب لان الرضى يكون مقابلا للسخط ويكون بمعنى الارادة وعدم الكره وبكل منهما فسر الرضى اذا كان صفة لله وعلى ذلك مبنى اختلاف الاشاعرة والماتريدية فى رضى الله للكفر فى قوله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) والظاهر ان هذا مراد المصنف لانه المناسب لما قبله وهذا الحديث رواه احمد والنسائى والطبرانى والبيهقى وقيل عطفه اجود

على الجد لما بينهما من المناسبة فان الجواد لايخاف الفقر والشجاع لايخاف الموت كقوله

ان الذي جمع السماحة والنجدة والبر والتقى جمعا

ولان الاول بذل النفس والثاني بذل المال والجود بالنفس اقصى غاية الجود (وقال علي رضي الله تعالى عنه انا كنا اذا حمي البأس) بالموحدة وهمزة او الف وهو الشدة والمراد به الخوف او الحرب وحمي بمعنى علم او وقد فيه استعارة مصرحة او مكنية اي اشتد القتال وهذا المعنى ما وقع في الرواية الاخرى حمي الوطيس فان الوطيس التنور كاس وذلك ابلغ معنى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله في غزوة اوطاس على ما تقدم مع الكلام عليه فالامر بذلك (ويروى اذا اشتد البأس) وهذه الرواية مفسرة للاولى (واحمرت الحدق) جمع حدقة وهي ما يحت الاجفان واحمرارها يكون عند الغضب لان الدم يهيج فيه وفي الحديث الغضب جمرة سوقد في قلب ابن آدم اما ترى انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه وفسر بشدة الغضب وهو غير مناسب هنا وان كان كل عدو غضبان على عدوه ولذا فسره بكثرة الموت والظاهر انه كناية عن زيادة هيجانها لانه يقال اسعلت واوقدت ومن قرب من النار ولازمها تحمر عينيه فالمعنى اشتد القتال ودام مدة (اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي جعلناه وقاية لنا من العدو بان يتقدم علينا فيدفع العدو ويحن خلفه كما يدل له قوله (فما يكون احد اقرب الى العدو منه) ولذا امسكوا بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين كما مر ولم يكن عليهم وقد صارت هذه سنة في الملوك وقت القتال حتى ان آل عثمان يقدمون فرسه (ولقد رأيتني) بضم التاء وهذا من خصائص افعال القلوب وما الحق بها من رأى البصرية والحلمية ان يكون فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين لشيء واحد ورأى هنا بصرية كما في قوله

ولقد اراني للرماح دريئة * من عن يميني تارة وامامي

وقد اختلف في تعليل هذا كما فصل في كتب النحو وكان الظاهر لقوله بعده (يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ان يقول رأيتنا وكأنه عدل عنه اشارة الى ان كل احد مشغول بنفسه لايرى غيره ومعنى نلوذ نستتر ونلتجئ اليه قال عز وجل (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) (وهو اقربنا الى العدو) فالمقصود شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد بالعدو الكفار (وكان من اشد الناس يومئذ بأسا) اي نكاية في العدو كقوله تعالى (والله اشد بأسا واشد تنكيلا) كما قاله الراغب وهذا الحديث اخرجه احمد والنسائي والطبراني والبيهقي في الدلائل من طرق عنه واخرج مسلم بعضه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه كما قاله السيوطي في مناهل الصفا (وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دنا العدو) اي قرب من المسلمين وقت المقاتلة (لقربه) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (منه)

اي العدو وهذا من كلام البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه الذي رواه مسلم في صحيحه
ولذا قيل ان قول المصنف رحمه الله قيل ليس في محله لايهامه ضعفه (وعن انس
رضي الله عنه) هذا حديث صحيح اتفق عليه الشيخان (كان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم احسن الناس) كلهم خلقا وخلقا (واجود الناس) اي اكثرهم عطاء
واحسانا (واشجع الناس) افعل تفضيل ولا وجه لما قيل انه للتعجب ثم ذكر ما يدل
على شدة شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (لقد فزع اهل المدينة) اللام
في جواب قسم مقدر والمدينة مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم علم لها
بالغلبة والفزع انقباض ونفار يعتري المرء مما يخاف وهو من جنس الجزع ولذا يقال
خفت الله ولا يقال فزعت من الله كذا قاله الراغب قال تعالى (لا يحزنهم الفزع
الاكبر) اي من دخول النار ويكون الفزع بمعنى الاستغاثة قال * كنا اذا ما اتانا صارخ
فزع (ليلة) منصوب على الظرفية اي في ليلة (فانطلق ناس) اي خرجوا من المدينة
(قبل) بكسر القاف وفتح الباء بمعنى الجانب والجهة ظرف اي نحوه يقال ذهب
قبل السوق قال الله تعالى (فما للذين كفروا قبلك مهطعين) ويكون بمعنى عند
يقال لي قبله حق ويستعار للوسع والطاقة نحو (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها)
(الصوت) اي الذي سمعوه وخرجوا ليعرفوا خبره لظنهم انه عدو غار على من هناك
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج قبلهم وحده لذلك فعرف ذلك ورجع
(فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) حال كونه (راجعا) من جانب سمع الصوت
فيه (قد سبقهم الى الصوت) اي المكان الذي سمع الصوت من جهته (وقد استبرأ الخبر)
بمهملة وبعدها فوقية وموحدة وهمزة وقد تبدل الفا اي وقف صلى الله عليه وسلم
على حقيقته وفي الاساس استبرأت الشيء طلبت آخره لاقطع الشبهة عني واستبرأ
الارض قطعها انتهى حال كونه راكبا (على فرس لابي طلحة) زيد بن سهل بن
الاسود بن حرام الانصاري الصحابي وكان ذلك الفرس يسمى المندوب اي المطلوب
او لانه كان فيه ندب اي اثر جرح (عري) بضم العين وسكون الراء المهملتين مجرور
صفة فرس ويقال في الآدمي عريانا اذا لم يكن له لباس ولغيره عري وقيل انه عري
بضم العين وكسر الراء وتشديد الياء التحتية بمعنى عري وليس في اللغة ما يساعده
اي ليس على ظهره شيء من سرج او غيره قال في المغرب فرس عري لا سرج عليه
ولا لبد وجمعها عري لا يقال فرس عريانا كما لا يقال رجل عري واعرورى الدابة
ركبها عريانا ومنه كان عليه الصلوة والسلام يركب الحمار معروريا وهو حال من ضمير
الفاعل المستكن ولو كان من المفعول لقيل معرورى (والسيف في عنقه) اي حمائله
معلقة في عنقه الشريف فلذا نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم * واعلم ان هذا هو
السنة في حمل السيف كما قاله ابن الجوزي لا شده في وسطه كما هو المعروف الآن
(وهو يقول) اي لمن معه من اهل الفزع (لن تراعوا) لن هنا بمعنى لم وفي الروع بفتح الراء

بمعنى الخوف والمراد بى سنه اى ليس هناك شىء تخافونه واستدل بهذا الحديث على طهارة عرق الخيل وهذا حديث صحيح فى الصحيحين (وقال عمران بن حصين) بكسر العين المهملة وسكون الميم وراء مهملة وحصين بمهملتين كتصغير حصن وهو صحابى خزاعى كان من فقهاء الصحابة وفضلائهم رضى الله تعالى عنه (ما لقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة) بفتح الكاف وكسر التاء المثناة فوقية والمثناه التحتية وباء موحدة هى الجيش المجتمع وقيل جماعة الخيل المغيرة من تكتبوا بمعنى تجمعوا ومنه الكتاب لجمعه الحروف (الا كان اول من يضرب) بسيفه ويقاتل وهو من قصر الصفة على الموصوف وهذا الحديث رواه ابو الشيخ فى الاخلاق وفيه راو مجهول (ولما رآه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ابى بن خلف يوم احد) هو ابى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح الكافر المشهور الذى طعنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحربته فى وقعة احد فوقع عن فرسه ولم يخرج منه دم وكسر ضلعه كما يأتى فهلك عدو الله وقول المزى فى تهذيبه انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بانه يقتل ابى بن خلف فحبسه يوم بدر اواحد فماب ذكره بالتردد بين بدر واحد لاوجه له ويوم احد طرف لرؤيته (وهو يقول) حال من ابى (اين محمد) سؤال عن المكان *فان قلت كيف يسئل عن مكانه وهو قال انه رآه*قلت ان السؤال ليس على حقيقته بل مجاز عن تمكنه منه وظفره به اواظهر ان يذهب محمد او الطرف مقدر ووقع جميع ذلك فيه فهو فى وقت واحد وان تقدم واخر (لانجوت ان نجا) دعا على نفسه بالهلاك ان نجاه الله تعالى حذيه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اجاب الله دعاءه فاهلكه ونجا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والفال موكل بالمنطق (وقد كان) ابى (يقول للنبى صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر) قيل يوم بدل من حين وافتدى مبنى للفاعل ومفعوله محذوف اى افتدى اسيراله وهو ابنه عبد الله والافتداء اعطاء الفدية لا فكاك الاسير فالمراد بحين الافتداء يوم بدر تمامه لاالزمان الضيق الذى وقع الافتداء يوم بدر فيه لان الظاهر انه لم يقل وعيده له صلى الله تعالى عليه وسلم الآتى الا قبل ان يفتدى لا حين الافتداء وقيل يوم بدر طرف لمحذوف يدل عليه افتدى اى افتدى اسيره يوم بدر فهو متعلق باسيره اى من اسر يوم بدر وهو ابنه ولا يستقيم كونه بدلا من حين لان الافتداء وقع بعد وقعة بدر بالمدينة وانى قال ما قال حين افتدى لا بعده وكأن من قال ان ذلك وقع قبل ان يفتدى ظن ان الكفار لم يكونوا يدخلون المدينة بالامان فالاسر وقع ببدر والافتداء بالمدينة فلاينافى الفداء وأمل (عندى فرس اعلفها) الفرس تقع على الذكر والانثى واسمها لانها كانت اى وقد ورد فى الحديث بذكرها وتانيثها حسب المراد والفراش وقال القسطلانى اعلفها هو الصواب وفى التيسير اعلفه بضمير المذكر واصل الفرس الانثى وقد يقال للانثى فرسة وهو كلام مشوش والذى فى الصحاح

انه يقع على الذكر والانثى ويصغر على فريس وان اردت الانثى خاصة لم تقل الا فريسة بالهاء عن ابى بكر بن السراج انتهى فلا وجه لقوله الصواب واسم فرسه العود بوزن الضرب وعينه وداله مهملتان والعلف مأكول الحيوان (كل يوم فرقا) بفتح الفاء والراء المهملة ويجوز تسكينها وقيل لا يجوز وهو مكيال يسع ستة عشر رطلا وبحركة وتسكينه بمعنى وقيل المسكن مائة وعشرون رطلا والمحرك ستة عشر رطلا (من ذرة) بيان للفرق بضم الذال المعجمة وفتح الراء المهملة المخففة وهاء نوع من الحبوب معروف وقيل ان عروة اخذ كلاب فى سؤال سنة ثلاث وقيل الظاهر ان المراد هنا الفرق بالتحريك لان الفرس لا تعلف ذلك المقدار كما لا يخفى (اقتلك عليها) صفة بعد صفة اوهى حالية مستأنفة فى جواب سؤال مقدر وقيل انها حال وهو بعيد وان صح ان يكون حالا منتظرة (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله) تحقق ما اوعده وكان انما سلف فرسه لشؤمه لهلاكه سريعا كالحافر بظلفه على حتفه ولكل باغ مصرع (فلما رآه) اى رأى ابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم احد) اليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الزمان او المراد به الواقعة على حد قولهم ايام العرب (شدأبى) من حاف السقى اى عدا واسرع قال الراغب يقال شد فلان واشتد اذا اسرع ويجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح واصله معنى الشد القوة (على فرسه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الجاران متعلقان بشد وان كان لا يجوز تعلق حرفى جر بمعنى بعامل واحد اما لانه بعد التقييد والمعدوبانه على فرسه لا على رجليه ثم قيد به بعد تقييده بالاول فصار المطلق معنى لان الاول تقييد به وهو مطلق والثانى تعلق بالمقيد كما حققه صاحب الكشاف فى قوله تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) اوالاول مستقر حال اى راكبا على فرسه والثانى لغو وشد جواب لما الثانية دالا على جواب الاولى (فاعترضه رجال من المسلمين) اى حالوا بينه وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليدفعوه ويصدوه عنه او قصدوا نحوه وجهه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا) اى تنحوا ولا تحولوا وتعرضوا بينى وبينه فهكذا هنا اسم فعل امر بمعنى اتركوا سبيله قال السهيلى رحمه الله تعالى فلا يتعمل فيه ما قبله كما اذا قلت جلس هكذا اى على هذه الحالة او تقدر له عامل تقديره ارجعوا هكذا اسم فعل اغنى عنه وقام هكذا مقامه واصله مركب من هاء التنبيه وكاف التشبيه وذا اسم اشارة والى كونه انسلخ عن معناه اشار بقوله (اى خلوا طريقه) اى اجعلوها خالية من حائل بينى وبينه (وتناول) اى اخذ صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (الحربة) بوزن الضربة وهى واحدة الحراب بوزن رجال وهى قناة صغيرة سميت بها لانها من آلات الحرب وقيل

ان هذه الحربة كانت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان لا يرى مشاركة في جهاده وسفره في سبيل الله ولهذا اشترى من ابي بكر رضي الله تعالى عنه راحلته التي هاجر بها والاظهر انها كانت للحارث وربما استعان بعض من اصحابه كما اشار اليه بقوله (من الحارث بن الصمة) بكسر الصاد المهملة وفتح الميم المشددة وهاء تأنيث ومعناه الشجاع المصمم في اموره ثم نقل علما وهو اعني الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك الانصاري الصحابي شهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدرا وغيرها من المشاهد وقيل ستر معونة وذكر ابن الاثير ان الذي ناول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحربة كعب بن مالك ومن الرواة من خالفه وجمع بينهما بانه ناولها من احدهما فسقطت منه فناولها له الآخر اوان احدهما وهو الذي منه الحربة كان بعيدا منه فناولها آخر قريبا منه فسلمها له بيده ولابد من التوفيق فان الروايات صحيحة ان والقصة واحدة (فانتفض بها انتفاضة) اصل معنى النفض بالنون والفاء والضاد المعجمة ازالة الغبار ونحوه عن ثوب او شجر قال ابو ذؤيب

نفض نهدة ونفود عنه * وما نفض الثمام والعكوف

ويقال نفض وانتفض اذا اهتز ونفض الصبح اذا ارتفع في غيره وذكر نصيب عن ناقته فقال * نفضت عنها من لوب * وقال في اول قصيده

نفضت على صاعها امام * نفض الناس بها قال قام

وهو هنا استعارة اي قام بها قومة سريعة وضمير بها للحربة وماقيل انه مستعار من انتفاض الطائر قال * كما انتفض العصفور بلله القطر * غير مناسب هنا الا ان يقال ان الهاء للمدينة والمعنى انه هزها وقيل معناه تحرك وحركها والا بلغ الاحسن ان يقال انه استعارة تمثيلية بتلزمها تشبيههم بانهم كالذباب المؤذي الواقع المهاجم وقد هجوهم عليه وتشبيه نهوضه لهم بفحل اهتز ازيل ذبابا وفرع عليه لقوله (فتطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض) وتطايروا بمعنى تفرقوا فارين بسرعة كالطيور والشعراء بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وراء مهملة بعدها همزة ممدودة ذبابة لها ابرة وفي نسخة البرهان بفتح العين الا انه لم يثبت وقال القاضي الشعر جمع شعراء وهي ذباب صغار حمر تؤذي الدواب وقيل زرق وقيل كثيرة الشعر وفي رواية تطاير الشعارير وهي جمع بمعنى الشعر وقيل واحده شعروي وقيل هي ذباب يجتمع على دبر البعير وفي الروض الانف الشعراء ذباب صغير له لدغ وفي المثل قيل للذئب ماتقول في غنمه يحرسها جويرية قال شجى في ظهري قيل فما تقول في غنمة يحرسها غلام قال شعراء في اذني اخشى حطوانه وهي شيهانه بلغ العلمان بها الرمي وروي فرجل بالحربة اي رمى بها انتهى وقيل روايته الشعراء اثبت لان الواحد لاتطاير * اقول هذه رده القيل والقال وما انكر من فتح العين لاوجه له

فان تحريك حرف الحلق لغة قال بعض النحاة انها تطرد فيقولون في نحر وشعر
نحر وشعر والشعراء ليس مفردا بل اسم جمع كالظرفاء فلا وجه لما قيل ان الانسب
الشعر وقول بعضهم الشعراء جمع شعر كأنه تحريف واعلم ان نفرا تطايروا
للكفار الذين كانوا هجموا مع ابي وقيل انه للصحابة رضي الله تعالى عنهم
وتطايرهم عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بأمره ليكشفوا له عن ابي ولا يخفى انه
لا يناسب هذا توجيه تشبيههم بالشعراء ولا تطايرهم كما لا يخفى (ثم استقبله)
اي قام الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومشى اليه بالحربة (فطعنه في عنقه طعنة
تدأدأ منها عن فرسه مرارا) تدأدأ بتاء فوقية ودالين مهملتين وهمزتين اي
تدحرج وسقط وقيل مال وضمير منها للطعنة ومثله تدهده وقيل الهاء بدل من الهمزة
وفي رواية تردى اي وقع (وقيل) لم يطعنه صلى الله تعالى عليه وسلم في عنقه
(بل كسر ضلعا من اضلاعه) بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام ويجوز تسكينها
مع كسر الضاد وفتحها عظم معروف وقال الاخفش في الجانب الايمن تسع اضلاع
وفي الايسر ثمان وما نقص منه تام في النساء وهو الذي خلقت منه حواء ولذا روي
عن ابي حنيفة في الخنثى المشكل انه يحكم فيه بانه انثى بتمام اضلاعه وعكسه وقال
التلمساني رواية طعنه اقوى لان المعروف الطعن بالرمح وفيه نظر وقيل انه صلى الله
تعالى عليه وسلم طعنه فوقع عن فرسه فكسر ضلعه وفيه جمع بين الروايتين
وهو حسن (فرجع) ابي (الى قريش) وهو (يقول قتلني محمد) جملة يقول حالية
اي قائلا وعبر بالماضي لتحققه الموت (وهم يقولون لا بأس بك) البأس بهمزة ساكنة
وتبدل الفا كالراس وهو اسم لا مبني على الفتح والبأس الشدة والموت والالم وهذا
هو المناسب ويقال لا بأس عليك ولا بأس بك للتسلية او الدعاء له بان لا يصيبه شيء
من البأس وفي نسخة عليك بدل بك وهما بمعنى (فقال لو كان ما بي) من الالم والشدة
التي اجدها في نفسي موزعا وحالا (بجميع الناس لقتلهم) فكيف احتمل انا وحدي
هذا واسلم منه (أليس قد قال) صلى الله تعالى عليه وسلم حين توعده (انا اقتلك)
قيل اصله اقتلك انا فقدم المسند اليه للحصر اي انا لا غيري اقتلك وحدي لا يشاركني
احد ولا يساعدني في قتلك الا الله حتى قيل ان قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى) نزلت فالقصر قصر افراد والظاهر انه قصر قلب فهو المناسب للرد
عليه اي انا اقتلك لا انت فتدبر (والله لو بصق علي لقتلني) البصق رمي ماء الفم
ويقال بالصاد والسين والزاي وانما قال ذلك لتحقق صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما قاله
(فمات) الملعون من تلك الطعنة (بسرف) بسين مهملة مفتوحة وراء مهملة مكسورة
وفاء اسم موضع وقيل اسم جبل قريب من مكة على ستة اميال او سبعة او تسعة او اثني
عشر على اختلاف فيه واسم مكان موته مناسب له لانه كان مسرفا على نفسه كما قيل

احتبر الارض باسمائها * واحتبر الصاحب بالصاحب

(فى قولهم) اى الكفار (الى مكه) اى مات وقد رجعوا من احد الى مكه والعقول معناه الرجوع وسميتهم العاقله عاقلة معاً ولا رجوعها كما سمى الملدوغ سليما فانكار الحريرى وتخطئته لا وجه له وهذا الحديث صحيح رواه البيهقى فى الدلائل عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب مرسلا وعبد الرزاق فى مصنفه والواقدى فى مغازيه وابن سعد فى طبقاته وقيل انه قال هذه المقالة بمكة لما خلص اسمه من الاسر ورجع به وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يقول انه مات بطن رابغ وان اسيرا من المسلمين مر وهو اسير برابغ فرأى بعد هدؤ من الليل نارا فهابها فلما دنا منها خرج رجل فى سلسلة يصيح العطش ومعه رجل يقول لا تسقه فانه ابى بن خلف قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت سجماله ﴿ فصل واما الحياء والاغضاء ﴾ الحياء ممدود وهو فى اللغة ضد الوقاحة وفعله استحيى يستحيى سائر ويحذف احداها تخفيفا والاغضاء اصل معناه ارخاء الجفون قريبا من الانطباق وهما متقاربان لغة وعرفا ويدل عليه قول الفرزدق

يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم

(فالحياء رقه) الرقه ضد الغلظ ورقه القلب ان لا يكون فيه قسوة وجفاء قال الراغب الرقه كالدقه لكن الدقه يقال اعتبارا بمراعاة جوانب الشئ والرقه باعتبار عمقه وهى فى الجسم ضد الصفاقه وفى النفس تضاد الجفوه والقسوه (تعترى) اى تعرض وتحدث (وجه الانسان) وتكون فيه مايدل عليه كحمرته عند الخجل (عند فعل مايتوقع كراهته) لم يقل مايكره لان من يراه قد لا يكرهه فالمراد ما من شانه ان يكره (او ما يكون تركه خيرا من فعله) وان لم يكره وقال الراغب الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركها وفى الحديث (ان الله يستحيى من ذى الشيبة المسلم ان يعذبه) وليس المراد به انقباض النفس اذ هو الله سبحانه وتعالى عنه وانما المراد به ترك تعذيبه وقال النووى هو خلق يبعث على اجتناب القبيح ومن التقصير فى الحقوق وقال الزمخشرى هو تغير وانكسار يلحق من فعل او ترك مايذم به وله تفصيل فى تفسير البيضاوى كما بينه فى حواشيه فانظره (والاغضاء) فى عرف اللغة (التغافل) اى اظهار الغفلة عن الذنب فيه والمراد التجاوز (عما يكرهه الانسان بطبيعته) وان لم يكره شرعا (وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات) جمع عورة وهى كل مايقبح اظهاره ولذا كنى عن سوأة الانسان وعن المرأة بالعورة وهى مأخوذة من العار (اغضاء) اى سكوتا وتجاوزا والاغضاء يتعدى بعن وعلى وعبر فى جانب الحياء بالاشدية وفى الاغضاء بالاكثرية لان الحياء كيفية نفسانية يناسبها كمية جيدة تقبل الشدة والضعف والاغضاء فعل من الافعال تكثر ولا يقال كيفيته من حيث هو وقيل لان الاغضاء نوع احتمال وحلم وعفو عمن وقع فى مكروه وهو مسبب عن الحياء والادب

اقوى باعتبار انه منشأ للمسبب عنه وفيه نظر ثم استدل على ان هذه الصفة الحميدة موجودة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (قال الله سبحانه وتعالى ان ذلكم) اى مكثهم فى بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مستأنسين لحديث بعضهم لبعض (كان يؤذى النبى فيستحيى منكم الآية) والله لا يستحيى من الحق وكان صلى الله تعالى عليه وسلم حين بنى بزينب بنت جحش واولم بشاة وخبز وسويق وامر انسا بدعوة الصحابة لذلك فدعاهم فجعلوا يجيئون ويأكلون ويخرجون ويجيء آخرون الى ان بقى ثلاثة نفر فاطالوا المكث يتحدثون فتأذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وكان شديد الحياء فنزلت الآية فى حقهم اى ان ذلكم اللبث كان يؤذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لضيق منزله فيستحيى منكم ان يأمركم بالخروج منه وهذا من الآداب الشرعية فيستحب لمن زار احدا ولو بدعوة ان يطهر القيام للذهاب ثم يذهب ما لم يقل له امكث عندى وقد قال السلف رحمهم الله تعالى من زار وخفف وقيل لبعضهم هل نزل فى الثقلاء قرآن فقال نعم فاذا طعمتم فانتشروا ولله وطى تأليف لطيف فى هذا (حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتى عليه) تقدمت ترجمته وفيه روايته عنه بقراءته عليه وهو يسمع وهو العرض والصحيح صحة ذلك الا انه اختلف فى كونها دون قراءة الشيخ او مثلها اوفوقها على ثلاثة اقوال وتفصيله فى ابن الصلاح قال (حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) بن عبد الرحمن بن حاتم المعروف بابن الطرابلسى وتكنيته بابى القاسم غير مكروهة لاختصاصه بحياته صلى الله تعالى عليه وسلم اولانه انما كره الجمع بين الاسم والكنية والخلاف فيه مشهور كما سيأتى قال (حدثنا ابو الحسن القابسى) ابن محمد بن خلف الامام الحافظ منسوب لقابس بلدة بالمغرب وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو زيد المروزى) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الواو والزاى تقدم الكلام فيه وفى نسبته قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربرى وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو البخارى وقد روى هذا الحديث مسندا فى صفته صلى الله عليه وسلم وكذا اخرجه مسلم فى فضائله قال (حدثنا عبدان) بفتح العين المهملة وسكون الموحدة والدال المهملة والف ونون وهو عبد الله بن عثمان بن جبلة بن ابى رواد العتكى المروزى ابو عبد الرحمن الحافظ توفى سنة احدى وعشرين ومائتين وخرج له اصحاب الكتب الستة قال (انبأنا عبد الله) بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى الزاهد شيخ خراسان ومسندها له مناقب مشهورة وروى عنه اصحاب الكتب الستة وغيرهم وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة وولد سنة ثمانية عشر ومائة وغيره بهيت برا رقال (اخبرنا شعبة) تقدمت ترجمته (عن قتادة) تقدم ايضا (قال سمعت عبد الله مولى انس) هو ابن ابى عتبة مولى انس رضى الله تعالى عنه وقيل اسمه

عبدالله مصغرا وذكره ابن حبان في الثقات مكبرا وهو روى عن انس وعائشة رضي الله تعالى عنهما وروى عنه كثير واخرج له اصحاب الكتب الستة وهو بصري صدوق ثقة (يحدث عن ابي سعيد الخدري) ابن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم الكلام عليه وان الخدري بدال مهملة (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها) وهذا الحديث صحيح اخرجه الشيخان والترمذي وابن ماجه والمصنف اخرجه من طريق البخاري والحياء ممدود تقدم معناه وبالقصر المطر وهو منصوب على التمييز المحول عن الفاعل والعذراء بعين مهملة وذال معجمة وراء مهملة ومد البكر لان عذرتها باقية وهي جلدة البكارة سميت بها الفرج فاذا خوطبت زالت فقال افتضها وازال عذرتها ومنه يقال لمن فعل مالم يسبق اليه ابو عذره وابو عذرته والخدر بكسر الخاء المعجمة وسكون الدال وبالراء المهملة الستر يجعل للبكر في جانب البيت او ستر في جانب البيت او نحوه تصرف لها * فان البكر في حال ستريها من اهلها وابويها وهي لا تحتجب عنهم ولا تستحي منهم كاستحيائها من الاجانب فكان الظاهر ان يقال العذراء في غير خدرها لانه من المبالغة * فلعل المراد بكونها في خدرها انها لم تخرج لشيء وزوج ونحوه لانها اذا خرجت بذلك فلم تخل من زوال حيائها وقيل المراد التعميم وان العذراء في خدرها اشد حياء لكونها مظنة الاجتماع بها والظاهر ان المراد انه ما اذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون منفردة قاله ابن حجر ولا يخفى ما فيه فانه لادلالة في اللفظ على ما قاله فالحق ماسمعته اولا (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذا كره شيئا عرفناه في وجهه) اي عرفنا انه كرهه بعلامات تلوح في وجهه الشريف كتغيره وعبس بصره ونحوه والمراد انه اذا لم يكن في حدود الله تعالى وحقوقه فلا يواجه احدا بما يكره كما قال الصرصري

فاق العذارى في الخدور حياؤه * لا حد فيه لصاحب او ساني

(وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لطيف البشرة) تقدم معنى اللطف والبشرة بفتح الباء الموحدة والشين المعجمة والراء المهملة هي ظاهر جلد الوجه والجسد كله وفيه اشارة لظهور آثار الفرح بها في الوجه وهذا كالعلة لمعرفة ذلك في وجهه الشريف لانه صلى الله تعالى عليه وسلم للطف بشرته تظهر فيها ذلك وكذا قوله (رقيق الظاهر) اي ما يظهر من بدنه رقيق تظهر فيه بسرعة آثار الانفعالات النفسية ولا وجه لتفسيرها بانه لا يستحي كما قاله التلمساني (لا يشافه احدا) اي لا يكلم صلى الله تعالى عليه وسلم احدا ولا يواجهه (بما يكرهه حياء وكرم نفس) منصوب مفعول له اي ترك ذلك تكرما منه صلى الله تعالى عليه وسلم لا خوفا ومداراة (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) هذا حديث رواه ابو داود في سننه مسندا (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغه عن احد

مايكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا) البال هو الحال والشان وما استفهامية مبتدأ او خبر عن بال وجملة يقول حال اومفسرة للبال (ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا) اشارة وكناية عما يكره فلان عن الصانع او القائل وفلان وفلانة كناية عن اسماء الآدميين والفلان والفلانة كناية عن اسماء غيرهم (ينهى عنه ولا يسمى فاعله) بتصريح اسمه بل يكنى عنه وينهه عما انكره مأخوذ من الاستفهام الانكاري وسياق الكلام في قوله ما بال فلا يقال انه ليس في الكلام نهي (وروى انس رضي الله تعالى عنه) هذا الحديث رواه ابو داود والترمذي والنسائي قالوا (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دخل عليه رجل به اثر صفرة) الصفرة اللون المعروف والمراد بها لون الورس والزعفران يعني انه كان خضب بذلك فبقي عليه بقية منها ولم يسم هذا الرجل (لم يقل له شيئا) من نهيه عن ذلك ونحوه مما يكرهه كما اشار اليه بقوله (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يواجه احدا مما يكرهه) اي لا يخاطبه مشافها ويقول له في وجهه شيئا يكرهه وان قال له احيانا في غيبته (فلما خرج) ذلك الرجل من مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لو امرتم له يغسل هذا) اي اثر الصفرة والخضاب (او ينزعها) بفتح الزاء المعجمة يقال نزعه ينزعه كسأله يسأله اذا ازاله والضمير للصفرة والشك من الراوي وهما بمعنى ولو شرطية جوابها محذوف لذهب النفس كل مذهب وتقديره اصبتم ونحوه وقيل انها مصدرية اي وددت قولكم هذا وخضاب هذا الرجل ان كان في لحيته دل على منع خضاب اللحية بالحناء ونحوها ولا يعضده ما في البخاري عن قتادة رضي الله تعالى عنه انه قال سألت انسا هل خضب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا انما كان شيء في صدغيه اي شيء قليل من الشيب لا يحتاج للخضاب لانه لا يدل على تركه لانه نفى عنه شرعا بل لعدم الحاجة اليه وكذا ماروى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يخضب قط اي لعدم الحاجة اليه الا انه روى عن انس رضي الله تعالى عنه انه رأى شعر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مخضوبا يعني بعد موته كما نقله ابن الجوزي اما وقد اختلفت فيه الروايات وروى جماعة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخضب بالصفرة والورس والزعفران وكان عمر رضي الله تعالى عنه يفعله وجمع الكرماني بين الروايات بانه صح في وقت وتركه في معظم الاوقات فاخبر كل بما رأى وقد امر صلى الله تعالى عليه وسلم بالخضاب بالصفرة وحث عليه وفعله وتبعه على ذلك اكابر الصحابة فهو سنة من تركها فقد ترك سنة وانما ترك بعضهم لما فيه من الكلفة وهو احب للنساء وارهب للعدو وكذا الخضاب بالسواد وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الخضاب بالسواد وحمل على ما اذا كان فيه تدليس على النساء فما في هذا الحديث محمول على غير خضاب اللحية بان يخضب يديه ورجليه او يحمل الصفرة في ثوبه

فانه نهى عنه وفي فتاوى شيخ شيوخنا ابن حجر الهيثمي انه ان من غير حاجة كحرب
ونحوه حرام لما فيه من التشبه بالنساء وصنف فيه رسالة مستقلة وقوله صلى الله عليه
وسلم المتقدم نعله او شرعها فيه دليل على انه كان في ثوبه ولو لم نحمله على هذا اشكل
الحديث والسراج لم يذكر صوابه (وقالت عائشة في الصحيح) اي في الحديث الصحيح
المروي عنها كما اخرجه الترمذي وصححه (لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فاحشا ولا متفحشا) الفحش كل امر قبيح اوشديد القبح قولا اوفعلا والفاحش
من يصدر عنه ذلك والمتفحش من يتعمده ويبالغ فيه والظاهر ان المراد به نفاه
الله ان فيه اواشد فيه قوله (ولا صخابا بالاسواق) صخاب بفتح فتشديد صيغة مبالغة
من الصخب وهو رفع الصوت مبالغة فيه وهو بالصاد والسين وهكذا كلما كان
معه حرف حلق يجوز ابداله فاما بطردا وخص الاسواق لانه فيها اقبح ولانها
محله واما في المنزل ونحوه فلا حاجة اليه (ولا يجزي بالسيئة السيئة) لانه احق بالاجر
من الله على ذلك لان الله تعالى قال فمن عفى واصلح فاجره على الله ولما كان العفو
غير لازم من عدم المجازاة بالفعل اتى بالاستدراك في قوله (ولكن يعفو ويصفح)
يعني انه صلى الله عليه وسلم كثير العفو فيما لا يكون من الحدود وحقوق الله والعفو ترك
المواخذة بالذنب والصفح الاعراض عن المسيء بحيث لا يخجله وقد تقدم شرحه
وهذا الحديث مروي في الصحيح من طريق آخر عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله
تعالى عنهما عن عطاء بن يسار انه قال له اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم في التوراة فساقه له في حديث طويل واليه اشار بقوله (وقد حكي)
بالبناء للمجهول (مثل هذا الكلام) الذي قالته عائشة رضي الله تعالى عنها (عن التوراة
من رواية عبدالله بن سلام) بتخفيف اللام وهو الصحابي المشهور رضي الله
عنه (وعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما) وهو وان كان قرشيا
لكنه قرأ الكتب وكان عالما بما فيها ولذا سألوه عن صفة النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فيها وقد اختلف في جواز قراءة اهل الكتاب كتبهم هل كان يجوز مطالعتها
بفحص وزيادة اوانه انما كان بمجرد التأويل وصرف ما فيها عن ظاهره والصحيح
ان كلا منهما واقع واذا كان كذلك علم وجه المنع من قراءتها وانه حرام ولا يرد عليه
ان بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم كان يقرؤها لانهم يعلمونها قبل اسلامهم
وهم لا يخفى عليهم ما غير منها والظاهر انه لا يمنع منه من عرف ذلك وقصد
الرد عليهم (وروى عنه) اي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا ذكره الامام
الغزالي في الاحياء وقال الحافظ انه لم نجده في كتب الحديث وكذا قال السيوطي
رحمه الله تعالى (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان من حيائه لا يثبت بصره
في وجه احد) بيان المعنى يعني اطالة النظر من غير تخلل اغماض يخص ونحوه حتى

(كان)

كان بصره صار قارا في المرئي كما قال المتنبي

وخصر تثبت الابصار فيه ۞ كأن عليه من حدق نطاقا

فيحصل حقيقة الانتساب فيه ثم بقي عليه جعله كالنطاق وان كان فيه للادباء كلام (وانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره) اي يورد المعنى المستهجن عادة بطريق الكناية لشدة حيائه صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك لان الجماع يذكر للمرأة مستحيى منه ونظائره في الحديث كثير (وعن عائشة) الصديقة بنت الصديق (رضي الله تعالى عنهما ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) مع انه يجوز رؤية كل احد من الزوجين فرج الآخر وان كان مكروها وفي حديث رواه ابن حبان النظر الى الفرج يورث الطمس اي العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى اولاده وقيل المراد عمى القلب والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة حيائه لم يكشف عورته عند احد قط كما ورد من كرامتي على الله انه لم يطلع لي على عورة احد قط فاذكر [illegible] على ما سبق له الكلام فان عائشة رضي الله تعالى عنها زوجه صلى الله تعالى عليه وسلم لم تره بين الناس وانما هم اليه وكان يصاحبها وينام عندها فاذا لم تر ذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم لزم عدم كشفه عند غيرها فاذا لم يكشف عندها فبالطريق الاولى عند غيرها وانما كنت عن ذلك ولم تسمه ادبا منها فلله درها فهذا كفاية لهم ١٧ [illegible] هنا فلا يرفع الثياب الا وقد لاصقها فيكون ستره لا حقيقة وهذا معنى قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن فلا يتوهم ان عدم رؤيتها لذلك لعيب [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لا ينكشف عندها فافهم [illegible] واما حسن عشرته ۞ بكسر العين المهملة وسكون الشين المعجمة اي اختلاط المرء مع اهله واصحابه ومعاملته لهم (وادبه) بالرفع معطوف على حسن ويجوز جره ورجحه بعض الشارحين فاما ورد عليه ان الادب لا يكون الا حسنا دفعه بان منه الاحسن كادب اهل الدنيا مع كبارهم وهو الشبيه بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ادبني ربي فاحسن تاديبي والادب استعمال ما يحمد قولا وفعلا والاخذ بمكارم الاخلاق من المادبة وهي الطعام الذي يدعى له الناس (وبسط خلقه) تقدم معنى الخلق وانه بضمتين او بضم فسكون والبسط نشر الشيء وتوسعه ومنه البساط وورد البسط بمعنى المسرة وعليه استعمالهم وورد في الحديث فاطمة مني يبسطني ما يبسطها فاذا ليس من كلام المولدين كما توهم ومن ابتذال العامة البسط بمعنى الضرب والمعنى هنا انبساطه صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز رفعه وجره ايضا والاول اولى ولئن عطف على [illegible] فانما كان معنى بسط الخلق هنا بعينه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم مال من الاخلاق الى اقصاها وغايتها وقوله (مع اصناف الخلق) متنازع فيه الافعال الثلاثة [illegible]

مافيه (فحيث انتشرت) اى كثرت واشتهرت وهو جواب اما وهو خبر مبتدأ مقدر اى فهو بحيث اى بمحل معلوم لكل احد (به الاخبار الصحيحة قال على رضى الله تعالى عنه فى وصفه عليه الصلوة والسلام) فى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى فى شمائله (كان اوسع الناس صدرا) المراد بسعة صدره تحمله صلى الله تعالى عليه وسلم مشاق الناس وكثرة تكاليفهم قال تعالى (فلا يكن فى صدرك حرج) اى ضيق (واصدق الناس لهجة) فى الصحاح اللهجة اللسان وقد يحرك فاطلق واريد به الكلام مجازا مرسلا من اطلاق المحل على الحال ووضع فيه الظاهر مقام الضمير لان كلا منهما صفة مستقلة ولا ينافيه حديث مامن ذى لهجة اصدق من ابى ذر لان المراد تفضيله رضى الله تعالى عنه على امثاله والصدق ضد الكذب وهو معروف ثم ان فى المفصل فى الصدق سؤالا وهو ان الصدق هو المطابقة للواقع فما طابق فهو صادق ومالم يطابق كذب فكيف يتصور التفاوت فيه حتى يكون هذا صادق وذاك اصدق وهذا انما يرد لوكان التفضيل فى كلام واحد او انواع منه محصورة اما لو اريد كل كلام صدر عن متكلم فلا يرد ماذكر (والينهم عريكة) اى اسهل الناس طبعا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم دائما سلس مطاوع منقاد قليل المخالفة لانهو فيه واصل العريكة السنام فهو فى الاصل مجاز حتى صار حقيقة فيما مر (واكرمهم عشرة) اى تعامل الناس فى معاشرته ومخالطته بكريم الاخلاق فيعظم من يستحق التعظيم ويتلطف مع من دونهم (حدثنا ابو الحسن على بن مشرف) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفتح الراء المشددة وقاف اسمه على وله ترجمة فى الميزان وسمع منه النسائى وفيه كلام (الانماطى) جمع نمط وهو ثوب من صوف يطرح على الهودج والنسبة الى الجمع على رأى اولانه ملحق بالعلم كالانصارى لان المراد به صفة مخصوصة وقيل انه على خلاف القياس (فيما اجازنيه وقرأته على غيره) فيه بيان لطريق التحمل وانه رواه عن غيره فالخبر العام فيه وهذا الحديث رواه ابوداود والنسائى (قال حدثنا ابو اسحق الحبال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة والف ولام وهو الامام الحافظ المتقن محدث مصر ابواسحق ابراهيم بن سعد بن عبدالله بن النعمان النجيبى الفراء الوراق المصرى ولد سنة احدى وتسعين وثلثمائة وسمع من احمد بن عبدالعزيز صاحب المحاملى وغيره ومات فى سنة اثنين وثمانين واربعمائة وله احدى وتسعون سنة وترجمته مشهورة قال (حدثنا ابو محمد بن النحاس) بحاء مهملة مشددة وهو الامام ابو محمد عبدالرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن اسحق المصرى البزار سمع اباسعيد بن الاعرابى وسليمان بن داود العسكرى وجماعة كثيرون وكان ثقة كما قاله ابن ماكولا (حدثنا ابن الاعرابى) هو الامام ابوسعيد الذى روى سنن ابى داود عنه قال (حدثنا ابو داود) سليمان بن الاشعث صاحب السنن المشهورة قال

(حدثنا هشام ا ومروان ومحمد بن المثنى) هشام بن خالد بن يزيد بن مروان الازرق الدمشقي الثقة الثبت توفي سنة تسع واربعين ومائتين وترجمه في الميزان ومحمد بن المثنى ابو موسى العنزي الحافظ توفي سنة اثنين وخمسين ومائتين قالا (حدثنا الوليد بن مسلم) الحافظ احد الاعلام اخرج الجماعة الا انه رمي بالتدليس قال (حدثنا الاوزاعي) هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد نسبة للاوزاع وهي قبيلة من حمير اوا اسم قرية وهو عالم فقيه زاهد روى عن عطاء ومكحول وروى عنه كثيرون واخرج له اصحاب الكتب وهو ثقة وله ترجمة مشهورة (قال سمعت يحيى بن ابي كثير) بالمثلثة كثير ضد القليل وهو من العباد وائمة الحديث توفي سنة تسع وعشرين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان قال (حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة) بضم الزاء المعجمة وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الرحمن بن اسعد والي المدينة وهو ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة اربع وعشرين ومائة (عن قيس بن سعد) بن عبادة بن دليم الخزرجي سيد الخزرج وصاحب شرطة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخرج له الستة واحد وكان من الدهاة وذوي الرأي طويل القامة جدا لا جواداً وفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية رضي الله تعالى عنه (قال زارنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) على عادته في تفقد اصحابه وكان سعد بن عبادة دعا رجلا ليلا فخرج له فضربه بسيفه فاستواه فجاءه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعوده (وذكر قصة) هي ما وقع له مع عبد الله بن ابي بن سلول ادمن انه وهو جالس مع اخلاط المسلمين وغيرهم فغشي المجلس غبار دابته صلى الله تعالى عليه وسلم فخمر ابن سلول انفه بردائه وقال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تغبروا علينا ارجع الى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه فاستب المسلمون مع المشركين حتى هموا ان يتواثبوا فثبطهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ركب دابته حتى دخل على سعد رضي الله تعالى عنه وذكر ذلك له فقال له يارسول الله اعف عنه واصفح فالله لقد اهل هذه البحيرة على ان يعصبوه فلما رد الله ذلك بالحق الذي جئت به شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (في آخرها) اي آخر القصة (فلما اراد الانصراف قرب له سعد) رضي الله تعالى عنه (حمارا) ليركبه (وطأ عليه بقطيفة) هي كساء له وبر وخمل وضعه على ظهر الحمار وطاءه له ليركب عليه ووطاء بتشديد الطاء المهملة وهمزه (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال سعد) لابنه (ياقيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي كن معه في خدمته وفي هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جاء كان على حمار مردفا خلفه اسامة بن زيد فسعد رضي الله تعالى عنه انما اعطاه حمارا ليركبه وحده وبقي اسامة على الحمار الذي جاء به ووهب

سعد له صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك الحمار (قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اركب) معي على الحمار (فأبيت) الركوب معه تأدبا وفورا بالمشي في خدمته (فقال اما ان تركب واما ان تنصرف) اى ترجع ولا تمشي معي (فانصرفت) امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم (وفي رواية اخرى) انه عليه السلام قال له (اركب امامي فصاحب الدابة احق بصدرها) وهذا وقع هنا في بعض النسخ والمراد بصدرها مقدمها وفيه دليل على جواز الارداف ولو صاروا ثلاثة اذا لم تكن الدابة ضعيفة لا تطيق ذلك وقيل ما فوق الاثنين مكروه وقوله صاحب الدابة باعتبار ما كان او هو صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعلم بانه وهبه اياه (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يؤلفهم) اى يؤلف المسلمين بايناسهم ومداراتهم ليزداد ايمان من كان قريب عهد بالاسلام وليحسن من كان مخلصا بجبره خاطره والتودد اليه (ولا ينفرهم) اى لا يلقاهم بما يصير سببا لنفورهم وذهاب من كان قريب عهد من المؤلفة قلوبهم (ويكرم كريم كل قوم) برعايته بما يليق به كما فعل مع عدي بن حاتم وغيره مما فصل في السير (ويوليه عليهم) اى يجعل شريف القوم واليا عليهم اذا رجعوا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لديارهم كما ولى على وفد همدان مالك بن نمط (ويحذر الناس ويحترس منهم) لانه من الحزم ان لا يركن لكل احد حتى يجربه (من غير ان يطوي عن احد منهم بشره) اى كان صلى الله تعالى عليه وسلم مع احتراسه منهم يلقاهم ببشره وبشاشته ولا يغير حاله معهم فيه بشره وايناسه ببساط يمد لهم فلا يطوى عنهم ماداموا عنده كما قال الشاعر

انما مجلس الندامى بساط * فاذا ما مضى طووا بساطه

(ولا خلقه) المعهود منه صلى الله تعالى عليه وسلم (يتفقد اصحابه) اى من فقده من الصحابة رضي الله تعالى عنهم يسأل عنه او يزوره او يرسل اليه من يتعهده قال الراغب الفقد اخص من العدم لانه العدم بعد الوجود والتفقد التعهد لكن حقيقة التفقد تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف العهد المتقدم (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم (يعطي كل جلسائه نصيبه) اى يعطي كلا منهم ما يليق به وما يسره (لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه) اى لما يراه من لطفه به يظن ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحبه اكثر من غيره (من جالسه) اى جلس عنده في ناديه (او قاربه (٢) لحاجه) اى كان معه حال مشيه او وقوفه (صابره) اى صبر على سؤاله ورد كربه حوائجه (حتى يكون هو المنصرف عنه) اى الراجع عن مقاربته او مجالسته (ومن سأله حاجة لم يرده الا بها) اى باعطائه حاجته التي سألها منه صلى الله تعالى عليه وسلم (او بميسور من القول) كوعده او دعائه او نحو ذلك قال تعالى ﴿وقل لهم قولا ميسورا﴾ (قد وسع الناس بسطه وخلقه) بسطه بضم

بزنة ضرب مضاف لضمير عائد له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مرفوع فاعل وسع بزنة علم وكذا خلقه المعطوف عليه وقد تقدم معنى الخلق والخلق فحمل بسطه بمعنى توسعته على الناس او بمعنى نشره كالمكان الرحب وكذا خلقه الحسن جعله اهلا لهم كالمكان الذى تمكنوا فيه (فصار لهم ابا) اى صار صلى الله تعالى عليه وسلم لجميع امته بمنزلة الاب فى اللطف بهم والشفقة عليهم وهو لا ينافى قوله تعالى (ماكان محمد ابا احد من رجالكم) لان المنفى ثمة الابوة الحقيقية الا ان بعض علماء الشافعية ذهب الى انه لا يجوز ان يقال له صلى الله تعالى عليه وسلم اب المؤمنين كما يقال لنسائه صلى الله تعالى عليه وسلم امهات المؤمنين عملا بظاهر هذه الآية واما قال انه كالاب ونص الشافعى رضى الله تعالى عنه على جوازه وهو الحق وكذا كل نبى من الانبياء عليهم الصلوة والسلام اب لامته ودكورا واناثا وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس ابا حقيقيا معلوم بالبداهة وانما نفاه فى الآية ردا على من انكر تزوجه صلى الله تعالى عليه وسلم بامرأة زيد الذى تبناه (وصاروا عنده فى الحق سواء) لان الله عصمه صلى الله تعالى عليه وسلم من الاغراض النفسية الحاملة له على الميل مع الهوى وكذا وصفه به صلى الله تعالى عليه وسلم ابن ابى هالة ربيبه فى الحديث الصحيح المروى عنه كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (بهذا وصفه بن ابى هالة) ابن خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها بنت خويلد واسمه هند وابوه ابو هالة حليف عبد الدار اختلف فى اسمه فقيل نباش بن زرارة وقيل مالك بن النباش بن زرارة وكان زوج خديجة رضى الله تعالى عنها قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فولدت له هندا وابهند ولذا يسمى هندا ايضا عند ابن منده وابو نعيم فى الصحابة وابوه هند من كبار الصحابة قتل مع على كرم الله وجهه فى وقعة الجمل وتقدمت ترجمته بالبسط من قبل هذا (قال) ابن ابى هالة رضى الله عنه فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (وكان دائم البشر) بكسر الباء وسكون المعجمة اى طلاقة الوجه وبشاشته لا يعبس فى وجه احد (سهل الخلق) لا صعبا ولا حرجا (لين الجانب) استعارة مصرحة شبه وصول كل احد له صلى الله تعالى عليه وسلم ولما يريده منه بشئ لين تأخذه من جانبه لا يطلبه ولينه بجانب لين من الارض ليس بحزن (ليس بفظ ولا غليظ) الفظ الكريه الخلق مستعار من الفظ اى ماء الكرش وهو مكروه لا يتناول الا فى شدة الضرورة كما قاله الراغب والغليظ ضد الرقة واصله فى الاجسام فاستعير للمعانى كما تقدم (ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب) اى لا ينطق بالفحشاء كالشتم ولا يعيب احدا اى يذكر عيوبه (ولا مداح) لاحد بما يؤدى الى اطرائه ولا لنفسه الشريفة وهذه كلها صيغ مبالغة والمقصود بها النسبة كتمار ولبان او المبالغة راجعة للنفى كما قالوه فى قوله تعالى (وما ربك بظلام للعبيد) وقيل

المقصود به اصل الفعل وقول انس لعمر رضى الله تعالى عنهما انت افظ واغلظ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقضى ثبوت ذلك له فقيل المقصود وجود اصل الغلظة فيه ونفيها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لاحقيقة التفضيل اوالمراد اثبات ذلك على المشركين كما فى قوله تعالى (وليجدوا فيكم غلظة) كما ان المدح قد يستحسن فى مقام دون مقام اذا كان فى محله بخلاف ما اذا كان كذبا ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم احثوا التراب فى وجوه المداحين على احد الوجوه فيه (يتغافل عما لا يشتهى) اى اذا رأى صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا لا يرضاه تغافل عنه حتى يظن انه ما رآه اذا كان ذلك مما لا يترتب عليه اثم (ولا تؤيس منه) مبنى للمفعول وضمير منه له صلى الله تعالى عليه وسلم اى والحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم سامحه لا يأس احد منه وروى مبنيا للفاعل بضم المثناة التحتية وكسر الهمزة التى كانت فيه وجه ومعموله محذوف لقصد التعميم اى لا تؤيس احدا منه اى يجعله ذا يأس بحيث لا يرجوه فالضمير لما يتغافل عنه وعلى هذا اقتصر ارباب الحواشى (وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) ما زائدة للتأكيد وقيل نكرة موصوفة ورحمة بدل منه وقيل استفهامية للتعجب اى باى رحمة عظيمة لنت لهم ورده فى المغنى بثبوت الالف ما وقال ان ما فيه ايضا لا يتجه كما فصله شراحه وليس هذا محل تفصيله والمعنى انك لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا عنك اى تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ولكنك لنت جانبك لهم وشفقت عليهم لتؤلف قلوبهم ويزيد محبتهم وهذا انما اتى له بما جبله الله عليه من الاخلاق الحسنة وقد تقدم الكلام عليه (وقال ادفع بالتى هى احسن السيئة) الآية التى هى احسن الصفح والتجاوز والاحسان فى مقابلة السيئة ولا حاجة لقيد دفعها ما لم يكن فيه وهن فى الدين لانه لا يكون دفعا بالاحسن فان المراد به الاحسن عند الله تعالى وقيل التى هى احسن كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل الامر بالمعروف والسيئة المنكر وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام وقصد الحصر اى ادفع بهذا لا بغيره (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يجيب من دعاه) لطعامه اولمنزله جبرا لخاطره وتعليما وتشريعا لامته صلى الله تعالى عليه وسلم سواء كان المدعو اليه وليمة عرس اوغيرها وفى الحديث اذا دعا احدكم اخاه فليجب وما قيل من ان اجابة دعوة العرس واجبة عينا اوكفاية لورود الامر بها فى الاحاديث الصحيحة فلا يكون ذلك من الفضل ومكارم الاخلاق غير وارد لانه قيل بعدم الوجوب فيها عند الشافعية ايضا كما صرح السبكي ولو سلم فهذا محمول على الاعم من الولائم وغيرها وليس فى العبارة ما يقتضى التخصيص ولا تجب اجابة لغير وليمة عرس ومنه وليمة التسرى كما هو ظاهر وقيل تجب واختاره السبكي لا خبار فيه (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم

(يقبل الهدية) لا الصدقه (ولو كانت كراعا) لانه مقتض للتحاب وكراع بضم الكاف وفتح الراء المهملة المخففة والعين المهملة وهي ما تحت الركبة الى الخف والحافر والظلف ولو وصلية هنا تفيد القليل كاتقوا النار ولو بشق تمره وقيل الكراع مادون الكعب من الدواب وقيل كراع كل شيء طرفه وفي الترمذي عن انس بن مالك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو اهدي الي كراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت وكراع الساق اسم مكان وهو كراع الغميم موضع بين مكه والمدينه والصحيح انه بالمعنى السابق والمقصود المبالغه في ذلك اي اقبل الهديه ولو كانت حقيرة واجيب الدعوه ولو كانت الى مكان بعيد ويطلق الكراع على الساق نفسها وفي الحديث اذا دعي احدكم فليجب فان كان مفطرا اكل وان كان صائما دعا بالبركه وقوله (ويكافئ عليها) بالهمزه اي يجازي على الهديه شيء مثلها او اكثر لان المكافاه اصل معناها المساواه والمماثلة ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمون تتكافى دماؤهم اي تتساوى في القصاص وفي البخاري كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها واستدل به بعض المالكيه على وجوب عوض الهديه اذا اطلق الواهب وكان ممن يرجو الثواب كالفقير الذي يهدي للغني ولم يوافق عليه (وقال انس رضي الله تعالى عنه) وهو خادم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (خدمت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين) وفي روايه لمسلم تسع سنين ولا منافاة بينهما لانه خدمه تسع سنين واشهرا فتاره نظر للكسور وحذفها تارة وتارة الغاها وكان عند عمه ابي طلحه فانطلق به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له ان انسا غلام كيس فاخدمك (فما قال لي اف قط) هي كلمة تقال لما يكره ويستحقر به وهي اسم فعل فيه لغات نحو الاربعين اشهرها ضم الهمزه وكسر الفاء المشددة وللسيوطي في نظم لغاتها ابيات مشهوره حيث قال

اف ونلع احرفه ثم خفف * به فاه مشدد ومخفف
وتنوينه وبالترك اف * لا ممالا وبالاماله مصحف
وتكسر اسددا وافي منك * ورد الهامزي اف اطلق لاف
ثم مدا تكسر اف واف * ثم افوا فاحفظ ودع ما زيف

قال الراغب اصل الاف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجري مجراها ويقال لكل مستقذر استخف به واف لكذا اذا قلت له اف والحاصل مما تقدم ان همزته مثلثه وكذا فاؤه مع التنوين وعدمه وقد فصل لغاتها في البحر ومن لطائف السراج الوراق رحمه الله تعالى في مدح انسه رحمه الله

بي اهدي بالكتاب العزيز * فزدت سرورا وزاد ابتهاجا
وما قال لي اف في عمره * لكوني انا ولكوني سراجا

اى لم يتضجر من امر عن مرضى وقع منى وهذا دال على زيادة حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم (وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته) وهذا الحديث رواه الشيخان (وعن عائشة رضى الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم بينت بعض ذلك بانه (ما دعاه احد) اى ناداه فقال يارسول الله (من اصحابه ولا اهل بيته) خصهم لان العادة جارية بالمسامحة معهم (الا قال لبيك) قال السيوطى رواه ابو نعيم فى دلائل النبوة بسند واه ولبيك كلمة يجاب بها المنادى فالتلبية اجابة المنادى من دعاه من لب بالمكان اذا اقام بمكان ولم يفارقه فكأنه يقول انا ثابت على اجابتك ولا يستعمل الا بلفظ التثنية كأنه قال اجابة بعد اجابة والمراد التكثير كقوله تعالى (فارجع البصر كرتين) وهو منصوب على المصدر بعامل لا يظهر ويجب اضافته لضمير المخاطب وقد يضاف لغيره كما فصله النحاة ولا يجاب به الا من يعتنى باجابته وتعظيمه ولذا تقوله الحاج فى اجابة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اتباعه بذلك رعاية مقامهم وتعظيمهم وهو من حسن الخلق العظيم كما كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب القادم عليه بما يسره كقوله مرحبا بام هانئ (وقال جرير بن عبد الله) بن جابر بن مالك البجلى سيد قومه قدم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سنة عشر من الهجرة على الصحيح لا اول نبوته باربعين يوما كما قيل ولما قدم قال صلى الله تعالى عليه وسلم يطلع عليكم خير ذى يمن وكان رضى الله تعالى عنه جميلا حتى قال عمر رضى الله تعالى عنه انه يوسف هذه الامة وارسله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لذى الخلصة وهى الكعبة اليمانية وكان فيها صنم فحرقه وقبل من عنده (ما حجبنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منذ اسلمت قط) اى ما منعنى من الدخول عليه فى بيته وقد استأذنته لا مطلقا حتى يقال كيف يدخل على غير محرم وحتى يجاب بان المراد فى مجلس مخصوص بالرجال او المراد ما منعنى شيئا سألته واسلامه رضى الله تعالى عنه كان فى رمضان سنة عشر كما مر (ولا رآنى الا تبسم) وفى رواية الا تبسم فى وجهى وهذا الحديث رواه الشيخان والتبسم مبادى الضحك بحيث تبدو مقدم اسنانه فان زاد بالصوت فضحك فان كان بصوت فهو قهقهة وضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم فى اغلب احواله التبسم وربما زاد على ذلك كما ورد انه ضحك حتى بدت نواجذه وقيل انه اريد تجريد المبالغة لا الحقيقة بناء على انه لم يقع منه ذلك والاصح الاول وكثرة الضحك يذهب الوقار وهو مكروه لحديث كثرة الضحك تميت القلب فان لزمه استهزاء باحد وسخرية فحرام (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يمازح اصحابه) الممازحة تكون بالكلام والفعل ملاطفة ولكنها انما تحمد من الكبار اذا كانت بحيث لا تؤدى الى اذية صاحبها والمداعبة قريبة منها ولكن بينهما فرق سيأتى وكان صلى الله

تعالى عليه وسلم مزح احيانا ولايقول الاحقا ولكنه يورى فى كلامه كما قال لبعض العجائز انه لايدخل الجنة عجوز لانهم يعودون فى سن الشباب ولله در القائل

افدطبعك المكدود بالهم راحة * باس وعلله بشئ من المزح
ولكن اذا اعطيته المزح فليكن * بمقدار مايعطى الطعام من الملح

والمزاح بضم الميم اسم وبكسرها مصدر كالمزح وكثرته مذمومة كما قال

فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه من كل سيد * ويورثه من بعد عزته ذلا

والصحيح انه جائز وقيل انه مكروه والاصح الاول بشروطه وكان كبار الصحابة يمزحون وقد مثل الناس فى سجن مالم تمازحوا وورد فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان افكه الناس وكان مزاحا ولايقول الاحقا (ويخالطهم ويحادثهم) تأنيسا لهم وجبرا لقلوبهم (ويداعب صبيانهم) يداعب بالدال المهملة والمداعبة الممازحة مع لعب ولذا خصه بالصبيان كما قال محمود بن الربيع الخزرجى رضى الله تعالى عنه عقلت منه صلى الله تعالى عليه وسلم مجة مجها فى وجهى وانا ابن خمس سنين (ويجلسهم فى حجره) كما فعل صلى الله تعالى عليه وسلم مع ام قيس اذ اتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام فاجلسه فى حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله والحجر بكسر الحاء المهملة وفتحها معروف وهو ماكان من يديه على فخذيه وهو جالس (ويجيب دعوه) بفتح الدال المهملة (الحر والامة والمسكين) قال السيوطى اجابته صلى الله تعالى عليه وسلم دعوة العبد رواها البزار عن جابر رضى الله تعالى عنه والترمذى وابن ماجه عن انس رضى الله تعالى عنه فلا وجه للقول انى لم اقف عليه الا فى صحيح البخارى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتى غلاما خياطا فاتاه بقصعة فيها دباء فجعل يتتبعه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم طيب انفسهم بما يملكونه لهم فلا يقال كيف اكل مما فى يد العبد وهو وما يملكه لسيده او يقال كان مكاتبا او المراد بالعبد من مسه الرق ولو قيل دعوته وقدم العبد اهتماما لبيان انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجيب دعوته مع حقارته بالنسبة للحر (و) اخرج الترمذى بسنده عن انس رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (يعود المرضى) ويشهد الجنازة ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وروى البيهقى دعوة المملوك (فى اقصى المدينة) اى فى ابعد مكان منها وعيادة المريض سنة مؤكدة لاسيما ممن يسرك بعيادته لما فيه من التسلية وبالب القلوب وقيل انها فرض كفاية ولايختص بمرض وقيل بثلاثة لاعيادة فيها رمد العين ووجعها ووجع الضرس وقيل انه لايعاد المريض الابعد ثلاثة ايام وورد فى ذلك حديث ضعيف والصحيح انه لافرق والحديث

قال شيخنا الرملي انه موضوع واحتاف في عيادة الذمي فقيل يجوز اذا كان يرجى اسلامه او يتضمن مصلحة (وتقبل عذر المعتذر) المعتذر كل من ابدا عذرا سواء كان له حقيقة ام لا وسواء كان من شأنه ان تقبل ام لا ولذا لم تقل المعذور لانه من له عذر وعدم قبوله منه مذموم وقبول اعتذاره عفو عن جنايته وعدم مؤاخذته بها لانه من تمام المروة وهذا كما قبل صلى الله تعالى عليه وسلم عذر من تخلف عن تبوك ووكل سرائرهم الى الله تعالى وكقبوله عذر حاطب بن ابي بلتعة رضي الله تعالى عنه لما كتب لاهل مكة يخبرهم بمسيره صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة وقبل صلى الله تعالى عليه وسلم اعتذار المنافقين حتى كذبهم الله تعالى (وقال انس) رضي الله تعالى عنه قال السيوطي هذا الى قوله بين يدي جليس له رواه ابوداود والترمذي والبيهقي في الدلائل واخرجه البزار عن ابي هريرة وابن عمر رضي الله تعالى عنهم (ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي ما جعل احد اذنه محاذية لفمه ومحاذية وقال التمنى اي ما جعله احد عند اذنه جعله ايضاً ... وادب لم يحمله على حقيقته وانه فعله للتبرك كما وقع لجابر رضي الله عنه في القامة لخاتم النبوة لان لفظه مشعر بكثرة ذلك ووقوع مثله كثيرا مستبعد بخلاف قصة جابر رضي الله تعالى عنه لما اردفه صلى الله تعالى عليه وسلم خلفه وامكنه ذلك بسهولة وايضا في مثله سوء ادب ومنافاة لعرضه فانه اذا ادخل اذنه في فيه لم يمكنه اداره لسانه ومناجاته وفي النهاية في الحديث ان رجلا التقم اذنه خصاص الباب اي جعل الشق الذي في الباب يحاذي عينه جعله للعين كاللقمة في الفم اسمى جعله استعارة كما هنا وهذا لا ينافي ما في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قال والله لآتين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتيته وهو في ملأ فساررته فغضب حتى احمر وجهه وقال رحم الله موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يغضب من المساره بل مما كلمه به والاذن بضم الهمزة والذال المعجمة وقد تسكن (فنحى رأسه عنه) اي بعدها وجعلها في ناحية منه (حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه) اي حتى يفارقه او ينفصل منه قليلا (وما اخذ احد بيده) اي امسكها (فيرسل يده) اي اطلقها ويفكها من يده وهو مجاز من ارسل الرسالة اذا انه بها وظاهر كلام ابن القوطية انه معنى حقيقي ان كانت اليد الثانية يد الآخذ فليس من وضع الظاهر موضع الضمير والا فهو منه وقوله (حتى يرسلها الآخذ) غاية لترك ارسالها اي الى ان يرسلها الآخذ وهو بالمد اسم فاعل من الاخذ وفي نسخة الآخر بالراء المهملة وفي البخاري ان كانت الامة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وعن احمد فما ينزع يده من يدها وهو عبارة عن الانقياد

لشدة تواضعه وتنزهه عن الكبر صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله (ولم ير صلى الله تعالى عليه وسلم مقدما ركبتيه بين يدى جليس له) من جملة حديث انس رضى الله تعالى عنه فى المصابيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذى ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى تكون هو الذى يصرف وجهه او هو رواية اخرى وهو الظاهر لما بينهما من المخالفه ومعنى لم ير مقدما الى آخره انه يخص ركبتيه تعظيما لجلسائه وقيل المراد بالركبتين الرجلان اى كان لا يمد رجله فى مجلسه لما روى فى حديث آخر انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرقط مادام رجليه بين اصحابه كما سيأتى بعد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يساوى جليسه ولا يتقدم عليه بركبته حتى كان الغريب يجئ فلا يعرفه ويسأل عنه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يبدأ) اى يبتدئ (من لقيه بالسلام) من تقيد العموم اى كل احد لقيه صغيرا او كبيرا من المسلمين الا فى مواضع لا يستحب السلام فيها واما الكفره فلا يسلم عليهم وجوز بعضهم ابتداءهم بالسلام ايضا (ويبدأ اصحابه بالمصافحة) مفاعلة من الصفح اى يجعل صفحة يده الشريفه على صفحة يده وفى الحديث تمام تحكم بحكم المصافحه وهى سنة عند التلاقى وكانت الصحابه رضى الله تعالى عنهم يفعله واذا قدموا من سفر تعانقوا وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم تقبل يده ايضا وهى مستحبة للكبير وكرهها مالك اما اذا كان على وجه الكبر فكره وقال النووى انه مستحب ايضا لاهل الشرف والصلاح واما لاهل الدنيا فكروه وقال فقهاؤنا لا باس بالمصافحه لانها سنه متوارثة لما ورد فى الحديث ايضا تصافحوا وقيل انه من الصفح وهو العفو اى ليصفح احدكم عن غيره ولا ينافسه والمشهور الاول واما بعد صلوة الجمعه والعيد فقالوا انه بدعه وهو من فعل المشايخ كأنهم كانوا فى الصلوه غائبين عن حضرهم ومن كان هذا حاله لا ينكر منه (ولم ير صلى الله تعالى عليه وسلم قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد) هذا اشاره الى انه كان ذلك فى مجلس تكثر فيه الناس اما اذا كان وحده او فى قليل من خواصه فكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد يتكئ وقد يضع احدى رجليه على الاخرى كما ورد فى بعض الاحاديث (يكرم من يدخل عليه) بالقيام له و بالاطعمة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد بن معاذ رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم لما قدم سعد قوموا لسيدكم وكره بعضهم القيام مطلقا لحديث من احب ان تمثل له الناس قياما فليتبوأ له النار وحمل هذا على عادة الاعاجم فى وقوف الناس بين ايديهم اما القيام للعلماء والصلحاء فمستحب كما يأتى وكان اتى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جاء قام له الصحابة وممن ذهب لكراهته ابن حجر رحمه الله تعالى وقال فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قوموا لسيدكم انما كان لانه قدم على حمار وكان مريضا وفى رواية قوموا لسيدكم

فان لو ورد بانه لو كان كذلك لم يأمر جميع الناس الحاضرين بالقيام له ولذا استدل النووي به وفيه نظر (ويبسط له) اي لمن يدخل عليه (ثوبه) تعظيما له كما جعل ذلك لعدي بن حاتم ولاخته عليه السلام من الرضاعة لما اتاه كما يأتي (ويؤثره بالوسادة) الايثار تقديم غيره على نفسه في بعض الامور والوسادة ما يتوسد اي يوضع تحت الرأس وهي التي تسمى مخدة ويقال اسادة بالهمزة ووساد بدون هاء وقضية قوله (التي تحته) كما في البخاري انها فراش يجلس عليه وكانت محشوة بالليف وقال عدي بن حاتم دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من الرجل فقلت عدي بن حاتم فقام وانطلق بي الى بيته فوالله انه لعامد بي اذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة واستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها فقلت في نفسي والله ما هذا بملك ثم مضى حتى دخل بيته وناولني وسادة كبيرة من ادم محشوة ليفا فقذفها وقال لي اجلس على هذه فقلت بل انت فاجلس عليها فجلس على الارض وصارت الوسادة بيني وبينه فانظر لمكارم هذه الاخلاق فقلت والله ما هذا بملك وهذا يدل على ان الوسادة فراش لا مخدة ولا عبرة بتفسير الجوهري لها بالمخدة فقط (ويعزم عليه في الجلوس) اي يقسم عليه ان يجلس على وسادته بان يقول له بالله اجلس ان قال في التهذيب يقال عزمت عليك لما فعلت كذا اي اقسمت اسمي وهو مأخوذ من العزم وهو التصميم في الامر وقوله (عليها) اي على الوسادة (ان ابى) اي امتنع من الجلوس عليها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ويكني اصحابه) اي يضع لهم كنية كأن فلان او يدعوهم بالكنية تكريما (ويدعوهم) اي ينادبهم (باحب اسمائهم تكرمة لهم) اي يفعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم لاجل اكرامهم وتعظيمهم تلطفا بهم وتأدبا معهم فان نداء المرء بكنيته تعظيم وكذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يكني من لا كنية له كما قال للطفل الذي كان معه طائر يسمى نغرا يا ابا عمير ما فعل النغير وفيه دليل على جواز تكنية من لا ولد له على عادة العرب تفاؤلا بان يعمر ويرزق اولادا خلافا لمن منع ذلك وقال انه خلاف الواقع فهو كذب واخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال كناني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ابا عبد الرحمن قبل ان يولد لي وسنده صحيح وعن بعض السلف بادروا اولادكم بالكنى قبل ان تغلب عليهم الالقاب وكره بعضهم تكنية المرء نفسه الا لقصد التعريف وقال النووي يجوز تكنية الكافر بشرطين الاول ان لا يعرف الا بكنيته الثاني ان يخاف من ذكر اسمه فتنة فالاول كابي طالب والثاني كابي جهل لابن سلول وفيه نظر وقد تكون لامر آخر كابي لهب فانه اشارة الى انه جهنمي وقيل كنى بذلك لحسن وجهه (ولا يقطع على احد حديثه) اي من يحدث عنده يصغي اليه ولا يقطع حديثا بكلامه بكلام آخر او سآمة او نهيه عن الكلام فان مثله يؤذي المتكلم (حتى يجوز) بالجيم والزاي وجيم وجه وواو مشددة وراء معجمة عليه لتركه قطع حديثه اي حتى يكثر ويجاوز الحد او يخرج

الى مالا يليق من الكلام فهو من التجاوز او التجاوز كما يأتى (فيقطعه بنهى) عن الكلام (او قيام) من مجلسه اعراضا عنه وهو مفيد لنهيه عنه (ويروى بانتهاء او قيام) فالمعنى عنى الانتهاء اذ الروايات تفسر بعضها بعضا وهذا وقع فى بعض النسخ فالمعنى حتى يجوز ذلك فى حديثه فيقطع حديث نفسه امابسبب انه انتهى ولم يبق منه شئ اوله امه عن المجلس والتجوز على هذا بمعنى التجمعه له والاقليل منه وفيل معناه يطوى بما هوعرحق فى كان يتكلم بمالا يليق من الكلام (وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايجلس اليه احد) اى لايجلس متوجها اليه والمراد لايجلس عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو يصلى الا خفف صلاته) اى اسرع فيها فقطعها والخفة ضد الطويل وبانى بيانه (وسأله عن حاجته واذا فرغ) صلى الله تعالى عليه وسلم من كلامه وبيان حاجته (عاد) صلى الله تعالى عليه وسلم (الى صلوته) التى كان فيها وقال البرهان الحلبى هذا الحديث منكر وقد ذكره فى الاحياء فى آداب المعيشة وقال العراقى فى تخريج احاديث الاحياء لم اجدله اصلا انتهى ولذا قيل لواورد حديث الصحيحين الآتى انى لاقوم الى الصلوه اريد ان اطول فيها فاسمع بكاء الصبى فاتجوز فى صلاتى كراهه ان اشق عليه كان اظهر فانه متفق عليه وهو فى معنى حديث الاحياء (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الناس تبسما) وقد تقدم معنى التبسم وما يتعلق به (واطيبهم نفسا) اى لم يكن مقطبا ولا عبوسا فى مجالسه لطيب نفسه وهذا ومابعده حديث رواه احمد والترمذى بسند حسن (مالم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب) قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا فى تخريج احاديث هذا الكتاب من عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدى قال مارأيت اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رواه الترمذى وقال غريب وقد تقدم وعن على كرم الله وجهه اوالزبير رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل عليه الصلوه والسلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اخرجه احمد وابو يعلى من حديث الزبير رضى الله تعالى عنه من غير شك وعن جابر رضى الله تعالى عنه كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى قلت نذير قوم فاذاسرى عنه فاكثر الناس ضحكا اخرجه الطبرانى فى مكارم الاخلاق وفيه ابن ابى ليلى سئ الحفظ وعن على والزبير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيذكرنا بايام الله حتى نعرف ذلك فى وجهه وكانه نذير قوم يصبحهم الامر غدوه اخرجه احمد وابو يعلى من حديث الزبير رضى الله عنه من غير شك وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت وجنتاه واشتد غضبه رواه مسلم والحاكم من حديثه كان اذا ذكر الساعة احمرت

وحنتاه واشتد غضبه انتهى وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لايبتسم فى هذه الحالات لتوجهه عند نزول الوحى فيه تأدبا معه وتعاهده لانه مقام انذار وخوف وتخويف (قال عبدالله بن الحارث) بن جزء بن عبدالله بن معدى كرب بن عمرو الزبيدى الصحابى سكن مصر ومات رضى الله تعالى عنه بها سنة خمس او ست وثمانين وهو آخر من مات بها بلدة تسمى سفط قرية من سمنود بالغربية وقيل مات باليمامة حكاه ابن مندة عن ابن يونس وقال انه شهد بدرا ولابن حجر فيه كلام (مارأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لان طلاقة الوجه من مكارم الاخلاق وفى الحديث تبسمك فى وجه اخيك صدقة (وعن انس رضى الله تعالى عنه كان خدم المدينة) خدم بفتحتين بزنة حسن جمع خادم وفعل فى جمع فاعل جاء فى الفاظ محصورة نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى وقيل انه اسم جمع وهو بابه كثير نحو كمله جمع كامل والمراد بالخدم العبيد والجوارى وهذا الحديث رواه مسلم وهو حديث صحيح (يأتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الغداة) اى الصبح (بآنيتهم فيها الماء) والآنية جمع اناء ككساء واكسية وهو ما يوضع فيه الشئ والاوانى جمع الجمع وكثير من الناس يظن ان الآنية مفردة وظاهر قوله (فما يؤتى بآنية الاغمس يده فيها) يوهم ذلك (وربما كان ذلك) اى اتيانهم بالاوانى وغمس يده فيها (فى الغداة الباردة) والغدوة والغداة اول النهار وقوبل فى القرآن الغدو بالآصال والغداة بالعشى ووصفها بالباردة اشارة لماء فيه من زيادة تحمل المشاق لاجل التلطف مع الناس وانما فعلوا ذلك تبركا بآثاره صلى الله تعالى عليه وسلم ومامسته يده الشريفة وقوله (يريدون به البركة) يحتمل انه من كلام المصنف فان البغوى رحمه الله تعالى رواه فى مصابيحه بدون هذه الزيادة وفيه ارشاد للتبرك بآثار العلماء والصلحاء (فصل واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق) وافرق بين هذه الثلاثة ان الشفقة رحمة ورقة قلب وخوف من نزول مكروه بمن يشفق عليه كما فى الاساس والرأفة التلطف بمن يريد اكرامه بالبشر والايناس كما قال قيس الرقيات

ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت يرى ولا كبرياء

فقابلها بالجبروت صريحة فيه وليست اشد الرحمة كما توهمه بعضهم وان اشتهر عند بهذا المعنى كما حققه فقابل انها ارق من الرحمة ولا تكاد تقع فى الكراهة كالرحمة غير موجهة وقوله لجميع الخلق يعنى انها لاتختص باحد كرحمة غيره لقوله تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (فقد قال الله تعالى فيه) اى فى حقه ووصفه عليه الصلوة والسلام (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) عزيز من عز بمعنى اشتد وصعب والعنت المشقة اى يصعب عليه مشقتكم وما يؤلمكم لرأفته ورحمته وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقوله بالمؤمنين لايناسب قوله لجميع الخلق فالاولى

ان يقتصر على قوله (وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وقد اشار المصنف رحمه الله تعالى لدفع هذا في الفصل الاول من ان صدر الآية عام والرحمة المخصوصة بالمؤمنين لا تنافي العموم فكأنه نبه على عموم رحمته صلى الله تعالى عليه وسلم كل ما يقع لهم لحرصه على هدايتهم وارشادهم فهي مطابقة لهذه الآية كما يعلم من كلامه هناك وقد تقدم ما ذكر لانه اسم ودكره هنا لغرض آخر كالآيات المكررة في القرآن فلا وجه لما قيل انه تكرار لا فائدة فيه لزيادته على المقصود ولو نبه على ما فاتنا كان اولى به لكنه حرّيص على الدقة كما لا يخفى لمن تدبره (قال بعضهم من فضله عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم) تقدم الكلام على هذا واعاده هنا لمعنى آخر فلا تكرار بل فيه فائدة قال السيوطي رحمه الله تعالى ظاهر كلام المفسرين ان الرحيم يوصف به غير الله بخلاف الرحمن لكن اخرج ابن ابي حاتم الرحيم لا يستطيع الناس ان ينحلوه ويظهر لي ان مراده المعرف باللام دون المنكر والمضاف انتهى (وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك) تقدم الكلام عليه وعلى اسمه واسم ابيه وهو امام جليل بلغت تصانيفه اكثر من مائة مصنف جليل توفي سنة ست واربعمائة قال (حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه) وهو عبد الله بن ابي بكر بن ابي جعفر بن محمد الخشني بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين ونون نسبة لخشينة مصغرا اسم قبيلة ولد سنة تسع واربعين واربعمائة ومات بمرسية من بلاد المغرب سنة ست وعشرين وخمسمائة وتقدم الكلام على قوله بقراءتي عليه قال (حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري) هو الامام ابو عبد الله ويقال ابو الحسين بن علي شيخ الحسين ومحدثه بمكة والطبري منسوب لطبرستان او لطبرية والاول اصح قال (حدثنا عبد الغافر الفارسي) الامام الزاهد العدل ابو محمد عبد الغافر بن محمد الفارسي احد رواة مسلم المشهور بالرواية عن الجلودي ولد سنة احدى وخمسين واربعمائة وتوفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة وعمره ثمان وسبعون سنة قال (حدثنا ابو احمد الجلودي) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه يجوز فيه فتح الجيم وضمها وقد قيل هنا ان عبد الغافر لم ير الجلودي ولا روى عنه صحيح مسلم وانما الراوي جده ابو امه واسمه عبد الغافر ايضا كنيتهما لكنيتهما احدا فان كنية الاول ابو الحسن وهذا ابو الحسين مصغرا واسم ابي الاول محمد وهذا اسمعيل وتاريخ موتهما مختلف فيه وهذا لم يدرك الجلودي وقال السبكي رحمه الله تعالى في طبقاته بين هذا وبين الجلودي انسان وهذا مما لم ينبه عليه البرهان مع اطلاعه وهو مما ينبغي التنبيه له قال (حدثنا ابراهيم بن سفيان) تقدم ايضا وان بين سفيان متابعة قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) الامام المشهور صاحب الصحيح وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا

ابو الطاهر) احمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح بمهملات بن مصر الاموى مولاهم المصرى روى عنه اصحاب السنن وغيرهم ووثقه النسائى وقال ابو حاتم لا بأس به وكان فقيها صالحا ثبتا توفى فى ذى القعدة سنة خمسين ومائتين قال (اخبرنا ابن وهب) ابو محمد عبد الله الفهرى احد الاعلام روى عنه الستة وتوفى سنه سبع وتسعين ومائه (اخبرنا يونس) بن يزيد الايلى بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية واللام وياء النسبة احد الاثبات روى له اصحاب الكتب الستة وهو ثقة ثبت توفى سنة سبع وخمسين ومائه وله ترجمة فى الميزان وفى يونس ست لغات تثليث النون مع الواو والهمزة (عن ابن شهاب) الامام ابو بكر بن مسلم الزهرى وقد تقدم (قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حنينا) تقدم الكلام على حنين قال البرهان الحلبى الراوى اذا قدم الحديث على السند كأن يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا اخبرنى به فلان ويذكر سنده اوقدم بعض الاسناد مع المتن كالحش فيه قال بعد هذا قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان بن امية الى آخره فهو اسناد متصل ولا يمنع ذلك الحكم باتصاله كما لو ذكر الاسناد بتمامه اولا وقال ابن الصلاح ينبغى ان يكون فيه خلاف كتقديم بعض المتن على بعض وحكى الخطيب المنع من ذلك على القول بان الروايه بالمعنى لاتجوز والجواز على القول بانها تجوز ولافرق بينهما فى ذلك انتهى وفى جعله كالروايه بالمعنى خفاء (قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية) بن وهب بن حذافة بن جمح القرشى الجمحى الصحابى وكنيته ابو وهب اسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا والطائف وهو مشرك ثم اسلم وحسن اسلامه بعد ما كان من المؤلفه قلوبهم وكان رئيس بنى جمح وكان يعادى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤذيه اذيه بالغه مع ما بينهما من الرحم فجازاه على اسائته بالاحسان الزائد الى (مائه من النعم ثم مائه ثم مائه) والنعم اسم جمع للابل لا واحد له من لفظه وجمعه انعام وقال الهروى هو الابل والبقر والغنم (قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطانى ما اعطانى وانه لابغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى انه لاحب الخلق الى) بعد ما كان اشد الناس عداوة له لقتل ابيه يوم بدر ولمشهد وهو كافر حنينا ثم رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الجعرانة وبينما هو يسير فى الغنائم ينظر اليها ومعه صفوان جعل صفوان ينظر الى شعب ملئ نعما وشاء وادام النظر اليها ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يرمقه فقال له اباوهب يعجبك هذا الشعب قال نعم قال هو لك وما فيه فقال صفوان ماطابت بهذا الانفس ى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وكانت زوجته اسلمت وابنه فاقر

(الى)

الى صلى الله تعالى عليه وسلم نكاحه عليهما واختلف فيما كان تعطيه صلى الله تعالى عليه وسلم للمؤلفة هل هو من خمس الخمس الذي هو حقه او من الخمس او من الغنائم واما اعطاء مؤلفة الكفار فكان جائزا في صدر الاسلام وهل هو من الزكوة او من بيت المال ثم منعوا منه في خلافة الصديق او في خلافة عمر رضي الله تعالى عنهما * فان قلت ما مناسبة الحديث لما نحن فيه * قلت لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى صفوان لما مر وفيه من الرحم خوفا عليه ان يستمر على عداوته وكفره فيهلك فاحسن اليه حتى حسن اسلامه سبقه عليه من ان يحل به النقمة والعذاب وقد تقدم اعطاؤه اكثر من ذلك (وروى ان اعرابيا جاء يطلب من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا فاعطاه) هذا الحديث رواه البزار عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه بسند ضعيف وكذا ابن حبان وغيره ولم يسموا الاعرابي (ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت) الذي في النسخ احسنت بهمزة واحدة فهمزة الاستفهام مقدرة كقوله

ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصا والتراب

ومثله كثير فيس والاستفهام استفهام تقريري وقوله لارد لقوله احسنت واجملت يعني نفي فعلا لا مجردا وقال بعضهم معناه ماء ذلك في الاخذ والعطاء اوما اكثرت وهذا اولى اسهى واللغة لا تساعده واعاجله عاء الهرب من الكرار ولا تكرار فيه لانه من ذكر العام بعد الخاص وقوله لا يعد تكرارا لما فيه من المبالغة وفي ذلك غلظة وسوء ادب (فغضب المسلمون) من كلامه وجراءته عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقاموا اليه) ليضربوه ويجازوه عما يستحقه (فاشار اليهم ان كفوا) اي اشار بيده اليهم اشارة فهم منها الامر بكفهم اي تركهم ما ارادوه وان مفسرة او مصدرية على الخلاف المشهور عند اهل العربية وهذا من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وسبقه بالمما له احسن اسلامه (ثم قام) من مجلسه (ودخل منزله وارسل اليه) عطيته (وزاده) اي زاده على ما اعطاه اولا (ثم قال احسنت اليك) فيه مقدر وهو خرج وقال له ذلك (قال نعم) احسنت الى (فجزاك الله) على احسانك ولطفك بي (من اهل وعشيرة خيرا) معمول جزاك وما بينهما اعتراض والفاء تفريعية وسببية لما بعده وقيل انها فصيحة في جواب شرط مقدر او عاطفة على مقدر اي احسنت واجملت فجزاك الى آخره ومن في من اهل قيل انها بدلية مثلها في قوله لجعلنا منكم ملائكة في الارض اي بدلكم فالمعنى بدلا من اهلي وعشيرتي الذين لم يحسنوا الى وقيل ليس هذا مراده بل مراده انه صار اهلا له وعشيرة اي بمنزلة اما لفعله فعل العشيرة وهذا كما يقولون للقادم اهلا وسهلا او لما تقدم من ان له صلى الله تعالى

عليه وسلم في كل قبلة قرابة وعرقا في اماطلابة كقوله تعالى (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) اى لاجل ذكر الله واما كونها للفصل والتمييز كما في قوله تعالى (أتأتون الذكران من العالمين) اى تميزا من بين العالمين بهذا الفعل القبيح ومنه حديث اشار المصنف رحمه الله تعالى الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم زاد لطفا فارشده بقوله (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت ماقلت) في حوائك وردك على (وفي انفس اصحابي من ذلك شيء) تنكيره اما للتحقير اى شيء حقير لا يعتد به عندي او للتعظيم اى امر عظيم عندهم لادبهم مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ووضع اسم الاشارة موضع الضمير لجعله كالمشاهد المحسوس لاستحضاره وتذكيره تعاوضا منه من الامر العجيب (فان احببت فقل بين ايديهم ماقلت بين يدي) علق قوله على محبته وارادته لطفا منه صلى الله تعالى عليه وسلم اى لطف معناه دفع عظيم ما في الصلف منه وفيه من الشفقة بالامة مالايخفى وبين الايدي كناية عن حضوره وعمله لهم وليس المراد اليد به الحقيقة بل المقابلة مع القرب وقد يعبر به عن المشقة بل نحو قبل ما بين ايديهم وما خلفهم (حتى يذهب ما في صدورهم عليك) اى الغضب والالم الذي في قلوبهم بسبب ما اساءه اولا (قال نعم) اى اقول لهم ماقلت لك (فلما كان الغد اوالعشى) المراد بالغد صبيحة اليوم الذي بعد اليوم الذي كلمه فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والغداة من طلوع الفجر الى الزوال والعشي مابعد الزوال الى الغروب والشك هنا من الراوي (جاء) اى الاعرابي الى مجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لاصحابه الحاضرين عنده (ان هذا الاعرابي قال ماقال) لي اولا اذ ساءه ادبه لغلظة طبعه ولذا وصفه بالاعرابي لما عرف من حال الاعراب (فزدناه) على عطائه الاول (فزعم انه رضي) بحمله ما اعطيناه له والزعم هنا بمعنى القول الحق وهو يستعمل بهذا المعنى كقول الشاعر

هلكنا ولكن ان هلكت فاننا ❊ على الله ارزاق العباد كما زعم

ويكون بمعنى القول الباطل كقوله تعالى هذا الله بزعمهم ولذا قالوا زعم مطية الكذب وفي الخبر اشارة الى ماقيل فيه من الحرص والطمع ثم التفت صلى الله تعالى عليه وسلم الى الاعرابي وقال له (اكذلك) فالاستفهام موجه منه صلى الله تعالى عليه وسلم للاعرابي اى الامر كذلك من انك رضيت وان كان ما قوله كلاما فيه وجها لاصحابه رضي الله تعالى عنهم فالجار والمجرور خبر مقدر اى الامر كذلك (قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا) تقدم معناه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثلي ومثل هذا) الاعرابي المثل يكون بمعنى القصة وبمعنى الكلام المشبه مورده بمضربه ويكون استعارة تمثيلية او تشبيها تمثيليا كقوله تعالى مثلهم كمثل الذي

استوقد نارا) الآية ونكون ذلك لزيادة التوضيح والتقرير فانه اوقع في النفس لانه يريك المخيل محققا والمعقول محسوسا لمافيه من الشأن الغريب وهو في الكلام الالهي والاحاديث النبوية كثير (مثل رجل له ناقة شردت عليه) اي نفرت منه وذهبت في الارض يقال شردت الدابة والانسان اذا نفر وجرى جريا شديدا لا يلحق شرودا وشرادا واصل التشريد التفريق حوفا قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم قال ابن عرفة اي افعل بهم فعلا يخيف من وراءهم ويشردهم (فاتبعها الناس) افتعال من الاتباع اي مضوا وجروا خلفها ليمسكوها (فلم يزيدوها الانفورا) اي لم يحصل باتباع الناس اياها الا زيادة هربها ونفورها لخوفها منهم (فناداهم صاحبها) اي الناقة (خلوا بيني وبين ناقتي) اي وقال لهم خلوا الى آخره فهو معمول نادى لتضمنه معنى القول اومقول قول مقدر كما عرف في امثاله اي لا تتبعوها واتركوها واتركوني انفرد بها (فاني) وفي نسخة فانا (ارفق بها منكم واعلم) اي انا اشفق عليها واعلم بحالها منكم (فتوجه لها بين يديها) اي جاءها من امامها (فاخذ لها من قمام الارض) القمام جمع قمامة ككناسة لفظا ومعنى والمراد بها النبات الذي ترعاه الدواب سميت به لحقارته ولانه مما تطرح كالقمامة فاستعير لذلك (فردها حتى جاءت) فيه مصدر اي قدمت منه الاكل مامده من الحشائش فامسكها وردها حتى اتى بها محسله (واستناخت) اي بركت ومكنت من نفسه من باب الحمل ونحوه اذا بركه (وشد عليها رحلها) الرحل للابل كالسرج للفرس وهو معروف (واستوى عليها) اي على ظهرها اي ركبها يقال استوى على الدابة اذا علا على ظهرها وركبها (واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال) اي لو لم اكفكم وامنعكم عنه حين قال لي الرجل مقالته السيئة (فقتلتموه دخل النار) عقوبة له باساءته على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشبه المثال شبه الدابة الشاردة بالقمامة وشبه نفسه بالرجل وشبه الاعرابي بدابة شاردة عن ربها وشبه الصحابة بالعصاة وقاموا له بالناس الذين تبعوا لها الذين نفروها عن ربها وشبه قوله كفوا عنه بقوله خلوا بيني وبينها وفي قوله فاني ارفق بها منكم بيان لانه اعظمهم رفقا واقواهم شفقة على خلق الله تعالى وهو نسبة في اعلى طبقات البلاغة لتضمنه هذه المعاني اللطيفة وقيل ويحتمل ان الرجل انما قال اولا ما قال لطمع على حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه سمع صفاته من اهل الكتاب والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم علم بذلك وقيل ان حرمه بدخوله النار لكفره بما قاله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والنبي تلطف به حتى امن ونجا من النار وامل وهذا الحديث رواه البزار وابو الشيخ بسند ضعيف عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وابن حبان في صحيحه وابن الجوزي في الوفا (وروي عنه) بالبناء

للمجهول وضمير عنه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والراوي له ابوداود والترمذي عن ابن مسعود وفي نسخة وروى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا) هذا نهي عام عن الغيبة والنميمة ونقل ما يكره نقله من قول اوفعل اوترك (فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر) سلامة الصدر كناية عن كونه ليس في قلبه بغض لاحد ولا غضب على احد ومثله صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له سليم القلب قال الله تعالى (الا من اتى الله بقلب سليم) اي بريء من الكفر والنفاق وهذا معنى آخر وقد صح عن انس رضي الله عنه مما رواه ابن مسعود قال قسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار والله ما اراد محمد بهذا وجه الله فاتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته فتمعّر وجهه وقال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر رواه البخاري والمراد سلامة صدره له قول عنه اوالناقل كما قيل من نم لك نم بك والاولى ابقاؤه على اطلاقه لشمولهما وغيرهما وكل من النميمة والغيبة حرام الا في اماكن استثناها الفقهاء وقد نظمها الجوهري من فقهاء الشافعية في قوله

> بست غيبة جازت فحدها ✽ منظمة كامثال الجواهر
> تظلم واستفت واستعن حذر ✽ وعرف واذكر فسق المجاهر

ويأتي لذلك مزيد بيان ايضا (ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على امته تخفيفه) عنهم التكاليف الشاقة التي كانت في الامم السابقة وتجاوزه صلى الله عليه وسلم من ربه ان جعل الصلوة خمسا بعد ماكانت خمسين (وتسهيله) في امورهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لبدنك عليك حق ولزوجك عليك حق لمن اراد قيام الليل كله (وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم) الكراهة والكراهية من المكروه ضد المحبوب والكره ضد الطوع والمخافة بمعنى الخوف منصوب على انه مفعول له ثم بين ذلك بقوله (كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (لولا ان اشق على امتي) اي لولا مخافة المشقة عليهم (لامرتهم بالسواك) اي امر ايجاب والا فامر الاستحباب ورد في الحديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بالسواك وانما كرها حتى تمسك بهذا الحديث بعضهم بجعله واجبا ورد بهذا الحديث فهو سنة واختلف في محل سنيته في الوضوء هل حال المضمضة او قبل الوضوء او قبل مطلقا من غير تعيين وقت له وهو من سنن الدين لا من سنن الوضوء كما اختاره الرملي رحمه الله تعالى والسواك مصدر بمعنى الاستيال واسم العود نفسه والمراد به الاول او الثاني بتقدير مضاف اي استعماله وهو مذكر وجوز بعض اهل اللغة تأنيثه (مع كل وضوء) وفي رواية عند كل صلوة وهذا الحديث رواه اصحاب الكتب الستة والوضوء بضم الواو مصدر وبفتحها ما يتوضأ به كالطهور واجاز بعضهم في المصدر الفتح وقد جاء في المصادر الفتح ايضا وقال

ابو شامة رحمه الله تعالى في كتاب السواك السواك مأخوذ من قولهم تساوكت الابل
اذا اضطربت من الهزال فيا فلقب من الضعف لما فيه من الحركة وقوله مع كل
وضوء روي مع كل صلوة وعند كل صلوة كما علم وهل هو عام لكل صلوة فرضا
او نفلا او الصلوات الخمس ذهب الى كل جماعة وقال الشافعي احب السواك للصلوة
وعند كل حال يتغير فيها الفم كالاستيقاظ من النوم وهو يشمل الصائم وفيه كلام
للفقهاء ويكره له بعد الزوال فلا يحصل له تغير خلوف يوم بعده ورواية الموطأ مع
الوضوء قال ابو شامه يحتمل معنيين اي لامرتهم بالسواك مصاحبا للوضوء او لامرتهم
به كما امرتهم بالوضوء وله فيه كلام طويل وقوله (وخير صلوة الليل) هو ماقال الشيخ
قاسم بن قطلوبغا في تخريجه لاحاديث الشفاء ومن خطه نقلت عن زيد بن ثابت
رضي الله تعالى عنه قال احتجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حجيرة بخصفة
او حصير في المسجد في رمضان فخرج فصلى فيها قال فتتبع رجال وجاؤا يصلون
بصلاته قال ثم جاؤا فحضروا فابطأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يخرج
اليهم فرفعوا اصواتهم وحصبوا الباب فخرج اليهم مغضبا فقال لهم مازال بكم
صنيعكم حتى ظننت انه سيكتب عليكم فعليكم بالصلوة في بيوتكم فان خير صلوة
المرء في بيته الا المكتوبة رواه الشيخان وفي رواية خشيت ان تفرض عليكم فتعجزوا
عنها انتهى وهذا هو المناسب للمقام ولما قبله والله اشار السيوطي ايضا في شرحه اهل
الصفا في تخريج احاديث الشفا لا ما قيل انه اراد به حديث صلوة الليل مثنى مثنى
وبه استدل على ان الافضل في الليل الا ان يكون ركعتين ركعتين وعند ابي حنيفة رحمه
الله تعالى الافضل ليلا ونهارا الاربع لدليل لاح له وقد علمت ان الاول هو المناسب
هنا ويناسبه ماروي حذوا من العمل ماتطيقون اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد
حتى يذهب عنه النوم وهذا هوالذي قاله الشامي في حواشيه ايضا فان قلت كيف
يخشى صلى الله تعالى عليه وسلم افتراضه بعد فرض الصلوة في الاسراء وقول الله تعالى
لا يبدل القول لدي قلت قيل يحتمل ان الله اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلوة
بجماعة افترضتها عليهم او انه وقع في نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك او المعنى
اي خشيت ان تظنوها فرضا اذا داومت عليها ولا يخفى بعده وان قيل ان مافي الاسراء
هي وظيفة كل يوم وهذه مخصوصة برمضان او انه لما كان قيام الليل فرضا عليه
صلى الله تعالى عليه وسلم خشي ان يسوى بينه وبين غيره من الامة وقيل ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا واظب على شيء من اعمال البر واقتدى الناس به يفرض وفيه انه
صلى الله تعالى عليه وسلم واظب على اشياء كثيرة ولم تفرض كرواتب الفرائض
والسنن المؤكدة وقيل ان المراد بالفرض فرض الكفاية وقول الكرماني ان قوله تعالى
لا يبدل القول لدي معناه نفي النقص لان الزيادة تعد تجديدا وهذا لا يقبل النسخ لانه خبر
واحتمال انهم لرغبتهم في العبادة يفرضون ذلك على انفسهم كالنذر فيشق على

من بعدهم بعد ايضا وعلى كل حال فالمقام لايخلو من الاشكال (ونهيهم) مصدر مضاف للمفعول اى نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصحابة رضى الله تعالى عنهم (عن الوصال وكراهة)(٢) نهيهم والوصال فى الصوم وهو ان يصوم يومين فاكثر من غير اكل وشرب بينهما ونهيه عن الوصال ثابت فى الصحيحين فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما واصل واصل الناس وشق ذلك عليهم فلما بلغه ذلك نهاهم عنه فقالوا له انك تواصل فقال انكم لستم مثلى انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى فمن خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يجوز له الوصال ويمنع منه غيره واختلف فيه هل كراهته تحريمية او تنزيهية او يفرق بين من يطيق ومن لا يطيق وعلم من الحديث وجه اختصاصه ومعنى كون الله يطعمه ويسقيه انه يعطيه قوة روحانية ويمده بانوار ربانية بحيث لا يضعف بدنه بترك الطعام والشراب بل يزداد قوة وذلك باتصال روحانيته بعالم الغيب حتى يحصل له بدل ما يتحلل بسبب لا يشعر وليس هذا خاصا له فى كل الاوقات الا ترى ان المريض مدة طويلة لا ياكل ولا يشرب ولو بقى مثل ذلك فى حال صحته لم يطقه لاشتغال روحه به وقد اتفق على هذا علماء الشرع والحكماء كما فصله ابن سيناء فى مقامات العارفين فلا يرد عليه انه صلى الله عليه وسلم كان فى بعض الاحيان يجوع جوعا شديدا حتى يشد الحجر على بطنه والترمذى الحكيم لما لم يقف على هذا انكره او وهم ان بين الحديثين تناقضا حتى ادعى ان تصحيف وتحريف ممن رواه وانما هو الحجز بضم الحاء المهملة وفتح الجيم والزاى المعجمة جمع حجزة وهى من شقه فى الحزام وقال ما يغنى شد الحجر ولم يدر انه سفله وزده تجمع الامعاء ويردها ويقيم الصلب الضعيف وانكاره للحديث الصحيح وحمله على غير ظاهره كما قيل بان تغذيه حقيقة من طعام الجنة ثابتة المقام لانه لوكان كذلك لم يكن وصالا (وكراهة دخول الكعبة) اى من سيقته صلى الله تعالى عليه وسلم على امته كراهة دخول الكعبة فى الحديث الذى رواه ابو داود والترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وصححاه وكذا رواه ابن خزيمة والحاكم عنها ايضا مصححا مسندا وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من عندها وهو قرير العين ثم رجع وهو كئيب اى محزون فسالته عن ذلك فقال خشيت ان اكون شققت على امتى اى بدخولى البيت وكان ذلك فى حجة الوداع وكانت عائشة رضى الله تعالى عنها معه وبهذا جزم الطبرى والنووى واختلفوا هل صلى فيه ام لا وفى بعض شروح البخارى يحتمل ان يكون دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم الكعبة وقع مرتين صلى فى احدهما ولم يصل فى الاخرى وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم دخل الكعبة متفق عليه قال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم البيت هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة رضى الله تعالى عنهم واغلقوا عليهم الباب فلما فتحوه كنت اول من ولج فلقيت

(٢) هذا الخط وقع فى نسخ الشهاب هنا مكررا مكانّ ما وقع هنا معروف لكراهة الوصال فلو اكتفى بما ذكر بعد اعنى قوله وكراهة دخوله الخ كان نسخ المتن والشروح وفهم كراهة الوصال من النهى الواقع لكان اولى ليكون موافقا للمتون فليراجع فانه

مصححه
طاهر

بلالا هل صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها قال نعم بين العمودين اليمانيين
وكان ابن عمر اذا دخل مشى قبل الوجه ويجعل الباب قبل ظهره حتى تكون
بينه وبين الجدار قريب من ثلاثة اذرع فصلى يتوخى المكان الذى صلى فيه
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا بأس على احد ان يصلى فى اى جهة شاء
وهذه الرواية مرجحة على رواية اسامة بن زيد انه دعا فيه ولم يصل لان المثبت
مقدم على النافى لزيادة علمه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قدم مكة بعد الهجرة
ثلاث مرات * الاولى فى عمرة القضاء ولم يدخل فيها الكعبة لما فيها من الاصنام
والكفر بأن بها * والثانية فى فتح مكة وفيها دخل الكعبة وامر باغلاق بابها فلبث
فيها مليا ثم فتح الباب قال عبد الله بن عمر فلقيت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم خارجا وبلالا على اثره فقلت له هل صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فقال نعم فلبث ان قال بين العمودين تلقاء وجهه ونسيت ان اساله كم صلى *
والثالثة فى حجة الوداع واختلف فى انه دخل الكعبة فيها ام لا واعتبا كره
دخولها فى حجه لئلا تحمله الناس من المناسك اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم
وقد لا تيسر لهم ذلك وقد اختلفوا فى كونه من المناسك والصحيح انه ليس منها
تمسكا بهذا الحديث وقوله (لئلا تعنت امته) بثائين مفتوحتين وعين مهملة
مفتوحة ونون مشددة وفعلها فوقية تفعل من العنت وهو المشقة والاثم ووقع
فى بعض النسخ تعنت من العنت كما قاله القسطلانى وامته فاعل عليهما وروى
بضم التحتيه وسكون العين وكسر النون من اعنته بمعنى عنته وامته منصوب
مفعول وبالتحتيه والتشديد ايضا ونصب امته فيه وجوه مرويه (وزعه)
اى طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان تحمل بيه وله فيهم) اى لامته اى لاحد
منهم (رحمه بهم) والبث والشم بمعنى واصله من البثه وهى تخرج البعر من الدبر
لماذ فمثل كر وسيأتى بيان هذا (وانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمع بكاء الصبى)
وهو فى صلاته (فيتجوز فى صلاته) التجوز تفعل من الجواز والمراد به هنا انه يخففها
ويسرع فيها مستعار من تجوز عن ذنبه اذا لم يؤاخذه به كتجاوز او هو من الجواز
فى السير والصبى المراد به الطفل الرضيع وهذا رواه ابن السنى فى حديث صحيح
عن انس رضى الله تعالى عنه كما قاله السيوطى وروى الشيخان عن انس انه صلى الله
عليه وسلم قال انى لادخل فى الصلوة وانا اريد اطالتها فاسمع بكاء الصبى فاتجوز
فى صلاتى مما اعلم من شدة وجد امه من بكائه ودليل فيه على جواز دخول الصبى
والنساء فى المسجد لاحتمال ان يكون ذلك من بيوت مجاورة له ولا دليل فيه ايضا
على جواز تطويل الصلوة لاجل من يلحق الجماعة كما قيل والمراد بالتخفيف مالا يؤدى
الى عدم تعديل الاركان والاخلال بالواجبات كما لا يخفى (ومن شفقته صلى الله تعالى

عليه وسلم) على امته ورحمته لهم (ان دعا ربه وعاهده) هذا مفسر لما من
ولو اقتصر على هذا كان اخصر واظهر والمراد بالمعاهدة الزام ما لا يلزمه شرعا
كالنذور كما قاله الراغب اى دعا بذلك ونذر مضمونه ما ذكر (فقال ايما رجل سببته
او لعنته) تفسير لما دعا به وعاهد الله عليه واللعن اصل معناه الطرد والابعاد ثم
خص بالبعد من رحمة الله (فاجعل ذلك) السب واللعن (زكوة) اى تطهيرا له
مما ارتكبه مما اقتضاه (وصلوة ورحمة وطهورا) اى مطهرا له من ذنوبه (وقربة
تقربه بها اليك يوم القيامة) كما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه
وروى هذا الحديث من طرق اخر فيها ايما رجل من المسلمين او من المؤمنين وروى
او جلدته ومعلوم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله
فاذا رأى احدا من المؤمنين وقع منه ما يخالف امر الله ربما حصلت له غيرة لامر الله
فبادر بزجره وسبه او ضربه ثم انه رجا من الله ان يكون ذلك مكفرا لما صدر منه
ورحمة عظيمة مقربة له من الله لان المؤمن اذا رأى غضب النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم حصل له خوف شديد يتعب قلبه ويكون سببه خوفه جراء عمله ورجوع
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم زيادة فى حسناته تقربه من ربه وهذا لا ينافى ما ورد
فى حديث آخر (انى لم ابعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة) اما لان المنفى هنالك
المبالغة والكثرة ان لم نقل المبالغة فى النفى فان قلنا بها فالمعنى انه ليس هذا مقصودا
من بعثه فلا ينافيه وقوع ما يخالفه للتأديب نادرا واما حمل ما صدر منه صلى الله
تعالى عليه وسلم على ما قبل البعثة فيأباه قوله من المؤمنين او المسلمين وسياق الحديث
فى قوله جلدته يأباه او انه لما رجا من الله ان يكون ذلك رحمة لهم لم يكن لعنا حقيقيا
بل رحمة فلا لعن منه لاحد من امته اصلا وبالجملة فهو صلى الله تعالى عليه وسلم
رحمة وادعيته نعمة لا نقمة بخلاف غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فان دعاءهم
نقمة عاجلة على اممهم وفى المصابيح ان الله اجاركم ان لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا
وسيأتى تتمة هذا فى القسم الثالث فصار دعاؤه عليهم دعاء لهم على حد قولهم
قاتلهم الله وتربت يداه وفى هذا نهاية النعمة واول الحديث (اللهم انما محمد بشر
يغضب كما يغضب البشر وانى اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما رجل الى آخره)
وهذا كما مر لا ينافى دعاءه صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض الكفرة والمنافقين
(و) من عظيم شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم ما اشار اليه بقوله و (لما كذبه
قومه اتاه جبريل عليهما الصلوة والسلام فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك
وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم
عليه وقال مرنى بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله تعالى من اصلابهم من يعبد الله وحده

ولا يشرك به شيئا) هذا الحديث رواه الشيخان واصحاب الكتب الستة وكان ذلك لما مات ابو طالب ونالت قريش منه صلى الله تعالى عليه وسلم مالم تنله في حياته فخرج لثقيف ومعه زيد بن حارثة يلتمس النصرة منهم والمنعة فعمد الى نفر من رؤسائهم فجلس اليهم وكلمهم ودعاهم الى الاسلام فكذبوه وسلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به ويرضخونه بالحجارة حتى ادموا رجليه وهم يضحكون وزيد رضى الله تعالى عنه يقيه بنفسه حتى انتهى صلى الله تعالى عليه وسلم الى حائط استظل تكرمه وهو مكروب موجع فاذا بقرب الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة فلما رأياه كره ذلك لما علم من عداوتهما له فرحماه ودعوا غلاما لهما يقال له عداس وقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في طبق واذهب به له ليأكله فلما وضعه قال صلى الله تعالى عليه وسلم بسم الله ثم اكل فقال الغلام ان هذا الكلام لا يقوله اهل هذه البلاد فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم من اى البلاد انت وما دينك قال نصرانى من اهل نينوى فقال من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال ما يدريك يونس قال ذاك اخى من انبياء الله فاكب يقبل رأسه ورجليه فلما رجع قالا له مالك قبلت رجليه قال ما فى الارض خير من هذا لقد اعلمنى بامر لا يعلمه الا نبى فقالا له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا من اسند ما لقيه والقصة مفصلة فى السير وقوله وما ردوا عليك اى ما اجابوك به وما ردوا قولك وخالفوه اذ كذبوك وقوله فناداه ملك الجبال اى قال له يا رسول الله السلام عليك وقوله اطبق بضم الهمزة وسكون الطاء المهملة وكسر الموحدة مخففة ومشددة وقاف اى اضمهما واجمعهما حتى يهلكوا بينهما وملك الجبال هو الموكل بها بامر الله والاخشبين بهمزة مفتوحة فخاء وشين معجمتين وموحدة بزنة افعل جبلان يضافان تارة لمكة وتارة لمنى فقال اخشبا مكة واخشبا منى وهما ابو قبيس وقعيقعان بالضغير وسميا بالجبلان وهما تحت العقبة التى بنى فوق المسجد كما قاله البرهان الحلبى وقعيقعان هو الجبل المشرف الاحمر وانهم قعيقعان آخر بالبصرة وسميا اخشبين لغلظ حجارتهما وخشونتهما واصلاب جمع صلب الظهر والمراد بالاخراج منها ان يخلق لهم نسل وذرية وقد حقق الله رجاءه صلى الله عليه وسلم (وعن ابن المنكدر) وفى نسخة وروى ابن المنكدر هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزيز المدنى توفى سنة ثلثين او احدى وثلثين ومائة وهم ثلثة اخوة وكان يدخل على عائشة رضى الله عنها وهو تابعى وقد تقدم قوله (ان جبريل عليه الصلوة والسلام قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) باسقاط الصحابى فهو مرسل قال البرهان وانما يكون مرسلا اذا قلنا ان الصحابى اذا قال قولا لا مجال للاجتهاد فيه يكون مرفوعا كما ذكره الامام الشافعى رضى الله

تعالى عنه فيكون ما قاله النبي مرسلا وفي بعض الشروح ثم هو مرسل الآن
ارساله لا يمنع من قبوله اذ مرسل اصحاب القرون الثلاثة مقبول عندنا وعند مالك
بل هو فوق المسند لبرهان قام عليه عنده وعند الشافعي مرسل الصحابي مقبول
لكنه دون المسند وفي التنقيح الاصولي حكاية قبول مرسل الصحابي بالاجماع وفيه
نظر لمخالفة ابي اسحاق الاسفرائني فيه كما نقله العراقي وقيل انه خلاف طرأ بعد
انعقاد الاجماع في العصر الاول ومثله لا يضر وفيه نظر ولنا في اطلاق هذه المسئلة
بحث ذكرناه في حواشي النخبة (ان الله امر السماء والارض والجبال ان تطيعك)
المراد باطاعة السماء له صلى الله تعالى عليه وسلم انه ان اراد ان تخر صواعقها
على من عصاه فتهلكهم كان ذلك والارض ان اراد خسفها بهم وانطباقها
عليهم كان ذلك من غير مهلة ووحد ضمير تطيعك مع عوده على شيئين معطوفين
بالواو لجعلهما كشيء واحد لتأويلهما بالعالم او الدنيا وكان الظاهر تطيعانك
وفي بعض النسخ والجبال وعلى هذا لا حاجة الى التأويل لان الجمع يجوز عود ضمير
المؤنث المفرد عليه وفيه مراعاة النظم وحسن الترتيب اي بان تطيعك في كل
ما تريد (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (أؤخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم)
رجاء انهم يتوبون عن مخالفتي ويوفقهم للايمان فيؤمنون وقد فعل الله منهم ذلك
او يكون منهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا واصل معنى التوبة الرجوع فهي
من العباد الرجوع عن المعاصي ومن الله قبول ذلك او من الرجوع عن الغضب
عليهم والعقوبة لهم ولا منافاة بين هذا وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم ولا بين ما وقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم في غزواته من القتل والسبي كما
توهم لانه عذاب مخصوص ولان التأخير لا ينافي ما وقع بعده كما لا يخفى والاحسن
ان جوابه معلوم من قوله الآتي ما لم يكن اثما فتدبر (قالت عائشة رضي الله
تعالى عنها ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين امرين الا اختار
ايسرهما) تقدم هذا الحديث وانما اعاده هنا تأكيدا لما قبله وايسرهما اي
اسهلهما واهونهما على الامة شفقة ورحمة منه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم
وبقية الحديث ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه كما سيأتي وكذا رواه
الشيخان وتقدم الكلام عليه (وقال ابن مسعود رضي الله عنه) في حديث رواه الشيخان
(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة) بفتح المثناة التحتية وفتح
التاء الفوقية والخاء المعجمة والواو المشددة المفتوحة واللام والضمير للصحابة اي
يتعهدنا يقال فلان خائل مال وهو الذي يصلحه ويقوم عليه ومنه الخولي لراعي الغنم
والمواشي وقيل الصواب يتحولنا بالحاء المهملة اي يطلب الحال التي ننشط فيها لاسماع
الموعظة فيعظ فيها ولا يكثر منها (مخافة السآمة علينا) اي الملال بكل وسأم وقيل

انه يحوسا سوبن اى سعهدنا كما يتعهد الصيوف بالحوان والمائدة والرواية الصحيحة بالاعجام مع اللام والنون كما مر وكان فعل ماض اذا اخبر عنه بالمضارع الدال على الاستمرار التجددى دل على التكرار عرفا والموعظه مصدر ميمى بمعنى الوعظ وهوالتذكير والتخويف من سوء العاقبة ومخافة منصوب مفعول له وهو مصدر بمعنى الخوف كما مر والسآمه الملل وعلينا متعلق بمخافه وتعلقه بالسأمه بتضمين المشقة تكلف وان جاز وقيل انه حال من السآمة وهو الارجح او صفة لانه فى معنى النكرة كقوله تعالى (كمثل الحمار يحمل اسفارا) وفى افادة كان التكرار كلام مفصل فى كتب الاصول (وعن عائشه رضى الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبه) اى شدة بحيث لا ينقاد لراكبه اذا اوقفه واذا سيره (فجعلت ترددة) اى تمشى به وترجع واصل التردد عدم البقاء على حاله ومنه تردد الانسان فى الاماكن لحاجة تعرض له ومنه التردد فى الخواطر وانما فعلت ذلك لترو صه حتى ينقاد لها (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشه (عليك بالرفق) اى استمسكى بالرفق فى امورك ولا سيما الدابه التى ركبت فيه دلالة على شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم على خلق الله حتى الحيوانات وعليك بكسر الكاف اسم فعل يتعدى بنفسه وبالبا كما ذكره النحاة والبعير قيل بفتح اوله ويكسر وكذا كل فعل ثانيه حرف حلق ويطلق على الجمل والناقه وقيل هوالجمل البازل وهو الموافق للاستعمال وهذا الحديث اخرجه البيهقى فى سننه عن المقدام عن ابيه عن عائشه رضى الله عنهما انها كانت على جمل فجعلت تضربه فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ياعائشة عليك بالرفق فانه لم يكن فى شئ الازانه ولا نزع من شئ الاشانه وختم بهذا الحديث لما فيه من العموم فهو كالتذنيب لهذا الفصل ﴿ فصل واما حفظه صلى الله عليه وسلم فى الوفاء﴾ هو ضد الغدر ونقض الذمه (وحسن العهد) اى ماعاهد عليه والذمه وهو عطف تفسير لما قبله (وصله الرحم) هوالاحسان الى الاقارب والاصهار والرفق بهم وعمور لابهم ونصحهم والتودد اليهم وضده قطع الرحم وهذا اذا لم يكونوا كفارا اعداء الله كابى لهب وابى جهل والرحم اصله مقر الولد ثم استعمل بمعنى القرابه بعيدة او قريبه بواسطه وبدونها (حدثنا القاضى ابو عامر محمد بن احمد بن اسماعيل) بن ابراهيم الامام المحدث الطليطلى ولد سنة ست وخمسين واربعمائه ومات بقرطبة فى ربيع الاول سنه ثلاث وعشرين وخمسمائه (قراءة عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد) تقدم قال (حدثنا ابو اسحق الحبال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الموحده وهو ابراهيم بن سعيد بن عبد الله المهدى الثقه المشهور وقد تقدم قال (حدثنا ابو محمد بن النحاس) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابن الاعرابى) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو داود) صاحب السنن المشهورة وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن يحيى) بن عبد الله بن خالد بن فارس النيسابورى الامام الحافظ الجليل القدر توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين اخرج له

اصحاب السنن وغيرهم قال (حدثنا محمد بن سنان) بكسر السين وبنونين بينهما الف
العوقي بفتح العين المهملة والواو وبالقاف نسبة للعوقة بطن من عبد القيس
غير مشهور قال (حدثنا ابراهيم بن طهمان) بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء وهو
الامام ابو سعيد الخراساني المشهور روى عنه اصحاب الكتب الستة توفي في [illegible] وستين
ومائة وترجمته مبسوطة في الميزان (عن بديل) بضم الباء الموحدة وفتح الدال المهملة
وسكون الياء المثناة التحتية ولام ابن ميسرة العقيلي (عن عبد الكريم بن عبد الله بن
شقيق) العقيلي الامام الثقة (عن ابيه) عبد الله بن شقيق الامام المعروف توفي
في زمن الحجاج (عن عبد الله بن ابي الحمساء) بحاء مهملة مفتوحة وميم ساكنة وسين
مهملة وهمزة العامري الصحابي وفي المغني انه غير ابي الجدعاء وسيأتي حديثه في انتظاره
عليه الصلاة والسلام الى يوم ثالث وشقيق ولد عبد الله اخرج له ابو داود فقط قاله
المزي بعد ان بين طريقه عند ابي داود وليس هو عند غيره وذكر كلام ابي داود الذي
نقله عن محمد بن يحيى شيخه وذكر زيادة على ما في نسخة عندي من السنن والظاهر
انه من بعض النساخ وليس هو من كلام ابي داود فالمظنة كذا وهو من زوائده
ورواه عثمان بن خرزاذ عن محمد بن سنان هكذا وقال قال عبد الرحمن بن مهدي
ما اظن ابراهيم بن طهمان الا اخطأ في عبد الكريم وانما هو عبد الكريم بن عبد الله بن
شقيق عن ابيه عن ابي الحمساء ورواه ابو عون الزيادي عن ابراهيم بن طهمان
فلم يذكر عبد الكريم في اسناده وقال عن بشر بن السري رواه عن عبد الكريم بن
عبد الله بن شقيق وقال البزار اظن فيه غلطا من الناقل لان شقيقا والد عبد الله جاهلي
لا اعلم له اسلاما وانما عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه قال اذ لا نعلم انه روى
عبد الله بن ابي الحمساء الا هذا الحديث ووقع في الشفاء بعد ان احدهما الخنساء بمعجمة
ونون والاخرى وعن ابي الحمساء باسقاط عبد الله والاولى تصحيف والثانية خطأ
لان ابا الحمساء لا اسلام له ولا رواية وانما الرواية لولده عبد الله بن ابي الحمساء انتهى
(قال بايعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع) اي بعت منه مالا اي صلى الله عليه وسلم
(قبل ان يبعث وبقيت له) اي لذلك المبيع (بقية) لم اسلمها له (فوعدته ان آتيه بها
في مكانه) اي في مكان وقع فيه البيع (فنسيت) الوعد الذي جرى بيننا (ثم ذكرت
بعد ثلاث) اي ثلاثة ايام ولم يقل ثلاثة لان المعدود اذا حذف يجوز تذكيره
مع المذكر وتأنيثه مع المؤنث كما قالوه في قوله صلى الله عليه وسلم واتبعه ستا من شوال
وانما يلزم قاعدة العدد اذا ذكر المعدود (فجئت فاذا هو في مكانه) اي منتظر
صلى الله تعالى عليه وسلم في مكانه لم يفارقه (فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ
ثلاث انتظرك) وفي هذا الحديث دليل على وفائه صلى الله تعالى عليه وسلم بعهده
ووعده وهذا الحديث رواه ابو داود وهو من افراده واخرجه ايضا ابن مندة في المعرفة

والخرائطي في مكارم الاخلاق (وعن انس رضي الله تعالى عنه كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اتي بهديه) مبني للمجهول اي اتاه احد بهدية (قال اذهبوا بها الى بيت فلانة) لم يسمها الرواة لعدم تعلق غرض بتعيينها (فانها كانت صديقة لخديجة رضي الله تعالى عنها) وفي رواية (انها كانت تحب خديجة) وهذا الحديث رواه البخاري في الادب المفرد (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت ماغرت على احد) وفي نسخة امرأة من نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ماغرت على خديجة) يقال غار الرجل والمرأة اذا غضب ممن فعل مقتضى امرا لا يرضاه وغيرتها كانت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة محبتها له وارادتها لصرف محبته لها دون غيرها وهذا امر طبيعي لا لوم فيه واما كون الغيرة من خديجة فلا وجه له بعد موتها (لما كنت اسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم يذكرها) تعليل للغيرة وما مصدرية اي لسماعي ذكرها ولو شددت لما وجعلت حينية جاز ولكن النسخ متفقة على الاول وعلى على اصلها وقيل انها بمعنى الباء كما في قوله اركب على اسم الله وقال في الاكمال مما يدل عائشة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الغيرة التي عفي عنها للنساء حتى ذهب مالك الى اسقاط الحد عن المرأة اذا قذفت زوجها غيرة منها ولولا هذا لكان على عائشة رضي الله تعالى عنها في مناصتها التي صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم الحرج لانه كبيرة عظيمة وقد صرحوا بانها معفوة عند الله وفي الشرع (وان) بكسر الهمزة وسكون النون وهي مخففة من الثقيلة (كان ليذبح الشاة) ليس المراد انه يذبحها بنفسه (فيهديها) بضم الياء الاولى والمراد انه يهدي منها او يهديها تمامها والظاهر الاول لانه في الحديث فيهدي مايسعها او يسعهن (الى خلائلها) بالخاء المعجمة جمع خليلة بمعنى الصاحبة والصديقة (واستأذنت عليه) اي طلبت الاذن في الدخول له (اختها) اي اخت خديجة وهي هالة بنت خويلد بن اسد وهي ام ابي العاص ابن الربيع الصحابية المشهورة رضي الله تعالى عنها (فارتاح اليها) اي حصلت له صلى الله تعالى عليه وسلم راحة اذ دخلت عليه واظهر السرور والمسرة برؤياها وهذا الحديث في البخاري وفي روايه ارتاع بالعين بدل ارتاح بمعنى مال اليها واعجبه مجيئها مختارا (ودخلت عليه امرأة فهش لها) اي تبسم لها واظهر المسرة بدخولها كما يفعل الناس باصدقائهم ومن يحبونهم يقال هش وبش به اذا فعل ذلك استيناسا وقال هو هش بش اذا كان طلق الوجه وسايح الاخلاق كما يعمله الاكرمون (واحسن السؤال عنها) عنه مضاف مقدر بقرينة المقام وال في السؤال للعهد او بدل من المضاف اي احسن اليها سؤاله عن حالها وما هي عليه كما تقول لمن تزوره ما حالك وما انت عليه تلطفا به واعتناء بشانه كما هو عادة الناس

فتح النون وكسرها وتشديد الياء وتخفيفها واسمه اصحمه وقيل صحمة بفتح الصاد وسكون الحاء المهملتين وقيل صمحة بتقديم الميم وقيل حاؤه معجمة وقيل اسمه مكحول بن صصه وقيل سلم وقيل حازم وهو اسم لكل من ملك الحبشة وكان رضي الله تعالى عنه ممن اعان المسلمين لما هاجروا اليه وكاتب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واهدى له الهدايا وزوجه بام حبيبة رضي الله تعالى عنها وكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا يدعوه به الى الاسلام فاسلم على يد جعفر بن ابي طالب سنة ست وكان بينه وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محبة عظيمة فلما توفي في رجب سنة تسع نعاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى على جنازته وبه استدل الشافعي رضي الله تعالى عنه على الصلوة على الغائب على ما تقدم وقصته مشهورة ولما توفي خلفه نجاشي آخر دعاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للاسلام فابى ومات كافرا (فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم بنفسه) تواضعا منه وارشادا لغيره (فقال له) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اصحابه نكفيك) اي نحن نخدمهم ونكفيك من تعاطي خدمتهم فابى صلى الله تعالى عليه وسلم و(قال انهم كانوا لاصحابنا) الذين هاجروا لارضهم (مكرمين واني احب ان اكافيهم) اي اجازيهم على اكرامهم لاصحابنا باكرامهم ولا اكرام اعظم من تعاطيه صلى الله تعالى عليه وسلم امورهم بنفسه وهذا الحديث رواه البيهقي في دلائله مسندا (ولما جيء) مبني للمفعول اي جاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم (باخته من الرضاعة) بفتح الراء وكسرها بمعنى الرضاع (الشيماء) بفتح المعجمة وسكون المثناة التحتية والميم وهمزة ممدودة ويقال لها السيماء بتشديد الميم من عرباء كما قاله المحب الطبري ويحتمل ان تكون الشيماء اصلها شماء فابدلت احدى الميمين كما قيل في اما ايما ويكون بمعنى ذات شيم ثم نقل وجعل علما لها وهي بنت حليمة السعدية التي ارضعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل اختها وزوج حليمة هو الحارث بن عبد العزى وحليمة اسلمت وعدت من الصحابة على ما ياتي واسمها جدامة بجيم مضمومة ودال مهملة وقيل حذافة بحاء مهملة وذال معجمة وفاء وقيل حذافة بمعجمتين واختلف في زوجها ابو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاعة فلم يذكر احد من اهل السير اسلامه ولكن ذكره يونس بن بكير في روايته فقال حدثنا ابن اسحق عن ابيه عن بعض بني سعد بن بكر ان الحارث بن عبد العزى ابو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع قدم عليه بمكة بعد نبوته فقالت له قريش يا حارث ما تقول ابنك هذا فقال ما تقول قالوا يزعم ان الله يبعث الخلق بعد الموت وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم من اطاعه وقد شتت امرنا وفرق جماعتنا فاتاه فقال يا بني ما لك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول لهم ان الناس يبعثون بعد الموت

ثم تصيرون الى جنة او نار فقال نعم ولوكان ذلك اليوم يا انت احدث بيدك حتى اعرفك حديثك اليوم فاسلم وحسن اسلامه وكان يقول حين اسلم لو قد اخذ ابى سيدى فعرفنى ماقال لم يرسلنى ان شاء الله حتى يدخلنى الجنة انتهى (فى سبايا هوازن) السبايا جمع سبية بمعنى مسبية اى مأسورة وهوازن اسم قبيلة من بنى سعد بن بكر سميت باسم الاب الاعلى كما مر وهو هوازن بن نصر بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن نصر والمراد بكونها فيهم انها كانت مسبية معهم ايضا (وتعرف له) فقال تعرف له اذا اعلمه باسمه وشانه فهى اعلمته صلى الله تعالى عليه وسلم انها اخته رضاعا فقال لها صلى الله تعالى عليه وسلم ماعلامة ذلك فقالت عضة كنت عضيتنيها فى ظهرى فعرف ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقها جواب لما (بسط لها رداءه) اى فرشه لها لتجلس عليه اكراما لها (وقال لها) بعد ماجلست عنده (ان احببت اقمت عندى) مفعول احببت مقدر تقديره احببت الاقامة عندى وهذا يدل على انها اسلمت كما تقدم (مكرمة محبة) بالنصب على الحالية فيهما ومكرمة بضم اوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه اسم مفعول من اكرمه اذا فعل به مايحبه من احسان قولا وفعلا وكذا محببة فانه اسم مفعول من احبه ويقال حبه واحبه بمعنى والاكثر الافصح فى اسم المفعول ان يكون من الثلاثى فيكثر فيه محبوب وقل محب لكنه هنا احسن لاقترانه بمكرم وعليه الاستعمال كقول عنترة

واذا نزلت فلا تظنى غيره * منى بمنزلة المحب المكرم

وقولها جارية حدثته مكرمة محبة وجبروا ذلك فصاغوا اسم الفاعل من المزيد فقالوا محب ولم يقولوا حاب (او تمتعك وترجعى الى قومك فاختارت قومها فمتعها) ورجعت الى قومها ونص له ماقاله اصحاب السير انه لما قدمت اخته الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى وعرفه صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسها فعرفها وبسط لها رداءه واجلسها عليه وخيرها فاختارت الرجوع لقومها وارضها وان يمتعها بالاحسان اليها فاعطاها عبدا وجارية وقال ابن عبد البر رحمه الله انها اسلمت فاعطاها ثلاثة اعبد وجارية ونعما وشاء وهذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم صلة لرحمه لان الرضاع له حكم النسب والقرابة واللبن للاوين (وقال ابو الطفيل) بضم الطاء المهملة وفتح الفاء منقول من مصغر الطفل جعل علما لعامر بن واثلة بالثاء المثلثة الكنانى الصحابى وهو آخر من مات من الصحابة ووقع فى بعض النسخ ابن ابى الطفيل وليس بصحيح كما قاله البرهان الحلبى (رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانا غلام) الغلام كما فى كفاية المتحفظ عن بعض اهل اللغة الصبى اذا فطم الى سبع سنين ثم نصير يافعا الى عشر صحيح وقد يطلق الغلام على الشاب التام الرجولية والمراد هنا الاول (اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه) اى قربت من مكانه

(٢) وزاد في نسخ المتن هنا قوله « فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه فالوا امه التي ارضعته » قاله مصححه طاهر

الجالس فيه (٢) وفي بعض النسخ تأخير قوله وانا غلام عن قوله اذ اقبلت الى آخره وهذا الحديث رواه ابو داود في سننه بسند حسن فقال حدثنا ابن المثنى قال حدثنا ابو عاصم قال حدثني جعفر بن عمارة قال اخبرنا عمارة بن ثوبان ان ابا الطفيل اخبره قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة وانا يومئذ غلام احمل لحم الجزور اذ اقبلت امرأة وساقه وقوله اذ يحتمل ان تكون ظرفا لرأيت اي رأيته وقت اقبال المرأة ويحتمل ان تكون للمفاجأة بتقدير بينا اي رأيته يقسم لحما وبينا هو كذلك اذ اقبلت امرأة الى آخره اوهي بمعنى قد والوجه هو الاول وفي هذا دليل على قبول رواية الصغير وفيه كلام مفصل في مصطلح الحديث قالوا وهذه المرأة هي حليمة امه صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع ومجيئها له صلى الله تعالى عليه وسلم كان في الاسلام كان في يوم حنين وقال الحافظ الدمياطي رحمه الله وزوجها لا يعرف له صحبة ولا اسلاما وما قاله ابن عبد البر من انها اتته صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين وبسط لها رداءه ورويت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر لم يصح وابن جعفر لم يدركها وانما التي جاءته هي بنتها الشيماء واما حليمة فانها جاءته صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل النبوة في زمن خديجة رضي الله تعالى عنها فاعطاها اربعين شاة وجملا ثم انصرفت لاهلها وماجاءته بعد قصتها صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الا يوم الجعرانة بعد انقضاء حرب هوازن ومجيء وفدهم وليس كذلك انما هي ابنتها وجوز الذهبي رحمه الله تعالى ان تكون المرأة التي جاءته ثويبة مولاة ابي لهب الآتي ذكرها ويرده انها ماتت سنة سبع قبل هوازن ولما فتح مكة سأل عنها ابنها مسروحا فاخبره بموتها وصحح بعضهم خلافه ذكره ابن الجوزي في الوفاء وصنف الحافظ مغلطاي جزأ في اسلامها باسماء الائمة الحسنة في اثبات اسلام حليمة واثبته واثبت بطلان ... علماء عصره وممن انكره ابو حيان (وعن عمرو بن السائب) عمرو بفتح العين وبالواو وهو ابن واس المصري وقيل انه عمر بالضم وحده بها قال الحلبي والفتح غلط وصوابه الضم كما ذكره ابن حبان وقال انه من الثقات وروى عن اسامة بن زيد وروى عنه جماعة واخرج له ابو داود فقط كذا قاله الامام الحلبي في حواشيه وهو من اجلة التابعين وهذا الحديث رواه ابو داود بلاغا كما قاله السيوطي في شرحه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما) قيل ظاهره ان عمرا شاهد هذه القصة وهو تابعي والحديث من مرسل زيد كما في سنن ابي داود قال عن احمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمرو بن الحارث ان عمرو بن السائب حدثه انه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا الى آخره فاذكره المصنف كما قاله ابو داود لكان اولى (فاقبل ابوه من الرضاعة) وهو الحارث بن عبد العزى زوج حليمة بعد الكلام في

وفي اسلامه وكون الزوج المرضعة يسمى ابا وثبت بارضاع زوجته معنى له حكم النسب كما ان المرضعة امه لان الفحل محرم وان لم يكن له حكم النسب من كل وجه واليه ذهب الفقهاء كافة غير الظاهرية والكلام عليه مفصل في كتب الفروع (فوضع له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بعض ثوبه) وفرشه له في الارض ليجلس عليه (فقعد عليه ثم اقبلت امه) وهي حليمة كما مر (فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجلسه بين يديه) يعني انه اجلس اباه عن يمينه وفرش له جانبا من ثوبه واجلس امه حليمة عن يساره وفرش لها جانبا من ثوبه اكراما لهما فلما قدم اخوه وهو عبد الله بن الحارث بن عبد العزى لم يبق جانب من ثوبه يفرشه فقام له صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا يقصر في توقيره عن ابويه وفيه دليل على انه يجوز القيام تعظيما لمن يستحق التعظيم خلافا لمن قال انه مكروه مطلقا ولم يزل صلى الله عليه وسلم عنده مرضعات منها حليمة هذه وثويبة مولاة ابي لهب الآتية وخولة بنت المنذر بن زيد بن اسد وام ايمن وثلاث نسوة من سليم يسمى كل واحدة منهن عاتكة وهو احد القولين في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا ابن العواتك وقيل الذي حدث له ومعنى عاتكة متضمخة بالطيب (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يبعث الى ثويبة) علم منقول من تصغير الثوب وهي (مولاة ابي لهب مرضعته) اي جارية معتقة له وابو لهب كنيته واسمه عبد العزى وكني بذلك لوضاءته وذكر بهذه الكنية في القرآن للاشارة الى انه جهنمي كما مر (بصلة) اي عطية تحسن بها اليها (وكسوة) بضم الكاف وكسرها اي ثياب تلبسها (فلما ماتت) بمكة بعد هجرته عليه الصلاة والسلام (سأل من بقي من قرابتها) اي عمن بقي فهو منصوب بنزع الخافض او بتقديره وقال من بقي فهي اما موصولة او استفهامية والقرابة مصدر بمعنى قرب النسب وتجمع اسم جمع بمعنى الاقرباء كما ذكره ابن مالك وغيره خلافا للجوهري اذ انكره وقال لا يقال للاقرباء قرابة وانما يقال ذو قرابة كما قال الشاعر

يبكي عليه غريب ليس يعرفه * وذو قرابته في الحي مسرور

(فقيل لا احد) اي لا احد من قرابتها باق واحد مرفوع بفعل مقدر اي لم يبق احد او مرفوع اسم لا العاملة عمل ليس او مفتوح اسمها والخبر مقدر عليهما وقوله وكان الى هنا سقط من بعض النسخ وما ذكر من حسن الوفاء وصلة الرحم ونحوه من مكارم اخلاقه وحسن عهده صلى الله تعالى عليه وسلم مما لا يخفى وهذا الحديث رواه الواقدي وغيره واما ارضاع ثويبة له صلى الله تعالى عليه وسلم فثابت في الصحيحين وهي اول من ارضعته [illegible] ابنها مسروح المقدم ذكره اياما قليلة [illegible] المدينة واختلف في اسلامها فاثبته بعضهم وعدها في الصحابة [illegible]

لما بشر به بولادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورئي في المنام وهو يقول خفف عني العذاب باعتاقي ثويبة لما بشرتني به وفي السير انه اعتقها قبل ولادته بدهر طويل وهو المروي في عز السير وفي المواهب ما يخالفه والذي رآه في المنام اخوه العباس شرحيبة بفتح الحاء المهملة او بكسرها وياء مثناة تحتية وباء موحدة وقيل انه بخاء معجمة وقيل بجيم وهو تصحيف اي بسوء حال فهو من الحوبة وهي المسكنة والحاجة قالوا وانقلبت ياء لانكسار ما قبلها اوعلى خلاف القياس وتخفيف عذابه بسبب ما ذكر لا يعارض قوله تعالى في اعمال الكفرة (فجعلناه هباء منثورا) لانه بعد الحشر اولانه لما لم يعمهم من النار فكانه لم ينفعهم اصلا وتفصيله في حواشينا على القاضي (وفي حديث خديجة رضي الله تعالى عنها) الذي رواه الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها بسند صحيح (انها قالت له) صلى الله تعالى عليه وسلم في ابتداء امره لما رأى جبريل عليه الصلوة والسلام فحصل له به رعب شديد (ابشر) امر بفتح الهمزة وهي همزة قطع فقال ابشر وبشر بمعنى ويجوز وصلها وفتح الشين من بشر يبشر كعلم يعلم وهو امر المقصود منه تحصيل المسرة بالبشرى التي بعده وهو انشاء اريد به الخبر اي ابي مسرة لك والبشرى الخبر السار الذي يظهر اثره في البشرة (فوالله لايخزيك الله) وهذا الحديث تقدم شرحه في فصل الجود والكرم وفيه ان في يخزيك روايتين ضم الياء واعجام الخاء من الخزي وهو النكال والفضيحة وبه روي لفظ المصنف هنا كما ذكره البرهان الحلبي واهمال الحاء من حزن واحزن وهي دون الاولى فلذا تركها المصنف رحمه الله تعالى وروي لايخزيك الله ابدا عن الزهري زيادة ابدا (انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق) وقد مر ذلك مبينا ﴿فصل واما تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ التواضع بضم الضاد المعجمة اظهار انه وضيع وهو اشرف الناس فالصيغة للتكلف في الاصل (على علو منصبه) قد قدمنا لك ان المنصب في كلام العرب بمعنى الاصل والحسب كما في قول ابي تمام

ومنصب نماه * ووالد سماه

وان استعماله في تولي الاعمال السلطانية كقول ابن الوردي

نصب المنصب اوهي جلدي * وعنائي من مداراة السفل

مولد لم يسمع من العرب ولذا عطف عليه قوله (ورفعة رتبته) فهو كالمفسر له والرتبة كالمنزلة رفعة القدر (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس تواضعا) منصوب على التمييز (واقلهم كبرا) وفي نسخة واعدمهم كبرا وفي نسخة بالجمع بينهما وهو افعل تفضيل من العدم وهذا انسب بمقامه صلى الله تعالى عليه وسلم لان اللائق به عدم الكبر لاقلته ووجهه شيخ البرهان الحلبي بان القلة بمعنى النفي وقال ابو حيان في قوله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) ان القليل يرد بمعنى النفي المحض كما في قولهم

اقل رجل يقول ذلك وقل رجل يقول ذلك وعلما يقوم ربذ وقليل من الرجال يقول ذلك وقال الحافظ السخاوي في كتابه جواهر الدرر في مناقب شيخه ابن حجر ان ابن حجر رحمه الله تعالى سئل عن هذه العبارة وان بعضهم شنع على المصنف فيها ومحاها من النسخ فاجاب بان الاعتراض باطل لانهم تكلموا على الحديث الذي رواه النسائي عن عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو فقالوا يقل اللغو بمعنى لا يلغو اصلا قال ابن الاثير في النهاية لان قل يستعمل في النفي كما في الآية السابقة فمعنى هذه النسخة انه لا يقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم كبر اصلا كما في الحديث الصحيح وليس افعل فيه للمفضل فانه قد يخرج عنه كما في قوله تعالى (اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) ومثله افظ واغلظ فانه بمعنى فظ غليظ اي كامل وقال المصنف في شرح مسلم يصح حمله على المفاضلة والقدر الذي منه ه اغلاظه على الكفرة والمنافقين كقوله تعالى (جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغلظ عليهم ويغضب عند انتهاك حرمات الله انتهى فقوله اقلهم كبرا بمعنى اسماء الكبر عنه البتة او يحمل على شدته على الكفار والمنافقين كما في الذي قبله لان تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ورافته كانت بالمؤمنين لقوله تعالى (بالمؤمنين رؤف رحيم) وقوله في التوراة ليس بفظ ولا غليظ اي بالمؤمنين ونظيره (اشداء على الكفار رحماء بينهم) بمعنى ادلة على المؤمنين عاطفين عليهم اعزة على الكافرين متكبرين عليهم تعادونهم فلا معنى لمحو النسخ والاتيان بها انتهى واستدرك عليه عز الدين الحلبي بان تأويله الشدة والغلظ بكونها على الكفار والمنافقين فيه ان شدته وغلظته على نحو هؤلاء كانت اشد من عمر رضي الله تعالى عنه فلاسيك انتهى * اقول الجواب الحق هو الثاني لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان متخلقا باخلاق الله تعالى عز وجل ومنها المتكبر فاتصافه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذه الصفة مدح في محلها ولذا قيل التكبر على المتكبر صدقة فالتكبر على الكفرة والمنافقين احيانا في محله ممدوح وهو في صفاته تعالى ذاتي دائم لا ينازعه احد رداءه الا قصمه الله والجواب الاول تعسف وليس من قبيل قوله تعالى (فما لا مانؤمنون) واما تأويل المفضل بالنفي وخلع المفاضلة منه فجار على مجاز وضعت على اثباته واما اعتراض ابن الحلبي فلا وجه له وبعض الشراح والمحشين هنا كلام تركه تركة خيرمنه (وجملك) اي تكملك في اسباب ما ذكر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا) بكسر اللام اي سلطانا وخير مبني للمجهول اي خيره الله على لسان ملائكته في الحديث المشهور (او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا) فخيره الله بعد تفضله بالرسالة ان يكون شؤنه كالملوك في اتخاذ الجنود والحجاب والخول والخدم والقصور فاختار مع الرسالة العامة

مقام العبودية والخدمة بنفسه في مهنة اهله تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وزهدا في الدنيا ولذا وصفه الله تعالى بالعبودية في عظيم مقاماته كقوله تعالى (سبحان الذى اسرى بعبده ليلا) وهذا من حديث صحيح رواه احمد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (فقال له اسرافيل عند ذلك) اى حين اختار العبودية على الملك (فان الله قد اعطاك) هذه الفاء فصيحة عاطفة على مقدر اى اصبت وجزاك الله خيرا بمن تركته (بما تواضعت له) الباء سببية وما مصدرية اى بسبب تواضعك له (انك سيد ولد آدم) مفعول اعطاك وهي وما بعدها مفعول اعطى والسيد من يفوق غيره في الشرف وهو يطلق على الله تعالى وعلى غيره في اصح الاقوال المشهورة وخصه بقوله (يوم القيمة) لانه لا اعلى من هذه السيادة حيث سود صلى الله تعالى عليه وسلم فيه على الرسل وسائر البشر وفيه ينكشف ان اضمحلال كل ملك لمالكه حين يقول الله تعالى (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) لسائر مخلوقاته فقدبر (واول من تنشق عنه الارض) معطوف على سيد جزاء والانشقاق الارض اخراج الموتى منها وهم لا يبعث فلا يتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم احد حينئذ واما حديث فان الناس يصعقون اى يغشاهم غشية كالموت يوم القيمة فاصعق معهم فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادرى اكان ممن صعق او كان ممن استثنى الله تعالى بقوله الا من شاء الله فلا ينافيه لان هذه الصعقة كما قاله النوربشتي صعقة فزع بعد البعث ويؤيده قوله يوم القيمة (واول شافع) يوم القيمة او في الجنة لرفع درجات الناس لان مقام الشفاعة متعدد وفي قوله اول اشارة الى ان غيره من الملائكة وغيرهم يشفعون بعد ذلك * واعلم ان سفير الوحى بين الله ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه الصلوة والسلام وعن الشعبي ان اسرافيل عليه الصلوة والسلام كان يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحى في اول بعثته ويتراآى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة والشئ ثم وكل به جبريل عليه الصلوة والسلام قال ابن عبد البر في الاستيعاب انزلت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم النبوة وهي ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل عليه الصلوة والسلام ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشئ ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن به جبريل عليه الصلوة والسلام فنزل بالقرآن عليه عشر سنين وفي شرح البخارى لابن التين ميكائيل بدل اسرافيل ونقل البرهان عن ابن الملقن ان المشهور ان الذى ابتدأه بالوحى جبريل عليه الصلوة والسلام وانكر الواقدى كون غير جبريل وكل به وقال السيوطى رحمه الله تعالى في كتاب الحبائك لم اقف على ان جبريل افضل او اسرافيل ثم نقل احاديث متعارضة في ذلك ونبه الفقهاء ان اسرافيل نزل عليه صلى الله عليه وسلم بآية ذكرها (حدثنا الفقيه ابو الوليد بن المواد الفقيه)

بفتح العين المهملة وتشديد الواو والف ودال مهملة وهو هشام بن احمد القرطبي
وقد تقدمت ترجمته (قرأتُ عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة) وفي هذه السنة
توفي رحمه الله تعالى (قال حدثنا ابو علي الحافظ) الغساني وقد تقدم والحافظ اذا اطلق
يراد به حافظ الحديث بالرواية قال (حدثنا ابو عمر) يوسف بن عبد الله بن محمد بن
عبد البر النمري القرطبي الامام الحافل صاحب التآليف المشهورة كما تقدم قال (حدثنا
ابن عبد المؤمن) ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن كما تقدم قال (حدثنا ابن داسة)
ابو بكر بن محمد بن بكر وقد تقدم وابن داسة بدال وسين مهملتين مفتوحتين بينهما
الف قال (حدثنا ابو داود) صاحب السنن المتقدم قال (حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة)
عبد الله بن محمد بن ابي شيبة العبسي احفظ اهل عصره له ترجمة في الميزان مفصلة
واخرج له الائمة الستة قال النووي ابو بكر بن ابي شيبة منسوب الى جده هو عبد الله
بن محمد بن ابراهيم بن عثمان بن خواستي بخاء معجمة مضمومة ثم واو مخففة ثم الف
ثم سين مهملة ساكنة ثم تاء مثناة من فوق مكسورة وابو شيبة هو ابراهيم وغلبت
على اولاده اسم النسبة اليه وهم ثلاثة عبد الله هذا وهو مشهور بكنيته وعثمان وقاسم
فاما عبد الله وعثمان فامامان حافظان من احفظ اهل عصرهم وهما شيخا البخاري
ومسلم واما القاسم فليس كهما بل ترك الحديث عنه ابو زرعة وابو حاتم الراويان
الحافظان وابوهم محمد ثقة وجدهم ابراهيم ضعيف قال (حدثنا عبد الله بن نمير) بالنون
تصغير النمر الهمداني ابو هشام سمع هشام بن عروة الاعمش الحافظ اخرج له اصحاب
الكتب الستة وتوفي سنة تسع وتسعين ومائة (عن مسعر) بكسر الميم وسكون السين
وفتح العين المهملتين وراء مهملة ومعناه موقد النار ويقال هو مسعر حرب للشجاع
وهو مسعر بن كدام ابو سلمة الهلالي الكوفي المسمى بالمصحف لاتقانه وحفظه
وممن اخرج له الستة وتوفي سنة خمس وخمسين ومائة وله الف حديث (عن ابي العنبس)
بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وسين مهملة وهو الحارث بن
عبيد بن كعب العدوي الكوفي لم يخرج له غير ابي داود وذكره في الميزان ولم يذكر
فيه شيئا (عن ابي العدبس) بفتح العين والدال المهملة وتشديد الباء الموحدة المفتوحة
وسين مهملة وهو تبيع بن سليمان الاسدي ويقال الاشعري الكوفي وتبيع
بضم المثناة الفوقية ثم باء موحدة وعين مهملة بزنة المصغر كما في الميزان وتهذيب الذهبي
والاكمال الا ان البرهان الحافظ كتب في حواشيه ان هذا وهم منه وانما هو بفتح
الميم بدل المثناة كما قاله البرهان الحلبي (عن ابي مرزوق) التجيبي واسمه كنيته وله ترجمة
في الميزان قال فيها ان ابن حبان قال انه لا يحتج بما انفرد به (عن ابي غالب) الراسبي واسمه
حزور وقيل سعيد بن حزور وقيل نافع وروى عنه اصحاب السنن واختلفوا
في ضعف روايته وفيه وهم من وثقه (عن ابي امامة رضي الله تعالى عنه) الباهلي او السهمي وهو

صدی بن عجلان بن وهب توفی سنه احدی اوست وثمانین واخرج له السته وهو من بقایا الصحابة بحمص وهذا الحدیث رواه ابوداود وابن ماجه مسندا (قال خرج علینا رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم متوكئا) بكاف مشددة مكسورة وهمزة ای معتمدا متحاملا وهو منصوب علی الحال (علی عصا) وقال ابن عباس التوكؤ علی العصی من سنن الانبیاء علیهم الصلوة والسلام وكان له صلی الله تعالی علیه وسلم عصی منها قضیب ومخصرة قصیرة ومحجن وكانت فی یده اذا خطب وكانت عند الخلفاء وقال فیها الصرصری رحمه الله تعالی كما مر

وعصاه لما مسها ثمره ۰ ۰ فصارت عصا صارت الی ثمان

(فقمنا له) تعظیما واجلالا (فقال لا تقوموا كما یقوم الاعاجم یعظم بعضهم بعضا) هذه الجملة تدل بمأولها او مستأنفة استئنافا بیانیا والاعاجم جمع اعجم او عجمی او عجم علی خلاف القیاس اوجمع اعجام جمع جمع (۲) وهم من عدا العرب وقد یخص بفارس وقد اجاب العلماء فی انه امر لا مطلوب منه اذهل هو مكروه ام لا فقیل مكروه استدلالا بهذا الحدیث وبحدیث من احب ان یتمثل له الناس قیاما وجبت له النار ونحوه حتی ذهب بعضهم الی حرمته والاحسن ماقاله القاضی زكریا فی شرح الروض انه مستحب لاهل العلم والصلاح وللحكام العدول بل قد یجب اذا اخشی من تركه ضررا كما لو وجه الملوك ویستحب لمن قدم من سفر ولذوی الارحام تكرمنا وبرا لهم ویدل علی ذلك قوله صلی الله تعالی علیه وسلم للانصار لما قدم علیهم سعد رضی الله تعالی عنه قوموا لسیدكم والمنهی عنه انما هو ماكان علی سبیل الریاء والكبر وحمل حدیث سعد علی انه كان مریضا وقدم مكرما كما امرهم صلی الله تعالی علیه وسلم بالقیام لاعانته فی النزول عن دابته خلاف الظاهر كما مر وقد فعله صلی الله تعالی علیه وسلم وكان یقوم لفاطمة رضی الله تعالی عنها اذا جاءته وانما نهاهم لئلا یطلبوه سنة ویجعلوه عادة (وقال) صلی الله علیه وسلم (انما انا عبد) الحصر فیه اضافی ای لست بسلطان ثم انه ان ارید بالعبد معناه العرفی وهو الرقیق المملوك للناس فهو استعارة فشبه نفسه تواضعا لله بالرقیق لاطباقه خدمة نفسه فی بیته فانه صلی الله تعالی علیه وسلم كان كان یخصف نعله ویرقع ثوبه ویكنس بیته ویلبس الغلیظ فقوله (آكل كما یأكل العبد واجلس كما یجلس العبد) بیان لوجه الشبه وان اراد عبد الله وكل الناس عبد الله الملوك وغیرهم سواء فی ذلك فالمراد انه متمحض لهذه العبودیة لا تشوبها شیء من امور الدنیا ولا اخلاق شیء من اخلاق اهلها فی لباسهم ومآكلهم ومشربهم ومراتبهم فانه صلی الله علیه وسلم كان یجلس علی الارض ولا یأكل علی خوان ولا یعلق علیه بابا ولا یتخذ حجابا (وكان صلی الله علیه وسلم یركب الحمار) وكثیر من الاغنیاء یأنف من ركوبه وكان له حمار یسمی عفیرا واخری یسمی یعفور وهو مأخوذ من العفرة وهی التراب لشبه لونها به ولیسا اسمین لحمار واحد كما توهم

(۲) جمع عجم نسخه

فان عفيرا اهداه له المقوقس ويعفور اهداه له فروة بن عمرو وقيل بالعكس ومات يعفور منصرفه من حجة الوداع وقيل التى نفسه فى بئر ابى الهيثم يوم موته صلى الله عليه وسلم وقيل انه كان من حصن من الخيبر لم يركبه الا نبى وانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يرسله للرجل فيأتى بابه ويقرعه برأسه فيعلم انه يطلبه (وردف خلفه) عمرو وردف بضم الثالث المثناة التحتية بمعنى يحمله رديفاله اى راكبا خلفه على دابته التى ركبها ويقال ردف وارتدف واصله الركوب على الردف وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحمل غيره قدامه ايضا ولم يذكر المصنف من اردفه اشارة لعمومه فيشمل الذكر والانثى والصغار والكبار وقد ذكروا ان من اردفه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغ اربعين فى سفره وحضره وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم وهم اسامة بن زيد رضى الله عنه من جمعه من عرفة * والصديق رضى الله عنه فى الهجرة * وعثمان رضى الله عنه راجعا من بدر * وعلى كرم الله وجهه فى حجة الوداع * وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهما بين يديه وسطه مع غلامين من بنى هاشم واولاد عباس الثلاثة رضى الله تعالى عنهم فى نزوله من المزدلفة * والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما * ومعاوية رضى الله تعالى عنه * ومعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه على عفير * وابو ذر رضى الله تعالى عنه على حمار * وزيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه * وثابت بن الضحاك رضى الله تعالى عنه * والشريد بن سويد رضى الله تعالى عنه * وسلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه * وزيد بن سهل رضى الله تعالى عنه * وابو طلحة الانصارى رضى الله تعالى عنه * وسهيل بن بيضاء رضى الله عنه * وعلى ابن ابنته زينب رضى الله تعالى عنهما * وعبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما * وغلام مطلبى * واسامة بن عمير رضى الله تعالى عنه * وصفية بنت حيى رضى الله تعالى عنها مقدمه من خيبر * وابو الدرداء رضى الله تعالى عنه * وآمنة بنت ابى الصلت * وابى اياس * وابو هريرة * وقيس بن سعد * وخوات بن جبير رضى الله تعالى عنهم * وجبريل عليه الصلوة والسلام على البراق فى الاسراء * وام حبيبة الجهنية رضى الله عنها * وزيد بن ارقم رضى الله تعالى عنه * وجابر بن عبد الله رضى الله عنهما وزاد ابن منده رحمه الله عن هؤلاء ونظمهم ابو ذر بن موفق الدين فقال

واردافه جم غفير فمنهم * على وعثمان شريد وجبريل
واولاد عباس ذووا الرشد والتقى * اسامة والدوسى وهو نبيل
معاوية قيس بن سعد صفية * وسبطاه ماذا عنهم ساقول
معاذ ابو الدرداء سويد وعمه * وآمنة ابن عامر عنه دليل
كذلك خوات طرف وسطه * على ووجه الفضل فيه جميل
اسامة والصديق ثم ابن جعفر * وزيد وعبد الله ثم سهيل
كذا ثابت قيس خولة وابن اكوع * وقدرهم فى العالمين جليل

كذلك وقد جار ثم تاب * فمن جهم واللّه لست احول
ثلاثة علماء ورد معهم انا * اناس وحسبي اللّه وهو وكيل

(و) كان (يعود المساكين ويجالس الفقراء) الفرق بين المسكين والفقير مشهور في محث الزكوة الا ان كلا منهما يطلق على الآخر من غير فرق في العرف والعبادة فيه للغني والفقير وانما خصهما بالذكر لانه يعلم منه غيره بالطريق الاولى والمسكين بكسر الميم وفتحها مأخوذ من السكون ويكون بمعنى المذلل الخاضع ومنه قوله صلى اللّه تعالى عليه وسلم (اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا) وتقدم انه لا يجوز ان يطلق على النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم انه فقير او مسكين وان اطلقه على نفسه الشريفة (ويجيب دعوة العبد) اذا علم انه يجوز له اطعام غيره لكونه مأذونا ونحوه (ويجلس مع اصحابه(٢) مختلطا بهم) فلا يختار مكانا رفيعا ولا يتقدم عليهم قال ابو هريرة رضي اللّه تعالى عنه حتى كان الغريب اذا اتى ناديه لا يعرفه حتى يسأل عنه ثم ان الصحابة رضي اللّه تعالى عنهم سألوه صلى اللّه تعالى عليه وسلم ان يجعل له مكانا مخصوصا حتى اذا اتاه الغريب عرفه وسأله ففعله من طين تارة يجلس عليه وتارة يجلس بجنبه (حيثما انتهى به المجلس جلس) حيثما تفيد العموم اي اي مكان وجده خاليا وقت مجيئه يجلس فيه صدر او غير صدر وكل هذا لتواضعه صلى اللّه تعالى عليه وسلم وارشاد امته (وفي حديث عمر فيه) صلى اللّه تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخاري (لا تطروني) مضارع اطراه اذا بالغ في مدحه وتجاوز الحد فيه قال

لا يلحق الواصف المطري مدائحه * وان يكن محسنا في كل ما وصفا

اي لا تمدحوني قال الجوهري والزبيدي اطرى الرجل مدحه وقال ابن فارس في المجمل اطريته مدحته باحسن ما فيه وقال الهروي الاطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه وبه فسر الحديث وقد علمت ان الذي قاله الهروي هو معنى الحديث وهو مأخوذ من الطراوة يقال طراوة وطراءة ومدحه صلى اللّه عليه وسلم مطلوب من كل احد والنهي انما هو عما لا يليق به ولذا قال (كما اطرت النصارى) جمع نصراني منسوب لناصرة او نصرة او نصورية على خلاف النسبة في تلك القرية كان فيها اول امره (ابن مريم) فانهم قالوا فيه انه ابن اللّه وغيره مما هو مشهور وهذا كقول الابوصيري رحمه اللّه تعالى

دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وما احسن قول العارف باللّه عمر بن الفارض قدس اللّه تعالى سره

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

(انما انا عبد فقولوا عبد اللّه ورسوله) ولا تقولوا ما قاله اهل الكتاب ونحوه فالحصر اضافي (وعن انس) رضي اللّه تعالى عنه رواه مسلم (ان امرأة) من الصحابة تسمى ام زفر وهي ماشطة خديجة ام المؤمنين رضي اللّه تعالى عنها وتردد البرهان الحلبي رحمه اللّه تعالى فيه هل هي

(٢) من اصحابه نسخه

هذه اوغيرها وحرم به غيره (كان في عقلها شيء) من الجنون ولم يصرح به اشارة لخفه وانها لم تستغرق وفاء لفظ شيء يشعر بالقلة (جاءته صلى الله عليه وسلم فقالت ان لي اليك حاجة) اي لي حاجة اريد ان انهيها اليك واعلمك بها (قال) لها (اجلسي يا ام فلان) الابهام من الراوي لانه لم يحضره اسمها (في اي طرق المدينة شئت اجلس السك) مجزوم في جواب الامر والى بمعنى عند عبر به للمشاكلة (حتى اقضي حاجتك قال) اي انس بن مالك رضي الله تعالى عنه (فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها) التي اعلمته بها تواضعا منه صلى الله تعالى عليه وسلم وملاطفة وفيه استحباب الملاطفة فانها لامن كان فيه جنون مطبق وكانت جارية سوداء تصرع احيانا فشكت ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالت اني اصرع واتكشف فادع الله لي فقال ان شئت فاصبري ولك الجنة وان شئت دعوت الله ان يعافيك فقالت اصبر ولكن ادع الله ان لا اتكشف فدعا لها وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول الا اريكم امرأة من اهل الجنة فيشير اليها وقيل ان التي كانت تصرع سعيرة الاسدية (وقال انس) رضي الله تعالى عنه في حديث رواه بتمامه ابوداود والبيهقي (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد) كما تقدم بيانه (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم بني قريظة) يوم واحد الايام واليوم هنا بمعنى الوقعة والغزوة شائع بحسب اذا اطلقوه اعتا هم بيوم هذا وبنو قريظة بصيغة التصغير والقاف والراء المهملة والظاء المشالة ثم هاء قوم من اليهود بقرب المدينة غزاهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل غزوة الخندق كما فصل في السير راكبا (على حمار) وهو صاحب الرياسة والرسالة العظمى تواضعا منه صلى الله عليه وسلم ومن هو من اهل عبده يركب الخيل في مثله وبحسب الجانب اظهارا لشوكته وعظمته بذاته لالغرض الدنيا الذي لا استقرار وما في بعض الشروح هنا نقلا عن بعض الحواشي في ضبط يوم من انه بفتح الياء التحتية والهمزة المضمومة المرسومة واوا والميم المشددة بمعنى يقصد تحريف لاوجه له (مخطوم بحبل من ليف) اسم مفعول من الخطام بخاء معجمة وطاء مهملة وهو مايقاد به الدابة كالرسن والليف بكسر اللام والفاء شيء يخرج من النخل ويفتل حبالا (وعليه) اي على الحمار (اكاف) بكسر الهمزة وكاف والف وفاء بزنة كتاب وبضم كغراب ويقال وكاف بالواو وهو رحل يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه او بعض ادواته وهو البردعة وهذا من حديث رواه ابوداود والبيهقي كما مر (قال) اي انس بن مالك رضي الله تعالى عنه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة) الاهالة بكسر الهمزة وبعدها هاء الف ولام وهو كل مايؤتدم به من الدهن او ماذاب من الالية اوالدسم الجامد والسنخة بفتح السين المهملة وكسر النون وفتح الخاء المعجمة وهاء

بمعنى معطره الرائحة فقال سمح الدهن وربح الدائس (فتحسّ) دعوة من دعاه وهذا
الحديث رواه الترمذي في شمائله وابن ماجه في سننه (قال) أنس أيضا رضي الله تعالى
عنه (وحج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد الهجرة في حجة الوداع كما في البخاري ويدل
عليه قوله الآتي وقد فتحت عليه الأرض (على رحل رث) الرحل للجمل كالسرج
للفرس فيختص به ورث بفتح الراء المهملة وتشديد المثلثة بمعنى بال خلق (وعليه
قطيفة) أي كساء من صوف له خمل (ما تساوي أربعة دراهم) أي لو قومت لم تكن
قيمتها أربعة دراهم ويقال هذا يساوي ويسوى كذا لغة فيه والحج من أعظم
شعائره التواضع وإظهار الافتقار إلى الله تعالى وقمع النفس من التلذذ والملابس
ولذا شرع الإحرام فيه والتجرد في الموقف المذكر الموقف الحقيقي والعرض
على الله وهذا من محاسن التشريع والإرشاد للإخلاص ولذا قال عنه (فقال اللهم
اجعله) أي اجعل حجي هذا (حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة) بل خالصا لوجهك
الكريم والرياء مشتق من الرؤية وهو ما فعل من عبادة ونحوها لأجل أن يراه
الناس فيمدحوا صاحبه والسمعة بضم فسكون ما فعل ليشيع ويسمع الناس به
وهما بمعنى بحسب الماصدق وإن اختلف مفهوماهما ومنهم من فرق بينهما فإن عبد
السلطان إذا عمل عملا ليراه سيده وحده رياء لا سمعة ومن أشاع أمرا لم ير سمعة
لا رياء فيه وقال القرافي في قواعده الرياء موجب للإثم والبطلان عند كثير
لظاهر قوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين) وهو أن يعمل لله مع قصد نفع
من العباد وهذا رياء الشرك أو أن يعمل للناس فقط ويسمى رياء الإخلاص وهو
لأغراض شتى والتشريك كمن جاهد طاعة لله مع قصد الغنيمة وهذا يضر
بنقص الثواب ولا يحرم بالإجماع بخلاف من فعل ليقال إنه شجاع أو ليحظى عند
الإمام أو يكثر عطاؤه وهو محرم ليس كقصد الغنيمة من العدو ومن حج وشرك
مع الحج المتجر لا يأثم ولا يقدح ذلك في صحة حجه ولو كان جل قصده أو كله التجارة
كمن صام لصحة بدنه ويحمي فهذا لا يقدح في فعله لأن الشارع أمر به في حديث
(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم
فإنه له وجاء) أي قاطع للشهوة فأمر بالصوم لغرض آخر غير العبادة ولو كان قادحا
لم يأمر به كمن توضأ للتبرد والتنظف فإن فيه أغراضا ليس فيها تعظيم غير الله
بفعله فإنه هو المضر انتهى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الرياء
والسمعة وإنما دعا بذلك تعليما لأمته وتواضعا كقول يوسف عليه الصلاة والسلام
(وما أبرئ نفسي) لأن النفس قد يدخلها الرياء بإظهار الزهد (هذا) أي فعله
صلى الله تعالى عليه وسلم هذا واختياره رث الثياب والمركب ليس عن عجز
(وقد فتحت الأرض عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم وحج يسعدى نعلى

لماجاء كثيرا بسهولة من الله كأنه افاضه عليه وفتح الارض ان اريد به بعضها كالحجاز فظاهر وان اريد جميعها فبعد تمكنه صلى الله تعالى عليه وسلم منها بمنزلة وقوعه مرو فى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اتيت بمقاليد الدنيا على فرس ابلق عليه قطيفة سندس وفى رواية بمفاتيح خزائن الارض فوضعت بين يدى وهو محمول على ظاهره وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو اوهو كناية عن ان الله مكنه من ذلك ولو ان الله تعالى اراده صرفه بالفعل فيها وقاد جميع اهلها له (واهدى فى حجه ذلك مائة بدنة) اهدى بمعنى بعث الهدى بوزن الرمى بفتح فسكون الياء وقد تشدد فكسر داله وهو مايرسل للبيت الحرام ليتحر فيه ويتصدق به من الابل والبقر وكذا البدنة تطلق على الجمل والناقة والبقرة واكثر ماتطلق على الابل وقد تسمى الابل مطلقا هدى وسميت بدنة لكبر بدنها وفى البخارى لما حج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حجة الوداع اهدى مائة بدنة نحرها وقسم لحمها وجلودها وجلالها ونحر بيده منها جملة ثم امر عليا كرم الله وجهه بنحر باقيها واختلف فيما نحره صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة اهو ثلاثون ام ستون (ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش من المسلمين) وذلك فى شهر رمضان ثالث عشرة اوسادس عشره اوثامن عشرة وصحح النووى رحمه الله انه تاسع عشرة واختلف فى الجيوش اصنافقيل اثنا عشر وقيل عشرة آلاف وقيل ثمانية (طأطأ على راحلته رأسه حتى كاد يمس قادمته) الرحل له مقدم ومؤخر مرتفع عن محل الراكب ومنها لغات قادم وقادمه ومقدم ومقدمة بكسر الدال مخففة وفتحها مشددة وكذا آخره الرحل (تواضعا لله تعالى) ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم انه ركب الجمل دون الفرس وعلى رأسه مغفر فوقه عمامة سوداء وأردف خلفه اسامة رضى الله تعالى عنه كامر (ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله لا تفضلونى على يونس بن متى) قال بعض مشايخنا الجلال السيوطى لم اقف عليه بهذا اللفظ والذى فى البخارى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفى سنن ابى داود ماينبغى لنبى ان يقول انا افضل من يونس بن متى وفى الصحيحين لعبد بدل لنبى وفى روايه لا اقول ان احدا افضل الى آخره انه سبح الله فى الظلمات وفى البخارى ونسبه لابيه فيه اشارة الى ان متى بفتح الميم وتشديد التاء مقصورا اسم ابيه وقيل معناه انه ذكرا ثم ابيه بدل متى اسم امه وهذا هو المشهور وانه لم ينسب لامه الا يونس وعيسى عليهما الصلوة والسلام واختلف فى المراد فقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله تواضعا منه وان كان هو افضل من جميع الرسل بالاتفاق وكلام المصنف رحمه الله تعالى يميل لهذا فان الافضل قد لا يطلب تفضيل احد له وقيل انه كان قبل ان يعلم بفضله والاذن فيه لقوله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض)

وخص صلى الله تعالى عليه وسلم يونس عليه الصلوة والسلام لئلا يتوهم احد نقيصه اذا سمع قصته وقوله ولا تكن كصاحب الحوت وقصه مفصله في التيسير (و) قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تفضلوا بين الانبياء) لا ينافي هذه الآيه لان النهي عن تفضيل تؤدي الى التنقيص او الخصومة والنزاع او التفضيل من سائر الوجوه لانه قد يكون في المفضول ماليس في الفاضل او التفضيل في نفس النبوة لا في الخصائص وعموم الرسالة والا فيجب علينا اعتقاد افضليته صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله انا سيد ولد آدم وقوله ان الله تعالى اختارني على جميع العالمين من الانبياء والمرسلين (ولا تخيروني على موسى) صلى الله عليه وسلم اي لا تقولوا اني خير منه وافضل وخصه لئلا يظن احد نقيصه لقوله تعالى (فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان) وبيانه بيان ذلك بقول الطاهر ان المعنى لا تفاضلوني تفضيلا تؤدي للنزاع والمخاصمه فان هذا من بعض حديث في الصحيحين ان رجلا من المسلمين استب مع يهودي فقال اليهودي والذي فضل موسى على العالمين فلطمه فاشتكى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ذلك وبناء الكلام على هذا (ونحن احق بالشك من ابراهيم) اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى وحمله بعضهم على ظاهره وانه كان قبل النبوة في سن الطفولية ومن قال بعصمة الانبياء مطلقا قال انه نفي للشك لا اثبات له وانما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على سبيل التواضع اي نحن احق بالشك منه لو شك ولكنه لم يشك فكأنه قال انا لا اشك فكيف بابراهيم وقيل انما قاله جوابا لمن قال شك ابراهيم ولم يشك نبينا ولا تنافي بين القولين وسيشير اليه المصنف رحمه الله تعالى في القسم الثالث وقيل لا يصح ان يكون المراد انه احق بالشك منه لقوله اولم تؤمن قال بلى الى آخره وتسميته شكا بالنظر للظاهر لا لحقيقته عدم الاطمئنان وهو ينافي عدم التردد والشك ولذا احتج لأوله بان الخليل عليه الصلوة والسلام قطع بالقدرة على احياء الموتى لكنه لم يكن يشاهده كيفية هذا الامر العجيب الذي جزم بوقوعه فنفسه لا تطمئن حتى تشاهده قال ابن ابي شريف رحمه الله تعالى وهذا التأويل يشير الى ان المطلوب بقوله ولكن ليطمئن قلبي سكون قلبه عن المنازعة الى رؤية الكيفية المطلوبة التي غايتها ليحصل له العلم البديهي بعد العلم النظري ولما كان هذا الشك ظاهرا جائزا على الانبياء عليهم الصلوة والسلام قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما قاله كأنه عن انه جائز منه الا انه اورده بهذه الصورة تأدبا مع الله تعالى وان لم يكن احق بذلك الشك منه وكيف يتصور جوازه عليه وعلي كرم الله وجهه يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا الا ان في هذا اشكالا اورده ابن العماد لاقتضائه تساوي علميه البديهي والنظري فيتجاوز المقام الخليلي وقد اجاب عنه في كتابه كشف الاسرار فقال قال العز بن عبد السلام المراد ما ازددت يقينا بالاعيان وان كان اذا رآها ابصر

من المفاصل والهيئات مالم يحط به وان ذلك عاما وكذلك ابراهيم لما رأى كيفية الاحياء لم يزدد يقينا بالايمان بقدرته تعالى على الاحياء وان وقف بمشاهدة كيفية الاحياء على مالم يقف عليه من الايمان كمن رأى بناء محكما وعرف صانعه علم قدرته وصنعه وتحققه وان لم يعرف كيفية بنائه وصنعة عمله فاذا طلب مشاهدة عمله ورآه لم يزده علمه بقدرته وصنعه وهيئته بذلك ولكن اطمأن قلبه لحصول ماطلبه من كيفية صنعه وقال السبكي رحمه الله تعالى سئل الغزالي رحمه الله تعالى عن هذا فقال اليقين يتصور عليه الجحود كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم) والطمأنينة لايتصور عليها الجحود وهو جواب حسن في الفرق بين اليقين والجحود انتهى وفيه نظر وقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذه الآية ارجى آية في القرآن معناه ان سؤاله الاحياء في الدنيا يدل على انه يحيي ويميت في الآخرة اوان الايمان بالغيب اجمالا كاف لنا (ولولبثت مالبث يوسف في السجن لاجبت الداعي) لبث في السجن بضع سنين اي اجبته حتما ثم بعد رؤيا الملك بعد الذين دخلا معه السجن وقيل غير ذلك وورد في الحديث رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك مالبث في السجن سبعا بعد خمس اي لو لم يستعن بغير الله تعالى ماطال المدة والمراد باجابة الداعي اجابة رسول الملك الذي دعاه للخروج منه قال الكرماني وصفه بالصبر حيث لم يبادر الى الخروج وقال ذلك تواضعا لانه كان ينبغي ان يبادره وتحمله لوكان مكان يوسف والتواضع لايصغر كبيرا بل يزيد قدره اجلالا وذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى مقام التفويض وتلقي كل مايأتي من الله بالقبول ورفض الوسائط والمعنى لو كنت مكانه تلقيت دعوة الداعي مستغنيا بالله تعالى مفوضا امري له وقد كان يوسف عليه الصلوة والسلام عبر رؤيا الفتيين ثم رؤياه الملك فطلبه فلما جاءه الرسول ليخرجه من السجن لم يبادر للخروج وطلب الكشف عن امره حتى يعلم انه مظلوم وقال القرطبي الوجه عندي في ذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ لنفسه وجها آخر من الرأي وهو ان يعجل امرا قد يبقى معه فيه وهو ان يخرج بينما يرى ساحته بالبرائة من غير الحاح وهو الحزم ويوسف عليه الصلوة والسلام سلك مسلكا آخر وهو الصبر وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يطلب لما التمس له من براءة الساحة اكتفاء بعلم الله واعتماده لانه يبرئ ساحته من غير طلب منه لهذا المقام ولكنه قال ماقال تواضعا وفي يوسف سبب لعاب سامت السنين مع الهجرة وعدمه (وقال للذي قال له ياخير البرية ذاك ابراهيم) وهذا من تواضعه ايضا صلى الله تعالى عليه وسلم والا فهو خير البرية من غير شك وليس فيه احتيار بغير الواقع اذ المعنى لااقول ذلك اطراء لنفسي والبرية الخلق من برأ

بمعنى حلو لكن هريه متروكة كما فى الدرية والى والجايسة وهذا الحديث رواه مسلم فى صحيحه وغيره وخص ابراهيم لان الله امره باتباع ملته فى قوله تعالى (ان اتبع ملة ابراهيم) (وسيأتى الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى) من غير تطويل واعتساف (وعن عائشة رضى الله عنها والحسن وابى سعيد وغيرهم فى صفته صلى الله عليه وسلم وبعضهم يزيد على بعض) قدم عائشة رضى الله تعالى عنها لانها ادرى بحاله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيته ولذا عقبها بالحسن بن على رضى الله تعالى عنهما لانه من اهل البيت ايضا وابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه كان يخدمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا خص هؤلاء ورتبهم الاقرب فالاقرب (كان فى بيته فى مهنة اهله) خبر بعد خبر او بدل مما قبله بدل اشتمال والمهنة بكسر الميم وفتحها الخدمة مأخوذة من الامتهان واختلف فى ايهما الافصح والاكثر على انه الفتح والاشهر انه الكسر لتوافق الخدمة لفظا ومعنى وانكر بعضهم الكسر والاصح انه لغة وانه ثابت بالوجهين (يفلى ثوبه) بيان هو وما بعده لما قبله لان هذا مما يعنى ان يفعله اهله ويفلى بفتح المثناة التحتية وسكون الفاء يقال فلاه يفليه كرماه يرميه اذا فتش ما فيه من قمل وغيره هذا اصله وهو يقتضى ان يكون فى ثوبه صلى الله تعالى عليه وسلم قمل وقد قالوا انه لا يكون بكثرة بحاله صلى الله تعالى عليه وسلم ولانه يتولد من العفونة والعرق وجسده وعرقه طيب لا يكون فيه عفونة والقول بان فيه قملا ينقيض لا ينبغى ان يقال الا ان بعضهم نقل انه لم يكن الذباب يعلو عليه وان القمل لا يؤذيه بدنه بعطيانه صلى الله تعالى عليه وسلم وبكر بما كما سيأتى بيانه فى فصل عدآبيانك اكرمك الله فقيل المراد ينفى اذيته فيه لانه من لوازمه وقيل انما كان فيه ولكن لا يؤذيه والاول مناف لحديث المس ولما روى ان ام حرام كانت تفلى رأسه واللفظ شاهد لخلافه ثم بين اذاه مسلزم انه لان اذيته بعدية من البدن فاذا امتنع عداؤه لم يعش وحينئذ لم يكن فى وجوده الا قذارته والاحتياج لفليه ولذا قيل المراد بفليه تفتيشه لخرق فيه او تعلق شئ به من شوك ونحوه وكل ذلك للتشريع واظهار التواضع واحتمال ان يكون القمل جاءه من غيره لكثرة مجالسته الفقراء كما سيأتى لا يأباه فلى ام حرام لرأسه كما قيل على انه يحتمل انها كانت تفحص عن هذا وان لم تجده (ويحلب شاته ويرقع ثوبه) بفتح الياء وسكون الراء المهملة وفتح القاف المخففة ويجوز الضم والتشديد الا ان الضبط بالاول لمناسبته ما قبله ورقع الثوب ان يضع فيما انخرق منه رقعة من غيره فيسده بها (ويخصف نعله) اى يخرزها به وفى العمدة انه يطبق بعض جلود النعل على بعض وهو فى قوله تعالى (يخصفان عليهما من ورق الجنة) استعارة من هذا واصل معنى الخصف الضم والجمع (ويقم البيت) اى يكنسه ويزيل قمامته من قم يقم بضم القاف اذا كنس (ويعقل البعير) اى يربطه من رجله

(بالعقال)

بالعقال وتعقل بوون يصرب (ويعلف ناضحه) بنون وضاد معجمة وحاء مهملة
وهو البعير الذى يسقى عليه من النضح (ويخدم نفسه) اى يفعل ذلك كثيرا
لادائما مع كثرة عبده وخدمه وتشوق الناس لخدمته صلى الله عليه وسلم لكنه يحب
فعل ذلك بنفسه تواضعا وتشريعا (ويأكل مع الخادم) الخادم متعاطى الخدمة ذكرا
كان او انثى حرا او عبدا واكل الانسان مع خادمه سنة قال القاضى زكريا فى شرح
الروض ان السنة ان يجلس خادمه للاكل معه ويلبسه من لباسه فان ابى فليناوله مما يأكله
ومن الغريب مانقل عن الشافعى انه واجب للامر به فى الحديث وفيه نظر (ويعجن
معها) الضمير للخادم لانه يطلق على الانثى كما مر والعجن من عمل النساء (ويحمل
بضاعته) بكسر الموحدة وهى مايشتريه (من السوق) وفيه دلالة على انه صلى الله
عليه وسلم كان يدخل السوق قالوا وهو عادة الانبياء عليهم الصلوة والسلام قال الله تعالى
(وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق)
وكذا كان دأب الصحابة رضى الله تعالى عنهم ولاينافيه احب البقاع الى الله تعالى المساجد
وابغضها اليه الاسواق لان المراد بغض مافيها او النهى عن الجلوس فيها
من غير حاجة (وعن انس) بن مالك رضى الله عنه خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وهذا الحديث رواه البخارى تعليقا ووصله ابن ماجه (ان كانت الامة من اماء اهل المدينة)
بكسر همزة ان المخففة من الثقيلة كقوله تعالى (وان كانت لكبيرة) وهى مهملة او اسمها
ضمير شان مقدر (لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنطلق به حيث شاءت)
اى تمسك بيده الشريفة وتذهب به الى اى محل تريده لاجل حاجتها (حتى يقضى
حاجتها) وليس فيه افراط فى التواضع المذموم لان قضاء حاجة المسلمين امر محمود
(ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة) بكسر فسكون لخوفه من مهابته اذ كان لم يره
قبلها واعاد هذا الحديث لما فيه من الزيادة والرعدة ان يرجف ويضطرب
(فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هون عليك) امر من التهوين اى عد
مارأيته امرا هينا غير صعب تخشى منه اى لاتخف ولاتفزع (فانى لست بملك)من الملوك
الجبابرة الذين تخشى بوادرهم (انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد) هو اللحم
الذى يقطع ويجعل فى الشمس حتى ييبس وكان عادة العرب اكله وهكذا عادة فقرائهم
فكنى به عن عدم تكبره وتجبره وترفعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن ابى هريرة)
رضى الله تعالى عنه قال الشوطى هذا الحديث رواه الطبرانى فى الاوسط بسند
ضعيف (قال دخلت السوق مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاشترى سراويل)
فى حواشى الشمنى ذكر المصنف رحمه الله تعالى اشتراه صلى الله تعالى عليه وسلم
للسراويل الا انهم قالوا انه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم لبسها ولكنه اشتراها
ولم يلبسها وقال ابن القيم فى الهدى انه لبسها فقالوا انه سبق قلم وقال السيوطى

فى ٭ واه قد رأيت الذى ذكره المصنف رحمه الله تعالى فى معجم الطبرانى الاوسط ومسند ابى يعلى وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لبسها ولفظه عن ابى هريرة انه قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل باربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان فقال له زن وارجح واخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السراويل فذهبت لاحمل عنه فقال صاحب الشىء احق بشيئه ان يحمله الا ان يكون ضعيفا فيعجز عنه فيعينه اخوه المسلم فقلت يارسول الله انك لتلبس السراويل قال اجل فى السفر والحضر وبالليل والنهار فانى امرت بالستر فلم اجد شيئا استر منه اخرجه من طريق ابن زياد الواسطى واخرجه احمد وفى سنده ابن زياد وهو وشيخه ضعيفان انتهى ٭ اقول الخبر ضعفه عفا عنه ومنه تعلم ان تخطئة ابن القيم لا وجه لها وكون الثمن اربعة دراهم هو المروى لا ما فى الاحياء من انه ثلاثة وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراها ولم يلبسها بعيد جدا وقد لبسها عثمان رضى الله تعالى عنه وهو محاصر ايضا والسراويل تذكر وتؤنث ولم يعرف فيه الاصمعى الا التأنيث وجمعه سراويلات وهى مصروفة فى النكرة عند سيبويه فان سمى بها رجل لم تصرف وكذا ان صغرت بعد التسمية لانها مؤنثة على اكثر من ثلاثة احرف كما فى فان صغرت من غير علمية صرفت وقال الجوهرى من النحويين من لا يصرفه فى النكرة ايضا لانه عنده جمع سروالة واستشهد عليه من اللؤم سروالة ٭ وتقول ابن مقبل ٭ فى فارسى فى سراويل رامح ٭ والعمل على الاول والثانى قوى ايضا ومن ثم رد قول من قال انه ممنوع من الصرف بالاتفاق وقول المحدثين انه لم يسمع انه جمع فى الاصل كخصائص للصيغ فجرى مجرى الجمع بالاصالة قال ولذا اضطر بواقيه فقيل انه اعجمى معرب سروال حمل على موازنه فى العربية كمصابيح وقيل عربى جمع سروالة تقديرا وهى لغة فى سراويل وتقوى عجمته انه لا نظير له فى العربية وعلى هذا فصرا الحوالق فى معرباته الا انه قيل انه معرب شلوار بالمعجمة والاشبه انه معرب سر او ين اى مدخل الراس لان سر معناه الرأس واو ين معناه مدخل (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للوزان) اى الذى يزن الدراهم وينقدها وهو الصيرفى (زن وارجح) اى زن لصاحب السراويل ثمنها وزد عليه حتى يرجح الميزان بزيادة الكفة التى فيها الدراهم وبهذا استدل الامام مالك على جواز هبة المجهول وفيه نظر لانه من حسن القضاء بكلام ابى حنيفة رحمه الله تعالى فى الهبة المجهولة والرجحان نزول كفة الميزان لزيادة مافيها (وذكر القصة) كما سمعها آنفا (قال) اى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه راوى هذا الحديث فقال الوزان هذه كلمة ماسمعتها من احد فقال له ابو هريرة كفى بك من الوهن والجفا فى دينك انك لا تعرف نبيك وطرح الميزان (ووثب)

اى قام بسرعة (الى يدا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها) اى قام لتقبيل يده الشريفة لما رأى منه ولمعرفته انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فجذب) اى نزع صلى الله تعالى عليه وسلم (يده) من يده (وقال هذا) اى تقبيل اليد امر (تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم) معاشر العرب او الناس وهذا من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم اولانه علم انه انما فعل بيده لامر دنيوى والا فتقبيل يد الرجل لعلمه او صلاحه اوشرفه سنة مستحبة وقد كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يقبلون يده الشريفة ويد الخلفاء رضى الله تعالى عنهم وقيل لبعض المشايخ اتقبل يد المشايخ فقال انهم رياحين الله فشموها بالتقبيل (ثم اخذ) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيد الشريفة (السراويل) ليحملها بنفسه (فذهبت لاحمله) اى شرعت فى حملها عنه يقال ذهب يفعل كذا وقام يفعله اذا شرع فى الفعل ولذلك عدت من افعال المقاربة فليس المراد بالذهاب معناه المشهور وضمير لاحمله للسراويل لانه يجوز تذكيره وتأنيثه كما علم (فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابى هريرة (صاحب الشئ احق بشيئه ان يحمله) بدل من شيئه اى احق بحمله من غيره وهذا من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم واقتدى به الصحابة رضى الله تعالى عنهم فكان الخلفاء منهم يحملون امتعتهم فى السوق كما فصله الغزالى فى الاحياء ﴿فصل واما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ العدل مصدر معناه العدول عن الظلم والجور ويكون بمعنى العادل فيستوى فيه الواحد المذكور وغيره ويجمع على عدول (وامانته) فى كل شئ يحفظه قولا كان او فعلا او غير ذلك مما يحمل عنده وكونه موثوقا به فى اموال الناس واحوالهم (وعفته) فى نفسه بترك كل قبيح وترك السؤال والنزاهة عن كل شئ (وصدق لهجته) اللهجة اللسان والكلام يقال لهج بكذا اذا ولع به ولا يخفى تقارب معانى ما ذكر ولذا جمعها فى فصل فان فى العدل عفة عن الظلم وفى الصدق امانة على ما سمع وعفة عن الكذب وهذا ظاهر لمن له بصيرة (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم آمن الناس) آمن بالمد الهمزة بمعنى اكثرهم واشدهم امانة (واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان) اى من ابتداء خلقته الى نهايتها وكان تامة بمعنى وجد (اعترف له بذلك محادوه) جمع محاد بتشديد الدال المهملة بمعنى المعادى والمخالف له الذى فى حد وجانب عنه ويكون بمعنى المحارب قال تعالى ومن يحادد الله ورسوله (وعداه) بكسر العين جمع عدو اواسم جمع وهو فى الصفات وقد يضم عينه (وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق) محمد بن اسحق بن يسار صاحب السير كما تقدم وهذا حديث صحيح رواه احمد فى مسنده والحاكم والطبرانى عن على كرم الله وجهه (كان صلى الله تعالى عليه وسلم) فى ابتداء امره قبل نبوته (يسمى الامين) لامانته وصدق قوله فى جميع

احواله (عاجمع الله له من الاخلاق الصالحه) اى بسبب ماجمعه الله له من الاخلاق الصالحه الذى اتممه الله اياها او الباء بمعنى مع اى مع ماجمعه الله له من الصالحات التى عرف بها عندهم (وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه) اى المطاع الامين فى هذه الآيه (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وكثير منهم على انه جبريل عليه الصلوة والسلام كما يشهد به سياق النظم ولذا ارتضاه المحققون لكونه عليه الاكثر وفيه نظر (ولما احتامت قريش وتحازبت) بالحاء المهمله والزاى المعجمه والباء الموحدة اى صارت احزابا وفرقا لاختلاف آرائهم ولو قيل تحاربت بالراء المهملة لما فى السير انهم تحالفوا حتى اعدوا للقتال ثم بدالهم فتشاوروا صح الا انه بعيد والنسخ مضبوطه خطا بخلافه (عند بناء الكعبه) قال السهيلى كان بناؤها خمس مرات الاولى حين بناها شيث بن آدم والثانيه حين بناها ابراهيم عليه الصلوة والسلام على القواعد الاولى والثالثة حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة اعوام والرابعه حين احترقت فى عهد ابن الزبير بشرار طارت من ابى قبيس او بشرر طار من مجمر امرأة ارادت ان تجمرها فعلق باستارها واحرقها فشاور من حضرها فى هدمها فهابوه وقالوا نصلح ما انهدم منها فقال رضى الله تعالى عنه لو احترق بيت احدكم لم يرض له الا باكمل صلاح ولا تكمل صلاحها الا بهدمها فهدمها حتى افضى الى قواعد ابراهيم عليه الصلوة والسلام فامرهم ان يزيدوا فى الحجر فحركوا حجرا منها فرأوا تحته نارا افزعتهم فامرهم ان يقروا القواعد وان يبنوها من حيث انتهى الحجر واستمرت على ذلك الى ان قام عبد الملك بن مروان فهدمها وبناها فهذه المرة الخامسه ولا منافاة بينه وبين ما فى التواريخ من ان الخامسة بناء الحجاج لانه كان بامر عبد الملك لانه اميره وكان ارسله لمحاربة ابن الزبير رضى الله عنه فهاوقيل غير ذلك والكلام فيه مفصل فى تاريخ مكه (فى من يضع الحجر) الاسود فى موضعه ويرفعه بيده لما فيه من الشرف والفخار والجر ورمتعلق بما قبله (حكموا) بفتح الحاء وتشديد الكاف جواب لما اى ارتضوا بان يكون الحاكم فى ذلك (اول داخل عليهم فاذا بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخل) اذا الفجائيه اى فاجأهم دخوله عليهم بغته من غير طلب وميعاد منهم (وذلك قبل نبوته) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابن خمس وثلاثين وقيل ابن خمس وعشرين او حين بلغ الحلم ولا شك فى ان هذا كان قبل النبوه والاول اصح (فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به) حكما فى هذه القضيه فلما انتهى اليهم ذكروا له ذلك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ائتوا بثوب ووضعوا فيه الحجر وارفعوه جميعكم من كل بيت رجل فلما فعلوا وضعه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفه ثم بنى عليه فكان شرف الوضع له وكان مع الناس رضى الله تعالى عنه

يستقلان الحجارة فقال له الناس اجعل ازارك على رقبتك ليقيك الم الحجارة فلما فعل بدا منه ما لا بد من ستره فخر مغشيا عليه وطمحت عيناه الى السماء فقال ازاري ازاري فشد عليه ازاره لانه نودي يا محمد غط عورتك فلم تر له عورة بعده ولا قبله وروى انه وقع له مثله وهو يلعب صغيرا (وعن الربيع بن خثيم) رضي الله تعالى عنه بضم الخاء المعجمة وفتح المثلثة وسكون الياء المثناة التحتية والميم وهو الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله بن موهب ابو يزيد الثوري نسبة الى ثور بن عبد مناة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وينسب اليه سفيان وغيره والربيع يروى عن ابن مسعود وابي ايوب وروى عنه خلق كثير وكان ثقة عابدا واخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة سبع وستين (كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الجاهلية) وفسر الجاهلية بقوله (قبل الاسلام) لانها تطلق بهذا المعنى في الاكثر وهذا شاهد لعدله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد قبل بعثته وتطلق الجاهلية كما في النهاية على صفاتهم وان كانت في الاسلام كقوله في الحديث انك امرؤ فيك جاهلية وجمعها الاول وهذا معنى مجازي اللهم الا ان يراد بها المعنى اللغوي وهو النسبة الى الجهل مطلقا ويكون حقيقة والى هذا نظر ابن حجر في شرح البخاري ويتحاكم بضم المثناة مجهول اي يحاكم اليه قريش اوالعرب وقول الربيع هذا رواه ابن مسعود وله حكم الرفع ومحاكمتهم اليه صلى الله تعالى عليه وسلم يدل على عدله وانصافه (وقال صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء وامين في الارض) يعني انه مشهور بذلك بين الملأ الاعلى وبين اهل الارض لانه لم يتهم قط بكذب وجور في احكامه وهذا الحديث رواه ابن ابي شيبة في مسنده عن ابي رافع وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه مؤكدا بالقسم واعاد اثبت الاختلاف الاماسس (حدثنا) ابن سكرة (ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه) وقد تقدمت ترجمته وحكمه قال (حدثنا ابو الفضل بن خيرون) تقدم انه احمد بن الحسن بن احمد بن خيرون الحافظ وخيرون ممنوع من الصرف قال (حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو علي السنجي) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا ابو محمد المروزي) محمد بن احمد بن محبوب راوي جامع الترمذي كما تقدم قال (حدثنا ابو عيسى الحافظ) هو الامام الترمذي كما تقدم قال (حدثنا ابو كريب) بضم الكاف وفتح الراء المهملة وياء تصغير وباء موحدة وهو الامام الحافظ محمد بن العلاء الهمداني اخرج له الستة ووثقه النسائي وغيره توفي سنة ثمان واربعين ومائتين قال (حدثنا معاوية بن هشام) القصار الكوفي الثقة وقال ابن معين صالح وليس بذلك توفي سنة خمس وعشرين ومائة (عن سفيان) الثوري فيما يظهر الا ان المزي والذهبي لم يقيداه (عن ابي اسحق) عمرو بن عبد الله الهمداني التابعي احد الاعلام (عن ناجية) بنون وجيم (بن كعب) العنزي او الاسدي

الثقة وتوقف ابن حبان في توثيقه وله ترجمة في الميزان وقال الذهبي في المغني ما ادري
لماذا توقف فيه ابن حبان انتهى (عن علي) بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله
تعالى عنه وهذا الحديث رواه الترمذي كما ذكره المصنف وانفرد باخراجه
من طريقين احدهما ما ذكره المصنف والثانية عن اسحق بن منصور عن ابن مهدي
عن سفيان عن ابي اسحق عن ناجيه قال وهذا اصح وكذا رواه عبد العزيز بن ابي عثمان
(ان ابا جهل) بن هشام لعنه الله فرعون هذه الامة (قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فانزل الله) فيما قاله وهو سبب نزول هذه الآية
(فانهم لا يكذبونك الآية) ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وروى ابو ميسرة انه
صلى الله عليه وسلم مر بابي جهل واصحابه فقالوا والله يا محمد ما نكذبك وانك عندنا
لصادق ولكنا نكذب ما جئت به فنزلت هذه الآية وقرئ يكذبونك مخففا ومشددا
فقيل معناهما واحد لانه يقال كذبته واكذبته كحزنته واحزنته واختار
ابو عبيدة قراءة التخفيف وهي مروية عن علي كرم الله تعالى وجهه وقيل معنى
يكذبونك بالتشديد ينسبونك الى الكذب ويردون ما قلته ومعناه بالتخفيف يجدونك
كاذبا كاحمدته اذا وجدته محمودا والمعنى على التشديد لا يكذبونك بحجة وبرهان
قيل وفي كلام المصنف اشارة الى دفع التناقض في الآية فانه قال اولا انهم لا يكذبونه
ثم اخبر انهم يجحدون ما جاء به من الآيات وجاحد كلامه مكذب له ويجحدون
مضمن معنى يكذبون ولذا عداه بالباء وهو معنى نسبته به ويدل على انهم كذبوه
قوله بعده ولقد كذبت رسل من قبلك فليس المراد بقوله لا يكذبونك نفي
تكذيبه مطلقا فاما ان يقال في دفع توهم التناقض ان معنى لا يكذبونك
بالتشديد لا يحكمون عليك بان سجيتك الكذب لانك موصوف بالصدق
عندهم في جميع شؤونك ما عدا قولك الذي جئت به من عند الله وهو الآيات
فانهم يجحدونه وهذا مراد المصنف في استشهاده بهذه الآية او يقال المراد انهم
لا يكذبونك في الحقيقة ونفس الامر وفي نفوسهم اذا خلوا ولكنهم يظهرون
التكذيب حسدا وبغيا او انهم لا يكذبونك اذا انعموا النظر وتدبروا ولكنهم عموا
عن نور الهداية انتهى وفي الآية كلام فصلناه في حواشي القاضي البيضاوي
(وروى غيره) اي روى غير الترمذي او السدي في هذا الحديث بزيادة وزيادة الثقة
مقبولة (لا نكذبك وما انت فينا بمكذب) اي معروف بالكذب في غير هذا (وقيل
ان الاخنس بن شريق) بن ثعلبة الثقفي الصحابي واسمه ابي وهو بهمزة وخاء
معجمة ونون وسين زنة افعل التفضيل وشريق بفتح الشين المعجمة وكسر الراء
المهملة وقاف على وزن فعيل وهو [illegible] الوفاء كذا قاله البرهان الحلبي وقال التلمساني
انه خنس عن قريش قيل يوم بدر كافرا سمي به شريقا لا الاخنس وهذا الحديث رواه

(ابو)

ا واسحق والبيهقي عن الزهري واخرجه ابن جرير عن السدي (لقي اباجهل يوم بدر) وكان يوم الجمعة سنة اثنين من الهجرة في تاسع عشر رمضان (فقال له يا ابا الحكم) بفتحتين وهذه كنيته في الجاهلية ثم غلب عليه كنيته بابي جهل (ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد) حاله خبرية والمراد اخبرني عنه (صادق ام كاذب) بين اصادق فحذفت الهمزة تخفيفا والاستفهام تحقيقي او تقديري (فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط) هذا يدل على انهم لا يعتقدون كذبه (وسأل هرقل عنه) هرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ويقال باسكان الراء بين كسرتين كما في وهو علم غير منصرف قال البرهان هلك على كفره وفي الاستيعاب انه صحابي قيل وهو مأول (اباسفيان) صخر بن حرب بن امية القرشي الاموي اسلم يوم الفتح فكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه وكان رئيس قريش واكثرهم مالا وتوفي سنة اربع وثلاثين وسنه ثمان وثمانون في المدينة وقصة ابي سفيان مع هرقل مشهورة مروية في الصحيحين مفصلة في اول باب في البخاري وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كاتبه في سنة ست فلقيه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص فلما قرأ الكتاب امر مناديا ينادي الا ان قيصر قد اسلم واتبع محمدا وترك النصرانية فماج جنده وتسلحوا فامر مناديا ناديا الا ان قيصر رضي بدينه وهو راض عنكم ثم قال لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اني مغلوب على مملكتي وكتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني مسلم وبعث له دنانير فقال كذب عدو الله لانه على النصرانية وقوله عن سهم فيه ولو سلم مداوته بانه راض بدينه ردة فلذا قالوا ان القول باسلامه بناء على ظاهر قوله وانه كتب وقد قاتل المسلمين يوم مؤتة وواعدهم ان أسهم في القتال مع ... ورد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاجله الى تبوك فلم يجيء واحدث منه الا ... وهلك سنة عشرين بالقسطنطينية على نصرانيته وقوله (فقال) اي هرقل لابي سفيان (هل كنتم تتهمونه بالكذب) اي هل وقع في قلوبكم انه صدر منه كذب في اقواله قال في الاساس وهمت الشيء اتهمه وهما وتوهمته وقع في خلدي وشيء موهوم ومتوهم اسهل وانما سألهم عن توهم الكذب ولم يقل هل علمتم وحققتم لانه نعلم من انتفائه وهم انتفاءغيره بالطريق الاولى (قبل ان يقول ما قال قال لا) فقال هرقل قد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وانما لم يقل انه يكذب لئلا يأثر الناس عليه الكذب وهو عار عند العرب او يقول ما لا يقبل منه ثم قال ابو سفيان الا اخبرك عنه خبرا كذب فيه قال ما هو قال انه زعم انه خرج في ليلة من الحرام الى المسجد الاقصى ثم رجع في ليلة الى الصباح وكان عنده بطريق ايلياء فقال صدق واني كنت لا انام حتى اغلق ابواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اعاقني ابوابه عن بابه فيها عاني فاستعنت عن حضرني فلم تمكنهم

تحريكه وقالوا انه سقط عليه الماء فلما اصبحت عدوت عليه فاذا الحجر الذى فى زاوية مثقوب وبه اثر ربط دابة فقلت ما حبس هذا الباب الا لهذا الاعلى نبى قد صلى فى مسجدنا فقال قيصر يامعشر الروم الم تعلموا ان بعد عيسى عليه الصلوة والسلام نبيا بشركم به وكنا نرجو ان يكون ما جعله الله تعالى فى عربنا وهو رحمة من الله بعثها حسب ساء ولم يعتدوا بتصديقه هذا حتى يكون يوما ما اتبعه عامخالفه قولا وفعلا * قلت وبهذا علم ان من ربط البراق بالمسجد الاقصى صحيح وسال امامه ان عنه صلى الله عليه وسلم اسئلة اخرى مذكورة فى اول البخارى (وقال النضر) بنون مفتوحة وضاد معجمة ساكنة وراء مهملة (بن الحارث لعنه بن قريش) فى حديث رواه ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس والنضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بفتح الكاف ابن عبد مناف القرشى وكان شديد الاذية للمسلمين فظفر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببدر فقتله كافرا صبرا كما أتى فرسه اخته عليه بابيات مشهورة اولها

يا را كبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وانت موفق

الخ وقيل انها مصنوعة وقيل بالشعر المنسوبة مصرة اخته فى اسلامها وكونها صحابية (قد كان محمد فيكم غلاما حدثا) بفتح بن قال الجوهرى حدث شاب فان ذكرت السن قلت حديث السن من الحدوث لقرب عهده بالوجود والسلام الذى لم يبلغ (ارضاكم فيكم) اى اكثركم رضا وصبرا واعمالا مرضية (واصدقكم حديثا واعظمكم امانة) منصوب هو وما قبله على التمييز وهذه شهادة العدو بما له ثمرة (حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب) الصدغ ما بين لحظ العين والاذن والشعر الذى فيه من اعلى العذار وجانب الرأس كثيرا ما يبدو الشيب فيه دليل على عمره فكنى بذلك من انه تمت رجولته وكمل عمره صلى الله تعالى عليه وسلم بمجاورته سن الاربعين بعد ما اتى فى الانكار عليهم (وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر) اى قلتم انه ساحر فهو خبر مبتدأ مقدر اى هو ساحر بدليل قوله (لا والله ما هو بساحر) ردا عليه بعد الانصاف ولكن غلب عليه الشقاء فقتل صبرا بالصفراء كافرا فى منصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم من بدر كما ذكره الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وهذا الحديث رواه ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والذى قال انه ساحر الوليد بن المغيرة [illegible] المذكور ان ابا جهل [illegible] ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] فى سورة [illegible] الى آخر [illegible] ذلك الحصر قال انه [illegible] الله [illegible] قد كان فيكم محمد الى قوله ماهو بساحر [illegible] ان كاهن والا شاعر كاهن

وقد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر والله ماهو بشاعر وقد رأينا الشعر وسمعنا اصنافه هزجه ورجزه وقلتم مجنون لا والله ماهو بمجنون فماهو بخنقة ولا بتخليط ولا بوسوسة فانظروا فى شأنكم فانه والله قد نزل بكم امر عظيم والنضر بن الحارث كان من شياطين قريش وهو الذى جاء بقصة رستم واسفنديار وكان يجلس يحدث بها ويقول ماجاء به محمد ليس باحسن مما جئت به ان هو الا اساطير الاولين فنزل فيه ﴿ واذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين ﴾ فى آيات اخر

(وفى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم مامست يده يد امرأة قط لا يملك رقها) وهذا من عفته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وسكت عن روحانيه لان جواز مسهن معلوم وانما يحرم مس الاجنبية التى ليست بمحرم فيعلم ذلك من الرقيق بالطريق الاولى وقيل انه داخل فى ملك الرق لتملكه البضع وقد سمى بذلك فى قول اسماء رضى الله تعالى عنها الزوج رق المرأة فلتنظر اين تضع رقها ولا ينافى هذا ماصح من ان الامة من اماء المدينة كانت تأخذ بيده صلى الله تعالى عليه وسلم فلا ينزع يده من يدها حتى تقضى حاجتها لانه كان بحائل من كمه اوكمها وكلام عائشة رضى الله تعالى عنها هذا ورد فى مبايعته صلى الله تعالى عليه وسلم للنساء فان بعضهم زعم انها كمبايعة الرجال باليد من غير حائل فقالت رضى الله تعالى عنها انما كان يقول لمن هاجر من المؤمنات ماامره الله تعالى به فى قوله ﴿ يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك ﴾ الى قوله غفور رحيم فمن اقرت على ذلك فمن اقر به قال قد بايعتك كلاما من غير مس لاند بين وماورد فى المبايعة من امساك اليد بين فان كان مدا من غير مد اليد فيها والا فهو بحائل لانه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بثوب ووضعه على يده وقال لا اصافح النساء وروى انهن كن يأخذن بيده من فوق ثوب وفى البخارى عن ابان بن صالح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى المبايعة يغمس يده فى ماء فى اناء ويغمسن من بايعته يدها فيه وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم بايع النساء بواسطة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكلام عائشة رضى الله تعالى عنها يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبايعهن الا بالكلام فلعله تعدد (وفى حديث على رضى الله تعالى عنه فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم اصدق الناس لهجة) رواه الترمذى فى شمائله وتقدم بيانه لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن الكذب ولو سهوا لمنافاته للابلاغ ووجوب تصديقه فى كل مايقول كما بين (وقال فى الصحيح) اى فى الحديث الصحيح او فى صحيح البخارى لانه حيث اطلق الصحيح انصرف اليه وهذا اولى (ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل) وتقدم هذا على الخطاب والكلام والكلام عليه الا ان الذى فى البخارى فى باب الادب ويلك بدل ويحك

وقد فرق بينهما بقال ويل كلمة زجر وويح كلمة ترحم وويس ترحم دون ترحمها وهو معنى قول الاصمعي انها تصغيرها وقيل اصل ويل وي زيدت فيها اللام وقد تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله لمن قال له لست فسمك بعدل وانه اختلف في اسمه وانه عبد الله بن ذى الخويصرة التميمي اوحرقوص بن زهير الخارجي اوذوالثديه وقد مر الكلام فيه مفصلا فتذكره (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه) اعاد المصنف هذا الحديث وقد تقدم بيانه لما فيه من عدله صلى الله تعالى عليه وسلم وعفته فلاوجه للاعتراض عليه والامران من امور الدنيا والمخير ان كان الناس فلااشكال فيه وان كان الله تعالى وهو الظاهر فالمراد بالاثم مايؤدى الى وقوع امته فيه لان الله تعالى لايخيره صلى الله تعالى عليه وسلم بين اثم وغيره كاختياره الرزق الكفاف على فتح الكنوز له ولامته فان الدنيا تشغلهم عن العبادة وتوقعهم فى المهالك وقد تقدم تفصيله (قال ابو العباس المبرد) وهو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر امام العربية وترجمته مشهورة فى التواريخ وما نقله المصنف هنا غير ماذكره لنعلم بذلك جلالة قدره صلى الله تعالى عليه وسلم ومباينة حاله لحال اهل الدنيا وماهم عليه من اللهو فلا يرد عليه ماقيل انه لا فائدة فيه (قسم كسرى ايامه) بكسر الكاف وقد تفتح وهو كما تقدم اسم لكل من ملك الفرس معرب خسرو والا فلقب كسرى (٢) انوشروان الذى ولد فى زمنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اشهرهم واعظمهم (فقال تصلح يوم الريح للنوم) والتغطى حتى يسلم من مس الريح الشديد المصدع (ويوم الغيم للصيد) الذى كان يتقيد به الملوك لعدم اذية الشمس وحرها ويقال له يوم فاخى وسبيل (ويوم المطر للشرب واللهو) لعله المصالح فيه والسلامة من الملل والطاقة من الوحول والمراد باللهو سماع الغناء ونادمة الندماء (ويوم الشمس للحوائج) وروى يوم الصحو اى خلو الجو من المطر والغيم والمراد بالحوائج مصالح الناس وهو جمع حاجة على خلاف القياس اوجمع حائجة وانكره بعض اهل اللغة وقدرده الحريرى بانه ورد فى كلام الفصحاء كثيرا وفى الحديث (اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه) فلاوجه لانكاره كما فصلناه فى شرح الدرة وانما اختير ذلك اليوم للحوائج لعدم المانع فيه ومااشتهر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ولدت فى زمن الملك العادل كسرى فقد قال الحافظ السخاوى والسمعانى انه لااصل له فهو موضوع ولو صح لم يكن فى وصفه بالعادل بأس كما توهم فانه كان لايجور على احد من رعيته ولا يظلمهم فى حقوق الدنيا فعدله بالنسبة لذلك لاينافى كفره وظلمه لنفسه لجهله ومحبته للدنيا وقيل انه وصف بذلك لشهرته به ادعاء فيهم لا انه يشهد له بالعدالة

(٢) علم على كسرى بعينه

حقيقته وذكر قصته توطئة لقوله (قال ابن خالويه) بفتح اللام والواو وسكون المثناة التحتية والمحدثون يضمون اللام مع سكون الواو وفتح الياء وهو الحسين بن محمد بن خالويه النحوي اللغوي الاديب الهمداني دخل بغداد ثم اسعل للشام وصحب سيف الدولة أديب اولاده واخذ العربية عن ابي بكر بن الانباري والسيرافي وتصدر للافادة وله تآليف حافلة وشعر حسن ومات بحلب سنة سبعين وثلاثمائة (ما كان اعرفهم) اي الفرس الدال عليهم ذكر كسرى (بسياسة دنياهم) اي بتدبير امورها لان هذا معنى السياسة لغة قال

وبنا نسوس الناس والامر امرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

وقول ابن كمال في رسالة المعرب انه معرب خطأ كما تقدم (يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) يعني انهم صرفوا امر سيرهم واكلهم وحركاتهم وقيدوا بذلك وغفلوا عن المعاد وما يتعلق به وهذا مراده فيما اقتبسه كما قال الشاعر

ومن البلية ان ترى لك صاحبا * في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله * واذا يصاب بدينه لم يشعر

ويقرب ماقاله المفسرون نقلا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم يعلمون امر معاشهم ودنياهم متى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يغرسون ويبنون (ولكن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة اجزاء) يعني انهم قسموا ايامهم لما ذكر والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قسم اوقاته وهو اكثر حزما لعدم ضياع جزء ووقت من عمره فيما لا يعنيه وشتان بين القسمين والمقسمين وفي نسخة لكن بدون واو (جزأ لله) اي لعبادة الله وتأتي وجهه (وجزأ لاهله) اي لمصالح اهله وبيته (وجزأ لنفسه) مخصوصا بآكله وشربه ونحو ذلك من اموره الدنيوية وجزأ في المواضع الثلاثة يجوز ضمه ورفعه وكذا روي (ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس) اي جعله قسمين قسما لخاصة نفسه وقسم الخاص به قسم له في نفسه وقسم ينظر فيه امور الناس وحوائجهم (فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يستعين بالخاصة) من اصحابه وهم خلفاؤه ووزراؤه رضي الله تعالى عنهم ومن يقرب منهم (على العامة) من المسلمين (ويقول) للخاصة (ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي) اي اخبروني واوصلوا لي ما يطلبه العوام ممن لا يقدر ان يلقي حاجته اما لعدم الجراءة على كلامه لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم او لعجزه عن الوصول اليّ ثم رغب في ذلك بقوله (فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر) وهو يوم البعث والحشر ونحوه بكون الناس كلهم في فزع اي خوف من العذاب وقيل هو يوم النفخة او يوم الانصراف الى النار وهذا من حديث هند بن ابي هالة وآمنه بالمد بمعنى جعله في امن من اهوال القيامة (وعن الحسن) بن علي رضي الله عنهما كما رواه ابوداود في مراسيله (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يأخذ احدا بقرف احد) الاخذ مجاز عن العقوبة من اخذ السلطان اذا حبسه
وجازاه على ماصدر منه والقرف بفتح القاف وسكون الراء المهملة والفاء التهمة
واسناد الذنب لغيره وقال البرهان الحلبي يقال قرفت الرجل اى عبته واتهمته فهو
مقروف وفي نسخة بقذف بذال معجمة بدل الراء وكتب عليها صح (ولا اصدق
احدا على احد) اى لا يحكم بصدق مقالة صدرت من احد في حق احد غيره
باسناده اليه امرا يقتضي عقوبة اوحقا من الحقوق بمجرد قوله من غير اثبات لمقاله
وهذا من عدله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن هذا ليس على عمومه فانه ربما كان المخبر
ممن يعلم صدقه ويعتمد على خبره وينكشف بنور النبوة جلية الحال له (وذكر ابو جعفر
الطبري) هو الامام محمد بن جرير الطبري المشهور وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث
رواه البزار الى قوله برسالته الآتي (عن علي) كرم الله وجهه (عنه صلى الله عليه وسلم
ماهممت بسوء) وقد تقدم هذا الحديث والكلام فيه وانما اعاده المصنف لغرض
آخر وهو بيان عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن اللهو وان الله عصمه عن ذلك
من اول امره وقيل انما اعاده لزيادة فيه لم يذكرها اولا وهي قوله غير مرتين الى آخره
(مما كان اهل الجاهلية يعملون به) كما تقدم بيانه (غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني
وبين ما اريد من ذلك) اسم بمعنى الحائل الحاجز بين شيء وشيء المانع كما في قوله تعالى
(يحول بين المرء وقلبه) قال ابو عبيد اى يملك عليه قلبه فيصرفه كيف يشاء وذلك
الثاني اشارة لما كان عليه اهل الجاهلية والمعنى انه عصمه صلى الله تعالى عليه وسلم
عنه (ثم ماهممت بسوء) اى صرف الله قلبي عن ان يهم بسوء اى بقبيح شرعا
كاللهو (حتى اكرمني الله برسالته) اى حتى من الله علي بالنبوة وجعلني نبيا رسولا
ثم بين ماهم به في المرتين فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (قلت لغلام كان يرعى
معي) يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرعى غنما لاهل قريش في صغره
وهكذا كان الانبياء عليهم الصلوة والسلام يرعون لغيرهم ايضا والغلام كان اجيرا
ايضا يرعى معه ورافقه في البادية وفي هذا تحصيل كسب حلال وتدريب لرعاية الخلق
كما ورد كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته مع مافيه من الانس بالوحدة والخلوة
وفي الحديث مامن نبي الا رعى الغنم قيل ولا انت يارسول الله قال نعم كنت ارعاها على
قراريط لاهل مكة وقيل حكمته ان الغنم جاهلة ضعيفة فالسياسة فكان ذلك انسب لسياسة الخلق
والقراريط جمع قيراط وهو سدس درهم وقيل انه اسم جبل بمكة وانكروه لانه
لم يسمع به ثمة وفي الحديث ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا الحديث والقيراط
فيه قيل انه بهذا المعنى وقيل انه نسب بينهم وقيل غير ذلك وعندي انه بمعنى مقدار
الارض المعروف بينهم في المساحة لانه مخصوص بها واما غيره فلا اختصاص له
بها وفي هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالغيب وقوله (لو ابصرت لي

عنى) اى لو حرستها وحفظتها لان الصبر والنظر يستعار لذلك (حتى ادخل مكة فاسمر بها) سمر يسمر كقتل يقتل والسمر التحدث بالليل واصل معناه ضوء القمر من السمرة وهى السواد القليل فسمى به حديثهم ليلا لجلوسهم له فيه قال

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر

(كما يسمر الشباب) والشباب بفتح الشين مصدر شب بمعنى صار شابا واسم جمع له كالعقود والشاب حديث السن كالفتى (فخرجت) من البادية التى فيها الغنم (لذلك حتى جئت اول دار من مكة) غاية لخرجه من المرعى (سمعت فيها عزفا) بعين مهملة وزاى معجمة وفاء بزنة ضرب وهو مايلهى به الانسان وفى مختصر العين العزف اللعب بالمعازف وهى الملاهى وواحدها عزف على خلاف القياس او معزف والمعزف الطنبور او الدف وقيل كل لعب عزف (بالدفوف) جمع دف بضم اوله وفتحه وتشديد الفاء وهو الذى تضرب به النساء وهو معروف ويسمى عند العامة دربكا وطارا وفيه شبه الجلاجل قال

كأن فى الدف الذى تضربه * زمار دف يحكى جلجله

واحدثت فيه تغيره بعض النساء وكرهه مالك (والزمامير لعرس بعضهم فجلست انظر) مابلهون به والدس بلهون (فضرب على اذنى فنمت) بكسر النون واذن بضمتين وضم فسكون مخففا وضرب الله على اذنه ان يغشاه النوم واصله منع السمع لان من نام لا يسمع وهو مستعار من ضرب الخيمة المطنبة لمن بها فكأن آذانهم تحت غطاء يحجبونه عن السمع قال الراغب ضربت عليهم الذلة التحفتهم التحاف الخيمة لمن ضربت عليه ومنه استعير فضربنا على آذانهم فى الكهف وفيه لطف هنا لانه ذهب ليسمع ضرب الدف فضرب على اذنه صيانة من الله له صلى الله عليه وسلم (فما ايقظنى الامس الشمس) اى مس حرها فكانها مسته حتى حركته وحسته حتى نبهته فصناعته مازه ولطف كما فى قول ابن المعتز

والريح تجذب اطراف الغصون كما * افضى الشفيق الى تنبيه وسنان

وكقوله * ثم تحت اذيال النسيم حتى * القت على الشمس رداءها

(فرجعت) من المكان الذى ضرب فيه الدفوف (ولم اقض شيئا) من قضى وطره اذا كان ماريده يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم جلس قبل تعاطيهم اللهو فغلبه النوم حتى لم يسمع شيئا من ذلك لعصمة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم وتجرد همه بذلك وارادته لا حرج فيه والفاء ساهدة بعدم سماعه على انه لم يكن حرم عليه شئ من ذلك وكونه محرما فى شرع من قبلنا وهو صلى الله تعالى عليه وسلم متشرع به غير مسلم * واعلم ان المعازف حرام فى ما لا نهى عنها فى الاحاديث المشهورة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليكونن فى امتى اقوام يستحلون الخمر والمعازف واختلف فى بعضها فمنهم من جوز الدف فى العرس ومنهم من جوز ضرب العود

لتسلية الاحزان كالماوردى وكان الاستاد الشيخ محمد البكرى رحمه الله تعالى ونفعنا به يقول عطروا مجلسنا بالعود الماوردى لكنه قول ضعيف وفى منظومة الدميرى رحمه الله تعالى

وسمات العود فى الاحزان * قالوا يزيل اثر الاحزان
فاحرم على الحريم اى حرم * والحرم ان لا يبيح ابن حرم
فقد ابيحت عنده الاوتار * والعود والطنبور والمزمار

(ثم عراني) اى طرأ على وعرض لى وغشينى (مرة اخرى) فى وقت آخر (مثل ذلك) من الهم بالسماع والذهاب له (ثم لم اهم) قال الشمنى هو بضم الهاء وعليه اقتصر الجوهرى رحمه الله تعالى (بعد ذلك بسوء) اى بفعله او بشيء سوء لانه يكرهه وقوله ﴿فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم﴾ اى سكونه وطمأنينته ورزانته فقال وقر وقرا ووقارا وفسروه هنا بالحلم وهو غير مناسب هنا كما لا يخفى ويجيء الوقار بمعنى العظمة كما فى قوله تعالى (مالكم لا ترجون لله وقارا) واصله من الوقر وهو الثقل (وصمته) اى سكوته وهو من الوقار (وتؤدته) بضم التاء الفوقية وفتح الهمزة والدال المهملة وهى التأنى يقال اتأد فى فعله اذا تأنى ولم يعجل وتاؤه مبدلة عن واو (٢) وحسن هديه) بوزن ضربه بمعنى سيرته وطريقته وسمته وسلوكه (حدثنا ابو على الجياني) بالجيم وتقدم ضبطه وترجمته (الحافظ اجازة) قال ابن فارس فى مجمله وهى من جواز الماء الذى تسقاه الماشية يقال منه استجزت فلانا فاجازنى اذا سقاك الماء لارضك وماشيتك قال القطامى وقالوا فلان فهم الماء فاستجز عبادة ان المستجز على قراى على ناحية وجزت الموضع سرت فيه واجزته خلفته وقطعته واجزته نفذته قال امرئ القيس

ولما اجزنا ساحة الحى وانتحى * بنا بطن (٣) خبت ذى قفاف عقنقل

وقوله حتى يقال اجيزوا آل صوفانا فجعلهم بانهم يجيزون الحاج انتهى قال ابن الصلاح فلى هذا فللمحتج على هذا ان يقول اجزت فلانا مسموعاتى اومروياتى فيعديه بغير حرف جر من غير حاجة الى ذكر الرواية او نحو ذلك ويحتاج الى ذلك من يجعل الاجازة بمعنى التسويغ والاذن والاباحة وذلك هو المعروف فيقول اجزت لفلان رواية مسموعاتى مثلا ومن يقول منهم اجزت له مسموعاتى فعلى سبيل الحذف الذى لا يخفى نظيره انتهى * اقول اعلم ان اصل الاجازة فى كلام العرب قديما كما ذكره اهل اللغة الاذن فى الانصراف ولما كان من اخذ عن شيخه ينصرف عنه اخذ منه كما قصد الاستعمال وكلام اهل اللغة غلط لانها من مجاز المكان اذا تجاوزه ومن غلطه ثم عدى بالهمزة للمفعول الثانى وقد يقتصر على احد مفعوليه لانه من باب كسا ومعنى اجازه اذن له فى الجواز والمرور ثم استعمل فى مطلق الاذن

(٢) ووقع فى اكثر النسخ هنا (وسروته) فليراجع فانه محبه « طاهر »

(٣) ساقط نسخه

وشاع حتى صار حقيقة فيه فمعنى اجازه الشيخ اذنه فى الرواية عنه وهذه لفظة قديمة كما سمعته وكذا الجائزة بمعنى العطية لسبب محدثه كما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله الا انه يحتمل انها من هذا لان المعطى كانه يأذن لمن اعطاه فى الانصراف عنه ولا تختص بالماء كما توهمه كلام المحمل المقدم وهو الذى غر ابن الصلاح فقوله مأخوذه من جواز الماء لا وجه له بل من اجازه اذا جعله جائزا ثم نقل لمعنى اذن له وكذا قوله وقد تبين انه يجوز به عن معنى لفظ آخر و بينهما مخالفة فى التعدية فيجوز حمله على حقيقه وعلى مجازه فلك حينئذ ان تعديه لمفعولين ولك ان تعديه لواحد بحرف و بدونه فيحمل عمل(٢) اذن واجاز من غير تكلف (وعارضت بكتابه) اى قابلت به حتى نسخته حال القراءة لانه يقال عارضه اذا قابله والكلام على هذا مبين فى مصطلح الحديث والمعنى انه حدثه به قراءة منه وهو مقابل له وفى يده كتابه (قال حدثنا ابو العباس الدلائى) بكسر الدال المهملة مشددة وبحذف اللام الف وجه ثم الف ممدوده وياء مشدده نسبة الى دلاء جمع دلو وقال البرهان الحلبى ان لامه مشددة ووجد فى بعض النسخ مضموم الهمزة والظاهر انها مكسورة بعدها ياء نسبة اسمى والظاهر انه مفتوح الدال وهو صانع الدلو وهو ابو العباس احمد بن انس العذرى المعروف بابن الدلاء من مدينة بالنسبة قال (اخبرنا ابو ذر الهروى) تقدمت ترجمته وهو عبد الله بن احمد بن محمد الهروى قال (اخبرنا ابو عبد الله الوراق) ابو الحسن عبد الله محمد بن على الانطاكى المعروف بابن العسور الوراق قال (حدثنا اللؤلؤى) ابو على محمد بن احمد بن عمرو المشهور برواية السنن عن ابى داود قال (حدثنا ابو داود) سليمان بن اشعث صاحب السنن الامام الحافظ المشهور قال (حدثنا عبد الرحمن بن سلام) بفتح السين المهملة وتشديد اللام وهو عبد الرحمن نسب الى ابيه محمد بن سلام البغدادى الثقة روى عنه ابو داود والنسائى وقال لا بأس به قال (حدثنا حجاج بن محمد بن(٣) عبد الرحمن بن ابى الزناد) هو الاعور المصيصى الحافظ الثقة اخرج له اصحاب السنن الاربعة قال ابن حزم توفى سنة اربع وستين ومائة (عن عمر بن عبد العزيز بن وهب) وقال اهيب بالهمزة وهو بدل فاسى وهو انصارى مولى لزيد بن ثابت وهو يروى عن خارجة واخرج له ابو داود فى المراسيل هذا الحديث وقال الذهبى لا يعرف من هذا كما فى الميزان (سمعت خارجة بن زيد) هو خارجة بن زيد بن ثابت الانصارى المدنى التابعى احد فقهاء المدينة السبعة وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود و خارجة بن زيد وسليمان بن يسار وفى السابع اقوال فقيل هو سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم وقيل ابو سلمة بن عبد الرحمن وقيل ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ثم ان الفقهاء بالمدينة وان كانوا كثيرا فانما خص هؤلاء لاجماع الناس على رأيهم

(٢) فيحمل على سعه

(٣) وقع فى نسخ المتن هنا « عن » بدل ابن فليراجع قاله مصححه « طاهر »

واسهامهم له واهم لمريدهم بالفضل والصلاح حتى كان لايقضى فى امر حتى يرجع اليهم وكان الناس يتبركون بهم حتى قيل ان اسماءهم اذا علقت على محموم برئ واذا وضعت فى البرلم يدخله سوس ولم يفسد وقد نظمهم القائل فى قوله

الاكل من لايقتدى بائمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه

فخذهم عبيدالله عروة قاسم * سعيد ابو بكر سليمان خارجه

وهذا الحديث من مراسيل ابى داود (يقول كان النبى صلى الله عليه وسلم اوقر الناس فى مجلسه) اى اعظمهم وقارا اذا زوره الناس وجلس معهم بخلاف ما اذا خلا مع اهله اومع خاصته فانه ينبسط معهم ويلاطفهم نعم ان هذا كان عادته ودأبه صلى الله عليه وسلم بحيث لايصدر عنه خلافه وكان وان كانت بحسب الاصل فعلا ماضيا لكنها قد تستعمل للاستمرار نحو وكان الله غفورا رحيما وللتكرار نحو كان حاتم يقرى الضيف لقرينة وهو استعمال شائع ولكنه عده بعض الاصوليين معنى لها ولم يحققه احد كابن حجر فى كتاب الخصائص فان اردته فانظره (لايكاد يخرج شئ(٢) من اطرافه) اى اطراف بدنه كرجليه ولايكاد يخرج فيه مبالغة اى لايخرج ولايقرب من الخروج ولذا عدل عن لايخرج وهو اخصر ويخرج بفتح اوله مضارع خرج يخرج كدخل يدخل وشئ فاعلا او بضمه مضارع اخرج وشيئا مفعول الا ان خط النسخ على الاول (وروى ابو سعيد الخدرى) هو سعيد بن مالك بن سنان الخدرى رضى الله تعالى عنه وقد تقدم (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جلس فى المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم محتبيا) وفى رواية بثوبه بدل بيديه والاحتباء بالحاء المهملة ان يجمع ظهره وساقيه بيديه او عمامته ونحوه والحبوة بضم الحاء وكسرها ويقال حبية وحبية ايضا ويقال الاحتباء حيطان العرب لانهم اهل برارى لاحيطان لهم يستندون اليها فالاحتباء قائم مقامها وليس هذا معارضا لما ورد فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الاحتباء فى ثوب واحد اذ النهى فيه لم يرد عن الاحتباء وانما ورد عن كونه فى ثوب واحد لانه ربما يتحرك فيزول الثوب فتنكشف عورته واما قوله

واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك الشكيم الى انصراف الزائر

فاستعارة ونهى عن الاحتباء يوم الجمعة والخطيب يخطب لانه يؤدى الى النوم وهذا الحديث رواه ابوداود والترمذى فى شمائله (وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه) رواه مسلم وابوداود (انه) صلى الله عليه وسلم (تربع) اى جلس متربعا وهو ان يقعد الرجل على وركه ويمد ركبته اليمنى الى جانب يمينه وقدمه اليمنى الى جانب يساره وركبته اليسرى الى جانب يساره وقدمه اليسرى الى جانب يمينه وهذا فى خارج الصلوة كما

(٢) شيئا نسخه

فى الحديث كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الفجر جلس متربعا حتى تطلع الشمس وهو فى الصلوة كما صرح به الفقهاء واما خارجها فلا يكره وقيل انه سنة وقول بعض فقهائنا انها جلسة الجبابرة مع فعله صلى الله تعالى عليه وسلم لها فيه نظر (وربما جلس القرفصاء) بضم القاف والفاء ويجوز كسرهما ويمد ويقصر وهو جلوس على الثية كجلوس المحتبى بيديه من غير احتباء كما دل عليه ما بعده وقال الفراء اذا ضممت مددت واذا كسرت قصرت (وهو) اى جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم القرفصاء ورد (فى حديث قيلة) بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهى بنت مخرمة العنبرية كما فى المغنى وقال الشمنى المدونة وقيل العنبرية وهو الصحيح وفى حديثها انها رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد وهو قاعد القرفصاء وفى رواية فلما رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المتخشع فى الجلسة ارعدت من الفرق وليس هذا فى رواية الترمذى ومسلم التى ذكرها المصنف وفى كلامه اشارة الى انه زيادة عليها والمتخشع ان كان صفة الرؤية بصرية وان كان مفعولا ثانيا فهى علمية ورعدتها من مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم لامن تخشعه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة) تدعوه للكلام ولم يكن يسرد الحديث بعجلة افهم عنه وهذا مروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها (يعرض عمن تكلم بغير جميل) لا يرضاه فيعلم باعراضه عنه انه غير مرضى له صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا من وقاره ايضا وليس المراد به ان يكون حراما كما قيل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقر على مثله (وكان ضحكه تبسما) بدون قهقهة لشدة وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم والضحك انبساط الوجه حتى تظهر منه السرور وتبدو الثنايا فقط واما ما ورد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فمحمول على المبالغة لزيادته وبه على ماعهد منه اوهو نادر لا يعتد به (وكلامه فصلا) بفاء وصاد مهملة اى فاصل بين الحق والباطل اومفصل لتمهله فيه قال تعالى انه لقول فصل وماهو بالهزل (لا فضول) مصدر اى لا زيادة فيه وقيل انه فى الاصل جمع فضل بمعنى الزيادة فخص بما ذكر ولذا قيل فى النسبة له فضولى و نسب للجمع (ولا تقصير) فيه حتى يخل بفهم السامع (وكان ضحك اصحابه عنده) صلى الله تعالى عليه وسلم (التبسم توقيرا له واقتداء به) لتحليهم باخلاقه وتأدبهم بآدابه (مجلسه مجلس حلم) بكسر الحاء وسكون اللام وفى نسخة حكم بضمها مع الكاف (وحياء) منه ومن اصحابه (وخير) لاحسانه ولطفه وتعليمه (وامانة) امن المتكلمون فيه على اسرارهم فلا يفعل منه مالا يحبون افشاءه كما ورد فى الحديث المجالس بالامانة (لا ترفع فيه) اى فى مجلسه (الاصوات) لادبهم وتوقيرهم له وكان ذلك محرما عليهم لقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى)

واما كونه وقع مثله بحضرته فى قصة الافك فنادر لا يعتد به (ولا تؤبن فيه الحرم) بضم المثناة الفوقية وهمزة ساكنة وبدل واوا وتؤبن من ابنه بأبنه اذا عابه ورماه بقبيح اصله الابنة وجمعها ابن وهى العقدة فى القسى تفسدها وتعاب بها ووقع فى بعض الحواشى تؤبر براء بدل النون وفسره بما ذكر على انه مأخوذ من المآبر التى واحدتها مئبرة او من ابرته العقرب اذا لدغته بابرتها وهى آخر عقد ذنبها وهو تصحيف كانه وجده فى بعض النسخ فاسمه والمذكور فى كتب اللغة كالنهاية والجوهرى وغيرها هو الاول وصرح ابن فارس فى المجمل بان الحديث يروى هكذا والحرم جمع حرمة وهى كل مايحرم هتكه واما استعماله بمعنى المرأة فعامية وان كان لها وجه وقيل انها صحيحة مرادبه هنا النساء لانه ورد فى الحديث نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن شعر تؤبن فيه النساء وفى حديث الافك (اشيروا علىّ فى اناس آبنوا اهلى) اسمى بمعنى انه محفوظ من الريب ولغو القول فهو من وقاره ايضا لقوله (اذا تكلم اطرق جلساؤه) اى طأطؤا رؤسهم توقيرا له صلى الله تعالى عليه وسلم منصتين لكلامه (كانما على رؤسهم الطير) وصفهم بالسكون وعدم الحركة والطيش لان الطير لاتكاد تقع الاعلى شئ ساكن ولك ان تقول انه شبههم بغصون معروسة فى رياض مجلسه كما قال فى البردة

كانهم فى ظهور الخيل نبت ربا * من شدة الحزم لامن شدة الحزم

(وقلت فى المقصورة)

كانما الطير على رؤسهم * من كل غصن فى ربا المجد نما

والطير جمع او اسم جمع لطائر وهو معروف (وفى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم) فى مشيه وهو خبر مقدم وقوله (يخطو تكفأ) مبتدأ لانه اريد به لفظه فهو كقوله لاحول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة اى قيل فى وصفه هذا ويخطو مضارع خطا المنقل اذا مدرجله ومشا والخطوة بالضم مابين القدمين وبالفتح المرة وتكفأ بفتح المثناة والكاف وفاء مضمومة مشددة بعدها همزة مصدر كتقدم تقدما بمعنى مال الى قدام والاصل فيه الهمزة وبه روى فان اعتل كسرت الفاء وكان بالياء كتسمى تسميا وقال شمر معناه مال يمينا وشمالا كمشى الختال والصواب تفسيره بمال الى جهة مشاه كما يدل عليه قوله كانما ينحط من صبب اى من علو لا تمايل فانه غير انسب وقد ورد فى حديث ابن ابى هالة انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذريع المشية اذا مشى بعلماى يرفع عن الارض بجملته وروى قلعا بفتح القاف وكسر اللام وهو ادل على الثبت والشجاعة وهكذا كان اولوا العزم عليهم الصلوة والسلام (ويمشى هونا) بفتح الهاء وسكون الواو اى برفق ولين من غير تمايل مع الرفق والتثبت قال الله تعالى (يمشون على الارض هونا) قال مجاهد بالسكينة والوقار (كانما ينحط من صبب) بتحتين اى ينزل من صبب وهو الموضع المنحدر وفى رواية كانما هو من صوب

بالضم والفتح وهو ما انصب من ماء ونحوه اى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يستعجل واما قول ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ما رأيت احدا اسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأنا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث فانما هو لسعة خطوه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لا يلحق مع تأنيه وتمهله (وفى الحديث الآخر اذا مشى مشى مجتمعا) اى بكل اعضائه كلها دفعة واحدة من غير تحريك لرأسه الشريف وبدنه فهو صلى الله عليه وسلم فى مشيه قوى غير مسترخ (تعرف فى مشيته) بكسر الميم وفتحها (انه غير غرض) بفتح العين المعجمة وكسر الراء المهملة والضاد المعجمة اى غير قلق ولا ضجر ولا ملل (ولا وكل) بفتحتين وهو البليد والجبان والعاجز الذى يكل امره لغيره وحكى شمر فيه كسر الكاف كما قاله التلمسانى والدلجى وهو انسب هنا لموازنته لما قبله وفسره بكسلان وقوله (اى غير ضجر ولا كسلان) نشر فان ظاهره انه تفسير لما قبله على اللف والنشر المرتب وضجر بكدر من الضجر وهو القلق والكسلان من الكسل وهو الفتور وعدم النشاط من الهم ويكون بمعنى سوء الحال ويكون غرض بمعنى مشتاق كقوله

اى ضحرت الى تناصف وجهها * غرض المحب الى الحبيب الغائب

وليس بمراد هنا (وقال عبد الله بن مسعود) رضى الله تعالى عنه رواه البخارى واصحاب السنن (ان احسن الهدى هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) والهدى بدال مهملة بوزن الرمى السمت والسيرة والطريقة والحالة التى يكون عليها وهذا الحديث وان كان موقوفا على ابن مسعود فله حكم المرفوع وكذا سائر الاحاديث المتعلقة بالشمائل فان مثلها لا يقال من قبل الراوى وقد روى مرفوعا ايضا وكان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه اشبه الناس هديا بهدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا عمر وابنه رضى الله تعالى عنهما فلذا كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يتشبهون به فى هديهم وبقية الحديث وشر الامور محدثاتها وهو حديث طويل قال ابن قرقول وروى بضم الهاء وفتح الدال ضد الضلال (وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما) اخرجه ابو داود والامام احمد فى الزهد (كان فى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل او ترسيل) كذا فى النسخ باو اشارة الى انه روى بكل منهما على حدة وفى المصابيح بالواو لتقارب معناه فالعطف تفسيرى فلا منافاة بينهما كما قيل اى تبيين الكلام من غير عجلة وغموض حتى يتمكن فهم السامع السرعة وقيل الترتيل التبيين والترسيل التؤدة والترتيل من قولهم ثغر مرتل وهو المفلج كالاقحوان (قال ابن ابى هالة) المتقدم ترجمته (كان سكوته) صلى الله تعالى عليه وسلم (على اربع) اى يقع على اربع خصال فيه (على الحلم) اى يسكت تارة لحلمه على من تكلم عنده بما تقتضى المؤاخذة (والحذر) اى الاحتراس من كلام رعا ادى لامر يخشى منه (والتقدير)

اى يقدر صلى الله تعالى عليه وسلم فى نفسه وسكوته ما يليق به و بغيره (والفكر) فى مصنوعات الله ونحو ذلك (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان عنها (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه) اى لو اراد عده عده بسهولة او لو عده حصره بحيث لا يفوته منه شىء لقلته وتأنيه وعدم سرعته فيه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة) الطيب كل ما يتطيب به من بخور ومسك وزعفران ونحوه والرائحة الحسنة تشمل رائحة غيره كالريحان وسائر الزهور العطرة ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرد هديتها (ويستعملهما كثيرا) فى اكثر اوقاته لملاقاته الملك فانهما تقوى الحواس والملائكة عليهم الصلوة والسلام تحبها وتكره الرائحة الخبيثة بعكس الشياطين (ويحض عليهما) بضمير التثنية للطيب والرائحة وفى نسخة عليها بالضمير لها لانها المقصود من الطيب لا لانها اعم كما قيل لمغايرتها اى كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحث الناس ويحرضهم على استعمال ذلك لما فيهم فيه من الفوائد ولحضور الملائكة الحفظة والكتبة عندهم وللملاقاتهم له عامة ومن مروءة الانسان نظافته وطيب رائحته (ويقول حبب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلوة) وقد تقدم هذا الحديث وان لفظ ثلاث الموجودة فى التفاسير كالاحياء والكشاف غير ثابته عند اكثر المحدثين وما فى عطف جعلت فان محبة النساء من هدى الانبياء عليهم الصلوة والسلام كداود وسليمان وكان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من قوة الجماع ما ليس فى غيره وقال فضلت على الناس باربع بالسماحة والشجاعة وقوة الجماع وشدة البطش وكان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم قوة اربعين رجلا من رجال الجنة وكل رجل منهم فيه قوة مائة رجل من اهل الدنيا وهذا مع قلة اكله وشربه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث اخرجه اصحاب الكتب الستة وكان اكثر طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم الذريرة وهو طيب يجيء من الهند معروف مركب وتقدم انه انما قال حبب بالبناء للمجهول لان تلك المحبة جعلها الله فيه طبعا لا بهواه وعلى تسليم روايته ثلاث اما ان يكون اكتفى باثنين منهما وحذف الثالث لتذهب نفس السامع كل مذهب والعرب تفعله كقوله

كانت حنيفة اثلاثا ثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها

او الثالث الصلوة وقرة عينه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها وجعلها من الدنيا لوقوعها فيها ويكون تغيير العبارة اشارة لمغايرتها لما قبلها وانها ليست من جنسها ووقع فى بعض النسخ هنا زيادة لفظ ثلاث بعد قوله من دنياكم وبين الكلام فيها وانها ليست ثابتة وان اثبتها الزمخشرى والغزالى فى الاحياء وكذا المصنف رحمه الله تعالى تبعا لهم وقد افردنا هذا الحديث بتاليف مستقل والحديث رواه ايضا النسائى

في سننه وفي رواية له بلفظ حبب الي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة
ومن هذا الوجه اخرجه احمد وابو يعلى في مسنديهما وابو عوانة في مستخرجه على
الصحيح والطبراني والبيهقي وآخرون كالحاكم في مستدركه بسند جيد بدون لفظ وجعلت
وقال صحيح على شرط مسلم واخرجه ابن عدي في كامله وقال العقيلي انه ضعيف

(ومن مروءته صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب) المروءة
من المرء وهو الانسان فهي بمعنى الانسانية ومعناها التلبس بما يليق بالرجال وترك
ما يخل به فارتكاب ما يكرهه الصاحب مخل بالمروءة والنفخ فيما ذكر اما للتبريد او لازاحة
قذر على وجهه وقد يخرج معه ريق المرء فيكره متناوله او يكون النفس متغيرا فيؤثر
فيه ولو توهما والغرض منه يحصل بالصبر واماطة ما عليه باراقة وخلال ونحوه ولذا
نهي عن التنفس في الاناء حال الشرب واما ما ورد من انه صلى الله تعالى عليه
وسلم كان يتنفس اذا شرب مرتين ونحوه فليس معناه ذلك بل انه يقطع الشرب
وينحي الاناء ويتنفس خارجه فانه يستحب عدم العب والقطع في الشرب وقد ورد
ان النفخ في الطعام يذهب البركة منه كما ورد ابردوا بالطعام فان الحار لا بركة فيه وفي لفظ
غير ذي بركة وليس المراد بابراده نفخه حتى يبرد بل اكله باردا بان يصبر عليه حتى يبرد
فلا منافاة بينهما كما توهم وقلة بركته لانه لا يكاد يمضغه ويبلعه او انه لشدة حرارته ينهضم
سريعا فلا تشبع شبع غيره (و) من مروءته صلى الله عليه وسلم (الامر بالاكل مما يلي)
كل احد من الطعام لحديث عمر بن ابي سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لان امه ام سلمة رضي الله تعالى
عنها زوجه صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك اي لا من الوسط
ولا مما يلي غيرك فهذا امر منه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وورد مثله
في احاديث اخر وقال ايضا تنزل البركة في وسط الطعام فكلوا من حافتيه
او من حاشيته وهذا امر ندب وذهب بعض الشافعية الى انه للوجوب وقال الشيخ
تاج الدين السبكي من الفوائد الفقهية في هذه المسئلة التي لا تكاد تعرف لان الشافعي
رضي الله تعالى عنه نص في الام في الجزء السادس عشر في باب صفة النهي
على ان اكل الانسان مما يليه واجب ولو لم يفعله اثم ان كان عالما بالنهي انتهى ولعله
اذا علم عدم رضاء صاحبه وجليسه بذلك قيل وهذا اذا لم يكن الاكل من ذلك
بقصد التبرك بمن بيده وعليه حمل ما في حديث الدباء انه صلى الله تعالى عليه
وسلم جعل يتتبعها وهو ايضا في غير الفاكهة فان له الاكل والاخذ منها
من اي جانب قال بعض المدققين واليه الاشارة بقوله تعالى (وفاكهة مما
يتخيرون) وفيه لطف خفي (والامر بالسواك) امر ندب وشذ بعض الشافعية
فاوجبه للصلوة والسواك اسم للعود الذي يستاك به وللفعل وهو الاستعمال

والمراد الثاني او الاول بتقدير مضاف اي استعمال السواك وعده من المروءة لما فيه من النظافة وطيب رائحة الفم (وانقاء) بكسر الهمزة وسكون النون وقاف بعدها مده من انقاه اذا نظفه كذا في (البراجم) بباء موحدة وراء مهملة والف وجيم وميم جمع برجم او برجمة بضم الباء والجيم وهي مفاصل الاصابع التي تليها والسلاميات من ظهر الكف التي ترتفع اذا قبض الانسان كفه فهي المفاصل الظاهرة والبراجم الباطنة وقيل هي مفاصل الكف كلها والاشاجع جمع اشجع وهي اصول الاصابع المتصلة بالكف (والرواجب) براء مهملة وواو والف وجيم وباء موحدة جمع راجبة على القياس وقيل جمع رجبة بضم فسكون على خلافه وهي المفاصل التي تلي الانامل وقيل هي مفاصل اصول الاصابع وقيل قصب الاصابع وقيل السلاميات وقيل ما بين البراجم والسلاميات وقيل ظهور السلاميات وقيل مفاصل الاصابع وواحد السلاميات سلامي بضم السين وفتح الميم مقصورة وتفصيله في كتاب خلق الانسان وجزم البرهان الحلبي بان البراجم العقد المتشنجة في ظهور الاصابع وهي مفاصلها وقيل عن ابي عبيد ان البراجم والرواجب جميعا مفاصل الاصابع كلها وهي اللائق بكلام المصنف ويزيل عليه لا على ما في الصحاح من ان البراجم مفاصل الاصابع التي بين الاشاجع والرواجب وهي رؤس السلاميات من ظهر الكف اذا قبض القابض كفه نشزت وارتفعت والراجبة في الاصابع واحدة الرواجب وهي المفاصل التي تلي الانامل ثم البراجم ثم الاشاجع التي تلي الكف اسمي الثلاثة يكون المفاصل التي يكون الكف خارجه ادخل على مافيه غيرها وعند ابي عبيد داخله فيها مع ان الظاهر انها سمى كما سمي التي بين الانامل والتي تليها كما قيل (واشتماله خصال الفطرة) الخمس فيما رواه الشيخان الختان والاستحداد اي حلق العانة بالحديد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وزاد مسلم رحمه الله تعالى المضمضة واعفاء اللحية والاستنجاء وابو داود الانتضاح وزاد غيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فرق الرأس كما تقدم تفصيله المغني عن اعادته والفطرة بكسر الفاء منها الخلقة كما قال تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) والمراد السنة التي امر بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر ﴿فصل واما زهده صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا﴾ الزهد معناه ترك الدنيا ولذاتها رغبة فيما عند الله وهو ثلاثة اقسام ترك الحرام وهو زهد العوام وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص وترك كل ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين واما من لم يرض وصف اولياء الله به فضلا عن انبيائه عليهم الصلوة والسلام لان الدنيا لا تساوي عند المتخلقين باخلاق الله جناح بعوضة وما سأل اعظم ملوكها بعض منها بل اقل قليل من ثباتها فهذه معنى الزهد ترك ما رغب نفسه فيه فمن لا رغبة له في شيء منها

لا يسمى زاهدا وغيره يعرفه بترك الدنيا مطلقا او بترك ما من شأنه ان يرغب فيه والى هذا اشار الغزالى فى الاحياء فى وصفه باعلى طبقات الزهد نظر الى الاول وجنح الى انه من مقامات الكاملين فله منه الحظ الاوفر ومن نفاه عنه ولا يرضى وصفه به نظر الى الثانى واما طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم للدنيا الضرورية فى المعاش فليس لرغبة فيها بل لدفع ضعف بدنه المانع عن اداء حق العبودية فلا ينافى فى الزهد ايضا واليه يشير صاحب البردة بقوله

واكدت زهده فيها ضرورته * ان الضرورة لا تعدو على العصم

ومن شرط الزهد نفيا القدرة وقال ابن المبارك لقائل له يا زاهد الزاهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها (فائدة) قال ابو يزيد البسطامى قدس سره قدم الينا فتى من علمنا شاب من بلخ حاجا فقال لى ما علامة الزهد عندكم فقلت له اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا شكرنا فقال هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ قلت فما الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا (فقد تقدم من الاخبار) الى فى صفاته فى اول الباب (فى اثنائه) اى فى خلاله وما بينه جمع ثنا مقصور كما قاله ابن هشام اللخمى فى شرح المقصورة وهو بمعنى ما اى ودخل بعضه فى بعض (هذه السيرة) اى هذا الكتاب المسمى لسيرته وطريقته صلى الله عليه وسلم او المراد سيرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وصفاته (ما يكفى) طالب سيرته ويغنى عن اعادته هنا (وحسبك من تقلله) اى تكملك فى معرفته تقلله اى قنعه بالقليل (منها) اى من الدنيا لزهده صلى الله تعالى عليه وسلم فيها واكتفائه فى ضرورياته بالامر الزهد القليل وهذا لا ينافى زهده (واعراضه عن زهرتها) اصل معنى الزهرة النضارة والزينة مستعار من الزهر بفتحتين وهو نور النبات وتسكين النبات اى تركه صلى الله تعالى عليه وسلم ما رغب فيه الناس من زخرف الحياة الدنيا ومما قيل فيه فى الرباعيات

من حرصك بالمنى كم تشتغل * والعمر مضى فاينما الامل
ما زهرة هذه الحياة الدنيا * للترك ما على الدنيا تحتمل

(وقد سيقت اليه) اى ساق الله تعالى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم الدنيا مستعار من سوق البهيمة للتسخير والتمكن منها (بحذافيرها) اى بجميعها وكمالها من جميع نواحيها يقال ملك كذا بحذافيره اى جميعه بحيث لم يبق منه شئ جمع حذفور او حذفار وهو الناحية وفى النهاية الحذافير الجوانب وقيل الاعالى فكنى به عما ذكر وهو اشارة لما تقدم من ان زهده صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ليس لعجزه عن تحصيلها بل هو مع تمام القدرة عليها والتمكن منها وهذا هو الزهد الممدوح كما تقدم (وترادفت عليه فتوحها) اى تتابعت وتوالت فاتته الدنيا راغمة عما يسر الله له من الغنائم والاموال والارزاق الواسعة الطيبة بحيث لو اراد توسع فيها واتفق واوطف زهرتها فلم يرضها واكتفى بالقليل منها راجحا ان حالية او معترضة ان

من المبدأ وحبره افادنا كال زهده صلى الله تعالى عليه وسلم لان من كان هذا حاله وزهده فزهده ابلغ زهد واتم عفاف اى كافيك مما ذكر حال حصول ماذكر (الى ان توفى) بالبناء للمجهول اى حضرت وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ودرعه مرهونة عند يهودى) اى والحال هذه والدرع معروفة تذكر وتؤنث والاكثر تأنيثها واليهودى كان يسمى اباالشحم من ظفر من موالى الانصار وهذا الحديث صحيح رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وانما عامله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يطلب من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لانه لم يحضره اذ ذاك منهم من يقرض منه ولانه لو طلب صلى الله تعالى عليه وسلم منهم واعلمهم بضرورته وهو ذلك ولم يرضوا باقتراضه منهم فاخفى حاله مع مافيه من بيان جواز معاملة الكفرة واهل الذمة (فى نفقة عياله) فى لا مليل كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان امرأة دخلت النار فى هرة عذبتها والدين اهل البيت ومن تلزمه نفقته والذى اقترضه صلى الله عليه وسلم ثلاثون صاعا وروى عشرون صاعا من الشعير (و) كان فى حال اقتراضه (هو يدعو ويقول) كما رواه الشيخان (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) القوت كل مايقوت به الانسان من الطعام اى اجعله بمقدار مايسد الرمق من غير زيادة وقد استشكل هذا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم مات وله حصون واراضى وغيره مما افاء الله عليه ارض خيبر وفدك وغيرهما فكيف مع ذلك تكون به صلى الله تعالى عليه وسلم فاقة تحوجه الى رهن درعه على اصوع شعير واجاب عنه ابن الصلاح فى فتاواه بانها كانت معدة لنوائبه موقوفة ولذا لم تورث عنه وقال انا لا نورث ماتركناه صدقة فلا يقدح فيه ما كان فى ملكه وقد اعده لمصالح المسلمين واخراجه مايحصل منها فى ذلك والفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام فاختار صلى الله تعالى عليه وسلم الفقر ولم يتصرف فيما عنده لنفسه وعياله ولذا لا يجوز ان يقال فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقير كما مر * واقول هنا دقيقة وهى ان رياضة النفس بالجوع تصفى الذهن وتقوى الروح وتجعل النفس مقدسة ملكية وقد كان اهل الملل يتعبدون بذلك ولما لم يكن فى الدين المحمدى لما فيها من الحرج فعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم واختاره لنفسه خاصة وابرزه بصورة الفقر لئلا يقتدى به امته فيه ولحبه لذلك طلبه من الله تعالى له ولاهله فافهمه فانه دقيق جدا (حدثنا سفيان بن العاصى) هذا الحديث رواه مسلم والبخارى وسفيان هذا هو ابن سكرة لان المصنف سمع منه صحيح مسلم وليس هو الغسانى لانه لم يسمع منه وانما روى عنه بالاجازة (والحسين بن محمد الحافظ) بن عدى فاضى شيخ المصنف احد الاعلام وقد اكثر المصنف رحمه الله تعالى الرواية عنه توفى فى جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة (والقاضى ابو عبد الله التميمى قالوا حدثنا احمد بن عمر) مد تقدمت ترجمتهما (قال

حدثنا ابو العباس الرازى قال حدثنا ابو احمد الجلودى) بفتح الجيم نسبة لقرية بافريقية وقيل بالشام وقيل انه بضم الجيم وقد تقدم قال (حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين بن الحجاج) مسلم صاحب الصحيح وقد تقدم هو ومن قبله قال (حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابو معاوية) محمد بن حازم بمعجمتين الضرير الحافظ احد الائمة الاعلام الا انه كان مرجئيا روى له الستة وتوفى سنة خمس اواربع وتسعين ومائة و ترجمته مفصلة فى الميزان (عن الاعمش) ابو محمد سليمان بن مهران الكاهلى احد الاعلام روى عن انس وابن ابى اوفى وغيرهما وروى عنه شعبة ووكيع وكثيرون يخالف وثلثمائة حديث وعاش عاليا وثمانين سنة ومات فى ربيع الاول سنة ثمان واربعين ومائة واخرج له الستة وترجمته فى الميزان (عن ابراهيم) بن يزيد بن قيس بن الاسود بن عمرو بن ربيعة النخعى الكوفى الفقيه الزاهد رأس عصره رأى عائشة رضى الله عنها واخرج له الستة وتوفى سنة ست وتسعين (عن الاسود) بن يزيد النخعى العابد حج ثمانين مرة وصام حتى اخضر جلده وكان يختم القرآن فى كل ليلتين وتوفى سنة اربع اوخمس وسبعين وهو ثقة اخرج له الستة (عن عائشة رضى الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا) اى ايام متوالية (من خبز) بر كان اوشعيرا وفى نسخة من خبز بر (حتى مضى لسبيله) اى حتى توفى لان الموت طريق يسلكه كل احد واول منزل منه القبر (وفى رواية اخرى) رواها البخارى (من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء) الدنيا و رفهها و نعيمها (لاعطاه الله عز وجل مالايخطر ببال) البال القلب والعقل والفكر وخطر يخطر بضم الطاء و كسرها خطورا اذا ذكر وتصور اى يعطيه منها كل امر نفيس لم يتصوره احد من الناس لجلالته وعظمته وكونه لم يعهد مثله حتى يعرف (٢) وفى رواية اخرى) رواها مسلم (ما ترك) اى ما خلف تركة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دينارا (٣) ولا شاة ولا بعيرا) وفى رواية ولا شيئا ولذا قال عبدالله بن ابى اوفى ما اوصى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند موته لانه لامال عنده يوصى به وانما اوصى بكتاب الله وادعاء الشيعة انه اوصى وان عليا كرم الله وجهه وصى لا اصل له ولم يثبت (وفى روايه) فى الصحيحين (ما شبع آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز بر حتى لقى الله عز وجل) وفى البخارى ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال حتى قبض وهو المراد بلقاء الله وفيه روايات كثيرة متقاربة المعنى وانه ماجمع بين غداء وعشاء وفى روايه من خبز وبر وفى روايه ما اكل اكلتين فى يوم قيل وهذا مشكل بما ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدخر لاهله قوت سنة وانه ساق مائة بدنة ووهب قطعا من غنم والف بعير ونحوه كثير وان اصحابه كابى بكر وعثمان وطلحة كان لهم اموال كثيرة رضى الله عنهم وهم يبذلون له صلى الله

(٢) ووقع فى نسخ المتن وبعض الشروح هذه الرواية مؤخرة عن الرواية التى تليها فليراجع «له مصححه طاهر»

(٣) ولا درهما نسخه

تعالى عليه وسلم اموالهم وانفسهم واجيب بان ذلك كان في حالة دون حالة وان ذلك للارشاد وكراهة الشبع لا لضيق اليد وعن عائشة رضي الله تعالى عنها من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما فتحت قريظة اصبنا شيئا من التمر والودك وروى لما فتحت خيبر قلنا الان نشبع من التمر والحق ان كثيرا منهم كانوا في ضيق قبل الهجرة وبعدها واساهم الانصار بالمنائح فلما فتحت النضير وما بعدها ردوا ذلك عليهم بل اقول هذا غاية ما ثبت من انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة فكيف تكون العسرة زالت بعد الهجرة فالحق الاحق بالاتباع ما قاله ابن الصلاح رحمه الله تعالى كما مر قريبا وما قاله هذا الشارح لا يسمن ولا يغني من جوع (وفي حديث عمرو بن الحارث) الذي رواه البخاري (ما ترك) اي ما خلف صلى الله عليه وسلم تركة لاهله (الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة) هذا نص حديث اوله ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا امة ولا شيئا الا بغلته البيضاء وسلاحه وارضا جعلها صدقة وبغلته في السير فانهم قالوا كان له صلى الله تعالى عليه وسلم تسعة اسياف لكل منها اسم ودروعه سبع وقسيه ست وثلاثة اتراس وخمسة رماح وقال مغلطاي اربعة ومغفران وراية سوداء يقال لها العقاب مربعة وراية بيضاء او صفراء وكان مكتوبا على راياته صلى الله تعالى عليه وسلم • لا اله الا الله محمد رسول الله • وفي الميزان انها لم تكن الا بيضاء ولم يبق ما وجدها عند موته واما بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم فهي الدلدل التي اهداها له المقوقس وعاشت بعده صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ذهبت اسنانها فكان يحش لها الشعير ثم ماتت بالينبع وقيل انها بقيت لخلافة معاوية رضي الله تعالى عنه وان عليا كرم الله وجهه قاتل عليها واما بغلته فضة فوهبها لابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه والارض المذكورة فدك والنضير وارض بخيبر وهي مفصلة ومعنى كونها صدقة انه وقفها لمصالح المسلمين والوقف يسمى صدقة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يأخذ منها نفقته ونفقة عياله بقدر الحاجة ويصرف باقيها لكل ما يريده صلى الله تعالى عليه وسلم كان مرصدا لا ملكا لذا لم يورث عنه كسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام واما قوله تعالى ﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾ فالمراد منه انه يرث علمه وحكمته ونبوته كما صرحوا به وضمير جعلها للارض والجملة صفة او مستأنفة اما بيانا او الضمير للمذكورة (قالت عائشة رضي الله تعالى عنها) في حديث رواه الشيخان (ولقد مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد) هو كناية عن كل حيوان انسانا او غيره والكبد معروف وهو احد الاعضاء الرئيسة وخصه لان منه يصل الغذاء الى الجسد كله وهذا منساق لقولها ما ترك درهما ولا دينارا ولا شيئا وروي نفيهما بان المنفي اما كان مخصوصا بهما من بين ما عداها او المراد بالشيء وان كان عاما ما كان من جنس المال والمتاع او هو قوله ثم الا عبدا

مما ذكر لقلته (الا شطر شعير) الشطر النصف كالشطير او النصف مطلقا وفي النهاية اراد به نصف مكوك او نصف وسق والمكوك المد وقيل الصاع (في رف لي) بفتح الراء المهملة وتشديد الفاء شبه الطاق في الحائط ويطلق على خشبة عريضة ترفع عن الارض بعد لوضع ما يراد حفظه وهو الرفوف ايضا والاول اقرب لان الخشبة لا تحتمل وضع هذا المقدار عليها وتمة الحديث فاكلت منه حتى طال علي فكلته ففني وفيه اشارة الى ان الكيل كالعد يذهب البركة وقد وردت وله نظائر كما في مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال هو وامرأته وضيفه يأكل منه حتى كاله فاتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره فقال لو لم تكله لم ينفد وقيل لما فيه من الحرص وعدم التوكل والتمسك بالاسباب المعتادة واما ما ورد في حديث المقدام كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فمحمول على كيله عند البائع لحق المشتري فتأمل (وقال) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لي) اي لعائشة وفي شرح ابن حجر وقال الي بدل اللام اي ادني واقربي الي فطلب صلى الله تعالى عليه وسلم دنوها منه ليسارها وقال حكاية لحال ماضية (اني عرض علي) بالبناء للمجهول وفي رواية عرض علي ربي يقال عرض له وعليه اذا اظهره له واراه اياه والمراد اعلمه بالوحي (ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا) البطحاء والابطح واد يجري فيه السيول او بطن واد فيه رمل وحصى او مكان لا نبات به لانه يسيل وهو مما غلبت عليه الاسمية والمراد بجعله ذهبا ان يملأه به او ان يقلب حصاه ورماله ذهبا وقلب الاعيان كان شائعا من المعجزات غير مستحيل لو وقع والله قادر على كل شيء (فقلت لا يا رب) اي لا اريد جعل البطحاء ذهبا (اجوع يوما واشبع يوما) استئناف كأنه قيل له فما تريد قال اريد الفاقة وان اكون تارة جائعا وتارة شبعانا لزوما لمقام العبودية والافتقار الى الله تعالى ثم بين ما يكون عليه فقال (فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك) فيه والتضرع الدعاء بتذلل وانكسار من الضراعة وهي الذلة والالتجاء (وادعوك) اي اطلب منك وفي الدعاء مناجاة والتجاء ومعاملة مع الله وان كان عالما بذلك (واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك) لما انعمت به علي ولا وجه لما قيل هنا من انه تعليم لفقراء امته والا فلو جعلت له الجبال ذهبا لم يشغله ذلك عن الله طرفة عين الى غير ذلك مما طال فيه بغير طائل على جانبه وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابي امامة رضي الله تعالى عنه بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك فاذا شبعت شكرتك وحمدتك (وفي حديث آخر) قال السيوطي لم اجده هكذا ولكن البيهقي رحمه الله تعالى اخرجه في الزهد من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوما ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فاتاه اسرافيل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح الارض

وامرنى ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة ذهبا وفضة فقال الى آخره واخرج ابن سعد وابن عساكر فى تاريخه من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لوشئت لسارت معى جبال الذهب ولاحمد فى الزهد عنها والله لوشئت لاجرى الله معى جبال الذهب والفضة وللطبرانى نحو منه من حديث ام سلمة رضى الله عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لوسألت الله ان يجعل تهامة كلها ذهبا لفعل واخرج احمد حديث (الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له) مختصرا عن عائشة رضى الله تعالى عنها * قلت فذكره المصنف رحمه الله روايته بالمعنى من عدة احاديث (ان جبريل نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ان ربك يقرئك السلام) اى يسلم عليك ويحييك تحية اكرام قال فى الاكمال اقرأته السلام وهو يقرئك السلام بضم الياء من المزيد فاذا قيل يقرؤ عليك السلام تعين فتح الياء لاغير وقيل هما لغتان وهو مهموز لامعتل ويجوز ابدال همزته واوا وياء ومعنى اقرأه حمله على ان يقرأ عليه سلامه اى بلغه اياه فهو مجاز مرسل لمطلق التبليغ مأخوذ من القراءة ومعنى قرأه عليه ذكره له (ويقول لك أتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت) اى تسير معك وتتوجه الى توجهت (فاطرق ساعة) اى طأطأ رأسه تفكرا فيما يجيبه به صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له) الدنيا تقابل الآخرة لانها فعلى من الدنو وهو القرب وتطلق على هذا العالم المشاهد وكل ما فيه من المال وغيره وعلى الارض التى هى مقر العالمين وبهذا الاعتبار تسمى دارا وقوله دار من لادار له اى لانها فانية لاتدوم فيها احد ولذا شبهت بالخان الذى ينزله المسافرون ويتركه طرفة بل بالسفينة كما قال

واما الى الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بنا يسرى

وقوله مال الى آخره اى انما تملكه المرء فيها سيسلب منه فهو عارية او وديعة لصاحبه لامالك له حقيقة فكل غنى فيها فقير وليس هذا من قبيل فرط من لافرط له وذخر من لاذخر له (ولها يجمعها من لاعقل له) فذلك تحقيق لان من جمع الدنيا كثيرا وهى لاما له فى جمعه وخزانته لها فانه يجمعها بعد تلوعه ورشده لموته ثم فقدها الى ما لانهاية له او لما فى العقل فان متاع الدنيا بالنسبة لامره قليل وعلى هذا حمل قوله قد نعلم ما اسم عليه واعاهم علمه بالنسبة لما فيه معلومه اقل قليل اوهى مستعارة هكذا للكسر كقوله * فدارك القرب مصغرا امامه * وان كان فى الادب براع ليس هذا محله وجعله لاعقل له لان وجود عقله بمنزلة العدم اذ لم يصرفه فيما يتعلق بالآخرة ويهديه الى الاكتفاء من الدنيا بزاد المسافر الذى ساعده منزله فان العاقل من كان كذلك ولذا قال الفقهاء لو اوصى لاعقل الناس

صرف للزهاد وقال الشاعر

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا * انها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

(فقال له جبريل عليه الصلوة والسلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت) المراد بالقول الثابت الحق لانه دائم لايزول اوالمراد به حق مخصوص بمقالته وهو اما دعاء له اواخبار بان الله امن عليه فانه محض فضل الله ولطفه فانه الذي ثبته على هذا (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) في حديث صحيح رواه الشيخان انها (قالت ان كنا آل محمد) المراد بآله اهل بيته عليه الصلوة والسلام وله معان اخر مشهورة وان مخففة من الثقيلة (لنمكث شهرا مانستوقد نارا) اي مانوقد نارا فالسين للتأكيد اوالمراد مانطلب من احد نارا نوقدها وهذا كناية عن انه ليس لهم مانطبخ (ان هو الاالتمر والماء) وان نافية وهو ضمير الطعام والمأكول اي ماعندنا مانأكل ونتغذى به الاالتمر والماء وروى واناهو الاسودان التمر والماء وان هذا كان في بعض الاحوال (وعن عبدالرحمن بن عوف) الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه عنه الترمذي والبزار وغيرهما بسند جيد (هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي توفي والهلاك بمعنى الموت مطلقا مستعمل في حق النبي صلى الله عليه وسلم وغيره قال الله تعالى (كل شيء هالك الا وجهه) واما اختصاصه بموت السوء كالهلك في عرف طارئ ولذا كثر استعماله في الاعداء فقال هلك عدوالله وقد ورد في الحديث والاهانة تناسبهم من ذكر العدو ونحوه فلا يجوز لنا الآن اطلاقه على من كرمه الله والصحابة ونقتصر فيه على ماورد منه من غير تكرار كما ورد في حق يوسف عليه الصلوة والسلام حتى اذا هلك قلتم الخ وكذا ورد في حق غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فلا يختص بمن استحق العذاب الابقرينة (ولم يشبع هو ولا اهل بيته من خبز الشعير) واول الحديث عن نوفل بن اياس الهذلي قال كان عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه جليسا لي وكان نعم الجليس وانه انقلب بنا ذات يوم حتى اذا دخلنا بيته دخل فاغتسل ثم خرج واتانا بصحفة فيها خبز ولحم فلما وضعت بكى عبدالرحمن بن عوف فقلت يا ابا محمد ما يبكيك قال هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع هو ولا اهل بيته من خبز الشعير فلا ارانا اخرنا لما هو خير لنا وقد تقدم انه ورد في معناه احاديث كثيرة متقاربة المعنى وتقدم مافيه من الاشكال وجوابه والى تقويه هذا اشار بقوله (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها وابي امامة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم نحوه) اما حديث عائشة رضي الله تعالى عنها ففي الصحيحين عنها انها قالت ماشبع رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم من خبز شعير يومين حتى قبض وحديث ابي امامة رضي الله تعالى عنه في الترمذي بهذا اللفظ ايضا وحديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عنه هو المذكور عقب هذا بقوله كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى آخره كما قاله السيوطي رحمه الله تعالى وسياق كلامه يأباه ولو كان مراده هذا لاكتفى بذكره والاحسن انه ما في الصحيحين ايضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان عمر رضي الله تعالى عنه حدثه انه دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اعتزل نساءه فاذا هو مضطجع على حصير قد اثر بجنبه فقلبت عيني في خزانته فاذا ليس فيها شيء غير قبضتين من شعير وقبضة من قرظ فابتدرت عيناي فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب فقال مالي لا ابكي وانت صفوة الله من خلقه وهذه الاعاجم في الثمار والانهار وانت هكذا قال يا ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا فقلت بلى يارسول الله قال فحمدت الله عز وجل (قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا) حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقل طاوين لان المقصود حاله صلى الله تعالى عليه وسلم وحال اهله تعلم من حاله لانهم تابعون له في كل حال وطاويا بمعنى جائعا لان الطوى الجوع كما ذكره الجوهري والليالي منصوب على الظرفية وقوله (لا يجدون عشاء) بفتح العين والمد الطعام الذي يؤكل في العشاء وجمعه اعشية بعد والمراد به مطلق الطعام وهذا الخبر صححه الترمذي وابن ماجه (وعن انس رضي الله تعالى عنه) في حديث رواه البخاري (قال ما اكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على خوان) بكسر الخاء المعجمة وضمها فارسي معرب ويقال اخوان بوزن اكرام ايضا وهو المائدة والمائدة بمعنى وان فرق بينهما في الاصل بان الخوان ما وضع عليه الطعام قبل وضعه وبعده يسمى مائدة والاكل عليه عادة المتكبرين حتى لا يحتاجوا للانحناء اذا اكلوا وقيل انه عربي من التخون وهو التنقص ويجمع على اخونة وخون واما السفرة بالضم فالطعام المعد للسفر وتكون بمعنى ما يوضع عليه الطعام من الادم ايضا (ولا في سكرجة) قال التوربشتي هي بضم السين المهملة وضم الكاف وفتح الراء المهملة المشددة وجيم وهاء وهي اعجمية معربة وقيل الصواب اسكرجة بهمزة مضمومة وقد جاء في الحديث اسكرجة بدون همزة ... الحل ولذا قيل معناها قصعة صغيرة يوضع فيها الكوامخ والجوارشات في اطراف المائدة فيها ما يعين على الهضم وقيل قصعة مدهونة وقيل انها مائدة صغيرة وعلى كل فهي مما اعتاده العجم والمقلدون لهم من المتكبرين والحكم والنهي علامة الصغر عندهم وقيل فيها ايضا سكرجة (ولا خبز له مرقق) بالبناء للمجهول ومرقق بوزن معظم وفي الخبر كالرقاق وقيل هو الملين ... وقيل

هو الحواري والسميد بدال مهملة او معجمة وفي رواية مرققا بالنصب تمييز او مفعول ثان لخبز لتضمنه معنى الجعل والمراد ان خبزه صلى الله عليه وسلم لم يجعل من بياض الدقيق لانهم لم يكن لهم مناخل (ولا رأى شاة سميطا قط) سميط فعيل بمعنى المفعول اي لم تطبخ له صلى الله تعالى عليه وسلم شاة تماما بعد سمطها اي غليها في الماء الحار حتى يذهب شعرها ثم تشوى وظاهر كلامهم انها لم تسلخ وان ماذكر في الجلال الصغيرة (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) في حديث رواه الشيخان (انما كان فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم الذي ينام عليه ادما) بفتح الهمزة والدال المهملة والميم اسم جمع لاديم وهو الجلد المدبوغ اللين وقيل انه مخصوص بالاسود (حشوه ليف) والليف مايكون من النخل وهو معروف (وعن حفصة رضي الله تعالى عنها) بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ام المؤمنين وحديث حفصة رواه الترمذي في الشمائل منقطعا وحديثها لاينافي حديث عائشة المتقدم لجواز كون ان كلا منهما ذكرت فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم الذي كان عندها (قالت كان فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته مسحا) بكسر الميم وسكون السين المهملة وبعدها حاء مهملة وهو ثوب مستعد للفراش يشبه الكساء وقال ابن حجر قيل وقيل هو ثوب اسود من شعر يلبسه الزهاد وقيل هو ثوب من الشعر والوبر والصوف يلبس ويجلس عليه وجمعه مسوح وعلى كل حال فهو شيء غليظ يرغب عن مثله اصحاب الرفه (يثنيه ثنيتين فينام عليه) اي بكسر فسكون والمثنى ما ثني بعضه على بعض وعطف اي يجمع بعضه على بعض مرتين حتى يكون اخشن واوطأ لنومه عليه ويثنيه ثنيتين وجمعه اثناء وروي ثنيين عداه فوقه مكان الثنيه المراد الجهة والمعنى واحد والنسخة الاولى اصح واشهر (فلما كانت ليلة ثنيناه باربع طاقات) طاقات لكون الثني مهادا من الثنيين (فلما اصبح صلى الله تعالى عليه وسلم قال مافرشتم لي الليلة قد ذكرنا ذلك له) وهو انهم جعلوا فراشه اربع طاقات (فقال ردوه لحالته) الاولى وهو الثنيتان (فان وطاءته) بفتح الواو والطاء المهملة والمد وتاء التأنيث مضاف لضمير الفراش فوزنه فعالة او فعلة بفتح فسكون وهمزة عين ممدودة على وزن فعلة اي لينه بحيث حتى اكثره طاقاته وبعد فيها (منعتني الليلة صلاتي) اي ان لينه ملذة عليه السلام النوم فنام اكثر من معتاده لان فراشه تمهد لم تؤذه حتى يتنبه فانقطع عن بعض القيام الذي يعتاده الا لزيادة نومه (وكان صلى الله عليه وسلم ينام احيانا على سرير مرمول) ونومه الاول على فراش على الارض ومرمول براء مهملة وميمين بمعنى منسوج (بشريط) او غيره والشريط بشين معجمة وراء وطاء مهملتين بعدهما ياء مثناة تحتية خيط يفتل من خوص النخل او منه مع حبال وواحده شريطه (حتى تؤثر) حبال الشريطة (في جنبه) لكونه بغير فراش يحول بينه وبينه وهذا من حديث طويل رواه الشيخان والترمذي وفيه وتحت رأسه وسادة من ادم

حشوها لمف وفي معناه احاديث اخر (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لم تمتلئ جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط) قال التمساني فيه اربع لغات فتح الشين المعجمة وكسرها مع سكون الموحدة وفتحها وقال البرهان هو بفتح الموحدة نقيض الجوع وسكونها مايشبع والظاهر هو الاول وقيل عليه ان كان ظهوره بحسب الرواية فسلم واما بحسب الدراية فالظاهر الثاني لانه اسم عين وعلى الاول اسم معنى والاملاء منه مجازي كاملأ عينا وقيل عليه ان المجاز ابلغ من الحقيقة فهو اولى رواية ودراية فالبرهان مع البرهان وفيه نظر وهذا يقتضي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشبع ولكنه لايملئ جوفه تمامه منه فان المطلوب تقليل الطعام والاقتصار على مايقوم به الاود ثم ملأ ثلث بطنه فان ثلثا للزاد وثلثا للماء وثلثا للنفس فان زاد فيهما وما زاد على ذلك حرص وبطنه غير ممدوحة وقد يحرم ان وصله للضرر والحكمة قصدا كما ان اول مرتبه واجب (ولم يبث شكوى الى احد) بفتح الياء التحتية وضم الباء الموحدة وتشديد المثلثة بمعنى يذكر ويظهر يقال بث الخبر وابثه اذا نشره وقال ايضا بثه بالنون وبهما روي قول قيس

اذا جاوز الاثنين سر فانه * بنث وتكثير الحديث قمين

والشكوى مذمومة فالذي يليق بمقام العارفين الصبر وكم مانهم لاسيما والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسر بكل مايأتيه من الله ولايعده مؤلما بل يلتذ به فكيف يتصور شكواه والى هذا اشار بقوله (وكانت الفاقة) وهي الحاجة والفقر (احب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من الغناء) بل هذا يقتضي ان الفقر افضل من الغناء وهذا اختلف فيه على قولين ولكل منهما ادلة كقوله تعالى (ووجدك عائلا فاغنى) حيث امتن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بالغنى ولا دليل فيه لانه امتن عليه بقضاء حاجته والمفضول قد يكون في مقابلته منه يزيد على الفاضل ولا في قوله ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فانه لم يذم الغناء بل مافد يترتب عليه وكذا كون حساب الفقير اخف والخلاف فيه هل الغني الشاكر خير ام الفقير الصابر فذهب الى كل منهما قوم من العلماء لحديث ذهب اهل الدثور بالاجور وحديث ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم من ايام القيامة وهو خمسمائة عام الى غير ذلك من الاحاديث الواردة في الجانبين وقال الغزالي رحمه الله تعالى قد انكشف ان الفقر هو الافضل لكافة الخلق الا في موضعين غنى يستوي فيه الوجود والعدم ويستفاد به دعاء المساكين وقضاء حوائجهم كغنى بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم وفقر يكون مع الضرورة حتى يكاد يكون كفرا فالاول خير محض وهذا الاخير فيه بوجه من الوجوه والممدوح غنى النفس لاغنى المال من حيث هو والفضل كله في الكفاف والاقتصار على مقدار الحاجة ولذا طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم

له ولاله (وان كان لبطل حائعـا) ان مخففه من ان المكسورة الهمزة المثقلة النون والجملة حالية و يظل بفتح المثناة التحتية و الظاء المشالة من اخوات كان واصل معنى ظل فعله نهارا لانه زمان بدو فيه الظل ثم استعمل لدوام الفعل ليلا و نهارا وهو المراد (يلتوي طول الليل من الجوع) بتقديم اللام على التاء الفوقية وواو مخففة مكسورة وفي نسخة يلوي بياء مثناة مفتوحة وفوقية مفتوحة ولام كذلك وواو مشددة مفتوحة تليها الف ومعناه يقلب على فراشه من الم الجوع من لواه لياذا اعرض عنه من جانب لآخر قال تعالى (لووا رؤسهم) وهذا لزهده صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا وصبره على مشاقهـا ليقمع شهوته ونفسه ويقهرها و يرشد امته لذلك كما يدل عليه قوله (فلا يمنعه) ذلك او جوعه (صيام يومه) بالنصب بنزع او بنزع الخافض اي عن صيام يومه يقـال منعت الرجل عن الشيء فامتنع وقوله (ولو شاء) صلى الله تعـالى عليه وسلم التمنى او السعة وشاء كثيرا ما يحذف مفعولها بعد لو لدلالة جوابهـا عليه (سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها) ما بعد الكنوز يجوز جره عطفا عليه و نصبه عطفا على جميع والكنوز جمع كنز وهو معروف والثمار جمع ثمرة وهي ما يحصل من الاشجار ونحوها وقد يراد به كل ما يستفاد من غيره كما يقال ثمرة العلم العمل ويجوز ارادته هنا ورغد بفتحتين وقد يسكن ثانيه يقال فيه رغد وارغد والعيش بمعنى المعيشة والمراد ما يعيش به واصل معنى الرغد الواسع يقـال ارغد فلان اذا اصاب رغدا اي سعة وخصبا وغيره (ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به) وفي نسخة لما ارى به اي مما اشاهده به او مما اعلمه به (وامسح بيدي على بطنه) كانه تمسحه تسريع بذلك كما كان يضع الحجر عليه ليبرده ويسد صلبه وهذا للشفقة (مما به من الجوع) اي من المه ثم بين ان ذلك سببه بقولها (واقول نفسي لك الفداء) تقدم ان الفداء بالكسر والفتح والقصر والمد وهو ما يفدى به الاسير ونحوه فيحمل عوضا عنه و يقال افديه بنفسي وبامي وبابي ومالي وقد يقال بنفسي من غير ذكر للفداء وتسمى الباء باء الفدية وهذا جائز بل مستحب لصدوره منه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لمن له شرف كالحكام والعلماء والصلحاء واعزة الاخوان قصدا لتوقيره واستعطافه ولو كان محظورا كما قبل ما قاله صلى الله تعـالى عليه وسـلم ونهى عنه من قاله له وقد قال له ابو بكر رضي الله تعالى عنه فديناك بآبائنـا وامهاتنـا وقال صلى الله تعـالى عليه وسـلم لسعد ارم فداك ابي وامي ونحوه وفي الحديث مالك بن فضـالة ان الزبير رضي الله تعـالى عنه دخل عليه صلى الله تعـالى عليه وسلم وهو شـاك فقال كيف تجدك جعلني الله فداك فقال له صلى الله تعـالى عليه وسـلم ما تركت على اعرابك بعد قبل ولا حجة فيه لمـا ادعوه لان الحديث الواحد لا يقاوم الاحاديث الصحيحة الكثيرة الواردة بخلافه ولاحتمال انه انما نهاه عنه لوروده في غير

محله لانه لايدرى ان يقال ذلك للمريض مل يوحع له ويقال لابأس عليك وعافاك الله وشفاك ونحوه واكل مقام مقال لا لان القائل لا كان ابواه مشركين ولا لانه من خصوصياته لان من قائله من ليس كذلك والاصل عدم الخصوصية (لو بلغت من الدنيا بما تقوتك) البلغ مفعل من البلاغ وهو مقدار الكفاية يقال تزود من دنياك بالبلاغ مأخوذ من الزاد الذى يبلغ به المسافر منزله وضمنه هنا معنى اكتفيت اى لو اكتفيت منها بالكفاف من القوت من غير ضرورة ومخمصة ولو للمعى (قول) صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشة رضى الله تعالى عنها (مالى وللدنيا) قيل ما نافية اى ليس لى الفة ومحبة مع الدنيا حتى ارغب فيها او استفهامية اى اى الفة ومحبة ورغبة لى فى الدنيا وهذا من اشارة صلى الله تعالى عليه وسلم الزهد واظهاره لغنى القلب ومحبة تركه لها ثم بين انه مقام عظيم شريف به الرسل عليهم الصلوة والسلام تجرى على طريقهم فقال (اخوانى من اولى العزم من الرسل) تقدم انهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام على خلاف فيهم وفى وجه تسميتهم بذلك (صبروا على ما هو اشد من هذا) كالحبس والعرض على الفتل او غير ذلك مما علم من القاصير (فمضوا على حالهم) اى استمروا عليه راضين بقضاء الله لهم الى ان ماتوا (فقدموا على ربهم) اى لاقوه وشهدوا ما انكشف لهم من احوال الآخرة فى البرزخ (فاكرم مآبهم) اى اكرمهم الله فى مرجعهم اليه يقال آب يؤب اذا رجع فهو اسم مكان او مصدر ميمى (واجزل ثوابهم) اى كثر لهم العطاء والجزاء فى دار المقام (فاجدنى استحى) من الله عند لقائه (ان ترفهت فى معيشتى) اى ان تنعمت وتوسعت فى العيش والرفاهية تفعل من الرفاهة والرفاهة وهى كالرغد السعة وقد كان الله خيره صلى الله تعالى عليه وسلم قبل موته بين الخلد فى الدنيا ولقائه فاختار لقاءه كما قاله ابن العربى وان شرطية ويجوز فتحها على المصدرية فيقدر لام قبلها اى ابرفهى ووقع فى نسخة فى معيشتهم اى فى جنس معيشتهم والاصح الاولى (ان يقصر بى غدا) يقصر مبنى للمجهول مع التشديد اى ان يقع القصر او القصر بالكسر حاله وعملا (دونهم) اى فيكون مقامى دون مقامهم انزل مرتبة عن مرتبتهم والمنفسة مفعلة وجمعه معايش بلا همزة وقد يهمز فلا كما ابه النحاة وهى ما يتعايش به وغدا بالمعجمة اليوم الذى بعد يومك والمراد به الآخرة جعل الدنيا بمنزلة اليوم الحاضر والآخرة لكونها بعدها بمنزلة غدا استعارة (وما من شئ هو احب الى من اللحوق باخوانى واخلائى) بالمد مضاف الى المتكلم جمع خليل وهو مناس فى المصاحف والمراد بالاخوان والاخلاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام السابق ذكرهم (والرفيق الاعلى) وعن عائشة رضى الله تعالى عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير بذلك فلما حضر به صلى الله تعالى

عليه وسلم الوفاة شخص بصره وهو يقول اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الاعلى
كما في البخاري وفي النهاية الرفيق الاعلى جماعة الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين
والمراد به الله عز وجل والرفيق بمعنى الرؤف وهو من اسماء الله كالاعلى والمحقوق انهم
بمعنى كونهم معهم (قالت) عائشة رضي الله تعالى عنها (فما اقام بعد) بالبناء على
الضم اي بعد مقالته هذه (الا يسيرا حتى توفي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي انتقل
للآخرة واستوفى ايام عمره ﴿فصل واما خوفه ربه﴾ عز وجل ولما كان
الزهد ترك الدنيا باختياره وحبسه نفسه عن الشهوات وذلك انما يكون بعد تحقق
الخوف والرجاء عقب الزهد بالخوف من الله وربه منصوب معمول المصدر واعلم
انهم اختلفوا في خوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من عقاب الله فقال الامام
ابو الحسن الاشعري في كتاب الاخبار كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف الله
بلا خلاف الا ان خوفه كان لماذا فقال اهل الحق كان خوفه قبل ان آمنه الله
من عقابه وبعده كان من عتابه ولومه في الدنيا كما قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم
لما اعرض عن ابن ام مكتوم عبس وتولى الآية فاما بعد ان آمنه الله تعالى من عقابه فلا يجوز
ان يخاف عقابه مع علمه بانه آمنه منه فاخبره بانه لا يخاف عقابه خلافا للرافضة والقدرية
حيث زعموا انه هو وسائر المكلفين ما داموا المكلفين في الدنيا لا بد ان يخافوا عقابه
سواء آمنهم ام لا ودليلنا ان الخوف من شيء لا يجوز الا مع تجويز نزوله به واما مع القطع بانه
لا يحصل ابدا فمحال حصول الخوف منه عند عاقل ولو قلنا انه صلى الله تعالى عليه
وسلم كان يخاف عقاب الله مع تأمين الله له من ذلك لادى الى كونه شاكا في خبره وانه صادق
او كاذب في اخباره بانه لا يلحقه عقاب ولما بطل هذا بالاتفاق علم ان الخوف لا يصح
مع القطع بانه لا يعاقب اصلا انتهى وسئل شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي عن الانبياء
والملائكة عليهم الصلوة والسلام والعشرة المبشرة بالجنة هل كانوا يخافون
عقاب الله تعالى بعد اخبار الله لهم بانهم لا يعذبون فاجاب بان نفي الخوف واثبات
الامن لمن ذكر مطلقا باطل بل مصادم للنصوص من وجوه * احدها ان حقيقة الخوف
كما في الاحياء الم القلب لتوقع مكروه في المستقبل وهو اقسام منها خوف ضعف القوة
عن الوفاء بحقوق الله على ما ينبغي والخوف بهذا المعنى محقق في جميع الانبياء عليهم
الصلوة والسلام ويلزمه عدم الامن من مكر الله ولا يأمنه احد الا ان كان المأمون
منه الانسلاخ عن النبوة والملائكة والايمان في العشرة على انه قيل بوقوعه لبعضهم
والرجاء والخوف بالايمان باشتراط الرجاء والخوف بما هو مشكوك فيه لا [illegible]
لانهم لا يخافون لانهم على بينة ويقين من ربهم كما قيل بل هو حجة عليه لما مر
من معنى الخوف فالكل على يقين من اصل الكمال وقد يعتريهم استشعار قدرة الله
واستغنائه عن خلقه وانه لا يسئل عما يفعل ولا يجب عليه شيء وقد يشترط

ما اخبرهم به مما انطوى عن علمهم فوجب الخوف حتى من سلب اصل الكمال *
الثاني ان الشافعي رضي الله تعالى عنه صرح بان الملائكة داخلون في قوله لا يأمن
مكر الله الا القوم الخاسرون لما اخرج ابن ابي حاتم من ان الله تعالى قال لهم
ما هذا الخوف الذي بلغ منكم وقد انزلتكم منزلة لم ينزلها غيركم فقالوا ربنا لا نأمن
مكرك الا القوم الخاسرون * الثالث ما في الاحياء ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام
يخافون المكر لما روي ان النبي وجبريل عليهما الصلوة والسلام بكيا خوفا
من ان يكون تأمينهم امتحانا ومكرا وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين فلا شبهة
في ذلك لقوله تعالى * ما ادري ما يفعل بي ولا بكم * فان قلت يرده ما روي عن الحسن انه
لما نزلت هذه الآية خاف صلى الله تعالى عليه وسلم زمانا فلما نزل انا فتحنا لك اجتهد
صلى الله تعالى عليه وسلم في العبادة وقال افلا اكون عبدا شكورا وروي انه قال في الآية
ان ذلك في الدنيا اما في الآخرة فمعاذ الله لانه اخبر بانه في الجنة فالمعنى ما ادري ما يفعل
بي في الدنيا فاخبره بنصره واظهار دينه * قلت المراد خوفه صلى الله تعالى عليه وسلم
من امور الدنيا واستئصال امته فآمنه الله منه واما الخوف من الله فلا يأمنه احد *
الرابع انه ورد في ادعيته صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما يدل عليه نحو اللهم
اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك وقوله اللهم
اني اعوذ بك من عذاب النار وفتنة المحيا والممات وليس هذا تشريعا لانه ان يقوله
لانه لم يقل قولوا ولا قرينة على تقديره انتهى وقد اختلف الفقهاء في الامن
من مكر الله واليأس من رحمته فقالت الشافعية انهما من الكبائر وقالت الحنفية انهما كفر
لقوله تعالى * لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * ولا يأمن مكر الله الا القوم
الخاسرون * وتمسك الشافعية لمذهبها من الكبائر بما ورد في حديث ابن مسعود رضي الله
تعالى عنه وقال ابن ابي شريف ان اريد باليأس انكار سعة الرحمة الذنوب وبالامن
انه لا مكر فهو كفر وفاقا لانه رد للقرآن وان اريد استعظام الذنوب واستبعاد العفو
استبعادا يدخل في حد اليأس وغلبة الرجاء المدخل له في حد الامن فهو كبيرة لا كفر
فان ورد اطلاقه عليه فللتغليظ او ارادة كفران النعمة انتهى وبهذا وفق بينهما
ابن نجيم في رسالته وعلى ما مر عن الاشعري يخص الامن بغير من مر وعلى غيره
هو باق على عمومه هذا حاصل ما قاله الفقهاء والاصوليون في هذه المسئلة وههنا
بحث فيما قالوه وهو ان الاشعري امام اهل السنة وقد جزم بانهم عموما ذهبوا
الى امنهم من العقاب كان دون العتاب وقوله افلا اكون عبدا شكورا تؤيده وما ذكر
من الخوف والادعية فالظاهر الذي تقتضيه النظر الدقيق ان مكر الله ليس بمعنى عقابه
بل بمعنى ان يقدر عليهم امرا تقتضيه اذا صدر منهم لانه تعالى وان كان له ان يعذب
كل احد لكن عدله وحكمته تقتضي ان لا يقع ذلك منه بل يجوز جوازا عقليا او من علم

هذا ونظر لعظمته واسمائه عن جميع مخلوقاته خاف منه وخشي منه وهذا مقام الكملين ولذا قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وهذا الخوف لابد منه لكل احد واما خوف العقاب بدون هذا مادام على حال العصمة والتقوى فلا يجوز عليهم فانه يلزمه عدم الوثوق بخبره تعالى وعلى هذا يحمل كلام الاشعري وهو مناف لمقالة ابن حجر رحمه الله تعالى اذا عرفت هذا فقوله في شرح جمع الجوامع الامن من مكر الله تعالى معناه الاسترسال في المعاصي اتكالا على العفو ليس بسديد وليس محلا للخلاف ✻ ثم اقول الحق ماقاله الاشعري والذي ندين الله به انا نعتقد ان العقاب لايقع وان الانبياء خصوصا نبينا عليهم الصلوة والسلام بعد عصمته و مغفرة ماتقدم وما تأخر له لايخشى احد عليه العقاب ولايجوز تجويزه عليه انما هو لعظمة الله ومهابته عنده وعلمه انه غني عن خلقه له ان يفعل بهم ما اراد فخافه خوفا شديدا وتبعد من عقابه وان لم يجوزه بحق وفي قوله تعالى (لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) ايماء لذلك دقيق وما قاله ابن حجر لادليل له فيه وكلام الغزالي لاحجة له فيه والآية التي ذكرها مخصوصة بالدنيا او منسوخة كما في الكشاف ✻ ولك ان تقول انه لشدة خوفه صلى الله تعالى عليه وسلم من الله قد يذهل عن تأمين الله له لاسيما مع مامر ونظيره ماقاله السيوطي رحمه الله تعالى في اجوبة الاسئلة المكرورة في قول يوسف عليه الصلوة والسلام توفني مسلما وهو يعلم ان كل نبي لايموت الا مسلما انه دعي بذلك في حال غلبة الخوف عليه حتى ادهشه عن علمه ساعة الدعاء (٢) او ذلك اظهارا للعبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة وتعليمها للامة اسمى ثم رأيت ماقلناه صرح به ابن عربي في سراج المريدين فالحمد لله على الوفاق وانما اطلنا الكلام في هذا المقام لانه من مزال الاقدام فعليك باعادة النظر ✻ فان مورده لم يصف من الكدر ✻ ولنا عودة الى الكلام فيه آخر الكتاب ان شاء الله تعالى (وطاعته له وشدة عبادته) قرنهما مع الخوف الملازمهما معه (على قدر علمه بربه) قال القشيري رحمه الله تعالى العلم والمعرفة عند العلماء بمعنى وعند القوم معرفة الحق باسمائه وصفاته ومن عرفه صدق في معاملاته (٣) وتبرى من ردى اخلاقه وآفاته ومن امارات المعرفة حصول الهيبة وهي الخوف مع الاجلال والى ذلك اشار المصنف فان من قدر الله حق قدره اشتد خوفه منه واطاعه وعبده على قدر طاقته وانما يعصي الله من جهل ربه ونفسه فان الانسان يحب الله ومن احبه اطاعه ويحب الرعونة اللين اصرع (ولذلك قال فيما حدثناه) وفي نسخة حدثني (ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه) تقدم رحمه قال (حدثنا ابو القاسم الطرابلسي) حاتم بن محمد بن عبد الرحمن التميمي المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم عن ابن هان فالنسبة الى طرابلسي والطرابلسي بزيادة همزة في اوله وهي مدينة بالشام وبالمغرب

(٢) حالة الدعاء نسخه

(٣) في معاملاته نسخه

والمشهور فيها تراباس بالباء الموحدة وهو صحيح ايضا لانه اعجمي عرب بابدال الباء طاء فلك حكاية اصله والنطق بمعربه قال (حدثنا ابوالحسن القابسي) علي بن محمد بن خالد المعافري الامام الفقيه الحافظ وقد تقدم قال (حدثنا ابو زيد المروزي) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو عبدالله الفربري) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) الامام البخاري صاحب الصحيح وقد تقدم قال (حدثنا يحيى بن بكير) المخزومي الحافظ ابو زكريا المصري روى عنه البخاري وغيره وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفي سنة احدى وثلاثين ومائتين (عن الليث) بن سعد بن عبد الرحمن بن عمرو عالم مصر واصله من اصبهان وكان نظيرا لامام مالك وكان اسخى الناس فقيل انه كان دخله في كل يوم الف دينار ولم تجب عليه زكوة توفي يوم الجمعة منتصف رمضان سنة خمس وسبعين ومائة وقيل غير ذلك وادرك ناسا من التابعين (عن عقيل) بضم ففتح وهو عقيل بن خالد الحافظ اخرج له الائمة الستة وله ترجمة في الميزان توفي سنة احدى واربعين ومائة (عن ابن شهاب) تقدم انه ابو بكر بن محمد الامام المشهور بالزهري (عن سعيد بن المسيب) تقدم ضبطه والكلام عليه (ان ابا هريرة رضي الله تعالى عنه) تقدم ايضا (كان يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم) من عظمة الله وجلاله وبربائه هذا هو المناسب للترجمة اوما اعلم من احوال الآخرة واهوالها وما سيلقاه الانسان (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) اي بدله وفي الحديث طباق او المقابلة بين قليل والكثير والعلم وبين الكثرة والضحك وعدم العلم مقدر وهذا الحديث رواه المصنف رحمه الله عن صحيح البخاري وله رواية اخرى عن الترمذي اشار اليها بقوله (زاد في روايته اي عن ابي عيسى الترمذي رحمه) بصيغة الماضي اي زاد هذا الكلام او مصدر فهو مفعول زاد (الى ابي ذر رضي الله تعالى عنه) يعني ان رواية البخاري انتهت رواية ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وهذه رواية ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد خالف المصنف في عبارته ما اصطلح عليه المحدثون فان المرفوع عندهم ما اتصل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بان يذكر صحابيه قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كذا فمال رفعه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى الصحابي وقيل الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره مرفوعا الى ابي ذر لمخالفته لاصطلاحهم ... اي ... (اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون) المراد بالموصوله فيهما عجائب وامور في الملأ الاعلى اطلعه الله عليها وغيره لا يراها كرؤية الملائكة والجنة والنار وعذاب القبر والاطلاع على الموتى واحوال البرزخ وسماعه لاصوات المعذبين في القبور ولاطيط السماء المشار اليه بقوله (اطت السماء) اصل معنى الاطيط صوت الابل اذا حنت والقتب اذا ضغطه ثقل ما عليه ونحو ذلك اي ان السماء لكثرة

ماعا بها من الملائكة اذا تحركوا اسمع لها صوت سمعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وحق لها) بالبناء للمجهول او هو مصدر مرفوع خبر مقدم لقوله (ان تئط) اى تصوت تسمع لها صريرا على الفاعلية وعلى الاول هو نائب الفاعل وقد قيل ان صريرها تسمع منه الحسان بانه مطربة منها اخذ الحان الموسيقى ولذا تطرب الارواح لسماعه لتذكرها معاهد جاها وقيل انه انين من خشية الله وقال المناوى هذا ايذان بكثرة ما في السماء من الملائكة وان لم تكن ثمة اطيط والمراد تقرير عظمة الله ثم استأنف صلى الله تعالى عليه وسلم مانشئ سبب اطيطها فقال (مافيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله) اى ليس فيها مكان خال منهم ومن هنا علم ان الملائكة اكثر المخلوقات (والله لو تعلمون ما اعلم) من احوال الدنيا والآخرة الدال على عظمة الله تعالى وقدرته (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) اى لضحكتم ضحكا قليلا اذا سركم شئ من رجاء عفو الله وتطرتم ما ابهم الله به عليكم وبكيتم للخوف منه حتى تشغلكم ذلك عن الهم والاكل بلذائذ الدنيا (وما تلذذتم بالنساء على الفرش) بضمتين جمع فراش وكنى بذلك عن مصاجعة النساء ومجامعتهن (ولخرجتم الى الصعدات) بضم الصاد والعين وفتح الدال المهملات جمع مؤنث سالم لصعد بضمتين جمع صعيد كطريق وطرق لفظا ومعنى اى لخرجتم من دوركم للطرق وممر الناس وقيل جمع صعدة كظلمة وهى فناء الدار (تجأرون الى الله) اى تصيحون وتستغيثون من الجؤار بضم الجيم وفتح الهمزة والف وراء مهملة وهو الصياح ورفع الصوت اى تستغيثون الله وتركتم اهاليكم ومساكنكم (لوددت ان شجرة تعضد) اى تقطع من اصلها قال عضدت الشجر والشئ اذا قطعته واللام في جواب قسم مقدر ووددت بمعنى تمنيت والعرب تقول وددت وتودى اذا تمنيت قال الجوهرى

وتودي لو انا تطب لحيث * تصر عن سدى خير قبلا

وهو مستعار من المودة المعروفة قال الراغب الود محبة الشئ وتمنى كونه موجودا ويستعمل في كل واحد من المعنيين على ان التمني يتضمن معنى الود لان التمني تمنى حصول ماتوده انتهى والمراد تمنيه ان يكون غير ذي روح فلا يحسب ولا يسأل وعضد الشجر موته وآخر العهد به ((ذوى هذا الكلام)) يعنى قوله (وددت انى شجرة تعضد) فهو بدل من الكلام (من لم) (من قول ابى ذر نفسه) لا من الحديث وكلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو) اى كونه من قول ابى ذر (اصح) وفي نسخة واصح بالصاد المعجمة والصحيح اصح اى من كونه من الحديث مرفوعا الى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الى بحالة وانسب بكلامه بخلاف مقابله فانه من الحديث للاختلاف والى هذا اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله سابقا الا في رواية ما عن ابى عيسى الترمذى رفعه الى ابى ذر

واذا كان من كلام ابى ذر فهو مدرج فى الحديث ادرج بعد لفظه عن لفظه فاعتراض البرهان الحلبى عليه بانه كان ينبغى له ان يقول انه مدرج لا وجه له لم فى عبارته السابقة كدر لا يخفى فتأمل وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم تمنى ما ذكر مشكل لانه مقطوع له بالزلفى آمن من كل سوء موقن بالدرجات العلى وخوفه انما هو خوف اجلال وهيبة كخوفنا من غضب الله وسوء الخاتمة وقول بعض الصحابة المبشرين بالجنة ليتنى طائر وليتنى لم اخلق بشرا اولتنى كبشا يذبح وتؤكل لحمه ليس لعدم الوثوق بالوعد بل لم يكن الا خوفا من مخالفة امره فانهم يحبونه ويخافون من مخالفته وان لم يعاقبهم وهذا كلام من لم يحقق المقام وقد تقدم فى اول الفصل ما فيه كفاية (وفى حديث المغيرة رضى الله عنه) المتفق عليه فى رواية الشيخين والمغيرة بضم اوله ويكسر اتباعا اى ابن شعبة من الصحابة وهو احد دهاة العرب (صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى صلوة التطوع والتهجد لان الزيادة المذكورة فى بعض الروايات انما تأتى فيها (حتى انتفخت قدماه) اى ورمت من طول القيام (وفى رواية انه كان يصلى حتى ترم) بفتح المثناة الفوقية وكسر الراء المخففة المهملة وميم مخففة مضارع ورم اذا انتفخ لانصباب المادة لقدميه من طول وقوفه صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع فى بعض النسخ ترم بتشديد الميم اى تصير رمما وهى غير صحيحة رواية ودراية (قدماه) وفى رواية ساقاه وروى تورمت وتزلعت بزاى معجمة وعين مهملة اى تشققت (فقيل له اتكلف هذا) بهمزة استفهام وفتح التاء الفوقية واصله اتتكلف فحذفت احدى التائين تخفيفا اى تتحمل مشقته وكلفته (وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) جملة حالية معترضة بين الاستفهام وجوابه وسيأتى ما فى اضافة الذنب له صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه معصوم عن الصغائر والكبائر على الاصح بان المراد لو صدر منك اوما يعد من الذنوب بالنسبة لعظيم لعزتك وعلو مقامك وستسمع بعضه فى محله (قال افلا اكون عبدا شكورا) لما انعم الله على من جلائل النعم التى لا تحصى ومن اجلها عصمته لى ومغفرته لذنبى قبل وقوعه والاستفهام انكارى والفاء سببية اى اترك الصلوة لمغفرته وهى سبب موجب للعبادة لا لتركها وقوله شكورا لانها نعم جليلة توجب مزيد شكره وقوله عبدا تلويح لعنايه واكرامه له صلى الله تعالى عليه وسلم بعبوديته ونسبته له بقوله وكانه نفى اجل السكر وهو العبادة (ونحوه عن ابى سلمة) رحمه الله تعالى واسمه عبد الله اواسمعيل اواسمه كنيته ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى التابعى احد الفقهاء السبعة المشهور بروايته عن ابى هريرة وغيره وفى الصحابة ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومى مات فى حياة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يعرف له الا حديث واحد واخران غير مشهورين ولا الرواية عنهم مشهورة (وابى هريرة رضى الله تعالى عنه) قال البرهان هكذا فى النسخ قال المحشى

وانا اخشى ان يكون هذا غلطا والصواب فيه ان يكون عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه فانه وقع هكذا فى الشمائل فى باب عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ذكر حديث المغيرة الذى ذكره المصنف هنا فقال بعده حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه كان يصلى الخ الا ان يكون المصنف وقف على حديث آخر لابى سلمة الصحابى ولم نره قلت ويحتمل ان يكون مراده عن ابى سلمة عن ابى هريرة ولكنه عطف احدهما على الآخر وهو بعيد ايضا (وقالت عائشة رضى الله عنها) كما رواه الشيخان (كان عمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة) بكسر الدال وسكون الياء المنقلبة عن الواو لانه من الدوام ومعناه الدائم واصل معناه المطر الدائم فى سكون وهدو وفى الحديث احب الاعمال الى الله تعالى مادووم عليه وان قل لان ترك الشئ بعد فعله كالاعراض عنه بعد الاقبال ولذا وقع الوعيد لمن حفظ القرآن ثم نسيه (وايكم يطيق ما كان يطيق) اى ايكم يقدر ان يعبد الله كما عبده صلى الله تعالى عليه وسلم كما وكيفا (وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم) روى نقول بالنون والتاء الفوقية وبرفع نقول ونصبه كما قرئ به فى قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى بعض الازمنة يوالى الصوم حتى يتوهم انه صائم الدهر وتارة يكثر الفطر حتى يظن انه لا يصوم نافلة وقيل المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصوم من اول الشهر ووسطه وآخره حتى يتوهم من صادف ايام صومه انه دائم الصوم ومن صادف افطاره كذلك وهو بعيد وهذا لا ينافى كون عمله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة لانه بالنسبة لما كان راتبا كصوم ثلاثة ايام من كل شهر وهذا بالنسبة لغيره ولك ان تقول الاول فى صلوته ودوامه وهذا فى صيامه ويؤيده لفظ العمل لكن يأباه قوله (ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس رضى الله عنهم) اسم ام سلمة هند على الصحيح وقيل رملة والاحاديث التى رواها هؤلاء بمعنى ما تقدم مع اختلاف فى بعض الفاظها وكلها صحيحة مروية فى الصحيحين وابن حبان وقد ذكرها بعض الشراح هنا ولكن لا حاجة بنا لايرادها هنا كما فى الشرح الجديد (وقالت) عائشة رضى الله عنها (كنت لا تشاء ان تراه) صلى الله عليه وسلم (من الليل مصليا الا رأيته مصليا ولا نائما الا رأيته نائما وقال عوف بن مالك) هو عبد الرحمن الاشجعى الصحابى الجليل القدر رضى الله عنه سكن الشام وتوفى فى ايام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائى (كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام فصلى فقمت معه) اى انه تهجد واقتدى به وفيه دليل على صحة الاقتداء فى صلوة النافلة من غير تراع واليه ذهب الشافعى رحمه الله وبعض الحنفية (وبدأ) الصلوة وفى نسخة

فاسدأ بالماء اى شرع فى الصلوة (فاستفتح البقرة) اى شرع فى قراءتها وفيه دليل على انه يقال البقرة وسورة البقرة من غير كراهة كما ورد فى احاديث لا تحصى واسماء السور توقيفية على الاصح خلافا لمن قال انه يكره وانما يقال السورة التى يذكر فيها البقرة والسورة التى يذكر فيها النتى وهكذا لما روى الطبرانى والبيهقى عن انس مرفوعا لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء ولكن قولوا السورة التى يذكر فيها البقرة وهكذا وهو ضعيف بل قال ابن الجوزى انه موضوع والاحاديث المعارضة له صحيحة فهى ارجح وعليه العمل او نقول ان هذا كان فى اول الاسلام ثم نسخ لان المشركين كانوا يستهزؤن بهم اذا قالوا سورة العنكبوت ونحوها فلما كفاه الله المستهزئين وكف السفهاء ايديهم والسنتهم فعل ذلك من غير حرج (فلا يمر) صلى الله تعالى عليه وسلم (بآية رحمة الا وقف فسأل) الله الرحمة (ولا يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ) بالله من العذاب وهذا الحديث اخرجه ابو داود والنسائى وتؤخذ منه انه ينبغى لمن قرأ القرآن ان يتدبره ويتفكر فى معانيه وان الدعاء عند آية الرحمة يستحب ومستحب فيدعو عند آية العذاب واذا ذكر الاعان بالله يستحب ان يقول آمنت بالله ونحوه ونحو هذا ما ورد ان من قرأ سورة تبارك فبلغ فمن يأتيكم بماء معين فليقل الله رب العالمين واذا قرأ سورة التين فبلغ أليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين واذا قرأ لا اقسم بيوم القيمة وبلغ قوله أليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى فليقل بلى واذا قرأ والمرسلات وبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله واذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى فليقل سبحان ربى الاعلى واذا قرأ سورة الرحمن فليقل عند كل فبأى الاء ربكما تكذبان ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب وكل ذلك ورد فى الاحاديث الصحيحة وهذا يظهر نحو ذا الاوه الا ان من الناس من فعل امورا زائدة على ما ورد كالدعاء بين الجلالين فى سورة الانعام وقد قال الشافعى انه بدعة لم يرد فيه اثر ولا حديث (ثم ركع فمكث) بضم الكاف وهى لغة القرآن وبفتح فى لغة غيره ومعناه انتظر وتوقف (بقدر قيامه يقول سبحان الله ذى الجبروت والملكوت والعظمة) هذه الصيغة مرادها صيغة مبالغة كالرهبوت والرحموت والرغبوت وهى مصادر فى الاكثر ووردت فى الاسماء ايضا كتابوت والجبروت مبالغة فى الجبر وهو القهر والملكوت الملك العظيم وعقبهما بالعظمة لانهما كالدليل عليها ولانها اعم ويكون صلى الله تعالى عليه وسلم كرر ذلك مرارا كثيرة حتى يكون بمقدار قيامه كما لا يخفى (ثم سجد فقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران) اى السورة التى ذكر فيها قصة آل عمران ومدة قدم حواره وماء فيه (ثم سورة سورة) اى ثم قرأ فى صلوته فى كل ركعة سورة بعد سورة وهما منصوبان على الحالة كما قرره النحاة فى قولهم قرأت النحو بابا بابا وجعله الدماميني منصوبا مفعولا لقرأ المقدر وفيه نظر والسورة مهموزة من السؤر وهو بعض الماء الباقى فى الاناء وتبدل همزته واوا

لشكوتها والصباح ماة لها وقيل ان واوه اصلية على انه من السور لاحاطتها بالآيات او من السوار او من التسور لرفعتها والسورة مقدار من القرآن مشتمل على آيات اقلها ثلاثة مسماه باسم ولا يرد عليه آية الكرسي لذكر الآية (يفعل مثل ذلك) المذكور من القراءة والتسبيح (وعن حذيفة) بن اليمان الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه مسلم عنه (مثله) اى مثل الحديث السابق (وقال) حذيفة رضي الله تعالى عنه (سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه) اصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو ويقال هذا نحو هذا اى مثله او قريب منه * فان قلت ذكر الفقهاء ان الجلوس بين السجدتين ركن قصير غير مقصود لذاته بل للفصل بين السجدتين حتى قال بعض الشافعية ان تطويله قصدا مبطل للصلوة ومخل بالموالاة وحديث حذيفة صحيح رواه مسلم كما مر وهو مناف لما ذكر * قلت قالوا انه انما يضر اذا طول بسكوت او بذكر غير مشروع فلو طول بغير ذلك كما في صلوة التسبيح فلا يضر وقد يستحب كما ذهب اليه النووي تبعا لامام الحرمين استدلالا بحديث حذيفة هذا ولا يشترط ان تكون بمقدار اكمل التشهد (وقال) حذيفة رضي الله تعالى عنه (حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة) اى قرأ في ركعة بسورة من هذه السور (وعن عائشة رضي الله عنها) في حديث صحيح اخرجه احمد والنسائي عن ابي ذر والآية التي ذكرت في قولها (قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن) اى رددها طول ليله وكررها في كل ركعة وهي كما صرح به ان تعذبهم فانهم عبادك الآية في سورة المائدة وانما كثر ترداده لانه الذكر والتفكر فيها فان القرآن له بطون بعضها في كل قراءة يظهر له صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم يظهر قبل والله تعالى يتجلى لخاص عباده في كلامه ولكن لا يبصرون كما روي عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه في كل قراءة تجلى له الله في مرآة كلامه ومثل هذا لا تفي به العبارة اللهم نور مشكاة قلوبنا حتى تطلع فيها شموس الحقائق (وعن عبد الله بن الشخير) بكسر الشين والخاء المعجمة بين المشددتين ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة وهو ابن عوف بن كعب العامري الصحابي البصري المخضرم الذي ادرك الجاهلية والاسلام وروى له اصحاب الكتب الستة وهذا الحديث رواه ابوداود والترمذي والنسائي (اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل) جوف كل شيء باطنه والمراد به ما تحت صدره واضلاعه والازيز بهمزة مفتوحة وزائين معجمتين بينهما ياء مثناة تحتية ساكنة وهو صوت الغليان اذا اشتد وهو النشيش والمراد انه صلى الله عليه وسلم اشتد خوفه وخشيته من الله تعالى يسمع حركته اذا رق قلبه وقيل صوت الحنين مع البكاء والمرجل بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الجيم واللام القدر مطلقا وقيل من نحاس (قال ابن ابي هالة) الصحابي المتقدم رضي الله تعالى عنه (كان صلى الله عليه وسلم

متواصل الاحزان) اى حزينا حزنا يتصل بعضه ببعض بحيث لا يفصل بينها فرح ومسرة وهذا يقتضى الدوام ولذا فسره بقوله (دائم الفكرة) اى تفكره دائما فى امره وامر امته ومن كان هكذا (ليست له راحة) لاستغراق اوقاته فى الذى كلفه من اعباء الرسالة وتتابع الاحكام وتدبر الحروب والوقائع ومن نيط به امور جميع الخلائق كيف يمضى من الهم فان الامور تقدر الهمم والظاهر ان هذا حاله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن متكلما مع الناس فى مصاحبته لهم وحكمه بينهم وملاقاة من تقدم عليه من الوفود وعرض الناس عليه امورهم وفى عشرة اهله واما ذلك حال سكوته وهو بين الناس وفى خلوته بنفسه ومشيه وتعبده اما فى غير ذلك فكان طلق المحيا متبسما متلطفا بالبشر ودوام كل شئ بحسب زمانه

فاقسم لكل زمان ما يليق به ٭ فان للزيد حلما ليس للعنق

فسقط ما قيل انه وصف فى غير هذا الحديث بانه صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر وهذا ينافيه لما قد علمت ولا اصل له وقد اورد عليه ايضا ان الحزن فضلا عن دوامه غير محمود وقد نهى الله تعالى عنه فقال (ولا تهنوا ولا تحزنوا) وقال (لا تحزن ان الله معنا) وقال (انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) واستعاذ صلى الله تعالى عليه وسلم منه فقال اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن وتقدم الفرق بينهما بان الهم لما يتوقع فى المستقبل والحزن لما مضى وكلاهما مضر لانه يوجب ضعف القلب غير معدود من مقامات العارفين ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما يصيب المؤمن من هم ولا نصب ولا حزن الا كفر الله به من خطاياه يدل على انه مصيبة يؤجر المرء عليها وسيأتى الكلام عليه والحديث الذى ذكره المصنف رواه الطبرانى والصاغانى وقال ابن القيم كما سيأتى انه لم يثبت وفى سنده من لا يعرف ولا اعلم صحته وفى الاثر به اذا احب الله عبدا جعل فى قلبه نائحة واذا ابغضه جعل فى قلبه مزمارا فقال ابن القيم اجمع اهل السلوك على ان الحزن ليس من مقامات السائرين الى الله الا ابو عثمان الحيرى فانه قال الحزن فضيلة وزيادة كمال للمؤمن ما لم يكن على معصية لانه ان لم يوجب تخصيصا اوجب تمحيصا فهو بلاء ومحنة كالمرض لا مقام كما قاله الحلبى وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما اودعه الله فيه من الرحمة ورقة القلب فكان يحب هداية الامة فاذا راى ما هم عليه من عنادهم ومخالفتهم حزن لذلك وخاف من ان يسبب له قصور فى دعوتهم وعدم رضاه ظهر انه ليس مما ذكر اشكال بوجه من الوجوه ولا حاجة لتفسير دوام الفكرة بانها فى ذات الله وصفاته حتى يرد عليه انه منهى عنه ويجاب بان المنهى عنه غير الكمل كما قيل (وقال عليه الصلوة والسلام انى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وروى سبعين مرة) هذا حديث صحيح وسيأتى الكلام عليه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم استغفر الله بمعنى اطلب منه المغفرة او اذكر هذا اللفظ بعينه والمراد منه عدد معلوم وقد يراد به مجرد التكثير وعلى هذا يكون الرواتيان بمعنى

(وطلب)

وطلب المغفرة وان اقتضى الذنب وهو صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الكبائر
والصغائر مطلقا على الاصح المراد به انه مع كماله صلى الله عليه وسلم يشهد في نفسه
قصورا تنزل منزلة الذنب فاستغفر له او عد اشتغاله بما ابيح له كالاكل واشتغاله بامور الناس
ذنبا لعوقه عن المشهود او هو تشريع لامته او كان استغفاره صلى الله عليه وسلم له يوجبه
او انه لم يزل مترقيا في المقامات فكلما ترقى لمرتبة رأى مادونها نقصا فاستغفر منه وستأتي
تتمته (وعن علي كرم الله وجهه سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته)
اي طريقته التي هو عليها وهذا الحديث ذكره في الاحياء وقال الحافظ العراقي انه
لا اصل له وقال السيوطي رحمه الله تعالى انه موضوع وآثار الوضع لائحة عليه وهو يشبه
كلام الصوفية (فقال المعرفة رأس مالي) رأس المال هو المال المعد للتجارة وما يكتسب به
هو الفائدة والمراد بالمعرفة معرفة الله وصفاته والوقوف على غوامض الامور مما لم يكن
يعلمه وهي تختص بالعلم المسبوق بالعدم او بالجزئيات ولهذا قيل ان علم الله لا يسمى
معرفة ولا يقال الله عارف الا انها جاءت بمعنى العلم ايضا والمراد هنا الاول لمقابلتها بالعلم
وهذا يشبه [illegible] كما قيل

اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من الانفاق في غير واجب

وقد تقدم (والعقل اصل ديني) من ان العقل قوة غريزية في الانسان يستعد بها
لادراك المعلوم اي دينه وشرعه اي ما تعبد به وتدين [illegible] اوله وبعدها
مبني على ما اودعه تعالى فيه من كمال عقله الذي هداه الى النظر في مصنوعات
الله الدالة على وحدانيته وعظمته وانه هو الحق وفي الحديث ان عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت يا رسول الله بم يتفاضل الناس قال بالعقل في الدنيا
والآخرة فقالت اليس يجزون باعمالهم فقال يا عائشة هل يعمل الا من له عقل فبقدر
عقولهم يعملون وبقدر عملهم يجزون وقد اجمعوا على ان ما اعطي الناس من بدء الدنيا
الى آخرها من العقل بالنسبة لعقله صلى الله تعالى عليه وسلم كنسبة ذرة من الرمل الى
رمال الدنيا كلها (والحب اساسي) اي حبه الله بعد معرفته لان من لم يعرف لا يحب
اي اساس بني عليه اموري في اتباع اوامر الله ونواهيه كما انه موجب لاتباع الناس لي
كما قال تعالى {قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} ولا يكمل ايمان احد حتى
يكون الله احب اليه من نفسه واهله وماله كما أتى بيانه وجمع هذه الامور في نسق
واحد لان رأس المال والاساس والاصل من واد واحد وتغاير العبارة انما هو لتلوين
الخطاب (والشوق مركبي) اي شوقي الى المطالب العالية والى لقاء الله تعالى هو الذي
حركني حتى وصلت لمرادي كما قيل

وقالوا اذا ما لهم سيرنا * حدا في سبيل [illegible]
ركبت على البراق فقلت كلا * ولكني ركبت على اشتياق

والشوق اعلى من المحبة لانه يتفرع عنها فانه انجذاب النفس لشدة ميلها الى لقاء

من يشتاقه (وذكر الله انيسي) وفي نسخة انسي يعني انه يأنس في خلوته وجلوته بذكر الله لانه اذا اكثر من ذكره صار نصب عينه حتى كأنه معه ومن كان الله معه آنس به واستوحش مما عداه ومن كان له ورد في الصباح والمساء كان من الذاكرين الله وانظر لقوله اذكروني اذكركم وقال سمنون حقيقة الذكر ان ينسى ما سواه ويستغرق الاوقات فيه

لا لاني انساك اكثر ذكر * ك ولكن بذاك يجري لساني

(والثقة) بكسر المثلثة مصدر كالسعة بمعنى الوثوق بما عند الله وما يطلب منه (كنزي) الكنز المال المكنوز اي المدفون وفيه بلاغة ونكتة بديعة لان من له مال مدفون لا يراه ولكنه اقطع بما يراه فكذا ما يرجوه من الله فيل حصوله اقطع من الحاصل عنده النفيه كما قيل

واني لا ارجو الله حتى كأنني * ارى بجميل الظن ما الله صانع

وعلامة الثقة بالله بذل الموجود وترك طلب المفقود (والحزن رفيقي) اي لا يفارقني وذكره مع الانس لان الرفيق انيس وهذا بمعنى ما تقدم من قوله متواصل الاحزان وقد علمت ما فيه (والعلم سلاحي) اي علمي بالله وبما علمني من لدنه واوحاه الي ادفع به من يجادلني ويخاصمني وادفع الشيطان ووسواسه كما يدفع العدو بالسلاح وآلات الحرب (والصبر) في المكاره وتحمل المشاق وعدم العجلة في الامور (ردائي) الرداء ما يكون فوق الثياب وبه تجمل ظاهر المرء ولما كان الصبر فيه سكون وتحمل وعلم ووقار يشاهده الناس شبهه بالرداء ايجمل به ودفعه ضرر البرد فساوى من انه لو شبهه بالدرع والالحاف صح كما قيل

تدرعت صبري والتحفت صبروه * وقلت لنفسي الصبر اولى فاهلكي

لنفس انبي (والرضاء) بالقصر مصدر وبالمد اسم كما في الصحاح والذي في الشرح بالمد (غنيمتي) جعله غنيمة لانه يقهر به عدو نفسه اللوامة ويأسر هاذ الراضي بما قسم الله لا يتمنى ما لم يكن فيحصل له غنى القلب والراحة كما قيل

هل هي الا مدة وتنقضي * ما اطيب الايام الامن رضي

ولاشك ان الرضاء بما قدره الله واجب وقوله في الشرح الحديد واختلف العلماء في الرضاء هل هو واجب او مستحب فقيل هو مستحب لانه لم يرد الامر به وانما ورد الثناء على المتصف به والى هذا ذهب محققوا العلماء مما لا ينبغي ذكره (والعجز فخري) وفي نسخة البرهان وغيره والعجز بذل الفقر اي اظهار انه عاجز بنفسه وان القدرة والقوة لله وهو مقام العبودية كما قال تعالى (وخلق الانسان ضعيفا) والعجز المذموم الذي استعاذ منه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله (اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل) بمعنى آخر وهو التثاقل عن العبادة والتواني كما قيل

اذا ما التواني انكح العجز بنته * فساق اليها حين اصدقها مهرا

فراشا وطيئا ثم قال لها اتكي * اقصارهما لاشك ان تلد الفقرا

وقال ابن تيمية الفقر فخري ليس بحديث ومن قال انه حديث فقد كذب وقيل الظاهر

ان المراد بالفجر نعم فسكون هو الفخر عن طلب الدنيا والتمكن في الثروة والشوكة واريد به لازمه وهو الفقر ولا وجه له فانه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بفاخر بفاد كر وانما تركه واعرض عنه باختياره كما مر والاوجه ان المراد به ما مر كما في حديث لا يدخل على الا الفجرة الناس اى ضعفاؤهم وفي آخر اهل الجنة كل ضعيف متضعف وفي حديث هرقل ضعفاء الناس اتباع الرسل وفي حديث الاسراء امتك اضعف الامم وهم اكثر اهل الجنة قيل فقوله الفقر فخرى قد يقال انه رواية بالمعنى فليس بكذب وفيه نظر ولذا قال الحافظ ابن حجر انه باطل موضوع فانه ورد مدح الفقر في الحديث كحديث تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وقد روى بسند لا بأس به وانسب الفخر له وقد يقال في قوله لا فخر لانه ليس من شانه لان المراد به الخصلة الحسنة التي من شانها الافتخار بها او المراد فخرى لو كنت ذا فخر كامل في قراءة (انما يخشى الله من عباده العلماء) برفع الجلالة اى انما يخشاهم لو كان يخشى غيرهم وان كان المشهور ان المراد بالخشية لازمها وهو التوقير والتعظيم والفقر مع الصبر وصف محمود فان الغنى هو الله كما قال تعالى (يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد) (والزهد حرفتى) الحرفة بكسر الحاء وسكون الراء المهملة من والفاء هي الصناعة التي يرتزق منها الانسان والزهد ترك ما يرغب فيه من الدنيا وقال الجنيد الزهد خلو الايدى من الاملاك والقلوب من الطمع وليس الزهد عدم الملك فان سليمان عليه الصلوة والسلام كان زاهدا مع ان الدنيا كلها في قبضته والتعبير بالحرفة ليس في محله فانه يوهم انه جعلها مكسبا وفيه شاهد للوضع ومما قيل في مشايخ زماننا

قد قام في سوق الرياء تاجرا * وباع للسوقة ارشاده
حرفته الزهد ودكانه * تابع فيه الكذب سجاده

(واليقين قوتى) اليقين الاعتقاد الجازم وهو قوت القلب من قام به لا يخطر له وعدم خوفه من غير الله وهذا شامل لحق اليقين وعين اليقين والفرق بينهما مشهور في التفسير وكتب الكلام (والصدق شفيعى) الصدق بمعنى مطابقة الخبر والمراد به ما اصطلح عليه المشايخ من انه استواء السر والعلانية والوفاء لله عز وجل بكل ما عاهده الله ويصح ارادة المعنى الاول والمراد كونه شفيعه انه سبب مصالحه عند الله او المراد تعليم امته (والطاعة حسبى) بفتح السين هو ما يعده المرء من مفاخر آبائه اى طاعة الله في السر والعلانية هي التي افتخر بها واعده ما ثر لا ما يفتخر الناس به او هو بسكون السين اى الطاعة تكفينى (والجهاد) في سبيل الله او مجاهدة النفس بمخالفتها (خلقى) اى طبعى على محبته (وقرة) بضم القاف وتشديد الراء المهملة (عينى) الناصرة اى مسرتها وفرحها في الصلوة لما اشاهد فيها من التجليات الالهية فانها المعراج الاصغر والقرة ماخوذة من القر وهو البرد لان دمعة السرور باردة او من القرار لان ملوع

الامية برؤيه ماسر تسكن به العين فلا تستشرف لغيره وقد تقدم ما فيه (وفى حديث آخر) لم يذكره المخرجون لاحاديث هذا الكتاب (وثمرة فؤادى فى ذكره) الفؤاد القلب أو داخله وهو محل العقل على الاشهر فجعله كشجرة مثمرة وجعل ذكر الله المقصود منه (وصى لاجل امتى) لرأفتى عليهم فى الدنيا والآخرة (وشوقى الى) لقاء (ربى) ومناجاته والتوجه اليه ﴿ فصل اعلم وفقنا الله واياك ﴾ تقدم الكلام عليه (ان صفات الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام) هو من عطف الخاص على العام اعتناء لشأنهم وبيانا لشرفهم وسائر فضله (من كمال الخلق وحسن الصورة) الخلق بفتح فسكون والمراد خلق مادة جسمه واعضائه والصورة هيئة بدنه وتناسب اعضائه ومقاديرها ولون بشرته (وشرف النسب) اى شرف آبائه وامهاته واجداده وجداته الى ان ينتهى الى آدم عليه الصلوة والسلام فليس فيهم خسيس ولا وضيع (وحسن الخلق) بضمتين او بضم فسكون وقد تقدم بيانه (وجميع المحاسن فى هذه الصفة) كذا فى بعض النسخ وفى غيرها وعليه الشراح هى بالضمير بدل فى الجارة قال القسطلانى هذه الصفة خبران ووقع بين اسم ان وخبرها ضمير الفصل لقصر الصفة على الموصوف كان زيدا هو المطلق اى لا غيره واتى بها على لفظ الافراد لعدم التغاير بين المبتدأ والخبر فان الاتحاد غير جائز وعرفها بالالف واللام لتشعر بان المراد استغراق ما ذكره من كل الصفات المذكورة اسمى وبه بعض الشراح ولم يبينه غيرهم وجميع المحاسن على هذا معطوف على اسم ان فهو منصوب فالمعنى ان كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق صفات جامعة لجميع المحاسن وهى صفة الرسل عليهم السلام وهى على الوجه الاتم الاكمل لا تجتمع فى غيرهم ومن بيانه صفات جميع الانبياء والرسل والصفة تعنى الصفات المذكورة ولا يخفى ما فيه من الملاقة والخفاء وان قوله هذه الصفات هذه الصفة ركاك جدا ولو قيل ان قوله من كمال الخلق الخ خبران وان ابتداء به وجميع مرفوع مبتدا وفى هذه الصفة خبره والمعنى جميع صفات الانبياء عليهم السلام ثابتة من كمال الخلق الى آخره وجميع المحاسن مجموعة فيها كان اظهر واحسن (لانها صفات الكمال) اى صفات بها تكمل البشر (والكمال والتمام البشرى) بعدم الفرق بين الكمال والتمام (والفضل الجمع) مبتدأ وكان الاحسن ان تقول والفضل جميعه (لهم) خبره اى ثابت للانبياء عليهم الصلوة والسلام (اذ رتبهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات) فيه اشارة الى تفضيلهم على الملائكة كما سيأتى (ولكن فضل الله بعضهم على بعض) استدراك لدفع ما عسى يتوهم من تساويهم رتبة ثم اشار على طريق اللف والنشر المشوش الى الدليل على عدم تساويهم بقوله (قال الله تعالى تلك الرسل) المذكورين فى سورة البقرة فالتعريف عهدى او جميع الرسل الذى تعلمهم فهو استغراقى

(فصل ا)

(فضلنا بعضهم على بعض) بمواهب سنية ومراتب علية غير أصل النبوة والرسالة منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وهو محمد او ابراهيم عليهما الصلوة والسلام واشار الى فضلهم على من عداهم بقوله (وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم) بما بأحوالهم (على العالمين) وهذا من المصنف رحمه الله تعالى مبني على ان الضمير للانبياء مطلقا والمراد بالعالمين جميع العالم لا على ما اختاروه من انه لبني اسرائيل والعالمين عالمي زمانهم لكثرة الانبياء فيهم (وقال عليه الصلوة والسلام) في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه (ان اول زمرة) اي طائفة وجماعة (يدخلون الجنة على صورة القمر) اي وجوههم مشرقة مضيئة وليس المراد انها مثله في الاستدارة وغير ذلك ولذا قال (ليلة البدر) وهي ليلة اربعة عشر وهو اضوأ ما يكون فيها وسمي بدرا لامتلائه بالنور او لمبادرته مغيب الشمس بالطلوع وهو يسمى هلالا في اول الشهر ثم يسمى بدرا اذا تم

ان الهلال اذا رأيت نموه * ايقنت ان سيعود بدرا كاملا

والقمر يطلق عليه دائما كما نص عليه اهل اللغة وتمام الحديث ثم الذين يلونهم كأشد كوكب دري في السماء اضاءة (ثم قال آخر الحديث) قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك وفي اوان له من الحور العين اثنين وسبعين حورية سوى ازواجه من الدنيا وان الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الارض (على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء) والمراد بهذه الزمرة الانبياء عليهم الصلوة والسلام والذين يلونهم الاولياء والعلماء الراسخون وقيل المراد بهم الانبياء والاولياء والذين يلونهم بقية المؤمنين الانبياء وقوله آنيتهم الذهب والفضة اما على اللف والنشر فآنية الفرقة الاولى من الذهب والثانية من الفضة او هما لهما بقرينة جعل امشاطهم كلهم من الذهب ويحتمل ان يكون الكل اي من الذهب والفضة ورجح بعضهم ان يكون هؤلاء كلهم من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لحديث الصحيحين يدخل الجنة من امتي زمرة القاصين الوجوه بيض وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر وعلى هذا حال الانبياء بالطريق الاولى او هم مسكوت عنهم وخلقهم عند الله وجعلهم على صورة آدم عليه الصلوة والسلام لانه كان احمل الناس واعظم خلقا والستون ذراعا اما بذراعه نفسه او بذراع معهود عند المخاطبين والاول اظهر لكن روى ابن ابي الدنيا عن انس رضي الله عنه يدخل اهل الجنة الجنة على طول آدم ستون ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم

جرد مرد مكحلين وورد ان عرضه سبعة اذرع والحديث يدل على تبدل الوانهم فمن كان اسود اواشقر صار ابيض بياضا معتدلا وروى الامام احمد عن ابي هريرة يرفعه يدخل اهل الجنة الجنة جردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا في عرض سبعة اذرع وقوله في السماء يحتمل ارادة الحقيقة فيه اي كانتهاء خلقه وصوره اذا كان في السماء او المراد جهة العلو اي طوله ذلك اذا كان منتصبا قائما ﴿ فائدة ﴾ استنبط بعضهم من آثار مقعد الحوراء في الجنة ميل ان كل آدمي يدخل الجنة يكون طوله اثنا عشر الف ذراع بذراع الشرع الذي هو شبران لان مقعد الحوراء ميل فيكون طولها ثلاثة اميال ومقعد الواحد منا ثلث قامته تقريبا والغالب ان الذكر كالانثى في القامة فيكون طول الرجل اثنا عشر الف ذراع كما تقدم تقسيم على الستين الوارده في الحديث فيكون كل ذراع من الستين مائتي ذراع شرعي تقريبا (وفي حديث ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه الذي رواه الشيخان ايضا (رأيت موسى) عليه الصلوة والسلام ليلة الاسراء عيانا لانه اما لان الانبياء عليهم الصلوة والسلام احياء لاتبلى اجسادهم (فاذا رجل ضرب) اذا الفجائية اي فاذا هو رجل ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة ورجل هنا بفتح فضم بمعناه المشهور وهو الذكر من بني آدم ومعنى ضرب بالفتح والسكون ان جسمه بين الهزال والسمن وقال الخليل رحمه الله تعالى انه القليل اللحم ووقع في رواية الاصيلي بسكون الراء وكسرها والاصح الاول وروى مضطرب وهو الطويل غير الشديد الطول وفي مسلم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه جسيم سبط وحمل هذا على ما يوافق روايه مضطرب لا على كثير اللحم كما وقع في صفة الدجال فهو من الاضداد (رجل) بفتح المهملة وكسر الجيم وجاء فتحها في لغة قليلة اي شعره منكسر قليلا فليس بسبط لا تكسر فيه ولاجعد منكسر كسرا (اقنى) بقاف ونون من القنى بالفتح والقصر وهو طول الانف ودقة ارنبته يقال رجل اقنى وامرأة قنواء وقيل القناء احديداب في الانف فهو محدودب وليس بشئ في الناس وفي النهاية القناء في الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب في وسطه واما قول كعب رضي الله تعالى عنه

قنواء في حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفي خديه تسهيل

فمعنى آخر لاحاجة الينا (كانه من رجال شنوءة) بفتح الشين المعجمة وضم النون وواو ساكنة وهمزة وقد تبدل الهمزة واوا وتدغم وهاء على وزن فعولة وهي اسم قبيلة ويقال لهم ازدشنوءة واسد شنوءة وهي بالمعنى مشهورة وهي من التباعد وهو التباعد عما يدنس يقال رجل شنوءة اذا كان طاهر النسب ذا حسب وقد سموا بذلك لعلو نسبهم وحسن سيرهم واعمالهم وهذا الحديث بمعنى ما قبله وفي رواية البخاري كأنه من رجال الزط وهم نوع من السودان او الهنود طوال الاجسام مع نحافة وهذا فيه

وجه الشبه اى انه طويل عير جسيم (ورأيت عيسى) عليه الصلوة والسلام يقظة في الاسراء كما سيأتي (فاذا هو رجل ربعة) بفتح الراء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتحها اى بين الطول والقصر معتدل القامة (كثير خيلان الوجه) بكسر الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتية جمع خال وهو الشامة السوداء المعروفة وماقيل من ان كثرة الخيلان مذمومة غير مسلم واختلفت الرواية في لونه فروى انه آدم اى اسمر وروى (احمر كانما خرج من ديماس) بكسر الدال المهملة والمثناة التحتية وميم والف وسين مهملة وهو الحمام والكن واصله السرب في الارض والمراد صفاء لونه مع حمرة فيه ورواية آدم بمعنى شديد الحمرة لاتنافي هذه (وفي حديث آخر) لم يعرف رواته (مبطن) بالتشديد والطاء المهملة اى ضامر البطن كما فسره قوله (مثل السيف) اى في استوائه ودقته وقد تعددت الرواية برؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء عليهم الصلوة والسلام يقظة في السماء والارض لانهم احياء وتوقف البيهقي في هذا حتى أتى مستدلا (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا اشبه ولد ابراهيم به) خلقة صلى الله تعالى عليه وسلم ولونه كلونه فهو اكثر شبها به من سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام والناس كلهم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (في حديث آخر في قصة موسى) عليه الصلوة والسلام كما رواه البخاري في صحيحه (كاحسن ماانت راء من آدم الرجال) ماموصولة والعائد محذوف اى الذي انت رائيه وآدم من الادمة وهي سمرة اللون قيل وهي في الابل بمعنى البياض وفي الظباء سمرة الظهر وبياض البطن وفي الانسان اشربه ادمة واذم هنا بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وبالميم جمع آدم كاسمر وسمر وهي السمرة مطلقا او الشديدة وقيل انها البياض والاول اصح وانما يدل عليه قوله تعالى (تخرج بيضاء من غير سوء) اى عيب كالبرص وانما يكون هذا اذا كان اسمر وخالف لونه لونها ويحتمل انها تخالفه لشدة بياضها كما قيل انها كانت ذات شعاع كشعاع الشمس (وفي حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه ابو يعلى وابن جرير من طريق واخرجه سعيد بن منصور في سننه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما موقوفا (مابعث الله تعالى من بعد لوط عليه الصلوة والسلام نبيا) وهو لوط بن هاران وهو ابن اخي ابراهيم وخص بما ذكر تعالى بعده لانه من الشام وبعثه الله تعالى الى اهل قرية يقال لها سدوم ليست من بلاده ولست موطنا لقومه ومن بعده من الانبياء لم يبعثوا (الافي ذروة من قومه وروى في ثروة اى كثرة) والذروة بكسر الدال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة اعلى شئ اى بين قوم له ذوى جدة وسعة وشرف لاغرباء ولا من قوم لم يكونوا كذلك واشار بهذا الحديث الى ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام كلهم شاركوا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في علو النسب وشرف القوم

والثروة بمعنى الكثرة مطلقا وقد تختص بالمال ويقال الذروة المكان المرتفع وهي
مثلثة الذال (ومَنَعة) بفتح الحروف اي ميم ونون وعين مفتوحات جمع مانع كخدمة
جمع خادم ويجوز تسكين نونه او هو اسم مصدر في الاصل كصدقة اي قوم يمنعونه
ويحمونه وقصة لوط عليه الصلوة والسلام مفصلة في كتب التفسير وفي قوله تعالى
(قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد) اشارة الى ما ذكر من انه لم يبعث
في قومه الذين ينصرونه ويحمونه * فان قلت كيف يكونون في منعة وثروة
وقد قال تعالى في بعضهم وما آمن معه الا قليل وقد عاداهم قومهم وقتل بعضهم وما فائدة
ما ذكر لما عقد له الفصل من محاسن الخلق والخلق من الصفات الذاتية * قلت
عداوتهم بعضهم وورود ما ذكر لا ينافي كذلك لان ما ذكر من شرف القوم والاصالة
يدل على المحاسن الذاتية لا يلزمه ايمانهم وكونهم كثيرون لا ينافي عداوتهم واما المنعة
فاعتبار من اتبعه منهم ولذا ورد رحم الله اخي لوطا لقد آوى الى ركن شديد وهو
لا ينافي الآية لان المراد الملائكة وبالمنعة الله تعالى (وحكى الترمذي عن قتادة
ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس رضي الله تعالى عنه) تقدم ترجمة
الترمذي وقتادة وان الدارقطني منسوب لدار قطن وهي محلة ببغداد كان يسكنها
وهو الحافظ الامام الجليل المشهور امام عصره في الحديث والفقه والقراآت
وغيرها من العلوم الشرعية والحديث المذكور في الشمائل وغيرها مرسلا (ما بعث الله
نبيا الا) وقد حباه (حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم) من ابتداء وجوده
وخلقته (احسنهم) اي الانبياء عليهم الصلوة والسلام (وجها واحسنهم صوتا)
لان حسن الصورة يدل على كمال الخلق والخلق اذ الظاهر عنوان الباطن كما قيل

يدل على معروفه حسن وجهه * وما زال حسن الوجه احدى الدلائل

(وقال الآخر)

يدل على وجه الطلوبة ما يرى * نضارتها من وجه بعض ملامحه

وحسن الصوت بكونه جهوريا يسمع من بعد مع لطافة بحيث يدرك بالذوق ولا يلزمه
كونه على رسم الموسيقي وهذا يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان احسن
من يوسف واحسن صوتا من داود عليهما الصلوة والسلام وكانت قراءته صلى الله
تعالى عليه وسلم في غاية الاتقان مع عدم التكلف ومما يعد من مشكل الاحاديث ما ورد
في حديث الطبري في يوسف فاذا انا برجل احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن
المراد منه تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم على من عداه لا سيما ان ما ذكر ان المتكلم
لا يدخل في عموم كلامه تذهب اليه بعض الاصوليين ويدل عليه ما ورد انه صلى الله
تعالى عليه وسلم اعطي الحسن كله واعطي يوسف عليه الصلوة والسلام شطره
اي نصفه اي ان الحسن كان [illegible]

وصفاءلون وغيره مما يدرك ولا يوصف ويوسف اعطى من حسن الحسن الكامل فيه نصفا وجميع الخلق وزع بينهم ما يعدل نصفه الآخر فدل ذلك على انه احسن الناس كلهم كما صرح به فى الحديث الذى نحن فيه وماقاله السخاوى فى كتاب الامثال من ان الجلال الدين المحلى رحمه الله سئل عن حديث اعطى نصفا جميع الحسن ويوسف شطره فقيل كيف يكون الشئ الواحد جميعه فى شئ ونصفه فى آخر فقال لم يظهر لى جوابه وكذا قال ابن حجر وقد تأملت قوله فى البردة البوصيرية

منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

فبان لى منه جوابه وهو ان حسن النبى صلى الله عليه وسلم غير منقسم بينه وبين غيره بخلاف حسن سائر الناس فانه منقسم بينهم وبين يوسف عليه الصلوة والسلام انتهى وفيه نظر وهذه مغالطة وزهرة لا تحمل الفرك ومنشاؤه عدم الفرق بين تقسيم شئ بعينه وتقسيم افراد نوع من الانواع فتدبر (وفى حديث هرقل) من ضعفه والاضافة لادنى ملابسة لذكره فى الحديث كما قال حديث الشفاعة والاصل اضافته لرواية الصحابى او التابعى او من خرجه كالبخارى ومسلم وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما وابن عباس نقله عن ابى سفيان حين ارسل اليه هرقل وهو بالشام لتجارة فى ركب من قريش فى مدة مهادنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكفار قريش فاتوه بايليا فدعاهم وحوله عظماء الروم فسألهم عن احواله صلى الله تعالى عليه وسلم فكان اول ماسأله عنه ان قال كيف نسبه فيكم فقال هو فينا ذو نسب الى آخره فقال له كما اشار اليه بقوله (وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب) اى نسب عظيم فالتنكير للتعظيم لشرف اصوله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه ليس فى امهاته سفاح ولا شئ من نكاح الجاهلية كما مر وتنقله فى الاصلاب الطاهرة من الانبياء وبنيه اشرف القبائل وبيته اشرف بيوتهم (وكذلك الرسل) عليهم الصلوة والسلام (تبعث فى انساب قومها) اى كل نبى له نسب عال فى قومه لان من اختاره الله انبوته يختاره عنصرا طاهرا ولم يجد ولسانا من الدنى فشبه اتصاله باتصال الطرف بطرفه (وقال تعالى فى ايوب) صلى الله عليه وسلم وكان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرية قرب نوى وعليه مسجد وقربه موقوفة على مصالحه وعنده عين جارية فيها اثر قدم فى حجر يقال انه اثر قدمه عليه الصلوة والسلام والناس يشربون من عينه ويغتسلون منها بالتبرك ويقولون انها المذكورة فى القرآن (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب) كثير الرجوع لربه بالرحمة دعائه وامتثال أوامره ونواهيه واستشهد بهذه الآية على حسن خلق الانبياء عليهم الصلوة والسلام فان الصبر امر عظيم وخلق كل كريم حليم ولذا اثنى الله عليه بقوله نعم العبد الى آخره ووصفه بالعبودية المناسبة للصبر وقد صبر على ما ابتلاه الله

به كما صبر يعقوب وغيره من الرسل ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم صبر على قومه وما قاساه منهم وقصة ايوب عليه الصلوة والسلام ونسبه مذكور في التفسير واختلف في زمن نبوته فقيل كان قبل موسى عليه الصلوة السلام وانه من بني اسرائيل ومدة بلائه ثلاث عشرة سنة او ثلاث سنين وامرأته اسمها ليا وقيل رحمة بنت يوسف (وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين) واستشهد المصنف رحمه الله تعالى بما ذكر على محاسن الانبياء واخلاقهم اذ تلقى يحيى عليه الصلوة والسلام الكتاب التوريه اوغيرها بقوة فهم وعزيمة على العمل بما فيها وقد آتاه الله الحكم صبيا وهو يدل على سلامة فطرته وخلقته وكان حنانا في طبعه(٢) الرحمه وانه كان تقيا برا بوالديه مطهرا من النقائص وانه سلمه الله من يوم ولد الى مماته (وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين الآيتين) استشهد بهاتين الآيتين على ما حواه الانبياء عليهم الصلوة والسلام من الصفات الجليلة ومكارم الاخلاق وانه تعالى جعلهم صفوة خلقه فآل ابراهيم اسحق واسمعيل واولادهما وآل عمران عيسى ومريم بنت عمران ذرية بعضها من بعض على دين واحد (وقال في نوح) عليه الصلوة والسلام (انه كان عبدا شكورا) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايفعل شيئا الاقال بسم الله والحمد لله (وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الآية) استشهد بهذه الآية على ما لعيسى صلى الله تعالى عليه وسلم من النعوت السنية والمحاسن الجلية التي وصفه الله تعالى بها من انه وجيه اي شريف مقدم في الدارين وانه تكلم في مهده وقد تقدم ذكر من تكلم في المهد غيره والكهل الشاب وقيل من وخطه الشيب او من جاوز الثلاثين الى خمس وخمسين وكونه رفع ابن ثلاث وثلاثين وان جزم به الفاضي في تفسيره غير متفق عليه فقد ذكر ابن حجر في الاصابة انه الاخر منها انه بلغ المائة او زاد عليها وتقدم معنى كونه كلمة الله (وقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا الى مادمت حيا) قيل انه نبي وهو صبي والهم حفظ التورية والانجيل ووصف نفسه بالعبودية ردا لما قدمه به النصارى وكان تعلمه عاد كر برئه لامه (وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها) وذلك لانهم عابوه عليه الصلوة والسلام لشدة تستره حياء من ان في بدنه برصا او نحوه فبرأه الله من ذلك وبين انه كامل الخلق والخلق ولذلك ساق المصنف الآية وقال (قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان موسى رجلا حييا) بحاء مهملة وياءين ثانيتهما مشددة بزنة صبي اي كثير الحياء (ستيرا) بكسر السين المهملة وكسر التاء المثناة المشددة بزنة سكين اي شديد التستر بدنه وقد اشار لتفسيره بقوله (ماترى من جسده شيء استحياء) وهذا ايدل على عفته وحيائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خلق حميد وقال البرهان ان ستيرا بفتح السين وكسر التاء الفوقيه

(٢) في طبعه الرحمه سجيه

المخففة فعيل بمعنى فاعل والذي احفظه انه بكسرها وتشديد الياء الموفقة كسكيت وسكين
وكذا ضبط في نسخ البخاري انتهى ومن كان يستحيي من كشف عورته ونحوه فهو اشد حياء
من كشف غيره (الحديث) بالنصب اي اقرأ الحديث الذي رواه البخاري عن ابي هريرة
او بذكره وتتمته انه صلى الله عليه وسلم لما كان يكثر الستر ويغتسل وحده قالوا انه انما يفعل
هذا لبرص او ادرة به فذهب مرة ليغتسل ووضع ثوبه على حجر فلما اراد ان يلبسه فر الحجر
وجرى خلفه ويقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى مر على بني اسرائيل فرأوه اكمل الناس
واصحهم بدنا فبرئ مما سمعوه وآذوه به (وقال تعالى عنه) ضمنه معنى حكى فعداه بعن اي
عن موسى عليه السلام فررت منكم لما خفتكم (فوهب لي ربي حكما الآية) اي علما ونبوة
وفراره صلى الله عليه وسلم لما بلغه طلب فرعون له كما هو مشهور (وقال في وصف
جماعة منهم) اي من الانبياء عليهم السلام (اني لكم رسول امين) وقع هذا من نوح
وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام كما حكاه عنهم على وجه الرضاء والتصديق فلا تتوهم
انه مدح لانفسهم فليس مما نحن فيه (وقال) موسى لشعيب عليهما الصلوة والسلام
(ان خير من استأجرت القوي الامين) وقصته معه انه لما سافر من القبط ادخالهم
له بل رجل منهم ومر بماء مدين عليه السلام حالته ان ... طران فراغ الناس ليسقي
غنمهما قال لهما لم تأخرتما فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء فقال اما عندكم بئر
غير هذه فقالتا عندنا بئر مطبق عليها حجر لا يطيق رفعه وكان لا يرفعه الا عشرة
من اشد الرجال فقال اذهبا فارياتيها فاريناها فرفعه وحده وسقى لهما فقالتا له
اذهب معنا الى ابينا يجزيك اجرا على ما فعلت فقال ارشداني للطريق وامشيا خلفي لاني رجل
من ذرية ابراهيم عليه السلام لا احب ان ارى منكما ما لا يحل لي فاخبرتا اباهما بقصته
وقوته في رفعه ذلك الحجر وامانته لاعراضه من النظر لهما فاستأجره على ما قصه الله
تعالى عنه قال البيضاوي الجملة معللة للاولى وللمبالغة جعل خيرا اسما ان معرفة من
حيث لم تقل ان من استأجرته قوي امين بل اي جعله معرفة الطرفين لحصر الخيرية
فيه وتدبر (وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) فوصفهم بالصبر وهو من احسن
الاخلاق والعزم على التصميم على نفاذ الامر والحزم في الشدائد وقد اختلف
في اولي العزم كما مر (وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله اولئك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده) وقد وقع في هذه الآية بحث ذكره الطوفي في تفسيره وهو
انه استدل بهذه الآية على ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من جميع الانبياء
عليهم الصلوة والسلام لان الله تعالى امره بالاقتداء بهداهم جميعا ولا شك في امتثاله
وامتثاله صلى الله تعالى عليه وسلم واداه اي عملا بواسطته جميعا مع ما خص به كان افضل
من كل فرد فرد بالاشتباه ومن المجموع ونقل عن العز بن عبد السلام انه قال انه
افضل من كل واحد منهم لا من المجموع ولا دلالة في الآية عليه قال ولما نقل عنه
هذا قام عليه الناس وبدعوه في هذه المسألة الى ان وصل الى تكفيره * وانا اقول

انا نرى من نسبة مثله للعز والقائل بهذا توهم انه مثل ما لو قسم عشرة دنانير على خمسة رجال واعطى اربعة منهم دينارا دينارا واعطى ستة للخامس فهو يريد على كل واحد منهم لا على المجموع فلا يلزم من زيادته على كل واحد من الجماعة زيادته على الجميع فالآية لا دليل فيها لما ادعوه وهذا انما تم لو لم يثبت له صلى الله تعالى عليه وسلم غير ما جمعهم وهو مقرر ظاهر وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا المحل والهاء في اقتده هاء سكت ثبتت وقفا على القياس ووصلا اجراء له مجرى الوقف وحذفها حمزة وصلا وكسرها هشام اجلاسا وصلا ووصلها ابن ذكوان بها تشبيها لها بهاء الضمير وقيل هذا لا يصح وانما هي ضمير المصدر كقوله هذا سراقة للقرآن يدرسه (فوصفهم باوصاف جمة) اى كثيرة (من الصلاح) ليس المراد بالصلاح المعنى المشهور في قولهم رجل صالح حتى يقال انه ليس بمدح للانبياء عليهم الصلوة والسلام ومن توهمه قال المراد مدح الصفة لا الموصوف كما حقق في شروح الكشاف بل الصلاح صفة جامعة لكل خير فهي ابلغ من غيرها كما فصله السبكي في فتاوية (والهدى والاجتباء) وهو الاصطفاء والاختيار للرسالة (والحكم والنبوة) اى الحكمة او فصل الامر على مقتضى الحق (وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم) وهو اسحق فوصفه بالعلم والحلم وهما امران عظيمان قال الانطاكي كذا في النسخ والذي في القرآن فبشرناه بغلام عليم وبغلام حليم ولو قدم حليم وعطف عليه عليم بان الامر (وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى) قوله (امين) والمراد بالفتنة الاختبار والامتحان يقال فتنت الفضة اذا ادخلتها النار فتنة امرهم باتباعه فعاملته المختبر او المراد انه ابتلاهم كما ابتلى العرب بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فوصفهم الله في هذه الآية بصفات جمة من الكرم والامانة وغيرها (وقال) حكاية عن الذبيح (ستجدني ان شاء الله من الصابرين) على الذبح مسلما لله ولذا سماه الله وفداه (وقال في اسمعيل) عليه الصلوة والسلام (انه كان صادق الوعد الآيتين) صرح باسمعيل مع ان المذكور قبله في حقه اشارة للاختلاف فيه فانه قيل انه اسحق وقيل انه اسمعيل بن حزقيل وهو نبي بعثه الله لقومه فسلخوا رأسه فخيره الله بين تعذيبهم وغيره فاختار العفو والرضى بثوابه والجمهور على انه اسمعيل الذبيح بن ابراهيم وهو رسول نبي وصدق وعده لانه وعد اباه بالصبر على الذبح فوفى بوعده وقدم الرسالة هنا على النبوة لانها أشرف على قول (وقال في موسى عليه الصلوة والسلام انه كان مخلصا) في طاعته لا يقصد بها الا وجه الله والقرب الخ (و) قال (في) شان (سليمان نعم العبد انه اواب) اى مسبح او رجاع الى الله بالتوبة وقيل الاواب المطيع وقيل الرحيم او كثير الصلوة (وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) وهم اسرائيل ابو انبياء بني اسرائيل (اولى الايدى والابصار الى الاخيار) الايدى جمع يد بمعنى القوة والابصار جمع بصر بمعنى بصيرة فانه يطلق على الحاسة الظاهرة وقوتها وعلى القوة الباطنة

المدركة ولا يقال للجارحة بصيرة كما في عمدة الحفاظ ومعنى (اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) جعلناهم خالصين بسبب انهم لا يذكرون الا الدار الآخرة واطلق الدار اشارة الى ان الدنيا ليست بدار مقر بل ممر ومعبر وعند نا للقرب والاخيار جمع خير او خير المشدد بعد التخفيف (و) قال (في داود انه اواب) تقدم تفسيره (ثم قال) في حقه (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) اي قويناه لان بني اسرائيل لم تجتمع على ملك غيره وكان يحرس محرابه ثلاثون الف مسلح او قويناه بالعدل والتوفيق له وفصل الخطاب اي الكلام الفاصل بين الحق والباطل وقيل هو اما بعد وهو اول من قالها وقيل هو البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وقيل غير ذلك (وقال عن يوسف) عليه الصلوة والسلام (اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) فال الارض هنا ارض مصر وفي الآية دليل على جواز طلب الحكم لمن وثق بنفسه وتوليه من الكافر وقيل ان فرعون يوسف اسلم وقصة يوسف عليه الصلوة والسلام اشهر من ان تذكر (و) قال (في موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا) وهذه قصته مع الخضر عليهما الصلوة والسلام المشهورة (وقال عن شعيب) عليه الصلوة والسلام (ستجدني ان شاء الله من الصالحين وقال) عنه ايضا (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت) معناه من تتبع ما راهم عنا بهما الصلوة والسلام ارسل الى مدين والايكة وهما امتان وقيل امة واحدة فوصفه الله بالصلاح والاصلاح وانه لا يأمر الا بما عمله وهو خطيب الانبياء عليهم الصلوة والسلام (وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما) فلوط ابن اخي ابراهيم كما تقدم والحكمة والحكم بمعنى هنا (وقال) في حقهم عليهم السلام عموما (انهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية) اي شانهم المبادرة الى فعل انواع الخير وسؤال الله تعالى في الرغبة والرهبة (وقال سفيان) الثوري او ابن عيينة في تفسير هذه الآية (هو الحزن الدائم) فالضمير هو راجع الى الخشوع في قوله وكانوا لنا خاشعين وفي الشرح الجديد يريد ان ما ذكر في الآية من الخيرات هو الحزن الدائم الذي نشأ عن خبرات من سلك طريقها فعند وصل الى مقامه ولا يخفى بعده والظاهر هو الاول (في آي) جمع آية (كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم) وهذا ابتداء كلام لا تعلق له بكلام سفيان رحمه الله تعالى اي ما ذكر من الآيات مندرج في آيات كثيرة دالة على كمالهم وليس ما ذكر محيطا بما فيه بل هو بعض منه (وجاء من ذلك) اي من وصف كمالهم عليهم الصلوة والسلام في غير القرآن (في الاحاديث) الصحيحة (كثير كقوله صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي) هذا الحديث في البخاري بدون انما وقوله نبي ابن نبي الى آخره والكريم ليس بمعنى السخاء فانه استعمال طار وانما هو معنى جامع للخير والشرف ومكارم الاخلاق فلم وانما خص يوسف عليه الصلوة والسلام بما ذكر لما جمع الله له مع علو النسب خصلة رابع اربعة

من الانساب من الحسن المفرط والفقه والملك والعلم والحكمة الى غير ذلك
مما لم يجتمع لغيره من الانبياء وفيه التكرار المعدود من المحسنات البديعية كقول
ابراهيم عليه الصلوة والسلام يا ابت لم تعبد الآية كرر يا ابت مبالغة في استعطاف
ابيه والاطراد كقوله تعالى (واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب)
والسجع وهو من المحسنات احيانا واما انكاره لمن خاطبه وقوله اسجع كسجع
الكهان لانه ليس في محله وهو مقام الحكمة وقيل عليه ان ما ذكر ليس من قبيل
التكرير لان كريما ليس معناه واحدا في الحديث وان ما ذكر ليس من قبيل السجع
وليس بشيء لان الكريم مفهومه متحد وان اختلف ماصدق عليه والسجع
مااختلف فاصلته (وفي حديث انس) رضي الله تعالى عنه الذي رواه البخاري
(وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم) فهو من خصائص الانبياء عليهم
الصلوة والسلام ومن ان الخصائص تنقسم الى اقسام فمنها ما اختص به صلى الله
تعالى عليه وسلم دون سائر الناس الانبياء وغيرهم ومنها ما اختص به صلى الله
عليه وسلم دون امته كالجمع بين زوجات فوق الاربع وان جاز لغيره في الشرائع السابقة
ومنها ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الامم كلها وان كان لغيره من الانبياء
كما نحن فيه ولذا كان وضوءه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينتقض بالنوم كما صرح به
الشافعية ومنها ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الامم السابقة وان ائتم
كالتيمم * فان قلت كيف هذا وقد نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عن صلوة الصبح حتى طلعت عليه الشمس ولا يصح ان يكون هذا امرا تعمده لانه
لا يفعل ما فيه ترك للمشروع وان لزمه ذلك من غير قصد له * قلت اجيب عنه
باجوبة * احدها وهو الاصح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حالان حال
لا ينام فيها قلبه وهي الغالب عليه وحال نادرة فيها ينام قلبه * الثاني انه تنام
عينه في نومه مايحس بالبصر لا ما يدرك بالقلب كالحدث والالم ونحوهما ورجح
بعضهم هذا * الثالث ان قلبه لا يستغرق حتى تتعطل احساسه وقد يستغرق لاشتغاله
بوحي كما كان يشاهده اذا نزل عليه الوحي في اليقظة وقيل ان المراد انه لا يستغرق
قلبه حتى لا يدرك الحدث قاله ابن دقيق العيد وهو بعيد قال ابن حجر ومن الاجوبة
الضعيفة ان قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقظان وعلم بخروج الوقت
ولكن تركه تشريعا للامة وفي هذا اشارة الى يقظة قلبه وانه لا يغفل وهذا
من جملة الكمال واسباب الرحمة على امته (وروى) رواه الطبراني عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه (ان سليمان عليه الصلوة والسلام كان مما اعطي من الملك
لا يرفع بصره الى السماء خشوعا وتواضعا لله) وذلك لعظم ما كوشف به من ملائكة الله
استعظاما لهم لا لان الله في جهة وحيز كما يوهم وهكذا كان ابوه داود عليه

الصلوة والسلام كما ذكره الغزالي في الاحياء حياء من الله تعالى اي حياء من ملئكة الله تعالى لقصور عمله عن اعمالهم اى لا يفترون عنها طرفة عين ولا يساوى هذا قوله تعالى (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت) لانه مقام آخر (وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة ويأكل خبز شعير) جمع لذيذة وهو ما يشتهى ويميل له الطبع من المأكولات (واوحى الله اليه يا رأس العابدين) اى اعلاهم ورئيسهم (وابن محجة الزاهدين) اصل المحجة الطريق المسلوك فاستعير لجمعهم ومقصدهم او مقتداهم الذين يأتسون بسنته ومسلكه وفي نسخة محجة وزهده صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينافي ملكه وقدرته بل حقيقة الزهد اعاتم بذلك (وكانت الحجور) جمعها لحقارتها (تعترضه) اى تجى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وتقف مقابلته (وهو راكب (على الريح في جنوده) وعزه سلطانه (فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي) لمقصده (وقيل ليوسف عليه الصلوة والسلام مالك تجوع وانت على خزائن الارض فقال اني اخاف ان اشبع فانسى الجائع) المراد بخزائن الارض المخزون من الاموال والارزاق (وروى ابو هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه البخاري عنه (خفف على داود القرآن) هو مصدر بمعنى القراءة كالغفران والمراد قراءة كتابه وهو الزبور او المقروء وقيل ان اطلاقه هنا مع انه علم لما انزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويطلق على المعنى القائم بذاته تعالى اشتراكا او مجازا على طريق الاستعارة او المجاز المرسل والمراد تخفيفه سرعة قراءته في زمن يسير (فكان يأمر بدوابه فتسرج) وروى بدابته والمراد الجنس المختص به (فيقرأ القرآن قبل ان تسرج) قالوا هذا من بسط الزمان له صلى الله تعالى عليه وسلم او من البركة في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير قال النووى وبلغنا ان من الناس من قرأ اربع ختمات بالليل واربع ختمات بالنهار (ولا يأكل الا من عمل يده) مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم ملك خزائن الارض بيده وكان آدم عليه الصلوة والسلام حراثا ونوح صلى الله تعالى عليه وسلم نجارا وادريس عليه الصلوة والسلام خياطا وموسى صلى الله تعالى عليه وسلم راعيا وفيه دليل على فضل الكسب الحلال وانه لا ينافي توكل الخواص ثم بين عمله بقوله (قال الله تعالى والنا له الحديد) فكان اذا مسه بيده لان كالشمع والعجين من غير نار وضرب (ان اعمل سابغات) اى دروعا طويلة تامة من السبغ وهو السعة (وقدر في السرد) سرده نسجه اى عمله واصل معناه التتابع ومنه سرد الكلام ومعنى تقديره جعل ثقوب طرفي الحلق على قدر المسامير وكون المسامير غير رقيقة وقلق ولا غليظة فيكسر الحلق وقيل ان دروعه عليه الصلوة والسلام كانت بلا مسامير لانه امها لا يقال ان في قوله ان اعمل تفسير به او مصدر به بتقدير الخارق ل

كان سبب تكسبه انه اختفى ودار يسأل الناس عن سيرته فيهم فلقي ملكا في صورة
رجل فسأله عن نفسه فقال له نعم الرجل لو كان لا يأكل من بيت المال واصول المكاسب
الزراعة والتجارة والصناعة وافضلها التجارة وقيل الزراعة لانها اقرب الى التوكل
وقيل صنعة اليد وفوق ذلك الجهاد ومن فضيلة الجهاد والكسب الاشتغال عن البطالة
(وكان) داود عليه الصلوة والسلام (سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت
مال الله) وسببه ما مر ومن هنا يعلم ان السلطان ينبغي ان يكون له ما يكتسبه لئلا يأكل
من بيت المال فان لم يكن له صنعة لا يأكل من بيت المال الا قدر الحاجة والاسراف منه
حرام عليه فالويل كل الويل لسلاطين زماننا الذين يظنون ان بيت المال ليس لاحد
فيه حق غيرهم (وقال عليه الصلوة والسلام) في حديث صحيح رواه الشيخان
الى قوله يفطر يوما الآتي وما بعده سيأتي من نقله (احب الصلوة الى الله صلوة داود
واحب الصيام الى الله صيام داود) ومن ذلك قوله (كان ينام نصف الليل ويقوم
ثلثه وينام سدسه) وتمامه في وقت يتجلى الله فيه ويقول هل من سائل فاعطيه وليس
المراد بقوله ينام سدسه انه ينام الى طلوع الشمس بل الى قبيل الفجر فيستقبل
الصبح بنشاط لاستراحته وهكذا ينبغي لمن يتهجد ولم يتعرض احد لصلوة الامم
السالفة ولا لصلوته صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء وبيان كيفيتهما الا ان السيوطي
رحمه الله تعالى نقل في الخصائص الكبرى انها كانت بغير ركوع ولذا قال تعالى
(يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) (و) كان (يصوم يوما ويفطر يوما)
وفي هذا اشارة الى ان صوم الدهر دون هذا وقد ورد النهي عنه مع ان هذا
اشق منه لان من اعتاد هذا صار طبيعة له لا يعسر وهذا آخر الحديث وقوله
(وكان) اي داود عليه الصلوة والسلام (يلبس الصوف ويفترش الشعر) اي الاخشن
منه لانه خشن يمنع لذة النوم والاستغراق فيه المانع له عن ورده وهذا شعار
الانبياء عليهم الصلوة والسلام والصلحاء (ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد) الملح
ادام بخلاف الرماد فكأنه كان يأتدم به على خلاف المعتاد او يضعه في ادامه لئلا
يلتذ به (ويمزج شرابه بالدموع) لكثرة بكائه وعدم خلوه منه (ولم ير ضاحكا
بعد الخطيئة) وهي تزوجه بامرأة اوريا بعد ما سأله ان ينزل له عنها ففعل وتزوجها
فجاءه ملكان في صورة رجلين يدعيان نعاجا على ما قصه الله تعالى وليست هذه
خطيئة ولكن علو مقامه وزهده يقتضي خلاف ذلك فلذا عوتب عليه وكان
يبكي وقد ذكر الله مدحه وعصمه مما لا يليق عليه (ولا شاخصا) رافعا
وفاتحا (بصره نحو السماء) اي جهة العلو (حياء من ربه) سبحانه وتعالى
كعادة من اذنب فانه يطأطئ بصره (ولم يزل باكيا حزينه) منصوب على الظرفية
اي مدة حزنه صلى الله تعالى عليه وسلم (كلها) تأكيد لما قبله (وقيل بكى حتى

نشف المشب من دموعه) لكثرتها وهذا رواه ابن ابى حاتم عن انس رضى الله تعالى عنه مرفوعا وعن مجاهد وغيره موقوفا (وحتى اتخذت الدموع لخده (٢) اخدودا) هو فى الاصل الشق المستطيل فى الارض استعير لتأثير الدموع فى مجراها اثرا يسيل وبين الخد والاخدود تجنيس اشتقاق (وقيل كان يخرج) من منزله (متنكرا) اى مستخفيا من معرفة الناس (ليتعرف (٣) سيرته) حالة مستأنفة ابان سبب تنكره (فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا لله) لما منحه من السيرة الحسنة والذكر الحسن لا لكن يزداد بمدح الناس له غرورا (وقيل لعيسى عليه الصلوة والسلام) كما خرجه احمد بن حنبل وابن ابى شيبة عن ثابت (لو اتخذت حمارا) لتركبه لتستريح من المشى (قال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار) هذا من زهده وستر حاله ايضا اذ لم يقل انا اتواضع بالمشى وشغله يشغله كسأله يسأله واشغله لغة رديئة (وكان يلبس الشعر) اى ما نسج منه زيادة فى تقشفه وانما كره مالك لبس الصوف لمن يجده سعارا له اظهارا لزهده فان اخفاءه افضل لما فيه من الرياء (ويأكل الشجر) اى اوراقه او المراد به مطلق النبات تجوزا (ولم يكن له بيت) يملكه او يختص به (اينما ادركه النوم) اى وقته (نام) اى نام فى اى مكان جن عليه الليل فيه (وكان احب الاسماء اليه) وفى نسخة الاسامى اى الالفاظ التى ينادى بها (ان يقال له يامسكين (٤)) رغبة فى التواضع لعظمة الله عز وجل وقيل عليه نحن مأمورون بتعظيم الانبياء عليهم الصلوة والسلام وتبجيلهم وتعظيمهم تعظيم لله فلو قال احد لنبى من الانبياء يامسكين كان تحقيرا له وتحقيرهم كفر ومعصية فلا نبى اى من الانبياء ان يرضى به وقد امرنا بتعظيم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا ننادبه باسمه بل لا نجهر له بالقول ولا نرفع اصواتنا عنده توقيرا له وحرمته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته كحرمته حيا كما سيأتى بيانه وهذا مما اشترك فيه سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام فكان يجب على امة عيسى عليه الصلوة والسلام ان يوقروه ويجب على عيسى ان لا يرضى بعدم توقيره فان قيل انه فرار من المحبة وقيل مثله لا يطرق عليه محب ولا يحتاج واجيب بحمل هذا على انه ممن لم يؤمن به فكانوا يقصدون بذلك تنفير الناس عن الايمان به واساءته كما وقع مثله من المشركين فى حق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فكان عيسى عليه الصلوة والسلام اذا بلغه ذلك يعجبه احبه واما المؤمنون به فيجب عليهم تعظيمه اوذلك من آمن به اذا سألهم سائل عنه اهو دونما ام فقير فيقولون هو مسكين كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول فى دعائه (اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين) وكما قال ابو العتاهية

اذا اردت شريف القوم كلهم * فانظر الى ملك فى زى مسكين

والكلام على الفقر والمسكين اشهر من ان يذكر ثم اقول لاوجه للسؤال

---

(٢) فى خده نسخه

(٣) وفى اكثر النسخ يتعرف بدون اللام لمصححه

(٤) وفى نسخ عز الشهاب بدون حرف النداء لمصححه

ولا للجواب اما الاول فلان عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم غلب على امته الرهبانية واظهار المسكنة فيكون فى شرعهم يجوز متساداته وخطابه بمثله من مؤمنيهم وخواص حواريهم وان لم يجز مثله فى شرعنا ولا مايقرب منه واما الثانى فلان جمله من كفارهم اومؤمنيهم فى غيبته لا يصح لان اظهار محبته واجب وقوله يقال وحرف النداء مناد على خلافه وصريح فى عكسه لمن له ادنى فهم وقد روى مامن كلمة كانت تقال لعيسى عليه الصلوة والسلام احب اليه الى آخره (وقيل ان موسى عليه الصلوة والسلام لما ورد ماء مدين) هذا الحديث رواه احمد فى الزهد وابن ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما موقوفا وتقدم ان وروده صلى الله تعالى عليه وسلم لماء مدين كان لمافر من قبط مصر فاتى ابنى شعيب على ذلك الماء وبينه وبين مصر ثمانى مراحل اواكثر فى قصته السالفة المذكورة فى القرآن وكان صلى الله تعالى عليه وسلم حافيا من غير زاد وبه جوع شديد حتى كانت ترى امعاءه و (كانت ترى خضرة البقل)الذى كان يأكله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم يجد غيره والبقل مالبس بشجر من النبات التى لاتسوى ارومته واصوله بعد اخذه وهو معروف (فى بطنه من الهزال) بضم الهاء وزاى معجمة وهو ضعف مذهب اللحم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الحاكم عن ابى سعيد الخدرى وصححه (ولقد كان الانبياء قبلى يبتلى) بالبناء للمفعول ونائبه (احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك) الابتلاء (احب اليهم من العطاء اليكم) لتيقنهم بما اعدالله لهم فى مقابلته وهو ان نعيم الدنيا عدمهم ولفظ الحديث ليس كما ذكره المصنف رحمه الله وهو ماقال ابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قلت يارسول الله من اشد الناس بلاء قال الانبياء قلت ثم من قال العلماء قلت ثم من قال الصالحون كان احدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ويبتلى بالفقر حتى لايجد الاالعباء يلبسها ولاحدهم اشد فرحا بالبلاء من احدنا بالعطاء وهو صحيح على شرط مسلم والمراد مايعطى من السعة فى الدنيا قيل وهويدل على ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام يسلط عليهم القمل ويعرض لهم لانه من الاعراض البشرية الاان ابن الملقن رحمه الله تعالى نقل عن ابن سبع ان القمل لم يكن تؤذيه صلى الله تعالى عليه وسلم تكريما له ونقل بن عبدالبر رحمه الله تعالى فى التمهيد ان نعيم بن حماد ذكر عن ابن المبارك بن فضالة عن الحسن رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقتل القمل فى الصلوة والظاهر ان جسده الشريف لايتولد منه القمل لاعتدال مزاجه الشريف وانما كان يوجد فى ثيابه من الفقراء المجالسين له وكذا سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولوقيل ان ضمير يبتلى فى حديث الحاكم للصالحين كان اقرب انتهى وهذا ينافيه مانقله عن التمهيد وقد تقدم وفيما قاله دليل على صبر الانبياء عليهم الصلوة والسلام وعلو همتهم

فى النظر للآخرة (وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه) المراد به الحيوان المعروف وتجويز ان يراد به الكافر او العدو او الجاهل وان كان صحيحا غير مناسب هنا (اذهب بسلام) اى اذهب مصحوبا بالسلامة (فقيل له فى) شان (ذلك) القول الذى قاله فانه لا ينبغى (فقال اكره ان اعود لسانى النطق بسوء) عملا بقوله تعالى ادفع بالتى هى احسن وترغيبا فى العمل به (وقال مجاهد) كما رواه احمد وابن ابى حاتم (كان طعام يحيى عليه الصلوة والسلام العشب) وهو النبت الذى يخرج بغير زرع وعينه معصومة (وكان يبكى من خشية الله عزوجل) والخشية خوف مع تعظيم (حتى اتخذ الدمع مجرى فى خده) اى صار محل جريانه منخفضا متميزا عن غيره لتأثيره بدوام جريانه فيه (وكان يأكل مع الوحش) اى كان يحيى صلى الله تعالى عليه وسلم يأكل العشب فى القفار الخالية التى يسكنها الوحش او يألفهم فيها ويكون معهم (لئلا يخالط الناس) اى يعاشرهم ويختلط بهم فيشغلونه عن العبادة وذكر الله وماذكر رواه احمد فى الزهد عن الخولانى (وحكى الطبرى عن وهب ان موسى عليه الصلوة والسلام كان يستظل بعريش) هو كل ما يستظل به خيمة كان او خشبا او نباتا مثلا (ويأكل فى نقرة من حجر) بوزن حفرة فلا يأكل فى آنية ويضع طعامه فى الارض (ويكرع فيها) اى يضع مايشربه فى نقرة يكب عليها ويشرب منها بفيه (اذا اراد ان يشرب) واصل معنى الكرع شرب الدابة بفمها من ماء فى الارض وضمير فيها راجع للنقرة المذكورة او لغيرها من جنسها كما تقول اعطيته درهما ونصفه وبه فسر قوله تعالى (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره) (كما تكرع الدابة) اى تشرب بفمها بلا آنية وقيل معنى كرع دخل النهر وصوب رأسه ليشرب (تواضعا لله بما اكرمه من كلامه) اذ كلمه بلا واسطة كما قال وكلم الله موسى تكليما (واخبارهم) اى الانبياء عليهم الصلوة والسلام (فى هذا كله) من النعوت التى تقدمت فى هذا الفصل المعقود لها (مسطورة) فى كتب الحديث والتفسير المعول عليها (وصفاتهم فى الكمال وحسن الاخلاق(٢)) كما تقدم من الصبر والقناعة والتواضع (وحسن الصورة والشمائل) جمع شمأل وهى الخلق والسجية وينبغى ان يراد بالاخلاق القوى الطبيعية وبالشمائل مايشتق عنها من الآثار (معروفة مشهورة) وعبر فى الاولى بانها مسطورة وفى هذه بانها مشهورة تفننا فى العبارة ولان الاولى اخبار يحتاج لتلقيها من الكتب المعتبرة وهذه كمالات لائقة بهم تدرك بالعقل ولكونها مدونة مشهورة غير محتاجة للاعادة ولكن ذكر منها ماذكر ليعلم قدرهم وفضلهم (فلا نطول بها) مع انها معلومة ثم لما كان فى بعض الكتب امورا متعلقة بالانبياء عليهم الصلوة والسلام غير لائقة بهم حذر منها فقال (ولا تلتفت) اى لا تعتبر ولا تعتقد واصل الالتفات لى العنق او انعطاف بالجانب الى طرف ماتريد معرفته

(٢) وجميل الاخلاق نسخه

فتجوز به عما ذكر ومنه الالتفات الذى (الى ماتجده) وتقف عليه (فى كتب بعض جهلة المؤرخين) جمع مؤرخ بالهمزة وقد تبدل واوا وهو المصنف فى التاريخ وهو فن معروف وهو لفظ عربى اصله من الارح مستعار للحادث من ولد البقرة او هو معرب ماه روز وهو سيد جدا واول ماحدث فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه (و) فى كتب بعض (المفسرين مما يخالف ذلك) امثال (هذا) المذكور (فصل قد تيناك اكرمك الله) جملة اعتراضية والخطاب لمن سأله تصنيف هذا الكتاب كما مر اولكل من يقف على كتابه وليس فيه تجريد لمخاطب من نفسه كما قيل ومفعول آتينا مقدر اى مما عرفته وسمعته اومما فيه مقنع بقرينة ماسيأتى (من ذكر الاخلاق الحميدة) اى المحموده الممدوحة وهو بيان لمقدر اولما الآتية بناء على جواز تقدمه (والفضائل الحميدة) اى الكريمة الشريفة (وخصال الكمال العديدة) اى الكثيرة المعدودة وقد تقدم انه قد يفيد الكثرة لان القليل لا يحتاج للعد وقد يراد به القلة والمراد الاول (واريناك) اى اعلمناك واوضحنالك (صحتها له صلى الله عليه وسلم) اى كونها صحيحة فى حقه لا شك فيه (وجلينا) بجيم ولام مفتوحتين ومثناة تحتية ساكنة اى اوضحنا وبينا وفى نسخة جلبنا بباء موحدة اى روينا ونقلنا وفى بعض النسخ حكينا بالكاف بدل اللام والمعنى واحد (من الآثار) جمع اثر وهو ما يبقى من علامات الشئ الدال عليه ويطلق على الحديث وقد يختص بالموقوف وكلام الصحابة رضى الله عنهم ويراد به مطلق الخبر الشامل للحديث المرفوع او الموقوف وكلام الاكابر وهو المراد هنا (ما فيه مقنع) بفتح الميم والنون وبينهما قاف ساكنة مصدر ميمى بمعنى القناعة او هو صفة مشبهة بمعنى مابه القناعة والرضى وفى القاموس يقال شاهد مقنع وقنعان اى مرضى ويكتفى بشهادته وقد قال ابن الحاجب ان مفعلا يكون صفة نحو مركب بمعنى مركوب الا انه نادر وعلى هذا فاذكره هو المقنع نفسه فعدل عنه للمبالغة وهو تجريد كقوله تعالى (لهم فيها دار الخلد) والتجريد يكون بمن وفى والباء وماقيل من ان المراد به الدليل وهذه الآيات والاخبار تتضمن الدليل تضمن اللفظ للمعنى تكلف مذهب لرونق الكلام (والامر اوسع) جملة حالية اى شانه صلى الله تعالى عليه وسلم ومقامه اعظم مما ذكرناه والآثار فان محاسنه لا تطيق العبارات حصرها

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

(فمجال هذا الباب) بفتح الميم والجيم من جال يجول اذا طاف ودار اى محل تجول فيه الافكار حول نعوته وصفاته وهذا الباب عبارة عن خصاله ومحاسنه صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ما يقال فى امره وشانه الذى يحق له (ممتد) اى واسع فكنى عن كثرتها وعظمتها بسعة محلها كما يقال الحماس والمقام العالى عبارة عمن هو فيه ثم بين سعته بقوله (ينقطع دون نفاده الادلاء)

جمع دليل وهو من يتقدم الركب ليهديهم الى الطريق وانقطاع سالك الطريق ان يتحير ويقف دون بلوغ غايتها ففيه استعارة تمثيلية شبه صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق ممتد طويل وشبه العلماء الذين يريدون معرفتها بركب سلكوا طريقا وشبه من يستفيدون منه بها ويهديهم في الطريق وعجزه عن الوقوف على كنهها بمن انقطع ووقف فيها لا يهتدى لسبيله والادلاء جمع دليل كما علمت لا بمعنى الحجة بل بمعنى هادى السابلة كانبياء جمع نبى واصله ادللاء وقيل انه جمع ادلة بمعنى دليل فهو جمع الجمع وليس المعنى ان محاسنه وكمالاته صلى الله تعالى عليه وسلم لو اريد غايتها بالادلة كالآيات والاحاديث واقوال الصحابة لم يكن الا ان يراد بين المقصود منه وضاد بالفاء والدال المهملة بمعنى الذهاب والفناء قال تعالى (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) ولا وجه لتفسيره بفراغه (وبحر علم خصائصه(٢) من اضافة المشبه به للمشبه كلجين الماء وقد تعكس لكنه قليل (لاتكدره الدلاء) جمع دلو وهو ما يؤخذ به الماء من الاديم وعدم تكديره عبارة عن عدم بلوغ آخره لانه اذا بلغه حرك طينه فيتكدر ماؤه وهو ترشيح للتشبيه فان الترشيح لا يختص بالاستعارة من الكدرة خلاف الصفو وفيه اشارة لصحته وكثرته (لكننا اتينا فيه بالمعروف) المشهور الذى يعرفه الناس (مما اكثره فى الصحيح) اى الكتب الصحيحة كالكتب الستة واشار بقوله اكثره الا ان فيه احاديث غير صحيحة اعتمد على شهرتها وذكر ان بعض المصنفين لها اوردها لما فيها من الفضائل كما اشار اليه بقوله (والمشهور من المصنفات) التى لم يلتزم فيها الصحيح (واقتصرنا فى ذلك) الذى اتينا به واريناه اى اكتفينا (بقل من كل) وفى نسخة من اكثر والاصح ماذكرناه والقل بضم القاف وتشديد اللام بمعنى القليل او بمعنى القلة كالذل بمعنى الذلة اى ذكرنا امرا قليلا منه لا كثيرا اودون الجميع لانه لا يمكن الاحاطة به (وغيض من فيض) الغيض بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية والصاد المعجمة من غاض الماء اذا نقص والمراد انه قليل والفيض بفاء ومثناة تحتية وصاد معجمة من فاض الماء اذا تدفق وانسكب والمراد انه كثير وفيه طباق وافتنان (ورأينا) هو من الرأى لا من الرواية اى خطر له خاطر (ان نختم هذه الفصول) اى نجعل خاتمة هذه الفصول التى سبق ذكرها فى هذا الباب (بذكر حديث الحسن) رضى الله تعالى عنه بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه الذى رواه الترمذى فى شمائله واخرجه ابن سعيد والبيهقى والطبرانى ورواه المصنف رحمه الله تعالى عن مشايخه (عن ابى هالة) وهو هند بن ابى هالة الصحابى رضى الله تعالى عنه ربيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ابن خديجة بنت خويلد ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وقد تقدم الكلام عليه وترجمته (نختمه) الضمير للحديث وهو علة لذكره وجعله مسك الختام (من شمائله واوصافه) عطف تفسير

(٢) وفى طالب النسخ وقع هنا زاجر لمعجميه

(كثيرا) معمول جمعه المصدر المضاف لفاعله (وادماجه) اى اشتماله من ادمج الشئ ادا لفه وستره وقيل المراد لاحكامه واتقانه وانه اولى (جملة كافية من سيره وفصائله) معمول الادماج لما فيه من معنى الادخال قال الجوهرى دمج دموجا اذا دخل واستحكم (ونقصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله) اى نبين فى التنبيه ما فى الحديث من غريب اللغة ومايشكل من تركيبه (حدثنا القاضى ابو على الحسين بن محمد الحافظ بقراءتى عليه سنة ثمان وخمسمائة) هو الامام الحافظ ابو على بن سكرة الذى تقدمت ترجمته (قال حدثنا الامام ابو القاسم) التكنية بهذه الكنية جائز ومارد فى حديث تسموا باسمى ولاتكنوا بكنيتى محمول على حيوته صلى الله تعالى عليه وسلم او على الجمع بينهما على مايأتى لما فى ذلك من الخلاف (عبدالله بن طاهر) بطاء مهملة تقدمت ترجمته (التميمى) منسوب لبنى تميم قبيلة مشهوره (قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبدالله بن الحسن النيسابورى) الاديب هو العارف بعلوم الادب الاثنى عشر المشهورة (والشيخ الفقيه ابو عبدالله محمد بن احمد بن الحسن المحمدى) منسوب للمحمدية قرية من قرى تونس وتسمى بهذا الاسم قرى اخر بنواحى مصر وبغداد واليمامة (والقاضى ابو على الحسن بن على بن جعفر الوحشى) بواو مفتوحة وخاء وشين معجمتين نسبة لوخش قرية من اعمال بلخ وقيل بحاء مهملة والصحيح الاول وعليه اقتصر البرهان وهو الحافظ الرحلة الحسن بن على بن محمد بن جعفر البلخى يروى عن جماعة وحدث عنه الخطيب وهو من اقرانه وسمع منه الحسن بن على البلخى سنن ابى داود وهو ثقة ترجمته معروفة الا انه اتهم بالقدر توفى خامس ربيع الاول سنة احدى وسبعين واربعمائة ببلخ وعمره ست وثمانون سنة (قال حدثنا ابو القاسم على بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعى) بضم الخاء المعجمة نسبة لخزاعة قبيلة معروفة قال (انبأنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى) نسبة لشاش بلدة معروفة بماوراء النهر وهو الحافظ الثقة ابو سعيد الهيثم بن كليب بن سريج بن معقل صاحب المسند محدث ماوراء النهر سمع من الترمذى وغيره توفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة قال (انبأنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سوره الحافظ) الامام الترمذى صاحب السنن وسوره بفتح السين المهملة وسكون الواو وراء مهملة كما تقدم (قال حدثنا سفيان بن وكيع) بن الجراح ابو محمد روى عنه اصحاب السنن وله ترجمة فى الميزان توفى سنة سبع واربعين ومائتين (قال حدثنا جميع) بزنة مصغر جمع ضد المفرد (ابن عمر بن عبدالرحمن العجلى) الكوفى وعجل اسم قبيلة بكسر العين المهملة وسكون الجيم (املاء من كتابه) الذى بيده او بيد غيره وهو احد طرق الرواية المقبولة من الثقة المصحح لكتابه ومارواه من سمع الرواية من كتابه الصحيح

(خلافه)

خلافه جافصلوه (قال حدثنا رجل من بنى تميم من ولد ابى هاله زوج خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها يكنى ابا عبد الله) هذا الرجل هو عبد الله بن ابى هالة الذى كان تزوج خديجة قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وهذا الرجل اخرج عنه الترمذى فى شمائله (عن ابن لابى هالة) قال الذهبى وتبعه البرهان ان هذا الرجل لايعرف اسمه فهذا الحديث منقطع لان فيه راويا مجهولا وهالة علم منقول من هالة القمر وهى دارته (عن الحسن بن على بن ابى طالب قال سألت خالى هند بن ابى هالة) لانه اخو فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها لامها (قال القاضى ابو على) بن سكره المتقدم فروى هذا الحديث من طريقين (وقرأت على الشيخ ابى طاهر احمد بن(٢) احمد بن خداداذا الكرخى الباقلانى) وخداداذا بضم الخاء المعجمة وفتح الذال المعجمة والف ودال مهملة والف ثم دال معجمة والف مقصورة كذا ضبطه البرهان وهو معرب خداداد بدالات مهملة ومعناه بالفارسية عطية الله والكرخى بفتح الكاف والراء المهملة ثم جيم منسوب للكرخ اسم بلدة لابى دلف العجلى واسم بلدة بالدينور وبضم فسكون اسم مملكة معروفة والباقلانى بتشديد اللام قال الجوهرى الباقلاء اذا شددت لامها قصرت وان خففت مددت (قال) ابو على (واجازنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون) هو الحافظ المتقدم ترجمته (قالا اخبرنا ابو على الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان) بشين معجمة والف وذال معجمة والف ونون معرب ومعناه بالفارسية السرور (بن حرب) كضد السلم (بن مهران) بكسر الميم (الفارسى) منسوب لفارس ديار العجم (قراءة عليه فاقر به) هو شرط لقبول الرواية عمن قرئ عليه فيقال له اخبركم بهذا فلان عن فلان فيقول نعم اخبرنى به فلذا قيده المصنف رحمه الله تعالى بهذا (قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب المعروف بابن اخى طاهر العلوى) هذا الرجل ترجمه الذهبى فى الميزان ونسبه كاهنا وروى حديث على وذريته يختمون الاوصياء الى يوم القيمة وهذا الحديث يدل على كذبه ورفضه وهو متهم بالكذب ولولا هذا لازدحم الناس عليه لانه معمر توفى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب قال حدثنى على بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين) على هذا هو جعفر بن محمد الصادق روى عن ابيه واخيه موسى روى عنه الترمذى دون اصحاب السنن الا انهم لم يوثقوه وانفرد بالرواية عنه الترمذى (عن اخيه موسى بن جعفر) هو موسى بن جعفر بن محمد الكاظم وهو امام ثقة (عن جعفر بن محمد) هو الصادق وقد تقدم (عن ابيه محمد) هو محمد (بن على) ابو جعفر الباقر (عن على بن الحسين) هو زين العابدين الامام المشهور (قال قال الحسن بن

(٢) ووقع هنا فى بعض النسخ الحسن مصححه

علي) رضي الله تعالى عنهما (واللفظ لهذا السند) يعني اللفظ المذكور مخصوص بالطريق الثاني والسند بالنون بمعنى الاسناد وليس السيد بمثناة تحتية لانه لم يذكر انه رواه عن علي بن الحسين زين العابدين وكذا لم يذكر انه رواه احد مع الحسن هو ابن علي كما في المقتنى وهذا اسناد شريف لان روايته كلهم من اهل البيت ومثله حديث صفة الصلوة حتى نقل التلمساني رحمه الله تعالى انه اذا قرئ على مصاب افاق ورجال سنده كلهم معروفون (سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الحلية بمعنى ما يتحلى به الانسان اي بما يرى من وجهه الشريف وبدنه وهي بكسر الحاء المهملة وسكون اللام (وكان وصافا) اي كان فصيحا له خبرة بوصف الناس لحذقه اوكان معروفا بذكر صفات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا ارجو) حال حالية اي راجيا (ان يصف لي منها) اي من حلية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (شيئا) اي مقدارا منها لان جميعها لا تحصى او بعضها لاني المبارة به (اتعلق به) اي احفظه واتمسك به تبركا (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخما مفخما) بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة والمفخم بوزن المكرم والفخم بمعنى العظيم واصل الفخامة العظمة في الاجسام ثم شاعت في المقدار والشرف فان كان المراد الاول وهو الظاهر فالمعنى ان اعضاءه صلى الله تعالى عليه وسلم تامة الخلقة واسعة سمة غير مفرطة كما تقدم في الباب الثاني انه كان واسع الصدر وعينه نجلاء اي واسعة الشق ووجهه الشريف ممتلئ باللحم وان قامته الشريفة غير قصيرة والمراد بكونه مفخما انه كذلك في العيون الناظرة اليه ويحتمل ان يراد بكونه فخما هذا المعنى وان يراد بكونه مفخما انه صلى الله تعالى عليه وسلم مهاب في العيون والصدور مع الجلال (يتلألأ وجهه) اي يضيء ويشرق وهو مأخوذ من اللؤلؤ لصفائه ولمعانه (تلألؤ القمر ليلة البدر) اي فيه نور كنور القمر في ليلة البدر وقد تقدم الكلام فيه وتقديره (اطول من المربوع) وهو الذي بين الطول والقصر كالربعة وقال التلمساني المراد به هنا القصير الذي تحت الربعة لئلا يناقض ما ورد من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه ربعة واصل المربوع الحبل المفتول على اربع طاقات فاستعير لما ذكر انتهى . اقول لا حاجة لما ذكر لصرفه عن ظاهره لان المراد انه يزيد على الربعة زيادة يسيرة لا تخرجه عن كونه ربعة فهذا امر تحقيقي وربعة امر تقريبي فلا منافاة بينهما وانما قال (واقصر من المشذب) بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين المشددة والباء الموحدة وهو المفرط في الطول كالبائن وهو مستعار من النخلة المشذبة وهي التي قطع بعض جريدها والمشذب قطع كالتشذيب (عظيم الهامة) بالهاء وتخفيف الميم وهي الرأس وليس المراد انه مفرطة في الكبر بل كبيرة كبرا يسيرا لان صغرها وافراط كبرها غير ممدوح لدلالته على قلة العقل وقيل الهامة

وسط الرأس وقيل محه ولها معان احر غير مناسبة هنا (رحل الشعر) بكسر الجيم
على وزن حدر والشعر معروف ويجوز فتح عينه وسكونها كاس والمراد ان فيه
تجعدا قايلا وهو من صفاته الممدوحة فيه ويقال لصده قطط وهو الشديد الجعودة
والسبط المسترسل (ان انفرقت عقيقته فرق) انفرق اى صار شعر رأسه فرقتين
والعقيقة الشعر الذى على رأس المولود الذى يخرج عليه حين يولد من عق اذا قطع
لانه يحلق فى اليوم السابع فسمى به شعر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق
المجاز المرسل لاستعمال المقيد فى المطلق وليس استعارة تحقيقية كما قيل ومعنى فرق
ابقاه منفرقا على حاله اذا انفرق بنفسه يقال فرقه فانفرق والفرق والمفرق البياض
الواقع بين شعر الرأس وفى رواية عقيصته بالصاد المهملة بدل عقيقته (والا فلا يجاوز
شعره شحمة اذنه) وفى رواية اذنيه بالتثنية وهما عمنى كما يقال نظرت بعينى اذا نظر
بعينيه وهكذا فى كل عضو كان كذلك كما هو مقرر فى العربية وشحم الاذن ما لان
منهما حيث يعلق القرط وتقدم فى هذا الحديث ما رأيت من ذى لمة فى حلة حمراء
احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان اللمة الشعر الذى يجاوز شحمة
الاذن فاذا وفر شعره صار له اى مايلم بالمنكبين واللمة دون الجمة والوفرة دون اللمة
والجمة اكثر من الوفرة وهى ما سقطت على المنكبين فالوفرة ابلغ منهما اللمة والجمة
ابلغ منهما وفيه كلام تقدم والفرق سنة بخلاف السدل من قدام او خلف ومعنى
قوله والا وان لم يفرق فعلم منه اذا فرق جاوز الشحمة ووصل المنكب واحواله مختلفة
فى الطول ولذا قيل له لمة وجمة (اذا هو وفره) وفى بعض النسخ وفر بدون ضمير والمعروف
رواية الاول كما قال المزى ووفره مخففة ومشددة اى كثرة وقد نقل بعد الحلق وغيره
كما عرفته وهذا اولى من حمل اختلاف الروايات على التقريب (ازهر اللون) سيأتى
معنى الازهر وان معناه ابيض مشرب بحمرة وقد ورد انه ليس بالابيض الامهق
ولا بالادم وبهذا علم ما روى انه كان اسمر ولعله رآه عقيب سفر ونحوه او لم يحققه
لانه لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحدق النظر فى وجهه وفى رواية انه كان ابيض
شديد الوضح والمراد بالوضح البياض وقد يطلق على البرص ولذا سمى جريمة
الابرص الوضاح ويؤيده انه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عنقه كوز فضة
ويأتى كان ساقه جماره وكشف ظهره وكأنه سبيكة فضة وقيل ان سمرته حمرته
ولذا قيل فى الجمع بين الروايات انه كان يميل الى السمرة او البياض لونه وهذا
عرض له بعد ذلك لكثرة اسفاره (واسع الجبين) فى القاموس الجبينان حرفا
الجبهة وجانباها عند الصدغين و بعد الحاجبين والجبهة وسطه او هو جميع ما بين
الصدغين متدحل فيه الجبهة الى قصاص الشعر (ازج الحواجب) ازج افعل
كاحمر والزجج تقوس فى الحواجب مع طول فى طرفه وامتداد بدقة فى طرفيه

واراد بالحواجب الحاجبين وجمع لان اقل الجمع اثنان او لاطلاقه على اجزائه وهما العظمان فوق العينين بلحمهما وشعرهما ويطلق على الشعر وسمى به لانه يحجب الشمس وغيرها عن العين (سوابغ) بالسين والصاد جمع سابغ لانه لما لا يعقل وقيل جمع سابغة وفية اى طوال كاملة (من غير قرن) بفتحتين اى من غير اقتران واتصال لانه غير ممدوح عند العرب وماوقع فى حديث ام معبد من وصف حاجبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرن فيحتمل انه كان بينهما شعر دقيق جدا اذا سافر وعلاه غبار السفر ظن قرنا وماقيل انه بطريق الرأى او انه لاختلاف الرؤية قربا وبعدا او انه حدث له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ذلك بعيد جدا بل لاوجه له (بينهما) اى بين الحاجبين وهذا يدل على ان الجمع فى الحواجب بمعنى المثنى هنا (عرق يدره الغضب) بضم الياء مضارع الادرار من ادر الضرع والسحاب اذا كثر دره وهو لبنه وماؤه فحلب والمراد انه يظهر لغليان الدم بالغضب بعد ماكان خفيا لانه يحدث بعد ان لم يكن وهذا لاينافى ماورد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم حليم لايغضب لانه باعتبار اكثر احواله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه لايغضب لنفسه ولا لاجل امر دنيوى ولكنه قد يشتد غضبه لله اذا انتهكت حرمه وفى ضربه للاعداء كما قال الصرصرى رحمه الله

بجبينه عرق يدر اذا سطا * غضبا على الاقران يوم طعان

والغضب تهييج الحرارة الغريزية فيغلى الدم منها ولذا يحمر الوجه وتنتفخ العروق (اقنى العرنين) القنا فى الانف طوله ودقة ارنبته اى طرفه مع ارتفاع يسير فى وسطه والعرنين بكسر العين الانف اوماصلب منه اوماتحت مجمع الحاجبين وهو اول حيث يكون الشمم والجمع عرانين ويكنى به عن الاشراف لشموخ انفهم وارتفاعه على اقرانه قال

ان العرانين تلقاها محسدة * ولن ترى للئام الناس حسادا

(له نور يعلوه) الضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم وجوزوا ان يعود للعرنين لانه وان كان وجهه كله له نور لكنه اول مايتعلق به ولذا سمى انفا ايضا (يحسبه من لم يتأمله اشم) الشمم فى الانف ارتفاع وسط قصبته مع استواء اعلاه واشراف ارنبته قليلا يعنى ان وسطه فيه استواء مع اعلاه واسفله ولكنه لتلألؤه قد يظن ان فيه ارتفاعا وان فيه ارتفاعا قليلا جدا لايعد شمما والشمم قد يعبر به عن عزة النفس وعدم التنزل للامور وهو مايمدح به كما قال كعب رضى الله عنه

شم العرانين ابطال لبوسهم * من نسج داود فى الهيجا سرابيل

والتأمل اعادة النظر وتكراره ليثبت فيه ويقف على كنهه وهو فى الاصل تفعل من الامل والرجاء لان الانسان لايعيد النظر غالبا الا لما فيه امل فاطلق على لازمه وشاع حتى صار حقيقة فيه وقيل الشمم طول الانف مع سيلانه ودقته والاول اصح واشهر (كث اللحية)

بفتح الكاف وتشديد المثلثة والكث كون اللحية كثيرة الشعر من غير طول ولا دقة شعر ومما اشتهر من قوله من سعادة المرء خفة لحيته لم يثبت انه حديث مع انه قيل انما هو خفة لحيته مثنى لحى وان معناه كثرة تحريكهما بذكر الله اوالمراد عدم طولها (ادعج) اى سواد عينيه شديد مع بياضها ويقال رجل ادعج اى اسود وليس بمراد وسيأتى فيه كلام (سهل الخدين) اى غير مرتفع الوجنة وكثير اللحم فيهما فانه غير محمود وقيل المراد انه طلق منبسط (ضليع الفم) بضاد مفتوحة معجمة اى طويل انشقاق الفم واسعه وهو مما يتمدح به ويوصف صده لدلالته على الفصاحة وليس المراد به عظم الاسنان وتراصها كما قاله التلمسانى وشعراء المولدين يمدحون صغر الفم وهو خطأ منهم اولمعنى آخر لايلتفت اليه كامر (اشنب) بنون بين شين معجمة وباء موحدة اى ذو شنب وهو كما فى النهاية بياض وبريق وصفاء وتحديد فى الاسنان وقيل هو رونقها وماؤها وقيل برد وعذوبة فيها وقيل نقط بيض وتحرير فيها وسئل رؤبة عن قول ذى الرمة

لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثات وفى انيابها شنب

فاخذ حبة رمان وقال هذا هو الشنب اى انه صفاؤه وما فيها كهذا ومن امثال المولدين فاتك الشنب لمن اراد التشبه بمن لايشبهه قال ابن الوكيل رحمه الله تعالى

يابارقا باعالى الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(مفلج الاسنان) تقدم ان الفلج عدم تلاصق الاسنان وهو ابقى للفم واطيب وفى حديث على كرم الله تعالى وجهه افلج الثنايا وهو المراد بالاسنان اوالمراد الثنايا والرباعيات لان تباعد الاسنان كلها معيب وقد تقدم كلام فيه ومفلج مضموم الميم مشدد اللام ويشبه به تقارب الدار مع عدم التلاقى كقوله

مالى به مع قرب دارى لاقى * فهل رأيت ثغره المفلجا

(دقيق المسربة) بميم مفتوحة وسين مهملة ساكنة وراء مهملة مضمومة وباء موحدة مفتوحة تليها هاء وهو شعر كالخيط سائل من الصدر الى السرة ووصفه بالدقة لانه غير عريض ولا متكاثف طويل (كان عنقه جيد دمية) الجيد العنق الا ان السهيلى قال ان العنق يستعمل فى غير المدح والجيد يستعمل فى مقام بخلافه وان قوله تعالى (فى جيدها حبل من مسد) تهكم لجعل الحبل عقدا لها وماهنا على اصل اللغة لاعلى نهج الاستعمال فلا اعتراض عليه والدمية بضم الدال المهملة وسكون الميم وتخفيف المثناة التحتية وهى الصورة من رخام اوعاج والمراد شدة بياضه وطوله ويؤيده ماروى من ان عنقه صلى الله تعالى عليه وسلم كابريق فضة ويشير اليه هنا قوله (فى صفاء الفضة) اى بياضها الخالص وهذا يؤيد مامر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس باسمر واعاشبه بالدمية لان صانعها يبالغ فى تحسينها ولهذا

ضرب بها المثل (معتدل الخلق) بفتح فسكون اى متوسط الخلقة بين الطول والقصر والسمن والهزال والضخامة والصغر فهو متناسب الاعضاء مستقيم فى احسن تقويم (بادنا) اى ضخم البدن غير دقيق الاعضاء صغيرها واردفه بقوله (متماسكا) اى كان اعضاءه تمسك بعضها بعضا لشدة ارتباطه به ومناسبته له وهو منصوب صفة بادنا وروى بالرفع خبر مبتدأ مقدر (سواء البطن والصدر) اى متساويهما لم يرتفع احدهما على الآخر (مشيخ الصدر) بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة بمعنى عريض متسع مع مساواته لبطنه من غير تقاعس وانخفاض فيه وروى بفتح الميم وكسر السين المهملة وهو بمعناه (بعيد ما بين المنكبين) تثنية منكب بفتح الميم وكسر الكاف ونون بينهما وآخره باء موحدة وهو ما بين الكتف والعنق والمراد ببعدها سعتهما وهو اقوى للبدن والبطش وعبر عنه تارة بالبعد وتارة بالعظم والكل واحد وما موصولة (ضخم الكراديس) جمع كردوس وهو رأس العظم او ملتقى كل عظمين كالمرفقين وضخم بمعنى كبير وكل عظم كثير اللحم كردوس (انور المتجرد) اسم مفعول يعنى ماخفى من البدن من التجرد وهو الكشف ورفع الثياب وانور بمعنى نير مشرق او افعل تفضيل لان ماتحت الثياب من البدن لعدم ملاقاته الهواء والشمس ابيض من الاطراف المكشوفة وورد فى وصفه صلى الله عليه وسلم انه اجرد وهو ضد الاشعر فان الشعر كان على اماكن مخصوصة من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين وقال الشريف الغرناطى فى شرح البردة قال بعض الصحابة رأيت ساق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غرز الركاب كانه جمارة يعنى فى بياض اللون والطراوة * فان قلت الوارد فى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم انه ازهر اللون اى مشرب بحمرة وبياض الجمار خالص *قلت يمكن الجمع بان ماتحت الثياب مما لم يباشره الشمس خالص البياض بخلاف غيره انتهى (موصول ما بين اللبة) بفتح اللام وتشديد الباء الموحدة وهى النحر وقيل الصدر وقيل موضع القلادة وما موصولة لا زائدة (والسرة) وهى موضع ما يقطع من المولود والمقطوع سر (بشعر) متعلق بموصول (يجرى كالخط) وهو المسربة السالفة وجريانه امتداده كما جار والخط الطريقة المستطيلة المستقيمة وفى الاصطلاح ما وصل بين نقطتين متقابلتين فكانه جعل اللبة وهى النقرة التى فوق الصدر نقطة والسرة نقطة اخرى والشعر الرقيق بينهما خطا (عارى الثديين) تثنية ثدى بفتح المثلثة وكسرها تذكر وتؤنث وروى الثندوتين بباء مثلثة ونون وهما بمعنى *قال الجوهرى الثدى يكون للرجل والمرأة ووافقه الصاغانى وفى درة الغواص الثدى خاص بالمرأة والذى للرجل ثندوة وهو غير مهموزة كترقوة على فعلوة وهو مغرز الثدى او رأسه فان ضممت همزته وهو فعلوة فيه تفصيل بيناه فى شرح الدرة وعلى ماقاله الحريرى معنا لبعض

اهل العصر صوب بعضهم رواية الشدوتين وزعم ان غيره خطأ لعدم ثبوته فى اللغة وماقيل من انه صحيح على الاستعارة غير صحيح ومعنى عاريهما انه لاشعر عليهما وقيل لالحم عليهما لما سيأتى من انه اشعر الى آخره وفيه نظر لانه لم يذكر فيه انه على ثدييه شعر كما ستسمعه قريبا (ماسوى ذلك) اى ما سوى الشعر الذى بين السرة واللبة وهو بدل من الثديين وفيه نظر وروى ماسوى ذين وهو اظهر (اشعر) اى كثير الشعر فى (الذراعين) بكسر الذال المعجمة مابين المرفق وطرف الاصابع (والمنكبين) تقدم بيانهما (واعالى الصدر طويل الزندين) تثنية زند وهو طرف الذراع المتصل بالكف وطرفاه الكوع وهو رأس الذراع مما يلى الابهام والكرسوع وهو رأسه مما يلى الخنصر وهما العظمان اللذان فى ظاهر الساعد والمراد عظم الذراع فسماه باسم بعضه ولذا وصفه بالطول (رحب الراحة) اى واسع الكف والكف والراحة بمعنى والراحة من الروح وهو الاتساع (شثن) بفتح الشين المعجمة وسكون الثاء المثلثة والنون وهو الضخم الممتلئ لحما ويؤيده انه ورد فى رواية انه ضخم (الكفين والقدمين) وما فى النهاية فى تفسيره من انهما يميلان الى الغلظ والقصر غير مناسب لقوله رحب الراحة وقيل هو الذى فى انامله غلظ بلاقصر وذلك محمود فى الرجال دون النساء لانه اشد للقبض والبطش وقال ابن بطال كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما وهى مع ضخامتها لينة وفى حديث انس رضى الله عنه مامسست حريرا الين من كفه صلى الله تعالى عليه وسلم * وقول الاصمعى الشثن غلظ مع خشونة لم يوافق عليه ولاحاجة لتأويله بانه لامر عارض فى اسفاره وجهاده واستعمال يديه فى مهنة بيته فانه مناف لعده من الحلية وهى الصفات الخلقية فان الذى ارتضاه اهل اللغة انه الضخم ولاينافيه قوله (سائل الاطراف) واسط الكفين اوسط الكفين كما قيل لان المراد بالاطراف الاصابع والكف والقدم مغرسهما فليست داخلة فى معناها ومعنى سائل باللام طويل فكأنه شبهها بعين سائل من بركة لطولها وصفائها وبياضها ولينها لان راحته صلى الله تعالى عليه وسلم تنبع منها الخيرات والمياه كما قلت فى قصيدتى الهمزية

نبع الماء من اصابع كفه * باياد ماغاض فيها المياه
لاتقسها على اصابع نيل * كم لكسر من جبرهن وفاء

(او قال سائن الاطراف) شك من الراوى فى قول ابن ابى هالة انه قال ماتقدم او قال سائن بنون مبدلة من اللام كما يأتى وقالوا جبرين وجبريل واسمعين واسمعيل (وسائر الاطراف) بالراء المهملة مكان اللام ومعناه باقى اوجميع وليس الثانى خطأ كما قاله الحريرى وتبعه فى الشرح الحنفى كما فصلناه فى شرح الدرة وعلى هذا الاخير هو مجرور معطوف على القدمين اى ضخم اطرافه كلها وليس شكه لتقارب الحروف الثلاثة فى الخط والمخرج

كما قيل وقد ضبب في النسخ على قوله ساقى بالنون والصواب اثبات الالفاظ الثلاثة لما سيأتى فى تفسيرها كما قاله فى المقتنى وجاء هذا فى بعض الروايات من غير شك (سبط العصب) سبط بسكون الباء الموحدة وكسرها بمعنى ممتد ليس به تعقد وتثنى كما فى النهاية والعصب وقع فى اصل البرهان بين وصاد مهملتين كما ضبطه ابن الانبارى والذى اتفق عليه ابن الاثير والهروى انه القصب بالقاف لابالعين والمراد بالقصب ساعداه وساقاه وفى الغريبين كل عظم عريض لوح وكل اجوف فيه قصبة وجمعها قصب ويشهد له ان العرب تتمدح به كما قال

فجاءت به سبط العظام كأنما * عمامته بين الرجال لواء

لانه يدل على قوة البدن والشجاعة والعصب بالعين مايشد فى البدن لربط الاعضاء وتحريكها كما بين فى علم التشريح وهو اطناب المفاصل وقيل المراد به ههنا عظام الساقين والساعدين مجازا لما بينهما من المجاورة فتتحد الروايتان وهو بعيد جدا (خمصان الاخمصين) خمصان بضم الخاء المعجمة وفتحها وسكون الميم لابفتحها كما توهمه عبارة القاموس وتبعه بعضهم هنا وبهما ضبط لفظ الشماء ومعناه الضامر البطن وهو هنا بمعنى المتجافى عن الارض اى المرتفع والاخمصين مثنى اخمص بوزن احمر وهو مادخل من باطن القدم ولم يصب الارض لعدم مساواته العقب ومقدم القدم وسمى به لضموره ودخوله ولما كان اخمص القدم قد يطلق على مايلى الارض منها مطلقا اتى بقوله خمصان مضافا اليه ليبين انه على ظاهره وهو المحل المرتفع وليس المراد به المبالغة فى ارتفاعه كما فسره بعضهم هنا بالشديد التجافى لهذا فحمله كاينل الميل وقد قال ابن الاعرابى اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفله فهو احسن فان استوى او ارتفع جدا فهو مذموم فمعنى خمصان الاخمصين انه مرتفع باعتدال وقال البرهان وسيأتى مايأتى هذا من قوله مسيح القدمين قال المازرى فى كتاب توثيق عرى الايمان خمصان الاخمصين متجافى اخمص القدم وهو الموضع الذى لاتناله الارض من وسط القدم وقوله (مسيح القدمين ينبو عنهما الماء) قال المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى اى املسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء وفى حديث ابى هريرة خلافه فيه اذا وطئ بقدميه وطئ بكليهما ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وقد قالوا سمى عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم مسيحا لانه لم يكن له اخمص وقيل معنى مسيح القدمين لالحم عليهما وهو مخالف لقوله شثن القدمين انتهى واقره صاحب المقتفى وفى الشرح الجديد فى النهاية معنى مسيح القدمين انهما ملساوان لينان ليس فيهما التواء واشقاق فاذا اصابهما الماء سال ومر سريعا من جانب الكعب القلبى وقال ابن الحنبلى فى شرح قصيدة الصرصرى النونية ليس المسيح باطن القدمين الذى هو محل الخمصان بل ظاهرهما للملامسة فلاتعارض بين العبارتين * اقول هذا كله خالط منهما وليت شعرى مايقول فى حديث ابى هريرة الذى نقله المازرى

فالاشكال الذى ذكره البرهان غير مندفع اللهم الا ان يقال ان الحمصة فيه قليلة جدا ومعنى ينبو يرتفع والمراد به مفارقة الماء والصابه محارا وانشدوا ها لبعضهم

يارب بالقدم التى اوطأتها * من قاب قوسين المحل الاعظما
وبحرمة القدم التى جعلت لها * كتف المؤيد بالرسالة سلما
ثبت على متن الصراط تكرما * قدمى وكن لى منقذا ومسلما
واجعلهما ذخرى فمن كانا له * ذخرا فليس يخاف قط جهنما

والقدم الاولى قدمه صلى الله عليه وسلم والثانية قدم على رضى الله عنه لما قال له صلى الله عليه وسلم يوم الفتح اصعد لتكسر اصنام الكعبة فصعد على كتفه صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه صاحب الصفوة ومسيح بفتح الميم وكسر السين المهملة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وفى بعض النسخ مشيح بضم الميم وشين معجمة ولم يفسرها وكانها تحريف من النساخ او معناها خفيف المشى (اذا زال زال تقلعا) وروى اذا مشى تقلع اى رفع رجليه رفعا قويا ليتثبت فى مشيه فكأنه يقلع رجليه من الارض فيقارب خطاه من غير احتيال واسراع كما ورد من قوله الآتى كانما يحط من صبب وروى اذا زال زال قلعا بفتح القاف وسكون اللام وكسرها وروى بالضم ايضا (ويخطو تكفأ) اى اذا مد خطاه يميل الى قدامه كمن يتكفى وتكفؤا ان همز ضمت فاؤه كالمصادر الصحيحة مثل تقدم تقدما لان الهمزة حرف صحيح فان ابدلت ياء كسر ما قبلها فقيل تكفيا كتسمى تسميا ونحوه من المصادر المعتلة الآخر (ويمشى هونا) بفتح الهاء اى اذا مشى مشى برفق ولين ووقار كما يأتى لانه ممدوح قال تعالى (ويمشون على الارض هونا) (ذريع المشية) بفتح الدال المعجمة وكسر الميم والذريع الواسع الخطو اى مابين قدميه واسع مع عدم سرعته يساوى مشيه المشى السريع اويفوقه (كانما يحط من صبب) اى ينحدر من مكان عال والمنحدر من عال يكون له سرعة مع سهولة وانما قال كانما لانه ليس منحدرا على الحقيقة وانما هو كالمنحدر فى السرعة والسهولة (واذا التفت التفت جميعا) اى اذا اراد ان يدور (٢) لماجاه او فى حاجته لايلوى عنقه بل ينصرف بجميع بدنه فيقبل جميعا ويدبر جميعا من غير مسارقة نظر فانه خفة وطيش (خافض الطرف) مصدر بمعنى تحريك الجفن ثم صار بمعنى الخفض ضد الرفع والطرف العين وفسر هذا بقوله (نظره فى الارض اطول من نظره فى السماء) يعنى ان نظره لجانب السفل اكثر من نظره فى جانب العلو لخشوعه وحيائه ووقاره وليس هذا مخصوصا بالصلوة والدعاء فانه مكروه فيهما ولاينافى هذا قوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء لان هذا باعتبار الاغلب كما يشعر به لفظ قد (جل نظره الملاحظة) جل بضم الجيم بمعنى المعظم والاكثر والملاحظة النظر باللحظ

(٢) ان ينظر جهته

وهو طرف العين مما يلي الصدغ ومما يلي الانف موق وماق اى ينظر بطرف عينه
تأدبا وحياء (يسوق اصحابه) اى يمشي خلفهم وفى سائقهم ولايدع احدا يمشي خلفه
كما هو عادة المتكبرين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول خلوا ظهرى للملائكة
وفى قوله يسوق اشارة الى انه هو المحرك لهم فاقيل من انه لايتقدم الصغار الكبار الا
اذا ساروا ليلا او خاضوا سيلا ليس على وفق السنة (و يبدأ من لقيه بالسلام) لانه
من السنة ان يسلم الاكبر على الاصغر والسلام دعاء وتحية وهو تحية اهل الجنة كما ورد
فى السنة فهو دعاء بالسلامة واسم من اسمائه تعالى وجوز ارادته هنا بمعنى ان الله
معك ومطلع عليك وابتداؤه سنة لا واجب بالاجماع وفيه قول به ضعيف لايعتد به
ورده فرض كفاية لاعلى كل احد بعينه لان السلام معناه الامان فاذا سلم احد ولم يجب توهم
الشر فيجب دفعه كما قاله الحليمى وهذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم تواضع واللطف
مناسب لما نحن فيه من حسن الخلق قال الحسن رضى الله عنه الراوى لهذا الحديث
(قلت) لخالى هند بن ابى هالة رضى الله تعالى عنه (صف لى منطقه) مصدر
ميمى اى نطقه وكلامه صلى الله تعالى عليه وسلم والنطق هو اللفظ الدال على معنى
واما قول سليمان عليه الصلوة والسلام علمنا منطق الطير وقول الشاعر * افد نطق
اليوم الحمام لتطربا * فاستعير له منزلته افهم سليمان عليه الصلوة والسلام منه معنى
ولادعاء الشعراء شوقه وطربه كما قاله الهروى (قال كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم متواصل الاحزان) هذا مشتمل على الجواب وزيادة فالجواب قوله
الآتى ولايتكلم فى غير حاجة فكأنه قال كان كلامه موجزا قليلا وقيل معناه ان كلامه
لم يكن بفرح وبطر بل بحزن واسف وقال ابن قيم الجوزية قول ابن ابى هالة
متواصل الى آخره لم يثبت عنه وفى سنده مجهول كيف وقد صانه الله عن الحزن
واسبابه ونهاه عنه بقوله لاتحزن وغفر له ما تقدم من ذنبه وماتأخر فلا خوف عليه
ولاحزن فى الدنيا والآخرة فمن اين يأتيه الحزن وقد ورد وصفه صلى الله تعالى
عليه وسلم بانه كان دائم البشر ضحوك السن وقد استعاذ من الهم والحزن وفرق الهم
لما سيأتى والحزن على مامضى وقال ابن تيمية فى حديث ابن ابى هالة انه صلى الله
تعالى عليه وسلم كان كثير الصمت دائم الفكر متواصل الاحزان ليس المراد بالحزن
الالم على فوت مطلوب او حصول مكروه فانه لم يكن من حاله صلى الله تعالى
عليه وسلم وانما المراد به التيقظ لما يستقبل من الامور وهو مشترك بين الهم والغم
انتهى قيل وهو تنزيه عن ذات لانه ليس باختياره وانما نهى عن مقاصى اسبابه كما قيل

ومن سره ان لايرى مايسوءه * فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

انتهى وقال ابن قيم الجوزية فى شرح منازل السائرين ليس الحزن من منازل السالكين ولذا
ورد النهى عنه فقال ولاتهنوا ولاتحزنوا وقد استعاذ منه صلى الله عليه وسلم [illegible]

يسر الشيطان لانه يعتر الحزم ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الآية وهو من المصائب واما خبر ان الله يحب كل قلب حزين فلم يثبت * اقول هذا تطويل بغير طائل وانكار وروده الحديث مردود لانه ثابت كما قاله الحافظ ابن تيمية وغيره واما كونه ليس من المقامات مع كونه غير مسلم كما مر فلا يضر والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان على هيئة الحزين حال سكوته لكثرة افكاره فى امور امته واحوالهم كما يدل عليه قوله (دائم الفكرة ليس له راحة) وكيف لا وقد قاسى صلى الله تعالى عليه وسلم فى التبليغ مالا يوصف واما وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالبشر والتبسم فهو فى حال آخر وهو مخاطبته للناس والنظر فى امورهم (ولا يتكلم فى غير حاجة) له صلى الله تعالى عليه وسلم اولامته كما قال من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (طويل السكوت) عما لايجدى نفعا لكثرة افكاره صلى الله تعالى عليه وسلم ودوام اذكاره (يفتتح الكلام ويختمه باشداقه) جمع شدق بفتح اوله وكسره وسكون داله المهملة وهو جوانب الفم وذلك لسعة فمه الدالة على فصاحته صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وهو مما تتمدح به العرب كما يأتى واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ابغضكم الى الله المتشدقون فمعناه من يتكلف كثرة الكلام بلا احتياط فيه فسقط ماقيل انه من صفة الفم ولامدخل له فى الجوانب (ويتكلم بجوامع الكلم) وهى الكلمات الموجزة المشتملة على الحكم النافعة السائرة مسير الامثال جمع جامعة وتطلق على القرآن (فصلا) بفتح الفاء وسكون الصاد المهملة اى كلاما فاصلا للخصومة وفارقا بين الحق والباطل (لافضول فيه) اى لازيادة فيه على اداء المراد وهو اسم مفرد وقيل انه جمع فضل خص بما ذكر ونقل لمعنى آخر ولذا نسب اليه فقيل فضولى كما فى المعرب (ولا تقصير) فيما يريده بتقليل مخل بالفهم (دمثا) بفتح الدال المهملة وكسر الميم و بالثاء المثلثة من الدماثة وهى سهولة الخلق مستعار من الارض الدمثة وهى ذات الرمل المتلبد اى لين الخلق لطيف المعاملة (ليس بالجافى) اى ليس غليظ الطبع وهو اصل معنى الجفاء اولم يكن يجفو اصحابه (ولاالمهين) روى بضم الميم وفتحها فالاول من الاهانة والميم زائدة اى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يهين احدا من الناس والثانى من المهانة وهى الحقارة والميم اصلية اى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم حقيرا متذللا لاحد من الناس لشرف نفسه وعزتها وهذا وصف لذاته صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل ان يكون وصفا لمنطقه (يعظم النعمة وان دقت) اى يعد كل ما انعم الله به عليه عظيما وان لم يكن كذلك ومعنى دقت صغرت وقلت (لايذم شيئا) اى شيئا يستحق الذم (لم يكن يذم ذواقا) بفتح الذال المعجمة وفتح الواو المخففة والف وقاف فعال مصدر صار بمعنى مايذاق من مأكول ومشروب مما قدم له صلى الله تعالى عليه وسلم من طعامه ونحوه ان اعجبه اكل منه والا كف يده ولايقول

فيه شيئا فلايذمه (ولايمدحه ولايقام لغضبه) من قام اذا ثبت اى لايثبت له احد او من قام بمعنى دام اى لايدوم احد على تحمل غضبه ويقام بضم المثناة التحتية مبنى للمجهول وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغضب لله احيانا وقد ورد مايدل على ذلك (اذا تعرض للحق بشئ) بضم التاء الفوقية والعين وكسر الراء المهملة المشددة والضاد المعجمة اى اذا اعترض احد للحق بمايبطله او يقتضى خلافه و بشئ بالباء الجارة واللام وعامله اما يقام او تعرض (حتى ينتصر له) اى للحق فيؤيده ويبطل خلافه (ولايغضب لنفسه ولاينتصر لها) اى اذا اذاه احد من الاعراب وغيرهم بمايتعلق بنفسه كالاعرابى الذى امسكه صلى الله تعالى عليه وسلم بردائه ولسه والذى قال ان هذه قسمة غير عادلة ونحو ذلك ككلام بعض المنافقين كابى بن سلول رأس المنافقين وما كان يصدر منه (اذا اشار اشار بكفه كلها) اى اذا اشار لشئ خارج الصلوة اشار برفع يده واما فى الصلوة اذا اشار للتوحيد اشار باصبعه السبابة والمسبحة ليفرق بين الاشارتين وله صلى الله تعالى عليه وسلم اشارات اخر نبه عليها بقوله (واذا تعجب قلبها) اى قلب كفه وجعل باطنها نحو السماء وظاهرها للارض وتأنيث الكف لانها مؤنث سماعى وهو اشارة لانقلاب الحال عمايعتاد من غير اظهار للتعجب واستغراب لامر وهذا ممايدل على سكونه صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم خفته وهو امر ممدوح (واذا تحدث افصل بها) فى شرح الدلجى بهمزة وفاء وصاد مهملة ولام والضمير للكف اى وجه كفه من فصل عليها اذا خرج من طريق اوظهر من حجاب قاصدا بها اى بكفه ولم يبينه غيره ووقع فى بعض النسخ اتصل بها اى بمثناة فوقية بدل الفاء وفى حاشية التلمسانى وللحديث يتصل بها اى لايزال يحركها وذلك اثبت لانه قول وفعل انتهى وهذا يدل على ان اتصل بها رواية فى العبارة ثلاثة وجوه افصل واتصل ويتصل والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم فصل حديثه باشارته بيده لجهة من يخاطبه كعادة من يهتم بكلامه فى امر مهم * اقول هذا كلام مع غموضته غير محرر مع مافيه امامادكره الدلجى من انه افصل بهمزة وفاء فتحريف لانه لم يسمع فى هذه المادة مزيد بزنة اكرم فالصواب فصل او اتصل ومعناه انه صلى الله عليه وسلم فصل كلامه باشارته او وصل احدى يديه بالاخرى ثم رأيته فى كتاب النعمة فى الصلوة والسلام على شفيع الامة ذكر هذا الحديث وانه اتصل افتعال من الوصل وهو الصحيح وذكر انه صلى الله عليه وسلم كانت له اشارات مختلفة فيشير بالمسبحة للتوحيد ويجمع كفه لغيره فرقا بينهما وانه كان اذا حدث وصل حديثه بالاشارة بيده توكيدا له والظاهر ان الفاء الآتية فى قوله (فضرب) تفصيلية كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الى آخره ولم يبينوا معناه والظاهر ان المعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشير بجميع كفه اذا كان مع اصحابه على وجه

(متعارف)

متعارف كالاشارة للذهاب والجلوس ونحوه فاذا تحدث وضع ابهـامه على راحته وقت حديثه لتثبيت حديثه اوانتهائه فاعرفه وقوله (بابهامه اليمنى راحته اليسرى) كذا فى اكثر الروايات وفى بعضهـا فضرب براحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى والابهام معروف يذكر ويؤنث وجمعه اباهيم وأباهم قالوا وهذا عادتهم اذا تحدثوا (واذاغضب اعرض) عمن غضب عليه من غير لوم له لشدة حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم (واشاح) بشين معجمة وحاء مهملة بينهما الف قيل معناه صرف وجهه فهو تأكيد لما قبله وقيل معنـاه قبض وجهه وزواه من غير لوم وعقاب وهذا من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يقال كيف ادرج هذا فى صفات المدح فاجاب بان الغرض بيان صفاته صلى الله تعـالى عليه وسلم للسـائل لان المقام يأباه وسيأتى من المصنف تفسيره بما يقارب هذا وقيل ان فى النهاية ان المشيح الحذر او الجـاد فى الامر اوالمقبل عليك المانع لما وراء ظهره وفى حديث سطيح اقبـل على جمل مشيح اى جاد مسرع فيجوز ان يريد احد هذه المعـانى اى حذر من موجب غضبه او حذر فى الامر ليشعر باعراضه عن موجب غضبه اواقبل عليه ليمنع من وراءه من ضرر المغضوب عليه ولا يخفى انه تكلف مخالف لما اختاره المصنف مما هو اظهر هنا (واذافرح) لرؤية مايسره اوسماعه (غض طرفه) اى ارخاه واطرق تباعدا من الاشر والمرح (جل ضحكه التبسم) اى اكثره وقدتقدم بيـانه وقد يضحك صلى الله تعالى عليه وسلم احيانا حتى تبدو نواجذه والتبسم مبادى الضحك (ويفتر) بفتح الياء وسكون الفاء وفتح التاء الفوقية وتشديد الراء المهملة من قولهم افتر ضاحكا اذا ابدى اسنانه قال

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

وهو من فررت الدابة اذا كشفت فمها لتعرف سنها من سنها وذلك هو الفرار بالضم (عن مثل حب الغمام) متعلق بيفتر والغمـام السحاب واحده غمامة كسحابة وحبه هو البرد المعروف لاقطر المطر كما توهم فانه مع عدم مناسبته لايسمى حبا لان الحب الجامد دون السائل وتشبيه اسـنانه صلى الله تعالى عليه وسلم به لصفائه ولمعانه ورطوبته دون جريه حتى يقال انه نوع منه وهو مشهور فى كلامهم كما مر (قال الحسن) بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما (فكتمتها) اى اخفيت صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم التى سمعتها من ابن ابى هالة (الحسين) مفعول ثان لكتم وفى نسخة عن الحسين بن على (زمانا) مدة من الزمان (ثم حدثته) بما سمعته من صفته صلى الله تعـالى عليه وسلم (فوجدته قدسبقنى اليه) اى الى الحديث المعلوم من قوله حدثته اى حفظه قبلى الا انه رواه عن ابيه على رضى الله تعـالى عنهما (فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه ومجلسه)

وفي نسخة وملبسه بدل مجلسه فان كانت الثلاثة مصادر ميمية فظاهر والا بان كان اسم زمان اومكان فالمراد سألته عن حاله في مخرجه ومدخله والمراد خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم للناس ودخول بيته وجلوسه عندهم كما سيأتي وقيل المراد بمجلسه بكسر اللام هيئة جلوسه وانما ذكر استقراء لجميع احواله يعني الحسن انه سمع هذه الصفات من ابن ابي هالة خاله ولم يخبر اخاه بما سمعه منه والحسين لم يسمعها من خاله فلما حدثه بها وجد عنده علما منها من طريق وهي روايته لها عن امير المؤمنين ابيه مع زيادة وانما كتم ذلك عنه مع النهي عن كتمان العلم عن اهله لانه لم يسأله ولم ينحصر علمه فيها ولو كان كذلك دخل في حديث من كتم علما الجمه الله بلجام من نار اوانه كتم عنه كلام ابي هالة الوصاف البليغ دون معناه لعلم اهل البيت بذلك فان الثابت والحديث لهم (وشكله) بفتح اوله اي هيئته في ذلك الحال وبكسره بمعنى الهدى والسمت قاله التلمساني (فلم يدع من ذلك شيئا) اي لم يترك شيئا من احواله الابينه لي (قال الحسين سألت ابي رضي الله تعالى عنه عن دخول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه) اي دخوله منزله ليجتمع باهله لمصالحه وقضاء مآربه وقيلولته (مأذونا له في ذلك) من الله اذنا عاما بحيث يدخل اي بيت من بيوته في اي وقت من غير استئذان من زوجاته رضي الله تعالى عنهن لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايجب عليه القسم وقيل المراد دخوله بيوت الصحابة رضي الله تعالى عنهم وهو بعيد لقوله (فكان اذا اوى) الاصح قصره ويجوز مده (الى منزله جزأ دخوله) اي قسم زمن دخوله لبيته (ثلاثة اجزاء جزأ لله) اي لعبادته والتفكر في ملكوته (وجزأ لاهله) يدبر فيه امورهم ويصلحها ويتلطف بهم (وجزأ لنفسه) من مأكل ومشرب وراحة وغيره مما يليق به لقوله (ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس) اي قسم الزمن الذي جعله لنفسه فجعل قسما منه مخصوصا بذاته واحواله في نفسه وجزأ آخر للناس وسائر الامة وهو في منزله ولايلاقيه فيه الا اهله او خواص اصحابه الذين يؤذن لهم في الدخول عليه وغيرهم لايصل اليه ثمة فلذا قال (فيرد ذلك على العامة بالخاصة) يرد بمعنى يوصل ويعطى كانه لما كان لهم حق في الجملة اخذ منهم ثم رد اليهم وقيل معناه يستعين لانه ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يستعين بالخاصة على العامة وهو بيان لمحصل المعنى وذلك اشارة لما فهم من السياق وهو جزء الناس والعامة من عدا الخاصة التي عرفتها فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعته منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا لم يكن مما ينبغي كتمه عنهم والباء في بالخاصة للسببية وكونها للبدل كقوله * فليت لي بهم قوما اذا ركبوا * بعيد لانه ليس المراد انه يجعل وقت العامة بعد الخاصة وبدلا منه وعلى على ظاهرها وقيل بمعنى الى وروى

بدل يرد يبدل بالمعجمة والمهملة مع ضم الياء المثناة التحتية وفتحها فيهما (ولا يدخر
عنهم شيئا) اى عن المذكورين من العامة والخاصة وقيل عن الداخلين عليه
صلى الله تعالى عليه وسلم والمآل واحد ويدخر بدال مهملة مشددة واصله يذتخر
بدال معجمة وتاء افتعال من الدخر قلبت تاؤه وذاله دالا وفعل به ما علم من كتب
الصرف وكذا امثاله من ادكر ويجوز يذخر بدال معجمة مشددة وخاء (فكان
من سيرته فى جزء الامة) وهو الجزء الذى جعله للناس وافرزه مما كان لنفسه اى كان دأبه
صلى الله عليه وسلم وعادته فى هذا الجزء (ايثار اهل الفضل باذنه) الايثار تقديم
ما يؤثره على غيره والمراد بادنه انه يأذن لهم فى الدخول فى خلوته فى بيته كما مر وما قيل
من ان المراد باهل الفضل اغنياء الصحابة رضى الله تعالى عنهم والفضل زيادة مالهم
على حاجتهم والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يأذن لهم ان يؤثروا بصدقاتهم
اقرباءهم كما وقع لابى طلحة رضى الله تعالى عنه فى شرحاه تكلف اوقعه فيه قوله
(وقسمته على قدر فضلهم فى الدين) فتوهم ان المراد تقسيم المال والعطاء وليس
كذلك وانما معناه قسمة حرثه فى حديثه معهم واشتغاله باحوالهم وقوله فى الدين
لان اكرمهم عند الله اتقاهم فتفاوتهم عنده بذلك لا بالنسب والمال وفى بعض النسخ
وقسمه بدون تاء ثم بين سبب تفاوتهم بقوله (منهم ذو الحاجة) الواحدة (ومنهم
ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج) الثلاثة فاكثر (فيتشاغل بهم) اى بقضاء حوائجهم
وارشادهم لما يصلح معاشهم ومعادهم (ويشغلهم) بفتح الياء المثناة التحتية مضارع
شغل واما اشغل فلغة ردية كما مر اى يجعلهم صلى الله عليه وسلم مشغولين بما امرهم به
(فيما اصلحهم) وفى نسخة يصلحهم اى ما فيه صلاحهم (والامة) بالنصب اى واصلح
الامة لتبليغه لهم ما يليق بهم بعد معرفته عليه السلام بحالهم (من مسئلته عنهم) وهو
بيان لما اى سؤاله عن احوالهم وروى مسألتهم اى الخاصة ذوى الفضل (واخبارهم)
اى اخبار ذوى الفضل (بالذى ينبغى لهم) اى يليق ويناسب حال المسئول عنهم من الامة
وهو مطاوع بغى بمعنى طلب قال الراغب اذا قيل ينبغى ان يكون كذا فهو على وجهين *
احدهما ما يكون مسخرا للفعل نحو النار ينبغى ان تحرق * الثانى الاستيهال نحو فلان
ينبغى ان يعطى لكرمه قال الله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) (ويقول) صلى الله
تعالى عليه وسلم لمن حضر عنده (ليبلغ الشاهد) امر وهو للوجوب فى الامور
الشرعية وهو بتخفيف اللام بقرينة ذكر الابلاغ بعده ويجوز تشديدها
والاول اصح ها والشاهد الحاضر عنده لمقابلته بقوله (الغائب) وهو من لم يكن
حاضرا او موجودا فهو من كبار الصحابة والغائب من صغارهم اوهم الصحابة
والتابعون قيل ويحتمل ان يراد العالم والجاهل واهل الحضر والبادية والسامع
ومن لم يسمع والمسلم والكافر وهذه احتمالات عقلية اوهى تأويلات وتعميم لمفهومه

فتأمل (وابلغونى حاجة من لايستطيع ابلاغى) اى حاجته وروى ابلاغ حاجته وهو تعميم بعد تخصيص للترغيب والحث وبيان لسبب الامر (فانه) اى الامر والشان (من ابلغ سلطانا حاجة من لايستطيع ابلاغها) قيل يريد ان من ابلغ سلطانا حاجة جوزى بهذا الجزاء العظيم فكيف بمن بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والافهو اجل من ان يكون ملكا اوسلطانا وقد قال كما تقدم لست بملك • قلت فيه نظر وقد يقال المراد بالسلطان هنا الامام الاعظم خليفة الله وقد اطلق الفقهاء ذلك عليه كما بيناه فى حكمه بالسلطنة والفتيا والقضاء المذكور فى القواعد للسبكى كما سيأتى وهذا الحديث مستقل رواه الاصبهانى وفى بعض الفاظه اختلاف (ثبت الله قدميه يوم القيمة) على الصراط يوم تزل الاقدام كما ورد مصرحا به فى رواية لابن ابى الدنيا وذلك لانه مشى بقدميه وسعى لحاجة اخيه فهو جزاء من جنس العمل وهو كناية عن نجاته من اهوال الموقف (ولايذكر عنده) اى لايذكر فى مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (الاذلك) الاشارة لجميع ماتقدم من ذكره مصالحهم وسؤاله عن الامة والامر بالتبليغ والحث عليه والترغيب فيه (ولايقبل من احد) بالبناء للفاعل والمفعول (غيره) اى لايرضى كلاما غيرمايكون من هذا القبيل (وقال) اى على رضى الله تعالى عنه فى رواية (فى حديث سفيان بن وكيع) بن الجراح ابو محمد الكوفى وهو امام حافظ روى عنه الترمذى والدارقطنى وغيرهما توفى سنة سبع واربعين ومائتين ووالده امام جليل حافظ رحمه الله تعالى (يدخلون) اى اصحابه رضى الله تعالى عنهم (روادا) بضم الراء المهملة وتشديد الواو والف ودال مهملة جمع رائد واصله من يتقدم القوم المسافرين ليختارلهم منزلا فيه الماء والكلأ فاستعير هنا للطالبين المحتاجين لحاجتهم ومايرشدهم وقيل يجيئون وقت الوصول اليه (٢) وقال التلمسانى ان روادبكسر الراء وتخفيف الواو مصدر رود يرود ويروى لوادا باللام ودال معجمة اى ملتجئين لائذين به (ولايتفرقون) من مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (الاعن دواق) بفتح الدال المعجمة والواو المخففة والف وقاف فعال من الذوق بمعنى المذوق وهوالمأكول فاستعير للعلم الذى يتعلمونه ويحتمل ان يريد حقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عادته ان يطعم شيئا لمن يدخل بيته وعلى هذا جرت عادة السلف الصالحين وحقيقة الذوق كما قاله الراغب وجود الطعم بالفم واصله فيما يقل تناوله وفيه تفصيل ذكرناه فى كتابنا طراز المجالس اى لايتفرقون الاعن علم وادب هو غذاء لارواحهم وسبب لبقائهم (ويخرجون) من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (ادلة (٣) يعنى فقهاء) عالمين بامور الدين اى هداة مرشدين للناس ويهتدى بهم غيرهم فادلة جمع دليل بمعنى هادى او بمعناه المشهور كما يقال فلان حجة الاسلام والصحابة رضى الله تعالى عنهم كلهم مجتهدون خلافا لبعض الحنفية كما فى تحرير ابن الهمام

(٢) وفى حديث على كرم الله وجهه يدخلون روادا ويخرجون ادلة اى هداة مرشدين للناس وسيأتى مثله نسخه

(٣) ادلاء نسخه

(قلت) قائله الحسين لابيه رضى الله تعالى عنهما (فاخبرني عن مخرجه) اى عن حاله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد خروجه من منزله (كيف كان يصنع فيه) بعد خروجه من منزله (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من وضع الظاهر موضع الضمير للاهتمام والتلذذ والتبرك بذكره (يخزن لسانه) بالخاء وضم الزاى المعجمتين والنون اى يصونه ومنه الخزانة لانه لايحب كثرة الكلام قال

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شيء سواه بخزان(٢)

(٢) بخازن نسخه

ولما فيه من المنع عداه بمن فقال (الا بما يعنيهم) وفى نسخة الافيما ويعنى بفتح المثناة التحتية اى يهمهم ويمعهم من جواهر كلمه وزواجر حكمه (ويؤلفهم ولا يفرقهم) اى يجعلهم مؤتلفين به غير متفرقين عنه لمداراتهم ولطفه بهم كما قال الله تعالى (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) او يجعل الله بينهم الفة لحثهم على التحاب والمواخاة بينهم (يكرم كريم كل قوم) كما قال اكرموا عزيز كل قوم لمعرفته صلى الله عليه وسلم بمقادير الناس (ويوليه عليهم) اى يجعله حاكما عليهم فلا يولى احدا من اصحابه غيرهم ولا غيرهم عليهم ولا يولى صغارهم عليهم رعاية لاهلية ذوى الولايات وتحاشيا لاعلاء الاسافل ترغيبا فى الاسلام (ويحذر الناس ويحترس منهم) لان من الحزم سوء الظن وعدم الوثوق بكل احد وقال عمر رضى الله تعالى عنه احتجزوا بسوء الظن وهو من بديع حكمه وليس المراد بالناس جميعهم بل عوامهم بخلاف خواصهم والاحتراز والاحتراس والحذر متقاربة وقيل الاحتراس التحفظ والاحتراز التعوذ والحذر الخوف (من غير ان يطوى) اى يخفى ويمنع استعارة من طى الثياب (عن احد بشره) اى طلاقة وجهه وانبساطه معه تأنيساله وتأليفا لقلبه واذهابا لخوف مهابته (وخلقه) اى حسن خلقه ولم يذكر الحسن اشارة الى انه محمول على الحسن فيه (ويتفقد اصحابه) اى يسأل عمن لم يحضر عنده وفقد من مجالسه وقد يذهب صلى الله تعالى عليه وسلم لمنزله اذا طالت غيبته وتطلبه (ويسأل الناس عما فى الناس) من احوالهم وامورهم ليعلم امرهم فيتدارك ما ينبغى تداركه وينصح من يلزم نصحه وليس هذا من التجسس او الغيبة المنهى عنه بل من سؤال الطبيب لينشفى المريض فاذا اخبروه بحال حسن حمد الله على ذلك (يحسن الحسن ويصوبه) اى يبين حسنه وكونه صوابا ويمدح فاعله ترغيبا له فيه (ويقبح القبيح ويوهنه) بضم اولهما وتشديد ثانيهما والنون او بالياء التحتية من الوهى بمعنى الوهن وهو الضعف اى يقول هو فعل قبيح وضعيف ساقط تنفيرا وتحذيرا ونصحا نافعا والمراد الحسن والقبيح عادة او شرعا وفيه صنعة الطباق (معتدل الامر) اى اموره صلى الله تعالى عليه وسلم كلها معتدلة فلا يبالغ فى تحسين وتقبيح غيره (غير مختلف) اى على سنن

واحد فى جميع اوقاته (لايغفل) عن شئ من احوال الناس (مخافة ان يغفلوا) عما يصلحهم وهو بضم الفاء فيهما (اويملوا) اى يحصل لهم فتور وكسل عن صالح امرهم اذا لم ينبههم عليه ولو ارجع هذا لقوله معتدل الامر لم يبعد و يجمع هذا قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (لكل حال) من احوال الناس (عنده عتاد) بعين مهملة مفتوحة ومثناة فوقية ودال مهملة وهو كالعتيد العدة والحاضر المعد لاصلاحه وتداركه اذا وقع فهو متخلق بقوله رقيب عتيد وقيل اصل العتاد عداد لانه من العدة فابدلت داله تاء هربا من التكرار (ولايقصر عن الحق ولايجاوزه الى غيره) فاذا رأه عمله واذا رأى منكرا ازاله من غير تأخير (الذين يلونه من الناس) اى يقربون منه فى مجلسه ونحوه (خيارهم) اى افضلهم واشرفهم (وافضلهم عنده اعمهم نصيحة) اعم هنا بمعنى اكثر نصيحة او اكثر منصوحا بان ينصح فى كل امر كل احد بارشاده لماهو خيرله ولذا قال عليه السلام الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين فنصيحة الله اخلاصه فى اعتقاده له بمايليق به من توحيده وعبادته مخلصا لوجهه ولكتابه فهم معانيه والعمل بمافيه والنصيحة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الايمان به واجتناب نواهيه وامتثال اوامره ولائمة المسلمين طاعتهم وعدم الخروج عليهم ونصيحته العامة ارشادهم لمصالحهم والنصيح ارادة الخير لمن ينصحه باخلاص وهى كلمة جامعة يقال نصحته ونصحت له (واعظمهم عنده منزلة) اى رتبة وشرفا (احسنهم مواساه) لكل احد لان حذف المتعلق يفيد العموم والمواساة اعطاء من يريد مايريد و بذله له يقال آساه وواساه بواو مبدلة من الهمزة اذاجعله اسوه له (وموازرة) اى اعانة لمن التجأ اليه يقال آزره ووازره اذا اعانه وقواه وساعده من الازر وهو الظهر لان قوة البدن به اومن الوزر وهو الملجأ ومنه الوزير وفى الحديث ما احد عندى اعظم يدا من ابى بكر واسانى بنفسه وماله وهذا يدل على انه افضل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قال الحسين رضى الله تعالى عنه (فسألته) يعنى عليا والده رضى الله عنهما (عن مجلسه) اى عن حاله فى مجلسه خارج بيته مع الناس ومعاملته لهم فيه ولذا ارد فه بقوله (ما (٢) كان يصنع فيه فقال كان (٣) لايقوم) من مجلسه (الاعلى ذكر) لله بحمله صلى الله تعالى عليه وسلم ختام مجلسه فكان اذاقام منه قال * سبحانك اللهم وبحمدك لااله الاانت * فيجعل ذلك علامة لانصرافه عن العامة والذكر بالذال المعجمة اذا اطلق اريد به ذكر الله تعالى وان كان عاما وقال التلمسانى رحمه الله تعالى و قد تهمل داله قليلا فقيل انها لغة وقيل لغة ولادليل لقائله فى نحو هل من مدكر فانه مغالطة (ولايوطن) بضم المثناة التحتية وسكون الواو وكسر الطاء مشددة ومخففة وفتحها مشددة كما فى بعض الشروح وفى بعضها انه بالكسر من اوطنه ووطنه اذا اتخذه

(٢) عما نسخه

(٣) لايجلس ولايقوم نسخه

وطنا (الاماكن) جمع امكن او امكنة جمع مكان فهو جمع الجمع في ميمه خلاف هل هي اصلية اوزائدة (وينهى عن ايطانها) اى اتخاذها وطنا والمراد ملازمة محل مخصوص في غيبته مما ليس بملك كالمسجد وغيره من الاماكن المباحة لان لكل احد حقا فيه والنهي الوارد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو في حق المسجد بان يتخذ مصلى معينا منه ولذا نص الفقهاء على كراهة ارسال السجادة للجامع وفرشها فيه وفي الحديث نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يوطن الرجل المكان بالمسجد قيل وهو عام مخصوص بما لم يتضمن مصلحة كمن الف مكانا للافتاء والتدريس فله ايطانه واقامة غيره منه اذا كان من لا يعرفه يأتي لاستفتائه فيعرفه في مكانه وقوله ايطانها يؤيد ان يوطن مخفف ولا ينبه كما قيل لانه يجوز ان يذكر فعل من باب ويذكر له مصدر اواسم فاعل او مفعول واسم مكان وغيره من باب آخر نحو تبتل اليه تبتيلا وقوله

وداع دعا يا من يجيب الى النداء * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

ويجوز في نحو اجراء مجراه ضم الميم وفتحها وقد تكون المغايرة ابلغ واكثر معنى وهذا مما يدي التنبيه له (واذا انتهى) مشيه قاصدا (الى القوم ٢) الذين يريد الجلوس معهم (جلس حيث ينتهي به المجلس) اى في اى مكان حال منه من غير تصدر على اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وينتهي من النهاية لانه نهاية محل الجالسين فيه (ويأمر) اصحابه (بذلك) تشريعا وتأديبا فعلم ان تحري الصدر مكروه شرعا لما فيه من الكبر والترفع على اصحابه لاسيما اذا لم تطب انفسهم بذلك فيتأذون به فانه قد يحرم كما يفعله علماء السوء في زماننا (ويعطي كل) احد من (جلسائه نصيبه) اى ما يستحقه من ملاطفته ومحاورة سؤاله وبشره صلى الله تعالى عليه وسلم له (حتى لا يحسب) اى يظن (جليسه ان احدا اكرم عليه منه) اى يظن انه اكرم الناس واحبهم عنده لما يرى من لطفه به فهو كقولهم ليس في البلد اعلم منه كما مر تحقيقه فهو غاية لذلك الاعطاء (من جالسه او قاومه في حاجة ٣) اى من جادثه اوقام مع قيامه لعرض حاجته اولغير ذلك فهي مفاعلة من الجلوس والقيام (صابره) اى صبر عليه اوصبر مقدار صبره فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو كل ذلك لاشتمالهم وتطييب قلوبهم فلا يمل حتى يملوا (حتى يكون هو المنصرف عنه) والحصر بتعريف الطرفين في محرهما (من سأله حاجة لم يرده الا بها) اى رده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقضي الحاجة غير خائب (او بميسور من القول) اى اورده بقول لين سهل لا غلظة فيه كوعده وقد تقدم بيانه (قد وسع الناس) بالنصب مفعول وسع (بسطه وخلقه) باضافته لضميره ورفعه على الفاعلية اى عمهم بسطه اى بسط يده صلى الله تعالى عليه وسلم وسماحته اى بشره وطلاقة وجهه وابداء سروره وحسن خلقه فشبهه بمكان متسع رحب واثبت له السعة والبسط بهذا المعنى مسموع وليس

(٢) الى قوم نسخه

(٣) لحاجة نسخه

لغةمولدة كابتوهم كاذكره المصنف رحمه الله فى المشارق وتقدم فى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة منى يبسطنى مايبسطها (فصار لهم ابا) اى بمنزلة الاب فى البر والصلة وقصد الخير وفيه دليل على انه يجوز ان يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم ابو المؤمنين كما يقال لزوجاته رضى الله عنهن امهات المؤمنين ولا ينافيه قوله تعالى (ما كان محمد ابا احد من رجالكم) لان نفى الحقيقة لا ينافى المجاز كما سيأتى (وصاروا عنده فى الحق متقاربين) اى يقرب بعضهم من بعض اذا كانوا على الحق او فى اداء حقوقهم اى فى اصل الحق فلا ينافيه قوله (متفاضلين فيه بالتقوى) اى بحسب مراتبهم فى تقوى الله لقوله تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقيكم) وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (انزلوا الناس منازلهم) وسيأتى فى الرواية الاخرى وصاروا فى الحق سواء فلا ينافيه هذه الرواية ولان بينهم تفاوتا تاما وفى الحديث لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا فان تساووا اهلكوا وصاروا كاسنان المشط ليس فيهم فضلاء او تنافسوا فى الفضائل فانكروا فضل بعضهم على بعض

وما عبر الانسان عن فضل نفسه * كمثل اعتراف الفضل فى كل فاضل

(وفى الرواية الاخرى صاروا عنده فى الحق سواء) كما بيناه (مجلسه مجلس حلم وحياء) اى يظهر فيه حلمه عليهم وحلمهم على غيرهم بحيث لا يستفزهم الغضب وهم مطهرون للحياء لا يرفعون رؤسهم واصواتهم ولا يرتكبون مالا ينبغى قولا وفعلا قيل ولو قدم هذا وادرجه فى جواب السؤال عن مجلسه كان احسن * قلت ما بالعهد من قدم (وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات) احتراما له صلى الله تعالى عليه وسلم ولوقارهم وادبهم (ولا تؤبن فيه الحرم) كالكبر جمع حرمة وهى مالا يحل والمراد النساء لحرمة النظر اليهن ونحوه اى لا تذكرن بسوء من ابنته فابنته اذا ذكرته بما يكره مأخوذ من الابنة والابن وهى عقد فى القسى تعاب بها اى لا تذكر فيه النساء لانه رفث من القول او لا يذكر فيه ما يحرم كالغيبة وسيأتى تفسيره (ولا تنثى فلتاته) بتاء مثناة فوقية مضمومة ونون ومثلثة مقصورة من النثاء وهو ذكر القبيح ضد الثناء بتقديم المثلثة وهذا هو الموافق لما سيأتى وروى ولا ينثى بتقديم المثلثة على النون اى لا تعاد والفلتات بفتحات جمع فلتة بفتح فسكون ويجوز تسكين لام فلتات ويجوز ضم فاء فلتة كما قاله التلمسانى وهى الزلة اى القبيح الذى يقع بغتة والمراد انه لا فلتة فيه حتى يذكر فى مجلس آخر فيعاد ذكرها فهو نفى الشئ بذكر لازمه لانها لو وقعت ذكرت كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * (وهذه الكلمة) اى قوله لا تنثى فلتاته (من غير الروايتين) رواية الحسن عن خاله ورواية الحسين عن ابيه ويجوز ان يراد ظاهره اى ان الفلتة اذا وقعت لا تذكر بل تستر (يتعاطفون بالتقوى) اى يعطف بعضهم على بعض ويشفق عليه ويرحمه بسبب تقوى الله لا لرياء ولا لسمعة ولا خوفا

واتقاء شر فالباء سببية كقوله تعالى (رحماء بينهم) (متواضعين) اى يتواضع بعضهم لبعض لايتكبر احد على احد فيحدمه ويخفض جناحه له (يوقرون فيه) اى فى المجلس (الكبير) سنا (ويرحمون الصغير) شفقة عليه ورأفة وهو مفتوح الصاد ويكسر فى لغة ردية (ويرفدون) بفتح المثناة التحتية وضمها اى يعينون ويواسون يقال رفده يرفده بالكسر وارفده بمعنى (ذا الحاجة) اى كل من كانت له حاجة ومسألة لهم اوله صلى الله تعالى عليه وسلم اعانوه بقضائها اوابلاغها اوالشفاعة ويجوز ان يراد به الفقير المحتاج (ويرحمون الغريب) اى يشفقون عليه ويعطون تأنيسا له وازالة لوحشة غربته قال الحسين (فسألته عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جلسائه فقال كان صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر) اى طلاقة الوجه وبشاشته واظهار السرور فى مجالسه العامة وهذا لاينافى مامر من قوله دائم الاحزان كما مر فتذكره (سهل الخلق) اى خلقه وسجيته السهولة وعدم الشدة فى اقواله وافعاله وقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملة السمحة السهلة (لين الجانب) بتشديد الياء وسكونها اى لاغلظة فيه ولا جفاء متذللا متواضعا (ليس بفظ) اى سيء الخلق (ولا غليظ) اى شديد متوعد لاحد ممسك عنه لطفه ورفده (ولا صخاب) بالصاد والسين اى لايرفع صوته جدا فى خصومة ونحوها (ولا فحاش) اى لايتكلم بقبيح كالشتم (ولا عياب) اى ذاكر العيوب الناس ونقائصهم (ولا مداح) اى لايكثر المدح لغيره ويطريه بمبالغة فوق مافيه وان كان يذكر الحسن والقبيح مما فيه كما مر وذكر هذه بصيغة المبالغة اشارة الى انه قد يصدر قليلها احيانا منه صلى الله تعالى عليه وسلم لمقتضى الحال ومثله لايعاب والمدح انما يذم اذا كان زيادة عن حده لانه كذب ومداهنة واما مدح من يستحق المدح بما فيه اذا لم يلزمه محذور فامر حسن الاترى الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالم لرجح) وقوله لعمر رضى الله عنه (لو لم ابعث لبعثت انت ياعمر) فاى مدح يزيد على هذا لكنه صدق ناش عن بصيرة ولايورثهم ذلك اعجابا ولافتورا ومامن شيء الاوهو ممدوح من وجه مذموم من آخر (يتغافل عما لايشتهى) اى يتغافل عن ماليس بمنكر شرعا لكنه غير مستحسن عادة او طبعا اذ لو كان منكرا شرعا نهى عنه ولم يقر عليه وهذا من مكارم الاخلاق كما قال ابو نواس(٢)

ليس الغبي بسيد فى قومه ＊ لكن سيد قومه المتغابى

(ولا يؤيس منه) قال فى المقتنى يؤيس بضم اوله وسكون الواو وهمزة مكسورة وهى ترسم ياء ويجوز فتحها على انه مبنى للفاعل او المفعول وهو من اليأس ضد الرجاء يعنى اذا سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما لايليق تغافل عنه ولم يرد السائل حتى ييأس اويسن له انه سأل مالايليق فيخجل سائله (وقد ترك نفسه من ثلاث) اى نزهها عنه ومنعها وقيل فيه قلب اى ترك ثلاثا من نفسه (الرياء والاكثار ومالايعنيه) بفتح المثناة التحتية اى يهمه وهى بدل من ثلاث مبينة لها والرياء اظهار

(٢) ابو فراس نسخه

مافيه من الصفات الحميدة والافعال الجميلة للناس حتى يحمدبها ويشيع وهو الشرك الاصغر وهو صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنه بلاشبهة ، فان قلت كونه غير ثابت له امر ظاهر الانتفاء عنه فما الحاجة لذكره * قلت كانه ذكر هذه الجملة الحالية لبيان وجه تغافله عما لايحبه من غير ان يقنط راجيه يعنى انه لم يقل انا لا احب هذا فلذا لم احبك عنه حتى يتوهم انه سيفعله لما فيه من الرياء ولذا قال (وترك الناس من ثلاث) اى ابعدهم عنها او ترك ذكر الناس ونحوه من اجل ثلاث تضمنها قوله (كان لايذم احدا) من الناس يستحق الذم كالمنافقين لعنهم الله (ولا يعيره) بعين مهملة يقال عيره كذا او بكذا اى ذكر مافيه بما هو عار عليه وعيب فيه قد سلف منه فالفرق بينه وبين ماقبله انه اخص منه وليس عينه حتى لاتكون امور الناس المتروكة اربعة كما ذكره التلمسانى رحمه الله تعالى (ولا يطلب عورته) اى لايتجسس عن معايب الناس ويبحث عنها كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل مع المؤلفة قلوبهم واصل العورة الخالى ومايجب ستره كما فى حديث ابى داود يامعشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لاتؤذوا المسلمين ولاتعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته وهذا كما قيل فى المثل كل من عير ابتلى وهذا اذا لم يلزم اظهاره شرعا كالمتجاهر بفسقه ونفاقه وقوله (ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه) صفة اخرى مرتبطة بماقبلها وليست من الثلاث وهذا كنصيحة الامة وارشادهم وتعليم الخير والتبليغ (اذا تكلم اطرق جلساؤه) اى خفضوا رؤسهم تأدبا وانصاتا (كانما على رؤسهم الطير) اى بسكون ووقار من غير طيش وخفة لان الطير لاتقع الا على ساكن وهذا مثل مشهور (واذا سكت تكلموا) فلايقطعون حديثه بحديثهم تأدبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوجيها لفهم مقاله لحرصهم على حفظه مراعاة لعظيم قدره (لايتنازعون عنده الحديث) اى اذا كانوا فى مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم لايديرون الحديث بينهم فيتحدث بعضهم بعضا كما هو جار بين الناس اذا اجتمعوا فى ناد وهذا بيان لقوله تكلموا اوان المراد يتكلمون مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤالهم له ونحوه من مهماتهم لانهم يريدون الحديث بينهم وهذا هو معنى تنازع الحديث فى كلامهم ومن فسره بالتخاصم لاعتراره بظاهر التنازع لم يصب لعدم مناسبته للمقام ولايخفى انه لامعنى لقولك تخاصموا الحديث الابتأويل اى تخاصموا فى الحديث وهو ركيك قال امرىء القيس

فلما تنازعنا الحديث واسمحت * هصرت بغصن ذى شماريخ ميال

قال ابن السيد فى شرح ادب الكاتب تنازعنا الحديث اى تداولناه فحدثتنى مرة وحدثتها اخرى وههنا بحث وهو ان سيبويه قال فى كتابه لاتقول تفاعلت الا وانت تريد فعل اثنين فصاعدا ولايجوز ان يتعدى لمفعول ينصبه وفى تفاعلنا تلفظ بالعين الذى فى فاعلته كتضاربنا وتقاتلنا وقد يجىء تفاعلت

على غير هذا كتقاضيته انتهى فلم يجز تعدى تفاعل لمفعول الا اذا كان لواحد لان تفاعل قد تضمن الفاعل والمفعول الذى كان فى فاعل الاشتراك تقول ضاربنى زيد فتأتى بفاعل ومفعول فاذا قلت تضاربنا لايتعدى لاشتماله على فاعل ومفعول ليس لنا غيره وليس تنازعنا كذلك لان نازع يتعدى لمفعولين تقول نازعته الحديث فاذا قلت تنازعنا لم يكن بد من ذكر المفعول الثانى لان تنازع لم يتضمنه كذا قاله ابن السيد فى المقتضب شرح ادب الكاتب * اقول فى كلام سيبويه حينئذ قصور لانه كان عليه ان يقول ان باب تفاعل بمعناه الاصلى ينقص عن فاعل مفعولا فان كان متعديا لواحد كان لازما وان كان متعديا لاثنين تعدى كما ذكره بعض النحاة فاطلاقه لاينبغى وقد نقل ابن السيد هذا فى محل آخر عن الكوفيين فقال قال ثعلب يقال فلان متعهد ضيعته ولايقال متعاهدها قال ابن درستويه انما انكرها لانها على وزن يتفاعل وهو عند اصحابه لايكون الامن اثنين ولايكون عندهم متعديا لمفعول مثل تقاتلا وتعاملا وهو غلط لان تفاعل قد يكون لواحد ويكون متعديا كقول امرئ القيس

تجاوزت احراسا واهوال معشر * على حراص لو يسرون مقتلى

وجاء تفاعل متعديا لاثنين كقوله فلما تنازعنا الحديث الخ قال الخليل التعاهد والتعهد الاحتفاظ بالشئ واحداث العهد به وقول سيبويه السابق يشبه قول الكوفيين انتهى والتنازع هنا كالتجاذب مجاز بديع كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن قرأ خلفه مالى انازع القرآن (من تكلم عنده) اى فى مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم من الصحابة اوغيرهم (انصتوا له حتى يفرغ) من حديثه وفى بعض النسخ (من كلامه) وانصت يكون لازما بمعنى سكت ومتعديا يقال انصته اذا اسكته (حديثهم حديث اولهم) مبتدأ وخبر او حديثهم فاعل يتفرغ لجمع الضمير وهو من رعايته للمعنى وحديث اولهم بدل منه اى لايقطع كلام من تقدم بكلام آخر ولايخاصم فهذا فى معنى لايتنازعون وهو مرتبط بما قبله فان كان مبتدأ بدليل رواية من كلامه فهو تشبيه اى حديث كل واحد منهم انما هو حديث من قبله يعنى انه لاحديث له معه يقطعه كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم زكوة الجنين زكوة امه وقد خفى هذا على بعض الشراح فعلقوه بانصتوا (يضحك) صلى الله تعالى عليه وسلم (مما يضحكون منه) اى الصحابة رضى الله عنهم (ويتعجب مما يتعجبون) وفى نسخة ويتعجب ممايتعجبون لانه من حسن الصحبة ان يسرك مايسره ويرضيك مايرضيه وهم على نهج واحد وطباعهم سليمة فلايضحكون ويتعجبون من غير مقتض فلايقال انه يلزم من ضحك احد وتعجبه فعل غيره مثله لانه امر طبيعى وهذا فى احيان قليلة فلاينافى قوله السابق كأنما على رؤسهم الطير (ويصبر للغريب على الجفوة) اى الغلظة وتكلمه بما يؤلم (فى المنطق) اى فى تكلمه مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتحليف الاعرابى له صلى الله عليه وسلم

وقوله له آلله ارسلك بهذا وانما قيد بالغريب لانه معذور لانه لا يعرف احواله وهذا من مكارمه ومعاملة كل احد بما يليق به حتى ان كان اصحابه ليستجلبونهم (ويقول) صلى الله عليه وسلم لاصحابه (اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه) بوصل الهمزة وقطعها من رفده وارفده اذا اعانه او اعطاه لان الرفد العطية والارفاد الاعانة وكل منهما قابل هنا (ولا يطلب الثناء) بمعنى يقبله كما ورد في رواية فهو مجاز مرسل او استعارة والثناء الذكر الحسن الجميل والمدح (الامن مكافئ) بالهمزة اختلف في تفسيره اى ممن اتى جزاء على نعمه واحسانه تقدم له منه وقد صرح به في بعض الروايات بقوله عن يد ولا يرد عليه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة عامة مامن احد الا وله عنده يد فالصواب تفسيره بمسلم اى غير متجاوز في المدح مطر لان القرينة قائمة على ان المراد نعمة حادثة خاصة (ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه) اى يجمعه يقال تجوز في الصلوة اذا اسرع وخفف (فيقطعه بانتهاء) اى اتمام لحديثه وبه يقطع الكلام (او قيام) من المجلس لانه انقطع كلامه فمضى لشأنه (هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع) السابق ذكره (وزاد الآخر) اى صاحب الرواية الاخرى (قال) القائل احد السبطين رضي الله تعالى عنهما كما مر (كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر) لما كان الحلم والحذر من جميع الناس معلوما وقد تقدم لم يفسره وقال (فاما تقديره) اى ميسطر مقداره اذا صدر منه او من غيره ممن يقتدى به (ففي تسوية النظر) في الامور ومايترتب عليها من المنافع الدنيوية والاخروية (والاستماع) اى استماع الناس به صلى الله تعالى عليه وسلم او بامورهم فيما بينهم ومعنى الاستماع الانتفاع وقوله (بين الناس) متعلق بالتسوية وهي جعلهم متساوون وليس المراد تساويهم حقيقة بل ان يكون لكل احد مقدار يليق به (واما تفكره ففيما يبقى ويفنى) اى في امور الدنيا الفانية والآخرة الباقية المخلدة * فان قلت كيف يعلم هذا وهو امر مضمر في نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يطلع عليه الا الله * قلت هذا بطريق الاستدلال العقلي والفراسة الصادقة الشاهد لها مايظهر من آثاره ويتعلق به اذا تكلم فان الظاهر عنوان الباطن (وجمع) بالبناء للمفعول اى جمع الله (له) وكذا ماسيأتي بعده (الحلم) باللام اى جمع له سائر جزئيات الحلم المختص كل حليم ببعض منه وفي بعض النسخ الحكم بالكاف وله وجه (في الصبر) اى مع الصبر على امور الناس والامة فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع حلمه صابرا لا يضجر ولا يقلق كما اشار اليه بقوله (فكان لا يغضبه شئ) مما يتعلق به في نفسه وان كان قد يغضب لله (ولا يستفزه ٢) بكسر الفاء وتشديد الزاى المعجمة اى يستخفه بحيث يبدو منه خفة وقلق لامور الدنيا والاعداء (وجمع له في الحذر) اى في حال حذره واحتراسه من الناس او مع ذلك

(٢) وفي بعض النسخ (يستفزه) فيكون حينئذ صفة لشئ قبله ويكون له وجه قاله مصححه (احمد طاهر)

(اربع) نائب الفاعل (آخذه بالحسن) وفي بعض النسخ ترك قوله اربع وهو مرفوع نائب الفاعل اومنصوب معمول لاحله اى تمسكه بكل امر مستحسن مشروع (ليقتدى به) و يتبعه الناس (وتركه القبيح) شرعا و خلاف الاولى (لينتهى عنه) علة للترك اى لينتهى الناس عنه (واجتهاد الرأى) اى اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يراه رأيا (بما اصلح امته) اى فيما يصلحهم او بسببه (والقيام لهم) اى الامة (بما جمع لهم امر الدنيا والآخرة ٢) فى المعاش والمعاد ومعنى القيام التعهد والالتزام والاجتهاد بذل ما فى وسعه وطاقته من اصلاحهم اوهو بمعناه المصطلح بناء على جواز اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اختلاف مذكور فى كتب الاصول قال الابى فى شرح مسلم نقلا عن المصنف لاخلاف انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجتهد فى امور الدنيا ويرجع الى رأى غيره فى ذلك كما فعل فى تلقيح النخل واختلف فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم هل له ان يجتهد فى الشرعيات وهل هو معصوم فى اجتهاده ام لا والصواب انه له ذلك وانه معصوم وتفصيله فى اصول الفقه فلا حاجة للتطويل به ﴿ فصل فى تفسير غريب هذا الحديث ومشكله ﴾ المراد بالغريب ما لم يكن استعماله مشهورا بين العرب بحيث يخفى على غير العرب العرباء الا ان لايكون جاريا على قوانين اللغة كما قيل والمشكل ما لم يكن واضح الدلالة بحيث يحتاج للتأويل (٣ المشذب) بضم الميم وفتح الشين وتشديد الذال المعجمتين المفتوحة والباء الموحدة (اى البائن) اى الظاهر احترازا عما فوق الربعة بقليل (الطول فى نحافة) هى قلة اللحم وضدها الضخامة وقيل الطويل مطلقا (وهو مثل قوله فى الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط) بضم الميم الاولى وفتح الثانية وتشديدها وكسر الغين المعجمة وطاء مهملة واصله منمغط فابدلت النون ميما وادغمت بمعنى الطويل من امغط النهار اذا امتد ويقال بالعين المهملة بمعناه كما فى النهاية وقال التلمسانى بالمعجمة والمهملة والميم الثانية مشددة اومخففة وهو الطول فى نحافة اوالطول الذى ليس بفائق فليس بذم (والشعر الرجل) بفتح الراء المهملة وكسر الجيم من الترجيل وهو تسريح الشعر وتمشيطه والمرجل الذى سرح بمشط والرجل الذى بحاله حالة كما فى الاكمال واليه اشار بقوله (الذى كأنه مشط) بالتخفيف والتشديد (فتكسر قليلا) التكسر التثنى كانه كسر (ليس بسبط) بفتح الباء وكسرها وهو المرسل الذى فيه تثن كما قاله ابن عبد البر (ولا جعد) بفتح فسكون اى كثير الشعر كشعر الزنج وقال المازرى شعر رجل ورجل ورجل بفتح وكسر وسكون وبكسر الراء ثلاث لغات بين السبوطة والجعودة وقيل الذى كانه مشط (والعقيقة) وهى كما تقدم فى الاصل الشعر الذى يولد به الحامل لانه يعق اى يقطع سريعا ومنه العقيقة للطعام الذى يصنع عنده والشاة التى تذبح له (شعر الرأس) واصله كما علمت شعر المولود ثم اطلق على غيره (اراد)

(٢) وفى سائر النسخ غير الشهاب وقع هنا « انتهى الوصف بحمد الله » قاله مصححه (احمد طاهر)

(٣) وفى نسخ المتن وبعض شروحه وقع هنا « قوله » ولعله هو الصواب لان المقام مقام الحكاية على ما لا يخفى قاله مصححه (احمد طاهر)

اى ابن ابى هالة فى وصفه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (ان انفرقت) اما
افرقت (من ذات نفسها) وذات مفحمة تأكيدا لنفسها ان وقع تفرقها من غير
صنع (فرقها) بالتخفيف اى تركها منفرقة غير ملتفة (ولا تركها معقوصة) اى
ان لم تتفرق بنفسها والتفت واجتمعت تركها على حالها والعقص ضفر الشعر
على الرأس وليه وقيل هو لى الخصلة من الشعر ثم عقصها ثم ارسالها وعقص شعره
عقده فى قفاه (ويروى عقيصته) بدل عقيقته وهى الشعر المعقوص اى المضفور
من العقص وهى اللى وادخال اطراف الشعر فى اصوله كما فى المقتنى والمشهور
عقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يعقص شعره وقيل ان هذا كان
فى صدر الاسلام لانه كان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر به شئ وكانوا
يسدلون شعورهم والمشركون يفرقون فسدل صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق
بعد وقال النووى المختار جوازها والفرق افضل (وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن
ومنه زهرة الحيوة الدنيا اى زينتها) من ازهر السراج اذا نوره ومما قلته كما تقدم

من حرصك بالفناء كم تشتغل * والعمر مضى فما يفيد الامل
مازهرة هذه الحيوة الدنيا * للفرك مانمل المنا تحتمل

(وهذا كما قال فى الحديث الآخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو
الناصع) اى الخالص (البياض) والمهق شدة البياض من غير مخالطة حمرة وقيل
مايقرب بياضه من الزرقة ويقال اهمق بتقديم الهاء ايضا وهو من القلب (والادم
الاسمر اللون ومثله فى الحديث الآخر ابيض مشرب) بالتشديد على زنة اسم المفعول
المزيد ويقال مشرب بالتخفيف والتشديد للتكثير والمبالغة والاشراب خلط لون
بلون فكأنه شرب واكثر مايقال فى الحمرة (اى فيه حمرة والحاجب الازج المقوس
الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاسم الطويل قصبة الانف
والقرن) بفتحتين (اتصال شعر الحاجبين وضده البلج) كما تقدم مافيه ولاحاجة
لقول التلمسانى البلج صباحة الوجه فلاينافى مافى حديث ام معبد من وصفه صلى الله
تعالى عليه وسلم بالقرن الذى اشار اليه بقوله (ووقع فى حديث ام معبد وصفه
بالقرن) ورواية مثله عن ابى عبيدة فان المشهور خلافه ويؤيده ان العرب تكرهه
(والادعج الشديد سواد الحدقة) فى الصحاح الدعج شدة سواد العين مع سعتها وكذا
فى غيره (و) هو لاينافى قوله (فى الحديث الآخر اشكل العين واسحر العين) بسين
مهملة وحيم (وهو الذى فى بياضها حمرة) اى اللون الذى فى بياض العين وحمرة
بدل منه بناء على جواز ابدال النكرة من المعرفة او الذى صفة لمقدر وحمرة خبر
آخر وهو ممدوح لانه فى البياض لافى الحدقة وقيل الاشكل طويل شق العين
كما فى المصابيح الا انه غلط فيه كما مر فى الفصل الثانى ومنهم من قال الدعج لغة (٢) زرقة

(٢) لغة نسخة

فى بياض مستدلا بقوله

يارب ان العيون السود مدفتكت * فسا وصالت باسياف من الدعج

اذالسيوف زرق اى مخلوقة من الدعج كقولهم انت مماتفعل وخلق الانسان من عجل على قول وقيل لاحجة فيه لاحتمال انه من الدعج بصفتين على انه تجريد وهو جمع ادعج وتشبيهها بالسيوف فى فتكها لافى لونها فانها يقال لها البيض كما يقال للرماح والزرق انما هى السهام قال امرىء القيس

اتقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كانياب اغوال

(والصايع الواسع والشاب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد فى اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا) الى آخره كما تقدم مافيه وماؤها صفاؤها كما يقال ماء الجمال والماء يستعار للمعان فصابها التمالى فى المصاف والمنسوب وقيل المراد بالماء ريق الفم والمراد بتحريزهما بزائين معجمتين كون اطرافها دقيقة كالسرافات لها (ودقيق المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بادن ذولحم متماسك) اى لاسمين فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن كذلك وهو ممدوح فهو (معتدل الخلق) فى المقتفى هو اشارة لدفع احتمال السمين وكذا قوله (يمسك بعضه بعضا مثل قوله فى الحديث الآخر لم يكن بالمطهم) اى فاحش السمن منتفخ الوجه (ولا بالمكلثم اى ليس بمسترخى اللحم والمكلثم القصير الدقن وسواء البطن والصدر اى مستويهما ومشيح الصدر) بضم الميم والشين المعجمة كما مر (ان صحت هذه اللفظة) فى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم (فيكون من الاقبال) فى صدره (وهو احد معانى اشاح اى انه كان بادى الصدر و) المراد به انه (لم يكن فى صدره قعس) بفتحتين وعين وسين مهملتين بعد قاف (وهو تطامن فيه) اى فى الصدر قيل ان هذا مخالف لقول الجوهرى القعس خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب لان التطامن الانخفاض كقول ابن مالك رحمه الله تعالى فى نظم الكفاية

والميل من ارنبة الانف خنس * وعرض انف مع تطامن فطس

وفى الروض الانف الحدب الخصاء فى الظهر وقد يكون مستعملا فى معنى المحامة اذاقرن بالقعس كقوله

فان حدبوا فاقعس وان هم تقاعسوا * لينتزعوا ماخلف ظهرك فاحدب

قلت وكذا فسره الشراح والظاهر ان مراده عدم الارتفاع قرينة انه ورد انه مستوى البطن والصدر وقد صرح به المصنف فى قوله (وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اى ليس بمتقاعس الصدر ولامفاض البطن) واعجب منه بعدهذا كيف يعترض عليه وكيف يصح تفسيره بغير ماذكر ومفاض بضم الميم وفتح الفاء وآخره صاد معجمة ضخم البطن وقيل مسترخى اللحم وقيل عظيم البطن اوعظيمها مسترخى اللحم (ولعل هذه اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع

في الرواية الاخرى و حكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد) جليل بفتح الجيم بمعنى عظيم (والمشاش) بضم الميم وشينين معجمتين واحده مشاشة وهي رؤس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين وفي الصحاح (رؤس المناكب) اي العظام اللينة التي يمكن مضغها ويقال تمشمشها (والكتد) بفتح الكاف وكسر المثناة الفوقية ويجوز فتحها فسره المصنف بانه (مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف اي طويل الاصابع) وسائل مر الكلام عليه مفصلا (وذكر ابن الانباري) محمد بن قاسم بن بشار اللغوي نسبة للانبار بفتح الهمزة قرية قريبة من الفرات [illegible] الانباري [illegible] او للحديث وهو [illegible] والانبار معربة معناها مخزن [illegible] (انه روي سائل الاطراف [illegible] بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية [illegible] في الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه عليه الصلاة والسلام (كما وقعت مفصلة في الاحاديث [illegible] (٢) عن [illegible] والطول) قوله (خمصان الاخمصين) [illegible] وفسرهما بقوله (اي متجافي [illegible] من القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم) [illegible] والكثير سكونها وضابطه [illegible] كالداس والدواب فالسكون وقد تفتح [illegible] كالدار والراي [illegible] وقال الجوهري وغيره والاول ظرف والثاني اسم [illegible] في امثال هذا الكلام اسم المصدر [illegible] ليس طرفا [illegible] ما وسط منها (ومسيح القدمين اي [illegible] (٣) [illegible] رضي الله تعالى عنه (حارف [illegible] وهذا يوافق معنى قوله [illegible] اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح [illegible] القدمين) اذا غمز [illegible] واما اذا غمز [illegible] ابو عبيدة ان شانهما بمعنى [illegible] هذا وهو سائل الاطراف يشير الى [illegible] في الرجال خلاف النساء ردا لمن زعم انه معيب (٤) [illegible] المشي وقصده والهون [illegible] الله تعالى عليه وسلم كان [illegible] سمته وكل ذلك [illegible] في صفته عليه الصلاة والسلام (بفتح الكاف [illegible] و [illegible] (٧) هذا وقدم

(٢) كني به نسخه

(٣) ولهذا نسخه

(٤) فقد تقدم انه محمود في الرجال دون النساء نسخه

(٦) بالخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة وفسره بقوله آه نسخه من الشهاب

(٧) تقادم نسخه

(بصغر)

بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على
العامة أي جعل من جزء نفسه مايوصل الخاصة اليه فيوصل عنه للعامة وقيل يحمل
منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة و) قوله (يدخلون روادا اي محتاجين اليه وطالبين
لما عنده و) قوله (لاينصرفون الا عن ذواق) مر ضبطه (قيل عن علم يتعلمونه)
منه عليه الصلوة والسلام (ويشبه ان يكون على ظاهره اى فى الغالب والاكثر
والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لايوطن الاماكن اى
لايتخذ للصلوة (٢) موضعا معلوما وقد ورد نهيه) صلى الله عليه وسلم (عن هذا مفسرا
فى غير هذا الحديث وصابره اى حبس نفسه) الشريفة (على مايريد صاحبه و)
قوله (لاتؤبن فيه الحرم) مر ضبطه وفسره هنا بقوله (اى لايذكرن بسوء و)
قوله (لاتثنى فلتاته) تقدم ضبطه وفسره هنا بقوله (اى لايتحدث بها اى لم تكن
فيه فلتة وان كانت من احد سترت و) قوله (يرفدون) ذا الحاجة (يعينون
والسحاب الكثير الصياح و قوله ولايقبل الثناء الامن مكافئ قيل مقتصد فى ثنائه
ومدحه وقيل الامن مسلم وقيل الامن مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له)
اى نعم واليد تطلق على الجارحة وعلى النعم لانها بمنزلة الآلة الفاعلية لها
لصدورها عنها الا انه خولف بينهما فى الجمع فقيل فى الجارحة ايد وفى النعمة ايادي ويدي
بضم المثناة التحتية وكسر الدال المهملة وتشديد الياء كقوله * فان له عندي يديا وانعما *
والاصح انها فى الجمع سواء كما ذكره اهل اللغة بشواهده فلاحاجة للاطالة بذكره
(ويستمره يستحمه وفى حديث آخر فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم منهوس)
بسين مهملة ومعجمة (العقب اى قليل لحمها) اى قليل لحم العقب وقيل بالمعجمة
معناه ناتئ العقبين معروقهما قاله ابن قرقول برمته واول هذين التفسيرين
يوافق كلام المصنف والمراد جنس العقب لاعقب واحد كما قدم مثله وثانيهما
يخالفه لانه اعتبر فيه التوسع فلة اللحم لانه معنى المعروف قليل اللحم كما فى الصحاح
(واهدب) بدال مهملة (الاشفار) بشين معجمة وفاء وراء مهملة وهى حروف
الاجفان التى ينبت عليها الشعر المسمى بالهدب واحدها شفر بضم فسكون
كهدب ويكون مطلق الطرف (اى طويل شعرها) انتهى التفسير والحمد لله
رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين وسلم تسليما كثيرا

﴿ الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ﴾ المراد مارواه الثقات بسند
متصل وسلم من العلة القادحة وقد يطلق على مايشمل الحسن كما فصل
فى مصطلح الحديث والخبر تقدم انه يراد بالحديث وقد يراد به معناه الاعم الشامل له
ولغيره وعلى هذا فالصحيح بمعناه اللغوى وماثبت صدقه فقوله (ومشهورها) انس
من عطف الخاص على العام ومن قال كأنه اراد به قسيما مس وهو مااشتهر بين
المحدثين اوارجع الضمير لصحيح الاخبار وانثه رعاية لمعناه لم لا كتسبه التأنيث

(٢) لصلاة نسخه

من المضاف اليه فلاوجه لتخطئته فيه (بعظيم قدره عند ربه) متعلق بورد والباء للتعدية اوالالصاق (ومنزلته) عطف تفسير والقدر والمنزلة والمرتبة والرتبة بمعنى الشرف (وماخصه به في الدارين) الدنيا والآخرة غلب اطلاقه عليهما (من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لما وكرامته وجلالته وعزته وضمير خصه له اولما وكذابه والباء داخلة على المقصور اوالمقصور عليه وكل منهما جائز بلاخلاف انما اختلافهم في اصله وحقيقته (لاخلاف) اى لاحد من المسلمين بل العقلاء لانعقاد الاجماع عليه ولايعتد بمازعمه بعض اهل الكتاب (انه اكرم البشر) والنوع الانساني وتقديره في انه وحذف الجار في مثله مقيس مطرد (وسيد ولد آدم) السيد من ساد غيره اى فاقه في الشرف والكمال وفي اطلاق السيد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الله وعلى غيره اقوال قال البيهقي في كتاب الاسماء والصفات السيد اسم لله تعالى لم يرد في القرآن وورد في الحديث فمن مطرف انطلقت في وفد بني عامر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلنا انت سيدنا فقال السيد هو الله قلنا وافضلنا فضلا واعظمنا طولا فقال قولوا بقولكم او ببعض قولكم ولايستجرينكم الشيطان * قال الحليمي ومعناه المحتاج اليه بالاطلاق الله فان سيد الناس انما هو رأسهم الذي يرجعون اليه وبامره يعملون وعن رأيه يصدرون ومن قوته يستمدون الى آخره فهذا دليل على اطلاقه على الله ودليل اطلاقه على غيره سواء كان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما في هذا الحديث او غيره كقوله تعالى (والفيا سيدها لدا الباب) فهذا يدل على اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا وهو القول الاصح وحكى عن مالك امتناع اطلاقه على الله تعالى ويطلق على غيره وهو القول الثاني والثالث انه لايطلق الا على الله لحديث السيد الله بالحصر والرابع انه اذا عرف بالالف واللام اختص بالله كما ذكره الدماميني في اول شرح التسهيل وهو انه اذا اطلق على الله فمعناه المحتاج اليه في جميع الامور واذا اطلق على غيره فمعناه الرئيس الذي يتبعه قومه كما فصلناه في شرح اسماء الله الحسنى وقد ورد في الحديث النهي عن تسميته سيدا وهو اما تواضع منه صلى الله تعالى عليه وسلم اوالمراد نهيه عن سيادة دنيوية فلامنافاة بينه وبين هذا واما في الصلوة فاختلف في الافضل فيها هل هو صلى الله على سيدنا محمد اوعلى محمد ولابن حجر كلام فيه في الفتاوى سيأتي في محله والولد يطلق على الواحد الذكر وغيره والمراد سيد آدم وولده ولذا عممه بقوله (وافضل الناس منزلة عند الله) واذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم افضل الناس علم انه افضل الثقلين ولاحاجة الى ان يقال ان الناس يطلق على مايشمل الجن وان ذهب اليه بعض اللغويين في قوله تعالى (قل اعوذ برب الناس) وقالوا قوله تعالى (من الجنة

والناس) بيان له والعرب تقول ناس من الجن وذهب السبكي في فتاويه الى انه يطلق على مايقابل الجن وعلى مايشملهما وانه على الاول اصله اناس من الانس وعلى الثانى من نوس فالناس الاول غير الثانى وهو كلام حسن (واعلاهم درجة) الدرجة واحدة الدرج وهى مواطئ السلم لما يلو ودكره بعد المنزلة فيه لطف لان علو المراقى يقتضى زيادة علو المنازل (واقربهم زلفى) اى قربى وهو تأكيد جده وقيل هو اسم اقيم مقام المصدر المؤكد فهو فى معنى اقربهم تقريبا وليس تمييزا كمنزلة ودرجة (واعلم ان الاحاديث) جمع حديث على خلاف القياس قيل ولا يناسب ان يكون جمع احدوثة لانها تختص بالمضحكات والشر ورد بانها استعمل فى الخير ايضا كقوله

من الخفرات البيض ودحليسها * اذاما انقضت احدوثة اوتعيدها

وقول القاضى فى سورة المؤمنين فى قوله تعالى (وجعلناهم احاديث) ان احاديث اسم جمع للحديث وقد شرطوا فيه ان لا يكون على وزن مختص بالجمع او غالب فيه وصيغة منتهى الجموع لا توجد فى المفردات يدفع بما فى الكشف من ان اسم الجمع يطلق بمعنى آخر وهو ماكان على خلاف القياس كما يقال فى ليال انه اسم جمع وقد علمت ان الحديث مايضاف للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم من اقواله وافعاله وتقريراته وصفاته وسائر احواله فى منامه ويقظته (الواردة فى ذلك) اى فى عظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم (كثيرة جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة وهو معمول مطلق محذوف عامله وجوبا لجريه مجرى الامثال وهو مؤكد لما قبله اى متناه فى الكثرة واصله من الجد بمعنى الاجتهاد لان المراد انه اجتهد فى كثرته وبولغ فيها (وقد اقتصرنا منها) اى من تلك الاحاديث الكثيرة (على صحيحها) الصالح للاعتماد عليه والاحتجاج به (ومشهورها) اى مشهورها (وحصرنا) من حصر الكل فى اجزائه لا الكلى فى جزئياته (معانى ماورد منها فى اثنى عشر فصلا) فيه مسامحة لان الفصول اسم للالفاظ وهى مغايرة المعانى فتحتاج لتقدير مضاف فى الاول او الثانى ﴿الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه﴾ المكانة كالمنزلة علو قدره ويجوز ان يكون من التمكن وهو الثبوت كما يقال له مكنة وتمكن من السلطان اى قرب (والاصطفاء[٢]) اى اختياره صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره وتقديمه (والتفضيل وسيادة ولد آدم) كما مر (وماخصه به فى الدنيا من مزايا الرتب) جمع مزية بزنة عطية وهى الفضيلة اى تقدمه على غيره وفى شرح المفتاح انه لافعل له ويخالفه مافى الاساس من انه يقال تمزت عليه كما مر وفسرها الشريشى بالتمام والكمال (وبركة اسمه الطيب) اى كونه يتبرك باسمه المشهور وهو احمد ومحمد والطيب صفة لا بدل لان الطيب ليس من اسمائه المشهورة وهذا اشارة لما ورد فى الحديث (كل امر لا يبدأ فيه بحمد الله والصلوة على فهو ابتر) اى ممحوق البركة

[٢] وقع فى بعض النسخ هنا " ورفعة الذكر " فيه مصححه احمد طاهر

ذكره السخاوي في شرح الفية الحديث وقال هو وان كان ضعيفا لكنه يذكر في الفضائل (اخبرنا الشيخ ابو محمد عبدالله بن احمد المعدل) لقب به وهو امام حافظ تميمي توفي سنة احدى وخمسمائة (اذنا بلفظه) اراد بالاذن الاجازة بروايته عنه وقال بلفظه لانه لم يكن من كتابه وهو بقرؤ كامر وهذا جائز قال (حدثنا ابو الحسين الفرغاني) بالفاء والراء المهملة والغين المعجمة نسبة لفرغانة بلدة بماوراء النهر وهو الامام علي بن عبدالله المقرى وقع في بعض النسخ الحسن والاصح الاول قال (حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها) قال (حدثنا حاتم وهو ابن عقيل) بفتح العين وكسر القاف وهو ابن المهتدى ابن المرارى اللؤلؤى المشهور (عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني) بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم والف ونون وياء نسبة وهو يحيى بن عبد الحميد بن عبدالرحمن بن ميمون ابو زكريا الكوفي وهو ثقة وضعفه بعضهم وقال انه كذاب وله ترجمة في الميزان قال (حدثنا قيس) بن الربيع ابو محمد الكوفي اختلفوا فيه ايضا فقيل ثقة وقيل ضعيف واخرج له اصحاب السنن توفي سنة خمس او سبع او ثمان وستين ومائة وترجمته في الميزان (عن الاعمش) سليمان بن مهران تقدمت ترجمته (عن عباية بن الربعي) بفتح العين وآخره ياء ويقال عباءة بالهمزة علم منقول من اسم الكساء والربعي بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وعين مهملة وياء نسبة هو من غلاة الشيعة وله ترجمة في الميزان (عن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما وهذا الحديث رواه الطبراني وابو نعيم في الدلائل (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين) قيل هذه قسمة تقديرية في علم الله تعالى وقيل حقيقية كما يدل في قوله (فجعلني من خيرهم قسما) منصوب على التمييز اي من القسم الذي هو خير يعني اصحاب اليمين المشار اليهم في قوله (فذلك) التقسيم ما تضمنه (قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال) لان العرب كانوا تتيمنوا باليمين (فانا من اصحاب اليمين) من تبعيضيه او ابتدائيه (وانا خير اصحاب اليمين) اي اكرمهم وافضلهم (ثم جعل القسمين اثلاثا) اي جعل مجموع القسمين ثلثة اقسام لا كل قسم منهما كما تدل الى الذهن (فجعلني في خيرها ثلثا) وقيل اصحاب اليمين هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب الشمال هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار او هم الذين كانوا عن يمين آدم والذين كانوا عن شماله في عالم الذر او الذين اخذوا من شقه الايمن والايسر او من اعطى كتابه بيمينه وشماله او الذين رآهم في الاسراء عن يمين آدم عليه الصلوة والسلام وشماله (وذلك) اي التقسيم الثلاثي ما تضمنه (قوله فاصحاب الميمنة) اي اليمن او اليمين على انه مصدر ميمي وهم بعض السعداء غير السابقين لثلاثة اجل الاقسام (واصحاب المشئمة) هي كالميسرة على الشمال لان العرب تقول للعضو الشمال شؤمى ومنه الشام لانها

عن شمال الكعبة فى قول او الشامة (والسابقون) وفى بعض النسخ والسابقون السابقون بالتكرير كما فى الآية ولابد من تغايرهما ليفيد الحمل فهو اما كقوله * انا ابو النجم وشعرى شعرى * اى الذين عرفوا بكمال السبق او الاول بمعنى السابقين للايمان والطاعة والثانى بمعنى السابقين الى الجنة ونعيمها وهو احد التفاسير وقيل هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه ويحكمون لغيرهم بما يحكمون به لانفسهم وقيل السابقون للصلوات او التوبة وقيل هم الانبياء عليهم الصلوة والسلام (فانا من السابقين وانا خير السابقين) فهو من اعلى الاقسام لاقسم مستقل حتى تكون القسمة رباعية كما توهم ومن هذا القسم الانبياء عليهم الصلوة والسلام فهو افضل من كل واحد منهم ومن مجموعهم كما تقدم (ثم جعل الا لاب قبائل) اى جعل كل ثلث او مجموعها وهذا اظهر والقبائل جمع قبيلة وهم بنو اب واحد والقبيل بدون هاء الجماعة مطلقا ثلاثة فصاعدا (فجعلنى من خيرها قبيلة وذلك قوله سبحانه وتعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية) والشعوب جمع شعب بالكسر وقيل انما هو بالفتح والذى بالكسر طريق بين جبلين واختلف فى تقسيم الناس فقيل الشعب اكثر من القبيلة وبعدها الفصيل ثم العشيرة ثم الذرية ثم العامة ثم الاسرة وهذا مخصوص بالعرب وقيل هم ست طبقات شعب [illegible] وفصيلة فالشعب الطبقة الاولى وبعدها القبيلة ثم العمارة بكسر العين المهملة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة بالصاد المهملة [illegible] بجمع القبائل [illegible] تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون [illegible] شعب وكنانة قبيلة وقريش [illegible] وهاشم فخذ وعبد المطلب [illegible] الناس [illegible] فى الآية ما يؤذن [illegible] الفصيلة [illegible] لانه [illegible] ولكن شرف الاصل يستلزمه غالبا (فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر) حال حالة اى لااقول هذا فاخرا [illegible] ويايا الامة ما [illegible] عليهم [illegible] تقى كريم على [illegible] عليه [illegible] السلام من [illegible] ان يكون [illegible] اعظم [illegible] ([illegible]) بيوت [illegible] بالبيوت [illegible] الفخذ او الفصيلة لا البطن كما قيل والبيت ساق مجازا عن الحسب والشرف كما فى قوله

[illegible]

وعلى الاصول والاقارب كما يقال هو بيت علم اى من قوم علم وفى اضافته للمكان اثبات لمن فيه بطريق الكناية التى هى ابلغ من التصريح كما قرر فى كتب المعانى (وذلك) اى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم من خير بيت واشرفه مادل عليه (قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) وهذا يدل على مافسرنا به البيت والرجس النجس المستقذر استعير للمعاصى والتطهير ترشيح للمعاصى ومااستعير لها لانها تلوث الاعراض واهل البيت والآل الاقرباء وقول الشيعة انهم على وفاطمة والسبطان وهم اهل الكساء رضى الله تعالى عنهم وادعاؤهم عصمتهم وان اجماعهم حجة استدلالا بهذه الآية ينافيه السياق وفى الآية مبالغة فى شرفهم بليغة لذكر تطهير اعراضهم من دنس المعاصى وهو اخل الذم وتعريف الرجس بلام الاستغراق الدال عليه اطلاقه فى مقام المدح والتعبير بالاذهاب والازالة بالكلية وحذف مفعول يريد للتعميم ليذهب النفس كل مذهب ونصب اهل البيت على المدح والنداء وتعريف البيت العهدى والتعبير بالتطهير الدال على التكثير وتأكيده بالمصدر وسيأتى تتمة لهذا (وعن ابى سلمة) هو ابن عبدالرحمن بن عوف احد الفقهاء السبعة كما تقدم (عن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه عبدالرحمن بن صخر على الاصح من نحو ثلاثين قولا كما تقدم وهذا الحديث رواه الترمذى وصححه وقال انه حسن غريب (قال قالوا) اى بعض الصحابة رضى الله عنهم (يارسول الله متى وجبت لك النبوة) اى فى اى زمان ثبتت لك اذ لايجب على الله شئ (قال وآدم بين الروح والجسد) الجسد والبدن والجسم بمعنى وهذه الجملة حالية من الجواب المقدر لمتى الزمانية اى ثبت لى فى هذه الحال وفى هذا الحديث روايات متعددة صحيحة منها انى عبدالله(٢) لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته ومنها متى استنبأت قال وآدم بين الروح والجسد وفى رواية بين الماء والطين وقال ابن تيمية والزركشى وغيرهما حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وكنت نبيا ولا آدم ولاماء ولاطين لااصل لهما يعنى بهذا اللفظ * قلت ليس معناه انه موضوع كما توهم فانه رواية بالمعنى وهى جائزة لانه بمعنى الحديث السابق ومعنى منجدل ساقط على الجدالة وهى الارض وليس المعنى انه كان نبيا فى علم الله كما قيل لانه لايختص به بل ان الله خلق روحه قبل سائر الارواح وخلع عليها خلعة التشريف بالنبوة اعلاما للملأ الاعلى به واذا كانت النبوة صفة لروحه علم انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته نبى رسول ولايضر انقطاع الاحكام والوحى وقد اكمل دينه وانكار ذلك جهل فاحفظه فانه نفيس جدا وهذا هو المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى خلق نوره قبل ان يخلق آدم عليه الصلوة والسلام باربعة عشر الف عام كما رواه ابن القطان وفى رواية يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه وهذا يؤيد انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل للملائكة كغيرهم فهذا صريح فى ان نبوته صلى الله تعالى

(٢) ه عبدالله » نسخه

عليه وسلم ظهرت في الوجود العيني قبل سوة آدم وعيره وان الملائكة لم تعرف نبيا قبله وانه صلى الله تعالى عليه وسلم النبي المطلق وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام خلفاؤه والشرائع شريعته ظهرت على لسان كل نبي بقدر استعداد اهل زمانه فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اول الانبياء وآخرهم ولا يمكن ان يجرى على شريعته قلم نسخ ولا يكتب على نسخه رسالة حواشي زيادة كما قيل * ابدا حديثي ليس بالمنسوخ الا في الدفاتر * وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم سابق على سائر الانبياء روحا لما مر وجسدا لان مادة جسده صلى الله تعالى عليه وسلم خلقت قبل سائر المواد لما روى ابن الجوزي في الوفاء عن كعب الاحبار انه تعالى لما اراد ان يخلق محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم امر جبريل عليه الصلوة والسلام ان يأتيه بالطينة البيضاء فهبط في ملائكة الفردوس وقبض قبضة من موضع قبره بيضاء نيرة فعجنت بماء التسنيم في معين الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي والسموات والارض حتى عرفته الملائكة قبل ان تعرف آدم عليه الصلوة والسلام اى عرفت روحه وعنصره والبينية في هذا الحديث الظاهر ان المراد بها عدم الطرفين الروح والجسد اى لا روح ولا جسد كما صرح به في الرواية السابقة لا آدم ولا ماء ولا طين لانك اذا قلت مكى بين البصرة والكوفة علم انه ليس بهما فاريد به لازم معناه بطريق الكناية وليس المراد انه قريب منهما كما يقال لون بين البياض والحمرة ومزاج بين الصحة والمرض كما قيل وليس معنى بين الماء والطين انه لم يكن ماء صرفا ولا طينا صرفا لنبو المقام عنه وعدم ملاقاته لما قررناه وقد حققنا هذا المقام بما لم يسبق اليه ولله الحمد (وعن واثلة بن الاسقع) بمثلثة ولام والاسقع بسين مهملة وقاف وعين مهملة الصحابي الجليل القدر من اهل الصفة اسلم رضي الله تعالى عنه ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوجه لتبوك فخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مشاهد الشام وتوفى بدمشق سنة خمس اوست وثمانين وله ثمانون سنة ويكنى ابا محمد وفضائله لا تحصى نفعنا الله ببركاته ورزقنا زيارته وهذا الحديث رواه مسلم وقد تقدم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل) اى اصطفى ابراهيم عليه الصلوة والسلام واختاره من الانبياء لشرفه واصطفى من ولده اى من اولاده اسمعيل عليه الصلوة والسلام فهو افضل من اسحق (واصطفى) اى اختار (من ولد اسمعيل بني كنانة) وهم اربعة النضر وعبد مناف وملاك وملكان وكنانة علم منقول من كنانة السهام وجعبتها قال الشاعر

صاح في العاشقين بالكنانة * رشا في الجفون منه كنانة

(واصطفى من بني كنانة قريشا) وهو النضر بن كنانة وقيل قريش بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وتقدم سبب تسميته قريشا (واصطفى من قريش بني هاشم)

ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب فبنوه مصطفون من قريش (واصطفاني من بني هاشم) بن عبد المطلب (ومن حديث انس رضي الله تعالى عنه) بن مالك بن النضر خادم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودعاله واحاديثه والرواية عنه كثيرة مشهورة جدا وتوفي سنة ثلاث وتسعين وقدجاوز عمره المائة وهذا الحديث والذي بعده اخرجهما الترمذي (انا اكرم ولد آدم) اي اعزهم واشرفهم وتقدم ان لفظ ولد يطلق على الواحد المذكر وغيره (على ربي ولافخر) تقدم معناه (وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما انا اكرم الاولين والآخرين ولافخر) قيل قال فيما مر في حديث انس ومن حديث انس وهنا وفي حديث ابن عباس اشارة الى ان الاول بعض حديث طويل وهذا حديث مستقل وفيه نظر (وعن عائشة رضي الله عنها) كما رواه الطبراني وابو نعيم والبيهقي في الدلائل مسندا (عنه عليه الصلوة والسلام) انه قال (اتاني جبريل) لم يذكر ما اتاه لاجله لان قوله (فقال قلبت) بتشديد اللام بمعنى فتشت وليس المراد به قلبها ظهرا لبطن لم يذكر فيه انه اوحى اليه بهذا (مشارق الارض ومغاربها) جمع مشرق وهو الجهة التي تطلع منها الشمس وجمع مغرب وهو مقابله وجمعهما لان للشمس في كل زمان مشرق او تشرق بعده من درجة غيره وكذلك المغرب واذا افردا فباعتبار الجهة واذا ثنيا فباعتبار المشرق الجنوبي والشمالي ولذا ورد في القرآن بالوجوه الثلاثة كما بيناه في حواشي البيضاوي واختار الجمع هنا لانه انسب للعموم والمراد انه فحص عن جميع اهل الارض مشرقا ومغربا ونظر احوالهم كمالا ونقصا (فلم ار رجلا افضل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) الظاهر ان رأى علمية ونفي الافضلية يدل على نفي المساواة ايضا كما بيناه سابقا (ولم ار بني اب افضل من بني هاشم) الذين هم عشيرته وبيته فهو خيار من خيار (وعن انس رضي الله تعالى عنه) في الحديث الحسن الذي رواه الترمذي وقد تقدم (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتي بالبراق) مبني للمجهول اي اتاه جبريل عليه الصلوة والسلام به ليركبه للاسراء وقدمر ان البراق بالضم على شكل دابة فوق الحمار دون البغل سمي به للمعانه وبريقه اولسرعته كالبرق الخاطف (ليلة اسري به) ظرف لاتي وهي ليلة سبع عشر من رمضان اوسبع وعشرين رجب قبل الهجرة وبعد مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم بخمس سنين اوبخمسة عشر شهرا كما سيأتي فيه (فاستصعب عليه) اي لم ينقدله وامتنع منه لبعد عهده بركوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام لطول زمن الفترة اولسبب آخر لقول جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم لعلك مسست الصفراء اي الذهب اوصنم اصفر فقال انما مررت عليه فقلت تبا لمن يعبدك من دون الله (فقال له) اي للبراق (جبريل عليه الصلوة والسلام ابمحمد تفعل هذا) الاستصعاب وقدم

متعلق الفعل اى افعله به دون غيره والاستفهام انكارى بينه بقوله (فتاركك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا) اى سال عرقه كما مر بيانه (وعن ابن عباس رضى الله عنهما) رواه ابن الجوزى فى الوفاء وابو نعيم فى الدلائل وقال السيوطى رواه ابن عمر والعدنى فى مسنده (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله آدم اهبطنى فى صلبه الى الارض) يعنى ان الله خلق نوره صلى الله تعالى عليه وسلم وعنصره الذى عبر بالتسنيم وهو الطف شئ فاودعه فى صلب آدم واهبطه فيه كما مر ثم نقله منه بوسائط (وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة) فكان ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وباسم الله مجريها ومرسيها (وقذف بى فى النار فى صلب ابراهيم) فكانت بردا وسلاما ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وفى المكررة هنا اما لان الاول بدل منه او لانه مطلق ومقيد كما قرر فى قوله كلما رزقوا منها من ثمرة فينزل ذلك منزلة المغاير فلا يرد عليه انه لا يتعدى عامل بحرفى جر بمعنى (ولم يزل ينقلنى فى الاصلاب الكريمة) الشريفة (الى الارحام الطاهرة) من دنس الزنا ونكاح الجاهلية وفيه كلام تقدم (حتى اخرجنى) الى الدنيا ادخلنى (بين ابوى) يعنى اباه عبد الله الذبيح وامه آمنة بنت وهب بن عبد مناف واختلف فى زمن موتهما فقيل مات ابوه وامه حاملة به وقيل فى المهد وقيل وهو ابن شهرين وقيل ابن سنتين ومات عند اخواله بنى النجار وماتت امه وقد بلغ سنه خمسا اوستا او سبعا او اثنى عشر على اختلاف فيه (لم يلتقيا على سفاح قط) جملة حالية والمراد بالسفاح نكاح بغير عقد او عقد جاهلى وهذا علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحى او لعلمه باخبار الجاهلية لانا لا نهام كما توهم (والى هذا) المذكور فى الحديث بجملته (اشار) عمه (العباس رضى الله عنه بن عبد المطلب بقوله) فيه يمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الشعر رواه الطبرانى وصاحب الغيلانيات وفى الزاهر لابن قتيبة ان العباس اتى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اريد ان امدحك فانشده هذه الابيات فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا يفضض الله فاك او لا يفضض الله فاك وكان ذلك لما رجع صلى الله تعالى عليه وسلم من غزوة تبوك (من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق) اى من قبل هذه النشأة اوالدنيا وقيل قبل النبوة اوقبل الولادة اوقبل كل ذلك فاعاد الضمير على غير مذكور لعلمه من السياق والجار متعلق بطبت وقدم لافادة ان طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت له قبل ظهوره لا بعده فقط وطبت اى تطهرت من الادناس البشرية لطيب عنصره صلى الله تعالى عليه وسلم والظلال جمع ظل بمعنى فى ظلال الجنة فى صلب آدم عليه الصلوة والسلام قبل ان هبط وليس المراد به المتعارف الذى تنسخه الشمس اذ لا شمس فى الجنة ولا قمر وقد ورد فى الحديث ظل الجنة سجسج اى لا حر فيه ولا برد بل المراد الكن

والمقر اوهو كما فى قولهم انا فى ظل فلان اى فى حمايته ومستودع بضم الميم وفتح الدال المهملة يعنى به مكان آدم وحوا من الجنة كما قال ابن قتيبة هو المحل الذى كان فيه آدم عليه الصلوة والسلام من الجنة كانه وداعة فيه وفيه ايماء الى اخراجه منه للارض اواراد به الرحم وكان ابوعبيدة يقول فى قوله تعالى مستقر ومستودع المستقر الصلب والمستودع الرحم وخصف الورق الصاق بعضه ببعض ومنه الخصاف ويروى حيث يستر الورق يعنى به الجنة والورق ورق الجنة الذى كان يستتر به آدم عليه الصلوة والسلام قبل ان يعلم الحياكة فلما اهبط الى الهند تفتت الورق الذى عليه قيل ومنه حصل العود والعنبر وغيره من الطيبات فاوحى الله اليه صنعة النسج واتخذ الثياب للسترة (ثم هبطت البلاد لا بشر * انت ولا مضغة ولا علق) اى هبطت فى صلب آدم عليه الصلوة والسلام من الجنة الى الدنيا وهى المراد بالبلاد والهبوط كما قال الراغب الانحدار قهرا وهو متعد وقال تعالى اهبطوا مصرا ولا يحتاج لتأويله بالدخول كما قيل والبلاد وان اختصت بالبيان فهو باعتبار الاول هنا ولما كان المراد من هبوطه صلى الله تعالى عليه وسلم هبوط نوره قال لا بشر وهى جملة حالية اى فى حال كونك غير جسد كاجساد البشر والمضغة قطعة لحم بمقدار لقمة تمضغ غير مخلقة والعلق بفتحتين جمع علقة وهى دم منجمد من المنى (بل نطفة تركب السفين وقد * الجم نسرا واهله الغرق) النطفة الماء الصافى والمنى فى الاصلاب والسفين جمع سفينة وهى المركب اى فى صلب نوح عليه الصلوة والسلام لما اغرق الله قومه بالطوفان والجم وصل الى الفم وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس والنسر طائر معروف سمى به صنم كان يعبده قوم نوح عليه الصلوة والسلام وهو المراد هنا واهله قوم نوح والمراد بالغرق الماء المغرق اوهو على ظاهره والجم بمعنى ادرك لان الانسان اذا عم الماء فمه منع من الكلام والسفين المراد به سفينة نوح عليه الصلوة والسلام فان كان مفردا فهو ظاهر والا فهو جمع اريد به واحد تجوزا فلا اشكال فيه كما هو ظاهر (تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق) الصالب والصلب والصلب بفتحتين وبضمتين وضم فسكون ففيه لغات اقلها استعمالا صالب كما قاله ابن قتيبة وهو فقار الظهر والرحم مقر الولد من المرأة والعالم المراد به هنا قرن من القرون وبدا بمعنى ظهر ووجد وطبق بمعنى قرن ايضا لانه يطبق وجه الارض اى لا تزال تظهر فى عالم بعد عالم يريد اذا مضى قرن بدا قرن آخر ويروى هنا بيت هو

وردت نار الخليل مكتتما * تجول فيها ولست تحترق

ومعنى مكتتما محفوظا فى كمه او تحيط لك نارها ولست تحترق ويروى مكتتما اى مستترا (حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق) احتوى بالحاء المهملة افتعال من حوى بمعنى حاز والبيت بمعنى الشرف والنسب كما مر والمهيمن بمعنى الشاهد على فضائلك اوالامين وخندف بكسر الخاء المعجمة وكسر الدال

المهملة ونون وفاء اسم امرأة الياس بن مضر وهو من الخندفة وهي المشي السريع والعليا العز والشرف وتحتها روى دونها والمعنى واحد والنطق بضمتين جمع نطاق وهو ما يشد في الوسط كالمنطقة استعارته العرب لجبال واسعة فوق بعض وبيتك فاعل احتوى وهو تمثيل لشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم اى ان شرفك وعلو نسبك واصلك من خندف اشتمل على عليا دونها الجبال الشامخة وقال ابن قتيبة في هذا البيت اقوال احدها انه اعلى قومه وهم دونه كالنطاق له والآخر انه يريد العفاف من نطاق المرأة الذى يحسنها اى تحتها العفاف والحسب والثالث ان النطق المتكلمون جمع ناطق اى كل خطيب من العرب فهو دون بلسان قومك من قوله بل هم قوم خصمون انتهى وروى في هذا الشعر زيادة ذكرها الغسانى وهي (وانت لما ولدت اشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق * فنحن في ذلك الضياء وفي النـ * ـور وسبل الرشاد نخترق * يا رد نار الخليل يا سندا * لعصمة النار وهي تحترق) ومعنى نخترق بالخاء المعجمة نقطعها ونجاوزها وضاء يكون لازما ومتعديا والافق الناحية وانثه هنا لتأويله بها قال العارف بالله ابن عربى ذهب بعضهم الى ان عالم الاجسام من وقت خلقه لم يزل في سفر الى ما لا نهاية له فاذا لاح له منزل يقول هذا هو الغاية القصوى فاذا وصلت اليه لم يلبث ان يخرج منه راحلا فكم سافرت في اطوارك الى ان تكونت بين ابيك وامك اذا اجتمعا من اجلك ثم انتقلت الى نطفة وعلقة الى مضغة الى عظم كسى لحما ثم انشئت نشأة اخرى واخرجت الى الدنيا فتنقلت في اطوارك من الطفولية والصبا والشباب الى الكهولة والشيخوخة الى الهرم ومنه الى البرزخ ثم الى الحشر ثم الى دار القرار انتهى من كتاب الاسفار له (وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا الحديث مشهور رواه ابوذر وغيره واخرجه احمد والبزار والبيهقى عن ابن عمر واخرجه الطبرانى وابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس واحمد والبزار وابن ابى شيبة والبيهقى عن ابى هريرة واخرجه الشيخان عن جابر بن عبد الله فاخرجوه عن جماعة من الصحابة بين رواياتهم مغايرة في بعض الالفاظ وقد ساقها كلها وذكر رواية كل واحد منهم على حدة الشيخ قاسم بن قطلوبغا في تخريجه لاحاديث هذا الكتاب كما رأيته بخطه ولولا خوف الاطالة اوردت كلا منها على حدة والى هذا اشار المصنف بقوله (ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله) بن عمرو ابن حزام الانصارى روى كل واحد من هؤلاء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها) اى في بعض طرق هذا الحديث المعلومة من تعدد رواياتها (ستا) اى ست خصال وخصائص ولذا حذف التاء مع انه غير لازم اذا لم يذكر المعدود

(لم يعطهن نبي قبلي) ولا رسول لان نفي الاعم يستلزم نفي الاخص ولا تنافي بين الروايتين ان قلنا ان مفهوم العدد غير معتبر وان قلنا به فنقول انه صلى الله تعالى عليه وسلم اطلع اولا على بعض خصائصه فاخبر به ثم اطلع على باقيه فاخبر به ثانيا وروى احد قبلي اى لم يعط واحدة منهن احد (نصرت بالرعب مسيرة شهر) اى نصرني الله تعالى على اعداء الدين الكفرة بالرعب بضم الراء المهملة المشددة وهو شدة الخوف الذي القاه الله في قلوبهم فاذا سمع بي من بيني وبينه مسيرة شهر ارتعد وخاف من غزوي له وانما خص مسافة شهر وان خافه من هو ابعد منه قيل لانه لم يكن بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين من اظهر العداوة له اكثر من ذلك وقد قال ذلك في غزوة تبوك آخر غزواته وابعدها فاذكر بيان لما وقع له صلى الله عليه وسلم حال تكلمه فلا ينافي الزيادة وهذا من خصائصه حتى لو سار وحده بغير عسكر ارتعد اعداؤه وقد وقع هذا لبعض خلفائه ومن اتقى الله من امراء الاسلام فهذه الخاصة بالنسبة لمن قبله من الامم وعليه يحمل رواية لم يعطهن احد او نقول ان ذلك لا يتيسر لغيره او فعل اتباعه كفعله (وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما) وفي رواية وايما بالواو بدل الفاء (رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل) قال العلامة الزركشي في احكام المساجد قال القاضي عياض هذا من خصائص هذه الامة لان قبلنا كانوا لا يصلون الا في موضع تيقنوا طهارته ونحن خصصنا بجواز الصلوة في جميع الارض الا ما تيقنا نجاسته وقال القرطبي هذا مما خص الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت الانبياء قبله انما ابيحت لهم الصلوة في مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس قال المهلب في شرح البخاري المخصوص به جعل الارض طهورا واما كونها مسجدا فلم يأت في اثر انها منعت من غيره وقد كان عيسى عليه الصلوة والسلام يسيح في الارض ويصلي حيث ادركته الصلوة فكانه قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري مسجدا ولم تجعل طهورا انتهى * اقول حاصله انه لو كان كل منهما مخصوصا به وبامته لزمه اشكال وهو ان الانبياء السالفة واممهم كانت لهم صلوة مفروضة وكانوا يسافرون فلو لم تجز لهم الصلوة الا في مساجدهم لزمهم اما ترك الصلوة او عدم صحتها وهو مخالف للظاهر فاجابوا عنه بالوجوه المذكورة وهو ان الخاص بهذه الامة مجموع الامرين لا كل واحد منهما او جعل جميع الارض مسجدا حتى تيقن نجاستها وهم لم تحل لهم الصلوة الا فيما تيقن طهارته وعلى هذا قوله تعالى (واجعلوا بيوتكم قبلة) كما في بعض التفاسير فقوله فايما رجل الى آخره معناه على ظاهره اوما لم يتيقن نجاسته ولك ان تقول انه مخصوص بغير حال السفر والضرورة لان الضرورات تبيح المحظورات كقصر الصلوة ويؤيده جعله قرين التيمم المخصوص بالضرورة وهذا اقرب ثم ان طهارة التيمم حكمية لا حقيقية كما بينه الفقهاء وفي قوله الارض

(دون)

دون التراب نصرة لمن جوز التيمم بجميع اجزاء الارض ولم يخصه بالتراب وهو المناسب للمقام وان خصه الشافعي رحمه الله تعالى بالتراب لرواية وتربتها طهورا والمطلق يحمل على المقيد وتخصيص الرجل غير مراد لدخول النساء في هذا الحكم ايضا وانما خصوا الذكر لانهم الاصل ويعلم النساء بالطريق الاولى ومعنى ادركته الصلوة ادرك وقتها اذا دخل ولا ينافيه ايضا النهي عن الصلوة في بعض الاماكن لثبوت المنع فيه بدليل آخر والمراد بالارض جميعها الامكنة وما حولها ولا ما راى به مسجدا او محلا للصلوة وقوله فايما الى آخره لدفع توهم انه مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم وحده (واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي) تحل بفتح التاء المثناة الفوقية وكسر الحاء المهملة وروى بضم التاء وفتح الحاء وكان من قبله صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن له مغانم ومنهم من اذن له فيه ولم يؤذن له في الاكل منها فكانت الغنائم تجمع في محل فتأتي النار من السماء فتحرق ماتقبل منه على ما سر بيانه وكانت في صدر الاسلام تحل له صلى الله تعالى عليه وسلم فقط ثم امر بعد ذلك بتخميسها كما بينه الفقهاء والغنائم جمع غنيمة مايؤخذ من الكفار بقتال ونحوه والفيء ماحصل منهم بدون ذلك (وبعثت) بالبناء للمجهول بمعنى ارسلت وطوى ذكر الفاعل للعلم به اى ارسلني الله (الى الناس كافة) المراد بالناس جميعهم او ما يشمل الانس والجن كما مر وروى الى الخلق كافة وكافة حال بمعنى جميعا وفي ارساله صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة كلام سيأتي وعموم البعثة مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم بالاحاديث الصحيحة ومر انه لا يرد عليه ان نوحا عليه الصلوة والسلام كان مبعوثا لاهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم لان هذا العموم لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق لحادث وهو انحصار الخلق الموجودين (٢) على ان ارساله عليه الصلوة والسلام انما كان لقومه ولم يأت مايدل على عموم رسالته واما دعاؤه على جميع اهل الارض واهلاكهم فلا يدل على ذلك لجواز ان يرسل غيره في مدته ولم يؤمنوا به فدعا عليهم قال ابن حجر هذا جواب حسن الا انه لم ينقل انه نبي في زمنه غيره ويحتمل ان خصوصيته ببقاء شريعته الى يوم القيمة بحيث لا ينسخها غيرها ويحتمل انه دعا الناس للتوحيد فاشركوا واستحقوا العقاب والدعوة للتوحيد يجوز ان تعم وان كانت فروع شريعته غير عامة كما قاله ابن دقيق العيد واشار اليه ابن عطية في سورة هود اوانه لم يكن في عهده غير قومه واولاده كآدم عليه الصلوة والسلام فلا يرد نقضا على هذه الخصوصية مدكر (واعطيت الشفاعة) اللام اما للعهد فالمراد الشفاعة العظمى في فصل القضاء لاهل الموقف اجمعين بعد مراجعة سائر الانبياء واظهارهم العجز فيأتونه صلى الله تعالى عليه وسلم ويشفع وتقبل شفاعته وهو المقام الاعلى او هي للاستغراق كانت

(٢) في الموجودين بسفينة

الرجل اى الشفاعة الكاملة وله صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات كثيرة شاركه فى بعضها بعض الانبياء كشفاعته فى قوم يدخلون الجنة بغير حساب وهذه مخصوصة به وشفاعته فى قوم استحقوا دخول النار فلا يدخلونها وفى بعض اهل النار فيخرجون منها وفى تخفيف عذاب بعض اهل النار كابى طالب وشفاعته لمن مات بالمدينة ومن صبر على لأوائها وشفاعته لمن صلى عليه بعد الاذان وغير ذلك مما ورد فى الاحاديث الصحيحة (وفى رواية بدل هذه الكلمة) اراد بالكلمة قوله واعطيت الشفاعة وسماها كلمة لانها كلمة لغوية وهى تطلق على الجمل وفى نسخة الكلمات (وقيل لى سل تعطه) اى قال الله او حذف الفاعل للعلم به وقيل له ذلك لما انحصرت الشفاعة فيه ولم يلتزمها احد من الرسل فقال انا لها وخر تحت العرش ساجدا فقال له الله ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع وفيه كمال الادب اذ لم يسأل حتى اذن له فى السؤال وامر به وهذا فى القيمة ويحتمل انه اشارة الى ما فى الاسراء كما سيأتى فى حديث ابن وهب واصل سل اسئل فخفف بنقل حركة الهمزة واسقاطها واسقاط همزة الوصل وفى حذف المعمول عموم كرم اى سل كل ما تريد تعط اكثر مما تسأل وتعط مجزوم فى جواب الامر والهاء للسكت او ضمير عائد على مقدر (وفى رواية اخرى وعرض على امتى فلم يخف على التابع من المتبوع) اى الشريف والوضيع ويحتمل ان الله عرض عليه صلى الله عليه وسلم بالوحى تفصيل احوالهم وذواتهم وصفاتهم وسائر تصرفاتهم فى زمنهم اوانه ابرزهم له حقيقة فوجا فوجا متلبسين باعمالهم على وجه لا نقف على حقيقته وذكر العراقى فى شرح المهذب انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرضت عليه الخلائق من لدن آدم الى قيام الساعة فعرفهم كلهم كما علم آدم الاسماء كلها وروى الطبرانى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى قد رفع لى الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيمة كما انظر الى كفى هذه وحديث حذيفة الطويل المذكور فيه الفتن وما يكون فيها مطول ذكره العراقى قال فيه ما ترك فيه شيئا الا سماه باسمه واسم ابيه وقبيلته الى يوم القيمة ومنه احد الجفر والجامعة الذى رواه جعفر الصادق عن على رضى الله تعالى عنه وان توقف بعضهم فى صحته كما ذكره ابن خلدون فى اول تاريخه (وفى رواية بعثت الى الاحمر والاسود) اى الى جميع الناس او جميع الجن كما يكنى عن مثله بالعرب والعجم اى الى كل فرد فرد والمقصود عموم رسالته صلى الله عليه وسلم للجن والانس وفيه رد على من زعم من اهل الكتاب ان بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوصة بالعرب كالعيسوية لانه يعود بالنقض عليهم اذ يقال لهم اذا اعترفتم بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وجب تصديقه فيما قاله وقد صح عنه انه قال بعموم رسالته واشار المصنف رحمه الله تعالى الى معناه بقوله (قيل السود) جمع اسود وفى نسخة الاسود (العرب)

(وهذا)

وهذا مذكور فى الحديث معنى لان تعريف الاسود ليس للعهد بل للاستغراق فهو بمعنى السود وبين علته فقال (لان الغالب على الوانهم) اى العرب (الادمة) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وهى فى الادميين السمرة وفى الطعام بياض يشوبه سمرة (فهم من السود) اى فهم المقصودون من قوله الاسود الذى بمعنى السود كما عرفته (والحمر) جمع احمر وعبر عن الاحمر بالحمر لناس (العجم) اى المراد بهم فى الحديث العجم والمراد بهم من عدا العرب وقد يخص باهل فارس ولم يعلله لغلبته اى لغلبة لون الحمرة عليهم فاعتبر الغالب لان النادر لا حكم له لان القلة اخت العدم ولذا لم يعبر بها عنها (وقيل البيض) جمع ابيض يعنى قيل المراد بالحمر البيض اى بالاحمر الابيض لان العرب تقول امرأة حمراء بمعنى بيضاء وقال ثعلب العرب لا تقول ابيض من بياض اللون فاذا ارادوه قالوا احمر والابيض عندهم بمعنى النقى من العيوب قال ابن الاثير وفيه نظر فانهم قد استعملوا الابيض فى الوان الناس وغيرهم وهو اعتراض وارد وماقيل من ان مراده انه لا يستعمل فى محل الناس كما هنا فانه لو قال بعثت الى الابيض لتوهم انه اريد به السالم من العيوب لا يجدى نفعا وكيف يراد المجاز من غير قرينة (وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن) وهذا مبنى على مافى مخيلتهم من انهم سود (وفى الحديث الآخر عن ابى هريرة) الذى رواه البخارى ومسلم واورده لما فيه من الزيادة على قوله (نصرت بالرعب) قوله (واوتيت جوامع الكلم) جمع جامعة لجمعها الحكم والمنافع فى لفظ قليل والكلم اسم جنس جمعى للكلمة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح وهو من اضافة الصفة للموصوف وفسرت بالقرآن لما فى جمعه من المعانى فى الفاظه الموجزة وقيل المراد به كلماته الموجزة المتضمنة للحكم والمنافع وفى نسخة (وخواتمه) فقيل هى بمعنى الجوامع وقيل التى ختم بها الكلام فلا يأتى بعدها مايقرب منها لعدم الحاجة له (وبينا انا نائم) اصله بين فاشبعت فتحتها حتى صارت الفا وهو طرف زمان كبينما المتصلة بما المزيدة ويجيء بعدها اذ كقوله (اذ جىء) بالبناء للمجهول اى جاءنى ملك ارسله الله واذ للمفاجأة وهو جواب لها ويغاب بعدها كقوله

استقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير

وقد تخلو عنها كقولك بينا انا جالس دخل على عمر وهى مضافة لجملة انا نائم وقيل مضاف لمحذوف تقديره بين اوقات النوم موجود كما فصله اهل العربية (بمفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدى) بتشديد الياء مثنى مضاف او بالتخفيف مفرد ومفاتيح جمع مفتاح وهو آلة يفتح بها الاقفال معروفة والخزائن جمع خزينة او خزانة وهى مايدخر فيه المال والامور النفيسة لتحفظها والمراد مافى الارض من الكنوز والاموال فاما ان يكون رأى فى رؤيا نومه ملك الرؤيا وضع فى يده مفاتيح حقيقة وقال له هذه مفاتيح خزائن الارض ارسلها الله اليك ورؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام وحى يقع بعينها تارة وبعبر عما يحكيها اخرى

وظاهر تعبيره ان امته تملك الارض ويجيء لهم اموالهـا وفي المواهب اللدنية انهـا خزائن من اجناس العالم بقدر مايطلبون فان الاسم الالهي لايعطيه الا محمدا صلى الله تعـالى عليه وسلم الذي بيده مفاتيح الغيب التي لايعلمها الا هو فالمراد ان الله خصه بتمكين امته من الارض ويحتمل ان الملك احره وقال له ذلك فيكون استعـارة لمامر والقول بان المراد المناصر ومايتولد منها وانه لم يقبل ذلك تعسف وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقبله يأباه عده خاصية له بل فان عطاء الكريم لايليق رده ولكنه ادخره لامته (وفي رواية) لمسلم (عنه) اى عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه (وختم بي النبيون) اى جعلني خاتمهم وآخرهم حتى لايبعث نبيا بعده غيره فلايرد عيسى عليه الصلوة والسلام ومجيئه آخر الزمان لانه يجيء على انه من امته ايضـا واما الحصر فعلى تقدير نبوته معنـاه فلم يأت بعده وفي هذا الختم تكريم له حيث لاينسخ شريعته ولايطول مكث امته في البرى واشاره الى ان دينه كامل جامع لجميع الكمالات لايحتاج الى ملة اخرى ﴿تتمة﴾ وماروى من قوله لانبوة بعدي الا ماشاء الله الاستثناء لايقتضي وقوع مشيئته على فرض صحته والمنفي النبوة لاالنبي فيحتمل ان الذي تحت المشيئة الرؤيا الصالحة لانها جزء من اجزاء النبوة (وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه) وهو ابو اسد او ابو حماد او ابو عمر الجهني الصحابي الفصيح المسند الجليل توفي بمصر سنة ثمان وخمسين وهذا الحديث رواه الشيخان وابو داود والنسائي (انه قال) عقبة (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم انا فرطكم(٢) على الحوض) الفرط بفتحتين والفارط الذي يتقدم القوم ليهيء لهم في منازل اسفارهم المـاء والكلأ ونحوه مما يحتاجون له ويقـال رجل فرط وقوم فرط ايضا وفي الدعاء للطفل الميت اللهم اجعله فرطا اى اجرا يتقدمنـا حتى نرد عليه والحوض هو حوضه صلى الله تعـالى عليـه وسـلم الذي يسقى منه عطـاش امته يوم القيمة وعلى متعلقه بفرط او حال من الضمير فيه لانه صفة مشبهة وهل الحوض الكوثر اوغيره اختلف فيه وعليه اوان كالنجوم وفي الحديث بلاغة بديعة اذ المراد انه من بين صلى الله تعالى عليه وسـلم وانهم فيه منفعة عظيمة هي سبب دخولهم الجنة واجر عظيم فشبههم بقوم مسافرين وشبه نفسه بمن تقدمهم لنفعهم والفرط من يسوق للمـاء كما مر وذكـر الحوض فيه مناسبة عظيمة وان متاع الدنيا قليل فهم على اثره صلى الله تعـالى عليه وسلم واردون جمعنا الله به وسقانا من يده شربة لانظما بعدها (وانا شهيد عليكم) شهيد بمعنى شاهد قال الله تعالى (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اى يوم القيمة فان الله تعالى يسأل الرسل هل بلغتم فيقولون نعم ويقول لاممهم هل بلغوكم فيقولون ماجاءنا من نذير فيقول للرسل من يشهد لكم فيقولون امة محمد فيشهدون بتبليغهم وهذا هو قوله (لتكونوا شهداء على النـاس) ويشهد لهم صلى الله تعـالى عليه وسلم بصدقهم

(٢) فرط أكم سعه

ويزكيهم على ماس ببيانه وهذه شهادة لهم لكنه عداها بعلى حثا على الطاعة لانه رقيب عليهم ومهيمن (وانى والله لانظر الى حوضى الآن) اى اشاهده الآن لان الجنة والنار موجودتان الآن وتأكيده بان والقسم يقتضى انها رؤية بصرية حقيقية لانكشاف الغطاء عن بصره الحائل عن رؤيته وليس بطريق الكشف ونحوه وفى هذا بيان لما مر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال انه فرط على الحوض حقق ذلك بانه مشاهد له لاشبهة فيه والآن مبنى على الفتح ولايستعمل الا بالالف واللام (وانى قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض) تقدم قريبا بيانه (وانى والله ماأخاف عليكم) الصحابة او معاشر الامة (ان تشركوا بعدى) اى من ان تكفروا بعد موتى فى مقدرة لانها تحذف منها قياسا مطردا لان من ذاق حلاوة الايمان لايرجع عنها (ولكنى اخاف عليكم ان تنافسوا فيها) اى فى الدنيا اى اخاف عليكم من رغبتكم فى نفائس الدنيا وانهماككم فى تحصيلها حتى يؤديكم ذلك الى الهلاك وان كان مايلهيكم عن الله تعالى وهذا تنبيه لهم على انهم لاتلهيهم الخزائن عن المعاد (وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما) كما رواه عنه الامام احمد بسند حسن (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا محمد النبى الامى) هو الذى لايقرأ ولايكتب نسب لامه لانه كان على حاله يوم ولدته امه اوالى ام القرى لان الكتابة كانت عزيزة فى اهلها اوالى امة العرب وهذه الصفة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم من اجل النعم عليه واعظمها اذ اعطاه علم الاولين والآخرين وحفظه هذا الكتاب الذى لم يماثله كتاب وهو لايقرأ ولايكتب ولم يدارس ولم يلاق احدا له شغل بذلك ﴿تنبيه﴾ كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اميا من معجزاته الشريفة الباهرة كما تقدم مبسوطا غير مرة واشار اليه الابوصيرى رحمه الله تعالى فى قوله * كفاك بالعلم فى الامى معجزة * وهذا كان فى اول امره الا ان بعضهم ذهب الى انه بعد ذلك قرأ وكتب من غير تعلم وهو معجزة اخرى الا ان الجمهور على خلافه كما ذكره الحافظ بن حجر فى تخريج احاديث الرافعى وقال ابن عربى فى سراج المريدين رحل ابو الوليد الباجى وابعد رحلته فلما عاد قرأ البخارى وقال فى درسه انه صلى الله عليه وسلم فى الحديبية محى الكتاب وكتب بيده الاترى انه قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن الكتابة فكتب هذا ماقاضى الى آخره فابتدر رجل مصرى وصاح فى المجالس انه زنديق الا ان الامير كان متصفا فدعا الفقهاء وسألهم فشنعوا عليه وقالوا انه كفر فاستظهر الباجى بالحجة عليهم وقال ان هؤلاء جهلة فاكتب الى علماء الآفاق فكتب الى علماء افريقية وصقلية فجاءت الاجوبة بتصديق الباجى الى آخر ما فصله ورأيت فى بعض الكتب انه مما يدل على ذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لكاتبه طول السنات(۲) وقوله تعالى (ماكنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك) فقوله من قبله يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم

(۲) السينات نسخه

بعد ذلك كان يكتب نادرا فاعرفه وقوله (لا نبي بعدي) تقدم بيانه (او تيت جوامع الكلم وخواتمه) تقدم معناه ولفظه وانما كرره هنا ليبين انه مع كونه اميا اوتي مالم يؤته احد ممن افنى عمره في القراءة والكتابة (وعلمت) بضم العين المهملة وسكون اللام المشددة او بفتحها وتخفيف اللام (خزنة النار) جمع خازن ككتبة وكاتب وهم الملائكة الموكلون بها (وحملة العرش) جمع حامل وهم الملائكة يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم علم مالم يعلمه غيره بمشاهدته لهم الاتري ماورد في الاحاديث من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وبيان هيئاتهم مما كان له رأي عين وحملة العرش اليوم اربعة ويوم القيمة ثمانية كما نطق به القرآن العزيز (وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) كما رواه احمد بسند حسن (بعثت بين يدي الساعة) اي القيمة سميت ساعة لانها عند الله قليلة تشبيها لها بالساعة التي هي جزء من اجزاء الزمان وقال الراغب لسرعة الحساب فيها كما قال تعالى (وهو اسرع الحاسبين) او لما نبه عليه بقوله تعالى (كانهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) وقيل الساعات التي هي القيمة ثلاث ساعات الكبرى وهي بعث الناس للحساب والوسطى وهي موت اهل القرن الواحد والصغرى وهي موت كل انسان وقد وردت الساعة بهذه المعاني في الحديث والمراد هنا الاولى والمراد بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديها انه قريب منها ففيه استعارة مكنية وفي الحديث انا والساعة كهاتين يشير بالوسطى والسبابة وفيه اشارة الى بقاء دينه صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم نسخه ولاجل هذا ذكره المصنف رحمه الله تعالى (ومن رواية ابن وهب) من تبعيضية اي بها اشارة الى انه بعض من حديث الاسراء الطويل الذي رواه البيهقي في الدلائل وغيره عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وابن وهب هو عبد الله ابو محمد بن وهب بن مسلم الفهري المصري احد الاعلام في الحديث وغيره روى عن مالك والليث وخلق كثير وروى عنه خلق كثير وكان افقه من ابن القاسم وطلب للقضاء فتجنن وانقطع الى ان مات سنة سبع وتسعين ومائة والجار والمجرور خبر مقدم لقوله (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال الله تعالى) له صلى الله تعالى عليه وسلم حين كلمه بغير واسطة في الاسراء كما يدل عليه سياق الحديث (سل يا محمد) حذف احد مفعوليه للتعميم اي كل ماتريد والآخر للعلم به فانه لامسئول سواه ولدلالة قوله (فقلت ما اسئل يارب) عليه ورب بكسر الباء وضمها ولم يقل اسئلك تأدبا يعني ان جميع الكمالات استودعتها الانبياء عليهم الصلوة والسلام قبله فلم يبق مايختص به حتى يسأله ثم فصل بعض مااجمله فقال (اتخذت ابراهيم خليلا) اي اصطفيته وخصصته بالخلة وكرامتها وسيأتي تحقيقها (واتخذت موسى كليما٢) اي اصطفيته وفضلته بان كلمته بسماع كلامك القديم فلي فلابد انه كلمه ايضا (واصطفيت نوحا) اي فضلته على غيره بان جعله اول رسول

(٢) وكلمت موسى تكليما

(اهلك)

اهلك من عصاه كما قال الله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحا) فهو ابو البشر واول الرسل (واعطيت سليمان ملكا لا ينبغى لاحد من بعده) اى لا يتيسر لغيره من الرسل الملوك لتسخير الجن والانس والريح وملك الدنيا كلها بعظمة البسته اياها من عظمتك (فقال الله تعالى له) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما اعطيتك خير من ذلك) كله وهو مبتدأ وخبر بينه بقوله (اعطيتك الكوثر) فوعل من الكثرة وذكر البيضاوى فيه سبعة اقوال أشهرها انه نهر فى الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فى وسط الجنة حصباؤه الدر والياقوت وقيل هو القرآن وقيل النبوة وقيل غير ذلك مما تقدم (وجعلت اسمك مع اسمى) اى مقرونا باسمى فى التشهد والاذان وكلمة الشهادة وغير ذلك ولذا قال (ينادى به فى جوف السماء) اى تنادى الملائكة عليهم الصلوة والسلام باسمى وتصلى عليه لامر الله لهم بذلك او لما رأوا من منزلته صلى الله عليه وسلم وقربه من ربه وكتابته اسمه على ساق العرش وتفسير السماء هنا بالامكنة العالية كمنارة الاذان كما قيل لا وجه له (وجعلت الارض طهورا لك ولامتك) لان الله تعالى شرفها بك فكانت طاهرة مطهرة وهذا من خواص هذه الامة تسهيلا لها وما احسن قول ابن رشيق القيروانى

سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا
فقالت غير ناطقة لانى * حويت لكل انسان حبيبا

وقد تقدم هذا الحديث وشرحه (وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى لو صدر كان مغفورا فلا ينافى هذا عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم او المراد بالذنب التقصير وان لم يكن صغيرة ولا كبيرة واعلامه بمغفرة كل مقدم ومؤخر تشريفا وتطمينا لقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال العز بن عبد السلام ان هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقله الله لغيره من الانبياء ولذا قالوا فى الموقف نفسى نفسى والى هذا اشار بقوله (فانت تمشى فى الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك) فليس المراد باحد غير الانبياء كما قيل (وجعلت قلوب امتك مصاحفها) اى مننت عليك بان جعلت فى امتك حفظا لم يكن فى غيرهم من الامم السالفة حتى ان من كان يحفظ التورية وغيرها من الكتب الالهية افراد معدودون فى كل عصر وحفظة القرآن والحديث من هذه الامة لا يحصون فى كل عصر والمصحف ما كان جامعا للصحف المكتوبة وجمعه مصاحف ثم خص بالمصحف المكتوب فيها القرآن وقد قيل انه لفظ حدث فى الاسلام وكونه معربا من اللغة الحبشية لا اصل له وهذا تشبيه بليغ اى جعل قلوبهم كالمصاحف التى تحفظ القرآن وقيل انه استعارة تصريحية وله وجه وفى رواية صدور بدل قلوب وهذا بناء على ان محل الحفظ والادراك القلوب واضافته للصدور لانها محله والحكماء يقولون ان محل الحفظ الحيوان الذى هو خزانة الحس المشترك فى الدماغ واهل الشرع والمتكلمون

من اهل الاسلام لم يثبتوا الحواس الباطنة مع ان كلام الحكماء مضطرب فيها وفي محالها كما ذكره الجلال الدواني في شرح هياكل النور وليس هذا محل تفصيلها (وخبأت) بخاء معجمة مفتوحة وموحدة وهمزة اي اخفيتها واخرتها الى يوم القيمة (شفاعتك) المراد بها الشفاعة العظمى في فصل القضاء ونحوها من الشفاعات الخاصة به كما تقدم (ولم اخبأها لنبي غيرك) وفي نسخة قبلك وان كان لهم شفاعات غير هذه (وفي حديث آخر رواه حذيفة) بن اليمان العبسي الصحابي رضي الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفي سنة ست وثلاثين وهذا الحديث رواه ابن عساكر في تاريخه عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بشرني يعني ربه) ولم يذكر الفاعل في اصل رواية هذا الحديث للعلم به كما في قوله تعالى (حتى توارت بالحجاب) (اول من يدخل الجنة) مبتدأ ومن موصولة وجملة يدخل صلته (ومعي) ظرف متعلق بهو (من امتي) حال من عائد من المستتر تحت يدخل (سبعون الفا) خبره (مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب) صفة سبعون او حال منه اي لا يحاسبون ولا يناقشون بل يؤمر بادخالهم الجنة تكريما لهم وقوله مع كل الف سبعون الفا جعلهم معهم لانهم اتباعهم وذراريهم قوله وليس الى آخره صفة للالف الثانية فيعلم منه عدم محاسبة الاولى بالطريق الاولى وفي البخاري انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال ذلك دخل بيته فخاض الصحابة في هؤلاء فقيل انهم الذين صحبوه وقيل انهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا الى غير ذلك فخرج عليه السلام وسألهم عما خاضوا فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة رضي الله عنه فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام آخر فقال مثل ذلك فقال عليه السلام سبقك بها عكاشة وفي الحديث ايضا وعدني ربي ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا مع كل الف سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي رواه ابن ابي شيبة والطبراني وقد حسب ما في الحديث فبلغ اربعمائة الف الف وسبعمائة الف وفي هذا الحديث كلام ذكره ابن القيم في حادي الارواح (واعطاني ان لا تجوع امتي) اي ان لا تبتلى بالجدب والقحط حتى يهلكوا عن آخرهم ويستأصلوا جميعهم فلا ينافيه ما وقع في بعض الازمنة في بعض الاقطار بخصوصها اذ لم يعم ولم يستمر (ولا تغلب) بضم المثناة الفوقية اي الامة جميعها او يستمر مغلوبيتها او هذا مشروط بطاعته فاذا بدلوا وغيروا خرجوا عن اضافة التشريف بقوله وقد شاهدناه في بعض السنين واليه الاشارة بقوله تعالى (ان تنصروا الله ينصركم) (واعطاني النصر) اي على من يعاديني ولو مع قلة العدد وفي بدء الامر (والعز) اي الغلبة والقوة عليهم (والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا) قيل شهرا مفعول مطلق لا ظرف اي العدو الذي بينه وبينهم مسافة شهر يخافهم خوفا شديدا وهذا

من خواصه صلى الله عليه وسلم وخواص امته وخص هذه المسافة لانها ابعد مسافة اعدائه الموجودة فى زمانه كما مر وبهذا علم ان قوله فى المواهب فى حديث نصرت بالرعب وكون هذا له صلى الله عليه وسلم ولامته فيه احتمال غفلة عن هذا الحديث وفى قوله يسعى تشبيه للرعب بمقابله بتقدمه وفيه مبالغة بليغة كما قلت فى قصيدة

ولم يهزم(٢) عداه جيوش جنده * وجيش الرعب قد هزم القلوبا

ولو ثبتوا لعز الهسام منهم * وارواح وما عرفوا الهروبا

(٢) ولم يهزم نسخه

(وطيب) بالتشديد والبناء للمجهول اى احل لقوله حلالا طيبا (لى ولامتى الغنائم) هى شاملة للفئ هنا وقد مر منتزعه (واحل لنا كثيرا مما شدد) فيه (على من قبلنا) من الامم السالفة كقطع الاعضاء والتوبة بقتل النفس وقرض محل النجاسة ووجوب القصاص فى العمد والخطأ الى غير ذلك مما ذكروه وتفنن فى العبارة ولم يراع التقابل ولو راعاه قال سهل علينا ما شدد مع انه لو عبر به توهم انه رخصة وليس كذلك على انه قد يقال احل فيه طباق او ايهامه للحل الذى هو ضد الشد (ولم يجعل علينا فى الدين من حرج) اى شدة وضيق وقال علينا لانه له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته فوسع عليهم بالرخص كترك القتال لمن له عذر واكل الميتة للمضطر وقصر الصلوة والتيمم (وعن ابى هريرة رضى الله عنه) فى حديث صحيح رواه الشيخان (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من نبى من الانبياء) زاد من وبينه بقوله من الانبياء للتعميم (الا وقد اعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر) اى كل نبى جعل الله له معجزة اظهرها على يديه اطاعه بها الناس كعصى موسى عليه الصلوة والسلام واحياء الموتى لعيسى الى غير ذلك مما هو مشهور مأثور مناسب لزمانه الا ان تلك الآيات انقطعت بانقطاع عصره ومضت بمضيه بخلاف اعظم معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فانها باقية غير منقطعة غضة طرية فى كل عصر تتلى وتشاهد بركاتها وتستخرج من جواهر معانيها مالا يخفى وهى القرآن كما اشار اليه بقوله (وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحى الله الى) وما نافية ومن صلة لتأكيد النفى وهو مبتدأ وسوغ الابتداء به وقوعه بعد النفى ومن الثانية تبعيضية او بيانية والجار والمجرور صفة شئ وقوله الا وقد اعطى خبر والواو مزيد فيه لتأكيد الاتصال واللصوق والضمير المستتر فى اعطى مفعوله الاول وما الموصولة او الموصوفة مفعول ثان ومثله مبتدأ ايضا والجملة بعده خبر لا وامن مضمن معنى غلب ولذا عداه بعلى او هى بمعنى الباء والضمير المجرور بعلى عائد على ما فالجار والمجرور متعلق بآمن او حال منه اى مغلوبا عليه والمراد بالآيات المعجزات ومعمول اوتيت محذوف اى اوتيته والحصر فى انما ادعائى او باعتبار الاعظم او المعظم ووحيا بمعنى كلام موحى به او قصر افرادى اى اوتيته انا لا غيرى من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فليس حصرا حقيقيا

بمعنى انه لم يعط غيره اذ المعنى انه ما من معجزة اعطيت لنبي الا اعطيها وزاد عليها بما هو مخلد في صحائف الدهر يعرف في كل زمان ولذا رتب عليه قوله (فارجوا ان اكون اكثرهم) اى الانبياء عليهم السلام (تابعا يوم القيمة) وذلك لان هذه المعجزة لما كانت باقية الى يوم القيمة وهى باهرة ظاهرة يؤمن بها كل من وقف عليها من الناس لزم اكثرية من آمن به عليه السلام واتبعه على من آمن بغيره من الرسل وصدق بمعجزته المخصوصة بعصره فاذا مات انقطع التحدى بمعجزته وغابت عن الادراك وصارت خبرا كغيره من الاخبار اذ لم يأت احد منهم بمعجزة يدرك بعده اعجازها فاما التورية وسائر الكتب السماوية فليست بمعجز نظمها ولذا وقع فيها التحريف والتبديل وترجمت بلغات مختلفة وسيأتى الكلام على الاعجاز مفصلا وقد حقق الله رجاءه والى هذا اشار بقوله (ومعنى هذا الحديث عند المحققين بقاء معجزته) المذكورة (ما بقيت الدنيا) اى مدة بقائها وكون القرآن يرفع فى آخر الزمان كما ورد فى حديث حذيفة بن اليمان الذى رواه ابن ماجة ان الاسلام يندرس ويرفع كتاب الله فى ليلة حتى لا يبقى منه فى الارض آية ويبقى ناس يقولون ادركنا اباءنا على هذه الكلمة كلمة لا اله الا الله فقال له صلة ما يغنيهم هذه وهم لا يدرون صلوة ولا صياما ونسكا فقال تنجيهم من النار لا ينافيه اما لانه باعتبار الاكثر والظاهر فانه محقق بقاؤه فى نفس الامر لم ينسخ ولم يبدل وقيل انه زمن يسير بقاؤه كالعدم (وسائر معجزات الانبياء) اى جميعها (ذهبت للحين) المراد بالحين عقب وقوعها او انقراض عصره او المراد ذهبت بذهابه ولم تبق بعده وبينه بقوله (ولم يشاهدها الا الحاضر لها) بخلاف من اتى بعدهم (ومعجزة القرآن) اى القرآن المعجز او المعجزة التى هى القرآن فالاضافة بيانية (يقف عليها) اى يعلم بها ويحيط بها مجاز لان من وقف على شئ اطلع عليه كما فى الاساس (قرن) فاعل يقف (بعد قرن) اى يطلع عليها جميع القرون والناس الذى حدثوا بعد عصر النبوة بخلاف غيرها (عيانا) بكسر العين كما مر اى مشاهدة (لا خبرا) اى لا باخبار غيرهم لهم (الى يوم القيمة) اى الى آخر الزمان وقيام الناس الى المحشر وهو كناية عن التأبيد والبقاء فى الدنيا (وفيه) اى فى هذا الحديث ومعناه للعلماء (كلام يطول هذا نخبته) بضم النون وسكون الخاء المعجمة والباء الموحدة اى مختاره وزبدته قال فى الاساس نخب الشئ وانتخبه اذا نزعه ومنه الانتخاب الاختيار كأنك تنزعه من بين الاشياء وهؤلاء نخبة قومهم لخيارهم انتهى (وقد بسطنا) اى فصلنا من بسط يده اذا مدها (القول فيه هذا وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن على رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه ابن ماجة والترمذى وحسنه وهو موقوف عن على كرم الله وجهه له حكم الرفع لان مثله لا يقال بالرأى وستأتى رواية ابى نعيم له مرفوعا (كل نبى) من الانبياء (اعطى سبعة نجباء) جمع نجيب وهو الكريم

الحسيب ويكون بمعنى الرفيق المعين فى المهمات والشدائد وهو المراد هنا (و نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى اربعة عشر نجيبا) اى رفيقا كاملا شريفا وجعلهم ضعف مالكل نبى مرتين تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم واشارة لكثرة امته حتى يحتاج زيادة فى وزرائه والمراد بهؤلاء كما رواه ابو نعيم عن على ايضا رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن نبى الا وقد اعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء وانى قد اعطيت اربعة عشر وهم حمزة وجعفر وعلى وحسن وحسين وابو بكر وعمر وعثمان وعبدالله بن مسعود وابو ذر والمقداد وحذيفة وعمار وسلمان وفى رواية بلال انتهى وقد وقع فى تعيينهم اختلاف * اقول وبعد عصره صلى الله تعالى عليه وسلم خليفته القطب ووزراؤه النجباء والنقباء والبدلاء ومن فسر الاربعة عشر هنا بهؤلاء لم يصب رواية ودراية وقد ورد التصريح بهؤلاء فى احاديث جمعها السيوطى فى رسالة مستقلة ومن العجيب ان هذا مع انه متفق عليه بين اهل الشرع والحكماء كما قال صاحب حكمة الاشراق فى كتابه لا بد لله من خليفة فى ارضه وانه قد يكون متصرفا ظاهرا فقط كالسلاطين وباطنا كالاقطاب وقد يجمع بين الخلافتين كالخلفاء الراشدين كابى بكر وعمر بن عبدالعزيز قد انكره بعض الجهلة فى زماننا قال ذو النون النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والبدلاء اربعون والاخيار سبعة والعمدة اربعة والغوث واحد وحكى ابو بكر المطوعى عن ابى الخضر عليه الصلوة والسلام انه قال له لما قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شكت الارض الى ربها وقالت الهى وسيدى بقيت لا يمشى على نبى الى يوم القيمة فقال الله تعالى لها اجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبياء لا اخليك منهم فقالت له كم هم قال ثلثمائة وهم الاولياء وسبعون وهم النجباء واربعون وهم الاوتاد وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون وواحد وهو الغوث فاذا مات حمل واحد من الثلاثة مكانه ونقل من السبعة الى الثلاثة ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الى الاربعين ومن الثلثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلثمائة وهكذا الى ان ينفخ فى الصور (منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار) وقد بينا ذلك (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل) وهو حديث مشهور رواه الشيخان عن ابى شريح قاله يوم فتح مكة يوم الجمعة تاسع عشر رمضان سنة تسع من الهجرة ومعنى حبس منع وفى رواية القتل بقاف وتاء فوقية وقصة الفيل مشهورة غنية عن البيان (وسلط عليها رسوله) محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقل سلطنى اشارة الى انه مأمور من الله لا حظ له فى ذلك من نفسه لنزاهته عن الحظوظ والاغراض النفسانية (والمؤمنين) من امته وجنده (وانها) اى مكة (لا تحل لاحد بعدى) وفى نسخة (من امتى) وفى نسخة

لم يدل لا وفي اخرى لن وفيه اشارة الى ان تحريمها سابق في علم الله وفي زمن ابراهيم عليه الصلوة والسلام فانه حرمها وجعلها حرما آمنا وكان ذلك اظهارا لما سبق في علمه وحكمه (وانما احلت لي ساعة من نهار) اي انما اعلمني الله بحلها لي وكان حل القتال لي فيها في ساعة من نهار يوم الفتح وكان ذلك من الصبح وحمله ساعة تقليلا لزمانه لانه ساعة حقيقة كما قال الله تعالى (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام) الى آخره والحرم مثل المسجد في ذلك وهذه الآية محكمة عند ابن عباس ومجاهد تمسكا بهذا الحديث وقوله فيه ثم عادت حراما الى يوم القيمة وروي بمعناه من طرق اخر وقتاله صلى الله تعالى عليه وسلم امره بقتل من لجأ الى الحرم كابن خطل من خصائصه كما روي عن السلف وقيل عليه ان قوله احلت يدل على تقدم حرمته فيكون نسخا ولو كان نسخا استمر فيكون رخصة لانها استباحة مع المانع وبه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقال قتادة والضحاك انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبآيات اخر في معناها وتمسكوا بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعي رحمه الله تعالى (وعن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه) في حديث رواه احمد والبيهقي والحاكم وقال انه صحيح الاسناد والعرباض بكسر العين وسكون الراء المهملتين وموحدة وآخره ضاد معجمة معناه القوي نقل للعلمية وهو من كبار الصحابة اهل الصفة رضي الله تعالى عنهم سكن بحمص من ارض الشام ومات بها سنة خمس وسبعين (سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) جملة حالية او معمول ثان على الخلاف في سمع اذا تعلق بالذوات الغير المسموعة كما يعرفه من تبحر في العربية وقدم بيانه (اني عبد الله) وفي رواية اني عبد الله مكتوب (خاتم النبيين) قدم على هذه الكلمات وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعبودية اشارة الى انها اشرف عنده مما سواه وانه انما نالها بمحض كرم الله وفضله واحتراسا عمن يطريه ان يتجاوز فيه الحد كما وقع للنصارى في عيسى عليه الصلوة والسلام ولذا قال اني عبد الله آتاني الكتاب الآية وخاتم بكسر التاء وفتحها آخرهم ومن به كمالهم (وان آدم لمنجدل في طينته) اي مختلط في تربته او ساقط فيها كما تقدم وفي طينته حرثان لا ظرفا لمنجدل ثم اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم باول امره بانه (وعدة ابراهيم) بكسر العين وتخفيف الدال المهملتين مصدر بمعنى الوعد كالزنة وفي نسخة دعوة اي ابراهيم وهي اشهر واظهر لانه اشارة الى قوله تعالى (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) والمقته بالله انه لا يجيبه جعل ذلك وعدا منه لذريته وجعله نفس الدعوة مبالغة باقامة السبب مقام المسبب لانه دعا ان يجعل من ذريته وذرية اسمعيل رسولا ولم يكن من ذريتهما معا غيره مرسلا فان الانبياء من ذريته كداود

وسليمان ليسوا من ذرية اسمعيل فتعين كونه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وبشارة عيسى ابن مريم) فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله تعالى (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد) وجعله نفس البشارة مبالغة وهي بكسر الباء مصدر كالبشرى وبضمها مايعطى البشير واسم مصدر بمعنى المبشور ويكون في الخير والشر اذا اطلقت ثم خصت بالخير وصارت حقيقة ونحو فبشرهم بعذاب اليم تهكم على هذا وعلى الاول هي حقيقة مطلقا او اذا قيدت وسميت بشارة لتاثيرها في بشرة الوجه مايسمى ورد السرور وفي شرح الجامع الصغير العزيزي ان البشارة تختص بالصدق وجهل المخاطب والخير لان ذلك يغير بشرة الوجه الفرح وهي في اللغة خبر يغير بشرة الوجه مطلقا الا انه صار فيما ذكر حقيقة عرفية والاصل فيه مافي الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال من اراد ان يقرأ القرآن غضا طريا كما انزل فليقرأ بقراءة ابن ام عبد فابتدر ابو بكر وعمر ليخبراه بذلك فسبق ابو بكر رضي الله تعالى عنه فكان يقول بشرني ابو بكر واخبرني عمر قال العلامة ابن كمال * فان قلت الخبر الكاذب يغير البشرة ايضا وليس من شرط الحنث بقاء المعلق عليه كما لو قال ان دخلت الدار فانت طالق فدخلت ثم خرجت حنث * قلت في الكاذب لم تتم البشارة فورانه وزال ما لو حلف على لبس ثوبه فلبس احدها ولم يذكر الصدق في الهداية وفيه قصور ومن ثمه قالوا لو قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم زيد فهو حر عتق الاول لانه الذي ظهر السرور بخبره دون الثاني وبشرهم بعذاب اليم تهكم ومن هنا علم ان البشارة مشروطة بجهل المخبر اذ البشرة لاتتغير بما علمه قال وفي هذا الحديث دلالة على ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام قبل عيسى لم يخبروا باتيان نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فقوله في الكشاف في تفسير قوله تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) ان ابن سلام رضي الله تعالى عنه دعا ابني اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام وقال قد علمت انه تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فيه انه صريح في بشارة موسى بمحمد عليهما الصلوة والسلام باسمه الخاص وهو مخالف لنص القرآن والحديث الصحيح لايقال اليهود حرفوا التورية فزال تلك البشارة وصح ان عيسى هو المبشر لانا نقول انما كان هذا بعد عيسى لقوله تعالى (مصدقاً لما بين يدي من التورية) فنسبة البشارة لعيسى ظاهرة في عدم البشارة قبله والا لقال بشارة اخي موسى وكذا قولهم في الخطب المنبرية في التورية والزبور والانجيل انتهى * اقول هذا غير وارد بل غير صحيح من وجهين * الاول ان كونه مبشرا به قبل الانجيل في الكتب السماوية كلها او جلها مما لاشبهة فيه وقد صنف في ذلك كتابا مستقلا سماه خير البشر بخير البشر

الحافظ ابن ظفر ولولا خوف الاطالة اوردت مافيه هنا * الثاني ان قوله انه مخالف للقرآن والحديث كلام ناش من عدم تدبر معنى البشارة والفرق بينها و بين الخبر الصادق فان كل بشارة على ماورد خبر بلا عكس والبشارة خبر سار بما فيه ينفع المخبر في زمن ما بعيدا او قريبا كالبشارة بالجنة ولما كان من قبل عيسى بينهم و بين نبينا رسل وانبياء لم يكن ذلك بشارة لعلمهم بان المخبر لايدركه بخلاف عيسى فان امته ومؤمنوهم ادركوا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كسلمان ونحوه فكان اخباره به بشارة لمن اتبعه منهم وحثا لهم على اتباعه كما اشار اليه قوله من بعدى فلم يخالف النص الا ابن اخت خالته فاعرفه (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) في حديث رواه البيهقي والدارمي وابن ابي حاتم (قال ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على اهل السماء) يعني ملائكة السماء وهم افضل من ملائكة الارض فيعلم منه تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع الملائكة حتى الخواص منهم ورسلهم خلافا للمعتزلة والحليمي من الشافعية القائلين بتفضيل خواص الملائكة على الانبياء ولم يختلفوا في تفضيلهم على ملائكة الارض كما سيأتي (وعلى الانبياء كلهم) فردا فردا وعلى المجموع فلا وجه لتخصيصه بالاول كما تقدم فتذكره (قالوا) اى الحاضرون عند ابن عباس السامعون لكلامه (فما فضله على اهل السماء) اى ما سببه ودليله (قال ان الله قال ومن يقل منهم) اى من اهل السماء (انى اله من دونه) اى من يأت منكم الهية غيره (فذلك) القائل (نجزيه جهنم) تهديدا لمن اشرك منهم وتقطيعا(٢) لامر الشرك وتعظيما لتوحيده تعالى (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا فتحنا لك الآية) جعله مغفورا له غير مؤاخذ بما صدر ومايصدر واورد عليه انه لادلالة فيما ذكر على المدعى لانه على سبيل الفرض مع القطع بعصمتهم وقد خاطبه بمثله في قوله تعالى (لئن اشركت ليحبطن عملك) ولك ان تقول وجه الدلالة انه هددهم على سبيل الفرض بعذاب جهنم ودخولها ولم يهدده بمثله وهذا يدل على انحطاط رتبتهم عنده عن رتبته فتأمل (قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس) اى ان هذه الآية تدل على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وتخصيص رسالة كل رسول بقومه وكافة صفة مفعول مطلق مقدر اى رسالة كافة اى عامة وللناس متعلق به والحاصل ان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فهم من هذه الآية العموم والخصوص واستدل بها فلا يقال انه لايلزم من انه لاينطق الا بلسان قومه انه لم يرسل الا لهم لانه على مقتضى الظاهر فلا يدعى غيره الا بدليل والدليل قائم على خلافه كما مر (وعن خالد بن معدان رحمه الله تعالى) هذا الحديث روى من طرق كما اشار اليه المصنف ورواه ابن اسحق مرسلا والدارمي واحمد موصولا عن خالد عن عبد الرحمن السلمي عن عتبة بن

(٢) وتعظيما نسخه

عبدالسلمي بطوله ومعدان حمصي تابعي من كبار التابعين وزهادهم ادرك سبعين من الصحابة وتوفي سنة اربع ومائة (ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله اخبرنا عن نفسك) اي عن حالك وشانك من ابتداء امرك (وقد روى نحوه) اي نحو ما رواه خالد (عن ابي ذر) الغفاري الصحابي رضي الله عنه اخرجه الدارمي (وشداد بن اوس) بن ثابت بن منذر بن حرام وهو ابن اخي حسان بن ثابت بن حرام بالمهملتين المفتوحتين صحابي نزل بيت المقدس وتوفي بالشام سنة ثمان وخمسين رضي الله عنه والرواية عنه اخرجها ابو نعيم في الدلائل (وانس بن مالك) اخرجه ابو نعيم ايضا (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله عن نفسه (نعم) جواب لسؤالهم اي اخبركم بذلك (انا دعوة ابي ابراهيم) بدل من ابي اوعطف بيان اي اثر دعوته اوعينها مبالغة ونعته بانه اب لاطلاقه على الجد ولبيان انه من ذريته الذين دعالهم (يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) فهو المراد بالرسول في دعوته المجابة (وبشرى عيسى) عليه الصلوة والسلام تقدم بيانه (ورأت امي) اراد رؤيا امه فغير الاسلوب لانه نوع لما قبله فهو على نهج قوله وجعلت قرة عيني في الصلوة كما تقدم (حين حملت بي) وفي رواية حين وضعتني فالرؤيا وقعت مرتين وهذا يحتمل انه رؤيا منام ورؤية يقظة والمرئي محذوف دل عليه قوله (انها خرج منها نور اضاء له قصور بصرى) بضم الباء والقصر بلدة من اعمال دمشق هنا وهي ايضا اسم بلدة اخرى من قرى بغداد قرب عكبرا كما في معجم ياقوت وهي مدينة حوران وقيل انها قيسارية او حوارزم وهو غير صحيح لان قوله (من ارض الشام) يأباه فهو عملة من قائله والصحيح انها مدينة بين المدينة ودمشق وهي اول بلاد الشام فتوحا فتحت سنة ثلاث عشرة والشأم الاقليم المعروف بهمزه ويجوز ابدالها الفا كراس وفيه لغة اخرى شام بالمد قال ابن قرقول اباها اكثرهم وحده طولا من العريش الى الفرات وقيل الى نابلس وعرضا من جبل اجا(٢) وسلمى الى بحر الروم وما سامته ودخله من الصحابة كثيرون ودخله صلى الله تعالى عليه وسلم اربع مرات مرة مع عمه ابي طالب لما رآه بحيرا ومرة في تجارته لخديجة مع غلامها ميسرة ومرة حين اسرى به ومرة في غزوة تبوك قال ابن عساكر رؤية آمنة النور حقيقة حين وضعته واما رؤيتها له حين حملت فكانت في المنام كما قاله الواقدي ثم حقق الله لها ذلك اذا وضعته لانها كما ورد في الحديث انيت وقيل انها انك حامل بسيد هذه الامة وآية ذلك ان يخرج معه نور يملأ قصور بصرى فحقق الله ما رأته اولا وهو كلام حسن وتخصيصه لانه اول فتح في الاراضي المقدسة (واسترضعت) بالبناء للمجهول اي طلبت امي ان اكون رضيعا (في بني سعد بن بكر) ارضعته منهم حليمة السعدية بنت ابي ذؤيب زوجة الحارث بن رفاعة بعد ما ارضعته ثويبة مولاة ابي لهب وله اخوة من الرضاعة مذكورون

(٢) قوله اجا بضم الهمزة وتشديد الجاء المعجمة والقصر اسم موضع بالقصرة مشتمل على قرى وانهار قاله مصححه «احمد طاهر»

مع قصة ارضاعه فى كتب السير (فبينا انا مع اخ لى) من الرضاع لامن النسب اذليس له صلى الله تعالى عليه وسلم اخ ولا اخت من النسب وبينا ظرف والفه للاشباع اوكافة كبينما والكلام عليهامفصل فى كتب العربية (خلف بيوتنا) اضاف البيوت له باعتبار السكنى اوالتغليب لان المراد بيوت بنى سعد (نرعى بهما) الرعى اكل الحيوانات النبات والذهاب بها لترعى وهو المراد هنا والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان مع الرعاة لاراعيا لصغر سنه والبهم بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء والميم وهى جمع بهمة اسم لاولاد الضأن واولاد المعز سخال ويطلق على مايعمهما قال

صغيرين نرعى البهم ياليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

(لنا) اضافها له معهم لاختلاطه باصحابها لادنى ملابسة (اذجاءنى رجلان) اى ملكان فى صورة رجلين فهو مجاز (عليهما ثياب بيض) وفى حديث آخر ثلاث رجال وهم جبريل واسرافيل وميكائيل عليهم الصلوة والسلام كما اشار اليه بقوله (وفى رواية اخرى ثلاثة رجال) وجمع بينهما بانه جاءه اثنان اولا لشق صدره والثالث اتى بعد مباشرته (بطست من ذهب مملوة ثلجا) وفى رواية ملكان وفى رواية كوكبان كانهما انقضا عليه كوكبان ثم تمثلا بصورة رجلين والطست بفتح الطاء وسكون السين المهملة ومثناة فوقية وفيه لغة اخرى طس بتشديد السين وطسه بهاء وفى طائه الفتح والكسر ففيه خمس لغات وهو اناء معروف واستعمال الذهب لم يكن حراما اذ ذاك لاسيما وهو من الجنة لامن ذهب دنيا فلاحاجة للجواب بانه يجوز للصغار وانه يجوز تحلية آلات الطاعة به كالمصحف والسيف مع مافيه وفى رواية انه من زمرد اخضر وانه صب عليه من ابريق فضة واما كون الطشت بشين معجمة فقيل انه غلط وقيل انه لغة فيه ومملوة بالتأنيث لان الطست يذكر ويؤنث اوهو لتأويله بآنية وهى مجرورة صفة اومنصوبة حال والمراد انه نقى بالثلج اوبمائه ولا حاجة للبحث فيه هل هو مطهر املا لان هذه امور لايطلع عليها وروى انه غسل بماء الجنة وبماء زمزم وهذا كان فى حال الطفولية ووقع فى رواية انه كان بعد هذه المدة للاسرى به فمنهم من قال الروايتان متعارضتان ورد هذه وقال السهيلى لاتعارض بينهما وانه وقع مرتين الاولى لتنقيته من الحظوط النفسانية والاخرى ليقدس فيقوى على العروج لمشاهدة الانوار العلوية وكونه مخلوقا من النور لاينافيه كما توهم وروى بان الطست مملوء حكمة وايمانا وان الثلج لبرد اليقين فهو اما تأويله اوتجسيم الاعراض وليس ذلك على الله بعزيز والثلج بسكون اللام وقال التلمسانى بفتحها بمعنى اليقين فيجوز قراءته بالفتح فتكون هذه الرواية كرواية مملوءة حكمة وايمانا (فاخذانى) اى امسكاه صلى الله تعالى عليه وسلم واضجعاه (فشقا بطنى قال فى غير هذا الحديث من نحرى الى مراق بطنى) النحر اعلى الصدر ومراق بفتح الميم

(وتشديد)

وتشديد القاف وهو مارق ولان من البطن ولا واحد له من لفظه والميم زائدة (ثم استخرجا منه) عائد على الجوف المعلوم من السياق او للبطن لتأويله به (قلبى) مفعول استخرجا (فشقاه) اى القلب وهذا من المعجزات لان الاطباء اجمعوا على ان القلب لا يحتمل جراحة اصلا فكيف يعيش صاحبه اذا شق (واستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها) اى رمياها لانها حظ الشيطان ومغمزه وفيها الحسد والحقد ووسوسة الشيطان والحرص والشهوة المذمومة والعلقة دم منجمد كالعلقة المعروفة فى دود الماء قال السبكى رحمه الله تعالى فى طبقاته سئل الوالد رحمه الله عن هذه العلقة التى اخرجت من قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم حين شق فؤاده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك فاجاب بان تلك العلقة خلقت فى قلوب البشر قابلة لما يلقى الشيطان فيه ولم يكن للشيطان فيه حظ وانما الذى نفاه الملك منه امر فى الجبلة البشرية فازيل القابل الذى لا يلزم من حصوله حصول الالقاء فى القلب وانما خلقت على هذا لانها من اجزاء البدن المكملة لخلقه فلا بد منه ثم نزعت بامر ربانى طرا بعده وقريب منه قول الاستاذ محمد البكرى فى رسالته النافعة نزع العلقة من باطنه المقدس المطهر وقول الملك انها حظ الشيطان اى لو تعلق الشيطان بمحل منه كان هذا فخلق ابتداء تكملة لاصل الخلقة وتسوية للنشأة الانسانية مع زيادة اظهار يأس الشيطان باخراجها منه وهذا من تقديس السر وتنزيهه اعلاه واشرفه وقدر لا يدانيه احد فيه * اقول حاصله ان الله خلقه صلى الله عليه وسلم كامل البنية مكملا فاقتضت الحكمة الربانية ان يكون جسمه احسن الاجسام وقلبه اقوى القلوب كما ان روحه صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم الارواح وانورها ولما كان القلب رئيس الاعضاء بقوته تقوى صفاته من الشجاعة والفطنة وغيرها وهذه العلقة جزء سوداوى به يكون القلب قوى البنية راهى الثمرة وعليه يبنى لكونه محل الحب والهوا كغصن نضج ثمرته ينزع محمه ويرمى ولكونه سوداويا ردى الاخلاط كان محلا لافساد الاوهام والخيال الذى هو لريحان الفكر كالحشيش النابت بينه بقلعه يقوى فاندفع انه لم لم يخلقه الله بدونها حتى يتطهر من دنس الوسوسة وما يقبلها فلا يأتى لشق وملء وطهر ان معنى كونها حظ الشيطان انها محل حظه لو كان لكنه لم يكن وانما طابت هذا لانه سر من اسرار الله تعالى ولله در ابن قرناص الحموى فى قوله

اما والله لو شقت قلوب * ليعلم ما بها من فرط حب

لارضاك الذى لك فى فؤادى * وارضانى رضاك بشق قلبى

(ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى انقياه) ولما كان ارضه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ثلج بها غسل بذلك ليعلم انه من عالم الغيب والحسنة ويقال نقاه بالتشديد وانقاه اذا جعله نقيا نظيفا والمشهور الاول وفى هذا دليل على عصمته صلى الله

تعالى عليه وسلم قبل النبوة من جميع الآثام والنقائص وكيف يتصور بعد ما ... ان يصدر منه زلة او امر لايرضى الا سهوا ونحوه لايؤاخذ به (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث آخر ثم تناول احدهما) اى اخذ من ملك غيره او اخرجه من يده واصل المناولة الاخذ من غيره (شيئا فاذا بخاتم فى يده من نور) اى يتلألأ و يضيء اضاءة زائدة حتى كانه مجسم من النور ففيه مبالغة فى اشراقه كقوله تعالى (خلق الانسان من عجل) وفى رواية انه خيط بمخيط وكان يرى فى صدره الشريف اثر الخياطة (يحار الناظر دونه) اى فيما دونه او اقل منه (بهاء) اى نورا ونفاسة والناظر اما بمعنى الشخص الذى ينظره ويحتمل ان يريد به العين وانسانها لانه تطلق عليها فعلى الاول المعنى انه يتحير من نوره وحسنه فى معرفته وعلى الثانى النسبة اليه مجازية والمراد صاحبه او معناه يبهت ولايطرق اجفانه وفيه وفى قوله دونه لانه اذا تحير فيما دونه فكيف به (فختم به قلبى) كما يختم الكيس والخزانة التى فيها الجواهر وكل نفيس وختمه لئلا يصل اليه مالايليق به من الوسوسة ولئلا يضيع مافيه وفيه اشارة الى انه خاتم الانبياء وليس هذا ولا اثره خاتم النبوة المذكور فى الحديث حتى يقال انه اختلف فيه هل ولد به او كان حدوثه حين نبئ ولا فى هذا الحديث بيان لانه كان حين شق صدره كما توهم والختم حفظا له عن ان يخرج مما احرز شيء بغير علمه فلا يرد ماقاله السهيلى انه ينافى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم الناس الحكمة وتفجرت من قلبه ينابيع الحكم وفاضت انواره على العالم (فامتلأ ايمانا وحكمة) فى تفسيرها اقوال والذى صفا منها انها العلم المشتمل على معرفة الله مع البصيرة وتحقيق الحق والعمل به وفى التفريع هنا خفاء لان مقتضى الظاهر ان يقدمه على الختم ولايرتبه عليه فيقول ملأه فامتلأ ثم ختمه لانه بعد الختم لايدخله شيء الا ان يؤول بانه تبين فى انه امتلأ اللهم الا ان يقال انه دخل فيه نور من الخاتم ثم ملأه بما ذكر ومر ان العلم والحكمة معنى لايملأ حيزه فاما ان يقال انه تجسم او جعل بمنزلته (ثم اعاده مكانه) اى اعاد الخاتم فى مكانه الذى كان من يده او يد غيره وليس الضمير للختم كما توهم حتى يقال انه يشعر بانه كان من اصل خلقته (وأمر) بتشديد الراء المهملة اجره اى مسح والصق يده مارة (الآخر) اى الملك الآخر (يده على مفرق صدرى) بفتح الميم والراء وكسرها بينهما فاء ساكنة اى محل الشق والافتراق الذى كان منه فهو بمعناه اللغوى وان اختص عرفا بوسط الرأس او هو مصدر ميمى (فالتأم) بهمزة بعد المثناة الفوقية اى انضم واجتمع حتى لم يبق فرجة من الشق (وفى رواية اخرى ان جبريل عليه الصلوة والسلام قال) بعد ماامر (قلب وكيع اى شديد) وفى كتب اللغة تفسيره بصلب وغليظ والمراد هنا ماذكره المصنف ومنه نقل العلم (فيه) اى فى قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم (عينان)

(تبصران)

(تبصران واذنان سميعتان) لا يخفى ان حمله على ظاهره كما قيل بعيد فالمراد انه شديد الادراك لما يبصر ويسمع وكون القلب لا يدرك المحسوسات لانه انما يدرك المعقولات لا وجه له فانه يدركها بواسطة الحواس وفي التعبير عن الاول بالمضارع وعن الثاني بالاسم الدال على الثبوت تفنن وايماء الى ان الاول لا يكون الا بفعل يحدث منه كالمقابلة ومنع الحجب بخلاف الثاني واسنادهما ليس بمجازي وهذا كالتعليل لما قبله (ثم قال احدهما) اي الملكين (لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنتهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنتهم فرجحتهم (٢) ثم قال زنه بالف من امته فوزنتهم فوزنتهم) الوزن معروف ورجحانه زيادة ما في الكفتين وثقله فينزل الراجح ويعلو مقابله والمراد بامته من اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهم امة الاجابة او من وجد في عهده وهم امة الدعوة فمن فسره بالاول يعلم الثاني منه بالطريق الاولى وعدم الاعتداد بغيرهم ويجوز ارادة الثاني وهذا الوزن الظاهر ان المراد منه مجرد المقابلة بين كماله صلى الله تعالى عليه وسلم وكمالاتهم بحسب النظر العلمي ومنهم من ذهب الى انه على ظاهره وحقيقته وان لم يعرف كيفيته الا انه يحتاج لتأويله لان الامة لم يكونوا موجودين فقيل المراد منهم ارواحهم وان الله اطلعهم على ذلك وانما ذكروه ليطلع على ذلك وتعلم به امته ثم انه وقع في هذا الحديث اختلاف في رواية ابي ذر رضي الله تعالى عنه ان الوزن قبل الشق وانه ابتدأ في الوزن بالواحد ثم العشرة واختار المصنف هذه الرواية لان الرجحان بما ذكره الله تعالى فيه بعد اماطة ما لا وزن له عند الله وفيه ايضا انه وضع فيه خاتم النبوة بين كتفيه وقال شيخ والدي الشهاب بن حجر الهيثمي انه وقع في بعض الروايات انه ولد بخاتم النبوة فان الحاكم روى بسند حسن عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن بعض الاحبار انه قال ولد في هذه الليلة يعني ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم نبي هذه الامة بين كتفيه علامة فيها شعرات وفيه دليل على انه ولد بخاتم النبوة لكن جاء بسند اصح من هذا ان الملكين لما شقا صدره الشريف ختماه بخاتم النبوة ويمكن الجمع بانهما ختما ذلك المحل الثاني عند الوضع بعد ختمه اولا اشارة الى زيادة الاعتناء والتشريف ثم رأيت من جمع بينهما بانه كان في موضعين على الكتف وبين كتفيه وروى بسند ضعيف انه رفع بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم واعلم ان بعض الشراح قال ان الشق والغسل في ذلك ليس مخصوصا به صلى الله تعالى عليه وسلم بل كان لسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام لما روى انه كان في تابوت السكينة الطست الذي غسلت فيه قلوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام (ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته وزنها) اي لغلبهم في الوزن ولا عادلهم وباب المغالبة معلوم من كتب الصرف وفي هذا الحديث دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من جميع

(٢) فوزنتهم نسخه

الناس واقواهم شجاعة وقدرة على الجماع وعلما وفطنة كما مر لما اودع فى قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم مما لم ينله غيره (قال فى الحديث الآخر ثم ضموني الى صدورهم) اى عانقونى اظهارا لمحبتهم وتكريمهم لى (وقبلوا رأسي وما بين عيني) بتشديد الياء للتثنية وفيه استحباب تقبيل الرأس وما بين العينين لمن ينبغى محبته واكرامه اظهارا لذلك (ثم قالوا ياحبيب) بالبناء على الضم واصله ياحبيب الله (لم ترع) بضم المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة وعين مهملة اى لم تخف وتفزع وهو مبنى للمجهول اى حصل لك من قوة القلب مالا يعتريك بعده خوف من شئ والمراد تطمين قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما وقع من الشق له ثم استأنف بجملة مؤيدة لماقبلها فقال (انك لو تدرى مايراد بك من الخير) اى مايريده الله لك من الكمال والخير الدنيوى والاخروى (لقرت عيناك) اى لسررت سرورا عظيما وقدمر ان قرة العين الفرح وهو ضد سخنت فهو من القر بمعنى البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حر او من قر بمعنى ثبت وسكن طرفه لانه لم يبق له شئ يطمح له عينه ويطرفه (وفى بقية هذا الحديث من قولهم) اى من قول هؤلاء الملائكة وهذا موافق لكونهم ملائكة كما مر (ما اكرمك على الله) تعجب من رفعته صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته عند ربه (ان الله معك وملائكته) بعنايته ونصره وليس فى قوله من قولهم ما يقتضى انه مشتمل على مقولهم ومقول غيرهم كما قيل (قال فى حديث ابى ذر) المشهور المذكور اولا وهذا الحديث رواه الدارمى (فما هو) اى فعلهما بعد ذلك وما نافية وقيل الضمير للشان وهو على حد قولك لم يلبث فلان ان فعل كذا والمراد السرعة (الا ان وليا) اى رجعا وانصرفا عنى بعد فعلهما ومقالتهما السابقة (فكانما ارى الامر معاينة) المراد بالامر هنا ما اكرمه الله به وماسيكرمه به من مقدمات النبوة وارهاصاتها وما زاد فى فطنته وعلمه ولتحققه لذلك جعل كالمحسوس المرئى ببصره وليس المراد به القصة المذكورة من مشاهدة الملكين ومافعلاه كما توهم وقد اتى بخبط وخلط فى تفسيره لاطائل تحته (وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندى وغيرهما) تقدم ترجمتهما والكلام عليهما (ان آدم عليه الصلوة والسلام عند معصيته) اى اكله من الشجرة وسيأتى الكلام عليه فى عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وهذا الظرف متعلق بقوله (قال) ومقوله (اللهم بحق محمد) اى بما يستحقه عندك من الزلفى والكرامة وهذا الحديث رواه البيهقى والطبرانى عن عمر رضى الله عنه بسند فيه ضعف وفيه دليل على انه يجوز ان يقال فى الدعاء بحق الانبياء ونحوه خلافا لمن افتى من علماء العصر انه لايجوز ان يقال مثله لانه ليس لاحد على الله حق وقد وقع مثله فى احاديث كثيرة ومعناه مامر (اغفر لى خطيئتى ويروى وتقبل توبتى فقال له الله من اين عرفت محمدا فقال رأيت فى كل موضع من الجنة) رأى هنا بصرية

(مكتوبا لااله الاالله محمد رسول الله) نائب فاعل اسم المفعول (و يروى محمد عبدى ورسولى) بدل رسول الله (فعلمت) بما رايته من كتابته و اقتران اسمه باسمك (انه اكرم خلقك) اى مخلوقاتك (عليك فتاب الله عليه وغفر له) ذنبه لتوسله الى الله بحبيبه وصفيه و بما علمه من ذلك (وهذا) اى الحديث المذكور (عند قائله) اى عند من رواه واعتمده وهو مكى رحمه الله تعالى ومن سبق ذكره وليست الاشارة لقول آدم عليه السلام اللهم الى آخره كما قيل (تأويل قوله تعالى) اى تفسيره لان التأويل يرد بمعنى مطلق التفسير و بمعنى التفسير بمقتضى العربية من غير نقل مأثور ويكون ايضا بمعنى مايؤول اليه ويتحقق به فى الواقع وهو اصل معناه (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وهذا فيه خفاء لان معنى تلقيها من الله اخذها منه بغير واسطة والمذكور انه رأها مكتوبة فى الجنة فكانه جعل الهام الله له الدعاء بمنزلة تلقيها عنه وقيل انه على قراءة ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات ومعنى تلقيها استقناؤها باحدها والعمل بها حين علمها واشار بقوله عند قائله الى ان فيه اقوالا اخر فقيل الكلمات المتلقاة هى (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وقيل * اللهم لااله الا انت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فاغفر لى فانك خير الغافرين اللهم لااله الا انت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فتب على انك انت التواب الرحيم * فسقط ماقيل انه ليس فيه على هذه الرواية انه تلقى من الله والكتابة لاتسمى كلمات الا مجازا ولاقرينة تدل عليه قيل وفيه دلالة على ان آدم عليه الصلوة والسلام كان يعلم الكتابة وسؤال الله له بقوله من اين الى آخره ليس استفهامه على حقيقته امامه به وانما هو تشريف له بخطابه وليبين له فضيلة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عقبه (وفى رواية اخرى فقال آدم عليه الصلوة والسلام لما خلقتنى رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب لااله الاالله محمد رسول الله) فيه خبر مقدم ومكتوب مبتدأ مؤخر صفة شئ مقدر ولااله الاالله الى آخره بدل منه او هو مبتدأ مكتوب خبره وفى بعض النسخ وفى رواية الآجرى بالمد وضم الجيم وتشديد الراء المهملة وياء نسبة الآجر المعروف وهو الامام القدوة ابو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى مصنف كتاب الشريعة شيخ ابى نعيم سكن مكة وتوفى بها فى المحرم سنة ستين وثلثمائة (فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك) فلازما لمقارنته قيل هذا فى الرواية الاولى ظاهر ادفيها فى كل موضع واما هنا فهو فى موضع واحد واجيب بانه يحتمل ان الرواية الاولى زيادة على هذه وتركها لئلا يتكرر ولايخفى بعده ولاحاجة الى مافهمه من لزوم المقارنة بل المقارنة فى هذا المحل العظيم تكفى من قاله قال ومن هذا الحديث يؤخذ ان كتابة اسماء الله ونحوها

فى سقوف المساجد وغيرها غير مكروهة كما توهم (فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ماخلقتك) فروحه صلى الله تعالى عليه وسلم مخلوقة قبل الارواح والانبياء كلهم خلقوا لاجله ووجوده سبب لوجودهم فهو اب معنوى لهم وكلهم اتباعه فى الوجود قيل قوله فاوحى الله اليه يقتضى ان هذا الخطاب وحى لامشافهة وقوله لماخلقتنى قبله يدل على خلافه وقد يقال انه خاطبه اولا واوحى اليه بعد ذلك مع ان الداعى مخاطب ربه وان لم يخاطبه فلايدل كلامه الاول على ان كلام الله معه بدون وحى (قال وكان آدم عليه الصلوة والسلام يكنى بابى محمد وقيل بابى البشر) كما رواه البيهقى عن على كرم الله وجهه مرفوعا والثانى اشهر ﴿ تنبيه ﴾ قوله ولولاه ماخلقتك خلاف اللغة فانها فى الاكثر يليها ضمير رفع منفصل يحذف خبره وجوبا اذا كان عاما وقد يكون مخصوصا فيذكر على قول ويليها ضمير مجرور صورة كما هنا قليلا فيقال لولاى ولولاك ومنعه المبرد رحمه الله تعالى واجازه غيره فقيل انها حرف جر وقيل انه نائب عن المرفوع واتصل بغير عامله ومنعه سيبويه بمنع النيابة فى غير الضمائر المنفصلة وغيره يجيزه مع الحروف والافعال كما تقرر فى محله وعليه الزمخشرى (وروى عن سريج بن يونس) بضم السين وفتح الراء المهملتين وياء مثناة تحتية وجيم وصحفه بعضهم بشين معجمة وحاء مهملة وهو غلط وهو ابو الحارث البغدادى امام الحديث توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وروى له مسلم والبخارى (انه قال) ان كان الضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المعلوم من السياق فهو ظاهر وان كان لسريج فهو فى حكم المرفوع لان مثله لايقال بالرأى (ان لله تعالى ملائكة سياحين) من السياحة من ساح الماء اذا جرى ثم شاعت فى السير الطويل والمشى فى الارض والسفر من غير مقصد معين للنظر فى المصنوعات ونحو ذلك (عبادتها) اى الملائكة واسنده نظرا لظاهر لفظه او لتأويله بطائفة وعبادتها بتاء موحدة بعده مضاف مقدر اى حفظ (كل دار (٢) فيها) من اسمه (اسمه احمد او محمد) او دخول كل دار ونحوه وضبط ايضا مثناة من تحت والمراد بالعبادة الزيارة وقدم احمد لانه سمى به قبل محمد ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم معروف به عند الملائكة او للترقى (اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم) اى زيارتهم لاجل الاكرام وقال بعضهم لثلا يتوهم انهم اتوا باكرام من غيرهم وانهم رسل فى ذلك والا فهو حشو ويأتى ان اهل مكة ونقل بعض اهل المدينة يقولون كل دار فيها من اسمه محمد يوسع الله رزقهم وهو عن تجربة منهم وقيل هذا لايختص بهذين الاسمين بل كل من تسمى باسم من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك وفيه نظر (وروى ابن قانع القاضى) بقاف ونون بعد الف وعين مهملة وهو عبد الباقى بن قانع بن مرزوق الاموى البغدادى صاحب معجم الصحابة وكتاب القوم وترجمته فى الميزان وهو ثقة فى الرواية الا انه قيل

(٢) على دار سعه

انه تغير في آخر عمره وتوفي سنة احدى وخمسين وثلثمائة قال البرهان كان على المصنف
ان يذكر تقدم السند من ابن قانع الى قوله (عن ابي الحمراء) حتى يعرفه ويعرف ابا الحمراء
واعتذر بانه لم يلتزم الاسناد في كتابه وانما اشترط ما صح عنده واشتهر والظاهر
انه استغنى عنه بروايته عن ابن قانع لانه ذكره مسندا فيه وقد اسنده الطبري ايضا
وفي بعض النسخ ابن نافع بالفاء وهو الفقيه صاحب الامام مالك وهو وهم وتحريف
وابو الحمراء بحاء مهملة وميم وراء مهملة ممدود قال البرهان ولا يعرف من المراد به
فان ابا الحمراء الصحابي مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه هلال بن
الحارث او ابن ظفر اخرج له ابن ماجة حديثا غير هذا وكان بحمص وقال يقال له
صحبة ولا يصح حديثه ومن الصحابة ابو الحمراء مولى آل عفراء البدري ولا تعرف له
رواية ولا يعرف في التابعين من اسمه ابو الحمراء ولا فيمن بعدهم (قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا) هي فجائية اي صادفت فجأة
(على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) العرش في اللغة سرير الملك
وعرش الرحمن غير السموات وهو سقف الجنة وهل هو الكرسي او غيره فيه خلاف
ليس هذا محله وكون اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا مع اسم الله على العرش
وفي الجنة ورد في احاديث كثيرة والظاهر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرف
تلك الكتابة بالهام من الله او بذكر جبريل عليه الصلوة والسلام لها او غيره
من الملائكة قالوا له هذا اسمك مكتوب هنا فلا يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم
امي لا يقرأ ولا يكتب وقد تقدم ما في ذلك (ايدته بعلي) كرم الله وجهه في حيوته لما له
من الصحبة القديمة والآثار العظيمة في غزواته معه والتأييد التقوية والنصر
ولا يلزم من هذا تفضيله على غيره من الخلفاء كابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما
ولان تأييده له اعظم ولعل لتخصيصه هنا وجه لا يقف عليه الا الانفس القدسية
(وفي التفسير) اي في كتبه ولم يعين المنقول عنه لوجوده في كثير منها (عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما) رواه الخطيب عن مالك وورد مرفوعا عن ابي ذر رضي الله تعالى
عنه واخرجه البزار موقوفا عن علي وعمر رضي الله تعالى عنهما والبيهقي في الشعب
(في) تفسير (قوله تعالى وكان تحته) اي الجدار الذي اقامه الخضر عليه الصلوة والسلام
(كنز لهما) لليتيمين (قال) اي ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالكنز وهو المال
المدفون (لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا) منصوب بفعل محذوف وجوبا اي اعجب
عجبا واللوح بفتح اللام وقد تضم صحيفة مبسوطة (لمن ايقن بالقدر) اي تيقن
قضاء الله وقدره وانه لا يكون الا ما قدر وما قدر لا بد ان يكون فالتصميم بمعنى من عداه
بالنساء واليقين الاعتقاد الجازم (كيف ينصب) بفتح اوله وثالثه من النصب
بصاد مهملة وهو التعب والاستفهام للتعجب الانكاري اي كيف يتعب نفسه في تحصيل

رزقه وماقدرله لايتخلف عنه مقدار ذرة ولحظة وللقاضى ناصح الدين الارّجانى

ياقلب تحل من هموم وشجون * بادرفرص الزمان من قبل يخون
لاتأس فان حملك الهم جنون * ماقدر ان يكون لابد يكون

(عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك) اى من تيقن وجود النار وعلم انه لايخلو من زلة يعاقب عليها فكيف لايخاف منها ويكون ضاحكا مسرورا وهو لايعلم اشقى هو ام سعيد والموت اقرب له من حبل الوريد (عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها) اى تغير احوالها فى كل حين قال الراغب التقلب التصرف قال الله تعالى (او يأخذهم فى تقلبهم) فالباء بمعنى فى اوم ع اى تصرفها فى اهلها او تغيرها وتغير اهلها (كيف يطمئن) قلبه ويركن (اليها) بعدما رأى منها وشاهد (انا الله لااله الا انا) فله الحكم والامر وبيده كل شئ فى قبضة تصرفه (محمد عبدى ورسولى) ارسلته للناس كافة وهذا التفسير يشعر بانه حديث قدسى او حاه الله لبعض انبيائه وقد ذكره القرطبى فى تفسيره بهذا اللفظ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن عجب لمن يؤمن بالرزق كيف ينصب عجب لمن آمن بالموت كيف يفرح عجب لمن آمن بالحساب كيف يعمل عجب لمن عرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لااله الا الله محمد رسول الله انتهى وعجب فى هذه الرواية مرفوع بالابتداء كسلام عليكم وهذه رواية عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقيل الكنز مال وقيل غير ذلك (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على باب الجنة مكتوب انى انا الله لااله الا انا محمد رسول الله من قالها) اى من نطق بكلمة الشهادة مؤمنا مخلصا (لا اعذبه) وان ارتكب الذنوب وهذا كقوله تعالى (لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) وقد ورد مثله كثيرا فى الاحاديث الصحيحة (وذكر انه وجد) بالبناء للمجهول فيهما ولم يذكر فاعلهما لعدم وقوفه عليهما ولاينافى هذا انه دأبهما ماصح اواشتهر لانه باعتبار الاغلب وكونهما مبنيين للفاعل والضمير المستتر لابن عباس كاقيل يحتاج لنقل (على الحجارة القديمة) اى الموجودة قبل عصر النبوة لان الكتابة لوكانت حديثة بخط هذه الامة لم تكن دالة على مانحن فيه (مكتوب محمد تقى) اى ممتثل لاوامر الله مجتنب لنواهيه صلى الله تعالى عليه وسلم (مصلح) لجميع الناس بهدايتهم لكل خير وسعادة وللدنيا بعدله (وسيد امين) على اوحى [illegible] كما تقدم (وذكر السمنطارى) بسين مهملة وميم مكسورتين ونون ساكنة [illegible] مهملة بعدها الف وراء مهملة وياء نسبة مشددة قال صاحب القاموس فى تاريخ المدينة انه نسبة لسمنطار قرية من جزائر [illegible] وقيل هو الذهبى [illegible] اهل [illegible] ابو بكر بن عتيق بن على احد عباد [illegible] [illegible] وزهادها وله [illegible]

مجلدا كبيرا لم يسبق لمثله ومنه نقل المصنف هذا الحديث انتهى وقال التلمسانى انه من الاجلة وله تآليف فى فنون العلم فى قال لم ارله ترجمة ونحن فى غنية عما نقل عنه من الغريب فقد شهد على نفسه بقلة الاطلاع (انه شاهد فى بعض بلاد خراسان) هو اقليم معروف قيل وقد تسكن راؤه وتحذف الفه وفى الزاهر لابن الانبارى معناه مطلع الشمس لان خور بالفارسية معناه الشمس (مولودا ولد) اى حين ولادته وخروجه من بطن امه فلا يتوهم ان وصف المولود بانه ولد من اللغو (وعلى احد جنبيه) اى شق بدنه وصفحته (مكتوب لااله الاالله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون) المراد بهم المؤرخون الذين لهم اعتناء باخبار الامم السالفة ولما كان الاخبار جمع خبر وهو عام مخصوص بهذه الطائفة بسبب الجمع لمشابهته العلم كانصار وانصارى ولولا هذا رد فى النسبة لمفرده كسائر الجموع المنسوب اليها (ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لااله الاالله محمد رسول الله) اى مكتوب فيه بلون ابيض عكس المشهور من كتابة الالوان فى البياض للدلالة على انه ليس من صنع البشر وهذا كقول الابوصيرى فى مطلع قصيدة له

كتب المشيب بابيض فى اسود * نقصا لعين الحاسد الحرد

وقد ذكر ابن العديم فى تاريخه حكايات كثيرة منها انه وجد ببلاد الهند مثله فى الثمار والاوراق وان الصيادين رأوا مثله فى السمك واعلم ان ما اشتهر من ان الورد الاحمر خلق من عرق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او من عرق جبريل عليه الصلوة والسلام موضوع كما نقله ابن حجر عن النووى والذهبى وابن عساكر وكذا ما فى الفردوس من ان الورد الابيض خلق من عرقى ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق وعن انس رضى الله تعالى عنه يرفعه قال لما عرج بى الى السماء بكت الارض من بعدى فنبت اللصف وهو الكبر من نباتها فلما ان رجعت قطر من عرقى على الارض فنبت ورد احمر الا من اراد ان يشم رائحتى فليشم الورد الاحمر والورد كما قاله ابو حنيفة الدينورى نور كل شجرة وزهر كل نبت ثم خص بهذا الورد المعروف فقيل لاحمره الحوجم ولابيضه الوتير وفى شرح نقط الزند الورد ما يضرب الى الحمرة يقال اسد ورد وفرس ورد ودم ورد اى احمر والورد المشموم ليس بعربى فى الاصل الا ان العرب تسمى الزهر وردا اسهى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة ينادى مناد فى الموقف الا ليقم من كان اسمه محمدا فليدخل الجنة لكرامتى ويأتى شرحه فيما بعده وفى رواية يقول الله له عبدى لم تستح منى اذا عصيتنى واسمك محمد وانا استحيى ان اعذبك وانت سميت حبيبى اذهبوا به الى الجنة والى هذا اشار فى البردة بقوله

فان لى ذمة منه بتسميتى * محمد وهو اوفى الخلق بذمم

(روى عن جعفر بن محمد) هو جعفر الصادق وقد تقدمت ترجمته ومحمد هو

محمد الباقر وقد تقدم ايضا (عن ابيه) ابو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (اذا كان) هي تامة بمعنى وجد (يوم القيمة نادى مناد) من الملائكة امره الله بالنداء بقوله (الا ليقم من اسمه محمد) الا حرف استفتاح وتنبيه والمراد بالقيام الانفصال عمن معه ليمتاز عن غيره ممن لم يسم بهذا الاسم كما ان من قام عند قوم جالسين يتميز عنهم فهو استعارة او مجاز مرسل اريد به لازمه او كناية وليس هذا امر تسخير للاموات قبل احيائهم اى ليقوموا من قبورهم اولمن قعدوا فى ارض المحشر لما عرض له من الاهوال وطول القيام فانه بعيد من السياق ويأباه قوله (فليدخل الجنة) لانه مؤمن شرفه الله بهذا الاسم اذ لم يعهد التسمية احد من الكفار به بعد بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لكرامة اسمه عليه الصلوة والسلام) وهذا من تتمة الحديث فهو من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما علم من الرواية المتقدمة ولم يقل باسمي التفاتا او تجريدا اوهو مايدرج فيه من كلام جعفر رضي الله تعالى عنه وعلى الاول هو من كلام المنادى وليس هذا مما يقال بالرأى فهو حديث له حكم الرفع وماقيل من انه يؤدى الى الاتكال وعدم العمل مما لا يلتفت اليه وقد تقدم تتمته قريبا (وروى ابن القاسم) فقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة صاحب مالك وراوى الموطأ عنه وهو من الثقات توفى سنة احدى وتسعين ومائة (فى سماعه) اعنى الذى له فى مسموعاته عن شيوخه (وابن وهب) ابو محمد عبد الله بن وهب تفقه بمالك وروى عنه وعن غيره كابن دينار والليث بن سعد وصنف الموطأ الكبير والموطأ الصغير وكان اسن من ابن القاسم بثلاث سنين وعاش بعده خمس سنين (فى جامعه) وهو اسم كتاب له الفه على الابواب بخلاف ماالفه على الصحابة فانه من المسانيد (عن مالك) محيى السنة وامام دار الهجرة الامام المشهور رحمه الله تعالى (قال سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد) اى مسمى باسمه اوالمراد ظاهره لانه لا يكون الاسم بدون مسماه (الا نمى) اى زاد ذلك البيت بكثرة الاولاد والاهل فيه وزادت البركة فيه (ورزقوا) اى زادالله رزقهم ببركة ذلك الاسم وفى نسخة الا وقدوقوا من الوقاية اى حفظهم الله من كل سوء واسم محمد يحتمل ان تكون اضافته بيانية اى اسم هو محمد فيختص بهذا الاسم اولامية اى اسم من اسماء هذه الذات فيشمل جميع اسمائه وفى نسخة (ورزق جيرانهم) جمع جار وهو لغة الملاصق وشرعا الى اربعين دارا ويحتمل ارادة هذا ايضا لان بركته تعم جميع الدنيا (وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث مرفوع مسند كما قاله السيوطى وذكر سنده (ماضر احدكم) ما نافية واحدكم مفعول ضر و(ان يكون فى بيته محمد ومحمدان وثلثة) فاعله فى محل رفع ولا يمنع كونها موصولة ونفى الضرر المراد به وجود النفع ولكن هذا استعمل للحث حتى او هنا نفيا صرف

كونه سببا فكيف وفيه نفع عظيم واى نفع ويجوز ان يكون استفهامية وان يكون مجرورا بحرف مقدر اى اىّ شئ حصل له من الضرر لكونه فى بيته وتوهم بعضهم انه لايصح لان ان يكون فاعله فتبقى الجملة التى هى خبر عنها بلا عائد فيها وعندى انه احسن لقول الناس ماضرك لوصليت لمن ترك الصلوة وهذا فيه حث عظيم حتى لايتركه الابالمانع وضرر والاستعمال عليه وكون الضرر باعتبار الالتباس فى تعدد المسمى باسم واشتقاق مما لايلتفت اليه وفى بعض النسخ (وعن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مااجتمع قوم فى مشورة) بفتح الميم وضم الشين المعجمة ويجوز سكونها اى فى امر يتشاورون فيه (معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه فى مشورتهم الا لم يبارك لهم رواه جماعة منهم ابن عتاب) لان من تسمى به يبارك الله فيه ويلقى الرأى السديد ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اعرض عنه كان بضد ذلك (وعن عبدالله بن مسعود) رضى الله عنه فى حديث رواه احمد والبزار والطبرانى بسند رجاله ثقات وهو وان كان موقوفا له حكم الرفع لان مثله لايقال من قبل الرأى كما اتفق عليه فى مصطلح الحديث اكثر المحدثين (ان الله نظر الى قلوب العباد) ومافيها من العقل وقيل المراد ارواحهم لان القلوب تطلق عليها (فاختار منها قلب محمد) اى اصطفاه وارتضاه (فاصطفاه لنفسه ٢) اى جعله صفيا له مقربا عنده (٣) مختصا به لاتعلق له بغير الله فى ظاهره وباطنه ولذا جعله محلا للسر ومبلغا لاوامره ونواهيه وهذا كله على طريق التمثيل فهو استعارة اى عامله معاملة عظماء الملوك الذين ينتخبون من الناس من يكون وزيرا محرما لاسرارهم والمراد ان روحه وقلبه اشرف مخلوقاته فلذا كان مقربا عنده وخليفة له وفى اطلاق النفس على الله من غير مشاكلة كقوله تعالى (ويحذركم الله نفسه) وادعاء انه مشاكلة تقديرية تكلف فقول اهل المعانى انه لايطلق عليه الا مشاكلة كقوله تعالى (تعلم مافى نفسى ولا اعلم مافى نفسك) غير صحيح وجمع بين القولين بعض المحققين فقال النفس لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقه من غير مشاكلة والجسم ومايلزمه من النفس اللوامة والامارة وهذا لايطلق عليه الا مشاكلة (وحكى النقاش) ابوبكر محمد بن الحسن المفسر المشهور وقد تقدمت ترجمته (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت) آية (وماكان لكم) اى لاينبغى لكم ولايحل ولايجوز (ان تؤذوا رسول الله) باىّ اذية كانت (ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده) اى بعد موته (ابدا الآية) لان حرمتهن مؤبدة وهى امهات المؤمنين حتى قال الشافعى رضى الله تعالى عنه من استحل ذلك كان كافرا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حى لم تزل عصمته عنهن وهن معه فى الجنة وكسوتهن ونفقتهن من بيت المال وسبب نزول هذه الآية ان بعض المنافقين قال ان مات محمد تزوجت عائشة وماقيل ان القائل ذلك طلحة احد العشرة المبشرة وانه ندم

(٢) خصه برسالته اسمه

(٣) مقربا منه اسمه

فحج ماشيا واعتق رقبة وحمل على عشرة افراس فى سبيل الله كفارة لمقالتـه لا يصح
لان مثله لا يصدر عنه مثل ذلك بل لا يصدر ممن دونه بطبقات (قام خطيبا) على عادته
صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اذا بلغه مالا يجوز واراد اعلام الناس به (فقال) فى خطبته
(يامعشر اهل الايمان) المعشر الجماعة (ان الله فضلنى عليكم تفضيلا) عظيما تفضل به
على الامة (وفضل نسائى على نسائكم تفضيلا الحديث) لانهن افضل من جميع نساء
عصره وفى فضل بعضهن على بعض كلام ليس هذا محله واشار به الى عدم كفاءة احد
لهن وان كان الله خصه بانه لا يجوز لاحد نكاح زوجاته للناس ﴿ فصل فى تفضيله
صلى الله تعالى عليه وسلم بما تضمنه كرامة الاسراء ﴾ اى ما اشتملت عليه قصة الاسراء
ووقع فى ضمنها مما فضله الله به على سائر الرسل عليهم الصلوة والسلام والمراد بما اكرمه الله به
من خارق العادة وليس المراد به مايقابل المعجزة فانه من اعظم معجزاته وقد اعلم به
وبما فيه من فضله ولك ان تقول المراد به ظاهره لانه امر لا يطلع عليه غيره وماهو
كذلك لا يتحدى به ولذلك عبر المصنف عنه بالكرامة والباء للتعدية او السببية والاسراء
مصدر اسرى ويقـال سرى واسرى اذا سار ليلا واختلف فيهمـا فقيل هما بمعنى
وقيل بينهما فرق فقيل اسرى سار من اول الليل وسرى سار من آخره وقيل
العرب تقول سرى ليلا اذا سار بعضه واسرى ليله اذا سار جميعها ولا يقـال اسرى
ليلا الا اذا وقع سيره فى اثنائه فاذا وقع فى اوله قيل ادلج فمعنى اسرى بعبده ليلا
انه فى وسطه واسرى متعد ومفعوله محذوف هنا اى اسرى البراق وقيل انه لازم
اسرى وانهما متغايران معنى كاسر وابطأ لان سرى من السرى واسرى من السراة
وهى الظهر فمعنى اسرى به ذهب به فى سراة الارض وهى ظهرها كذا فى الملو داب
ويدل على تغايرهما اتفـاقهما على التعبير بالاسراء هنـا دون السرى واتفـاقهم
على القراءة به فصار معنـاه سيره الى بيت المقدس فالاسراء غير المعراج كما سيأتى
ثم بين ما تضمنه بقوله (من المناجاة) وهى الكلام سرا لان السر يقـال له نجوى
وتختص المناجاة فى العرف بكلام العبد مع ربه كمناجاة موسى صلى الله تعـالى عليه
وسلم (والرؤية) اى رؤيته صلى الله تعـالى عليه وسلم لربه بعين بصره او رؤية
ما فى الملأ الاعلى من العجائب ورأى اذا كانت بصرية مصدرها رؤية واذا كانت علمية
مصدرها رؤيا واذا كانت اعتقـادية مصدرها رأى * وقال السهيلى الرؤيا تكون
بمعنى الرؤية ايضا وله شواهد فى كلام العرب رعايـة قول المتنبى * ورؤياك احلى
فى العيون من الغمض * فلا يرد عليه شئ كما وهم وما يقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
بمنزلة ما يرونه (وامامه الانبياء) اى صلوته صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء اماما
لهم فانه دل على فضله عليه الصلوة والسلام لذا استدل على تقدم ابى بكر
رضى الله تعالى عنه فى الفضل [illegible]

فى مرض موته وقالوا الا نرضى لدنيانا مارضيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لديننا (والعروج به الى سدرة المنتهى) العروج بمعنى الصعود فى جهة العلو وفعله عرج يعرج كقتل يقتل وسيأتى فى الحديث عرج بى بفتحتين وقال المصنف رحمه الله تعالى انه بضم العين وكسر الراء ومنه المعراج والمعراج بكسر الميم وهو السلم ذو الدرج وجمعه معارج ومعاريج وللسماء معراج تصعد فيه ارواح الموتى وهو الذى يشخص اليه بصر المحتضر لما يرى من نوره وحسنه فاذا رآه لم يتمالك روحه ان تخرج وبه تصعد الملائكة بالاعمال وبه فسر قوله ذى المعارج فالاسراء سيره صلى الله تعالى عليه وسلم لبيت المقدس والمعراج صعوده للسماء وهو مصدر ميمى او اسم السلم اطلق عليه اوفيه مقدر وقد يطلق الاسراء على جميع الاسراء والمعراج ويطلق المعراج على كل ذلك مجازا فقيل انه تغليب وفيه نظر والسدرة شجرة معروفة وهى شجرة النبق وقيل للتى فى الجنة سدرة المنتهى وهذه الشجرة فى السماء السابعة وقيل فى السادسة واقتصر عليه المصنف رحمه الله فيما يأتى وجمع بينهما بان اصلها فى السادسة واعلاها فى السابعة ويأتى ان نبقها كقلال هجر وان اوراقها كآذان الفيلة وانه يغشاها نور من الله وفراش من ذهب وانه يسير الراكب فى ظلها مائة عام ويخرج من اصلها انها اربعة منها النيل والفرات وانه انما سميت سدرة المنتهى لانه ينتهى اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها وقيل انه ينتهى اليها علم الخلائق فلا يعلم وراءه او منتهى الملائكة فلا يتجاوزونها وقيل لان من وصل اليها انتهى لاقصى الكرامة الى غير ذلك من الاقوال (ومارأى من آيات ربه الكبرى) ماموصولة عائدها مقدر اى رآه او مصدرية والكبرى مفعول رأى ومن آياته بيان مقدم عليه او هو صفة لآياته ومن تبعيضية او زائدة وآيات الله كل مارآه مما يدل على عظمته او جبريل على صورته الاصلية او ماغشى السدرة من الانوار التى لايمكن النظر اليها ولا وصفها وقيل هو رفرف اخضر سد السماء والرفرف ماتسمى بالفارسية سايبان وقيل انه بساط (ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ماخصه الله به من دون الانبياء عليهم الصلوة والسلام مع ماله من المعجزات التى تساوى معجزات سائر الانبياء كما فصل فى محله (قصة الاسراء وما انطوت عليه) اى احتوت عليه واشتملت (من درجات الرفعة) اى العلو فى الرتبة والدرجة المرقاة الحسية فشبه ما اعطيه من المراتب المعنوية بالمراقى الحسية واستعار لها اسمها استعارة مصرحة (مما نبه عليه فى كتابه العزيز) فى سورة الاسراء وسورة النجم (وشرحته) اى كشفته وبينته (صحاح الاخبار) وفى بعض النسخ صحائح الاخبار وكلاهما جمع صحيح قال فى القاموس يقال صح يصح فهو صحيح ج صحاح بكسر الصاد وصحائح انتهى وصحاح بفتح الصاد بمعنى صحيح او مصدر بمعنى الصحة وهو من اضافة الصفة للموصوف اى الاخبار الصحاح وهى

مارواه الثقات بسند متصل وسلم من الشذوذ والعلة القادحة كما فصل فى مصطلح الحديث (قال تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية) وقد مر الكلام على لفظ الاسراء وسبحان منصوب على المصدرية وهو علم جنس لمعنى كفجار وغدوة فاذا اضيف قصد تنكيره فان علم الجنس منكر كعلم الشخص وانكره بعضهم بناء على انه غير معين فلا يتصور تنكيره وعلى العلمية هو ممنوع من الصرف فاذا انكر صرف وانكر بعض النحاة علميته وخطأ من قال به كما ذكره ابو على فى تذكرته والكلام فيه طويل الذيل فسبحان مصدر بمعنى التسبيح والتنزيه اواسم مصدر وابتداء السورة والقصة به لانه لما ذكر الاسراء والرؤية ربما توهم ان الله تعالى فى جهة فنزهه عن ذلك وهى مع التنزيه تدل على التعجب ولما كذبوه فى الاسراء نزهه الله عن الكذب وعجب عباده فى نسبته لمثله وبما انعم عليه من النعم التى خصه بها قيل ويحتمل ان يكون بمعنى الامر اى سبحوه تسبيحا وقال ليلا اى فى مدة قليلة ولذا ذكره ونكره مع ان السرى يختص به كما مر وقال بعبده لان صفة العبودية اشرف الصفات واضافه له تشريفا وايماء الى انه مجرد له حول سرادق العز والمسجد الحرام يخص المسجد نفسه ويكون بمطلق الحرم وكل منهما صحيح هنا واسراؤه به صلى الله تعالى عليه وسلم كان من الحجر وهو نائم به وروى انه كان فى بيت امهانئ وجمع بينهما بان حجر ان اتاه فى بيت امهانئ فايقظه جبريل عليه الصلوة والسلام وذهب به الى الحرم ثم تناعس لحبيته نام فى الحجر والمسجد الاقصى بيت المقدس سمى به لبعده عن المسجد الحرام وضمير انه هو لله اى هو السميع القيل فى حقه والبصير المطلع على احواله وقيل انه للنبى صلى الله عليه وسلم اى هو السميع لكلامه وبه المشاهد لآياته (وقال عز وجل والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى) الواو للقسم والنجم عام لكل نجم او المراد به الثريا لعلميته عليه او المراد به نجوم القرآن المنزلة عليه وهو بمعنى غرب او انقض اذا طلع او نزل عليه وحيه واقسم به لوقوع ذلك ليلا وله تعالى ان يقسم بما شاء او التقدير ورب النجم والكلام عليه مبسوط فى التفاسير اذا علمت ماذكر من النص (فلا خلاف بين المسلمين فى صحة الاسراء به عليه الصلوة والسلام) بحسب النقل الشاهد له العقل فالمسلمون مجمعون عليه وانما اختلفوا فى كونه يقظة او مناما كما سيأتى (اذ هو نص القرآن) تعليل لما قبله ووقوع الخلاف فيه بعد نص القرآن الذى لا يجحده مسلم (وجاءت بتفصيله) اى بعد ما اجمله النص (وشرح عجائبه) الواقعة فيه (وخواص نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) اى ما خصه الله به فى الاسراء (احاديث كثيرة منتشرة) وفى نسخة اخبار كثيرة بمعنى منتشرة انها متفرقة فى كتب الاحاديث باسانيد مختلفة (رأينا) من الرأى وهو النظر والتدبر فى الامور المهمة لا من الرؤية يا حبيبنا يطول ويقصر (ان نقدم اكملها) اى الحديث الذى هو اكملها اى اجمعها لجميع القصة وصحيح والمراد به سندا ما كان [illegible] له

فقالت له هاتيك نعمى انمها * ولا يبتئس ان المهم المقدم

وهذا رواه مسلم فلذا جعله اصح من غيره بناء على رأى المغاربة من انه اصح من البخارى (ونشير الى زيادة من غيره) اى من غير هذا الحديث وقعت روايتها لغير مسلم وهى مهمة (بحث ذكرها حدثنا القاضى الشهيد ابو على) هو الحافظ بن سكرة وقد تقدمت ترجمته (والفقيه ابو بحر) بالباء الموحدة المفتوحة والحاء المهملة الساكنة ابن القاضى الامام المشهور (سماعى عليهما) اى سماعى ممن يقرؤ عليهما فان حدثنا يختص بالسماع عند الجمهور وبعضهم يجعلها تشمل السماع وغيره فذكر المصنف هذا لدفع توهم غيره (والقاضى ابو عبدالله التميمى) وهو محمد ابو عبدالله بن عيسى التميمى استاذ المصنف الذى تفقه عليه واليه اشار بقوله (وغير واحد من شيوخنا) والشيخ فى الاصل معناه الكبير سنا ثم صار فى العرف اسما لمن يقرؤ عليه الناس ويستفيدون منه لانه فى الاكثر لا يصل لهذه المرتبة الا من كبر سنه وكان فى العصر الاول يقال لابى بكر وعمر رضى الله عنهما شيخا الاسلام كما ذكره السخاوى (قالوا حدثنا ابو العباس العذرى) بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة والراء المهملة نسبة لبنى عذرة قوم من العرب مشهورون وفى بعض النسخ بواو بدل الراء وهو تحريف من الناسخ قال (حدثنا ابو العباس الرازى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو احمد الجلودى) تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه ضم الجيم وفتحها قال (حدثنا ابن سفيان) تقدمت ترجمته قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) صاحب الصحيح الامام المشهور قال (حدثنا شيبان) بالشين المعجمة المفتوحة والمثناة التحتية الساكنة والباء الموحدة (بن فروخ) بفتح الفاء وتشديد الراء المهملة المضمومة وواو ساكنة وخاء معجمة وقال ابن حجر فى التبصرة انه بدون واو والذى نعرفه فى ائمة العجم انه بالواو فان صح ماقاله فلعله تغيير بعد التعريب ومعناه السعيد طالعه وهو علم غير منصرف للعلمية والعجمة وقول البرهان انه ضبط فى بعض النسخ بالتنوين خطأ لا ينبغى ذكره وكذا قول التلمسانى انه يصرف ولا يصرف وصرفه اكثر وقال صاحب العين انه اسم لابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام وهو ابو العجم كما فى المطالع ونقله النووى فى شرح مسلم وتبعه صاحب القاموس وهو ابو محمد الحبطى الايلى روى له اصحاب السنن فهو امام ثقة توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا حماد بن سلمة) بن دينار احد اعلام المحدثين وهو ثقة صدوق لكنه قد يغلط توفى سنة سبع وستين ومائة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا ثابت البنانى) بضم الباء الموحدة نسبة لحى من العرب يقال لهم بنانة ونونه مخففة وهو ابن اسلم رأس العلماء العابدين فى عصره توفى سنة سبع وعشرين ومائة وعمره ست وثمانون وهو ثقة ثابت كاسمه اخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة فى الميزان (عن انس بن مالك) صاحب

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتيت بالبراق) بزنة غلام وهو من دواب الجنة سمي به لشدة بريقه ولمعانه اولسرعته كالبرق الخاطف كامر (وهو دابة) اى على صورتها وهى فى عرف اللغة ذوات الاربع واصل معناها وضعا كل مايدب اى يتحرك ويمشى من ذوات الارواح وهو يذكر ويؤنث (ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل) اى فى الجثة وابيض حمر بعد خبر لاصفة دابة وطوله باعتبار مابين عنقه وذنبه لانه اعون فى مد خطوه وليس المراد طول قوائمه وقيل انه بادى البشرة خده كخد الانسان وعرفه كالفرس وقوائمه كالابل واظلافه وصدره كالبقر وصدره ياقوت لايشبه الدواب قال ابن المنير فى المقتفى انما اوتى له صلى الله تعالى عليه وسلم بالبراق تأنيساله بجريه على العادة والله تعالى قادر ان يرفعه بغير شئ واظهارا لكرامته فان عادة الملوك اذا دعوا من يحبونه بعثوا اليه بمركوب فى وفادته ولم يكن على شكل الفرس تنبيها على انه حال سلم لاحرب واظهارا للآية فى اسراعه العجيب وليس شكله مما يوصف بالسرعة عادة ولذا ركب صلى الله تعالى عليه وسلم البغلة فى حنين اظهارا لثباته وشجاعته وتساوى الحرب والسلم عنده وبغلته بيضاء ايضا كالبراق قال ابن المنير اى شهباء والاشهب المائل الى البياض والشاة البرقاء هى البيضاء ومنه البراق ويجوز الجمع فى التسمية بين البياض واللمعان والسرعة (يضع حافره عند منتهى طرفه) الحافر بحاء كالمشعر فان الحافر لايطلق لغير الخيل ونحوها وهذا له ظلف كالبقر لكنه لقربه من البغل سماه حافرا ومنتهى مصدر بمعنى الانتهاء كامر والطرف العين والمراد به النظر ولايلزمه ان يصل الى السماء بخطوه كما توهم (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فركبته حتى اتيت بيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال المخففة وتقدم انه يجوز ضمها وفتح الدال المشددة وانه من التقديس وهو التطهير واختلف هل ركب جبريل عليه الصلوة والسلام معه ام لا فقيل ركب معه لانه ورد فى بعض طرق هذا الحديث فدارت على ظهره انا وجبريل وسيأتى التصريح به عن حذيفة وحينئذ فيحتمل انه كان خلفه ويؤكده ماتقدم فى عدة ممن اردفهم ويحتمل انه كان قدامه قال ابن المنير والاظهر اختصاصه بالركوب وقد صرح فى الحديث بان صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم كان على البراق ولم يذكر ان هبوطه كان عليه فقال الدميرى ان الله انزله بدونه اظهارا لقدرته وقيل انه هبط به ايضا ولكنه لم يتعرض لها كتفاء بذكر العروج (فربطته) اى البراق (بالحلقة) بفتح الحاء المهملة وسكون اللام وهى معروفة واختلف فى فتح لامها فجوزه بعض اهل اللغة وخطأه بعضهم خطاء وقال الابى بالتحريك جمع حالق ككاتب وكتبة (التى يربط بها الانبياء) وروى به فى مسلم وفى الشفاء تأويل الحلقة بشئ ونحوه وقالوا امر التذكير والتانيث سهل وعبر بالمضارع حكاية

للحال الماضية ولم يبين اين كانت الحلقة فقيل كانت بباب المسجد الاقصى والذى في حديث الترمذى انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس اشار جبريل عليه الصلوة والسلام الى الصخرة فخرقها وربط البراق فيها وهذا هو المعروف ولا اعرف ماقبله عمن نقل ولم يذكر المربوط وظاهر السياق انه البراق بناء على ان الانبياء كانت تركبه وهو الصحيح فان ركبه جميعهم فهو ظاهر والافراد بالانبياء الجنس واتت للجميع فعل البعض وهو جائز واحتمال ان المعنى تربط دوابهم بعيد وكون البراق قوى يمكنه قلع الحلقة بجذبه فلا فائدة فى الربط لايضر لانه مسخر لايخالف فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اشارة الى مباشرة الاسباب وانها لاتمنع التوكل وكماله شاهدا اعقلوا وتوكلوا (ثم دخلت المسجد) الاقصى وعطف بثم للتراخى الرتبى وجعل بعد مرتبة المسجد عن الارض التى ليست بمسجد بمنزلة البعد الحقيقى (فصليت فيه ركعتين) تحية المسجد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى قبل فرض الصلوة بالاسراء وفرض عليه صلوة احتلف فيها فقيل صلوة الليل وقيل صلوة بالغداة وصلوة بالعشى ونقله ابن الملقن وقال ثم فرضت الصلوات الخمس فى الاسراء من غير تعيين اوقاتها فكانوا يصلونها متى ارادوا مجموعة ومفرقة ثم عينت اوقاتها بوحى من الله (ثم خرجت) من المسجد (فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن) وخيرنى فى شرب ايهما اردت (فاخترت اللبن) بأخذه وشربه (فقال جبريل اخترت الفطرة) وروى اصبت الفطرة وقد تقدم ان الفطرة الجبلة والطبيعة التى فطر الناس عليها وتكون بمعنى الاسلام والاستقامة اى مااخترته هو الموافق للخلقة الانسانيــة التى خلق الله النــاس عليها وللطبائع المستقيمة فان اللبن شراب لذيذ وطعام نافع موافق للانســان سريع النماء ولذا كان غذاء للاطفــال دون غيره وفى حديث آخر هديت وهديت امتك ولو اخترت الخمر لغويت امتك وفى طريق آخر هدى الله بك او اصاب بك وروى ان الآنيــة كانت ثلاثا واناء فيــه ماء وفى رواية اربع هى واناء فيه عسل والاصح مارواه المصنف وقال ابن المنير التخيير انما يكون بين واجبين كخصال الكفارة او مباحين كجالس الحسن اوابن سيرين اومابين واجب وممنوع اومباح وممنوع فلا فالتخيير بين الخمر واللبن سواء اريد اباحتهما والاذن فيهما جميعا اواريد الاذن فى احدهما لابعينه مشكل فالمعنى تخييره حتى اختار احدهما وقول جبريل له اصبت الفطرة باختيار اللبن اى ثابت الخلقة عليــه وبه نبت اللحم واشتد العظم او اخترته لانه الحــلال الدائم فى دين الاسلام واما الخمر فحرام بما سيستقر عليه الامر والذى يرفع الاشكال ان يكون المراد تفويض الامر فى تحريم و تحليل الى اجتهاده الذى فوفقه الصواب بناء على جواز الاجتهاد له ثم ... انه صلى الله تعالى عليه وسلم

معصوم فى احتهاده بخلاف غيره انتهى واحاب غيره بان الخمر لم تحرم اذ ذاك اوانه
كان فى السماء وليست دار تكليف اوهى من جملة خمور الجنة وليست محرمة ويجوز
ان يترتب عليهـا غىّ امته كما تترتب القبائح على بعض المباحات قال ابن المنير واللبن
فى الرؤيا يعبر بالعلم ففيه اشـارة الى انه لما ملئ قلبه ايمانا وحكمة اردف ذلك بالعلم
وجعل شرب ذلك اللبن سببا لترادف العلوم عليـه وشحن قلبه وقالبه بالانوار
والاسراء وان كان يقظة الا انه ربما وقع فى اليقظة اشارات على حكم الفـال نعبر
كما يعبر المنام ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الفال الحسن تُوجاء فى الحديث
انه قدم له الاناآن قبـل العروج وجاء فى حديث آخر انه بعده ويجمع بينهما بان
تقديمهما له صلى الله تعالى عليه وسلم وقع مرتين وكرر جبريل تصويب فعـله
تأكيدا للتحذير مماسواه (ثم عرج بنا الى السماء) بفتح العين والراء اى عرج جبريل
وصعد وضميربنا له صلى الله عليه وسلم والبراق اوهوله وجبريل وفى نسخة بى وفاعل
عرج البراق والباء للتعدية اوالمصاحبة وتقدم انه يجوز ضم العين وكسر الراء والسماء
هى السماء الدنيا هنا ولم يبينه لظهوره (فاستفتح جبريل) وهواما بقرع لها او بصوت
قيل والظاهر الاول لانهم يعرفون صوته اى طلب فتحها من الملائكة الموكلين بها
(فقال) الموكل بها (من انت) ايها المستفتح (فقال) المستفتح انا (جبريل) فهو
خبر مبتدأ مقدر هوانا اوالمستفتح وفيـه اشارة الى ان من دق الباب ينبغى
له ان يسمى نفسه ولا يقتصر على قوله انا وان السماء لها ابواب تفتح خلافا للحكماء
المانعين للخرق والالتيـام عليها (قيل ومن معك قال محمد) عطف على مقدر
اى جبريل ومن معك قيل انما استفتح لان معه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولوكان
وحده لم يحتج لاستفتاح وقيل انما استفتح تكريما وتأنيسا له وقال ابن المنير استفتاحه
لان ابوابها مغلقة ولم تفتح الالاجله صلى الله تعـالى عليه وسلم تنويها بقدره ولو
صادفها مفتوحة لم يعلم ذلك (قيل وقد بعث اليه) اراد الاستفهام فحذف الهمزة
للعلم بها واصله اوقد بعث اليه والنحويون يمنعون حذفها ويحمل كلامهم على انه
اذا لم يكن قرينة على الحذف والافالحديث حجة عليهم كما قاله ابن المنير فى المقتفى ولم يرد
بالبعث بعث النبوة والرسالة فانه كان معلوما لهم وانما المراد انه بعث اليه للمعراج وقول
ابن حجر انه يجوز ان يكون استفهاما عن اصل بعثته بالنبوة والنواب لم يطلع عليهـا
لاشتغاله بشانه لاوجه له لان المراد بسؤاله بيان سبب موجب لفتح السماء له ومجرد
نبوته ليس تصلح للسببية الاانه يحتمل كونه تعجبا مما نعم الله به واستبشارا بعروجه
وهذامع مافيه احسن مما قاله ابن حجر وفيه ذكر دلالته على ان من اذن له فى شئ يقتضى
رفع الموانع عما اذن له فيه ثم اذن له بالسع اذن له فى قبض الثمن والوكيل اذا اذن له
فى شئ اذن له فى لوازمه فلذا لم يطلب البواب الاذن له فى الفتح ولذا قال جبريل

(قد بعث اليه فقتح لنا) بالبناء للفاعل والمفعول وفى بعض الطرق ان الخازن قال له مرحبا به ولنعم المجئ جاء قال ابن المنير وفيه دليل على ان حاشية الملك اذا فهموا منه اكرام وافد ان يبشروه وان لم يؤذن لهم فيه وليس هذا من افشاء السر لانه تعرض الرضا به لان استدعاءه انما هو لاكرامه فحصل له بالبشرى ثم افاد فائدة هنا جليلة منقسمة الى متعبد به لا يقوم غيره مقامه وان ادى معناه كالاحرام بلفظ التكبير والتلبية والتشهد الى مالا يجب فى لفظه فيقوم مقامه كل ما ادى مؤداه كدعاء الجنازة والقنوت وتسبيح الركوع والسجود ونحوه وهذا انما يعلم من حملة الشريعة اذا علمت هذا فالتحية بالسلام هل هو تعبدى من القبيل الاول او من الثانى فيقوم مقامه مايؤدى معناه كاهلا وسهلا ومرحبا ولذا كان بعض المتورعين لا يرد سلام من لم يلفظه ويقول ليس هذا بسلام يستحق الرد واكثر الناس والخلف على التسمح فيه وهذا الحديث دليل لهم فان الملك حياه بمرحبا ونعم المجئ وكذا من لقيه من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا انا بآدم) عليه الصلوة والسلام (فرحب بى ودعالى بخير) اى قال لى مرحبا بك اى جعل الله تعالى مكانك رحبا واسعا وهو كناية عن اكرام نزله وبره واداهى المحاشية وبدأ بادم عليه الصلوة والسلام لانه اسبقهم وجودا قال ابن المنير فى المقتفى اختلف طرق المتكلمين على حديث الاسراء فى ذكر الانبياء عليهم الصلوة والسلام وترتيبهم فى السموات فمنهم من لم ير التكلم فى سره اصلا ومنهم من تكلم فيه من مشائخ الصوفية وفيه كلام طويل افرده برسالة لا يسع المقام تفصيله ثم اختلف هؤلاء فمنهم من قال انما اختص من اختص من الانبياء بلقائه صلى الله تعالى عليه وسلم على عرف الناس اذا لقوا الغائب متدرين للقائه فالغالب ان يسبق بعضهم بعضا ومنهم من يصادفه ومنهم من لا يصادفه وهذه طريقة ابن بطال فى شرح البخارى وذهب بعض شيوخ الاندلس الى ان ذلك تنبيه على الحالات الخاصة بهؤلاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام وتمثيل لما سيتفق له صلى الله تعالى عليه وسلم كما اتفق لهم مما قصده الله تعالى فى كتابه قالوا وهذا يرجع الى فن التعبير فمن رأى فى منامه نبيا كان ذلك دليلا على حاله فآدم عليه الصلوة والسلام تنبيه على الهجرة لخروجه من الجنة بعداوة ابليس وحيلته كخروجه صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة باذية قومه له وللمسلمين وعيسى ويحيى عليهما الصلوة والسلام دليل على ما سيلقاه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من اذى اليهود لانهم قتلوا يحيى وراموا قتل عيسى فرفعه الله اليه وكذلك فعلت اليهود برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ داروا حول قتله وسموه فى ذراع شاة كانت سببا للشهادة فى قصته المشهورة ويوسف دليل على مافعل به قومه مما كان سببا لرفعته وظفره عليهم ثم احسانه اليهم وعفوه عنهم كما فعل مع عمه

العباس وابن عمه عقيل اذفداهما وقال يوم فتح مكة ادعما عن قريش واطلق الطلقاء اقول كما قال اخي يوسف لاتثريب عليكم اليوم الى آخره ففعل كما فعل يوسف عليه السلام وهارون دليل على عداوة قومه وان تنقلب بغضتهم مودة كما كان هارون عليه السلام محببا عند بني اسرائيل حتى آثروه على موسى عليه السلام وادريس دليل على كتبه صلى الله عليه وسلم الى الآفاق لانه اول من خط بالقلم مع رفعته وعروجه وموسى دليل لفتحه عليه السلام مكة وقهر المستهزئين به كما فعل موسى بالجبابرة وابراهيم عليه السلام في اسناد ظهره للبيت المعمور كحاله في حجه في آخر عمره ولذا لقيه في آخر السموات انتهى وفيه اشارة الى حكمة الترتيب في منازلهم ولقياهم وهذا مما ينبغي تأمله فانه مما تفرد به ولامشايخ في ذلك كلام كاف واشار اليه الشيخ في فتوحاته وقد تقدم ان اليقظة فيها احوال كالمنام من الفال ونحوه تعبر كما يعبر الرؤيا ولعمر رضي الله تعالى عنه في ذلك امور كثيرة كقوله اذ سأل رجلا عن اسمه فقال شهاب قال ابن من قال ابن جمرة قال ممن قال من الحرقة اسم قبيلة فقال اين مسكنك قال بالحرة فقال اين انت منها قال من ذات لظى فقال ادرك قومك فقد احترقوا فذهب فاذا النار مشتعلة في بيوتهم وفي هذا الحديث انه رأى رجلا في سماء الدنيا عن يمينه اسودة وعن شماله اسودة اذا نظر ليمينه ضحك واذا نظر ليساره بكى يعني آدم وذريته وقد استشكل بانه يعارض قوله تعالى (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء) والحديث الصحيح ان ارواح الكفرة في سجين واسفل سافلين واجيب بان المراد بذلك ارواح العصاة وما في الآية والحديث المراد به ارواح الكفار الجاحدين وهؤلاء يرحمهم وقد نهى ابراهيم عليه الصلوة والسلام عن استغفاره لابيه وللموعدة التي وعده حمل في صورة ضبع يذبح حين القائه في النار حين يحزن عليه واجيب ايضا بانه يجوز ان تمثل ارواح الاشقياء والسعداء ويراهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مثلوا له وان لم تكونوا هناك كما كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلف ظهره وهذا هو الجواب عن الاشكال الآخر وهو كيف يرى ارواح السعداء والاشقياء وكثير منهم لم يموتوا واما كون المراد بالاسودة العصاة فغير مستقيم لان المسلمين كلهم من اصحاب اليمين وعلم مما مر ان آدم عليه الصلوة والسلام انما كان في اول السموات لانه اول الانبياء وجودا وليكون اقرب لاولاده فينظر لاسودتهم (ثم عرج بنا الى السماء الثانية) فيه مامر اولا (فاستفتح جبريل) عليه الصلوة والسلام (فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد) عليه السلام (قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهم الصلوة والسلام فرحبا بي ودعوا لي بخير) بالف التثنية وفي بعض الروايات ارقد ارسل الي وهما بمعنى وقوله ابني الخالة لان مريم ابنت عمران اختها ايشاع ام يحيى على ماقاله السهيلي وهو الموافق للحديث وارتضى غيره ان مريم بنت حنة بنت فاقوذا وام يحيى ام ابيه زكريا فاقوذا ايضا فاتحدا في الجدة

فيكونان ابنا خالة لان الخالةاخت امو الجدة يقال لها ام واستدل لهذا بقول زكريا لما اراد كفالة مريم عندى خالتها وارتضى هذا السعد فى شرح الكشاف فعلى هذا فى كونهما ابنا خالة تجوز سهل وقال الازهرى يقال هما ابنا عم ولايقال ابنا خال ويقال ابنا خالة ولايقال ابنا عمة لان من كان ابن عم انسان كان الآخر ابن عمه ايضا ومن كان ابن خالة انسان كان الآخر ابن خالته ايضا بخلاف ابن الخال وابن العمة وانما كانا فى السماء الثانية لانه رفع الى السماء وسينزل منها فحصل فى مكان قريب الى الدنيا مع يحيى لانه لدته وبينهما من القرابة والمحبة ما لايوصف ولذا جعلا فى سماء واحدة ولم يكن فى سماء اثنان من الانبياء غيرهما وقال ابن المنير لما كان عيسى عليه الصلوة والسلام سينزل كان معينا ليحيى وحده (ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف) عليه الصلوة والسلام (واذا هو قد اعطى شطر الحسن) تقدم معناه وان الشطر النصف (فرحب بى ودعالى بخير) لم يذكر الدعاء والقول بانه قوله مرحبا لاوجه له فانه لايسمى دعاء ولما كان لقاؤه له صلى الله تعالى عليه وسلم دليلا على مفارقة اهله ووطنه على وجه يؤل لعزة ونصرة وهو بعد البعثة والدعوة فهو الثالث من اطواره رآه فى الثالثة وقد تقدم بسطه (ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس) عليه الصلوة والسلام (فرحب بى ودعالى بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا) ولما ترادف الوحى عليه عليه الصلوة والسلام بعد الهجرة واظهر المؤمنون شعائر الاسلام وهو طور رابع رأى ادريس فى الرابعة لشهرة علمه وكتابته وفيه عز الاسلام وكمال رفعته وفى تلاوة الآية ايماء لهذا وادريس اسمه اخنوخ بالعبرية وهو سبط شيث وجد ابى نوح وهو المثلث بالحكمة لانه اول من نظر فى النجوم وخط ودرس وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الرواية المشهورة مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح وفى اخرى شادة بالابن الصالح وهو الظاهر وقد استشكل كونه اخا مع انه جد اعلى حتى قال بعضهم ان ادريس الذى لقيه غير ادريس هذا وهو الياس وروى هذا عن ابن مسعود رضى الله عنه وعلى هذا لااشكال وقيل المراد اخوة النبوة والاسلام واختلف فى رفع ادريس الى السماء هل هو بعد موته كما رفع سائر الانبياء او فى حيوته كعيسى فى قصص الانبياء ان الملائكة عليهم الصلوة والسلام احبته لكثرة عبادته فسأل ربه ان يذيقه الموت ملك الموت حتى يهون عليه فاذاقه ثم حيى ثم سأله ان يورده النار ليزداد رهبة فاورده ثم خرج منها فسأله ان يدخله الجنة ليزداد رغبة فيها فادخلها فلما قيل له اخرج قال يارب انى ذقت الموت ووردت النار ودخلت الجنة وقد وعدت من دخلها ان لايخرج منها ابدا فاوحى الله لخازنها دعه فانى فعل مافعل فبقى فى الجنة فى السماء الرابعة نقله ابن المنير ونبه على وجه كونه فى الرابعة على الاصح وقيل انه فى الثانية وقيل فى السادسة (ثم عرج بنا الى السماء الخامسة

قد كر مثله فاذا انا بهارون) عليه الصلوة والسلام (فرحب بى ودعالى بخير) جعل فى الخامسة لانه كالوزير لموسى عليه الصلوة والسلام لايفارقه فلذا كان فى جواره (ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذ كر مثله فاذا انا بموسى) عليه الصلوة والسلام (فرحب بى ودعالى بخير) لما كان اجل الانبياء بعد ابراهيم عليه الصلوة والسلام وكتابه اعظم الكتب قبل القرآن وجاهد فى سبيل الله وظفر بما لم يظفر به غيره رفعت مرتبته على غيره وتوفى فى حظائر القدس تحت منزلة الخليل فكان فى السادسة (ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم) عليه الصلوة والسلام لما كان ابراهيم عليه الصلوة والسلام افضل الانبياء قبل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خليل الرحمن كان ارفعهم منزلة وما ذكرناه فى وجه التخصيص والترتيب هو الظاهر للظاهر نظرا لمناسبة الحال بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وما استدل به عليه ولعل هناك مناسبة اخرى بين اهل كل سماء ومن فيها من الرسل وهذا مما لانعرفه (مسندا ظهره الى البيت المعمور) وهو بيت تطوف به الملائكة وتحجه للعبادة وهو محاذ للكعبة ويسمى الضراح بضم الضاد المعجمة وراء وحاء مهملتين وسمى معمورا لكثرة الملائكة فيه قال التلمسانى قيل فيه دلالة على ان الافضل فى غير الصلوة اسناد الظهر للقبلة وقيل الافضل استقبالها فعلى هذا لعله اسند ظهره ليتوجه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويخاطبه بما مر وانما اسند ظهره للبيت لانه الذى اول من بنى الكعبة من الناس اولا (واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لايعودون اليه) لان حجه مرة كفرض الحج علينا او لاشتغال غيرهم وكونه فى السابعة حذاء العرش هو الاصح وقيل انه فى الرابعة (ثم ذهب (٢) بى الى سدرة المنتهى) لم يقل عرج لانها فى السماء السابعة وتقدم معنى سدرة المنتهى(واذا ورقها كآذان الفيلة) بكسر الفاء وفتح المثناة التحتية جمع فيل وانما شبهه بها وان لم يكن بارض الحجاز لانها كثيرة فى بلاد الحبش وهم كثيرا ما يأتونها للتجارة واليها كانت الهجرة الاولى فهم يعرفونها والا فالتشبيه بما لايعرف عادة غير مقبولة (وثمرها كالقلال) جمع قلة وهى الجرة وشبهها بها لعظمها ولطف ورقها وطيب ثمرها وحسن رائحته وان كان شجر الجنة انما يحكى امور الدنيا صورة والفرق بعيد (٣ فلما غشيها) اى طرأ عليها وغطاها (من امر الله) الظاهر ان المراد بامر الله وحيه او تجليه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانها بذلك اشرق عليها نور الهى فرهقته وحسنت حسنا لاينعت ونور لايمكن ان تقابله الابصار لقوله بعده (ماغشى) اى امر عظيم غشى فان الابهام بمثله يفيده كقوله تعالى (الحاقة ماالحاقة) وامثاله (تغيرت) اى عن حالها التى كانت عليه (فما احد من خلق الله يستطيع) ويقدر (ان ينعتها من) اجل (حسنها) الذى طرأ عليها لكونها من اشجار الجنة المعتادة لاشراق تلك الانوار عليها ولو كانت من اشجار

(٢) ثم ذهب نسخه

(٣) قال فلما نسخه

(الارض)

الارض احترقت كما صار الجبل دكا ويدل على ماقلناه قوله (فاوحى الله الى ماوحى)
وفى هذا الابهام تعظيم وتكثير لطرق الكناية الابهامية حتى كانه مما لايمكن ان يدرك فينعت
وفى هذا الموصول وتعريفه اشكال احباعنسه فى حواشى التسهيل لان ماموصولة
تتعرف بالعهد الذى فى الصلة فاذا كانت كذلك كيف تكون الجملة معهودة معروفة
وقيل المراد بها الملائكة التى تغشاها فانه شاهد على كل ورقة منها ملكا وقيل فراش
من ذهب وجواهر نزل عليها اوجراد من ذلك وقال مجاهد رفرف اخضر وقيل
طيور خضر وانما نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قطع السدر لذلك وفسر
ماوحى بقوله (ففرض على) وعلى امتى (خمسين صلوة) تكون (فى كل يوم وليلة) وقيل
ماوحاه اليه مبهم لايعلمه احد وقيل سورة الم نشرح وقيل ان الجنة حرام على الانبياء عليهم
الصلوة والسلام حتى يدخلها هو صلى الله عليه وسلم وعلى الامم حتى تدخلها امته وقال
السيوطى فى الخصائص فرضت الصلوة خمسين والغسل من الجنابة وغسل
نجاسة الثوب سبعا سبعا والوضوء لكل صلوة (فنزلت الى موسى عليه الصلوة والسلام)
انما قال نزلت لانه كان فى السادسة والوحى فى السابعة وتخطى ابراهيم ونزل ايشاوره
لانه يعلم مافى شريعتسه من الاحكام والصلوات ومارس من ذلك اكثر من ابراهيم
لانه لم يفرض على امته مافرض على امة موسى عليه الصلوة والسلام (فقال مافرض
ربك على امتك) قال اولا فرض على وقال هنا على امتك لان مافرض على النبى
فرض على امتسه ففيه احتباك وهو من انواع البديع وهو ان يذكر شيئين يحذف
من كل منهما ماذكر فى الآخر فحذف من الاول وعلى امتى ومن الثانى على ووقع
فرض الصلوة فى السماء لانها اعظم العبادات ففرضت فى اجل المواضع وبين الله
فرضها بنفسه من غير واسطة ملك اعتناء بشانها ولذا قيل يكفر تاركها وذهب
الشافعى الى انه يقتل كما سيأتى (قال) فرض (خمسين صلوة) منصوب لانه تمييز
(فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف) منها برفع بعضها وانما اشار عليه بذلك
لمحبته له وحمله له مايليق بنفســه وقيل ذلك لانه سأل الله تعالى ان يكون من امته
لما رأى فى التوراة مما لامته صلى الله تعالى عليه وسلم من الكمال فقال يارب من هؤلاء
قال امة احمد فقال يارب اجعلنى منهم فخشى ان يفرض عليهم تكاليف شاقة وهو
منهم فيقصر فيها وقال السراج البلقينى انمـا قصد موسى تكرار رؤية محمد عقب
رؤيته الله بعينه كما قيل * لعلى اراهم اوارى من راهم * وموسى عليه الصلوة والسلام
وان كان يرى الله فى الآخرة لكن رؤيته روحانية وهى ليست جسدية عينية ولا تتيسر
فى كل حين قال ابن حجر رحمه الله يحتاج ماقاله البلقينى الى ثبوت تجدد رؤيته فى كل مرة يعنى
رؤية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لربه وقال مصلح الدين اللارى ماقاله البلقينى
لايتوقف على تجدد الرؤية ويكفى حصــول اصلها (فان امتك لا يطيقون ذلك)

حص الامة اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يطيق ذلك لما رزقه الله تعالى من قوته على عبادته ولذا كان يواصل الصوم وقد نهى عنه ومعنى لا يطيقونه انه يشق عليهم فيقصرون فيه لا انه محال حتى يقال انه مبنى على تكليف المحال وهو جائز وفائدته الاخذ فى مقدماته حتى يعلم امتثاله ويطيقون بضم اوله مضارع اطاقه (فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم) عطف تفسير لان الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان يقال خبره يخبره كقتله يقتله وفيه مقدر اى خبرتهم مع قوة احسادهم وطول اعمارهم فلم اجدلهم صبرا على ذلك فكيف حال امتك وفى نسخة قبلك (قال فرجعت الى ربى فقلت يارب خفف عن امتى) مفعوله محذوف للعلم به اى مافرضته عليهم من الصلوة ولم يقل وعنى لما مر اوحياء منه بسؤاله لنفسه (فحط عنى خمسا) منها واصل الحط معناه تنزيل الحمل فشبهه بالحمل تشبيها مكنيا كما قال الله تعالى (لاتحملنا مالاطاقة لنا به) (فرجعت الى موسى فقلت) له (حط عنى خمسا) منها (فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسئله التخفيف) وفى نسخة فاسئله (قال فلم ازل ارجع بين ربى تعالى و بين موسى) اى بين موضع مناجاتى له تعالى وملاقاتى لموسى عليه الصلوة والسلام (حتى قال) الله تعالى لما انتهى التخفيف الى خمس (يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة) استدل به الشافعية على عدم وجوب الوتر وجوابه مسطور فى كتب الفروع الحنفية (لكل صلوة عشر فتلك خمسون ٢) فى الثواب والاعتبار لان الحسنة بعشر امثالها كما سيأتى تحقيقه (ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة) واحدة لنيته عملها (فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت له سيئة واحدة) الهم القصد من غير تصميم فان صمم فهو عزم ومذهب الباقلانى انه يأثم بالعزم المصمم وهذا الحديث محمول على الاول وانكار بعضهم المؤاخذة بالعزم مردود بالنصوص الصريحة كقوله تعالى (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم) والكاتب الملائكة فتكتب حتى ما فى القلب كما قاله الطحاوى وفى حديث مسلم القدسى كتبها الله تعالى عنده عشر حسنات الى سبع مائة الى اضعاف كثيرة وهو صريح فى ان المضاعفة تزيد على العشر ولا تقف على سبعمائة وقول القرطبى انها لا يجاوزها مردود بهذا الحديث المجمع على صحته وتحقيقه كما فى الاحياء ان اول مايرد على القلب الخاطر كما لو خطر له صورة امرأة وراء ظهره بحيث لو التفت لرآها والثانى هيجان الرغبة الى النظر وحركة الشهوة وميل الطبع المتولد من الاول المسمى حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغى ان يفعل بان ينظر اليها وهو يتبع الخواطر والميل والرابع تصميم القلب على الالتفات وجزم النية ويسمى هذا بالفعل وهذه قد يكون لها مبدأ ضعيف فاذا اصغى الى الخاطر حتى طالت محاولته للنفس

(٢) صلوة نسخه

حتى تخرم النية فاذا انخرمت فقد يندم ويترك وقد يغفل فلا يعمل وربما يعوقه عائق عنه فهى اربعة احوال وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فالخاطر لا يؤاخذ به لانه غير اختيارى وكذا هيجان الشهوة والميل المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عفى عن امتى ماحدثت به نفوسها بحديث النفس خاطر يهجس فى النفس لا يتبعه عزم والثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب وهو اما اضطرارى لا يؤاخذ به او اختيارى يؤاخذ به والرابع وهو الهم بالفعل فان لم يعمل به وتركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه منه حسنة لمجاهدة نفسه وان عاقه عنه عائق غير خوف الله تعالى كتبت سيئة لان همه فعل اختيارى له (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فنزلت حتى انتهيت الى موسى) اى انتهى سيرى فوصلت له ولم يقل انتهيت قبل هذا وله هنا اشارة الى انه تمام المراجعة ولا مراجعة بعده (فاخبرته) بما قال الله تعالى له (فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف) من الخمس (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما قصه من حديث الاسراء (فقلت) لموسى عليه الصلوة والسلام (قد رجعت الى ربى) مرارا وراجعته فى سؤال التخفيف (حتى استحييت منه) ان اراجعه فى السؤال بعد ذلك واعلم انهم اختلفوا فى جواز النسخ قبل التمكن من الفعل والبلاغ وقبل دخول الوقت فذهب اهل السنة الى جوازه وهو مبنى على جواز التكليف بما لا يطاق واستدلوا بانه وقع كما فيما نحن فيه وبقصة الذبيح اذ امره بذبح ولده ثم نسخه قبل تحققه بالفداء ومنعه المعتزلة فمنهم من قال لم يأمره لانه منام ورد بان رؤيا الانبياء وحى يجب العمل به ولذا باشره ومنهم من قال انما امر بمقدماته من الشد والتل ونحوه ورد بان قوله انى اذبحك يرده واعداده يأباه وقيل انه فعل ولكن انقلبت السكين او قلب عنقه حديدا وقيل ذبح والتحم وهو مكابرة وقالوا ان النسخ قبل البلاغ مناقض والجواب بانه المأمور وقد بلغه ضعيف لانه عام له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته لان الفرض عليه فرض عليهم ولذا قال له موسى عليه الصلوة والسلام ان امتك لا تطيقه وفيه ايضا النسخ قبل البيان لانه لم يبين وقته وعدد ركعاته وهو حق واعلم انهم يريدون بالمنسوخ حكم التكليف لا نفس الامر لانه قديم ووقع فى بعض طرق هذا الحديث ان موسى عليه الصلوة والسلام قال له اسأله التخفيف فانى اعلم بالناس منك فكيف يقول هذا وقد قاسى مع الخضر عليه الصلوة والسلام ماقاسى لما قال انا اعلم الناس منك وكيف يقوله للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والجواب ان مراده علم التجربة والرؤية بما رآه ومثله لا يعسر ومانقل من انه خبر لا يدخله النسخ مردود بقوله وقيل ان قوله خمسون اولا بيان لما فى اللوح المحفوظ والمراد انها بحسب الثواب كذلك فلا نسخ فيه والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم

فهمه على ظاهره فراجع ربه فى غاية البعد (قال القاضى) هو شيخه القاضى الشهيد المذكور فى اول السند السابق ولذا لم يسمه استغناء باعادة المعرفة معرفة وتعريفه عهدى (جَوَّد) بفتح الجيم وتشديد الواو اى حسن من الجودة ضد الرداءة والحسن ضد القبح (ثابت) البنانى الراوى (هذا الحديث عن انس رضى الله تعالى عنه ماشاء ٢) اى احسن فى روايته واتقنها اتقانا محكما لان ماسكرة موصوفة اى تجويداً شاءه اى بذل جهده وفعل كل مادخل تحت ارادته والمراد ان روايته جيدة خالية عن الاعتراض ولذا اختارها على غيرها من الروايات وقيل ماشاء كناية عن كثرة تجويده اى اتى بها جودة تجويدا كثيرا (وقد خلط فيه غيره ٣) خلط بتشديد اللام وضمير فيه للحديث والخلط ادخال شئ فى شئ والمراد انهم ادخلوا فى حديث الاسراء ماليس منه كشق الصدر كما سنبينه (لاسيما) اى لامثل روايته وفسرها الرضى رحمه الله تعالى بخصوصا وقال الدماميني رحمه الله تعالى انه لاسند له فيه وشئ منصوب ومابعده يجوز رفعه ونصبه وجره وقد عدها النحاة من كلمات الاستثناء وفيه كلام طويل بيناه فى غير هذا الكتاب ونحن فى غنية عنه (من رواية شريك بن ابى نمر) بفتح النون وميم مكسورة تليها راء مهملة التابعى الصدوق الثقة القاضى المدنى وقد ضعفه ابن حزم رحمه الله تعالى لما وقع له فى حديث الاسراء من الاوهام الاربعة التى اشار اليها المصنف رحمه الله وقيل انها ثمانية وتوفى سنة اربعين ومائة وله ترجمة فى الميزان (فقد ذكر فى اوله) اى ذكر شريك رحمه الله تعالى فى اول حديث انس رضى الله تعالى عنه (مجئ الملك له) اللام للتقوية لان جاء متعد بنفسه (وشق صدره ٤) عليه الصلوة والسلام (وَغسله بماء زمزم) وقد تقدم انه بالثلج وفى رواية بماء الكوثر وقد انكروا عليه روايته هذه وقالوا فيه انه وهم من وجوه تزيد على العشر منها مافى سنده فان قتادة رحمه الله تعالى رواه عن انس رضى الله تعالى عنه عن مالك بن صعصعة والزهرى رحمه الله تعالى عن انس رضى الله تعالى عنه عن ابى ذر رضى الله تعالى عنه وشريك جعله عن انس رضى الله تعالى عنه من غير واسطة وخالف سياقه سياقهم بالزيادة المنكرة والتقديم والتأخير وقد نبه على ذلك مسلم رحمه الله فى صحيحه وماذكره المصنف رحمه الله موافق لقدح ابن حزم فيه الا ان الحافظ ابا الفضل بن طاهر رحمه الله انتصر له فى جزء مستقل الفه فيه قال تعليل حديثه بتفرده به ودعوى ابن حزم ان الآفة من شريك اذ لم يسبق اليه لا تقبل فان ائمة الجرح والتعديل وثقوه ورووا عنه وقالوا لا بأس به وحدث عنه مالك رحمه الله وغيره من الثقات وحديثه اذا رواه عنه ثقة لاضعيف لا بأس به وقد روى عنه سليمان بن هلال رحمه الله وهو ثقة وتفرده بقوله الآتى وذلك قبل ان يوحى اليه لايقتضى طرح حديثه فوهم الثقة فى موضع لايقتضى رد جميع ماروى ولو قيل بهذا لزم رد كثير من السلف واعله اراد

(٢) ولم يأت احد عنه باصوب من هذا نسخه

(٣) من انس تخليطا كثيرا نسخه

٤) بطنه نسخه

(ان)

ان يقول بعد ان اوحى اليه فقال قبله انتهى وقدسبق ابن حزم الى هذا الخطابى رحمه الله تعالى وقال النسائى رحمه الله انه قول ليس بالقوى وكان بعضهم لايحدث عنه وقال محمد بن سعد رحمه الله وابوداود رحمه الله تعالى انه ثقة والحاصل انه اختلف فيه فيعد ماانفرد به شاذا منكرا وقدخالف غيره فى مواضع من هذا الحديث منها امكنة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وكون المعراج قبل البعثة وكونه مناما وكون سدرة المنتهى فوق السابعة والمشهور انها فيها او فى السادسة وفى نهرى النيل والفرات وكون اصلهما فى سماء الدنيا والمشهور انهما من تحت السدرة وكون شق الصدر عند الاسراء وكون الكوثر فى السماء الدنيا وهو فى الجنة ونسبة الدنو والتدلى الى الله تعالى وهو لجبريل عليه الصلوة والسلام وكون مراجعته صلى الله تعالى عليه وسلم فى سؤال التخفيف عند الخامسة وفى قوله فعلابه الى الجبار وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم راجع بعد الخمس فهذه مواضع مخالفته فى السند والمتن الذى قال المصنف رحمه الله تعالى انه خلط فيها وقد اجيب عن بعضها (وهذا) اى المذكور من الشق والغسل (انما كان وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (صبى) عند مرضعته حليمة رضى الله تعالى عنها (وقبل الوحى) واتى بانما ردا لقول شريك رحمه الله تعالى انه كان ليلة الاسراء واجيب عنه بان الشق وقع مرارا مرة وهو صلى الله عليه وسلم طفل صغير يلعب مع الصبيان لازالة حظ الشيطان منه كامر ومرة وهو صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين لازالة الطفولية عنه ومرة عند البعثة لتثبيت (٣) قلبه بالوحى وليلة الاسراء ليقوى عليه وزيد خامسة ضعفها ابن حجر رحمه الله فى شرح البخارى وصحح هو والبرهان الحلبى رحمه الله الاربعة الاول (وقدقال شريك فى حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه) اى شق صدره صلى الله عليه وسلم قبل البعثة (وذكر قصة الاسراء) فقال سمعت انس بن مالك رضى الله عنه يقول ليلة الاسراء جاءه ثلاثة قبل ان يوحى اليه وهو نائم فى المسجد ثم لم يرهم صلى الله عليه وسلم حتى اتوه ليلة اخرى الخ وقد اجيب عنه بان قبل متعلق بجاءه فيحتمل ان مجيئهم بعد ذلك بسنين لابليالى فلاخطأ فيه (ولاخلاف انها) اى ليلة الاسراء (كانت بعد الوحى وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا) هذا اشارة الى الخلاف فى سنة الاسراء وزمنها فقيل كانت ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقيل قبل البعثة بخمس سنين وقيل بعد البعثة بخمسة عشر شهرا وقول شريك رحمه الله تعالى انه قبل ان يوحى اليه غلط منه الا ان يقال هذا الاسراء كان مناما غير هذا كالذى روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه كان بالمدينة فانه منام ايضا قال ابن المنير رحمه الله تعالى فى المقتفى ورجح القاضى عياض رحمه الله تعالى انه كان قبل الهجرة بخمس سنين ولايرد عليه

(٣) ليتثبت نسخه

ان خديجة رضي الله عنها كانت تصلي معه وقد احتلف في مدة وفاتها قبل الهجرة على اقوال اقلها انهـا ثلاث سـنين والصلوة لم تفرض الا في الاسراء لان هذه الصلوة غير المفروضة كالتي صلاهـا في بيت المقـدس وصحح ابن المنـير رحمه الله تعـالى الاول لان قول غيره تقدير وقوله تحديد وهو قول الحربي رحمه الله تعالى لانه عين ليلة معينة من شهر معين من سـنة معينة واذا تعـارض خبران احدهما احاط بتفصيل القصة كان اولى لانه يدل على ان راويه احفظ واوعى قلبـا كقول الفقهاء ان الشهادة المورخة تقـدم وكانت تلك الليلة ليلة الاثنين كما قاله ابن المنير رحمه الله تعـالى وكان مقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة الشريفة يوم الاثنين من ربيع الاول ثاني عشرة قبل الضحى وقيل عند استواء الشمس واذا كان الثاني عشر الاثنين كان اوله الخميس واول شهر الاسراء السبت او الاحد او الاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين امانلثة ايام او اربعة او خمسة ولذا تكون الوقفة من كل سـنة خامس يوم الوقفة التي قبلها او اربعة اوسـادسة واعدل الاحتمالات الخامس فالجمعة يعقبها الثلاثا والاثنين يعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكـون السادس وذلك بحسب تمام الشهور ونقصها فبناء على اقل الاحتمالات اول ربيع الاول من سنة الاسراء الاثنين واول الآخر منه الاربعـا بفرض ربيع الاول تاما فالسابع والعشرون منه يوم الاثنين ليوافق مولده صلى الله تعالى عليه وسلم ومبعثه ووفاته فان يوم الاثنين في حقه صلى الله تعـالى عليه وسلم كيوم الجمعة لآدم عليـه الصلوة والسلام فانه فيه خلق ونزل الى الارض فيه وتاب الله عليه فيه ومات فيه وقيل انه كان ليلة الجمعة لفضلها ثم ان كونها ليلة سبع وعشرين موافق لليلة القدر فانها ليلة سبع وعشرين من رمضان على الاصح والحاصل انه قيل ان الاسراء قبل الهجرة بسنة وقيل بسنة ونصف وقيل بسنة وكسر وقيل بعد البعثة بخمس سنين وقيل قبل الهجرة بخمس سنين واختلف في شهره فقيل انه شهر ربيع الاول وقيل الآخر وقيل رجب وقيل رمضان وقيل شوال وقيل قبل نقض الصحيفة وقيل بعد ليله سبع وعشرين اوسبع عشر اواثني عشر ليلة الاثنين او الجمعة وفي الهدى النبوي ان ابن تيمية رحمه الله سئل هل ليلة الاسراء افضل ام ليلة القدر فاجاب بان القائل ان ليلة الاسراء افضل ان اراد انها ونظائرها من كل عام افضل فلا وجه له وان اراد انها بخصوصها افضل لانه حصل له صلى الله تعـالى عليه وسـلم فيها مالم يحصل له في غيرها ومالم يحصل لغيره فهو صحيح ان سلم ان ما انعم الله به عليـه صلى الله تعـالى عليه وسلم افضل من انزال القرآن وهو يحتاج الى علم بحقائق تلك الامور انتهى (وقد روى ثابت عن انس رضي الله تعـالى عنه من رواية حماد بن سلمة ايضا) اي كما روى عنه قصة الاسراء (محي جبريل)

بالنصب مفعول روى (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمـان

عند ظئره) بكسر الظاء المشالة وسكون الهمزة والراء المهملة والهاء وهي المرضعة التي ليست بام وهي حليمة السعدية (وشقه) مصدر مصوب معطوف على مجيء (قلبه) مفعول الشق (تلك القصة) بدل من مجيء بدل اشتمال وفي نسخة بتلك اى معها (منفردة من حديث الاسراء) وفي نسخة مفردة وهو منصوب على الحال (كما رواه الناس) غير شريك وهم اكثر الحفاظ المحدثين (مجود) من ضبطه اى هذا الراوي المميز بين القصتين كما اشار اليه بقوله (في القصتين) اى قصة الاسراء وقصة شق القلب وهو طفل رضيع فلم يخلط احديهما بالاخرى (وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة) لاقصتان كما في رواية شريك وغيره ممن جعل صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء معراجا آخر (وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج من هناك) اى صعد به الى السماء من البيت المقدس لانه ارفع مكان في الارض (فازاح) بزاى معجمة والف وحاء مهملة اى ازال واذهب (كل اشكال) اى مشكل (اوهمه) اى اوقعه في ذهن الناس ووهمهم (غيره) اى غير ثابت كشريك الذى وقع في روايته الوهم والتخليط السابق بيانه (وقد روى يونس) بن يزيد الايلي القرشي وفي يونس كيوسف لغات تقدمت مع ترجمته وهو يروى عن الزهري ونافع وتوفي بمصر سنة تسع وخمسين ومائة (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زيد بن مرة الزهري التابعي رحمه الله تعالى لقي عشرة من الصحابة توفي ليلة الثلاثا لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة اربع وعشرين ومائة ودفن بالشام بقرية تعرف بالشعب واوصى بدفنه على قارعة الطريق لتدعوله المارة وكان احفظ اهل زمانه واحسنهم سياقا لمتون الاحاديث فقيها فاضلا كاملا (عن انس) بن مالك خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قدمنا ترجمته (قال كان ابوذر) الصحابي الغفاري (يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج سقف بيتي) بضم الفاء وكسر الراء اى شق اورفع جانب منه حتى صار مكشوفا ينزل منه الملك الرسل اليه ولم يأته من الباب وقد قال تعالى (وأتوا البيوت من ابوابها) قال ابن المنير تنبيها على المبالغة في المفاجأة وان استدعاءه للكرامة كان بدأ من غير ميعاد وقيل انه ليتيقن كونهم ملائكة اوهو تمهيد لشق صدره صلى الله تعالى عليه وسلم والتئامه من غير تألم لسبق الشق كما تقدم قيل وكان خلفاء بني العباس اذا نصبوا خليفة نقبوا جداره واخرجوه منه تنويها بامره وانه لم يكن يطلب منه والبيت لام هانيء واضافه اليه لادنى ملابسة وروى انه كان بالحطيم وروى بسطحاء مكة فان كان مرارا فظاهر والا يحتاج للجمع (فنزل جبريل) عليه الصلوة والسلام (ففرج صدري) بفتح الفاء والراء وقد تقدم ان شق الصدر وقع مرات منها هذه فلا اشكال فيه

(ثم غسله) اى صدره (من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب) تقدم بيانه ومافيه (ممتلئ حكمة وايمانا) تقدم تفسيره وانه بناء على التجوز اى ملئ نورا ينشؤ عنه ماذكر اوانه تعالى قادر على تجسيم المعانى والاعراض كما قيل فى وزن الاعمال وذكر الطست وان كانت مؤنثة لتأويلها بالاناء فان كان قوله (فافرغها ٢) ضميره للطست رعاية للفظه وتقديره افرغ مافيها يقال افرغت الاناء وفرغته تفريغا اذا ابدت مافيه ويجوز كون الضمير للحكمة لدخول الايمان فيها اولانه عطف تفسير (ثم اطبقه) اى الصدر اى اعاده محله اشارة الى ان شقه والتيامه بغير آلة وقيل شق بمقار الملك وخيط بمخيط للورد كنت ارى اثر المخيط فى صدره ﴿فائدة﴾ قال ابن الجوزى فى كتاب الوفاء بعد ماذكر حديث ولدت مختونا ولم ير احد سوأتى* فان قيل فلم لم يولد مطهر القلب من حظ الشيطان حتى شق صدره واخرج قلبه* قلت قال ابن عقيل لان الله سبحانه احمى ادون التطهيرين التى جرت العادة ان تفعله القابلة والطبيب واظهر اشرفهما وهو القلب واظهر آثار التحلى والعناية بالعصمة فى طرقات الوحى (ثم اخذ بيدى فعرج) بنا (الى السماء فذكر القصة) بتمامها واحده بيده يحتمل انه على حقيقته وان يكون كناية عن جعله شارعا فى العروج (وروى قتاده) ابن دعامة ابو الخطاب السدوسى الضرير اعلم الناس بالفقه والقرآن والحديث توفى سنة سبع عشرة ومائة وعمره ست وخمسون بواسط ونسب للتدليس وليس كذلك (الحديث) مفعول روى (بمثله) اى بمثل الرواية المذكورة (عن انس عن مالك بن صعصعة) الخزرجى المازنى روى له البخارى واصحاب السنن حديث الاسراء قال وروى خمسة احاديث (وفيها) اى فى رواية قتاده المفهومة من قوله روى (تقديم وتأخير وزيادة ونقص) عن غيرها من الروايات (وخلاف فى ترتيب الانبياء فى السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود) اى اكثر اتقانا وجودة منها فى الروايات ولذا اختاره المصنف رحمه الله تعالى خلافا للنووى اذ رجح رواية قتادة كما عرفت (وقد وقعت فى حديث الاسراء زيادات) من الرواة فى بعض طرقه (نذكر منها نكتا مفيدة فى عرضنا) من تأليف هذا الكتاب وايراد حديث الاسراء النكت بضم النون وفتح الكاف والتاء المثناة جمع نكتة وهى ما نكت من الارض ومايكون فى الكون مما يخالفه كالنقطة فاستعير لكل معنى دقيق يحصل بالفكر اما لمخالفته لغيره اولكون المفكر يخط فى الارض وشاع حتى صار حقيقة عرفية فى ذلك وقد يجمع على نكات ايضا (منها) اى من النكت المفيدة (فى حديث ابن شهاب) الزهرى الذى تقدم آنفا ومنها خبر مقدم وفى حديث الى آخره صفة مبتدأ مقدر وجاز حذف الموصوف بوصف غير مفرد لانه بعض اسم مجرور بمن قبله لان المعنى من النكت نكت الى آخره ومثله جائز قياسا مطردا (وفيه) اى فى حديث

(٢) فيه نسخة اى فى صدرى

ابن شهاب ولو حذف قوله وفيه كما وقع فى بعض النسخ كان احسن والضمير فى فيه راجع لحديث الاسراء (قول كل نبى له مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح) فانه ليس كل نبى من اجداده وفى عمود نسبه لكنه جرى منهم على سبيل الشفقة والمحبة كما جرت العادة ان الاقدم والاسن يقول لغيره ياولدى وفى غير هذه الرواية منهم من قال له الابن الصالح ومنهم من قال الاخ الصالح وقد تقدم انه يشكل قول ادريس له الاخ مع انه جد له صلى الله تعالى عليه وسلم وفى وصفه بالصلاح دون غيره وتكراره وكان الظاهر ان يقال الابن الكريم والنبى العظيم مثلا الا انه وصف بالصلاح لانه امدح الصفات لانه بمعنى الجدير لكل خير كما قاله السبكى فوصف الابن به بمعنى انه حقيق بمحبة الله ومحبة رسله ووصف النبى به بمعنى انه المستحق بالذات لان يكون نبيا وان كان فى العرف لايمدح به الكبار لان الصلاحية شئ لايقتضى الاتصاف به بالفعل ولذا قال ابن المنير رحمه الله ان الله اطلق على كثير من الانبياء انه كان نبيا صالحا ولا يصح ان يقال لاحد منهم انه رجل صالح لانه يوهم التسوية بينهم وبين آحاد الامم كما انه لايجوز ان يقال لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم انه ملك وسلطان لايهامه التعظم والتجبر وان كان كذلك فى نفس الامر انتهى ولما لم يفهم هذا بعض المفسرين قال ان المراد به مدح الصفة لا الموصوف كما فى شروح الكشاف ومنه يعلم ان الصفة قد تكون مدحا فى مقام ومن قائل وذما فى غيره كصالح ومبارك (وفيه من طريق) البخارى المسندة (عن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (ثم عرج بى حتى ظهرت) اى علوت وصعدت كما فى قوله والشمس فى حجرتها لم تظهر اى لم تعل او بعدت كقوله * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها * وفى نسخة ثم انطلق بى حتى ظهرت (لمستوى) بضم الميم وفتح الواو والباء بمعنى فى او على وهو اسم مكان عال او وسط او واسع منبسط (اسمع فيه) اى المستوى (صريف الاقلام) الصريف بصاد وراء مهملتين وفاء كالصرير وهو صوت حركة الاجرام والمراد صوت القلم على الورق اى انتهى صلى الله تعالى عليه وسلم الى محل سمع فيه صرير اقلام الملائكة الكتبة وهى تكتب ماتنقله من اللوح اومايؤمر بكتابته من الوحى وغيره فالاقلام على ظاهرها قيل ويحتمل ان الجمع للتعظيم وهو صريح فى ان اللوح والقلم والكتابة على ظاهرها خلافا لمن تأوله ونحن نؤمن بانه على ظاهره وحقيقته ويجب علينا اعتقاده وهذا عبارة عن غاية القرب منه لان مثله لايسمع من بعيد وروى لمنتهى بدل لمستوى قال التوربشتى بمعنى انه بلغ من الرفعة لمقام اطلع فيه على التكوين ومايراد ويؤمر به من تدبير الله عز وجل وهذا منتهى لايرام ولاتصل اليه الافهام ولاينطق فيه غير صرير الاقلام (وعن انس) فيما رواه عنه الشيخان (ثم انطلق بى) بالبناء للفاعل والضمير فيه لجبريل عليه الصلوة

والسلام او بالبناء للمجهول (حتى اتيت سدرة المنتهى) تقدم معناه (فغشيها الوان لاادرى ماهى) لكونها ليست مما تشبه الوان غيرها فى الحس اولان شدة نورها يمنع تحقيقها (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ادخلت الجنة) وهذا يدل على انها موجودة الآن وانها فى السماء وهو الذى نعتقده بلا شبهة (وفى حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته) اى فارقته وقدتم لى ماتم وفسر ضمير المفعول بقوله (يعنى موسى عليه الصلوة والسلام بكا) لحزنه اذلم ينل هو وامته مانال صلى الله تعالى عليه وسلم لامنافسة وحسدا لتنزههم عن مثله (فنودى) اى ناداه الله او الملك وقال له (مايبكيك قال رب) هذا يدل على الاول بحسب الظاهر (هذا غلام) اطلاقه هذا عليه وهو اذ ذاك كهل اوشيخ لانه فى نحو الخمسين اما لانه اسن منه اولانه فى الزمن الاول يعد مثله غلاما وقال ابن قرقول معناه القوى وهو غير قوى (بعثته بعدى يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتى) لما علم عموم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وتأبد رسالته علم كثرة امته وقد ورد انه يراهم فى عرص المحشر اضعاف الامم وقد جوز كون بكائه غبطة وهى غير مذمومة كالحسد بل هى ممدوحة لانها من علو الهمة وقيل انه علم من اكثرية امته فى الجنة فضيلته على غيره لانه لازم بين واما كونه على قلة امته فليس بشئ (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) فى الاسراء الذى رواه البيهقى وغيره (وقد رأيتنى) بضم التاء ضمير المتكلم والرؤية هنا بصرية بناء على الصحيح من ان الاسراء يقظة الا انهم قالوا لايتعدى عامل لضمير والفاعل ضمير مثله الا فى افعال القلوب وماحمل عليها كعدم واجيب بانها لمشابهتها لرأى العلمية لفظا ومعنى لانها جهة ادراك اجازوا فيها ذلك وقد سمع كقول عائشة رضى الله تعالى عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومالنا طعام الا الاسودان الماء والتمر وقول الحماسى

ولقد ارانى للرماح دريئة * من عن شمالى تارة وامامى

(فى جماعة من الانبياء) اى بينهم اومعهم (فحانت الصلوة) بالحاء المهملة اى دخل وقتها وجاء حينها لابمعنى دنت وقربت كما قيل لانه مجاز قامت القرينة على خلافه وهذه الصلوة قيل انها العشاء لان الاسراء يكون فى اول الليل كما هو الظاهر لانها كانت مفروضة على بعض الانبياء كما رواه المحدثون واختاره النووى قالوا وهذا كان بارواحهم ممثلة او باجسادهم لانهم احياء ثم ان هذا ان كان بعد الاسراء فهى الصلوة المفروضة لان المعراج تعدد كما سيأتى تفصيله والافهى تنفل وليس المراد بالصلوة الدعاء كما قيل لان قوله (فاممتهم) اى صليت معهم جماعة وانا امام لهم يأباه ظاهرا (فقال قائل) قيل هو جبريل عليه الصلوة والسلام (هذا مالك خازن النار) اى الموكل بها وبابها (فسلم) مالك (عليه) اى على القائل او سلم جبريل على مالك وهو

الظاهر ويحتمل ان جبريل امره عليه الصلوة والسلام بالسلام على مالك (فالتفت) اى مالك (فبدأني بالسلام) على والالتفات الانصراف عما كان ينظر اليه لغيره ولو بعنقه وانما بدأه بالسلام لانه قادم وليعظمه ويعلمه بامنه منه لتأمين الله له لان السلام امان وسلامة ومالك رئيس خزنة النار وملائكة العذاب ولهم صور مهولة جدا وفى الروض الانف انه صلى الله عليه وسلم لم يلقه احد من الملائكة الاضاحكا مستبشرا غير مالك فانه لم يضحك لاحد قط وهذا ينافيه ماورد انه صلى الله عليه وسلم تبسم فى صلوة فسئل عن ذلك فقال رأيت مالكا راجعا من طلب القوم وعلى جناحه الغبار فضحك الى فتبسمت واجيب بان المعنى انه لم يضحك منذ خلقت النار الا فى هذه المرة وهذه القصة وقعت بعد الخبر الاول وهذه الرؤية يحتمل ان تكون بصورته الاصلية وغيرها وفى فتاوى النووى هذه الصلوة يحتمل ان تكون بعد صعوده صلى الله عليه وسلم للسماء ويحتمل ان تكون بعدها والظاهر الاول (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ثم سار) اى جبريل عليه الصلوة والسلام (حتى اتى الى بيت المقدس فربط فرسه الى صخرة) المراد بالفرس هنا البراق لقرب صورته منها لا لان الفارس يطلق على مقابل الماشى سواء كان راكبا فرسا او حمارا او بغلا وقد ورد تسمية البراق فرسا فى حديث المعراج فى رواية اخرى انه اتى بفرس فحمل عليه واحتمال ان يكون جبريل ركب فرسا معه كما جاء فى قصة مقاتلة الملائكة معه بعيد والمراد بالصخرة صخرة بيت المقدس التى كانت قبله قال الزرقى فى غريب الموطأ انها من عرائب الدنيا فان جميع المياه تخرج من تحتها وهى صخرة صماء فى وسط المسجد الاقصى كجبل بين السماء والارض معلقة لا يمسكها الا الله وفى اعلاها موضع قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسراء فمالت من تلك الجهة من هيبته وفى الجهة الاخرى اثر اصابع الملائكة التى امسكتها اذ مالت ولذا كان بعضها ابعد من الارض من بعض وتحتها غار عليه باب يفتح لمن يدخله للصلوة والدعاء وعدى ربط بالى لتضمينه معنى ضم اوالى بمعنى الباء او عند كقوله * اشهى الى من الرحيق السلسل (فصلى) اى جبريل عليه الصلوة والسلام وقيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (مع الملائكة) لما وجدهم يصلون ثمه (فلما قضيت الصلوة) اى تمت وفرغوا منها وقضى مبنى للمجهول نائب فاعل الصلوة وتاؤه ساكنة للتأنيث وضبط فى الشرح الجديد بالبناء للفاعل وضم تائه على انه التمات وهو خلاف الظاهر فان استند لرواية فيها وبعمت (قالوا ياجبريل من هذا معك) خبر بعد خبر او حال (قال هذا محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم النبيين) والرسل لان نفى الاعم يستلزم نفى الاخص وخاتم بكسر التاء وفتحها بمعنى اخرهم كما مر وقوله فى الحديث لانبوة بعدى الا ما شاء الله المستثنى هو المبشرات ان صحت هذه

الرواية كما مر ولا يرد عيسى عليه الصلوة والسلام لانه ينزل على شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينبأ بعده كما مر (قالوا وقد ارسل اليه قال نعم) تقدم شرحه (قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة) هي تحية ودعاء بالبقاء والسلامة فان حي واحي بمعنى ومن زائدة اومبينة للضمير وجعله الملائكة اخالهم والمراد اخوة الايمان وخليفة لانه خليفة الله في ارضه استخلفه فيها لعمارة الارض وسياستها وتكميل النفوس البشرية وتنفيذ الاوامر الالهية لالاحتياجه تعالى بل لقصور الخلق عن التلقي بغير واسطة وتاؤه للمبالغة قال التلمساني لايقال للسلطان خليفة الله لان الله حي لايغيب وانما الخليفة لمن يغيب او يعجز وانما يقال له خليفة فقط ان اتبع الشرع والسنة والايقال له امير (ثم لقوا ارواح الانبياء) بيت المقدس بعد انقضاء الصلوة او بعد العروج في مراتبهم في السماء اى لقى الملائكة ارواح الانبياء وفي هذا دلالة على تشكل الارواح وتمثلها في الملأ الاعلى على ما كانوا عليه في الدنيا من الرتبة وماتقدم ايضا يحتمل هذا (فاثنوا على ربهم) اى اثنى الملائكة على ربهم اذلاقوا ارواح الانبياء كما تقول اذا رأيت احدا من الصالحين الحمد لله الذى من علينا بلقائك الا ان آخر الحديث يدل على انهم الانبياء عليهم الصلوة والسلام بدليل قوله الآتي كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربي وقوله (وذكر كلام كل واحد منهم) اى من الانبياء (وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلوة والسلام ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربي فاقول الحمد لله الذى ارسلني رحمة للعالمين) فيه مخالفة لما ذكر في اول الحديث من الانباء وهو من باب الابدال لا الزيادة الا ان يكون اقتصر هنا على الزيادة وقوله الحمد لله دليل على انه تحديث بنعم الله لامدح والعالمين شامل للمسلمين ورحمتهم ظاهرة لسعادتهم في الدارين في معاشهم ومعادهم وللكافرين بامنهم من الخسف والمسخ والاستيصال (وكافة للناس) بيان لعموم رسالته فهو كما مر اما صفة مصدر اى ارساله كافة اى عامة كفتهم عن الخروج منها فهو مفعول مطلق لارسلني اواسم فاعل حال من الياء اى حال كوني كافا للناس فالتاء للمبالغة وكونه حالا من الناس مقدما على صاحبها المجرور قول ضعيف (بشيرا ونذيرا) اى مبشرا بالجنة لمن آمن واتقى محذرا من كفر وعصى وهو حال مترادفة اومتداخلة حمد اولا على ما انعم به عليه ثم ثنى بماله من المنافع والفوائد (وانزل على الفرقان فيه تبيان كل شئ) سمى الفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل وهو بحسب اللغة عام خصه العرف بالغلبة وهو مصدر صار بمعنى الفارق اوالمفرق آياته او انزاله والتبيان بكسر التاء كتلقاء شاذ قياسه الفتح وهو جائز في غير القرآن وكونه مبينا لكل شئ كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شئ

يحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية تفصيلا فى بعض واجمالا فى بعض واحالة على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذ امر باتباعه وعلى الاجماع بقوله تعالى (ويتبع غير سبيل المؤمنين) واتباع ائمة الدين وهو شامل للقياس والاجتهاد كما فى الكشاف وغيره من التفاسير (وجعل امتى خير امة) كما قال تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس) وفسره بقوله تعالى (تأمرون بالمعروف) الآية (وجعل امتى امة وسطا) اى عدولا اخيارا جامعين بين العلم والعمل وسائر الصفات التى بين التفريط والافراط استعير من المكان المستوى الجوانب لما ذكر (وجعل امتى هم الاولون وهم الآخرون) هم ضمير مبتدأ ويفيد الحصر وليس ضمير فصل لانه لو كان كذلك قال الاولين ومعنى اوليتهم سبقهم الناس فى القيام من القبور وفى دخول الجنة وفصل القضاء وتأخرهم باعتبار الوجود الخارجى وقد فسره بهذا فى حديث البخارى وهو قوله نحن الاولون السابقون يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب قبلنا وليس تفسيره بسبق السعادة فى الازل كما قيل بواضح (وشرح لى صدرى) اى وسعه بالعلم والايمان والحكمة واليقين بحيث لا احزن على امر من امور الدنيا او شقه وملأه بانواره كما مر (ووضع عنى وزرى) اى طهر قلبى من حظ الشيطان وعصمنى فلا ارتكب ما لا يرضى الله ولذا قال الله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فسوى بين ما تقدم وما تأخر لعدم وقوعهما او خفف اعباء النبوة والتبليغ بافاضة اياديه على فالجملتان فى غاية التناسب (ورفع ذكرى) اى جعلنى مذكورا فى الملأ الاعلى وجعل اسمى طراز الجنان ومقرونا مع اسمه على كل لسان وعلى المنار فى كل اقامة واذان كما قال حسان رضى الله عنه

وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد

(وجعلنى فاتحا وخاتما) للنبوة اذ خلق روحى قبل الارواح ونبأها قبل كل نبى (فقال ابراهيم عليه الصلوة والسلام بهذا) اى بمجموع ما ذكر وبكل واحدة منها لا بالاول فقط كما قيل (فضلكم محمد) اى زاد فضله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم وقدم المعمول للحصر وقال هذا ابراهيم عليه الصلوة والسلام خطابا للانبياء لما سمع مقالته صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ذكر انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او جبريل فقوله (عرج به) مبنى للفاعل او المفعول (من السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفى حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) الذى رواه ابن عرفة فى جزئه وابو نعيم فى الدلائل (وانتهى بى) اى جبريل عليه الصلوة والسلام اى وصل نهاية عروجه بى او هو بى للمفعول (الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة) وتقدم ان الاكثر على انها فى السابعة والجمع بينهما ان اصلها فى السادسة وفروعها فى السابعة الا انه قيل ان خروج النيل والفرات من اصلها يقتضى انها فى الارض وورد فى حديث آخر ان الانهار اربعة جيحان وسيحان وجيحان ووردا انها فى الجنة قال ابن المنير رحمه الله تعالى

ـ فان قلت كيف اصابها للارض ـ قلت يمكن ان يكون كالمطر فيفترق ثم يجتمع ويساق كل لمستقره ومجراه ويحتمل ان اصابها في نواح من الارض غائبة عما شاهدنا عجيب غريبة متصلة بمبادي هذه الانهار فان منها مالم نقف على مباديه الى الآن ـ قلت يشهد له قصة النيل وبهذا يجمع بين كونها في السماء والجنة والارض وقوله (اليها ينتهى مايعرج به من الارض) بالبناء للمفعول اى ماتعرج به الملائكة عليهم الصلوة والسلام من امور الارض للعرض على الله من امور عبيده (فيقبض منها) بالباء للمجهول والقاف والضاد المعجمة قبلها باء موحدة مفتوحة كذا صححوه اى تقبضه الكتبة وتكتبه ومن للابتداء والضمير للسدرة والمراد انه عندها يرفع اليهم (واليها ينتهى مايهبط من فوقها) من العرش بواسطة الملائكة المقربين (فيقبض منها) اى يوحى اليهم علمه ولو قيل ضمير منها للملائكة للعلم بهم من السياق كان اظهر (قال تعالى اذ يغشى السدرة مايغشى) اى امر عظيم لايعلم كنهه وظاهر السياق ان المراد بهذا امر الله ووحيه وكان عليه ان يبينه (قال) اى ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (فراش من ذهب) اى ذهب على صورة فراش وفراش مرفوع عامله مقدر اى غشيها فراش والفراش معلوم (وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس) البكري البصري نزيل خراسان التابعي الثقة يروى عن انس رضي الله عنه والرواية عنه مشهورة توفي سنة تسع وثلاثين ومائة (فقيل لي هذه سدرة المنتهى) التي سمعت بها والظاهر ان القائل جبريل عليه الصلوة والسلام ووقع في بعض النسخ السدرة المنتهى بتعريفهما دون اضافة كالآتي اى السدرة التي هي المنتهى فالمنتهى مبدل منها (ينتهى) ويصل (اليها كل احد من امتك خلى) بفتح المعجمة واللام المخففة اى مضى كقوله تعالى (تلك امة قد خلت) وفي نسخة بضم الخاء وتشديد اللام المكسورة (على سبيلك) اى على طريقتك وسنتك اى من مات من امتك مؤمنا بك عرج بروحه مع الملائكة اليها فيقال هذا عبدك فلان بن فلان فيؤتى له بصك الامان وبهذا فسر قوله تعالى (ان كتاب الابرار لفي عليين) الآية (وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها) اى عروقها الداخلة في الارض (انهار من ماء غير آسن) اى لايتغير طعمه ولونه ورائحته اصلا وان طال مكثه وعدم جريانه وليس المراد نفي التغير في الحال لان كثيرا من انهار الدنيا كذلك وهذا مع عذوبته فان المياه العذبة هي القابلة للتغير ولذا كان البحر المحيط ملحا بناء على ماقرره ارباب الطبائع في علم الحكمة (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) اى لم يحمض كغيره اذا مكث (وانهار من خمر لذة للشاربين) اى لذة سائغة ليس كخمر الدنيا المرة المستكره شربها حتى على من ابتلى بشربها حتى قالوا اثقل من القدح الاول (وانهار من عسل مصفى) من القذا والشمع وان لم تمسه نار لانه

ليس رحيق النحل وقئ الذباب (وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق) بضم الميم وكسر الظاء المشالة وتشديد اللام المكسورة اسم فاعل من اظل مضاف للخلق والمراد الجمع الكثير لا سائر الخلق اذ لا يصح هنا وهذا عبارة عن سعة ظلها * فان قلت قد تقدم انها كآذان الفيلة * قلت اجيب بانه فى الشكل ومن قال التشبيه فى الكبر فيه مافيه (فغشيها نور) من الانوار الالهية (وغشيتها الملائكة) وهم نور مصور قابل للصور (قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى) اى فى تفسير هذه الآية على قول كما مر (فقال الله تبارك وتعالى) ولا يخفى مناسبة هذا التمجيد هنا لان تبارك تفاعل من البركة وكثرة الخير الفائض منه ولذا لا تسند هذه الصيغة لغيره والتعالى العظمة والرفعة فى عظمة الربوبية لا المحسوس فانه منزه عنه (له) اى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (سل) اصله اسئل فخفف وحذف المفعول للعموم اى سل كل ماتريد (فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا) اى اصطفيته وخصصته بالخلة وسيأتى تحقيقها والفرق بينها وبين المحبة (واعطيته ملكا عظيما) قال ابن المنير الملك العظيم الذى اوتيه ابراهيم يحتمل انه ما اوتيه ذريته كيوسف وسليمان وداود وغيره من ملوك بنى اسرائيل من ذريته كما قال الله تعالى (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) وكونه ملك النفس والزهد غير مناسب هنا اوالمراد قهره صلى الله تعالى عليه وسلم لعظماء الملوك فى عصره كنمرود اذ القاهر اعظم من المقهور وجاء فى التفسير ان الملك النبوة * فان قلت كيف هذا وقد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للاعرابى خفف عليك فلست بملك وقال ابو سفيان للعباس رضى الله تعالى عنهما اذ اوقفه على كتائب الفتح ولم يرضها حتى مرت الكتيبة الخضراء التى فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا يسمونها الخضراء لكثرة الحديد فيها وهو عند العرب اخضر ولذا قال ابن هانئ

وحيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

ورعاسموا السيف بذلك نامة فقال لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما فقال لا تقل ملكا انما هو النبوة فلم يرض تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم ملكا فات المنفى الملك العرفى المذكور فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تعود ملكا واما الملك الحقيقى الذى فليس بمنفى ومع هذا لا يجوز ان يطلق على نبينا وابراهيم عليهما الصلوة والسلام انهما ملكان لان مقام النبوة اشرف وعدمه فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى آبائه من دلائل النبوة ولذا سأل هرقل هل كان فى آبائه ملك وخرجت الخلافة عن اهل بيته لئلا يتوهم انه ملك متوارث انتهى وبهذا يندفع مايرد على الفقهاء فى تقسيم احكامه الى فتيا وقضا وسلطنة (وكلمت موسى تكليما) اى خصصته بكلامك له من غير واسطة حقيقة كما يشير اليه التأكيد خلافا لمن انكره من المعتزلة كما بين فى الاصول (واعطيت

داود ملكا عظيما) اى ملكا شرعيا لاعرفيا وهوالخلافة العظمى حتى سخرت له الطير والجبال (والنت له الحديد) بحيث كان فى يده كالعجين تخذ منه الدروع (وسخرت له الجبال) فكانت تسبح معه اذا سبح (واعطيت سليمان ملكا عظيما) اذملكته الدنيا باسرها (وسخرت له الجن والانس) فكانت الجن تخدمه عليه الصلوة والسلام فى بنائه وغيره فبنت له بيت المقدس بالرخام المزخرف بناء عاليا حتى كان يضوء فى الليلة المظلمة ولم يزل كذلك حتى خربه بخت نصر ونقل مافيه لمملكته بالعراق وكان جميع جنده ورعاياه لايعصونه فى شىء (والشياطين) وهم مردة الجن فهو من عطف الخاص على العام فكانوا يغوصون البحار ويستخرجون الدرله والجواهر ويعملون له مايريد (والرياح) فكانت تجرى بامره كمايشاء وتحمل كرسيه وبساطه مسيرة شهر غدوا ومسيرة شهر رواحا (واعطيته ملكا لاينبغى لاحد من بعده) كان سأله من الله وهو ملك الانس والجن والرياح فملك مافوق الارض وماتحتها وقد عرض هذا على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبله واختار كونه عبدالله (وعلمت عيسى) وهو صغير (التورية والانجيل) الذى انزل عليه وحفظ التورية وعمل بها لان الانجيل ليس فيه احكام وانماهو حكم وحقائق التوحيد وقيل فيه احكام قليلة بالنسبة للتورية وفى نسخة وعلمت موسى التورية وعيسى الانجيل (وجعلته يبرىء الاكمه) الذى ولد اعمى بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمك وقال التلمسانى هوالذى لايبصر بالليل ويبصر بالنهار قاله البخارى عن قتادة ولايسلم هذا فى لغة والمعروف ماتقدم والذاهب البصر بعد الابصار اعمى والاكمه الذى سلب عقله بتنزيل البصيرة منزلة البصر اوالذى اعترته ظلمة فغيبت بصره انتهى وكلامه تناقض فان المعنى الاخير هو عين ماانكره فان كان منقولا عن اللغة صح ماقاله قتادة وهو ثقة ليس متهما بالمجازفة فى تفسير القرآن لاسيما وقد تابعه البخارى ومتابعته لمتمد فى حديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف اللغة (والابرص) وهو علة مزمنة لايتيسر علاجها للحكماء بها يبيض لون البدن ويصير قبيحا وهو اقبح الامراض بعد الجذام ولذا جوز الشافعى رضى الله تعالى عنه فسخ النكاح به (واعذته) اى حفظته واجرته (وامه) مريم (من الشيطان الرجيم) الرجم كناية عن اللعن والطرد من رحمة الله ولذا قال انى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وسيأتى فى حديث مسلم مامن مولود يولد الايمسه الشيطان فيستهل صارخا من مسه الا ابن مريم وامه وكذا نبينا عليه افضل الصلوة والسلام لان المتكلم لايدخل فى عموم كلامه ولانه علم بالحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مشيرا الى السماء نظرا لربه ولم يسلط عليه شيطان كما جعل بينه وبين مريم وابنها حجابا وهذا غير القرين الذى مع كل احد حتى الانبياء عليهم الصلوة والسلام وفى هذا كلام فى الكشاف وشروحه سيأتى بيانه مع الكلام

على الحديث (فلم يكن له عليهما سبيل) اذحاجا وعصمهما منه (فقال له ربه) اى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لما سمع مقالته وان المقامات العلية سبق لها السابقون من الرسل عليهم الصلوة والسلام (قد اتخذتك حبيبا) هذا فى مقابلة الخلة والمحبة اعظم من الخلة كما سيأتى ولم يذكر مايقابل مابعده لانه معلوم اذهو لم يرض الملك وقد خبأ دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم لما هو اعظم من هذا وهو الشفاعة العظمى والقرآن اعظم من التورية والانجيل وابراء الاكمه ونحوه وقد وقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم مثله كردعين قتادة وبرء كثير من الامراض بمس يده الشريفة كما سيأتى وتقدم الكلام على اعاذته من الشيطان (فهو مكتوب فى التورية محمد حبيب الرحمن) وهذا من كلام الراوى كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة وفى السعيات للهمدانى قال ثبت فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هممت ليلة المعراج ان اخلع نعلى فسمعت النداء من قبل الله تعالى يا محمد لا تخلع نعليك لتشرف السماء بهما فقلت يارب انك قلت لموسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس فقال يا ابا القاسم ادن منى لست عندى كموسى فان موسى كليمى وانت حبيبى انتهى وقد سئل الامام القزوينى عن وطىء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العرش بنعاله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك ام لا فاجاب بان ذلك ليس بصحيح ولا ثابت بل وصوله صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت فى خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت اصلا وانما الذى صح فى الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب واما الى ما ورائها فلم يصح وانما ورد ذلك فى اخبار ضعيفة اومنكرة لا يعرج عليها انتهى وتابعوه على ذلك وقوله (وارسلتك الى الناس كافة) قد تقدم شرحه وكذا قوله (وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون) لسبقهم فى دخول الجنة وتأخرهم وجودا والمنة بهذا عليه لما تضمنه من كثرتهم وقلة مكثهم فى القبور وعدم نسخ شريعتهم (وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة) هى كلام يقال على رؤس الاشهاد للاعلام بامر مهم وكان عادة العرب اذا اجتمعوا فى نادقام منهم واحد فخطب اذا تفاخروا او تصالحوا اوارادوا وعظا وانقس فى سوق عكاظ خطيب مشهور فجاء الشرع على نهجهم فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا وقع امر قام بينهم خطيبا فالخطبة مشتقة من الخطب وهو الامر العظيم وبقى ذلك مشروعا فى الجمعة والعيدين والنكاح والاستسقاء لوعظ الناس ونحوه (حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى) اى لا يعتد بخطبهم الا اذا اتوا فيها بكلمتى الشهادة لما ورد فى الحديث (كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء) اى هى ناقصة لا بركة فيها وهذا يقتضى ان التشهد فيها ركن اوشرط قيل وهذا لم يقل به احد من الفقهاء والائمة * وقيل المراد انه لا يصح خطبة من لم يصدر منه الشهادة اى لا تصح الا خطبة المسلم المصدق بك ولامة امة الدعوة فهو

بعيد واجيب بان الشافعي وغيره اشترط في الخطبة الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهي تتضمن الشهادة بذلك ولايخفى ان هذا غير موافق لظاهر الحديث فالظاهر انه كان واجبا فنسخ وجوب الاقتصار على مقدار تهليلة وتسبيحة وقال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى لابد من ذكر طويل يسمى خطبة واقله قدر التشهد الى قوله عبده ورسوله يثنى بها على الله ويصلى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعو للمسلمين لان الخطبة واجبة ومادون ذلك لايسمى خطبة عرفا كما قاله الزيلعي والحديث شاهد له (وجعلتك اول النبيين خلقا) لانه خلق روحه قبل الارواح ثم خلق الارواح ونسأه فهو اولهم خلقا ونبوة (وآخرهم بعثا) وارسالا كما تقدم بيانه (واعطيتك سبعا من المثاني) اى الفاتحة لانها سبع آيات وهي تثنى وتكرر في كل ركعة او السبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والتوبة وحدها اومع الانفال بناء على انهما سورة واحدة لعدم البسملة بينهما لتكرير المواعظ والعبر فيها (ولم اعطها نبيا قبلك) كما تقدم بيانه (واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي) الكنز المال المدفون فشبه به مافي اللوح المحفوظ مما لم يطلع عليه خلقه كجعل خواتيم سورة البقرة وما فيها من الثواب المعد لمن قرأها بمال عظيم اخرج من ذلك الكنز الذي هو اللوح وفي الحديث (من قرأها كفتاه) اى عن قيام الليل او من الشيطان ويؤيده ماروى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (انزل الله على آيتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قرأها بعد العشاء مرتين كفتاه من شر الشيطان ولايكون له عليه سلطانا) قال التوربشتي المعنى انه استجيب له مضمون قوله غفرانك الى آخره ونصره ولما قرأهن صلى الله تعالى عليه وسلم قيل له قد فعلت واوثر الاعطاء لمناسبة الكنز (لم اعطها نبيا قبلك) اى لم يعط مثل ثوابها احد قبله صلى الله عليه وسلم (وجعلتك فاتحا وخاتما) اى فاتحا لكل خير وشريعة فهو اعم من قوله جعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا فلذا فسره به فقد قصر (وفي الرواية الاخرى) التي رواها مسلم (قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا) من الفضائل المخصوصة به صلى الله عليه وسلم (اعطى الصلوات الخمس) اى لم تجتمع لغيره ولغير امته ولا لنبي قبله فان الانبياء قبله كانت لهم صلوة موافقة لبعض هذه دون مجموعها وكان عليه السلام يصلي قبل الاسراء ولكن لم يشتهر بيان كيفيتها ونقل السيوطي رحمه الله في آخر الخصائص انه لم يكن فيها ركوع ولذا نزل قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) وقد مر ذلك (واعطى خواتيم سورة البقرة) كما تقدم (وغفر لمن لم يشرك بالله شيئا من امته المقحمات) بضم الميم وقاف وحاء مهملة مكسورة بزنة اسم الفاعل

من الاقحام وهو الالقاء والمراد الكبائر التي تلقي صاحبها في النار او المهلكات وهذا كقوله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) اي بتوبة وبدونها خلافا للمعتزلة والكلام فيه مشهور (وقال) اي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في الحديث الذي رواه (ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين) هذا لفظ القرآن والمنقول عن راويه من الزيادة انما هو تفسيره بقوله (رأى جبريل في صورته) الاصلية التي خلق عليها (له ستمائة جناح) لا في صورة تمثل بها فان الله اعطى الملائكة قوة التشكل باي صورة ارادوا ونقل الشمني عن السهيلي في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله ابدل جعفرا رضي الله تعالى عنه بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء ليس هذا كما يسبق الى الوهم جناح بريش كالطير لان الصورة الآدمية اشرف وانما هي عبارة عن قوة روحانية ملكية اعطيها جعفر رضي الله تعالى عنه كما اعطى الملائكة فان اجنحتهم صفات ملكية لا تدرك الا بالمعاينة لان قوله تعالى (فيهم اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع) يدل على ذلك اذ لم ير طائر باكثر من جناحين فكيف بستمائة كما في صفة جبريل عليه الصلوة والسلام فدل على انها صفات لا تضبط كيفيتها بالفكر انتهى واعترض عليه بان هذا اشبه بكلام الفلاسفة والحشوية فاي مانع من ابقائه على ظاهره وكون طيور الجنة ليس لها غير جناحين غير ضار والاحاديث صريحة في انها اجنحة حقيقية كثيرة من زبرجد وياقوت ملونة كاجنحة الطواويس ولا ينكر هذا الامن ينكر الملائكة وكون جناحي جعفر رضي الله تعالى عنه حقيقيين يؤيده كون ارواح الشهداء في جوف طيور خضر في الجنة فاي حاجة للتأويل ومثله لا يليق بمثل الامام السهيلي (وفي حديث شريك) المتقدم مع مافيه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى موسى في السابعة) وهو مخالف لما مر من انه في السادسة فان كان الاسراء متعددا فظاهر انه لامنافاة والا فيجمع بينهما بانه رآه اولا في السادسة ثم صعد الى السابعة فرآه بعد رجوعه فيها (قال) اي النبي صلى الله عليه وسلم او الراوي على انه من كلام شريك فهو مدرج فيه (بتفضيل كلام الله) اي علو رتبته عليه الصلوة والسلام وصعوده للسابعة لفضله على غيره بكونه كليم الله فالباء سببية وهو مضاف للفاعل (قال) شريك في الحديث (ثم علا به) اي برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من السابعة (فوق ذلك) الاشارة للسماء السابعة (بما لا يعلمه الا الله) اي بمقدار لا يعلم محله وحقيقته . قيل نهايته وهو بدل من فوق والباء للاستعلاء كما في قوله تعالى تأمنه بقنطار او بمعنى الى كما في قوله تعالى (وقد احسن بي) فكان مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع من مقام موسى عليه الصلوة والسلام ولذا عقبه بقوله (فقال موسى) اذا رأى رفعه صلى الله تعالى عليه وسلم

(لم اظن ان يرفع علىّ احد) ومنشأ ظنه تفرده بتكليم الله وقد شاركه فى ذلك وزاد عليه بما اقتضى رفعته على سائر الانبياء واعترض على هذا بانه كيف يقول موسى عليه الصلوة والسلام هذا وقد علم بتفضيله وهو مذكور فى التورية واللائق بالانبياء عليهم الصلوة والسلام التواضع وهذا مما نطعن به فى رواية شريك (وقد روى عن انس) ابن مالك (رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس) اماما ولا حاجة الى حمله على انه بعد الاسراء الذى فرضت فيه الصلوة وان كان محتملا ايضا كما مر (وعن انس) رضى الله تعالى عنه كما رواه البزار والبيهقى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه الصلوة والسلام) اصله بين فاشبعت فتحته الفا وهو ظرف مضاف للجملة مضمن معنى الشرط والعامل فى اذ معنى المفاجأة اى وقعودى يوما فاجأنى فيه دخول جبريل او وقت دخوله وذات يوم توكيد دفعا لتوهم التجوز عن مطلق الزمان وذات وذو تزاد كثيرا كقوله رحل من ذى يمن (فوكز) اى ضرب ضربا خفيفا كما يفعل من يوقظ غيره بحيث لا يطلع على ايقاظه وقيل الوكز الضرب بجمع الكف (بين كتفى) وفى رواية بينا انا نائم وجمع بينهما بانه صلى الله تعالى عليه وسلم يجوز ان ينام وهو قاعد ولذا وكزه ليستيقظ وهذا من جملة الزيادة وفى بعض الشروح انه كان ببيت المقدس (فقمت) معطوف على محل قعودى (الى شجرة فيها مثل وكرى الطائر) مثنى وكر وهو للطير كالبيت للانسان والجحر للحشرات والكناس للظبى كما بينه اهل اللغة اى بيتين شبيهين بالعش وضعا وهيئة لا مقدارا لانه لايسع الآدمى ولو كان كفوا فى الطير كالنسر والعقاب (فقعد) اى جبريل عليه الصلوة والسلام (فى واحدة وقعدت فى الاخرى) قيل انثه لانه كالعش يذكر ويؤنث والغالب على السنة اهل مكة تأنيثه او هو تأويله بالزاوية والطاقة ونحوهما وما قيل لانه مأوى اناث الطيور غالبا لا وجه له (فسمت) بالنون والضمير للشجرة اى زادت وارتفعت وروى سمت بالسين من السمو كالعلو لفظا ومعنى (حتى سدت الخافقين) هما المشرق والمغرب خفوق الشمس والنجم فيهما اى غيابهما او حركتهما واصل معنى الخفوق الاضطراب والحركة ولذا حسن قوله

اما والله لولا خوف شخصك * لهان علىّ ما القى برهطك
ملكت الخافقين فدت مجدا * وليس هما سوى قلبى وقرطك

(ولو شئت) بلوغها ومس منها (لمسست السماء) بكسر السين وفتحها ويروى مست بسين واحدة من المس او هو مخففة و نقل حركته (وانا اقلب طرفى) تقليب طرفه تعنى نظره فى جوانبها اثباته صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم دهشته وتأمله فى آيات الله فى الآفاق (ونظرت جبريل) اذ فات طرفى موقع عليه بحذائى (كانه حلس) بكسر الحاء المهملة

(وسكون)

وسكون اللام وسين مهملة وهو كساء رقيق يوضع تحت القتب والبردعة ويبسط في البيت (لاطئا) اى لاصق بالارض والمراد انه لما قرب من السماء غشيته مهابة حتى خضع والتصق بالارض من الغشى الذى هو فيه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثبت لم يمسه روعة كاغشى جبريل عليه الصلوة والسلام ويقال فلان حلس بيته لمن لايخرج منه قال ابوبكر رضى الله تعالى عنه كن حلس بيتك حتى تأتيك يد خاطئة اومنية قاضية ولاطئ بلام وطاء مهملة مهموز بمعنى لاصق كما فى الصحاح وفى بعض النسخ حلس لاطئا بفتحتين ونصب لاطئ وصحح رواية ولم يفسر وجملة كانه حال جبريل (فعرفت فضل علمه بالله على) اى عرفت بما اعترى جبريل عليه الصلوة والسلام من الخشية انه اعرف بالله منى لانه بقدر العلم يكون الخوف والخشية قيل هذا تواضع منه عليه الصلوة والسلام لانه افضل منه وورد بانه قد يكون فى المفضول ماليس فى الفاضل والملائكة المقربون قد يعرفون من احوال الملكوت مالا يعرفه غيرهم وان كان افضل والقول بانه صلى الله عليه وسلم قاله قبل العلم بتفضيله عليه لايناسب هنا (وفتح لى باب السماء ورأيت النور الاعظم) قيل هو نور العرش او الله تعالى لانه سمى نورا كما قال الله نور السموات والارض والحكماء والمتكلمون جوزوه من غير تأويل قال الاشعرى نور لا كالانوار وقال الغزالى النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره فان فهمت فهو نور على نور وبعد هذا كلام لايصرح به (ولط دونى الحجاب) وفى نسخة واذا دونى الحجاب ولط بضم اللام وتشديد الطاء المهملة مبنى للمجهول يقال لططت الباب اذا اغلقته وكذا اذا سترته يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما شاهد النور ارخى بينه وبينه حجاب ستره عنه وسيأتى الحجاب وتأويله عن قريب (وفرجه) بضم الفاء وفتح الراء المهملة والجيم مضافا لضمير الحجاب جمع فرجة بوزن غرفة وهى مابين الشيئين من خلاء او بين اجزاء شئ مفتوحة اى فرج الحجاب المرخى وطاقاته الذى يخرج منها نوره (الدر والياقوت) وهما نوعان من الجواهر معلومان (ثم اوحى الله الى ما شاء ان يوحى) بالبناء للفاعل او المفعول وحديث انس هذا سقط من بعض النسخ (وذكر البزار) بفتح الموحدة وتشديد الزاى المعجمة والف وراء مهملة نسبة لعمل البزر وهو بزر الكتان الذى يستخرج منه السليط والدال المعجمة كل بذر يبذر للزراعة وهذا هو احمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى صاحب المسند الكبير المعلل توفى بالرملة سنة اثنين وتسعين ومائتين وترجمته مشهورة وهو ثقة حافظ واعلم ان البزار كذا هو فى اكثر النسخ قال البرهان الحلبى وفى نسخة بخط الحافظ مغلطاى البزار براى معجمة آخره (۲) وفى صحتها نظر والمعروف انه براء مهملة آخره (عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه لما اراد الله تعالى ان علم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يعرفه (الاذان) الذى شرعه له

(۲) قال على القارى وفى نسخة بخط مغلطاى البزر بفتح موحدة وجيم ورآء اسمى اقول وما حكاه الشارح من خط مغلطاى ذلك احد بخلاف لما قاله القارى فليتنبه قاله مصححه طاهر

للاعلام بدخول وقت الصلوة (جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق) من الكلام عليه وظاهر سياقه ان هذا معراج آخر غير الذى كان بمكة قبل الهجرة كما مر وهذا بعده فان الاذان كان بالمدينة وسياقه يقتضى ان هذا المعراج كان المقصود منه تعليم الاذان وسيأتى مافيه (فذهب يركبها) اى شرع فى الركوب وذهب وردت بهذا المعنى كثيرا وليس من الذهاب بمعنى المضى تقول ذهب يقول كذا اى شرع فى مقاله وقوله (فاستصعبت) تلك الدابة (عليه فقال لها جبريل اسكنى فوالله ماركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذى يلى الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا) الملك (قال والذى بعثك بالحق انى لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه) تقدم شرحه فلا نكرره وتأنيث البراق لغة او مأول بدابة وهذا الحديث رواه بسند متصل بعلى رضى الله تعالى عنه وفى سنده زياد بن المنذر وقد قيل فيه انه كذاب والحديث ضعيف ومال السهيلى لصحته وذكر الحجاب وسيأتى بيانه (فقال الملك) الذى خرج من خلف الحجاب ولم يعرفه جبريل عليه الصلوة والسلام (الله اكبر الله اكبر) الى آخر الاذان واجابة المؤذن بما يليق برب العزة علما شرع لنا ذلك بما يناسب حالنا على ماعرف فى كتب الفقه والسنة (فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى انا الله لا اله الا انا وذكر) الراوى (مثل هذا) الذى ذكر قولا وجوابا للمؤذن (فى بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حى على الصلوة حى على الفلاح) لانه لا يتصور فى حقه معناه اولان جوابه لا حول ولا قوة الا بالله اى لا يقدرنا على الصلوة والسعى لها واداء حقوقها الا من هى له وهذا لا يليق الا بالمخلوق بخلاف ماقبله (وقال) اى الراوى (ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمه) على من كان بحضرته من الانبياء عليهم الصلوة والسلام (فام) اى صار اماما يؤم (اهل السماء) حال كونهم (فيهم آدم ونوح عليهما الصلوة والسلام) خصهما بالذكر لانهما ابو الانبياء الجسمانيين كما انه ابوهم الروحانى المتقدم عليهم تقدما حقيقيا ومعنى حى اقبل وهلم وهو اسم فعل قال القاضى ممدود بن سعيد والعرب تريد بها حيهلا سريعا حثيثا لا كما تقول الفقهاء معلما وفى حى لغات مذكورة فى كتب العربية واللغة واصلها حى هلا ثم قد تفرد حى وقد تفرد هلا والمعنى واحد والفلاح معناه الفوز بالسعادة يقال افلح الرجل اذا اصاب خيرا وفاز وقيل معناه البقاء والمعنى اقبلوا على البقاء فى الجنة (قال ابو جعفر محمد بن على بن الحسين) بن على بن ابى طالب وهو ابو جعفر الامام المشهور من آل الرسول واهل بيته (راويه) اى راوى هذا الحديث الذى رواه عن ابيه عن جده (اكمل الله لمحمد

(صلى)

صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف) والعلو (على اهل السموات واهل الارض)
اما على اهل الارض فلانه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف الرسل وامته اشرف
الامم واما على اهل السماء فلانه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف من سائر الملائكة
بدليل انه امهم وتقدم عليهم كما تدل عليه الاحاديث المذكورة بقى ههنا ان ماذكر
يدل على ان الاذان شرع ليلة الاسراء قبل الهجرة مع انهم جزموا بانه صلى الله تعالى
عليه وسلم كان يصلى بغير اذان منذ فرضت الصلوة الى ان هاجر الى المدينة وفى حديث
ابن عمر رضى الله تعالى عنهما الصحيح المذكور فى الصحيحين قال كان المسلمون
حين قدموا المدينة يجتمعون يتحينون الصلوة ليس ينادى لها فتكلموا فى ذلك
يوما فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بوقا مثل بوق
اليهود فقال عمر رضى الله تعالى عنه اولا تبعثون رجلا ينادى بالصلوة فقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بلال قم فناد بالصلوة وفى حديث ابى اسحق
بزيادة على ماذكر فبيناهم على ذلك اذ سمع عبدالله بن زيد بن ثعلبة الخزرجى النداء
فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد طاف بى الليلة
طائف مر بى رجل عليه ثوبان اخضران يحمل ناقوسا فى يده فقلت يا عبد الله
اتبيع هذا الناقوس فقال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلوة قال اولا ادلك
على خير من ذلك قلت وماهو قال تقول الله اكبر الله اكبر الى آخره فلما اخبر به
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انها رؤيا حق فقم لبلال فالقها عليه
فليؤذن بها فانه اندى صوتا منك فلما اذن بلال رضى الله تعالى عنه سمعه
عمر رضى الله تعالى عنه وهو فى بيته فخرج يجر رداءه وهو يقول يا نبى الله
والذى بعثك بالحق نبيا لقد رأيت مثل الذى رأى فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم الحمد لله وفى وسيط الغزالى انه رأى هذه الرؤيا بضعة عشر رجلا وانكره
النووى وابن الصلاح وقالا لم يثبت الا رؤيا زيد وعمر رضى الله تعالى عنهما فهذا
يدل على ان الاذان انما روى بالمدينة وماذكرها يدل على انه بمكة فى الاسراء وهما
متعارضان الا ان الثانى صحيح والاول ضعيف وقال ابن حجر رحمه الله تعالى قول
القرطبى انه لا يلزم من رؤيته فى الاسراء مشروعيته فى حقه فيه انه يأباه قوله فى الحديث
لما اراد ان يعلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاذان وقول الطبرى يحمل الاذان
فى الاسراء على معناه اللغوى يأباه ذكره بالفاظه بعينها وماقيل من انه صلى الله
تعالى عليه وسلم رآه فى الاسراء ولم يؤمر به بمكة للعجز عن اظهاره بين المشركين
واخره الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم لما رؤا ذلك اظهره ليكون مدحه على لسان
غيره فى غاية الضعف ولو كان كذلك لم يؤخره حين قدم المدينة * اقول هذا
كله كلام مضطرب والذى ظهر لى فى التوفيق بين الحديثين على وجه لا كدر فيه

ان المذكور في رواية البزار اسراء غير المعروف وانه بروحه او في رؤياه لان الاسراء تعدد فيكون رأى في منامه ذلك ورؤيا الانبياء وحي وعقب ذلك قص عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم رؤياهم فاظهر موافقتهم والعمل بها لتكون الشهادة والمدح من غيره وليسروا بموافقتهم رأيهم وكون ذلك مأثورا عنهم والامر فرض كفاية مشروع ومباح لا يثبت برؤيا غيره فيحتاج الى انه اجتهاد فاتفق الرؤيا وهو خلاف وهذا ان شاء الله من بركاته ولمعات مشكاته ثم ان المصنف رحمه الله تعالى استشعر اعتراضا قياس من الحديث الذي ذكر فيه الحجاب وهو في حقه تعالى محال لاستلزامه الجهة والتحيز فاراد دفعه بقوله (قال القاضي) ابو الفضل عياض مؤلف هذا الكتاب رضي الله عنه (ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق) الرائي (لا في حق الخالق) والفاء في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وهو جائز وكذا ما ورد في الحديث حجابه النور اذ الحجاب بمعنى المانع والحاجب المانع ومنه حاجب العين وحاجب الامير والحاجب يحيط بالمحجوب وفيه نفي تناهيه وتحيزه تعالى الله عن ذلك ولذا قال ابن عطاء الله رحمه الله كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي اظهر كل شيء كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الظاهر من كل شيء كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء (فهم) اي الخلق (المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه) لما سيأتي ولذا قال علي كرم الله وجهه بالدرة من قال لا والذي احتجب بسبع اطباق وقال ويحك يا لكع ان الله لا يحتجب ثم علل استحالة ذلك في حقه تعالى (اذ الحجب) بضمتين جمع حجاب او بفتح فسكون مصدر (انما تحيط بمقدر محسوس) اي بذي مقدار له طول وعرض وعمق في جهة تحس بنوعه الساطر فتقتضي الجهة وهو منزه عن ذلك (ولكن حجبه عن ابصار خلقه وبصائرهم) جمع بصيرة وهي القوة المدركة لغير المحسوس من العقل ونحوه فلا تحيط به ابصارهم اي لا تدرك ادراك احاطة بذاته لاتصافه بالحد والتناهي ونحوه مما هو منزه عنه كما فسر به قوله لا تدركه الابصار كما ذكره الصاوي ردا على من انكر الرؤية واستدل بهذه الآية وباقي الكلام عليها ولا تدركه بصائرهم والمراد بالادراك العلم اي لا تعلم كنهه وحقيقة عقولهم ادراكا تاما يقينا (و) حجبه عن (ادراكاتهم) اي انواع العلم والادراك معطوفا على ادراك ذاته فلا رؤية ولا تصور ولا ادراك بما في غيرنا (بما شاء وكيف شاء ومتى شاء) متعلق بحجب اي منعهم عن رؤيته وادراك ذاته ومعرفة حقيقته ليس بحجاب كحجاب البشر بل بسبب ارادته وكونه لا يدركها في اي زمان اراده وفيه ايماء الى ان رؤية الله في الدنيا ممكنة وفي الآخرة واقعة وان معرفة حقيقته ممكنة لنا وهو الاصح بل واقعة للانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن امسك دليل حقيقتهم (كقوله) اي كقول الله في الكفار (كلا انهم عن ربهم) اي ان الكفار (يومئذ) اي يوم القيامة وفي الآخرة اذ ثم

(المؤمنون)

المؤمنون رؤيته ورضوانه (لمحجوبون) وقال كقوله بالكاف لان المدعى عام وهذا خاص بالكفار ولكن فيه اشارة لمدعاه اذ جعلهم هم المحجوبون لا الله * فان قلت الحجب امر نسبي لا بد من تعلقه بالطرفين فيلزم منك ما فررت منه * قلت نعم هو نسبي ولكن من حاجب ومحجوب والحاجب سبحات الانوار وستائر العظمة والمحجوب مخلوقاته لا هو لانه محجوب عنه لا محجوب فيجوز ان يوصف بانه محجوب عنه وحاجب ومحتجب خلافا لمن انكره ومثاله حفرة عميقة فيها نمل على رأسها انسان حديد البصر فالنمل محجوب عن رؤيته بالحفرة لا يرى من فوقه وهو يشاهد ويشاهد حركاته والحجاب للمشهود لا للشاهد فعلى هذا نطلق الحجاب ونحوه عليه لوروده بهذا المعنى مطلقا او مقيدا اذ ايهام ماسمع من الشارع لا يلتفت اليه كاليد والعين وغيره فاعرفه فانه امر مهم كثير في القرآن والحديث (فقوله في هذا الحديث الحجاب) بالجر على حكاية الحجاب او الرفع (و) قوله (اذ خرج ملك من الحجاب) اراد ملك الاذان الذي سئل عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل (يجب ان يقال) في تفسير معناه (انه حجاب يحتجب به) الله تعالى (من وراءه من ملائكته عن الاطلاع) بكسر الطاء المشددة اي رؤيتهم متعلق بمحتجب (على مادونه) اي ماخلفه ووراءه من جانب الغيب وباطنه فهو الباطن والظاهر (من سلطانه) الظاهر انه اراد به ما فيه قدرته عند تصرفه مما لا يطلع عليه رسل الملائكة وغيرهم الا نادرا (وعظمته وعجائب ملكوته) ومالا يدرك من ذلك والمراد بالملكوت عالم الغيب اي ما غاب عن الملائكة (وجبروته) وهو يطلق على القهر وعلى عظائم الملكوت وغرائبه مما احتجب عن غيره وهو المراد وجبروته بغير همزة قال الحلبي وهو مهموز في بعض النسخ وهو لحن (ويدل عليه) اي يدل على ان الحجاب امر لا لذاته (من الحديث قول جبريل) له صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الملك الذي خرج من ورائه ان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه) فانه صريح في ان الحجاب انما يحجب الخلق فان جبريل قد حجبه الله تعالى عما في سرادق جلاله وخلف حيطة عظمته (فدل على ان هذا الحجاب) المذكور في الحديث (لم يختص بالذات) اي لم يخص محجوبية بذاته تعالى اذ حجب بعض الملائكة ايضا كملك الاذان وبما فسرناه به علمت انه لا يتوهم ان المصنف رحمه الله حقه ان يقول يختص بغير الذات لان نفي الاختصاص يقتضي المشاركة كما لا يخفى (ويدل عليه) اي على عدم اختصاص الحجاب بالذات كاشر (قول كعب الاحبار (في تفسير سدرة المنتهى) اي في بيان سبب تسميتها به (قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم) فهذا وجه تسميتها به وفيه نعلم ان الحجاب انما هو بالنسبة لغيره لا له وان المحجوب عنهم ذاته وامره وملائكته المقربون وقوله يجدون معناه يفهمون ويعلمونه (واما قوله) في الحديث (الذي يلي

الرحمن) لما كان ظاهره انه حائل بينه وبين غيره اشار الى تأويله بقوله (فيحتمل) اى يفسر بانه (على حذف المضاف اى الذى بل عرش الرحمن) فالمضاف المقدر لفظ عرش او لفظ امر (او امراً ما) زيادة ما للعموم او للتعظيم اى بل امر الرحمن (من عظيم آياته) من بيانية لايضاح ما ابهم اولا وهو اوقع فى النفوس لحصوله بعد الشوق اليه (او من مبادى حقائق معارفه) اى امرا يكون مبدأ لما يتحقق به معرفة الله (بما هو) اى الله تعالى (اعلم به) من رسله وملائكته عليهم الصلوة والسلام (كما قال تعالى واسئل القرية التى كنا فيها اى اهلها) اشارة الى ان تقدير المضاف لقرينة عقلية كثير شايع لان القرية لا تسئل وانما يسئل اهلها (وقوله) تعالى فى حديث الاذان اجابة للملك لما قال الله اكبر من كل كبير (فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى) اى الملك القائل (انا اكبر فظاهره انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (سمع فى هذا الموطن) اى المكان الذى كان فاراد به كمقر الانسان فى وطنه (كلام الله) من غير واسطة كما سمعه موسى صلى الله تعالى عليه وسلم (ولكن من وراء حجاب) حجبه عن رؤية الله تعالى وهو يراه من غير حجاب بالنسبة له وان كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم محجوبا عن رؤيته معاينة ثمة فهو لا يراه ثم استدل على ذلك بقوله (كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اى وهو) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يراه) اى لا يرى الله معاينة اذ (حجب بصره) اى بصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عن رؤيته) اى رؤية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه فى هذه الدنيا ولما كان هذا يوهم امتناع الرؤية مطلقا قال (فان صح) الحديث و (القول بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه) عيانا حين اسرى به (فيحتمل انه فى غير هذا الموطن) الذى سمع فيه الاذان (بعد هذا) الموطن والمقام (او انه رفع الحجاب عن بصره حتى رآه) عيانا فى مقام آخر (والله اعلم ﴿ فصل ﴾ فى تحقيق الاسراء اعلم انهم اختلفوا فى المعراج والاسراء هل كانا فى ليلة واحدة او ليلتين وهل كانا جميعا يقظة او مناما او بعضه يقظة وبعضه مناما فقيل ان الاسراء كان مرتين مرة بروحه مناما ومرة بروحه وبدنه يقظة ومنهم من قال بتعدد الاسراء فى اليقظة ايضا بل قيل انه اربع مرات وبعضها كان بالمدينة ووفق ابو شامه رحمه الله تعالى بين الروايات بالتعدد وانه وقع من مكة لبيت المقدس فقط على البراق ومرة من مكة الى السموات الى آخر ما فصله وقال انه لبيت المقدس ثابت بنص القرآن والحديث وقد تقدم الفرق بين الاسراء والمعراج وان الاول سيره لبيت المقدس والثانى صعوده منه للملأ الاعلى وان كلا منهما يطلق على المجموع واما حمل الذى على انه بطريق الانسلاخ الذى ذهب اليه الصوفية فاخراج للحديث عن ظاهره لمعنى لا داعى للتعويل عليه وانما ذكرناه لانه هلك عليه لئلا يغتر بكلام بعض جهلة

المصوفه والحكماء (من اصحاب السلف والعلماء) من عطف العام على الخاص والمراد بالسلف الصحابة ومن عاصرهم وبالعلماء من بعدهم (هل كان اسراء بروحه اوجسده) اسراء بالنصب خبركان اى هل كان الاسراء الى آخره (على ثلاث مقالات) اى اختلاف واقع على ثلاثة اقوال السلف والخلف ثم فسره وفصله بقوله (فذهب طائفة) اى جماعة ممن صرح به (الى انه) اى الاسراء (اسراء بالروح وانه رؤيا منام) عطف تفسير لابدل كما توهمه الحلبي وفى تفسير القاضى اختلف فى انه كان فى المنام او فى اليقظة بروحه اوبجسده وقوله بروحه اوبجسده لف ونشر اى بروحه فى المنام اوبجسده مع روحه فى اليقظة وليس متعلقا بقوله فى اليقظة فقط كما توهم والصحيح الثانى كما سيأتى قال البرهان وبقى قولان احدهما انه تعدد مرة بجسده ومرة اومرات بروحه والثانى انا نقول بالاسراء ولا نعين كونه يقظة او مناما كما فى الهدى النبوى وهو غريب (مع اتفاقهم) سلفا وخلفا على (ان رؤيا الانبياء حق ووحى) لانهم عليهم الصلوة والسلام تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم ولان الشيطان لم يسلط عليهم فيتمثل لهم والوحى على انواع منها المنام الا انه على قسمين منه مايقع بعينه وهو الاكثر ولذا ذهب الخليل الى ذبح اسمعيل عليهما الصلوة والسلام ومنها ماتعبيره بأول (والى هذا ذهب معاوية) بن ابى سفيان بن حرب بن امية كما رواه عنه ابن جرير وابن اسحق وهو رضى الله تعالى عنه صحابى ابن صحابى توفى بالشام حاكما سنة ستين وعمره ثمان وستون اوست وثمانون وكان عنده ازار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورداؤه وشئ من شعره وظفره فكفن بردائه وازاره وحشى شعره وظفره فيه ومحجره بوصية منه رضى الله تعالى عنه (وحكى عن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى وحكى مبنى للمجهول (والمشهور عنه) اى عن الحسن (خلافه) اى له قولان اشهرهما انه كان يقظة (واليه) اى الى ماذكر عن الحسن اولا (اشار محمد بن اسحق) بن يسار صاحب المغازى وهو ثقة وان طعن فيه بعضهم (وحجتهم) اى دليل القائلين بانه رؤيا منام (قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الافتنة للناس) لانكار كثير منهم له وارتداد بعض ممن اسلم حتى نامهم ذلك لضعف عقولهم واعانهم ولا حجة فى ذلك لان لها تفاسير اخر وفى بعض النسخ هنا (وما رأيناها عام الحديبية) اسم ثرمشهوره وياؤها مخففة ورويت مشدده ايضا كما سيأتى بيانه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى انه هو واصحابه دخلوا مكة كما قال الله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) الى آخره فلما صدوا عن الدخول من بعضهم فقيل لم تقل فى هذا العام وقيل الآية فى قصة بدر لقوله تعالى (اذ يريكهم الله فى منامك قليلا) وقيل المراد بها رؤيا بنى امية ينزو على منبره صلى الله تعالى عليه وسلم (و) مما احتجوا به (ما حكى عن عائشة رضى الله

تعالى عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة ما فقد بالبناء للمفعول وفي رواية لم تفقد بجهول ايضا قال التلمساني وهي الاشبه بالصواب فهو اخبار منها عن غيرها لانها لم تكن حينئذ زوجته بل لم توجد اصلي وسيأتي الاشارة اليه في كلام المصنف مع ان له صلى الله تعالى عليه وسلم زوجات اخر فلا يلزم من عدم فقدها لذلك فقد غيرها له وقيل ولا حجة فيه ايضا لاحتمال انه تعالى اراد ان يحجب عنها حقيقة ذلك مع ان النفي مقدم على الاثبات ولا يخفى ما فيه من التكلف (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في رواية (بينا انا نائم) قال ابن المنير في المعنى جنح هؤلاء الى قضايا طوها تحيل الاسراء يقظة من حيث العقل وذلك غلط بين وانما هو استبعاد عادي طوه محالا عقليا فاحتجوا بما ورد في بعض الروايات من التصريح بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان نائما فايقظه الملك وقوله بين النائم واليقظان ليس بصريح بان النوم استمر بل كان مجيء الملك اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو وسن وقائل من ذلك يستيقظ النائم المستغرق لاسيما الوسن واحتجوا على انه استمر بان النائم مصرح به ومما ورد في بعض الطرق اي الآتية فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام ورد عليهم بان المراد الافاقة البشرية من الغمرة الملكية اي كما سيأتي بيانه وبالجملة فان صح النقل في الطرق وتعارضت وتعذر التأويل حمل على التعدد وتنزيله على اسراآت بعضها يقظة وبعضها مناما لا يقال لو كان كذلك لما تكرر فرض الصلوة فانها انما فرضت دفعة فلما فرضت في اليقظة وجاء المنام بعد ذلك كالذكرى وتجديد العهد او تقدم المنام كالمقدمة والتعريض بالفرض وبما تكون ثم فرضت يقظة وكثيرا ما يرى النائم انه فعل فعلا كان فعله قبله وفعله انه الفعل المقدم نفسه فيكون ذلك لمعنى ما انسي (وقول انس رضي الله تعالى عنه وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة) الواردة في حديث الاسراء الذي رواه البخاري وهو يدل على انه كان مناما (ثم قال في آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام) اي انتبهت من منامي فوجدتني بهذه الحالة فاستيقظ كونه حجة لذلك وقد علمت ما فيه (وذهب معظم السلف والمسلمين) عطف للعام على الخاص وفيه اشارة الى ان خلافه لا ينبغي لمسلم اعتقاده (الى انه اسراء بالجسد) مع الروح (وفي اليقظة) المقابلة للنوم وهي بفتح الياء والقاف وتسكينها لحن الا لضرورة شعرية كقول الهامي

فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال ساري

وبالتسكين علم كالقظان (وهذا هو الحق) الذي تقتضيه الاسلام اذ لا حاجة لصرف النصوص عن ظاهرها بغير داع ولو كان كذلك لم ينكره احد من العقلاء (وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة) رضي الله تعالى عنهم وهو عبد الرحمن بن صخر على الاصح من الاقوال في اسمه مشهور كما تقدم (ومالك بن صعصعة) الصحابي المدني كما تقدم

(وابى حبة البدرى) بفتح الحاء المهملة بلاخلاف ثم باء موحدة مشددة على الاصح وقيل انه نون مشددة وقيل بمثناة تحتية مشددة ثم هاء واسمه عامر وقيل مالك وقيل عمرو وقيل ثابت بن النعمان كما فى الاستيعاب واختلف فى ابى حبة الانصارى وابى حبة البدرى هل هما واحد او اثنان على اختلافهم فى ضبطهم المتقدم وقوله البدرى اى شهد بدرا اشارة الى انه من كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقيل اسمه كنيته (وابن مسعود والضحاك) وهو ابن مزاحم الهلالى المفسر المكى بابى القاسم او ابى محمد يروى عن ابن عباس وابى هريرة وهو ثقة وابن معين بعضهم توفى سنة خمس ومائة وقيل سنة ست واخرج له اصحاب السنن الاربعة دون الشيخين (وسعيد بن جبير) المشهور وهو الوالبى ابو محمد اخرج له اصحاب الكتب الستة (وقتادة) المتقدم ترجمته (وسعيد بن المسيب) بفتح الياء وكسرها كما تقدم فى ترجمته (وابن شهاب) ابو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى كما تقدم (وابن زيد) عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وترجمته فى الميزان (والحسن) بن ابى الحسن البصرى كما تقدم (وابراهيم) النخعى المتقدم ذكره (ومسروق) بن اجدع ابو عائشة الهمدانى احد الاعلام الذى لم يخرج من همدان مثله صاحب المناقب الجمة وكان اعلم بالفتيا من شريح توفى سنة ثلاث او اثنين وستين واخرج له اصحاب الكتب الستة ولقب بمسروق لانه سرق وهو صغير ثم وجد (ومجاهد) بن جبر المتقدم ترجمته (وعكرمة) بن عبد الله الامام المفسر مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما احد اوعية العلم الثقة وهو اباضى وسيأتى بيان الاباضية آخر الكتاب روى له الشيخان وتوفى سنة خمس او ست او سبع ومائة وترجمته مفصلة فى الميزان (وابن جريج) عبد الملك بن عبد العزيز وقد تقدمت ترجمته (وهو دليل قول عائشة رضى الله تعالى عنها) قيل كيف يكون الاسراء يقظة دليل قول عائشة مافقدت جسده الشريف الدال على انه منام لا يقظة وهذا عجب اذ ذكره فى المذهبين وجعل مايبطله دليلا عليه كما سيأتى فهذا سهو منه بلا ريبة * اقول لاشك انه وارد وان كلامه لايخلو من اشكال الا ان يقال انه سقط منه شئ واصله دليل على عدم صحة قول عائشة لانه لم يثبت نقله عنها وقد يقال مراده انه دليل على قول عائشة قولا موافقا لما عليه اكثر الصحابة وانها قائلة بانه يقظة كالجمهور كما سيأتى فى كلامه فالمراد ابطال مانقلوه عنها وهذا وان كان مخالفا للظاهر لكنه اسهل من تغليط المصنف وهو الانسب بقوله (وهو قول) محمد بن جرير (الطبرى) المتقدم ترجمته (واحمد بن حنبل وجماعة عظيمة) اى كثيرة والعظيمة تطلق بمعنى الكثيرة كثيرا وان كان المعروف خلافه او المراد انهم ائمة مقدار هم جليل (من المسلمين وهذا قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين) فعلى كثرة نقلته وشهرة الاخبار الصحيحة به لايناسب مخالفة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها فيه

(وقالت طائفة) هذا هو القول الثالث (كان الاسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى بيت المقدس) فقط (و) منه (الى السماء بالروح) نوما مناما ولا يخفى بعده اذ لم ينقل انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام ثمة و هذه الحالة لا تناسب النوم ثمة (واحتجوا بقوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى بيت المقدس) وفى نسخة الى المسجد الاقصى وهى الموافقة للنظم الشريف وهى اصح عندى واعلم انهم فسروا العروج الروحانى بالمنام وليس بمتعين لانها قد تفارق البدن بدونه وهذا مما اتفق عليه الحكماء واهل التصوف وليس هذا محل تحقيقه وقوله (فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء) تفسير وتفصيل للاحتجاج لانه لما جعله غاية اقتضى انه لم يتجاوز الى السماء ببدنه الشريف ولا يخفى ضعفه لان كونه غاية لمسيره فى الارض لا ينافى صعوده لما يحاذيه فى جهة العلو وما قيل من انه انما تم اذا كان الاسراء مرة واحدة وعلى تقديره يكون غاية لركوبه البراق ثم عرج منه الى السماء والحكمة فى عدم ذكره لهما بيانه للسنة دون الكتاب وهو ابلغ فى المدح اشبهى لبس سوء ولو قيل انه هو الذى انكروه وانه اكتفى بما قل ماثبت به معجزته وما زاد على مايفهمه عقولهم القاصرة كان اظهر ونحوه قول ابن المنير فى المقتفى وورد الاحتجاج بان الحكمة فى تخصيص المسجد الاقصى ان تسأل قريش على سبيل الامتحان عن الاعلام التى عرفوها والصفات التى شاهدوها فى بيت المقدس وقد علموا ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسافر اليها قط فيخبرهم عما عاين ويوافق مايعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولذا لم يسألوه صلى الله تعالى عليه وسلم عما رأى فى السماء اذ لا علم لهم بذلك انتهى والاقصى بمعنى الابعد لانه ابعد مسجد فى الارض وآخر محل عبد الله فيه بحق وقوله (الذى وقع التعجب فيه) ضمير فيه للاسراء اى وقع التعجب فى شأنه لقطع مسافة طويلة فى بعض ليلة والتعجب عنده قوله سبحان لانه مصدر منصوب على المصدرية ومعناه تنزيه الله عما لا يليق بعظمته ثم شاع استعماله فى التعجب ووجهه مذكور فى الكشاف وشروحه والتعجب من المعجزات لكونها خارقة للعادة وهو من الله تعجيب لما يتعجب منه وقد ورد استعماله فى حق الله وورد فى الحديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عجب ربنا من كذا وهو من البشر لاستحالة ماتعجبوا منه اواستبعاده واشار الى المراد من تعجب الله فقال (بعظيم القدرة) منصوب لانه مفعول له اى لعظم قدرة الله الباهرة المؤثرة على وفق الارادة وفى نسخة بعظم بالباء الجارة (والتمدح بتشريف النبى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم به) اى بالاسراء والجار متعلق بتشريف ويجوز رفعهما بوقع اى وقع فيه تعظيم القدرة والتمدح وكذا قوله (واظهار الكرامة له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بالاسراء اليه) اى الى المسجد الاقصى وهو من وضع الظاهر موضع

الضمير اعتناء به لانه من اجل كراماته واعظم معجزاته (قال هؤلاء) الذاهبون الى ان الاسراء بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم الى المسجد الاقصى وهم ارباب المذهب الثالث (ولو كان الاسراء بجسده الى) مكان ارفع (زائد على المسجد الاقصى لذكره) الله تعالى فى القرآن حين قص قصة الاسراء (فيكون) ذكره فيه (ابلغ فى المدح) من عدم ذكره (ثم اختلفت هذه الفرقتان) الثانية والثالثة فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم (هل صلى ببيت المقدس) حين اسرى به (ام لا) فقيل صلى به وام معادلة لهل وهو من نوادر العربية سمع ذلك فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لجابر رضى الله عنه * هل تزوجت بكرا ام ثيبا وان انكره بعض النحاة (ففى حديث انس وغيره ما تقدم من صلوته) صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء (فيه) اى فى بيت المقدس وسيأتى رواية اخرى انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم فى السماء وفى رواية انه لم يصل بهم فيه كما اشار اليها بقوله (وانكر ذلك) اى صلوته بالانبياء عليهم الصلوة والسلام فيه (حذيفة بن اليمان وقال) كما رواه احمد بن حنبل رحمه الله تعالى (والله مازالا) اى جبريل والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وزال هنا تامة اى لم ينفصلا ويبرلا (عن ظهر البراق حتى رجعا) الى الارض فكان جبريل عليه الصلوة والسلام راكبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم ويروى انه كان ماشيا (قال القاضى) ابو الفضل عياض المؤلف رضى الله تعالى عنه (والحق من هذا والصحيح) رواية (ان شاء الله) قيده بالمشية مع انه امر واقع واقطع تبركا وتأدبا وللاشارة الى احتمال التعدد فكل رواية لاتنافى الاخرى فلاينافى قوله ان شاء الله كونه حقا صحيحا كما يتوهم وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم * وانا ان شاء الله بكم لاحقون (انه اسراء بالجسد والروح) لابالروح فقط مناما او يقظة (فى القصة كلها) اى فى قصة الاسراء الى المسجد الاقصى والسموات (وعليه تدل) اى يتدل عليه فلا نص القرآن وهو (الآية) الدالة على ظاهرها صريحا (وصحيح الاخبار) المشهورة المستفيضة الدالة على عروجه صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء والاحاديث الآحاد الدالة على دخوله الجنة ووصوله الى العرش او طرف العالم كما سيأتى وكل ذلك بجسده يقظة (والاعتبار) بالرفع معطوف على ما قبله كما صححه البرهان والمراد به التتبع لاقوال السلف او بمعنى الفكر والتأمل فى الاحاديث المروية والقصة يعنى انه يدل على ذلك العقل والنقل (ولا يعدل) بالبناء للمجهول من العدول اى لايخالف احد ويرجع ويميل (عن الظاهر) الذى يقتضيه العقل والنقل (والحقيقة) المتبادرة من لفظ الحديث الصحيح وليس عطفا تفسيريا كما قيل (الى التأويل) متعلق بيعدل اى لاتصرف عن ظاهره ويؤول النصوص الواردة فيه (الا عند الاستحالة) اى الا اذا كان ظاهره مستحيلا عقلا وشرعا حتى يتعذر حمله على حقيقته وليس

ما نحن فيه كذلك (وليس في الاسراء بجسده حال يقظته استحالة) تقتضي العدول عن الظاهر والتأويل وماقيل من ان ما ذكره غير مسلم لانه يكفي في المصير الى التأويل قيام المعارض للظاهر من الروايات التي اوردها المخالف الذاهب الى انه منام لا يقظة مردود بان هذه الرواية عنده اصح واقوى لتعدد من رواها وذهب اليها من كبار الصحابة وكثرتهم جدا كما قيل به فان قيل بالتعدد كما تقدم لم تكن معارضة اصلا فتدبر ﴿تنبيه﴾ الاستحالة المذكورة اي عد الاسراء محالا صدر من كفار قريش ومن بعض ضعفاء المسلمين اذ توهموا ان قطع مثل هذه المسافة ذهابا وايابا في بعض ليلة محالا لانها بعيدة بحيث تقطع في ايام كثيرة ومن بعض ارباب علم الهيئة الذين قالوا ان الافلاك لا فرجة فيها ولا تقبل الخرق والالتيام وكلاهما خطأ عقلا ونقلا الا ترى نقل عرش بلقيس في مسافة ابعد من هذه في طرفة العين وغير ذلك مما هو مأثور مشهور وقد نطقت النصوص بان السماء لها ابواب تفتح وتغلق فلا عبرة باوهام الفلاسفة وقال البيضاوي تبعا للامام الرازي الاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل لموضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية والاجسام كلها متساوية في قبول الاعراض والله قادر على كل الممكنات فيقدر على ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او فيما حمله والتعجب من لوازم المعجزات انتهى وقد اورد عليه اعتراضات بسطناها مع جوابها في حواشينا عليه واعلم ان كلامه مبني على ان الحقيقة تقدم مطلقا وعند الشافعي يقدم المجاز الغالب عليها ثم ان العجب والتعجب اذا اسند الى الله فهو مأول وكذا صيغة التعجب وفي حديث عجب ربكم من شاب ليس له صبوة قال ابن فورك في كتاب الكشف قد ورد مثله في احاديث كثيرة والعجب والتعجب اصله ان يفاجأ امر لم يعلمه من فاجأه فيستعظمه وهذا لا يليق بالله عز وجل فالمراد لازمه يعني انه جعله عظيما بحيث يتعجب من جهله اوالمراد الرضاء والقبول لان من اعجبه شيء رضيه وقبله فلا يتعجب مما ذكره غالبا فاذا اراد تعظيم شيء اخبر عنه بما يقتضي تعظيمه الى آخر ما فصله وسبحان كثر استعماله في ذلك وقوله (اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده) تعليل لصحته كونه يقظة ولعدم الاستحالة (وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كان فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به) روي ان ناسا ارتدوا بعد ما اسلموا في العداب لرؤيتهم ... تكذيبهم له ... للمعجزة صلى الله عليه وسلم بما هو خارق للعادة وهو ... لانه معجزة تحداهم بها (اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر) تعليل لعدم

الاستبعاد والتكذيب * فان قلت هذا يقتضي ان رؤية الله في المنام جائزة بلا خلاف وقد قالوا انه اختلف فيها * قلت قال الامام العراقي ان الخلاف فيها غير مستند ولان المرئي مثاله وفرق بين المثال والمثل وقد افرده برسالة فان اردت تحقيقه فراجعها (بل لم يكن منهم ذلك) المذكور من الاستبعاد والتكذيب والارتداد والافتتان (الا وقد علموا ان خبره انما كان عن) اسرائه (جسمه وحال يقظته) احدا مما قاله لهم واما كون رؤيا الانبياء وحيا وحقا فهذا انما يعرفه من صدقه وصدق بخبره فاقيل من انه وقع لان رؤياهم حق ولذا قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام قد صدقت الرؤيا واذا كانت رؤياهم كذلك استقام كونها معجزة له ويتعلق الانكار بان رؤياهم حق كلام في غاية السقوط (الى ما ذكر في الحديث) المتقدم وذكر مبنى للمجهول وصح بناؤه للفاعل ايضا والى بمعنى مع كقوله ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم والغاية بتقدير من البيت المقدس الى المذكور في الحديث بقرينة المقام وقوله (من ذكر صلوته (٢) ببيت المقدس) بيان لما و بيت المقدس هو مسجد ايلياء ومعنى ايلياء بالسريانية وهي لغة آدم عليه الصلوة والسلام بيت الله (في رواية انس او في السماء على ما روى غيره) كما تقدم بيانه (وذكر مجيء جبريل له) صلى الله عليه وسلم (بالبراق وخبر المعراج) بكسر الميم اسم آلة للعروج وهو الصعود في جهة العلو كالسلم وقد تقدم بيانه (واستفتاح السماء) اي طلب فتحها له صلى الله تعالى عليه وسلم من جبريل (وقال) من انت اي قول ملائكة السماء لجبريل من انت فيقول جبريل ويقال له (ومن معك فيقول محمد ولقائه) الضمير لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (الانبياء فيها) اي السماء (وخبرهم معه) فيها ووقع لا منهم من المكالمة (وترحيبهم به) اي قولهم له صلى الله تعالى عليه وسلم مرحبا بالاخ الصالح او الابن الصالح كما مر وهو تفعيل من الرحب بضم الراء المهملة وفتحها ومعناه السعة اي صادفت مكانا رحبا واسعة وهو كناية عن وجوده ما يسره ويكرمه (وشأنه في فرض الصلوة) خمسين على امته ثم تخفيفها وهو مجرور معطوف على مجيء والشان الامر المعظم الذي جرى له في ذلك (ومراجعته موسى) اي رجوعه في استشارته (في ذلك) كما مر (وفي بعض هذه الاخبار) والحديث الذي رواه الشيخان عن انس رضي الله تعالى عنه (فاخذ يعني جبريل بيدي) اي امسك بها اعتناء معه (فعرج بي الى السماء) اي صعد وانا معه (الى قوله ثم عرج بي) بالبناء للفاعل او المفعول وسرع في مقام عرج وعرج بي فان في القاموس اذا كان ثقة فعرج كسرح او ... (٣) ... الجاء ... هو اعرج من العرج اسمى وليس من الادلة في اعرج من ... الله

قاب العصاء ... ونات ... الاعضاء من احله

(٢) الاسناد سعه

(٣) قوله سلف آه يريد انه يحمى من لا اعراب من نصر وعلم وحسن قاله مصححه احمد طاهر

فخرج الى الارض لا الى السماء * وعرس العود نكمه ولكن ما اورق ولا نما
وحل العصا هو العذاب الاليم * ولا افلح من لازمها بعد موسى الكليم

انتهى (حتى ظهرت) اى صعدت وعلوت وهو كناية لانه يلزم من العلو على مكان عال ان يظهر ويشاهد من هو به (لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام) المستوى بضم الميم اوله مقصور اسم مكان وقد تقدم الكلام عليه وان الصريف والصرير بمعنى وهو الصوت الذى يسمع من الاجرام الجامدة اذا حركت وان المراد بالاقلام اقلام الملائكة عليهم الصلوة والسلام التى تكتب ماقدره الله وهناك وقع فرض الصلوة او هو قلم واحد لله جمع تعظيما ولكثرة مكتوبه وهو العلم المقارن للوح المحفوظ كما قال (وانه وصل الى سدرة المنتهى) ورأى ماغشيها من الالوان وغيرها كما تقدم (وانه دخل الجنة ورأى فيها ماذكره) من جنابذ اللؤلؤ وان ترابها المسك الى آخر ماذكره (قال ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فيما صح عنه من رواية البخارى (هى رؤيا عين رآها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لارؤيا منام) ولا يعارضه ماروى عن عائشة وغيرها كما قيل لصحة هذا وكثرة طرقه وشهادة ظاهر النصوص له كما مر ولا وجه لما قيل ايضا ان صوابه رؤيا نائم كالاعمى (و) روى ابن اسحق وابن جرير مرسلا (عن الحسن) البصرى (فيه بينا انا نائم) وفى نسخ جالس (فى الحجر) بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم ونقل التلمسانى عن بعضهم انه يقال بفتح الحاء المهملة وفى القاموس ان الاول معناه وما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال وديار ثمود والانثى من الخيل وبالهاء حجر اقول ماقاله وان سبقه اليه غيره ليس بصواب فانه ورد فى الحديث وصححه بعض اهل اللغة كالقزوينى فى مثلثاته واليه ذهب شيخنا المقدسى فى حواشيه والحجر معروف تحت الميزاب الشريف كنصف دائرة عليه جدار قصير وهو من البيت وقيل الذى منه مقدار ستة اذرع او سبعة كما افاده البرهان (جاءنى جبريل فهمزنى بقدمه) همزه كنصره وماوقع فى بعض النسخ نهزنى من تحريف النساخ اى مسنى بشدة انتهى والهمز والضغط بمعنى وفى العين همزته عصرته والهمزة فى الحروف لانها تهمز فتنهمز عن مخرجها انتهى وهو يدل على انها صحيحة لغة فلا وجه لما فى بعض شروح الكشاف من انها لم تسمع وانما اسمها الف وعقبه بفتح العين المهملة وكسر القاف ثم الموحدة مؤخر الرجل وهذا يدل على انه تمثل له صلى الله تعالى عليه وسلم بصورة رجل حين همزه والضمير لجبريل عليه الصلوة والسلام وليس فيه سوء ادب ممن لم يقصد اذاه كما قيل (فقمت) اى انتبهت من منامى بدليل قوله (فجلست) والفاء بهذا المعنى كثير (فلم ار شيئا فعدت لمضجعى) اى رجعت لما كنت عليه من هيئة النائم فالمضجع مصدر ميمى او اسم مكان (ذكر ذلك ثلاثا) واعاد ذكره ثلاثا لانه وقع الهمز ثلاث مرات (فقال فى) المرة (الثالثة

فاحد بمصدى) بالاضافة الى ياء المتكلم المجمعة والمصد ما فوق المرفق (فخرجى الى باب المسجد) اى اخرجه اليه تأدبا معه اقلم يدخل ماهو على صورة دابة لفناء بيت الله وقال الله اعلم بصحة هذا لبراءة جبريل عن ان يفعل به صلى الله عليه وسلم ذلك الخروج به نظر (فاذا بدابة ودكر خبر البراق) المتقدم في شكله وهيئته وسرعته وهذا رواه ابن اسحق وابن جرير والطبرانى (وعن ام هانئ) بهمزة في آخره وتبدل ياء واختلف في اسمها فقيل فاختة وقيل عاتكة وقيل حامة وقيل فاطمة وقيل رملة وهى بنت ابى طالب صحابية عظيمة المقدار اخرج لها اصحاب الكتب الستة وكانت اسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة المخزومى فمات بنجران كافرا وخطبها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاعتذرت بانها مصبية اى ذات اولاد (ما اسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى) وهو مخالف لما مر انه كان بالحجر اوغيره فان قيل بتعدد الاسراء فلا اشكال (تلك الليلة) التي اسرى به فيها من بيتها (صلى العشاء الاخيرة) والعشاء الاولى المغرب (ونام بيننا) اى بين اهل بيتها واولادها وفى رواية ونام شيئا بشين معجمة اى نام ما لا من الليل (فلما كان قبيل الفجر) بصيغة فعل مصغر قرب وقال (اهبنا) بالهمزة اوله وتشديد الموحدة اى ايقظنا يقال هب اذا استيقظ واهبه ايقظه من منامه وتنبيهه (فلما صلى الصبح) اى صلوة الصبح (وصلينا) معه (قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت) بكسر التاء اى كما شاهدت صلوتى لها (بهذا الوادى) اى بمكة وهى واد لاحاطة الجبال بها واختصاصها بها قالوا وهذا مشكل من وجوه لانها انما اسلمت عام الفتح كما مر فكيف تكون صلت معه العشاء وايضا ان الصلوة انما فرضت فى الاسراء واول صلوة صلاها بعد الفريضة الظهر فما معنى صلوة العشاء والصبح ولذا اشار المصنف لضعف هذا فى الفصل الذى يليه وايضا المغرب لاتسمى عشاء لغة وشرعا وقولهم العشاءآن للمغرب والعشاء تغليب وما قيل من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى قبل الاسراء قبل طلوع الشمس وغروبها وان المراد بقولها صلينا ما نابه ما يحتاج اليه فى صلوته كلام لايجدى لانه فى غاية الخفاء اوهو مدرج من كلام غيرها مع كون المغرب لا تسمى عشاء اولى غير متجه لانه ورد فى الحديث تسميتها عشاء اولى والمراد بالعشاء اول الليل وكون ماورد ثابتا غير مسلم فان الاصل هو الحقيقة والقول الذى يظهر لى فى التوفيق بين الروايات والجواب عما ذكر ان لم نقل بتكرار الاسراء مرارا ان مبدأ الامر ظاهرانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ببيت ام هانئ ثم خرج الى الحرم للصلوة فعند نومه ثم استيقظ وعرج به واما قول ام هانئ رضى الله تعالى عنها وصلينا فمع اشكاله المذكور مرانه بيت ابى طالب وابو طالب وآله كانوا محبين له صلى الله تعالى عليه وسلم مدة شدة ...

ولم يظهروا ذلك لغيره جاهلية وحكمة جلية ولذا اسلم على كرم الله وجهه فى صباه وكان رضى الله تعالى عنه معه صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر ذلك ابوطالب فى شعره المشهور فى السر فلما خرج صلى الله تعالى عليه وسلم من بينهما تلك الليلة وصلى بالحرم ومعه على فلاشك انه كان يصلى قبل الاسراء بالغداة والعشى صلاة غير الخمس المفروضة فقولهما صلينا كقولهم بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم لان الفعل المرضى لجماعة اذا وقع من احدهم ينسب للجميع وهو مجاز تام مشهور اى صلى معه نحن آلنا وهو على رضى الله تعالى عنه اويقال انها كانت مسلمة سرا كما نقل مثله عن العباس رضى الله تعالى عنه فاندفاع الايراد الذى طنوه غير مندفع ظاهر فلاحاجة لماقيل الصلوة هنا لغوية بمعنى الدعاء (ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون) وتشاهدون والغداة والغدو بمعنى وهو اول النهار وهو بتقدير مضاف اى صلوة الغداة وهى صلوة الصبح (وهذا) المذكور برهان ودليل (بين) بتشديد الياء المكسورة اى ظاهر واضح (فى انه) اى الاسراء (بجسمه وروحه لا بروحه فقط كما اول وقيل انما البين فيه قوله ثم نام وفيه نظر (وعن شداد بن اوس) بن ثابت بن المنذر بن الحرام ابو يعلى الانصارى الصحابى نزيل بيت المقدس وليس بدريا كما توهم وقد اخرج له الائمة الستة واحمد فى مسنده وهذا الحديث ليس فيها وانما رواه البيهقى وابن مردويه توفى سنة ثمان وخمسين ودفن بفلسطين وهو ابن اخى حسان بن ثابت كما مر فى ترجمته (عن ابى بكر) الصديق رضى الله تعالى عنه افضل الصحابة وفيما اكثر النسخ عن ابى بكر من رواية شداد بن اوس عنه (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسرى به) فى هذا ما لايخفى اذ لايصح مع قوله (طلبتك البارحة (٢)) وهى الليلة الماضية قبل ليلتك وبه المثل مااشبه الليلة بالبارحة فهو بتقدير بعد ليلة اسرى به ومعنى طلبتك اى تفقدت جسدك فى مضجعك (فلم اجدك) فيه اوفيه تقدم والتفات اى طلبتك البارحة ليلة اسرى بك وهذا كله خلاف الظاهر ولم ينبهوا عليه فاجابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (ان جبريل حملنى) وفى نسخة حمله (الى المسجد الاقصى) وان بكسر الهمزة اوبفتحها والتقدير بان الى آخره فيل هذا يدل على انه كان بيت عائشة رضى الله تعالى عنها بدليل السياق لكنه معارض بقول عائشة المتقدم وقوله حملنى جبريل مخالف لكونه على البراق الاان يقال لكونه بسببه اسند اليه مجازا وفيه نظر وهذا دليل على انه كان يقظة بجسده ايضا (وعن عمر رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن مردويه من طرق (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد) الاقصى (ثم دخلت الصخرة) اى دخلت المسجد الذى تحت الصخرة المعروف الآن بمسجد داود عليه الصلوة والسلام ففيه مضاف مقدر اى تحت (فاذا ملك قائم) لم يسمه (معه آنية ثلاث

(٢) فى نسخة

وذكر الحديث) اى ساقه الى آخره واداها لحانية اى فاحأنى بغتة لقاؤه والآنية بالمد جمع اناء كوطاء ورنا ومعى واوانى جمع الجمع وليس مفردا كما توهم العامة كآنس ولذا وصفه بانه ثلاث فهو صفة او بدل منه وقيل خبرهى مقدرة وكان الظاهر ان يقال ثلاثة لان مفرده مذكر فكأنه اوله بكأس ونحوه يعنى اناء من خمر واناء من لبن واناء من ماء وانه خيرفيه فاختار اللبن وقيل له اخترت الفطرة ولو اخترت الخمر غوت امتك وهذا تمام الحديث وقدتقدم واعترض عليه بانه يحتمل لكونه مناما ولامانع فى هذه الرواية اصلا فقوله (وهذه التصريحات ظاهرة) فى انه كان يقظة (غير مستحيلة) شرعا وعقلا حتى يقتضى استحالتها التأويل (فتحمل على ظاهرها) ولا يعدل الى التأويل مع عدم الحاجة اليه يؤيد ذلك (وعن ابى ذر) الصحابى الغفارى رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الشيخان (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (فرج) مبنى للمجهول مخفف الراء ونائب فاعله (سقف بيتى) وفى نسخة عن سقف بيتى والمعنى كشف من السقف جانب حتى انه صحت منه فرجة ولم يبق حائل بينه وبين السماء (وانا) مقيم (بمكة) قبل الهجرة وهذا مع قوله سابقا بينا انا بالحجر او الحطيم وقول ام هانى السابق ما اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو يبيتى بينهما من المعارضة ما لا يخفى * فان قيل بالتعدد فلا منافاة بين الروايات ولا يكفى هنا كون اضافة البيت له لانه ساكن فيه ولام هانى لكونه ملكها وقد تقدم قول ابن المنير ان فرج السقف وعدم اتيانه من بابه انه مبالغة فى المفاجأة وتنبيه على ان دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته كانت على غير ميعاد وكان هذا عادة الخلفاء العباسيين ففاب وليدل على ان هذا امر الهى وكرامة تسر ولا تضر ولو انى من الباب لتوهم انه احد من اعدائه الذى هو بين اظهرهم (فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام فشرح صدرى) وفى رواية ففرج صدرى اى شقه وهى انسب بفرج البيت (ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة) لانه افضل المياه حتى الكوثر فى قول ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم الفه صغيرا وكبيرا وشرح الصدر لا ينافى شق القلب لانه مقدم عليه ولا حاجة الى القول بانه تجوز عن القلب بالصدر لعلاقة المجاورة وقد تقدم انه شق قلبه وصدره صلى الله تعالى عليه وسلم وهو صغير عند ظئره حليمة رضى الله تعالى عنها فهذه مرة ثانية فالاولى لتطهيره من الكدورات البشرية وترشيحه للرسالة والنبوة وهذه ليقوى على العروج ومشاهدة عجائب الملكوت فهو وقع مكررا فى مرة غسل بماء زمزم وفى اخرى بماء ثلج ليثلج صدره وتصيره فلا تعارض بين الروايات قال ابن المنير ولم يقع هذا التكليم عليه الصلوة والسلام لم يطق فى الدنيا لرؤيا ولم يذكرها انه كان معه ملكان بطست وماء كاسرواته وضع عليه خاتم النبوة وسيذكره (ثم اخذ بيدى ففرج بى) بالباء للفاعل او المفعول كاسر

وشرح صدره كان بعد نزول جبريل عليه الصلوة والسلام اليه والتعقيب بالفاء عرفي نسبي فلا ينافي قوله (وعن انس انيت) بالياء للمجهول لا للفاعل كما توهم (فانطلق بي) مجهولا ايضا وفي نسخة فانطلقوا بي بصيغة الجمع لان مع جبريل ملكان اخران معهما طست الذهب كما مر ولا منافاة بين الروايات كما توهمه من لا بصيرة له (الى زمزم فشرح عن صدري) اي شق صدره وملاه ووضع فيه نور النور ليقوى على العروج ومشاهدة الملكوت وعجائبه (و) روى مسلم (عن ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه عبد الرحمن بن صخر (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (لقد رأيتني) جواب قسم مقدر للتأكيد بالمثناة الفوقية المضمومة ورأى علمية او بصرية (في الحجر) تقدم ضبطه وما يتعلق به (وقريش تسألني عن مسراي) جملة حالية والمسرى مصدر ميمي او اسم مكان اي سأله كفار قريش عن علاماته بعدما كذبوه تحقيقا لما زعموه (فسألتني) قريش وتأنيثه باعتبار القبيلة (عن اشياء) من بيت المقدس واماراته (لم اثبتها) اي لم اكن اثبت صورتها في ذهني وفكري لاشتغالي عاهوا هم بها من معاينة ما وقع له ثمه من صلوته مع الانبياء وتهيئه للعروج فسقط ما قيل من ان هذا يدل على انه كان بما لان الانسان اقل ضبطا لما يراه في منامه من المستيقظ ورؤيا صلى الله تعالى عليه وسلم حق وان نامت عيناه لا ينام قلبه (فكربت كربا ما كربت مثله قط) بصيغة الكافين من الماضي المجهول والكرب الغم والحزن الشديد مع القلق والاضطراب قال الراغب اصله من كرب الارض وهو قلبها بالحفر والحرث والغم مثير النفس كاثارة ذلك وفي المثل الكراب على البقر وليس ذلك من قولهم الكلاب على البقر في شيء (فرفعه الله لي انظر اليه) اي رفع الله له صلى الله تعالى عليه وسلم بيت المقدس حتى نظر اليه ويثبت ماهيه ويخبرهم به على حقيقته فجملة انظر اليه حالية او مستأنفة (ونحوه عن جابر رضي الله تعالى عنه وقد روى عن عمر) بن الخطاب رضي الله عنه (في حديث الاسراء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجعت) من مسراي (الى خديجة) ام المؤمنين رضي الله عنها (وما تحولت) اي والحال ان خديجة رضي الله عنها ما تحولت وتحركت (عن جانبها) التي كانت عليه حين فارقها النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يقتضي انه كان في بيت خديجة وقد تقدم انه كان في بيت ام هانئ رضي الله تعالى عنها وفي رواية انه كان في الحجر وفي اخرى في الحطيم وهو الحجر الذي لي الميزاب الذي هو قبلة اهل المغرب وقيل الحطيم ما بين المقام الى الباب وروى عن مالك وعن ابن جريج هو ما بين الركن والمقام عند زمزم وقيل والصحيح انه ما بين الركن الاسود الى الباب وقيل شاذ باطل مخالف من قال انها نوم فيه لا نقطه وان الاسراء لم يكرر

مرارا او بعة كما ر نصاه ابوشامة رحمه الله تعالى وتأنيث صمير انها لان الرؤيا مؤنث سماعى لا باعتبار انها رؤيا منام كما قيل (احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة فسماها رؤيا) وهذا مبنى على ان رأى مشترك فيكون بمعنى ابصر يقظة ومصدرها رؤية ومناما ومصدرها رؤيا ورأى بمعنى علم وحكم ومصدر الاخير الرأى وهذا هو المشهور وقد رده السهيلى فى الروض الانف وقال الرؤيا مشتركة انصا بين البصرية والحلمية واورد له شواهد من كلام العرب وقد من جمع ذلك وقيل الرؤيا اذا كانت بصرية تختص بما يرى ليلا (قلنا) جوابا عما احتجوا به (قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده يرده لانه لا يقال فى النوم اسرى) اذ الاسراء كما مر هو السير ليلا وهذا انما يكون يقظة لاسيما وقد ذكر فى الحديث ما يلزمه لزوما بينا من صلوته صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلوة والسلام واستصعاب البراق عليه او غير ذلك مما تقدم واحتمال ان يكون معناه انه رأى فى منامه انه اسرى به بعيد جدا ولذا جعله ابطالا لما قالوه لانه فى قوة الخطاء فالميل ان الاولى ان يقول ـ يدفعه ما ذكر ليس بشئ يعول عليه (وقوله فتنة للناس) اى بلية ومحنة جرأتهم على تكذيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ورده بعضهم (يؤيد انها رؤيا عين) بصر يقظة (واسراء بشخص) اى سير بجسده حقيقة يقظة لا خيالا وما كما قيل (اذ ليس فى الحلم) بضمتين او بضم فسكون وهو ما يراه النائم واصل معناه العقل يقال حلم فى نومه يحلم حلما وحلما وقيل حلم بضم ثم فتح كرفع قاله الراغب (فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة) اقطار جمع قطر وهو الجانب والمتباين البعد ومن بيان لذلك او لمثل اى يرى فى مدة قليلة انه وصل لاماكن بعيدة ولا ينكره عليه احد من العقلاء ثم اشار الى رد دليلهم بوجه آخر فقال (على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه الآية) التى استدلوا بها وعلى بمعنى مع هنا والعلاوة ضم امر لآخر كقوله * على ان قرب الدار خير من البعد * والمراد بالآية وما جعلنا الرؤيا الآية (فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قصة الحديبية) الحديبية بالضاد المعجمة واحده القصاما على الاصح المسائى روى نصه بالصاد المهملة والحديبية مصغرة بحاء ودال مهملتين وياء تحتية ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء مخففة وهاء تأنيث وتشدد ياؤه العامة عامة المحدثين بعض اهل اللغة وهى صحيحة رواية ودراية فلا وجه لمنعه وسميت بها لشجرة حدباء وقع تحتها بيعة الرضوان ثم صار اسما لقرية قريبة على مرحلة من مكة ـ ده بعد المسجد و ـ ل هى من الحل او من الحرم او بعضها من الحل وبعضها من الحرم اقوال ذهب الى كل ـ ا بعض العلماء ركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقام المدينة ذحة من عمرة ى المصطاق فى ـ وال وخرج فى ذى القعدة معتمرا ومعه من الانصار والمهاجرين نحو الف وخمسمائة وساق

الهدى معه وهو محرم ليعلم انه لم يخرج لحرب فلما علم قريش ذلك خرج منهم جمع صادين له صلى الله تعالى عليه وسلم عن دخول مكة وانهان قاتلهم قاتلوه وخرج مع الكفار خالد بن الوليد رضى الله عنه الى كراع الغميم فلما وصل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الحديبية بركت ناقته فقال حبسها حابس الفيل والله لا تدعونى قريش اليوم الى خطة فيها صلة رحم الا اعطيتهم اياها ولم يكن ثمه ماء فغرز سهما له فى بئر ففار ماؤها حتى كفى الجيش ثم جاءت السفراء بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والكفار وتنازعوا حتى جاءه سهيل بن عمرو العامرى وقاضاه على ان ينصرف ويأتى فى العام القابل وان يكون بينهم صلح عشرة اعوام يأمن بعضهم بعضا على ان من اتاه مسلما منهم رده اليهم ومن اتاهم لم يردوه فعظم ذلك على المسلمين ووقع ماوقع ولذا سمى عام القصة قال ابن عبد السلام فى قواعده * فان قيل لم التزم صلى الله تعالى عليه وسلم الصلح وماشرطوه مع مافيه من ادخال الضيم على المسلمين والدنية فى الدين * قلنا وقع ذلك دفعا لمفاسد عظيمة وهى قتل المؤمنين والمؤمنات الذين كانوا خاملين بمكة لا يعرفهم اهل الحديبية وفى قتلهم معرة عظيمة على المؤمنين فاقتضت المصلحة ايقاع الصلح على ما ارادوه وهو اهون من قتل اولئك مع انه علم ان فى تأخير القتال مصلحة عظيمة وهى اسلام جماعة من الكفار ولذا قال تعالى (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) اى فى ملة الاسلام وقال لو تزيلوا الآية والى هذا اشار بقوله (وماوقع فى نفوس الناس من ذلك) اى من صلح الحديبية حتى راجعه عليه السلام فى ذلك عمر رضى الله عنه مرارا وقال ماقال واشمأزت خواطرهم وقال ابن المنير لم يكن ذلك شكا وريبة ولكن من فرط الغيرة وقوة الحمية على الحق والتعصب لله ورسوله وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من علمه بالعاقبة الحميدة ماليس عندهم فلما تبين لهم ذلك عادوا للرضاء والوفاق (وقيل) فى تفسير الآية وسبب نزولها (غير هذا) الذى تقدم من ان هذه الرؤيه لم تكن عام الحديبية وانما كانت قبل بدر وهى التى فى قوله تعالى (اذ يريكم الله فى منامك قليلا) الآيه (واما قولهم انه قد سماها فى الحديث منا ما وقوله فى حديث آخر بين النائم واليقظان) كالغسانى حالتنا (وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت) وانا بالمسجد الحرام (فلا حجة فيه) للقول بانها رؤيا منام كما مر (اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه وهو نائم) بدليل قوله فى الحديث فهمز فى نعقه السابق مع ماتضاه ه (اواول حاله) على البراق (والاسراء به وهو نائم) ولا يخفى بعده مع كونه صلى الله تعالى عليه وسلم تمام ع اه ولانام فا ه ر ول ايضا انه مخالف للظاهر فهو مشترك الالزام (وليس فى الحديث انه كان نائما فى القصة كلها الا مايدل عليه قوله ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام) فانه يقتضى انه صلى الله تعالى عليه

وسلم لم يستيقظ قبل وصوله اليه وعوده وكون استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظت من نوم آخر تكلف لا حاجة اليه وتأييده بانه لم يستغرق الليل باسرائه فيكون لسرعة مسيره ومشقته نام بعده للاستراحة ابعد منه فلذا اعرض عنه بقوله (فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت) اى دخلت فى وقت الصباح لان صيغة الترجى تقتضى ضعفه على عادة المصنفين فى التعبير بها (او استيقظت من نوم آخر) غير ما كان قبله فى الحجر او فى بيت ام هانئ او غيره (بعد وصوله بيته) اى البيت الذى كان فيه فالاضافة لادنى ملابسة فلا ينافى ما قلناه (ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان فى بعضه) بدليل قوله تعالى ليلا فى الآية كما ذكره المفسرون (وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد الحرام) وعبر بقد اشارة لضعفه ايضا (لما) بكسر اللام وتخفيف الميم احترازا من ما المصدرية (كان غمره) اى لاجل الذى عرض له مما يدهشه ويستغرق لبه وفكره (من عجائب ما طالع) اى شاهد ورأى (من ملكوت السموات والارض) الذى لم يطلع عليه غيره من البشر فاستعار لتلك المشاهدة الغمرة وهو ما يغمر من الماء ويقطر منه ففيه استعارة تصريحية تبعية او مكنية وتخييلية او هو تشبيه بليغ كقوله تعالى الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر على ان من تجريدية بيانية ولما كانت المطالعة بمعنى المشاهدة بالحواس الظاهرة قدمها واسعها بقوله (وخامر باطنه) بالخاء المعجمة والف وميم وراء مهملة بمعنى مازجه وخالطه لا بمعنى ستره ومنه الخمر لسريانها فى بدن شاربها وان قيل انما سميت بها لسترها العقل والمراد بباطنه قلبه وحواسه الباطنية (من مشاهدة الملأ الاعلى) وتعبيره بالمشاهدة يقتضى ما فسرنا به المخامرة وان اشتهرت بمعنى الستر كما فى قول سلمان الفارسى لابى الدرداء رضى الله عنهما حين دعاه الى الارض المقدسة ياأخى ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السماء على ارفه خمر الارض تقع على اى خصب ستر وجه الارض يعنى ان وطنه ارفه وارفق به فلا يفارقه والمراد بالملأ الاعلى السموات وما فيها او الملائكة لان الملأ الجماعة الاشراف (وما رأى من آيات ربه الكبرى) العظيمة التى تدهش عظمتها من رآها وما قيل من انه خلاف الظاهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اثبت الرسل قلبا فلا تعتريه لذلك دهشة ليس بشئ لانه لم يرد بها دهشة بمرتبة الذهول وان كان قوله (فلم يستفق) يقال افاق واستفاق بمعنى تنبه واستيقظ من نومه (ورجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام) يوهمه اذ المراد به حالة اعترته وابانته عالم الدنيا وكسته حلة ملكية على انه لو سلم كان مؤيدا للمصنف غير وارد عليه وليس المراد انه عرض له صلى الله عليه وسلم النوم فى رجوعه كما توهم فانه ينافى قوله (ووجه ثالث) وهو (ان يكون نومه واسراؤه قاطبة حقيقة على مقتضى) ظاهر (لفظه) وصادمه بمعنى تجوز بها بالفتح والكسر والمراد

يقظة قوله ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام (ولكنه اسرى بجسده) وعيناه بالعيان (وقلبه حاضر) وان غض بصره كالنائم فافهمو مساو لليقظان (ورؤيا الانبياء) عليهم الصلوة والسلام (حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم) وقد قيل عليه ان كون عينه صلى الله تعالى عليه وسلم نائمة مع الاسراء بجسده مع انه خلاف المتبادر لا فائدة فيه وما ذكره المصنف من الحكمة الآتية من انه لئلا تشغله المحسوسات عن الله لا يدفع ما ذكر لان الحكم حينئذ للروح فلا معنى لرفع الجسد وهو حاصل بدونه وقوله تعالى (لنريه من آياتنا) يأباه وقد استدرك عليه المصنف بقوله الآتي ولا يصح ان يكون هذا في وقت صلوته الى آخره والجواب بانه ليشاهد الملائكة وينص عليهم بركاته لا يجدى نفعا (وقد مال بعض اصحاب الاشارات) يعني بهم مشايخ الصوفية والمراد بالاشارة ما يأخذونه من الحقائق من النصوص القرآنية وغيرها وهم لا يقصدون بتفسيرهم انه صريح النص كما ذكره العز بن عبد السلام ومن لا يعرف ذلك يعترض عليهم بما لا وجه له (الى نحو من هذا) اى الى قريب مما قاله صاحب هذا الوجه حيث (قال تغميض عينيه لئلا يشغله شئ من المحسوسات عن الله) قال الزمخشري في شرح الفصيح قولهم جسم حساس لحن كما لحنوا في قولهم محسوسات لان فعالا لا يبنى من افعل والحق ثبوته وثبوت حس بمعنى احس كما قاله الدماميني في شرح التسهيل والنووي في شرح مسلم فعلى هذا لا لحن في هذه العبارة (ولا يصح ان يكون هذا) المذكور من ان الاسراء بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم وهو نائم او نوقش من الروايتين ان لم نقل بالتعدد (في وقت صلوته بالانبياء) عليهم الصلوة والسلام لان النائم لا يصلي ولا يصح صلوته وظاهره ان ما عده من امور الاسراء صحيح بلا ريب وانما نافاه لفظ الحديث ولا يخفى انه اسماء ربه ومراجعة موسى عليه الصلوة والسلام لذلك كان ينبغي ان يقول والامور الواقعة في حديث الاسراء لا يصح في بعضها ان يكون منا ما فان قيل يجوز ان يكون رأى ذلك في المنام قلنا وكذا يجوز ان يكون رأى في منامه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم ايضا الا ان يفرق بينهما (ولعله كان له) صلى الله تعالى عليه وسلم (في هذا الاسراء حالات) فكان في بعض نائما خاصة بان الصلوة كان لئلا يرى سوى ربه وفي بعضها مستيقظا وفي بعضها بين النائم واليقظان وبهذا يجمع بين الروايات بناء على ان الحديث الذي وقع فيه هذا ما فيه من احاديث وهذا الوجه قيل انه حدس وتخمين ولو تركه المصنف كان احسن لما مر (ووجه رابع) لتأييد كونه يقظة وتأويل ما خالفه (وهو ان تعبيره بالنوم ههنا) في هذه الرواية (عن هيئة النائم من الاضطجاع) بيان للهيئة والاضطجاع الملقى بدنه ممتدا بالارض غير جالس ولا قائم فهو استعارة

او مجاز مرسل للنوم ملازمه غالبا النوم فكان على هذه الهيئة عند وصول الملك اليه وفي بعض النسخ اذ كثيرا ما يعبر بالنوم عن الاضطجاع ونحوه لما بينهما من الملابسة وفي بعض الشروح هنا تكرار لا حاجة اليه ولذا قال انه يتعين كونه مجازا مرسلا وليس بلازم (ويقويه) اى يقوى هذا التأويل (قوله في رواية عبد بن حميد) الامام الحافظ المقدم ترجمته وعند غير مصنف هنا وهو ابو نصر عبد الرحمن بن الكشي ويقال الكشى بشين او سين (عن همام) بفتح الهاء وتشديد الميم الاولى ابن يحيى العوذى بفتح العين المهملة وسكون الواو ودال معجمة وياء نسبة منسوب للعوذ بطن من الازد امام ثقة اخرج له الستة وتوفى سنة ثلاث وستين ومائة (بينا انا نائم وربما قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (مضطجع) فيعبر بهذا تارة وبهذا اخرى لتشبههما لانهما بمعنى (وفي رواية هدبة) بضم الهاء وسكون الدال المهملة والموحدة وتاء تأنيث ابن خالد القيسى البصرى الحافظ الثقة روى له الشيخان وغيرهما وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وفي بعض النسخ بدل هدبة معاوية (عنه) اى عن همام (بينا انا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع) تقدم الكلام فيه وانه وفى (وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان) فيؤيد كون المراد بالنائم المضطجع (فيكون سمى هيئته) اى هيئة النبى صلى الله عليه وسلم او هيئة النوم (بالنوم لما كانت) تلك الهيئة (هيئة النائم) حقيقة (غالبا) اى في الغالب وبما ذكرنا سابقا من ان هذا في اول وصول الملك له سقط ما قيل من ان هذا ينبو عنه السمع لان ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم البراق وربطه بالحلقة وصلوته بالانبياء عليهم الصلوة والسلام يأباه واما قوله فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام فاول ايضا كما مر فلا ينافى هذا فتأمله (وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنوالرب) اى قربه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الواقعة في) رواية (هذا الحديث) اى حديث الاسراء (انما هى من رواية شريك عن انس رضى الله تعالى عنه فهى منكرة من روايته) لا مطلقا والانكار المراد به معناه اللغوى او مصطلح المحدثين وهو روايته المعبر بسوء حفظه والمخالف للثقاة وشريك طعن فيه ابن حبان وغيره وقالوا ليس بثبت (اذ شق البطن) اى بطنه وصدره صلى الله تعالى عليه وسلم (في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه الصلوة والسلام) وهو عند مرضعته حليمة كما مر (وقبل النبوة) اى قبل ظهورها للناس هذا بيان لوجه انكار هذه الرواية وقد تقدم عن الامام السهيلى وغيره ان الشق وقع مرتين مرة لتثبته للنبوة ومرة اخرى بعد بعثته ليقوى على المعراج ومشاهدة عجائب الملكوت فلا يرد ما ذكر على هذه الرواية فيقتضى انها منكرة وقيل انه وقع اربع مرات عند حليمة وبحراء وليلة الاسراء ومرة اخرى في اليوم الاان ابن حجر قال ان هذه لم تثبت

كما تقدم (ولانه) اى شريك (قال فى) هذا (الحديث) الذى رواه عن انس رضى الله عنه (قبل ان يبعث والاسراء بالاجماع) من الحدثين (كان بعد البعث) مصدر ميمى بمعنى البعث وقد تقدم الكلام فيه (فهذا كله يوهن) بتشديد الهاء اى يضعف او تخفيفها لانه يقال وهنه واوهنه فوهن اى ضعف (ما فى رواية انس) هذه التى رواها شريك عنه (مع ان انسا قد بين من غير طريق) اى من طرق متعددة لامن طريق واحدة (انه انما رواه عن غيره) من الصحابة كمالك بن صعصعة وابى ذر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مرسل الصحابى وفيه ان مرسل الصحابى اذا روى من طريق مقبول فهذا لا يضعفه (وانه لم يسمعه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لانه سمعه من غيره (فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفى كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك) من مسلم فلعل مستعارة من الترجى لجامع عدم الوقوع فيهما وقال الحاكم مدار حديث المعراج على انس رضى الله عنه وقد سمع بعضه من مالك بن صعصعة وبعضه من ابى ذر وبعضه من ابى هريرة (وقال) انس (مرة كان ابو ذر يحدث) اى ينقل حديث الاسراء السابق عنه صلى الله عليه وسلم (واما قول عائشة) رضى الله تعالى عنها (مافقد جسده) صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه عنها ابن اسحق وجرير وتقدم ان فيه رواية مافقدت بالاسناد لضميرها والاسناد للفاعل وهو فى هذه الرواية مبنى للمجهول (فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة) له صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان بمكة قبل تزوجها او قبل ولادتها كما اشار اليه بقوله (لانها لم تكن حينئذ) اى فى وقت الاسراء وزمانه (زوجة) له صلى الله عليه وسلم (ولا فى سن من يضبط) بالتحتية والفوقية اى لم يكن سنها وعمرها حينئذ سن ضبط واتقان لعدم تمييزها لصغرها فهو مستعار من الضبط وهو الامساك والحفظ للعلم والتمييز فالرواية عنها ليست مسلمة اوهى حدثت به عن غيرها فعلى رواية مافقد الامر ظاهر وعلى رواية مافقدت فيه تقدير اى قال فلان او فلانة مافقدت الى آخره وهو فى غاية البعد كما قيل (ولعلها لم تكن ولدت) بالبناء للمجهول (بعد) مبنى على الضم اى بعد هذه القصة ووقوعها وهى ضد قبل وتستعملان فى التقدم والتأخر المتصل والمنفصل والمراد هنا الاول والمراد زمان وقوعه للمجاورة والتضاد وهو استعمال شائع وحينئذ لا ينبغى ان ينسب لها هذا القول اذ لم يثبت كما سيأتى وكونها حدثت به عن غيرها تأباه سياقه (على الخلاف فى) زمن (الاسراء متى كان فان الاسراء كان فى اول الاسلام) بمكة قبل الهجرة (على قول) محمد بن مسلم بن شهاب (الزهرى ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة فى) وقت (الهجرة بنت ثمانية اعوام) فعلى هذا لم تكن ولدت فى زمن الاسراء (وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة) هذه

اللام توقيفية اي وقف هو سنة حتى كاتصله النحاة في باب العدد وفصل التاريخ (وقيل قبل الهجرة بعام والاشهر) اي القول الاصح الاولى والاحسن (انه خمس) لان مثله يكون كثير الشهرة بخلاف النادر الغريب الذي لا نطيل له (والحجة لذلك تطول وليست من غرضنا) اي ليس مقصودنا في هذا الكتاب بسط الادلة والحجج بل الاكتفاء بما صح من اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم او المراد ان مقصوده الاختصار وعدم التطويل وتفصيله كما في المقتفى لابن المنير قال الاقوال فيه كثيرة اصحها عندي قول ابراهيم الحربي انه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقيل بعد المبعث بخمس سنين وقيل بعده بخمسة عشر شهرا وقال ابن اسحق اسري به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد فشا الاسلام وفي مسلم عن شريك انه قبل ان يوحى اليه ولا يصح هذا بوجه الا على القول بانه منام كما وقع لعائشة انه كان بالمدينة ورجح القاضي عياض القول بانه قبل الهجرة بخمس سنين وقول ابن اسحق انه قبل الهجرة بسنة وضعف هذا بان خديجة رضي الله عنها ماتت معه صلى الله تعالى عليه وسلم وهي ماتت قبل الهجرة بمدة اقل ما قيل فيها ثلاث سنين والصلوة لم تفرض الا في الاسراء وهو غير وارد لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلي قبل الاسراء صلوة غير الخمس على خلاف فيها والحجة لنا في ترجيحه ان كل قول سواه خرج مخرج التقدير لا التحديد لانه لم يعين فيه الشهر فضلا عن اليوم وقول الحربي عين فيه ليلة بعينها من شهر بعينه وسنة بعينها فقال ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة واذا تعارض خبران احدهما احاط راويه بمفصل في القصة زائد فالمفصل احضرهما واولى فانا نحن اهل وعامة الفقهاء في كتاب الشهادة اذا ارخت احدى البينتين واليوم الذي اسري فيه ليلة الاسراء يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الاول واذا كان الثاني عشر من الشهر يوم الاثنين كان اوله الخميس قطعا فاول ربيع اما السبت او الاحد او الاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين اما ثلاثة ايام او اربعة او خمسة ولذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم من الوقفة التي قبلها او رابعة او سادسة واعدل الاحتمالات الخامس والخميس بعده السبت والاثنين بعدها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب التمام والنقص الى آخر ما ذكره وقد وفيناه (فاذا لم تشاهد ذلك) المذكور من زمن الاسراء (عائشة) رضي الله تعالى عنها (دل) عدم مشاهدتها (على انها حدثت بذلك عن غيرها) من الصحابة فحديثها من مرسلات الصحابة وهو صحيح ايضا كما عليه المحدثون الا انه لم يوثق به وبين غيره (فلم يرجح خبرها على خبر غيرها) الظاهر ان يقول فرجح خبر غيرها على خبرها لروايتها عن مجهول بل لعدم ثبوته عنها كما مر اي (وغيرها يقول

بحلافه مما وقع مصاب) اى صريحا فان العرله معسان مهما هدا (فى حديث ام هانىء) وفى نسحة من حديث ام هانى بيان لما (وغيره) كحديث ابى در ومالك بن صعصعة وابى هريرة وقد قيل عليه ان حديث ام هانىء المذكور فى الفصل الدى قبل هدا غير صريح فيما دكر ويدفع بانه ظاهر فيه والعدول عن الظاهر لا وجه له (وايصا) منصوب على المصدرية مصدر آض بمعنى رجع (فليس حديث عائشة) اى قولها مافقدت جسده (بالثابت) عند المحدثين لما فى متنه من العلة القادحة وفى سنده محمد بن اسحق وقد ضعفه مالك وغيره (والاحاديث الاخر) الواردة فى الاسراء عن غيرها (اثبت) اكثر ثبوتا واصح من حديثها (لسنا نعنى) اى لا نريد انا وغيرى من المحدثين بقولنا انها اثبت (حديث ام هانى) وقولها ما اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى (وما) اى وحديث عن غيرها كحديث عمر رضى الله تعالى عنه الدى (دكرت فيه خديجة) رضى الله تعالى عنها الا انهما لم يردا فى الصحيح من احاديث اخر تعارضها غير هدين (وايضا فقد روى فى حديث عائشة مافقدت) باسناد الفعل المعلوم لضميرها كما روى مافقد بالبناء للمجهول المسند لغيرها كامر (ولم يدخل بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالمدينه) والاسراء كان بمكة وهى صغيرة ليست عنده اولم تولد والجملة حالية وهدا يدل على عدم صحته وتأويله بما علمت من هدا اوبكونه حكاية لكلام غيرها فى غاية البعد (وكل هدا) اى ذلك المذكور سابقا ولاحقا بما سبق وما تأخر (توهنه) بالتشديد والتخفيف اى يضعفه (بل الذى يدل عليه) اى الذى يدل على ما ذكر من عدم صحته عنها (صحيح قولها) اى ماصح عنها رضى الله تعالى عنها من روايه اخرى (انه) اى الاسراء (بجسده الشريف لانكارها(٢) رؤياه لربه) ليلة الاسراء (رؤيا عين) فان هدا يدل على انه اسرى بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم الا انه لم ير ربه عيانا (ولو كانت) الرؤيا فى الاسراء (عندها مناما لم تنكره) لان رؤيا المنام جائزة وانما الكلام فى رؤيا العيان والخلاف فيها فيما عداها فى ذلك الآتى يدل على ما ذكر وهدا يدل على ان لها قولا آخر من رواية بما يخالف المشهور وهدا معنى قوله فيما سبق دليل قولها قد ذكره ولبس وصف قولها بانه صحيح منافيا لما مر من الطعن فى حديثها لان هدا رواية اخرى لها او ما قيل من انه مؤيد لكونه مناما ناشئ من عدم التدبر (فان قيل) فى رد كونه بجسده (قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى) لجعل ما رآه للقلب) اى انه الرؤية للقلب دون البصر وعلقها به وفيه اشارة الى ان الفؤاد بمعنى القلب وله معان اخر وما مصدرية والجار والمجرور متعلق بجعل او بمقدر اى مسندا للقلب (وهدا) الجعل او المذكور (يدل على انه رؤيا نوم ووحى) بالجر عطفا على نوم (لا مشاهدة عين وحس) بصرى والعطف تفسيرى (قلنا) فى الجواب عنه (مقابله) اى تعارضه فيسقطه عن مرتبة الاحتجاج وفيه اشارة الى انه لا تعارضه

(٢) وقد وقع فى غالب النسخ هنا وان تكون وهو الظاهر على ان قوله رؤياه اسمه وقوله رؤيا عين خبره قاله مصححه طاهر

ايضا (وتماراغ البصر وماطغى) زاغ بمعنى مال وطغى تجاوز عن الرؤية المستقيمة

المتنبهة وتيعنها (فاستلف الامر) اى اشتبه الرؤية (فالبصر) يقابله ايضا ما (قال

قال اهل التفسير) فى تأويله اى معناه حتى لا تعارضه وينافيه (فى) تفسير (قوله ما كذب

الفؤاد ما رأى اى) معناه (لم يوهم القلب العين) فهو مقول القول والقلب مرفوع

فاعل يوهم والعين منصوب مفعوله وقوله (غير الحقيقة) مفعول ثان له لانه ينصب

مفعولين وغير بغين معجمة ومثناة تحتية وراء مهملة ونقل عن بعض الشروح انه

يجوز فى كل من العين والقلب الرفع والنصب والمرفوع فاعل تقدم او تأخر وتوقفت

فى فهمه الملمسانى وليس بمحل توقف لان المراد ان البصر والبصيرة متفقان لم يخالف

احدهما الآخر لوقوفهما على الحقيقة لان العين قد ترى امرا ثم يتبين خلافه وانه

غير متحقق وقد يتصور القلب شيئا فيشاهد خلافه والحاصل ان ما رآه ليس تخيلا

كاذبا بل امرا محققا تواطأ عليه العين والقلب وما قيل من ان الامور القدسية يدركها

القلب اولا ثم يوردها على البصر ليس بسلم (بل صدق رؤيتها وقيل) فى التوفيق

بينهما ودفع الاتفاق (ما اكرفا ه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما رأته عينه) وهذا

قريب معناه ولما كان ظاهرا م بدر سه فى صحيح اسلم كه به ماما وبعضه عليه

واورده سؤالا وجوابا ولما كان بحصل الجواب انه يدل على ثبوت الرؤية سقط

ما قيل انه مشترك الالزام والاعتراض بانه لا فرق بين الجوابين لان المراد انه لم يطر أعليه

وسوسة نفس ونزغة شيطان تشككه فيما رآه وتوهمه خلاف ما شاهدت عيناه

فى فصل واما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه عز وجل فى يقظة

فى اسرائه بجسده والرؤية حصل العصمة فلذا عبر بها وان اطلقت على

غيرها تكون على خلاف المشهور بعكس الرؤيا كما قدمه (واخذ ابن الاثير ... بها

فانكر به عائشة رضى الله عنها) ذكر ضمير الرؤية لانه بمعنى المصدر غير معتبر او باعتبار

الوقوع كما قيل وفى بعض النسخ فانكر ما هو ظاهره وانكارها انما وقع فى مسلم وغيره

كما اشار اليه المصنف بقوله (حدثنا ابو الحسين ...) بكسر السين وفتح الراء

المهملة المخففة وآخره جيم (ابن عبد الملك) ... الملك ... فى الاعلام ... الكراهة

... حتى ... وهو امام حافظ شيخ ... رحمه الله تعالى

وحده ... الغوى ... القدر (الحافظ ...) ... الكلام ... (قال

حدثنى ابى وابو عبد الله بن عتاب ...) ... رحمه (قالا حدثنا القاضى يونس

ابن مغيث) بضم الميم وكسر الغين المعجمة والمثناة التحتية الساكنة وثاء مثلثة ...

... بن ... وهو يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله ...

... ابن الصفار ولد فى رجب سنة ... وتوفى ...

اثنين وثلاثين وخمسمائة لثمان من جمادى الاولى (قال حدثنا ابو الفضل الصقلى) بفتح الصاد المهملة والقاف وتشديد اللام المكسورة نسبة لصقلية بلد بالاندلس (قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده) ثابت بن حزم العوفى السرقسطى وابوه ابو محمد قاسم بن ثابت مؤلف كتاب الدلائل فى غريب الحديث يروى عن ابيه وجده وعمر جده حتى قرأ عليه وكان ثابت وقاسم يشتركان فى التأليف والشيوخ والرحلة وولد ابوه سنة خمس وخمسين ومائتين ومات بسرقسطة سنة اثنين وثلاثمائة (قالا حدثنا عبدالله بن على قال حدثنا محمود بن آدم) هو المروزى توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين (قال حدثنا وكيع) بن الجراح بن مليح بن عدى الحافظ الثقة ولد سنة تسع وعشرين ومائة وتوفى سنة ست او سبع وسبعين ومائة (عن ابن ابى خالد) هو اسماعيل بن سعيد البجلى الكوفى توفى سنة خمس او ست واربعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة (عن عامر عن مسروق انه قال لعائشة) رضى الله تعالى عنها (يا ام المؤمنين هل رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) عز وجل ليلة الاسراء بقرينة السؤال لانها لا تنكر رؤية الآخرة ولا رؤية المنام (فقالت) مجيبة له (لقد قف شعرى) القفف فى الشعر معناه قيامه وانتصابه وانما يكون هذا غالبا عند الفزع والخوف القوى (مما قلت) اى حصل من كلامه ان يهلك الله من قاله واستعظمه لانه امر منكر لا يرضاه الله ولم يثبت عندها وقال التلمسانى قف عمنى اقشعر واصله ان الجلد ينقبض عند البرد والجزع فيقوم الشعر لذلك والمراد انكار ما قاله واستعظامه وما فى قولها مما قلت مصدرية او موصولة (ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت) مستدلة لما قالته (لا تدركه الابصار الآية) بناء على ان الادراك شامل للرؤية وانه حكم كلى فان قلنا الادراك بمعنى الاحاطة اى لا تحيط به الابصار ولا تعرف كنهه ورفع الايجاب الكلى سلب جزئى لم يكن فى الآية دليل على ما ذكر ويأتى بيانه عن قريب وقد استدل بهذه الآية المعتزلة على نفى الرؤية مطلقا ورده اهل السنة كما فصل فى كتب الاصول وروى فى بعض النسخ من حدث بلا كاف عن الفرق والثلاث الاولى هى هذه والثانيه قولها من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتم شيئا من الوحى ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الى آخره والثالثة من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم يخبر بما يكون فى غد فقد اعظم الفرية ثم قرأت ان الله عنده علم الساعة الآية واعلم ان هذا الحديث فى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وهو فى البخارى عن يحيى عن وكيع سند المصنف رحمه الله تعالى فهو بدل او موافقة كما فصله البرهان (وذكر) مسروق (الحديث) بتمامه كما سمعته آنفا من ذكر الثلاث

قال مسروق وكنت متكأ فجلست وقلت يا ام المؤمنين انظريني ولا تعجلي الم يقل الله تعالى ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله عليه الصلوة والسلام فقال انما هو جبريل لم اره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين كما رواه مسلم (وقال جماعة) من المحدثين والعلماء لا المتكلمين لان خلافهم ليس في رؤية الاسراء (بقول عائشة) رضي الله تعالى عنها (وهو المشهور عن ابن مسعود وغيره ومثله) اي مثل قول ابن مسعود وعائشة (روي عن ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى (انه) بفتح الهمزة (قال) اي ابو هريرة (انما رأى جبريل) لا ربه عز وجل كما قيل فانى بصيغة انما للرد على من فسر الآية بما ذكر (واختلف) بالبناء للمفعول في النقل (عنه) اي عن ابي هريرة فروي عنه انه قال رآه بعينه كغيره وفي رواية اخرى انكره (وقال بانكار هذا) القول المحرر لرؤيته ووقوعه (وامتناع رؤيته تعالى في الدنيا) وجوازه في الآخرة (جماعة من المحدثين) انكروا صحة نقله عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (والفقهاء) ذكروه في مباحث الردة والكفر وان احدا لو قال رأيت الله تعالى في الدنيا هل يكفر ام لا (والمتكلمين) من علماء اصول الدين والخلاف بين اهل السنة والمعتزلة في هذه المسئلة وادلتها مشهور في كتبهم حتى انه افرد بالتأليف (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه رآه بعينه وروى عطاء عنه) اي عن ابن عباس (انه رآه بقلبه) وعطاء هو ابن ابي رباح الفقيه المكي (وعن ابي العالية) وهو رفيع بن مهران الرياحي وقيل هو زياد بن فيروز وقيل اسمه فيروز (عنه) اي عن ابن عباس انه (رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق) صاحب المغازي عن عبدالله ابن ابي سلمة (ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم) مراده هل رآه يقظة بعينه فقوله (والاشهر عنه) اي عن ابن عباس (انه رأى ربه بعينه) وفي نسخة بعينيه مثنى وهما بمعنى تفسير للرواية التي قبله وان كان ظاهره انه غيره لمخالفتهما في العبارة (وروى ذلك عنه من طرق) اي باسانيد مختلفة لفظا لا معنى تقوي بعضها بعضا وهو لا ينافي ماروي عنه انه رآه بفؤاده فهو كقوله تعالى (ما كذب الفؤاد مارأى مازاغ البصر وماطغى) كما مر (وقال) اي ابن عباس فيما روى عنه الحاكم والنسائي والطبراني وهو في معنى ما قبله في ان الرؤية فيهما بصرية (ان الله اختص موسى بالكلام) بغير واسطة لقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) (وابراهيم بالخلة) بضم الخاء المعجمة لقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا (ومحمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالرؤية) البصرية لا القلبية لانه لم يدم اختصاصها به صلى الله تعالى عليه وسلم بل علم ان الخلة والكلام

ثبتا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا فتصريق هذه الخصائص غير ظاهر واجيب
عنه بان مراده ان موسى الكليم اشتهر بذلك وان كان ثبتا صلى الله تعالى عليه وسلم
كله الله في الاسراء في مقام اعلى والخلة ثبتت له مع زيادة المحبة فمحمد صلى الله تعالى
عليه وسلم خليل وحبيب كما اعترف به الخليل عليه الصلوة والسلام في حديث الشفاعة
حيث قال انما كنت خليلا من وراء وراء وهذا الجواب لايجدي نفعا فالاولى
ان المراد بالكلام مناجاته تعالى بغير واسطة في الارض وبالخلة معاملة مخصوصة له
مع الله تعالى في هذه الدار ايضا وسيأتي بيانه (ورؤيته) اى دلالته على الرؤية (قوله)
تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) اى مااعتقد قلبه خلاف مارآه بصره في مشاهدة
ربه فسماه كذبا مجوزا لاشعار كهما في ان كلا منهما خلاف الواقع اى ما رآه
صلى الله تعالى عليه وسلم ببصره ليلة الاسراء لثبوت ذلك بالاحاديث الصحيحة واما انكار
عائشة رضي الله تعالى عنها لذلك فقد تقدم مافيه واستدلالها بقوله تعالى (لاتدركه
الابصار) اجابوا عنه بوجوه منها ان الادراك بالبصر ليس رؤية مطلقة بل رؤية
على وجه الاحاطة بجوانب المرئي لان حقيقة الادراك اللحوق والوصول في المكان
كقول اصحاب موسى انا لمدركون او الزمان كما يقال ادرك فلان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم او الصفة كما يقال ادرك الغلام اذا بلغ وادركت الثمرة اذا نضجت ثم نقل
لابصار الشيء المتناهي المحدود بالجهات لوهم معنى اللحوق فيه كان البصر قطع
المسافة التي بينه وبينه حتى بلغه ووصل اليه فابصار ما ليس في جهة لايعقل فيه
معنى البلوغ فلا يسمى ادراكا فلا يلزم من نفيه وهو رؤية مخصوصة نفي المطلقة
وهذا تحقيق ما في التفسير وكتب الكلام (افتمارونه على ما يرى) اى اتجادلونه
في رؤيته لما رآه من مريت الضرع اذا مسحته للحلب فاستعير للمجادلة كأن كلا
من المتجادلين يمري ما عند صاحبه لطلبه (ولقد رآه نزلة اخرى) اى مرة اخرى قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان له في تلك الليلة مرات من العروج ولكل مرة
نزلة لسماه اخرى لما راجع في حط الصلوات وهذا مراده هنا (قال الماوردي)
الامام الجليل ابو الحسن علي بن محمد الشافعي صاحب التأليف الجليلة كالتفسير
الكبير والحاوي وغيرهما وقدمت ترجمتها وهذا نقله عنه ابن سيد الناس في سيرته
(قيل ان الله قسم) اى جعل (كلامه ورؤيته) مقسوما (بين موسى ومحمد صلى الله
تعالى عليهما وسلم فرآه محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (مرتين) حيث كان
[illegible] مرتين او ادنى [illegible] المنتهى (وكلم موسى) عليه الصلوة والسلام
(مرتين) مرة [illegible] وجعه للطور الحق انه
[illegible] عليه الصلوة والسلام بالكليم لانه
[illegible] على الله تعالى

(عليه)

عليه وسلم لتكليمه اياه مع قربه منه فى حظائر قدسه لكن لكون تكليم موسى مما يعرفه
الناس حتى تكونه كليما قدمه فاندفع ما مر (وحكى ابو الفتح الرازى) ليس هو الفخر
الرازى كما توهم (وابو الليث السمرقندى) الحنفى وقد قدمنا ترجمته والمحكى ما مر
عن الماوردى كما اشار اليه بقوله (الحكاية) التى ذكرها الماوردى (عن كعب)
وليست صيغة وصيغة قيل فى كلامه ليست للتمريض فانها يقصد بها مجرد النقل *
فان قلت كيف قال قسم الكلام والرؤية والقسمة انما تكون فى امر واحد يوزع بين
اثنين فاكثر ولذا قيل ان هذه العبارة مما لا ينبغى * قلت هذا وهم من قائله فان المراد
قسم تقريبهما وتعظيمهما قسمين وجعل قسما لهذا وقسما لهذا كقوله

قسم الاله الامر بين عباده * فالعبد يشقى والحلى يسعد

(وروى عبد الله بن الحارث) كما ذكره الترمذى وهو عبد الله بن نوفل بن الحارث بن
عبد المطلب البصرى سكنا الوالى بها مات بعمان بعد انقضاء فتنة ابن الاشعث
لما خرج اليها هاربا من الحجاج وولد فى زمنه صلى الله عليه وسلم ومات سنه اربع وثمانين
ومن الرواة ايضا عبد الله بن الحارث ابو الوليد البصرى حدث عن ابن عباس رضى الله
عنهما وهو زوج اخت محمد بن سيرين وجزم الشمنى رحمه الله بانه هو المذكور هنا وهو
الراجح لان عبد الله الاول وان وافقه فى الاسم والنسبة لكن الحارث جده وهذا
راوى ابن عباس كما مر (قال اجتمع ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكعب)
الاحبار (فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا رأى ربه مرتين)
خص بنى هاشم لانهم اقرب اليه واعرف بحاله لا سيما قبل الهجرة وكان اجتماعهما
بعرفة كما ذكره الترمذى وبنو هاشم مرفوع بدل من نحن كما فى النسخ ولو نصب
على الاختصاص جاز وليس المراد بنى هاشم ما سوى الناس وظاهره انه رأى
واحد منهم وهذا الاتفاق مامر عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عنه روايتين فلا وجه
للاعتراض على المصنف (فكبر كعب) الاحبار لسروره بمقاله الموافقة لما عنده
(حتى جاوبته الجبال) اى رفع صوته بالتكبير حتى سمع صداه من الجبال وجعله جوابا
تجوزا وتجوزان يكون تكبيره بعد اتفاقه واستعظامه له كقوله (وقال) اى كعب الاحبار
(ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه ورآه محمد بقلبه)
فيكون منكر الرؤيته بعينى رأسه او نقول هو موافق لان الرؤيه القلبية لا تنافى
البصرية وعليه الشراح والمراد موسى عليه الصلوة والسلام تكونه كليما لما مر
من ان المراد كلامه مرارا فى الارض فلا ينافى كون نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
كلمه ايضا بغير واسطة كما مر (وروى شريك) بعد الكلام عليه وعلى روايته (عن
ابى ذر فى تفسير الآية) المذكورة ما كذب الفؤاد ما رأى الآية ونحوه نظر (قال رأى محمد)
وفى نسخة نبيه الاى (صلى الله عليه وسلم ربه) هذا كلام مجمل متفق عليه وقيل المراد انه رآه

فقلبه بشهادة اول الآية وفيه نظر (وحكى السمرقندي) الحبر المتقدم (عن محمد بن كعب القرظي) بضم القاف وفتح الراء المهملة وكسر الظاء المعجمة نسبة الى قريظة وهو تابعي واسمه محمد كما تقدم (وربيع بن انس) التابعي الذي تقدمت ترجمته فالحديث مرسل كما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني) وهذا يحتمل ان يكون في المرة الاولى فانه روي عن ابن عباس وغيره انه رآه مرتين فلا ينافي ما مر وما قيل من ان المراد نفي مجرد الرؤية او نفي رؤيته كسائر الاشياء المرئية تعسف لاينبغي ذكرها (وروى مالك بن يخامر) بضم المثناة التحتية وخاء معجمة يليها الف وميم مكسورة ثم راء مهملة علم منقول ممنوع من الصرف وهو سكسكي حمصي يقال ان له صحبة والاصح انه تابعي روى عن معاذ بن جبل كما ذكره المصنف وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما ومات سنة سبعين اوثنتين وسبعين وروى عنه جماعة (عن معاذ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربي) في حديث رواه احمد بن حنبل وغيره وهو حديث صحيح اوله قال معاذ رضي الله تعالى عنه صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الغداة ثم اقبل علينا فقال اني ساحدثكم اني قمت من الليل فصليت ماقدر لي ونعست وفي رواية فوضعت جنبي فاذا انا بربي في احسن صورة فقال يامحمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت انت اعلم اي ربي فوضع كفه وفي رواية يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات والارض ثم تلا وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض الى آخره ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى يامحمد قلت في الكفارات قال وماهي قلت المشي على الاقدام الى الجماعات والجلوس في المساجد خلف الصلوات واسباغ الوضوء اماكنه في المكاره من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته امه وروي يخرج من خطيئته ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان يقوم بالليل والناس نيام قال قل اللهم اني اسئلك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفرلي وترحمني وتتوب علي واذا اردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون وهذا الحديث اخرجه ايضا الترمذي والبغوي في المصابيح وهو غني عن الحل الله له بلطفه وحسن معاملته وما افاضه عليه من المعارف الكاشفة لغمه مع ثلج صدره ببرد الفهم وحققته في شرح المصابيح وشرح الاربعين للصدر القونوي وادراج بعض الشراح لهذا في المتن كما دبه غير صحيح (وذكر كله) اشارة لما مر وهو اسم جمع لكلمة مضافا لضمير الله او الحديث لادنى ملابسة (فقال) الله (فيم يختصم الملأ الاعلى) اي فيم تسأل الملائكة بعضهم بعضا عن المراتب المقربة الى الله المكفرة للخطايا

(ولذا)

ولذا امره صلى الله تعالى عليه وسلم بالدعاء بنيل كمال هذه المراتب (الحديث) بالنصب اى اقرأ اواذكر (وحكى عبدالرزاق) همام بن رافع الصنعانى صاحب التصانيف الجليلة اخرج له الأئمة الستة وتوفى سنة احدى عشرة ومائتين وترجمته مشهورة (ان الحسن) البصرى السابق ذكره وترجمته (كان يحلف بالله لقد رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) بعين بصره (وحكاه ابو عمر الطلمنكى) بضم بزنة زفر وهو بالطاء المهملة واللام والميم المفتوحات وسكون النون وكاف مكسورة يليهما ياء نسبة كما ضبطه الحفاظ وهو الامام الحافظ المقرئ احمد بن عبدالله بن لب بن يحيى المعافرى الاندلسى عالم قرطبة ولد سنة اربعين وثلاثمائة وتوفى فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين واربعمائة وروى عنه ابن حزم وابن عبدالبر وغيرهما من الاعلام (عن عكرمة) مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب) وهو رؤية الله نبيه (عن ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه (وحكى ابن اسحق) محمد بن اسحاق بن يسار الامام الحافظ صاحب المغازى وقد تقدمت ترجمته (ان مروان) بن الحكم بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى ولد سنة اثنين ولم يصح له سماع ولا رواية واغاله رواية عن عثمان رضى الله تعالى عنه وميسرة وغيرهما وكانت دولته تسعة اشهر واياما وتوفى سنة خمس وستين فى رمضان ثم تولى ابنه عبدالملك وترجمته مفصلة فى التواريخ (سأل اباهريرة رضى الله تعالى عنه هل رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) بعينه (فقال نعم وحكى النقاش) محمد بن الحسن بن زياد وقد تقدم ترجمته (عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه رأى ربه) بدل من حديث ولم يزل يكرر ماقاله رافعا بصره (رأه رأه رأه حتى انقطع نفسه) بفتحتين اى عجز عن التكلم واعيى وترك التكلم (يعنى نفس احمد) بن حنبل وانما فسره بذلك لئلا يتوهم عوده لابن عباس (وقال ابو عمر) السابق ذكره (قال احمد بن حنبل رأه بقلبه وجبن عن القول) بضم الجيم وضم الباء وحكى الجوهرى فتحها وهو ضعيف فى الغالب فقصى عدم الاقدام يريد انه لم يجترأ تأدبا عن ان يقول اى عن القول (برؤيته فى الدنيا بالابصار) بكسر الهمزة وفتحها جمع بصر وتعبيره بالجبن يدل على انها جائزة عقلا عنده وهو الحق (وقال سعيد بن جبير) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (لااقول رأه ولالم يره) اى توقف فى ذلك ولم يقل لاحد القولين (وقد اختلف فى تأويل الآية) يعنى قوله تعالى (ولقد رأه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى) فى النقل (عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى عن ابن عباس وعكرمة رأه بقلبه) رواه مسلم عنه فى صحيحه فى تفسير هذه الآية فالضمير فى رأه لله والرؤية قلبية (وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل) فالضمير فيها لجبريل عليه

الصلوة والسلام كما فى مسلم عن ابن مسعود وابى هريرة فرآه بالافق الاعلى وله ستمائة جناح يتنثر منها الدر والياقوت كما قاله المهدوى (وحكى عبدالله بن احمد بن حنبل عن ابيه) وهو كابيه امام فى السنة والفقه اخذ عنه الاعلام وتوفى سنة تسعين ومائتين فى سن ابيه (انه قال رآه) اى نبيه لانه المتبادر وقد روى عنه التصريح به ولاينافى ذلك مامر من انه جبن عن القول بذلك لانه مر تحقيقه فى بعض المجالس المقتضى لذلك (وعن ابن عطاء فى) تفسير (قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام) اى قوى قلبه واذهب رعبه حتى صبر مع مشاهدة جلاله وعظمته وسماع كلامه (وقال ابوالحسن على بن اسمعيل الاشعرى) ابن ابى بشير بن اسحق بن ابى سالم بن اسمعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن ابى بردة بن ابى موسى الاشعرى صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمعروف ان اباالحسن هذا شافعى المذهب وقال التلمسانى انه مالكى المذهب ونسبته الى اشعر وهو نابت بن ادد بن يشجب بن يعرب بن زيد بن كهلان بن سبا وكان حبرا عظيما وهو امام اهل السنة صاحب التصانيف المشهورة ولد سنة سبعين ومائتين ومات سنة اربع وعشرين وثلثمائة وقيل اربع وثلاثين فى ذى الحجة (وجماعة من اصحابه انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى الله ببصره وعينى رأسه) بأسد لكون الرؤيا بصرية واضافة العين للرأس احتراز عن عين قلبه وظهره فانها وردت فى الحديث فان لم يكن عينا حقيقة (وقال) الاشعرى رحمه الله تعالى (كل آية) ومعجزة (اوتيها نبى) اى اعطاها الله نبى (من الانبياء فقد اوتى مثلها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد فصله ابن المنير فى المقتفى والكلام فيه طويل لاتسعه كراسا هذا ولاينافى هذا تخصيص موسى عليه الصلوة والسلام بالكلام كامر قبل الحقيقة المحمدية صورة الاسم الاعظم الجامع للاسماء فله التصرف فى العوالم ومنه استمداد وبه امدادها من جهة جمعه لامن جهة بشريته فهو الخليفة حقيقة واى معجزة كانت لنبى فهو له اولا وبالذات ثم جاءت منه لغيره والى هذا اشار فى البرده بقوله

وكل آى اتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم

اقول الحق ان يقول ان الله خلق روحه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الارواح وخلع عليها خلعة النبوة ثم خلق ارواح البشر وامر ارواح الانبياء بان يؤمنوا به واخذ عليهم الميثاق بانه ان ادركوه كما نطق به الكتاب العزيز فلما اجابوه اشرق عليهم نوره الروحانى الربانى وصارت فى ارواحهم قوى مستعدة لاظهار المعجزات كالاولياء امته اذا اظهروا الكرامات لما اشرق عليهم نوره وهذا هو الذى قصده الابوصيرى رحمه الله تعالى فاعرفه (وخص من بينهم) اى اختص صلى الله تعالى عليه وسلم عن سائر الانبياء (بفضل الرؤية) اى بفضله

رؤية ربه عيانا في الدنيا فلم يره غيره فيها (ووقف بعض مشايخنا في هذا) اي توقف فيه فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه والمشايخ جمع مشيخة اوشيخ على خلاف القياس وفيه كلام في شرح ادب الكاتب (وقال ليس عليه) اي على ثبوته (دليل واضح) اي صحيح ظاهر (ولكنه جائز) بحسب العقل (ان يكون) اي ان يصح ويوجد في الدنيا (قال القاضي ابو الفضل) عياض المصنف رضي الله تعالى عنه (والحق الذي لا امتراء فيه) اي القول الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة لان المرية هي الشبهة (ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا) لانه موجود حقيقة في كل موجود وكل موجود تجوز رؤيته عيانا (وليس في العقل ما يحيلها) اي ما يقتضي انها مستحيلة ثم ذكر دليلا نقليا تؤيد العقل فقال (والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه الصلوة والسلام لها) بقوله رب ارني انظر اليك وموسى من اولي العزم لا يسأل من الله تعالى ما لا يجوز فلو لم يعتقد صحة ذلك ما سأله والا كان جهلا منه باحوال الربوبية وهو مبرأ منه وكلامه في تحقيق الرؤية لا في وقوعها فقط فان قيل من انه ليس الكلام في جوازها بل في وقوعها والفرق بينهما ظاهر والقائلون بامتناعها لهم ادلة على مقالهم وان كانت مردودة والقائلون بالجواز العقلي ذاهبون للمنع الشرعي ولذا قال السبكي رؤية الله في الدنيا جائزة عقلا ممتنعة شرعا والمصنف بصدد اثبات الوقوع له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو امر نقلي لا مجال للعقل فيه فكلامه خارج عن المطلوب الا ان يقال انه استطرادي انتهى ليس بشيء لانه ان لم تثبت الجواز لا تثبت الوقوع والوقوع امر نقلي فقدمه اولا ثم حقق ما يتوقف عليه من الجواز عقلا وما نقله عن السبكي مخالف لما ارتضاه المصنف واذا كان هذا نقليا وثبت نقله كيف لا يكون عيانيا فما ذكره كلام مموه ركيك جدا وما ذكره المصنف هو دليل اهل السنة على جواز رؤيته تعالى والمعتزلة يقولون لم يسأله لجوازه عنده بل لتبكيت القائلين له ارنا الله جهرة (ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه) تنوين نبي للتكثير والتعميم اي اي نبي كان فكيف بالكليم عليه الصلوة والسلام وقيل انه للتعظيم اي نبي عظيم من اولي العزم كبار الرسل والاستحالة عادة مقررة وعقلا لانه بعث ليعلم امته الشريعة والعقائد الحقة وهي معرفة ما يجوز على الله وغيره ولو جهل ذلك كان الله آمرا له بما لا يعلمه وهو محال لانه اما جهل او عبث والمعتزلة يقولون انما يلزم هذا لو كان سؤاله حقيقيا اما لو كان لالزام غيره او تبكيته لمن سألها من قومه فلا وهذا مردود لان السياق يأباه وتفصيله في علم الكلام (بل لم يسأل) موسى من الله تعالى (الا جائزا غير مستحيل) لان سؤال المحال من مثله محال وكونه سأل مع علمه باستحالتها لأن يؤكد الدليل العقلي بالسمع وليطمئن قلبه كما قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى ثم قال ليطمئن قلبي فان العلم يتفاوت قوة وضعفا مردود بان تفاوته غير مسلم والحاصل

لم يسئله لذلك وانما كان علم ان الله متخذا خليلا يحيي الموتى بدعائه فسأل ذلك لنطم اهو هو ام لا ولو سلم فلا يلزم طلب مالا يجوز وسياق الادب عنده بهذه الطريقة اذله ان يقول رب بين لى علم ذلك جوازا او استحالة (ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب) اى جوازه مقررثابت ووقوعه له دون غيره بمشاهدة ربه امر مغيب عن كل احد كسائر المغيبات الجائزة كالحشر وغيرها فالغيب بمعنى المغيب عن البشر (الذي لا يعلمه الا من علمه الله) باخباره به واطلاعه على حاله وقوعا وعدمه مطلقا او فى بعض الاحوال فلذا اعلمه الله به (فقال له الله لن ترانى) اى الرؤيا جائزة ولكنك لا تصل اليها فى الدنيا (اى لن تطيق) اى تقدر (ولا تحتمل رؤيتى) اى لا تقوى عليها فى هذه الحالة وهذا كله مما يدل على الجواز (ثم ضرب له مثالا) اى ان له بمثال من المخلوقات فانه لا يطيق تجلى الله عيانا ليكشف له امرها ويعلم حاله من حال غيره (بما هو) وفى بعض النسخ بما مثلقا بضرب (اقوى من بنية موسى واثبت) اى اشد قوة واكثر ثباتا وبنية بكسر الباء الموحدة وسكون النون الخلقة والتركيب (وهو الجبل) فى قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فانما نشأت الاقوى على عدم ثباته بالطريق الاولى ولما كان استقرار الجبل ممكنا كان ماعلق به (٢) ممكن فاعلم منه جواز الرؤية والى ذلك اشار بقوله (وكل هذا ليس فيه مايحيل رؤيته فى الدنيا) اى فتقتضى استحالته فيها (بل فيه) مايقتضى (جوازها على الجملة) كاسمعته آنفا من ان سؤاله وتعليقه بالممكن يقتضى امكانه وقوله على الجملة بمعنى انه بطريق الاجمال لا التفصيل فانه من قبيل اشارة النص والمعروف فى كلامهم فى الجملة والمعنى واحد لان المراد جواز اقتضاه على طريق الاجمال (وليس فى الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا) دليل قاطع على (امتناعها) وان لم تكن مستحيلة فلا دليل على امتناع وقوعها مطلقا او فى الدنيا (اذكل موجود) فى الخارج جوهرا كان او عرضا لا فى العلم والذهن كما بل لتصور الممتنعات وهو تعليل الجواز لان اداة للتعليل كما حققه النحاة واهل المعانى والتعليق بالمشتق يقتضى عليه مبدأه فالعلة الوجود لا الحدوث وهو مشترك بين البارى تعالى وسائر الموجودات فكما تجوز رؤيتها تجوز رؤيته الا انه قيل انه يقتضى صحة رؤية نحو الاصوات والروائح والطعوم وكيفية الملموس فانها موجودة مع انها غير محسوسة بالبصر الا ان هذا الدليل معدول عن الاشعرى وهو التزم جواز رؤيتها والكلام فى الجواز لا الوقوع (فرؤيته جائزة غير مستحيلة) تفسير للجواز فانه قد يقابل الحرمة والوجوب (ولا حجة) مسلمة عند الخصم (لمن استدل على منعها) اى الرؤية (بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات فى) هذه (الآية) كما حققناه لك فلا افادة فى الاعادة (واذ ليس) معطوف على قوله اذكل موجود او على قوله لاختلاف لان معناه ليس (يقتضى قول من قال) منعها (فى الدنيا الاستحالة) مطلقا بل تخصيص

الدنيا يقتضي وقوعه في الآخرة فيدل على الجواز في الدنيا وهذا رد على المعتزلة فان هذه الآية اعظم ادلتهم على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة ثم بالغ في الرد عليهم بان مااستدلوا به عليهم لا لهم (وقد استدل بعضهم بهذه الآية) اي قوله لاتدركه الآية (نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الحقيقة) كما يعلم من ذكره اختلاف التأويل وانما استدل بها لان نفي الشيء عند العقلاء يقتضي جوازه والا كان عبثا فلا يقال للحائط انه لاعلم له والله تعالى قد ساق نفي ادراك الابصار في سياق المدح وانما يتمدح بأمر ثبوتي كمالي لابالعدم الصرف فكل نفي مدح به تضمن امرا وجوديا كنفي السنة او النوم المتضمن لكمال القيومية ونفي الموت المتضمن للحيوة السرمدية فلو كان نفي الابصار معناه انه لايرى اصلا كسائر المعدومات لم يكن فيه مدح بل المراد لايحيط بعظمته وجلاله الابصار وهذا مافهمه الصحابة رضي الله عنهم ولذا فسره ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بلا يحيط به الابصار كما ذكره المصنف وكذا ذكره غيره ففي الاحاطة تفسير للرؤية بدونها او المراد العموم اي لاتراه جميع الابصار فان منها ماتحجبه فهي سالبة في قوة موجبة جزئية كما مر واليه اشار بقوله (وقد قيل لاتدركه ابصار الكفار وقيل) معنى (لاتدركه الابصار لاتحيط به وهو قول ابن عباس) لانه كما قيل يحتمل ان يكون رفعا للايجاب الكلي بان لايلاحظ الايجاب الكلي اولا ثم يرد عليه النفي وحينئذ لااحتجاج لهم علينا فانا قائلون بان الكفار لايرونه او المنفي ادراك بتقليب الحدقة نحو المرئي فانه المتبادر من اطلاق ادراك البصر وهو المعتاد وانما يحتاج لهذا اذا كان تعريف الابصار استغراقيا والا تكون القضية سالبة مهملة فهي في قوة السالبة الجزئية كما تقرر فمعنى لاتدركه بعض الابصار وتخصيص النفي بالبعض يدل بالمفهوم على الاثبات للبعض فالآية حجة لنا وعلى تقدير تسليم عمومها للاشخاص لانسلم عمومها للاوقات لانها سالبة مطلقة وهي اعم من السالبة الدائمة وماذكر من ان يدركه الابصار موجبة مطلقة فنقيضها سالبة دائمة ممنوع لجواز كون الامر بالعكس بل الظاهر عكسه اقول كونه دالا بالمفهوم على الاثبات للبعض قال بعضهم فيه نظر لان القضية المهملة والدالة على رفع الايجاب الكلي ليس صريح مفهومها السلب الجزئي والعرض للنفي عن البعض بل السلب الجزئي لازم معناها الصريح المحتمل للسلب الكلي والجزئي مع الايجاب للبعض فمجرد كون مفهومها مستلزما للسلب الجزئي لايدل مفهومه على مفهوم السلب الجزئي فلا حجة لنا فيه وانما يكون حجة ان لو كان صريح مفهوم القضية (وقد قيل) في بعض التأويلات (لاتدركه الابصار) نفسها (وانما يدركه المبصرون) يعني ان الادراك نوع من العلم وهو صفة الناظر حقيقة لانفس النظر فانه واسطة وآلة ولايخفى ركاكة هذا التأويل وان كانت عهدته على قائله (وكل هذه التأويلات) السالفة (لاتقتضي منع الرؤية ولا استحالتها)

بل جوازها كما من فلاحجة فيها (وكذلك لاحجة لهم بقوله تعالى لن تراني الآية) التي استدل بها بعض المعتزلة وقال ان لن للنفي المؤبد والمؤكد فاذا نفي عن موسى عليه الصلوة والسلام فغيره يمتنع بالطريق الاولى وقد رد بانها للنفي في المستقبل فقط وكلام الله تعالى وغيره دال عليه كما اثبته النحاة مما هو مشهور في كتبهم ونفي الرؤية عنه لايدل على نفيها عن غيره لانه نفي مخصوص فلا دليل لهم فيه (وقوله تبت اليك) من سؤال الرؤية المقتضي لانه محال وطلب مالايليق فهو ذنب وسيأتي جوابه (لما قدمناه) من ادلة الجواز الصريحة المقتضية لتأويل هذه الآية (ولانها) اي هذه الآية (ليست على العموم) بل مخصوصة بموسى عليه الصلوة والسلام في المسئلة بل والنفي الخاص لايدل على عموم ولا استحالة (ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تأويل) فلادليل فيه على مدعاهم العام ولا على الاستحالة فان القائل بين معنى الآية ولم يذكر انه تفسير مأثور ولانه برهان على المنع العقلي والعموم فلا حجة فيه (وايضا فليس فيه نص الامتناع) اي صريح عموم امتناع الرؤية لكل احد (وانما جاءت في حق موسى عليه الصلوة والسلام) اي ان آية لن تراني مخصوصة بموسى عليه الصلوة والسلام فكيف يستدل بها على امتناع الرؤية مطلقا في الدنيا وغيرها يقظة ومناما كما ذهب اليه المعتزلة ولايلزم من نفي الوقوع نفي الجواز الذي نحن بصدد اثباته (وحيث تتطرق التأويلات) اي اذا امكن تأويل مااستدلوا به (وتتسلط الاحتمالات) اي توجد احتمالات في الدليل (فليس للقطع به سبيل) فلا يصح القطع والجزم بما استدل كما قالوا اذا ظهر الاحتمال سقط الاستدلال وفيما استدلوا به على امتناع الرؤيه امور كثيرة ذكرها المفسرون والمتكلمون كما قدمه المصنف واصل معنى التطرق وجود الطريق وسلوكه فشبه التأويلات بصاحب مطلب وجد الطريق اليه على سبيل الاستعارة التبعية او المكنية والتخييلية وكذا في التسلط لانه من السلاطة وهي القهر والغلبة قال الله تعالى (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) ومنه السلطان كما قاله الراغب وغيره من اهل اللغة وقيل تتطرق من الطرق وهو الخلط او من التطارق وهو التتابع والازدحام وهو عبارة عن كثرتها وهو قريب من التسلط (وقوله تعالى تبت اليك) الذي استدلوا به على انه دال على امتناعه عقلا لندمهم سؤال الرؤيه دنيا لاستحالتها لادلالة على مدعاهم لان له تفسيرا آخر (اي من سؤالي مالم تقدره لي) في الدنيا في ذلك الوقت لحكمة خفية لما غشيه من انوار عظمته حتى صعق كما تقول من فعل امرا جائزا اعتراه فيه مشقة عظيمة تبت عن مثل هذا كما قال ابن سناء السعدي

أأمل مأمولا لغير صدودها ... فوا حجتاي اني الى المجد تائب

وتقدير تصم المرء ساء وتشديد الدال وتخفيفها (وقد قال ابو بكر الهذلي) الامام العلامة علم مدني اقول لعله صاحب الافعال كان من الادباء الظرفاء وله شعر بديع

(ق) تفسير (قوله تعالى لن تراني اى ليس لبشر ان يطيق) اى يقدر (ان ينظر الى فى الدنيا وانه من نظر الى) فيها (مات) وقيل هذا مأخوذ من قوله تعالى وخر موسى صعقا فانه يدل على ان القوى البشرية لاتطيق النظر فى الدنيا لسبحات جلاله الامن اقدره الله تعالى واذا لم يطق ذلك مثل موسى عليه الصلوة والسلام فغيره يموت فجأة لخوفه اولاحراق سبحات النور له وفى هذا دليل على جواز وقوعه فى الدنيا لكنه من وقع له فيها لايعيش كما قيل ان من رأى الملك فى الدنيا يمى كما نقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وان قيل انه لم يصح والمراد عن الانباه هنا (وقد رأيت لبعض السلف) من المتقدمين (و) لبعض (المتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى فى الدنيا ممتنعة) لمانع منها لالذاتها من حيث هى هى لما من من جوازها عقلا فامتناعها لعارض (لضعف تراكيب اهل الدنيا) اى لضعف ابدانهم المركبة كما قال الله تعالى خلق الانسان ضعيفا (وقواهم) جمع قوة وهى امر اودعه الله تعالى فى البدن بها الادراك او المراد به المعنى اللغوى (وكونها) اى التراكيب والقوى او هو راجع للقوى فقط (متغيرة) بالازدياد فى اول امرها ثم النزل والنقص بعده وذلك يدل على ضعفها (غرضا للآفات) هو حال او خبر بعد خبر للكون ولم يعطف لكونه سببا لما قبله وفصل لكمال الاتصال بينهما وفيه ان ذلك مخصوص بالجمل كما حقق فى مباحث الفصل والوصل والغرض بالغين والضاد المعجمتين اصله الهدف الذى ينصب لرمى السهام فشبه الجسد بهدف وآفات الدهر ومصائبه كسهام لاتزال ترمى بها حتى تفنى كما قال ابو العاهية

ان الفتى لغرض الآلام * ترميه نبل الدهر والايام * تصيبه رام ومخطى رام

ويجوز ان يكون بالعين المهملة اى معرضا لها ولكن الاول اصح رواية ودراية وقال المسانى روى معترضة بدل قوله متغيرة اى ذات اعتراض وهى الآفات والامراض او من العرضة اى متعرضة للآفات وقد ضبطهم عرضا بفتح العين المهملة اى منصوبا للآفات مقابلا لها كالهدف والآفة والعاهة كل ماتعرض لشئ فيفسده (والفناء) بفتح الفاء والمد وهو الزوال والعدم (فلم يكن لهم قوة على الرؤية) لضعف ابدانهم وقواهم فى الدنيا (فاذا كان فى الآخرة) اى اذا اخرجهم الله تعالى وادخلهم دار البقاء (وركبوا تركيبا آخر) غير تركيبهم الاول (ورزقوا قوى ثابتة) مثابة ودون ومشاة تحتية اى قوى غير القوى الاولى الدنيوية وفى بعض النسخ باقية موحدة ومثناة فوقية فقوله (باقية) تفسير له اى مخلدة لاتفنى لقوة تركيبها وثبات قواها (واتم انوار ابصارهم وقلوبهم) اى جعلها تامة كاملة مستعدة للبقاء السرمدى (قووا بها على الرؤية) جواب اذا والضمير راجع للمذكورات من التركيب والقوى والانوار التى منحها الله تعالى لهم فى الآخرة

فهذا يدل على وقوع الرؤية في الآخرة وتجوازها في الدنيا لانه لو رزقهم ذلك في الدنيا صح ذلك منهم ايضا ولذا سبق صدر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واودع فيه ماقوى به على ذلك كما تقدم وهذا مما اوحى لايوب عليه الصلوة والسلام قال عطاء اوحى الله لايوب انك لتنظر الى غدا فقال يارب افبهاتين العينين فقال اجعل لك عينين باقيتين فينظر الى الباقي بالباقي (وروى) وفي نسخ وقد رأيت (نحو هذا لمالك بن انس) رحمه الله تعالى (قال لم ير) بضم التحتية ونائب الفاعل عائد على الله (لانه باق ولايرى الباقي بالفاني فاذا كان) النظر او الناظر (في الآخرة ورزقوا ابصارا باقية رؤى الباقي بالباقي) ظاهره ان البقاء الابدى علة لصحة الرؤية والفناء مانع ولا مدخل للفناء في الرؤية كما ان الفناء والحدوث لامدخل له في المنع لان الرؤية بخلق الله وليست مشروطة بشيء عند اهل السنة فكانه اراد ان البقاء يلزمه قوة التركيب والقوى الممدة لصحة النظر فيكون عبر عن مانعه ولذا قيل ان مراده ان الرائي والمرئي لابد ان يكون بينهما مناسبة وابصار هذه الدار فانية فاذا عادت وكساها الله صفة دوام البقاء تحملت رؤية الحي القيوم للمناسبة في الجملة وان كان بقاؤه قديما دائما وبقاؤها طارئ عرضي وهو كلام اقناعي (وهذا كلام حسن مليح) عند على مافيه (وليس فيه دليل على الاستحالة) والامتناع عقلا بل هو دال على الجواز اذلا مانع منه (الامن حيث ضعف القدرة) البشرية في الدنيا (فاذا قوى الله من شاء من عباده) بان رزقه قوة تطيق ذلك (واقدره على حمل اعباء الرؤية) اي حمل له قدرة وطاقة على رؤيته ومشاهدته والاعباء جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة وهو الحمل الثقيل وهو في المحسوسات حقيقة فاستعيرت للمعاني (لم يمتنع) الرؤية (في حقه) لتمكنه منها عامنحه من القوة (وقد تقدم ماذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام ونفوذ ادراكهما) بذال معجمة اي خروجه وبلوغه (بقوة الهية منحاها) بضم اوله مبني للمجهول اي اعطاها (لادراك ماادركاه ورؤية مارأياه والله اعلم) بحقيقة ذلك (وقد ذكر القاضي ابو بكر) محمد بن الطيب امام اهل السنة الباقلاني بالنون نسبة الى الباقلاء على خلاف القياس كالصنعاني توفي سنة ثلاث واربعمائة وقيل ثلاث وسبعين وثلاثمائة قالوا وليس هو الامام ابو بكر بن محمد بن العربي شيخ المصنف (في اثناء اجوبته عن الآيتين) اي في خلال كلامه في الجواب عما استدل به المانعون من الآيتين لاتدركه الابصار ولن تراني (مامعناه) ما موصولة او موصوفة مفعول ذكر اشارة الى انه رواية عنه بالمعنى دون اللفظ والعبارة (ان موسى عليه الصلوة والسلام رأى الله فلذلك خر صعقا) مغشيا عليه مع صحته لان وقوع مثل هذا بمجرد رؤية الجبل دكا بعيد وان جاز ان يكون لتجليه وظهور انواره اكن هذا مناف لظاهر قوله لن تراني وقوله

انظر الى الجبل ولما نقله المصنف اولا من ان الله قسم الكلام والرؤية بين موسى
ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وان الجبل) ايضا (راى ربه) اى خلق فيه ادراكا
وحيوة (فصار دكا) اى ابهة حتى صار ترابا من هيبة الله وذلك (بادراك خلقه الله له)
كما نقله الماتريدى عن الاشعرى رحمهما الله تعالى وهذا مما يدل على جواز الرؤية
لان الذى قدر الجماد على ذلك كيف لا يقدر كمل البشر (واستنبط) اى استخرج
(ذلك) واصل الاستنباط استخراج الماء من البئر فاطلق على مطلق الاستخراج
اواستعارة له وذلك اشارة لرؤية موسى عليه الصلوة والسلام ورؤية الجبل (والله
اعلم) فيه اشارة الى انه لم يصرح به (من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) اى مدكوكا والدك والدق
متقاربان وفسر دكه بانه صار رملا او ترابا وقيل غار وقيل استوى بالارض وقيل
افترق فرقا قال الواحدى هذا الجبل يسمى زبير وليس هو الطور (وخر موسى
صعقا) اى سقط صائحا مغشيا عليه من هول ما رآه من هذا الجبل (وتجليه للجبل هو
ظهوره له حتى رآه) اى شاهد المتجلى ونوره فذاب كما يذوب الحديد من النار فلو
لم يخلق له حيوة وادراكا ورؤية لم يخف خوفا هذه قوته (على هذا القول) اى قول
ابى بكر الباقلانى السابق بان موسى والجبل رأياه معا وهذا بناء على مذهب اهل
السنة فى انه يجوز خلق العلم والنظر فى اى جرم اراد وليس من شرطه البنية والمزاج
كما قاله المعتزلة فانه وهم باطل كما قاله ابن عرفة فقيل هذا غير ظاهر لان التجلى لموسى
لا للجبل وكون موسى خر صعقا انما هو لدكه الجبل وشدة وقوعه لا من تجلى الله له
ورؤيته وبيانه قوله (وقال جعفر) الصادق (بن محمد) المتقدم ترجمته (شغله)
الله تعالى (بالجبل) واشتغاله بدكه حين امر بالنظر اليه (حتى تجلى) اى ظهر
ظهورا تاما لموسى عليه الصلوة والسلام فرآه (ولولا ذلك) اى اشغاله بالجبل بان ظهر له
نور التجلى ابتداء (لمات صعقا) بسكون العين وكسرها وعلى الاول هو تمييز وعلى
الثانى حال (بلا افاقة) من صعقته وغشيه (وقوله هذا) اى قول جعفر (يدل على
ان موسى عليه الصلوة والسلام رآه) كالجبل لانه معنى التجلى لانه لا يقال تجلى له
الا اذا شاهده ثم قيل من انه فى غاية البعد لان التجلى الواقع فى الآية انما هو للجبل
لا لموسى عليه الصلوة والسلام غير جيد لان المصنف رحمه الله تعالى انما فى كلامه
على ما قاله هؤلاء وفهموه و[illegible] لا مزيد عليه فان حاصله ان موسى لما سأل الرؤية
فى مناجاته لربه امره بالنظر للجبل المؤمن به حتى اذا تجلى له ابتداء لم يهلك وخرقه
الانوار ويموت وهذا بناء على انه حين صعق لم يمت وذهب كثير من المفسرين الى انه
مات ثم احياه الله وما قاله هؤلاء يخالف كلام المفسرين فانهم ذهبوا الى انه انما امر
موسى عليه الصلوة والسلام بالنظر للجبل وذكر ليعلم انه لا طاقة له على رؤيته تعالى

فان ما لا تطيقه الجبال كيف تطيقه بنية الانسان (وقد وقع لبعض المفسرين) انه قال (في الجبل انه رآه) بحيوة وادراك خلقه الله تعالى فيه فرآه وشاهده وقد نقله الماتريدي عن الاشعري وهو الظاهر من التجلي وان حملوه على معنى آخر قال في الكشاف في تفسيره فلما ظهر اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا والظاهر انه عنده استعارة تمثيلية وقيل انه على حذف مضاف وفيه مجاز آخر حيث اسند التجلي للاقتدار وليس بشيء (ورؤية الجبل له) اي لله عز وجل (استدل من قال برؤية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم له) فان الجبل ليس له ادراك ونظر الا انه يجوز ان يخلق الله فيه ذلك وليس جعله دكا متوقفا على الرؤية ومستلزما لها ولو كان كذلك قال فان رأى واستقر فانما ذكره ليعلم موسى عدم طاقته لمشاهدة نور الانوار وفي الحقيقة جعله دليلا فيه مافيه الا ان يقال معنى قوله (اذ جعله دليلا على الجواز) انه جعل تعلق الرؤية بامر ممكن في نفسه دليلا على جوازها فاذا كانت امرا جائزا لا حاجة لتأويل الاحاديث الواردة بانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه (ولا مرية) بكسر الميم وضمها معناها الشك والتردد (في الجواز) اي جواز الرؤية (اذ ليس في الآيات) التي استدل بها على عدمها كآية لا تدركه الابصار ولن تراني ونحوها (نص في المنع) للرؤية صريح فيه اذ هي مأولة بل مشيرة للجواز كما مر (واما وجوبه لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) اي وجوب وقوع رؤيته لربه في الاسراء بعين رأسه واعترض عليه بانه لم يقل احد بالوجوب وانما قيل بالجواز والوقوع والجواب بانه من خصائصه التي يجب اعتقادها تعسف وليس المراد وجوبه على الله حتى يقال انه لا يجب عليه شيء وكل ذلك تخيل فضل منه وقيل المراد وجوب الجواز لان الجائز عقلا اذا وقع في الخارج انقلب واجبا بالغير وان كان في حد ذاته ممكنا والمراد وقوع الرؤية اشهى ولا يخفى ما فيه من التعسف والتمحل الذي لا تساعده العبارة وكون الجائز اذا وقع انقلب واجبا لغيره لا معنى له فالظاهر ان يقول ان الوجوب هنا بمعناه الاصطلاحي لانه لو ورد مصرحا به في نص قطعي من القرآن او الحديث المتواتر او المشهور وجب علينا اعتقاده ولا يسع احدا من اهل الملة ان يخالف فيه واليه اشار في آخر الفصل بقوله وجب المصير اليه الا ترى انه لما صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بالاسراء وورد في القرآن انه اسرى به من الحرم للبيت المقدس لا يجوز انكاره سواء كان مناما او يقظة اوهو بمعناه اللغوي وهو الوقوع فانه اصل معناه واطلاق الواجب على اللازم عقلا او شرعا معنى عرفي منقول منه والمراد بالعرف فيه عرف اللغة وهذا مما صرح به ائمة اللغة والمصنف منهم قال الامام الراغب فقال وجبت الشمس اذا وقعت ومنه قوله فاذا وجبت جنوبها وقول الفقهاء الواجب اذا لم يفعل استحق عليه العقاب وصف له بما هو

عارض له فيجرى مجرى قولك الانسان اذا مشى مشى برجلين اسفى والى هذا اشار فقهاؤنا فى الفرق بين الفرض والواجب فقوله (والقول بانه رآه بنفسه) يشير اليه من طرف خفى فلااشكال فى كلامه وهذا يقع فى مقابلة الجائز عنى الممكن فلا وقوع كما صرح به الراغب ايضا فلايرد على ماقلنا ان وقوعه فى مقابلة الجائز فى كلامه فانه فان هذا كله انما جاء من توهم انه اريد بهما ماقاله الفقهـاء وقوله بنفسه متعلق برآه او توكيد للضمير ففيه صنعة من البديع وهى حسنة اذا جاءت احيانا من غير تكلف لا كما يقصده بعض شعراء مصر فانه قبيح وهذا كقوله

رايت من اهواه لما ان رما * فقلت هذا قاتلى بنفسه

(فليس فيه قاطع) اى دليل قطعى (ايضا) اى كما ان المنع لم يقم لمدعيه دليل قطعى (ولا نص) اى دليل صريح فيه من الكتاب والسنة (اذ المعول فيه) اى المعتمد فى استدلالهم على وقوعه لنبينـا صلى الله تعـالى عليه وسـلم (على آيتى) اى على آيتين فى سورة (النجم) ما كذب الفؤاد مارأى ولقـد رآه نزلة اخرى الآية * (والتنازع فيهمـا مأثور) اى النزاع فى المراد منهمـا منقول عن سلف المفسرين والمتكلمين كما مر للقول بان الضمير لجبريل والرؤية له بصورته الاصلية (والاحتمال لهما ممكن) لعدم صراحتهما وقطعيتهما فى المدعى (ولا اثر) اى حديث (قاطع متواتر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) اى بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه بعين رأسه (وحديث ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما الموقوف عليه المتقدم الذى ذكر فيه انه رآه بعينه (خبر عن اعتقاده) اى اخبر به عما كان يعتقده بحسب ماادى اليه علمه الجازم (ولم يسنده الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لم ينقله عنه ويقول انه صرح له بذلك حتى يعتبر (فيجب العمل) اى القول به والجزم (باعتقاد مضمنه) بضم الميم الاولى وفتح الضاد المعجمة والميم المفتوحة المشددة اى ماتضمنه ودل عليه لفظه من رؤيته صلى الله تعـالى عليه وسلم لربه بعينه فسماه عملا لانه من الاعمـال القلبية وان اشتهر ان العمل فيما يكون بالجوارح الظـاهرة يعنى ان الرؤية العينية ليس فيها نص قرآنى ولاحديث قطعى حتى يجب اعتقاده ويكفر منكره لمخالفـه كثير من الصحابة والعلماء فى وقوعها وان كان الراجح عندهم ثبوتهـا وبه صرح العراقى والنووى واليه ذهب المصنف رحمه الله تعالى وان قيل انه مال لخلافه فى شرح مسلم (ومثله) اى مثل قول ابن عباس فى اثبات الرؤية (حديث ابى ذر) الغفارى رضى الله عنه الذى رواه مسلم قال سألته صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأيت ربك فقال رأيت نورا الى آخره (فى تفسير الآية) يعنى آية سورة النجم (وحديث معاذ) ابن جبل (محتمل للتأويل) بما مر (وهو مضطرب الاسناد) اى الطرق فى روايته (والمتن) هو نفس الحديث وكلام الرسول الذى رواه لانه المراد منه والمتن اصله

الظهر الذي به قوام البدن فشبه به مايقصد من الكلام كلفظ الحديث واللفظ المنقول ليشرح واضطرابه اختلاله واختلافه افتعال من الصرف قيل اضطراب سنده لانه رواه تارة عن ابن عباس الحضرمي مرسلا لانه ليس بصحابي وتارة عن معاذ بن جبل واضطراب متنه لانه قال فيه رأيت ربي في احسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث الذي تقدم وفيه لما صلى الغداة قال صليت الليلة ماقضي لي ثم وضعت جنبي فاتاني ربي وفي اخرى عنه قمت من الليل فصليت ماقدر لي فنعست في صلوتي حتى استيقظت فاذا انا بربي واختلافه والسند واحد يوجب الاضطراب وفيه ان الحديث بطوله رواه ابن حنبل والترمذي وقال انه حسن غريب وقال انه صحيح الاسناد وهو احسن مايتمسك به في الرؤية وكذا قال المنذري في الترغيب فما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من اضطرابه ان اراد معناه اللغوي لاختلاف الفاظه فهو غير قادح لان الحديث الواحد قد تختلف الفاظه ولا يختلف معناه وان اراد معناه الاصطلاحي وهو مااختلف فيه راويان فاكثر فرووه بوجوه مختلفة لم يترجح احدها فليس فيه شيء منه ولو كان كذلك اوجب ضعفه وائمة الحديث صححوه كما سمعته آنفا وفيه نظر (وحديث ابي ذر الآخر مختلف) الفاظه المروية ومثله قد يوجب الضعف لدلالته على عدم ضبط الراوي (محتمل) للرؤية القلبية وغيرها (مشكل) من حيث المعنى لجعله ذاته تعالى نورا (فروي) بالبناء للمجهول (نور) منون مرفوع وروي منصوبا ايضا (انى) بفتح الهمزة وتشديد النون والف بعدها مقصور بمعنى كيف (اراه) اي معنى وجهي او ظهر لي نور اورأيت نورا غشاني فكيف ارى ذات الله وقد حال بيني وبينه سحاب النور المانعة من الرؤية في جاري العادة وروي نوراني بالنسبة للنور على خلاف القياس كصنعاني وقيل انه تصحيف والصواب الاول وفي المقفى للبرهان يحتمل هذه الرواية ما سبق بان يكون معناه الخالق للنور المانع للرؤية فهو من صفات الافعال وقال المصنف رحمه الله تعالى لم ار هذه الرواية ومن المستحيل ان يكون ذاته نورا لانه جسم وهو تعالى منزه عنه باجماع المسلمين ومعنى نور السموات منورها او هادي اهلها او منور قلوبهم او ذو بهجة وجمال وقال العراقي في تخريج احاديث الاحياء مارأيت لهذا الحديث منكرا وقال ابن خزيمة في امام من صحح اسناده شيء وزاد احمد في حديث ابي ذر رجال اسناده رجال الصحيح انتهى وقيل هذا الحديث لايسعر برؤيته ولا بعدمها والمعنى على روايته هو الاول وكيف للانكار او التعجب اي كيف تمكن من رؤيته ويحتمل انه قاله لان عنده من حديث اسلامه من لايفهم مراده لانه روى رأيت نورا وماذكره البرهان تكلف فان النور من اسمائه تعالى * اقول كل هذا كلام مدخول والذي ارتضاه الغزالي كما أن النور يطلق على الله تعالى حقيقة فان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره

وهو وان كان منزعا حكميا صوفيا فقد وقع فى كلام الاشعرى مايوافقه فانه قال الله نور ليس كالانوار كما سيأتى وعلى هذا فالروايتان بمعنى فانه نور الحق هو غاية الظهور فان فهمت فهو نور على نور وقوله انه حسن غير مسلم (وحكى) اى نقل (بعض مشايخنا انه ٢) اى هذا الحديث او هذا اللفظ (نور انى اراه) قد عرفت معناه وسمعت ماقاله المصنف اى فى شرح مسلم من ان هذه الرواية لم تثبت (وفى حديثه) اى حديث ابى ذر (الآخر) اى المروى من طريق آخر (سألته) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت له هل رأيت ربك (فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت نورا) هذا محتمل لان يكون اطلق عليه النور حقيقة كما مر او باعتبار لازمه كسائر اسمائه التى لاتليق حقيقتها به او ان المراد انه لم يره لان حجابه النور والى هذا اشار المصنف بقوله (فهو) اى النبى صلى الله عليه وسلم (قد اخبر انه لم ير الله تعالى وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى) بناء على مافهمه ولم يرتضه بعض الشراح (والى هذا) المعنى وانه لم يره (يرجع قوله نور انى اراه) فانه تعجب او انكار لرؤيته (اى كيف اراه) هذا كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله) فكيف للانكار او التعجب اى كيف يتمكن من رؤيته (مع حجاب النور المغشى للبصر) اى الساتر او المانع له عن الرؤية كالغشاوة (وهذا مثل مافى الحديث الآخر حجابه النور) وهذا الحديث رواه مسلم والطيالسى والبخارى عن ابى موسى الاشعرى وهو ان الله لاينام ولاينبغى له ان ينام ولكنه يخفض القسط ويرفعه ويرفع عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وهو حديث صحيح (وفى الحديث الآخر لم اره بعينى ولكن رأيته بقلبى مرتين وتلى) قوله تعالى (ثم دنى فتدلى) اى نزل ليقرب من عبده وهذا بناء على ان الضمير فيهما لله تعالى لا لجبريل عليه الصلوة والسلام وبناؤه من المتشابه كقوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا والكلام فيه مشهور ثم بين معنى الرؤية القلبية فقال (والله قادر على خلق الادراك الذى فى البصر فى القلب) بان يدرك بقلبه مايدرك ببصره حتى يكون مشاهدا محسوسا له وانما على ذاته لان فى القلب نورا هو مبدأ الابصار ويقربه الله حتى يرى بلا واسطة للعين (او كيف شاء) اى بكيفية اخرى غير خلق الادراك فى قلبه ارادها لمن اراد ان يجلى له بان يخلق له علما ضروريا يدركه به على وجه لايعلمه الا هو (لا اله غيره فان ورد حديث نص) صريح (بين فى الباب) فى ثبوت الرؤية له يجب لا يحتمل التأويل (اعتقد) بالبناء للمجهول اى اعتقده كل من وقف عليه وثبت عنده (ووجب المصير اليه) اى وجب علينا ان نذهب لاعتقاده ولانعدل عنه (اذلا استحالة فيه) اى فيما ذكر من صحة الرؤية ووقوعها وهذا معنى الوجوب الذى قاله اولا كما وعدناك به (ولامانع قطعى يرده) فيمنع من اعتقاده ويوجب تأويله اوالوقف فيه

(٢) شيوخنا انه روى بسنده

كسائر المتشابهات (والله الموفق للصواب) اى الخالق للتوفيق الملهم به على عباده وفى الختم بهذا لطف لمافيه من الاشارة الى ان تعارض احاديث الرؤية محتاج للموفق لمن يرد التوفيق ولاشبهة فيما قاله وهو لايسا فى ان الاصح الراجح انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بين رأسه حين اسرى به كما ذهب اليه اكثر الصحابة الا انه لما ورد ونقل خلافه ايضا ذهب الى انه امر غير قطعى فالاعتراض عليه بانه ان اراد بالقطعى كلام الله او حديثا متواترا فمسلم لكنه ليس بلازم فكم من امر عليه او جزمنا به وهو ليس فى القرآن ولا فى الحديث المتواتر وان اراد انه ليس فيه حديث صحيح صريح يعمل به فهو غير مسلم ساقط واه تركه خير منه والله اعلم ﴿فصل واما ماورد فى هذه القصة﴾ اى قصة الاسراء (من مناجاته لله تعالى) اى مخاطبته له ومحادثته لما ارتفع الى المقام الاعلى والمناجاة تكون بمعنى اخاديه وبمعنى المسارة بما(٢) يرضاه واصل معناها ان تخلو من حاطته على نحوه اى مكان مرتفع من الارض وقيل هو من النجاة لان من سره يحاول ان يطلع عليه غيره ثم شاع فى مطلق المخاطبة فلذا عطف عليه قوله (وكلامه معه) اى من المراد به والضمير الاول للرسول كضمير مناجاته او لله كضمير معه اى كلامه معه الثابت (بقوله فاوحى الى عبده) المقرب اليه والى سرادقات عظمته وهو الرسول المكرم صلى الله عليه وسلم او جبريل وقد مر ان مقام العبودية اشرف المقامات فلذا قال الى عبده ولم يقل رسوله ولا نبيه (ما اوحى) اى ما يوحى امرا عظيما لا يحيط به العبارة ففى الابهام اشارة الى تفخيمه وتعظيمه وانه محرم الاسرار وبحر المعارف (٣) لا يطلع على ما اطلعه الله عليه غيره ففى الابهام ولفظ العبد هنا موقع لا يليق بغيره (الى ما تضمنته الاحاديث) الآتية والى بمعنى مع او غايته لابتداء مقدر اى ينتهى من الكلام الى ما تضمنته الاحاديث (فاكثر المفسرين) جواب ما قبل الاكثر قائله الكثير فلا يناسب معاندته الشاذ والنادر منهم فحق العبارة جمهور المفسرين والامر فيه سهل (على ان الموحى) اسم فاعل اوحى اى الفاعل للايحاء فى قوله فاوحى فى هذه الآية (الله الى جبريل عليه الصلوة والسلام وجبريل الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الاشذوذا منهم) اى الاجماع من المفسرين فلذلة شاذة خالفوهم فيه فشذوذا اما جمع شاذ كقعود جمع قاعد او مصدر اطلق على الفاعل مبالغة فى انفرادهم به حتى كانهم عينه (فذكر) مبنى للمفعول (عن جعفر بن محمد الصادق) صفة جعفر وقد تقدمت ترجمته انه (قال اوحى اليه بلا واسطة) اى كلم الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بلا واسطة ملك اوغيره والمراد بالوحى هنا الكلام وان كان اعم منه فعلى هذا ضمير اوحى لله والمراد بالعبد محمد صلى الله عليه وسلم وهذا بيان لمذهب الشاذ (ونحوه) اى ومثل ماقاله جعفر نقل (عن الواسطى) وقد تقدمت ترجمته (والى هذا) القول المنقول عن جعفر والواسطى (ذهب بعض المتكلمين ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه فى الاسراء) فتح همزة ان وهو وما بعده بدل من هذا (وحكى) بناء المجهول (عن الاشعرى وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس) رضى الله تعالى

(٢) بما يسره

(٣) محرم الاسرار المعارف نسخه

عنهم (وانكره) اى انكر تكلم الله له صلى الله تعالى عليه وسلم بلا واسطة قوم (آخرون) وليس المنكر النقل فقط كما يوهم لان السياق يأباه (وذكر النقاش) السابق ذكره فى تفسيره المشهور نقلا (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قصة الاسراء عنه عليه الصلوة والسلام فى) تفسير (قوله دنى فتدلى قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فارقنى جبريل) اى تخلف عنه فى المعراج لان له مقاما لا يتعداه (فانقطعت الاصوات عنى) بعد ما فارقته وبعدت عنه (فسمعت كلام ربى وهو يقول لى) جملة حالية اى قائلا لى (اهدأ روعك يا محمد) بلام الامر ويهدأ بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الهاء ودال مهملة خفيفة مفتوحة وهمزة ساكنة لانه مضارع مجزوم بلام الامر فاذا ابدل الهاء جاز حذفها كالمعتل الاخر والروع بفتح الراء الخوف والهدأ معناه السكون والمعنى ليسكن فزعك اى ليذهب فزعك وخوفك ويجوز ضم الراء المهملة والروع بالضم القلب والمراد ليقر قلبك ولا تضطرب من الخوف ويجوز ان يراد بالمفتوح ايضا القلب لانه محله فالروايتان بمعنى (ادن ادن) امر من الدنو وهو القرب اى تقدم وادخل الى حظائر القدس واعاده له تبسيطا له صلى الله تعالى عليه وسلم واحلاء لمنزلته وتأنيسا لاستيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات ولذا امره باطمئنان قلبه اولا وكرر امره تأكيدا او بيانا لزيادة قربه من الله تعالى وان كان اقرب اليه فى كل حال لتنزهه عن المكان واتحادا بالمسافة له فاحتياره عنه بقوله دنا اشاره الى امتثاله الامر (وفى حديث انس رضى الله تعالى عنه فى الاسراء) السابق ذكره (نحو منه) اى ما يفيد مثله فالحاصل فى قوله فاوحى الآية ان الضمير الاول فى اوحى لجبريل وفى عبده لله والمراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اضمار ولى الذكر لانه معلوم وضمير اوحى الثانى يجوز ان يكون لجبريل وفيه تفخيم وتعظيم للوحى اولله اى اوحى جبريل لعبد الله محمد ما اوحى الله اليه ويجوز ان يكون الضمير فى اوحى الاول لله وعبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اى اوحى الله الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ان يكون المراد بعبده جبريل اى اوحى الله تعالى الى جبريل والضمير فى اوحى الثانى لله اى اوحى الله الى عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما اوحاه الله اليه ففيه تفخيم للوحى ايضا ويجوز ان يكون لجبريل اى اوحى الله الى عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما اوحى جبريل اليه فايحاؤه اليه بواسطة وعلى ان المراد بعبده جبريل وضمير اوحى الثانى لله والمعنى اوحى الله لعبده جبريل ما اوحى الله اليه ففيه تفخيم وعلى ان المراد به عبده جبريل وضمير اوحى الثانى له اى اوحى الله لعبده جبريل ما اوحى جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم او لكل رسول لانه امين وحيه وما مصدرية او موصولة والذى اوحاه احكامه او امر الصلوة او اوحى اليه لا يدخل نبى ولا امة الجنة قبلك وقيل امتك او هو سر فى سر كامل

من المحرر سر لسر تعرفه : قول ولا فلم للحاق شكه

وسيأتي تفسير بقية الآية وتحقيقه (وقد احتجوا في هذا) اي استدلوا على انه تعالى كلمه بلا واسطة (بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء) ووجه الاحتجاج بينه بقوله (فقالوا هي) اقسام الكلام المثبتة في هذه الآية على وجه يفيد نفي ما عداها لان معنى ما كان لا يصح ولا يقع (ثلاثة اقسام) منحصرة فيها الاول منها الكلام (من وراء حجاب) يحجب من خاطبه وكلمه عن رؤية ذاته لا يحجب الله فانه يراه ولا يحجبه شيء كما من فصله فهو يسمع كلامه من غير واسطة وهو لا يراه والحجاب سحاب النور وما لا يعلمه الا الله (كتكلام موسى) اي كتكليمه تعالى لموسى عليه الصلوة والسلام في الدنيا وموسى لا يراه فالتشبيه بما ذكر فانه سمع من الشجرة كلام الله تعالى بغير واسطة ملك وهو لا يرى ذاته تعالى (و) القسم الثاني من الوحي يكون (بارسال الملائكة) الى رسل البشر ليبلغوهم كلامه تعالى ووحيه الذي اوحاه اليهم وهذه الحالة في الوحي (كحال جميع الانبياء) عليهم الصلوة والسلام (واكثر حال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وموسى ايضا في غير ما ندر من كلامهما بغير واسطة في الدنيا ولو سواء رأوا الملك او لم يروه فان الوحي على اقسام كما كان يسمع كصلصلة الجرس من غير ان يراه وفيه نظر فان هذا داخل في قوله وحيا او في قوله بارسال الملائكة اشارة الى انه غير مختص بجبريل لما روي ان اسرافيل عليه الصلوة والسلام وكل به صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث سنين في اول الامر وقد قسموا الوحي الى نحو اربعين قسما ولكنها لا تخرج عن هذه الاقسام (الثالث) من اقسام الوحي وكلام الله لرسله عليهم الصلوة والسلام (قوله وحيا) اي القاء في قلبه بالهام ونحوه قال الراغب في مفرداته اصل الوحي الاشارة السريعة ولتضمنه السرعة قيل امر وحي وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وباشارة بعض الجوارح وبالكتابة وقال المالكي لانه انه وحي وهو على اضرب حسبما دل عليه قوله وما كان لبشر الى آخره فذلك اما برسول مشاهد يرى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صورة معينة واما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله واما بالقاء في الروع كما ذكر ان روح القدس نفث في روعي واما بالهام او منام اسمى فالاخير هو المراد بالوحي هنا وسيشير اليه المصنف (ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة) اي الكلام من غير واسطة وهو في الاصل مأخوذ من الشفة فتجوز به عن هذه المخاطبة والمكالمة (مع المشاهدة) اي معاينة المخاطب لمن كلمه من غير واسطة ولا حجاب مانع من الرؤية فخص الله بها من شاء من خاص عباده المقربين كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقد استدل بهذه الآية على نفي الرؤية لحصر تكلم البشر في الثلاثة فاذا لم يره من يكلمه وقت الكلام لم يره غيره اجماعا واذا لم يره هو اصلا لم يره غيره ايضا اذ لا قائل بالفصل والجواب

انه يحتمل ان يكون المراد حصر التكلم في الدنيا في هذه الثلاثة او نقول يجوز ان تقع الرؤية حال التكليم وحينئذ فالوحي كلام بسرعة كما قرر وهو لا ينافي الرؤية فلا دليل على ما ذكر اصلا كما حققه ابن الخطيب في رسالته المشهورة بعني ان اعلام احد احدا بامر اما بغير مشافهة وكلام معروف او بمشافهة بواسطة او بدونها والثاني اما مع مشاهدة او بدونها فانحصر في هذه الصور الاربعة والآية استوفت الاقسام الا ما كان مع مشاهدة الذي خص الله من اراد وقد علمت ان ما ذكره غير متعين ولذا قال بعضهم ان قوله لم يبق الا المشافهة مع المشاهدة ممنوع الا ان يسند منعه غير صحيح ولم يشرح احد منهم على تحرير كلامه هنا (وقد قيل) القائل هو الراغب وغيره كما سمعته آنفا (الوحي هنا) في هذه الآية (هو ما يلقيه في قلب النبي) اي في قلب اي نبي كان من الانبياء عليهم الصلوة والسلام الهاما ونحوه (دون واسطة) اي بغير واسطة ملك يبلغه ما اوحاه الله اليه والالهام كما قال الزركشي ما حرك القلب بعلم يلقيه الله فيه يدعوه الى العمل به من غير نظر واستدلال بحجة والذي عليه الجمهور انه خيال لا يجوز العمل به الا عند فقد الحجة وذهب بعضهم الى انه حجة بمنزلة الوحي بقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها ونحوه وقال السمعاني انكار اصله لا يجوز انتهى ولا يخفى ان الخلاف في غير الهام الانبياء ومن كان في حكمهم فانه وحي وعلى هذا ينبني ما في شرح جمع الجوامع وقال الواحدي في تفسيره نقلا عن الواقدي في تفسير قوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى) الآية ان الرسول الذي ارسل الى الخلق بارسال جبريل عيانا وشفاها والنبي تكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وقال النووي في تهذيبه ما ظاهره ان النبوة المجردة لا تكون بنزول الملك بذلك وليس كذلك وكلام العراقي الذي استشهد به رد عليه انتهى (وقد ذكر ابو بكر البزار) بموحدة وراء معجمة والف وراء نسبة لعمل بزر الكتان واستخراج زيته وهي لغة بغدادية وهو الامام الحافظ الذي تقدمت ترجمته (عن علي كرم الله وجهه في حديث الاسراء) الذي رواه المصنف رحمه الله تعالى تمامه في اول الباب (ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكلام الله من الآية) يعني قوله تعالى (فاوحى الى عبده ما اوحى) لان الآية فيها احتمالات وحديث علي رضي الله تعالى عنه فيه التصريح بسماعه صلى الله تعالى عليه وسلم كلام الله من وراء الحجاب وقوله صدق عبدي فلا يأباه كون ضمير عبده لجبريل في قول وان خلافه شاذ وكذا كون الوحي في الآية مبهم وثمة معنى ولا ينافيه اختصاص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بالمشافهة مع الرؤية اختصاص موسى عليه الصلوة والسلام بالتكليم كما توهم (وذكر) اي البزار او علي رضي الله تعالى عنه (فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب) اي قال الله

تعالى لملك الاذان (صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك) الاقوله حي على الصلوة حي على الفلاح كما مر ولكونه معلوما لم ينبه عليه ووجهه ان المشروع لسامع الاذان ان يقول مايقوله المؤذنون كله بكلمة تصدقا له باقراره الاقوله حي على الصلوة الى آخره فانه يقول فيه لاحول ولاقوة الا بالله وهذا لايليق به تعالى فلذا لم يحبه ﴿ تنبيه ﴾ هنا امران الاول اختلف العلماء في صفة الاذان على اربع صفات (٢) مشهورة * احدها تثنية التكبير وتربيع الشهادتين وباقيه مثنى وهو مذهب اهل المدينة ومالك وغيره واختار جماعة من اصحاب مالك الترجيع وهو ان يثنى الشهادتين اولا خفيا ثم يثنيهما مرة ثانية برفع الصوت * والصفة الثانية اذان المكيين وبه قال الشافعي رحمه الله تعالى وهو تربيع التكبير الاول والشهادتين وتثنية باقي الاذان * والصفة الثالثة اذان الكوفيين وهو تربيع التكبير الاول وتثنية باقي الاذان وبه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى * والصفة الرابعة اذان البصريين وهو تربيع التكبير الاول وتثليث الشهادتين وحي على الصلوة وحي على الفلاح يبدأ باشهد ان لا اله الا الله حتى يصل حي على الفلاح ثم يعيده كذلك مرة ثانية اعني الاربع كلمات تبعا ثم يعيده ثالثة وبه قال الحسن البصري وابن سيرين كذا قال ابن رشد في كفاية المقتصد * الثاني ان حديث علي رضي الله تعالى عنه يقتضي ان الاذان شرع ليلة المعراج وحديث الصحيحين المشهور انه شرع بعد الهجرة بن لمارآه بعض الصحابة في منامه كما مر ولايخفى مابين الحديثين من التعارض ولم يتعرض احد للتوفيق بينهما وان اعترض ذلك بانه كيف يثبت التشريع بمنام لغير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجيب بانه ثبت بوحي لكنه صادف ذلك المنام فاظهر العمل به تطييبا لقلوبهم وجبرا لخواطرهم والظاهر ان يقال انه ثبت بحديث الاسراء الا انه لم يبين له زمانه ولم يمكن اعلامه به قبل الهجرة فاخر ذلك حتى يستقر ظهور الدين وبهذا يتم التوفيق بينهما (وتحقيق الكلام في) بيان (مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد

هذا مع مايتعلق به وفي اول فصل من الباب بعده) وسيذكر مافيه ثمة (وكلام الله) عز وجل (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اختصه من انبيائه) اختص ورد لازما ومتعديا كما هنا بمعنى خصه (جائز غير ممتنع عقلا) اي ثبت جوازه وعدم امتناعه عقلا وسمعا كما مر فلا نصير نزاع المعتزلة فيه كما توهم (ولا ورد في الشرع قاطع بمنعه) اي دليل قطعي بمنعه كما لم يرد دليل قطعي بثبوته ايضا (فان صح في ذلك) اي في الكلام بلاواسطة لغير موسى عليه الصلوة والسلام (خبر اعتمد عليه) في الجزم بوقوعه وروي احتمل وكلاهما مبني للمجهول كما قاله البرهان (وكلامه تعالى لموسى) وروي ومكالمته لموسى عليه الصلوة والسلام (كائن حق مقطوع به نص ذلك) بالبناء للمجهول على الحذف والايصال كمشترك اي نص بيانه (في الكتاب) العزيز والقرآن (واكده)

(٢) كيفيات سبعة

الله تعالى (بالمصدر دلالة على الحقيقة) اى دلالة على ان الكلام فيه بمعناه الحقيقى
وان اختلف اهل السنة فى معناه الحقيقى القديم بل هو الكلام اللفظى او المعنى
كما ذهب اليه الاشعرى وتحقيقه فى كتب الاصول وهو مبحث طويل الذيل لا يسعه
هذا المقام وهذا رد على المعتزلة القائلين بان الله لم يكلمه وانما خلق الكلام فى جسم آخر
كالشجرة فسمعه عليه الصلوة والسلام منها لانهم نفوا الكلام النفسى وقالوا اللفظى
حادث لا يقوم بذاته ودعوى قدمه لا تعقل عندهم فمعنى متكلم عندهم خالق الكلام
وموجده قائما بغيره فان قالوا انه حقيقة لانه الخالق له والفاعل فباطل لان الفاعل
الحقيقى فى اللغة من قام به الفعل لا من اوجده فهذا ناش من عدم الفرق بين الفاعل
الحقيقى اللغوى والحقيقى فى الحقيقة ونفس الامر كما حققه الابهرى فى حواشى العضد
ويلزمهم اثبات المشتق بدون ثبوت مأخذه له فان قالوا هو مجاز فالتأكيد بالمصدر فى قوله
وكلم الله موسى تكليما يرده لان التأكيد اللفظى والمعنوى يمنع التجوز كما ذكره اهل
المعانى وهذا من قبيل الاول كما اشار اليه المصنف هكذا قرره الاصوليون ورده ابن
عبد السلام بان التأكيد بالمصدر لمنع التجوز فى الطرف ودفع الشك فى الحديث
لا المحدث عنه والاسناد اذ التأكيد انما هو للفعل فالكلام وقع حقيقة ولكن ممن
صدر والتأكيد لتحقيق وقوعه فقط واجاب ابن عرفة بان تأكيد المصدر وان كان
لازالة الشك فى الحديث فلابد من ملاحظة من صدر عنه فهو لازالة الشك
عن حدث فلان ولذا قال السائبيون فى قول هند زوجة روح بن زنباع تهجوه
بكى الخز من روح وانكر جلده * وعجت عجيجا من جذام المطارف
انه ترشيح للمجاز اقول هذا كلام ساقط جدا فانهم ادعوا ان تأكيد المصدر
يرفع التجوز عن الاسناد فمقتضى ان الكلم مسند لفاعله الحقيقى والمعترض عنه
يقول انما يمنع التجوز فى الطرف وهو الكلام لا مؤكد لفعله كما صرح به واهل المعانى
لم يتعرضوا لهذا والنقض وارد عليهم لان المرشح مجاز وقد اكد فلا يمنع مجازا اصلا
وكونه ترشيحا عليه لا له وبهذا عرف ما ورد على المصنف (ورفع مكانه) اى
مكان موسى الكليم (على ما ورد فى الحديث) الصحيح الذى فيه مقامات الانبياء
عليهم الصلوة والسلام الذين لقيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى السموات حين
اسرى به انه (فى السماء السابعة) هذا بناء على بعض الروايات والذى صححه الحاكم
وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى السماء السادسة وجزم به ابن المنير وغيره
وما ذكره المصنف رحمه الله موافق لما ذكره البخارى فى التوحيد وعدل
عن المشهور لانه انسب بمراده فالقول بانه غلط وان الذى فى السماء السابعة ابراهيم
عليه الصلوة والسلام وهم من قائله وقوله (بسبب كلامه) متعلق برفع اى بسبب
رفعه عليه الصلوة والسلام على غيره كونه شرفه بكلامه فى الدنيا (ورفع محمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم) حين اسرى به (فوق هذا كله) اى فوق هذه المقامات كلها

في حيوته صلى الله تعالى عليه وسلم بهيكله البشرى (حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام) تقدم شرحه (فكيف يستحيل) ويمتنع عقلا (في حق هذا و بعد) بعد جوازه وثبوت مايدل عليه (سماع الكلام) من كلام الله تعالى بغير واسطة (فسبحان) تنزيه لله وتعظيم له حمداله على ما انعم به لايخفى فانه غير مناسب هنا (من اختص من شاء) من رسله وخلص عباده (بما شاء) من جزيل نعمه وكرمه (وجعل بعضهم) راجع لمن باعتبار معناه (فوق بعض درجات) كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ فضله على جميع الانبياء وخصه بسبع لم يصل اليها سواه وهذا اقتباس من قوله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) فالمراد ببعضهم هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وابهمه تفخيما لشانه واشارة الى نعته كما قيل

واقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وانت كل الناس

وان اختلف المفسرون في المراد به في الآية ولا يخفى ما في ختم الفصل بهذه الآية من حسن المناسبة وبراعة المقطع لما فيها من ذكر الكلام ورفع الدرجات المناسب لهذا المقام

﴿فصل واما ماورد في حديث الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب﴾ عطف تفسيرى وهو بيان لما وظاهر بالرفع والجر (من قوله ثم دنا فتدلى) الدنو القرب ولذا عطف عليه عطفا تفسيريا وهو حسي ومعنوي والتدلي الامتداد من علو الى اسفل كالقى الدلو في البئر هذا اصله ثم استعمل في القرب من علو حسا اومعنى فهو اخص بماوله فلا تقدم ولا تأخير فيه اصلا والاصل فتدلى فدنا ولذا ساعمى لان العطف بالفاء يأباه والتأسيس خير من التأكيد وقيل دنا بمعنى قصد القرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم فتحرك من مكانه نحوه وقيل تدلى من الدلال كمطى اصله تمطط والضمير فيهما(٢) لجبريل عند الجمهور اى دنا جبريل من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى عليه لانه لما رآه بصورته(٣) هاله فرده الله تعالى لصورته التي كان يراه عليها وقرب منه وقيل الضمير لله اى دنا من نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مجاز عن اجابة دعائه واعطائه ما تمناه باشراق نور المعرفة ومشاهدة اسرار الغيب لانه منزه عن المكان كما سيأتي بيانه (فكان قاب قوسين او ادنى) القاب مابين مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه ولكل قوس قابان وقيل القاب حيث الوتر من القوس وقيل معناه قدر والقوس معروف وقيل هي هنا الذراع لانه يقاس به فالمعنى قدر ذراعين وروى عن ابن عباس وعلى الاول قيل فيه قلب اى قابي قوس اى بينهما مسافة مقدار قاب قوسين اى بين النبي وجبريل لان جبريل هو الموصوف بما قبله وهذا رواية عائشة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورجح هذا الوجوه على روايه شريك انه الله ولهم فيها كلام كثير

(وقال)

(٢) وفي بعض النسخ فيهما على ان يكون راجعاً الى دنا وتدلى والمعنى والضمير في دنا وتدلى لجبريل فاله مصححه طاهر

(٣) الاصلية نسخه

وقال الرازي هذا على عادتهم اذا تعاقد كبيران او تصالحا جعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما يصح كفه بكفه او لتحقيق قدر المسافة لا للشك كقوله فارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقيل للشك بالنسبة للراوي وقيل بمعنى بل او الواو وادنى افعل تفضيل اي اقرب من قاب (فاكثر المفسرين) جواب اما (ان الدنو والتدلي مقسم بين محمد وجبريل عليهما الصلوة والسلام) اي كل منهما ثبت لكل منهما لا لله اي دنا محمد من جبريل ودنا جبريل من محمد وتدلى كل منهما للآخر او المراد ان الدنو لمحمد والتدلي لجبريل فالانقسام بمعنى توزيع الوصفين بينهما وهذا اذا رآه بصورته الاصلية (او مختص باحدهما من الآخر) اي مختص بمحمد صلى الله عليه وسلم او بجبريل والمعنى دنى وتدلى محمد من جبريل او دنا وتدلى جبريل من محمد (او من السدرة المنتهى) اي يختص الدنو والتدلي من السدرة لا من الآخر (قال الرازي) فخر الدين المشهور ٢(وقال ابن عباس) كما رواه ابن ابي حاتم عنه (هو) اي الذي دنى وتدلى في الآية (محمد دنا فتدلى من ربه) ودنوه منه كناية عن قرب منزلته ومشاهدته من قدسه ما لم تيسر لغيره (وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب) فهو ترق في قربه من ربه قربا معنويا لا حسيا (وقيل هما) اي دنا وتدلى (بمعنى واحد اي قرب) قربا معنويا بالغ تمامه ولا يخفى ان العطف بالفاء غير وارد في مثله ولذا ضعفه واخره والقول بانه للتأكيد وافادة انه قرب بليغ لا يساعده العبارة (وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما في رواية ابن جرير عنه (هو) اي من اسند اليه الدنو (الرب دنا من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ليس المراد الدنو المكاني تنزه الله عنه ولا العلم لانه لا يختص به حتى يذكر في مقام مدحه وتعظيمه بل قرب المنزلة باعلاء مقامه واطلاعه على عجائب ملكوته (وتدلى اليه) اي نزل الرب لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو على حد قوله تعالى (ينزل ربنا الى السماء الدنيا في الثلث الاخير) اي تجلى له ونظر اليه بلطفه وكرمه وتشريفه بخطابه كما سيأتي بانه بقوله (اي امره وحكمه) ثم رد بانه فاعل تدلى كما قيل وانما هو ضمير الله ايضا وهو استعارة او كناية عما ذكر وانه اشار الشافعي رحمه الله تعالى بقوله المقصود من الآية تحقيق اسنائه لما يوحى اليه بعد البعد عنه (وحكى النقاش) في تفسيره (عن الحسن) البصري انه (قال دنا) الله (من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) دنو مرتبة وقرب معنوي (فتدلى) اي (فقرب منه) بتمامه واختصاصه والاولى فزاد قربه اليه كما مر (فاراه ما شاء ان يريه من) آثار (قدرته وعظمته) فاري بصرية تعدت لمفعولين او علمية مفعولها الثالث مقدر اي اراه عظمته وقدرته مشاهدة معاينة والاول اظهر واقرب (قال) اي النقاش او الحسن (وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر) فاصله

(٢) اعلم ان ههنا اشكالا وهو انه ان كان مراد الشارح من فخر الدين المشهور صاحب التفسير الكبير الذي توفي سنة ست وستمائة من الهجرة لم يصب رواية ودراية منشأه فيه النقص لان القاضي المصنف توفي الى رحمه الله سنة اربع واربعين وخمسمائة مع ومولده سنة ست وستين واربعمائة فيكون التفاوت بين تاريخ وفاتهما مقدار اثنين وستين سنة فكيف نقل المصنف عنه والقول بانه يمكن ان المتقدم ربما ارتفع نقل عن المتأخر على ان معاصرا في مدة من الزمن بان يدرك المتأخر في اول امره زمن المتقدم فيروى عنه بعض الكلام فبعد في مثل هذا المقام نظير وجهه لمن ضبط تاريخ ولادتهما وفيه ان مراد المصنف من الرازي غير من ذكر ولم يتيسر لي رفع هذا الاشكال لمراجعة كتب الاسماء فليصبر فانه معقبه ظاهر

فتدلى فدنى اى (فتدلى الرفرف لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج)
وهو البساط مطلقا او البساط الاخضر وقيل ما كان من الديباج وفي الصحاح
الرفرف ثياب خضر تتخذ منه المجالس وكسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منه
واحده رفرفة فهو من البسط والفرش وفسر بالزرابي والمرافق وقيل الثوب
العريض او حواشيه من رف يرف تحرك ومنه رفرفة الطائر بجناحيه ويطلق
على الستارة وطرف الخيمة وفي الحديث رأينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرفع لنا
الرفرف فرأينا وجهه ومنه رفرف الاولياء في الجنة وهو بساط اذا استقروا عليه
طار بهم لاي جهة ارادوها بقدرة الله تعالى وورد في المعراج انه صلى الله تعالى
عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه بالرفرف جبريل عليه الصلوة والسلام فتناوله
فطار به الى العرش يرفعه ويخفضه وجبريل رافعا صوته بالتمجيد فهو من كتله
صلى الله تعالى عليه وسلم كالبراق وقد فسر قوله متكئين على رفرف خضر ببعض
هذه الوجوه وبانه رياض الجنة والى هذا اشار بقوله (فجلس عليه ثم رفع) اى رفعه الله
بقدرته وهو مبني للمجهول (ودنا) الرفرف او النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (من ربه)
بالمعنى السابق (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم بيانا لما هو عليه بعد ان علا الرفرف
(فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات) اى اصوات الملائكة عليهم الصلوة
والسلام (فسمعت كلام ربي) عز وجل من غير واسطة وليس كلاما خلقه الله تعالى
في بعض الاجرام كما زعمه المعتزلة كما مر وفيه اثبات الكلام اللفظي لله تعالى كما ذهب
اليه السلف وبعضهم الشهرستاني في مقالاته المشهورة ومن ينكره يقول الكلام النفسي
يسمعه الله تعالى بقدرته والمبحث بطوله مقرر في علم الكلام (وعن انس في الصحيح)
اى مروي في صحيح البخاري (عرج بي جبريل) صاعدا (الى سدرة المنتهى ودنا الجبار
رب العزة) عطف بيان او بدل والجبار هنا بمعنى العلي الاعلى من قولهم نخلة
جبارة اى طويلة مرتفعة هذا هو المناسب للمقام لانه انسب من تفسيره بالقاهر
لعباده على ما اراده من امر ونهي وان فسر به ايضا والعزة من عز يعز بالفتح اشتد
وبالكسر صار عزيزا وهذا من حديث شريك السابق وقد استغربه الذهبي
وفيه نظر (فتدلى) تقدم تفسيره (حتى كان) رب العزة (منه) صلى الله تعالى عليه
وسلم (قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلوة) كما مر (وذكر
حديث الاسراء) بتمامه كما تقدم (وعن محمد بن كعب) القرظي السابق بيانه (هو) اى
الموصوف بانه دنى كما ابي بيانه (محمد) صلى الله عليه وسلم اى (دنا) محمد صلى الله
عليه وسلم (من ربه فكان قاب قوسين) اى مقدار قاب قوسين في القرب منه (او ادنى
قال) اى محمد بن كعب (وقال جعفر بن محمد) وهو الاتي بعده ايضا (ادناه ربه منه
حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد) المذكور (والدنو من الله

(لاحد)

لاحدله) اى الدنو من جانب الله ليس دنوا مكانيا محدودا بحيز كالاجسام بل دنو معنوى (ومن العباد بالحدود) المكانيه الحاصره لهم لا الحد المنطق المميز للماهية (وقال) جعفر (ايضا) كمقاله السابق (انقطعت الكيفية عن الدنو) من جانب الله اى دنو من عباده ليس له كيفيه مخصوصه وحالة معروفة لانه امر معنوى غير محسوس والكيفيات احوال محسوسة وسميت كيفية لانها يسئل عنها بكيف وهذه لفظه مولدة لم تسمع من العرب ومخالفة للقياس لان كيف لا ينسب اليها ثم وضح ذلك بقوله (الا ترى) الخطاب عام لكل من وقف عليه كقوله تعالى (ولو ترى اذ وقفوا على النار) والرؤية بصرية او وجدانية او علمية والا بفتح الهمزة وتخفيف اللام وما فى بعض النسخ الا بصورة الاستثناء وانه سمع منه بعد (كيف حجب) بالبناء للفاعل اى منع (جبريل) بالنصب مفعوله ومجرور بناؤه للمجهول ورفعه (عن دنوه) الى ربه (ودنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى ما) موصولة او موصوفة وفى نسخه ودنوه مصدر منصوب على كيف اى الا ترى كيف الجبريل ترك دنوه (اودع قلبه) صلة ما او صفته واودع مبنى للمجهول وقلبه نائب فاعله وفى بعض النسخ بالبناء للفاعل ونصب قلبه مفعوله كما قاله البرهان (من المعرفة) الالهية والمواهب الربانيه (والايمان) مما لا نظير له الا السمع بعد البعثة وعليه حمل قوله تعالى (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) اى الايمان بما تقتضيه العقل كوجود البارى ووحدانيته ومعنى قوله (فتدلى) اى نزل عما كان عليه قبل هذا (بسكون قلبه الى ما ادناه) الى ربه لما اطمأن قلبه (وزال عن قلبه الشك والارتياب) فى انه هل يصل الى حضرة القرب وينال اياه بالاكرام والانعام وترقى الى اعلى مقام فانجح الله تعالى امنيته وليس المراد السبب فيما يتعلق بالله ومعرفته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم اقوى الناس معرفه وايمانا وانهم جانبا وايمانا واشدهم طمأنينة وسكونا وبهذا سقط ما قيل انه لم يكن عنده شك لامتلاء قلبه بالمعرفه والايمان وتطهيره من دنس الشك ووسوسة الشيطان وقيل انه لما فارق جبريل حين احتطفه الرفرف خشى ان يكون ذلك الاخذ مؤديا الى الهلاك وخاف من مكر الله به وشك فيما يؤول اليه امره فلما حاطه الله وقال له لهدأ روعك علم ان الله انما اراد تقريبه والانعام التام عليه فزال شكه وانشرح صدره وثلج قلبه ببرد اليقين وحصول مراتب التمكين والاطمئنان لا بلوغ غايته (قال القاضى ابو الفضل) عياض المؤلف رضى الله عنه (اعلم ان ما وقع) بفتح الهمزة وتقدم معنى اعلم (من اضافة الدنو والقرب هنا) اى من اسناده (الى الله او من الله تعالى) ووصفه به فالاضافة بالمعنى اللغوى لا الاصطلاحى وقوله هنا اى فى هذه الآيه (فليس بدنو مكان) هو خبر ان المفتوحة وزيدت فيه الفا لان اسمها موصول اى ليس فيه قربا محسوسا بل معنوى (ولا قرب مدى) بزنة فتى فسر بالغاية والنهاية والظاهر ان معناه المكان الممتد كما قال مدى البصر ومده ولا عبرة بما قيل ان الثانى خطأ فانه

ورد في الحديث كما ذكره النووي في شرح مسلم (ثلـكما ذكرناه عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظم منزلته) الابانة بكسر الهمزة بمعنى الاظهار وهو مرفوع خبر دنو المبتدأ وتقدم معنى المنزلة والرتبة وانها العلو المعنوي (وتشريف رتبته) بالجر ويجوز رفعه (واشراق انوار معرفته) اى اظهار آثار معرفة الله عليه فيه استعارة مكنية او تشبيه ان كان من قبيل لجين الماء (ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته) اى وقوفه على ما في عالم الملكوت مما هو مغيب عن خلقه الا من خصه الله تعالى باطلاعه عليه (ومن الله تعالى له) اى اما دنو الله منه صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه بعد العلم بتنزيهه عن الحيز والقرب الحسي فمعناه (مبرة) مفعلة بالفتح بمعنى البر وله معان منها القبول والاحسان (وتأنيس) اى تلطف به يذهب استيحاشه لما انقطع عنه الاصوات وغاب اليه وهو جبريل عليه الصلوة والسلام (وبسط) اصل معناه التوسعة قال الله تعالى (ولو بسط الله الرزق لعباده) ومنه البساط ويطلق على المسرة ايضا وليس بمعنى مولد لانه ورد في الحديث فاطمة بضعة مني يبسطني ما بسطها كما ذكره ابن قرقول في مطالعه وهو المراد اى تأنيسه بما يسره من مخاطبته بما يسره (واكرام) بتحاياه وتعظيمه (ويتأول فيه) اى يأول الدنو الوارد في الحديث (ما يتأول في قوله ينزل ربنا الى السماء الدنيا) بمعنى ان الدنو الواقع في الآية كما ورد مثله في بعض الاحاديث ان اولياء الله تعالى قريبون من الله ليس على ظاهره قربا حسيا بل معنويا باللطف والاكرام وقد يأول بعلم الله سرائرهم وظواهرهم وقدرته على التصرف فيهم وعلمه فوله تعالى (ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون) كما اول النزول المسند الى الله تعالى في حديث ابي هريرة رضي الله عنه المتفق على صحته انه صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير يقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له بالاقبال عليهم بالتمامه واجابة دعائهم ومغفرة ذنوبهم وافاضة مواهبه عليهم وتأويله بنزول ملائكته بعيد هنا وان ذهب اليه بعضهم ويتأول فيهما مبني للمجهول (على احد الوجوه) في تأويله من ان نزوله تعالى انما هو (نزول افضال) بفضله وانعامه (واجمال) اى فعل جميل بهم على عادته (وقبول) لتوبتهم واستغفارهم (واحسان) بالجود والكرم عليهم وليس المراد انه بتقدير مضاف من مجاز النقص اى نزول احسانه كما قيل فهو تمثيل لسرعة اجابته وانجاح طلباته وزيادة لطفه وامتنانه على قربه كمن له مقام عال حتى انه قد ينزل اليه اذا سمع نداءه فهو استعارة تمثيلية اوفيه تصريحيه (وقال الواسطي) المتقدم رحمه (من توهم انه) تعالى ولله المثل الاعلى (بنفسه دنا) دنوا حقيقيا محسوسا بذاته لا دنو لطف واكرام معنوي مجازي منه (جعل ثم) بفتح المثلثة وتشديد الميم وهو اسم اشارة للبعيد ايضا كما يكون بها من هذه حدا بائنة امثالا في الوصف

ومعناه هناك واصل وضعها للاشارة الى المكان بعيدا او قريبا على اختلاف فيهما
وقد يتجوز بها عن المعنى او نحوه تشبيها له بالمكان على انه استعارة فيه كما هنا فانه
اشارة للآية والحديث المذكور فيه الدنو والنزول وقوله (مسافة) باعتبار مدلوله
فان حملت الاشارة اليه على تقدير انه على حقيقته فلا والمسافة المقدار من السوف
وهو شم التراب والاول وصفه قيل للمفازة مسافة لان الدليل يشم ترابها كما حققه الراغب
ولا مسافة لاستحالتها عليه تعالى (بل كلما دنا) احد من المخلوقات بزعمه (بقربه
من الحق) اى الله تعالى (تدلى) نزل من علو الى اسفل (بعدا) اى ابعده عما قصده
فهو مفعول له او تمييز من نسبة تدلى (عنى) الواسطي بقوله هنا تدلى بعد اى كلما
حاول القرب نزل لساحة البعد (عن درك حقيقته) متعلق بمقدر يعني بعد او بعدا
عن ادراك حقيقته وذاته قال البرهان الحلبي في حاشيته درك بفتح الدال والراء المهملتين
وضبطه بعضهم باسكان الراء والاشهر هو الفتح ومعناه الادراك واما الدرك ضد
الدرج فبالفتح لا غير وحكى فيه الوجهان وفيه نظر (اذ لا دنو للحق ولا بعد) بالمعنى
المكاني لاستحالتهما عليه تعالى وما ورد مما يوهمه مأول كما عرفته واما لم حقيقة تكونهما
ففيه خلاف ليس هذا محله ولا وجه لما تعرض له هنا (وقوله فكان قاب قوسين او ادنى) بالمعنى
الذي مر بيانه وهذا جواب عن سؤال وقع لما يتوهم من انه يقتضي قربا حقيقيا او مسافة
كما اشار اليه بقوله (فمن جعل الضمير) المقدر في قوله تعالى ثم دنا فتدلى (عائدا
الى الله تعالى لا الى جبريل عليه السلام على هذا) التأويل السابق آنفا (كان) الدنو
المذكور (عبارة عن نهاية القرب) اى مجازا به عن غاية القرب المعنوي من عباده
(ولطف المحل) اللطف عبارة عن الامور الخفية وما لا يدرك بالبصر كما في قوله (وهو
اللطيف الخبير) اى هو عبارة عن دنو معنوي ومنزلة معنوية لا تحس بالابصار (واتضاح
المعرفة) الالهية التي هي من العلم اللدني في حظائر قدسه لمن خصه برفعة المنزلة
من خاص عباده الذين جعلهم محرم اسراره واتضاح بالمثناة الفوقية افتعال
من الوضوح وفي بعض النسخ بالباء الموحدة مصدر اوضحه ايضاحا (والاشراف
على الحقيقة) اى الاطلاع عليها واصله من اشرف اذا وقف على شرف
وهو المكان العالي ثم اريد به لازمه من الوقوف والاطلاع كناية او مجازا (من محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كان الدنو بالمعنى المذكور من نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم (و) كان التدلي المعنوي (عبارة عن اجابة الرغبة) اى اجابته لدعوته
الذي هو غاية مطلوبه ومرغوبه (وقضاء المطالب) اى اعطائه مطالبه الذي طلبه
منه وعبر به في القضاء اشارة الى انه كان من لازم الكرم دين (واظهار
التحفي) بحاء مهملة وفاء ومعناه [illegible] وهو المبالغة في البر (وابانة المنزلة) بالنون
والفاء بمعنى اعلائها ورفعها (والمرتبة) عطف تفسير (من الله له) متعلق بما قبله

اشارة الى انه كان فضل وموهبة منه تعالى (ويتأول فيه) بالبناء للمجهول اى يتأول القرب والدنو بتأويل مثل (ماتأول فى قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى على طريق التمثيل والاستعارة فى قوله تعالى (من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتانى يمشى) اى من اطاعنى وسعى فى امتثال اوامرى والمراد انه يمشى مشاعيه بطئ بالهوسا لمقابلته بقوله (آتيته هرولة) وهى المشى والجرى بسرعة والمراد انى اعجل له جزائى واوصل اليه احسانى سريعا وتيسيره بسبقه بجزائى غير صحيح هنا (اى) والتأويل الذى اول به من تقرب الى آخره وما بعده هو (قرب بالاجابة) لدعائه وهو مرفوع خبر لمبتدأ مقدر (والقبول) لوبه (واتيان بالاحسان وتعجيل بالمأمول) اشارة لمعنى الهرولة وهذا نص حديث قدسى صحيح رواه ابو هريرة رضى الله تعالى عنه اوله قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى من نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار ومن اقترب منى شبرا اقتربت منه ذراعا ومن اقترب منى ذراعا اقتربت منه باعا ومن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه واطيب ومن جاءنى يمشى اتيته هرولة ومن جاءنى يهرول جئته سعيا قالوا معناه سرعة الاجابة والثواب لمن دعاه واطاعه فالقرب تمثيل للتحبب الى الله بالطاعة والعبادة وتفويض اموره وانه يضاعف ثوابه ويزيده بما هو خارج عن القياس وليس فى قوله فى ملأ خير منه دليل على افضلية الملائكة كما سيأتى ان شاء الله تعالى وهذا تأييد لما سبق وتوضيح له فلا يعترض عليه بانه تكرار من غير فائدة ﴿فصل فى ذكر﴾ مايدل على (تفضيله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى القيامة بخصوص الكرامة) اى بما خصه الله يوم القيامة وفضله به على سائر الانبياء والرسل عليه وعليهم الصلوة والسلام وذكر مايدل على ماعقدله بحديث اسنده المصنف من طريق الترمذى فقال (حدثنا القاضى ابو على) الشهيد المعروف بابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو الفضل) ابن خيرون البناني ترجمته ايضا (وابو الحسين) بالتصغير وهو المبارك بن عبد الجبار هكذا هو فى اكثر النسخ الصحيحة وفى بعضها ابو الحسن مكبرا والصواب الاول كما ذكره البرهان الحافظ فالحسن ليس بالحسين هو وهذا الحديث تقدم فى اول الكتاب مسندا الى الترمذى بهذا السند (قالا حدثنا ابو يعلى) بفتح اوله وهو احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم فى ترجمته قال (حدثنا السنجى) ابو على الحسن بن محمد بن احمد بن شعبة السنانى ذكره وضبطه قال (حدثنا ابن محبوب) ابو العباس المحبوبى راوى جامع الترمذى عنه قال (حدثنا الترمذى قال حدثنا الحسين ابن يزيد الكوفى) المعروف بابن الطحان اخرج له ابو داود والترمذى وقال

(ابو)

ابو حاتم انه لين توفي سنة اربع واربعين ومائتين وترجمته في الميزان قال (حدثنا عبد السلام بن حرب) النهدي روى عنه اصحاب الكتب الستة وترجمته في الميزان (عن ليث) بن ابي سليم بالتصغير القرشي الكوفي العابد الزاهد وفيه ضعف يسير لسوء حفظه توفي سنة ثمان وثلاثين ومائة (عن الربيع بن انس عن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا) اي خرجوا من قبورهم الى المحشر لانه صلى الله عليه وسلم رأسهم وقائدهم فيبعث قبل موسى وسائر الرسل كما سيأتي وهذا الحديث اخرجه الترمذي وقال انه حسن غريب (وانا خطيبهم اذا وفدوا) اي قدموا على الله وقاموا بين يديه للحساب واصل الوفد الجماعة تقدم الى من لهم فيه رجاء وعنده قضاء امورهم وعطاياهم ولما كان صلى الله عليه وسلم هو الشفيع المشفع في المحشر المأذون له في التكلم وفصل القضاء كان ثمة كالخطيب في المجمع على عادتهم اذ كان لكل وفد خطيب غالبا وهذا انسب هنا من قوله امامهم لا لانه لا تكليف ثمة كما يوهم وفيه دليل على افضليته صلى الله عليه وسلم وانه لم يدهش لهول المحشر (وانا مبشرهم) بالخلاص من المحشر وطول موقفه (اذا ايسوا) من النجاة من شدة ذلك اليوم وهو له اذا ازفت الآزفة وبلغت القلوب الحناجر والاياس بتقديم الهمزة القنوط من رحمة الله وروى يئسوا بتقديم الياء على الهمزة وهما لغتان ورواياتان (لواء الحمد بيدي) يوم القيمة ليعرفه صلى الله تعالى عليه وسلم ويتبعه كل من في الموقف واللواء معروف وهو لواء حقيقي سمي لواء الحمد لانه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره او لحمد الناس كلهم له ويجوز ان يكون كناية عن شهرته وتقدمه كقوله

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

فهو اشارة لتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم وعظمته وكثرة حمده وامته الحمادون وهو احمد ومحمد وتقدم الكلام عليه واللواء والعلم والراية والبند متقاربة معنى لكن اللواء اكبرها وروى الطبري ان لواء الحمد يحمله علي كرم الله وجهه بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم ولعل الاختلاف باعتبار مواطن الحمد فلا مخالفة بينهما (وانا اكرم ولد آدم على ربي) اي اشرفهم ذاتا وصفة واقربهم منزلة والكرم صفة تجمع كل خير وان اختص عرفا بالسخاء وهذا تحدث بنعمة الله تعالى واظهار لما يجب اعتقاده وفي نسخة على ربه والضمير لاكرم او آدم والرواية الصحيحة الاولى والولد صفة مشبهة بمعنى المولود يطلق على الواحد وغيره كما مر (ولا فخر) جملة حالية مؤكدة اي انا لا اذكر ذلك للفخر بل تحدث بنعم الله او لا افخر بهذا اذ لي عند الله ما هو اعظم واشرف من هذا مع اني لم انله بسعي واجتهاد مني وخبر لا محذوف اي فيه او عندي ونحوه والفخر الافتخار والتبجح بالامر بادعاء كرم اظهر علو على غيره (وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث)

ورحر هيح الراي المعجمة وسكون الحاء ثم راء مهملتين وهو عبدالله بن رحر الافريقي العابد واصل معنى الرحر الصوت والانين ومنه الرحير للمرض المعروف في الامعاء والعامة تغلط فيه وتقول رحيل باللام وروى عنه اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان واخرج له البخاري في الادب وفي روايه زيادة ومغايرة في اللفظ على الروايه السابقة وهي ظاهرة وفي الاصل بخطه وفي رواية ابن رحر والربيع بن انس وفي رواية العرقي عنه عن الربيع عن انس وعلى كلا الوجهين المروى عنه انس بن مالك رضي الله تعالى عنه كما قاله التلمساني (انا اول الناس خروجا اذا بعثوا) كما تقدم (وانا قائدهم اذا وفدوا) القائد في الاصل الذي يقود الدابة بزمام ونحوه ثم صار حقيقة في الرئيس الذي يأتمه الناس ويرجعونه وفي اسمائه الحوس وجمعه قادة وتقدم معنى الوفد وان المراد به القادمون للمحشر فالمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم مقدم ثمة حسا ومعنى (وانا خطيبهم اذا انصتوا) اي انا المتكلم بين يدي ربي في امرهم والشفاعة لهم وقد سكتوا ولم يطيقوا نطقا لخوفهم والانصات والسكوت بمعنى (وانا مبشرهم اذا احبسوا) في الموقف واضطربوا وفزعوا للانبياء عليهم الصلوة والسلام فقال كل نفسي نفسي فيشفع لهم صلى الله تعالى عليه وسلم الشفاعة العظمى في فصل القضاء (وانا مبشرهم) بالخلاص من هول الموقف والحبس فيه (اذا ابلسوا) انقطعت حججهم وتحيروا وسكتوا ايأسهم من النجاة واصل الابلاس الحيرة والندم ومنه ابليس (لواء الكرم بيدي) قريب مما مر لفظا ومعنى (وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم) في الجنة من الحور العين (كانهم لؤلؤ مكنون) رواه الترمذي وصححه ومكنون بمعنى محفوظ مستور لم تمسسه الايدي فهو كناية عن كونها ابكارا ذات بهاء لم يسلم رؤيتها (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) في حديث رواه الترمذي وصححه (واكسى حلة من حلل الجنة) اصل معنى الحلة ثوبان من برود اليمن واحدا فوق واحد ثم اطلق على كل لباس فاخر يعطى رعاية الانسه فيه دلالة على قربه صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته اذ كسى وجمع الناس عراة وحفاة (ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري) ذلك في محل نصب على الظرفية وفي مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم في جانب اليمن في مقام لم يقمه نبي مرسل ولا ملك مقرب من التكريم الدال على عظيم القرب وسماع كلامه وقول رحمته ما ناي عن عظمته الشرف والخلائق جمع خليقة وهو اسم جمع بمعنى جماعات المخلوقين (وعن ابي سعيد) الخدري في حديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه (انا سيد ولد آدم يوم القيمة) ظرف متعلق بسيد وتقييده به ليس للتخصيص كما اني بل لانها سيادة مسلمة

له صلى الله تعالى عليه وسلم وهي اشرف من سيادة الدنيا ومر ان الصحيح ان السيد يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره والخلاف فيه مشهور على ثلاثة اقوال مشهورة (وبيدي لواء الحمد ولا فخر) تقدم معناه (ومامن نبي آدم فمن سواه) بدل من نبي اي جميع الانبياء (الاتحت لوائي) اي تابع لي في الدنيا وليس المراد انه تحته حقيقة وعطف فمن بالفاء لانهم بعده من غير فاصلة والمراد الترتيب الرتبي اوالحقيقي (وانا اول من تنشق عنه الارض) يوم نفخ الصور وينشق بقدرة الله تعالى وفيه اكرام له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا فخر) تقدم معناه (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) في حديث صحيح رواه مسلم (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة) اي انا اشرفهم واقربهم عند الله في يوم لا يسود فيه غيري كما مر (واول من ينشق عنه القبر) اي قبره الشريف (واول شافع) يشفع للناس في الموقف (واول مشفع) بفتح الفاء المشددة اي اول من يؤذن له في الشفاعة وتقبل شفاعته وتفصيله مافي حديث البخاري يحبس المؤمنون يوم القيمة فيقولون له صلى الله تعالى عليه وسلم اشفع الى ربنا فيريحنا من مكاننا فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء ان يدعني فيقول ارفع رأسك محمد وقل يسمع واشفع تشفع (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) في حديث رواه الترمذي والدارمي (انا حامل لواء الحمد يوم القيمة و (لافخر) كما مر (وانا اول شافع) في ازالة هول الموقف (واول مشفع) تسمع شفاعته وتقبل (ولا فخر) لي بفخر اكبر ويصح فيما حصل الله به (وانا اول من يحرك حلق) باب (الجنة) ليفتح لي ولمن يدخلها بعدي وحلق بفتح الحاء المهملة واللام ويجوز كسر الحاء فيكون بزنة بدر جمع حلقة بسكون اللام وبفتح ويكسر وفي القاموس ليس في الكلام حلقة محركة الا جمع حالق وهي لغة ضعيفة والمراد باب الجنة باب مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم يسمى باب محمد وباب الرحمة وانها ابواب غيره وقيل المراد جميع ابوابها وانه الظاهر والظاهر خلافه (فيفتح لي) بابها (فادخلها) وفي رواية وادخلها بواو(١) حالها (٢)(ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر) ويفتح بالتحتية والبناء للمجهول والفاعل خزنتها او رضوان والضمير للجنة والفاء للتعقيب من غير مهلة في الفتح والدخول والمراد بالفقراء الفقراء الصابرين وهو شامل للمساكين والفرق بينهما مشهور والخلاف مر في اي الفقراء الصابر افضل من الغني الشاكر وقيل الغني الشاكر افضل والاول اصح وهذا خبر الفقر كثير من الانبياء والاولياء واختار ابو بكر رضي الله تعالى عنه مثله في سبيل الله ادخل في سلكهم والمحمود منه ما كان مع غنى النفس والمس ما هي بكثرة العرض وانما هو غنى النفس وهو كما قيل غنى النفس ما كفاك من سد حاجة فان زاد شيأ عاد ذاك الغنى فقرا

(٢) وقع في بعض النسخ قوله يدخلها من المتن ط

وفقر النفس ولو مع المال مذموم ولذا استعاذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منه وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم اول من يدخل الجنة لاينافي ماورد في حديث الترمذي من انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بلالا رضي الله تعالى عنه وقال له يابلال بم سبقتني الى الجنة فادخلها فقط الاسمع خشخشتك وفي رواية سمعت دق نعلك بين يدي في الجنة فانه كان في رؤياه لافي هذا الدخول اوهو كما قال ابن القيم كان دخوله دخول الخادم والحاجب الذي يتقدم سيده والمطرق في طريق سيده وهو بيان لفضيلة الاذان وانما سأله صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان اعلم به تطيبا لنفسه والمراد بقوله من ليس المساواة بل التبعية فلايقال لاحاجة لقوله من في الجنة وهي حاله بمعنى المقارنة (وانا اكرم الاولين والآخرين ولافخر) المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف من جميع الخلق (وانا اكثر الناس) اى الانبياء عليهم الصلوة والسلام وكذا روى ايضا (تبعا) جمع تابع كخدم جمع خادم يعني ان امته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر من سائر الامم وتقتضي هذا اكثرية اجره عليهم ويأتي التصريح به وافضليته على كل واحد منهم وعلى جميعهم ايضا كما قررناه في محله (وعن انس رضي الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان (انا سيد الناس) واحلمهم واعظمهم (يوم القيمة) خصه مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم في الدنيا والآخرة لظهوره فيه واختصاصه به ظاهرا من غير منازع ومنكر كما وقع في الدنيا من المشركين وسيأتي تفصيله في كلام المصنف رحمه الله تعالى (وتدرون لم ذلك) فيه استفهام مقدر اى اتدرون ماسبب هذه السيادة وحذف الاستفهام لقرينة جائز كما صرحوا به (يجمع الله الاولين والآخرين) في المحشر (وذكر حديث الشفاعة) اى ذكر انس رضي الله عنه هذا الحديث المذكور وفيه الشفاعة بتمامه ولم نذكره هنا لانه سيأتي في الشفاعة وانه اذا كان يوم القيمة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم عليه الصلوة والسلام ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان قال فاقول انا لها الخ (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اطمع) اى ارجو من الله تعالى طمعا ورجاء حققه له كقوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وتعبيره صلى الله تعالى عليه وسلم بالطمع هضما لنفسه (ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة) لان امته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الامم واجر اعمالهم له مثله لان من سن سنة حسنة له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة واعمالهم مضاعفة وله صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها ومثل اضعافها وهو اعظمهم مشقة لعموم دعوته وكثرة من عاداه وعانده من الكفرة مع تحمله وصبره حتى قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم لعلك باخع نفسك (وفي حديث آخر اما ترضون) معاشر المسلمين (ان يكون ابراهيم) الخليل عليه الصلوة

(والسلام)

والسلام (وعيسى) عليه الصلوة والسلام (كلة الله فيكم) اى محسوبان من جملتكم ومحشوران معكم (يوم القيمه) فيعدان من امتى وخصهما بالذكر لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام اشرف الانبياء بعد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابو الانبياء وابو اسمعيل عليهما الصلوة والسلام الذى كان العرب تزعم انهم على ملته ولان عيسى يبعث آخر الزمان على دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويغير احكام النصرانية واما اداة استفتاح كالا او مركبة من همزة الاستفهام وما النافية والمعنى واحد (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (انهما فى امتى يوم القيمة) اى يعدان منهم (اما ابراهيم فيقول) له صلى الله تعالى عليه وسلم (انت دعوتى وذريتى) اما دعوته فقوله (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك الخ) يحمل على الدعوة مبالغة اى انت من جعله الله منهم باجابة دعوتى والذرية النسل والولد يطلق على الواحد وغيره ولا شبهة فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل ولده اسمعيل عليه الصلوة والسلام ولم يبعث فيهم نبى سواه فهو المجاب دعوته (واما عيسى) اى كونه تابعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وفى جملة امته يوم القيمة (فالانبياء كلهم اخوة) اى كالاخوة فى اتحاد امورهم مع الله تعالى ومع الخلق والاخوة اما لاب وام وهم بنو الاعيان او لاب فقط وهم بنو العلات او لام وهم بنو الاخياف فلذا قال (بنو علات) المراد بالعلات الزوجات الضرائر وهو من العلل وهو الشرب مرة بعد مرة والشرب الاول يسمى نهلا فكان الزوجات موارد للزوج اوكان الاولاد مشاركين لهم بمجامعة فى الرضاع وهذا اقرب والى هذا اشار بقوله (امهاتهم شتى) وامهات جمع ام واصلها امهة ولذا جمع على امهات وصغر على اميهة وقيل انه فى الاصل بمضاعف اعولهم امات وامية وقيل اكثر ما يقال امات فى البهائم ونحوها وامهات فى الانسان وهو يطلق على الام العرسية والجدة وشتى من الشتات وهو التفرق جمع شتيت كمرضى ومريض اى مختلفة فى الذوات والنسب فشبه الدين والعمدة الجمعة التى هى سبب لقائهم بالاب [illegible] لاتحاد اعتقادهم ومعرفة ربهم على طريقة الاستعارة واثبت لهم الاخوة [illegible] لا وكونه بنو علات ترشيح ولنسب الاستعارة تحقيقية كما يوهم وشبه فروع الشرائع والاحكام بالامهات فى حفظهم وتعيشهم فهو استعارة مستقلة تحقيقية او ترشيح بناء على جواز التجوز فيه والحاصل انهم صلى الله عليهم وسلم متوافقين فى اصول التوحيد مختلفين فى فروع الشرائع وقيل اراد انهم فى ازمان متباينة والاول اولى (وان عيسى اخى) بكسر همزة ان واقيم الظاهر فيه مقام الضمير والاخوة بمعنى المشابهة فى الرسالة والصفات الحميدة (ليس بينى وبينه نبى) لانه لم يبعث فى الفترة التى كانت بينهما احد من الانبياء

(و) لما بينهما من المناسبة والقرب زمانا ومعنى كان (أولى الناس به) وهو افعل تفضيل من الولاء والتوالي وهو عدم الفاصل بين الشيئين ثم صار عبارة عن القرب فيقال اولى بمعنى احق واقرب من حيث المكان او الزمان او النسب او الدين كما ذكره الراغب وهو المراد هنا وهذا من حديث رواه البخاري ومسلم وهو انا اولى الناس بعيسى ابن مريم في الاولى والآخرة الانبياء بنو علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيني وبينه نبي وهو حديث صحيح روي من طرق فعلم ان ما ذكره الراغب والزمخشري وابن عربي في فصوصه من انه كان بينهما نبي اسمه خالد بن سنان كان هو وقومه بعدن فخرجت نار عظيمة من مغارة اهلكت الزرع والضرع فالتجأ قومه اليه فاخذ خالد بضرب تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة الى المغارة التي خرجت منها فقال لقومه انا ادخل خلفها المغارة حتى اطفئها وامرهم ان يدعوه بعد ثلاثة ايام تامة فانهم ان نادوه قبلها لم يخرج وعوت وان صبروا اخرج اليهم سالما فلم يصبروا ونادوه في اليوم الثاني فخرج وقال لهم اضعتموني واضعتم امري وامرهم ان يدفنوه ارتقبوا يوما يبصرون فيها فاذا عير اتاهم قطع ثم تقدمه حمار مقطوع الذنب فاذا حاذى قبره فنبشوه فقوم ويخبرهم باحوال البرزخ وما عاينه بقيا فانتظروا الميعاد كما قال لهم فمنعوا قومه ان ينبشوا قبره فان اولاده خوف العار وان يقال لهم اولاد المنبوش فهم تهم الحمية الجاهلية على ان ضيعوه فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءته ابنته فقال لها مرحبا بابنة نبي اضاعه قومه غير صحيح وما قيل من ان المراد نبي ذو شريعة مبلغ للاحكام يأباه لفظ الحديث فانه عام ولو كان كما ذكر لقال انه رسول واحسن منه ان يقال انه كان مبعوثا لقومه ولم يبرز ذلك وكذا ما قيل انه كان بينهما ونبيه غيره كلقمان وسمعان فانه لا يعارض حديث الصحيحين كما ذكره الحافظ ابن حجر والبرهان وغيرهما واعلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما خص هذين بالذكر لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام ابو الانبياء عليهم الصلوة والسلام واسمعيل كان على شريعته والعرب يزعمون انهم على ملته وعيسى عليه الصلوة والسلام قريب العهد وبشر بنبوته من امه حضه وهذا لا ينافي قوله تعالى (ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) كما يتوهم لان المأمور به اتباعه في التوحيد والعقائد دون غيرها من الاحكام وليس المراد تقليده بل مراده انه موافق له تأمل (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في الاحاديث السابقة (انا سيد الناس يوم القيمة) جواب عن سؤال مقدر وهو لم خص سيادته صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك اليوم وهي غير مخصوصة به (وهو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة) بل سيد جميع المخلوقات والجملة حالية (ولكن اشار) عليه الصلوة والسلام بقوله هذا كما تقدم (لانفراده) عن غيره (فيه بالسودد والشفاعة) العظمى الدال

على عظمة قدره عند الله (دون غيره) من الرسل والملائكة المقربين والسودد بضم السين المهملة وفتح الدال الاولى وقد تضم وبهمز الواو لضم ما قبلها وهي لغة طي بمعنى السيادة وسيد وزنه فعيل او فيعل او فعل ودلالة الثانية للالحاق (اذ لجأ الناس اليه) اي التجأوا واستندوا للتوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم (في ذلك) الوقت او ذلك الامر وهو تعالى لما قوله (فلم يجدوا سواه) صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم ويخلصهم مما هم فيه من الكرب الذي لا يطاق عن غيره دفعه (والسند) معناه لغة (هو الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم) اي يعتمدون عليه اذا قصدوه لقضاء مصالحهم فلذا وقع هنا موقعه اذ المعنى انا من قضى حوائج جميع الناس في الموقف ومن هذا ظهر للتخصيص وجه آخر الا ان هذا تفسير له باللازم معناه لان معناه من يتبعه جماعة قومه وسواده والحوائج جمع حاجة على خلاف القياس او مفرده حائجة مقدر او نادر ومورود في الاحاديث وكلام العرب كثيرا فصيحا فلا وجه لمن انكره كالحريري وقد شنع عليه ابن بري وانشد له شواهد كثيرة وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب قضاء الحاجة وهو دأبه في الدنيا والآخرة ولله در الصرصري في قوله

الا يا رسـول الاله الذي * هدانا به الله في كل بينه
سمعت حديثا من المسندات * يسر فؤاد النبيل النبيه
وانك قد قلت فيه اطلبوا * الحوائج عند حسان الوجوه
ولم ار احسن من وجهك * الكريم فجد لي بما ارتجيه

(فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (حينئذ) اي في وقت التجائهم اليه (سيدا منفردا من) سائر (الخلق) اي منفردا عن جميع الناس حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه السيادة (لم يزاحمه احد في ذلك) اي لم يشاركه احد في كونه ملجأ للناس واصل معنى المزاحمة المدافعة (ولا ادعاه) لانكشاف الامر يوم القيمة حتى لا يمكن احدا ان يدعي ما ليس فيه (كما قال تعالى لمن الملك اليوم) يعني انه تعالى يقول يوم القيمة لمن الملك في هذا اليوم او ينادي به مناد على رؤس الاشهاد فلا يجيبه احد فيجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) اي الملك مخصوص به او يقول اهل الموقف يعني ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم اليوم كقوله تعالى (لمن الملك اليوم) ووجه التشبيه انه خص الملك بذلك اليوم كما خص رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم سيادته به (والملك له تعالى في الدنيا والآخرة لكن) انما خصصه بملك هذا لانه (في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا) متعلق بالمدعين ان ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف الملاك بتقديره تعالى ذلك لهم وتفضله عليهم ظنوا ان لهم ملكا حقيقة فلما قهرهم بالموت وكشف الغطاء ظهر انهم عبيد عاجزون ليس لهم من الامر شيء فانقطعت الدعاوى (وكذلك)

اى مثل كونه تعالى منفردا بالملك وظهوره حين انقطاع الدعاوى وتفرده صلى الله تعالى عليه وسلم حتى (لجأ الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الناس فى الشفاعة) العظمى المعهودة (فكان سيدهم فى الاخرى) اى الآخرة لانه يقال انها اخرى وآخره وفى نسخة فى الآخرة (دون دعوى) من احد من اهل الموقف انه سيد لعدم المنازع والمدافع (وعن انس رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه مسلم (آتى) بمد الهمزة (باب الجنة يوم القيمة فاستفتح) اى اطلب الفتح بتحريك الحلقة (فيقول الخازن) اى بواب الجنة الموكل بها والمراد به رضوان رئيس خزنتها لانه ورد التصريح بان اسمها خزنة (من انت فاقول) انا (محمد فيقول بك امرت) اى بسببك امرت بالفتح اذا قرع الباب وقدم الجار والمجرور للحصر بالنسبة لاول الفتح كما اشار اليه بقوله (ان لا افتح لاحد قبلك) والجملة مستأنفة لبيان ما امر به وقيل انه بدل بمافعله اى امرت بان لا افتح لاحد قبلك وانما فتح له قبل كل احد لسبق روحه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه وسبق درنه فى الاجابة على سائر الذوات وفيه اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الناس عملا واعتقادا وافضلهم لقوله تعالى (وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون) (وعن عبد الله بن عمرو) ابن العاص حديث رواه الشيخان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضى مسيرة شهر) اى مسافة كل جانب منه مقدار شهر والحوض مجمع الماء وهو معروف وهذا الحوض العظيم مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم كما صرح به القرطبى فى شرح مسلم وورد فى حديث مرفوع رواه الترمذى ان لكل نبى حوضا ترده امته وروى انه صلى الله عليه وسلم له حوضان احدهما فى ارض الموقف والآخر بعد الصراط له ميزابان من الكوثر وقوله (وزواياه سواء) يدل على انه مربع (وماؤه ابيض من الورق) بفتح الواو وفتح الراء المهملة وكسرها وسكونها الفضة مطلقا او مانضرب منها وفى نسخة من اللبن وابيض افعل تفضيل من البياض ضد السواد وقد سمع من العرب وورد فى الحديث الا ان صاحب القاموس قال انه شاذ وعلى الاول فلا وجه لاطلاق بعض النحاة انه لا يبنى افعل من الالوان ومن العيوب وانما قال اشد بياضا وابلغ ونحوه (وريحه اطيب من المسك) الريح كالرائحة مايشم ويطلق على الهواء وهو الاشهر ونحو اراد به ايضا لان الهواء اذا تكيف بكيفية طيبة كان طيبا ايضا (كيزانه كنجوم السماء) كثرة واشراقا وكونها اكثر من النجوم حقيقة لامانع منه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث والذى نفسى بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء الا انه بالقسم وقيل المراد المبالغة والكيزان جمع كوز وهو اناء صغير يتناول به الماء للشرب والاصل انه اناء ضيق الفم له عروة فان لم يكن له عروة فهو كوب وجمعه اكواب كما تقدم فان كان

فيه شراب فهو كأس (من شرب منه شربة لم يظمأ ابدا) اى لم يعطش بعده ابدا وروى لن يظمأ ولا يظمأ ولا كلام فيه واما هذه الرواية فاستشكلت بان لم لنفي الماضي والمراد هنا نفي الظمأ في المستقبل بدليل قوله ابدا المفيد للاستغراق المستقبل واجيب بان المراد نفي الماضي كأنه لم يذق ظمأ في الماضي لشدة اللذة التي انسته ما قبلها واما ابدا فانها تكون للماضي ايضا كما في التسهيل * اقول هذا تعسف فالحق انها لنفي المستقبل بقرينة قوله ابدا وهي ترد كذلك اذا قرنت بالشرط نحو ان لم تحسن لي غدا كان كذا وهو كثير في كلامهم ومن هنا شرطية او في معناها فهذا سهو من قائله ويظمأ مهموز ساكن الهمزة ويجوز ابدالها الفا وقيل ان لذة المشروب انما تكون بالاشتهاء وهو انما يكون لمن عطش واهل الجنة منعمون في المأكل والمشرب واجيب بان المراد انه لا يشتد عطشه وليس بشيء لانه قد يشرب بدون عطش للتلذذ كما يشاهد في خمور الدنيا وروي من يشرب بالرفع على ان من موصولة ومجزوما على انها شرطية كما تقرر (وعن ابي ذر رضي الله تعالى عنه) حديث بن جنادة (نحوه) اى روى عنه ما هو بمعناه او قريب منه وان لم يكن مثله (وقال) زيادة على ما مر في روايته (طوله ما بين عمان الى ايلة) اى طول الحوض كطول ما بين هاتين البلدتين وعمان بضم العين وفتح الميم المخففة وبفتح العين وتشديد الميم وهو المروي في حديث الحوض قرية بالشام وحكي فيه التخفيف ايضا وهو المراد والتي باليمن بالضم والتخفيف لا غير وقيل انها المرادة هنا لرواية ما بين بصرى وصنعاء والمراد زيادة الطول فلا تعارض الروايات وايلة بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية ولام وهاء بلدة بالشام بساحل البحر بين طيبة ودمشق وقيل غير ذلك وهي سميت بعمان بن لوط لانه سكنها وقيل بعمان بن سنان من ولد ابراهيم عليه الصلوة والسلام (يشخب فيه ميزابان من الجنة) بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الشين وضم الخاء المعجمتين وفتحها وموحدة ومعناه انه ينصب منصوب وروي يغت بغين معجمة مضمومة ومثناة فوقية ومعناه يوالي صبه وروي ان ما فيه يصب عليه وعين مهملة وموحدة ومعناه يصخر ماؤه واصل الشخب ما يخرج من الضرع عند الحلب والميزاب بكسر الميم وهمز ساكنة ويبدل ياء مسيل الماء (وعن ثوبان مثله) اى مثل حديث ابي ذر (وقال) اى ثوبان عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (احدهما) اى احد الميزابين (من ذهب والآخر من ورق) اى فضة (وفي رواية حارثة بن وهب) الخزاعي الصحابي المعروف رضي الله عنه واخرج له اصحاب الكتب الستة (كما بين المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء) هي بصاد وعين مهملتين مدينة باليمن والسنة انها صنعاي على خلاف القياس ونسبها وبين المدينة مسيرة شهر والمراد عظمه فالروايات كلها بمعنى وبقرب دمشق قرية تسمى صنعاء ايضا

(وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) في حديث رواه الشيخان (كأس الكوفة) مدينة العراق المشهورة (والحجر الأسود) والروايات متحدة كما عرفت فاما تقريبه لا تحديد به فخاطب صلى الله تعالى عليه وسلم كلا بما يعرفه ولا حاجة الى ان يقال انه وقع الخطاب به عند الحجر الاسود كما قيل واصل معنى الكوفة رمل مستدير او حجارة بيض فسمى بهاثم شرع المصنف رحمه الله في بيان هذا الحديث روى من طرق كثيرة دالة على صحته وانه على ظاهره ولذا ذهب المصنف رحمه الله تعالى الى انه متواتر فقال (وروى حديث الحوض ايضا) كالروايات المقدمة (انس) بن مالك الانصاري الصحابي خادم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رواه عنه مسلم من غير الطريق المتقدمة فلا يقال انه تقدمت روايته وايضا فقد مضى بعبارة ما تقدم (وجابر بن سمرة) بفتح فضم ابن جنادة الصحابي السوائي وما في بعض النسخ هنا وفي اول الشفاء جابر وسمرة قال البرهان صوابه جابر بن سمرة وكذا هو على الصواب في النسخ مكتوب عليه صح فان صحت الرواية الاخرى فالحديث رواه جابر بن عبد الله وسمرة الا ان رواية جابر بن عبد الله في مسند احمد واما رواية سمرة فلم اقف عليها فالثابت رواية بن سمرة كما في مسلم وغيره (وابن عمر وعقبة) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب الصحابي احد العبادلة وعقبة وهو ابن عامر الصحابي المشهور الجهني (وحارثة بن وهب الخزاعي) الصحابي المنسوب لخزاعة قبيلة معروفة (والمستورد) بصيغة اسم الفاعل ابن شداد الفهري نزيل مكة ثم مصر الصحابي (وابو برزة الاسلمي) نضلة بن عبد الله الصحابي الامام الجليل وبرزة بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وزاي معجمة بعدها هاء توفي سنة ستين او اربع وستين وحديثه في الصحيح والبردي واسلم قبيلة معروفة (وحذيفة بن اليمان) العبسي الاشهلي الصحابي صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحديثه رواه مسلم وابن ماجه (وابو امامة) بن صدي بن عجلان الباهلي الصحابي وحديثه اخرجه الطبراني وامامة بضم الهمزة (وزيد بن ارقم) الخزرجي الصحابي المشهور وحديثه اخرجه ابن حنبل والحاكم وصححه (وابن مسعود) الصحابي المشهور وحديثه اخرجه الشيخان (وعبد الله بن زيد) الصحابي الذي ارى الاذان في منامه كما مر وحديثه اخرجه الشيخان ايضا (وسهل بن سعد) الصحابي (الساعدي) منسوب لساعدة وبنو ساعدة قوم من الخزرج واليه تنسب السقيفة التي كانت فيها بيعة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه (وسويد بن حبلة) صحابي وهو سويد بن حبلة الفزاري وقيل لم تصح صحبته فحديثه مرسل وقيل انه صحابي ولم يروعنه الا حديث واحد وقيل لعله سويد بن غفلة ولهم سويد بن عامر وهذا الحديث عنه في سنن البيهقي والاولى تأخيره للاختلاف في صحبته (وابو سعيد الخدري) الصحابي المشهور وقد تقدم (وعبد الله الصنابحي) بضم الصاد المهملة وفتح النون والف بعدها باء موحدة

(بكسوره)

مكسورة وحاء مهملة وباء نسبة صحابي وقيل نسب لجده صنابح واسمه عبدالله وقيل ابو عبدالله وقيل ابو عمرو وقيل انه منسوب لصنابح ابن بطن من العرب وفي الشرح الجديد لم اقف على من نسب لهذا البطن من الصحابة سوى عسال الصنابحي وآخر اسمه صنابح بن الاعسر فانه نسب لجده وفي الاتقان عبدالرحمن بن عسيلة الصنابحي فلعله التبس على القاضي وقال صوابه الصنابح (وابو هريرة) وحديثه في الصحيحين (والبراء) بن عازب وحديثه في الصحيحين ايضا (وجندب) عبدالله بن سفيان البجلي الصحابي وهو بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة وضمها وفي الصحابة من يسمى جندب غيره ولكنه عند الاطلاق فالمراد هذا (وعائشة) ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها (واسماء ابنة ابي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنهم والحديث في الصحيحين وفي بعض النسخ (وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة) مصغر بردة وابو بريدة اسمه سليمان وعبدالله قاضي مرو وعالمها وهما ابناء ان فلان في ذكرهما هنا مع الصحابة وفي مسند احمد روايته حديث الحوض عن عبدالله بن بريدة وقال حدثني به اخي قال البرهان لعل القاضي اراد ابن بريدة هذا اوقال بريدة فزيد عليه ابن ولم ار لبريدة بن الحصيب حديثا في الحوض في الكتب الستة ومسند احمد وله ذكر في مسند البزار (وابو بكرة) وهو نفيع بن الحارث كناه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به لانه تدلى ببكرة من حصن الطائف لما منع من الخروج (وخولة بنت قيس) بن فهد بن قيس الانصارية النجارية الصحابية زوجة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وحديثها في مسند احمد والطبراني (وغيرهم) من الصحابة وترك المصنف ذكرهم اختصارا لما تركناهم اقتداء به وقد تقدم ان المصنف انكر طرق هذا الحديث قال انه متواتر وقيل تواتره معنوي لقول ابن الصلاح انه لا يكاد يوجد شروطه ﴿فصل في تفضيله﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء (بـ) معنى (المحبة والخلة) كما ثبت أي تحققه اي تكونه حسب الله وخليله (جاءت بذلك الآثار الصحيحة) بمعنى روايته وقد تقدم الكلام على الاثر والحديث وان الاثر يطلق على الحديث مرفوعا كان او موقوفا اوغيرهما واما تخصيص الفقهاء الاثر بالموقوف فاصطلاح لهم وما رواه الخطابي في جامعه مرفوعا ما جاء عن الله فهو فريضة وما جاء عني فهو حديث وما جاء عن اصحابي فهو سنة وما جاء عن اتباعهم فهو اثر وما جاء عمن دونهم فهو بدعة فهو موضوع كما نص عليه ابن حجر والسخاوي والمحبة من الله تعالى ومن الله امدته كما قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وهذا مما لا خلاف فيه الا ان المحبة ميل القلب لما يلائمه حواسه الباطنة والظاهرة ولا يتوقف هذا على الصورة الحسنة كمحبة الصالحين والعلماء او غيرهم من ارباب الكمال فهي في حقه تعالى ليست بميل قلب ونحوه بل هي ارتضاؤه له لاتصافه بالكمال وانقياده لطاعة مولاه وجعله له من طريق الفضل

لامن طريق الانس والراحة وهو الذى كله وحسه ولذاقيل انه عبر عن اللطف بالمحبة ومحبة العبد تعظيمه له بمشاهدة صفات كماله ومعاملته لانعامه واحسانه فان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والخلة صفة الخليل وهو مما يستوى فيه المذكر والمؤنث يقال خل وخليل بين الخلة والخلولة وخليل الله من انه من اصطفاه وخصه بكرامته لتخلقه باخلاق الله لان الخليل من يخاللك اى يوافقك فى خلالك ويسايرك فى طريقك من الخل وهو الطريق فى الرمل او يسد خلتك ومعنى كون الله خليل عبده انه محب له قائم بأموره بحيث لايحوجه لغيره اصلا (واختص صلى الله تعالى عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله) اى جرى على الالسنة تخصيصه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك دون خليل الله لاطلاقه على ابراهيم عليه الصلوة والسلام وان كان غيره من الانبياء محبوبا لله ايضا ثم استدل على اتصافه صلى الله عليه وسلم بالخلة بحديث رواه مسندا عن البخارى فقال (اخبرنا ابو القاسم ابن ابراهيم الخطيب وغيره) هو الامام المقرى خلف بن ابراهيم المعروف بابن النحاس بالخاء المعجمة المشددة ولد سنة سبع وعشرين واربعمائة ومات بقرطبة سنة احدى وعشرين وخمسمائة يوم الثلاثاء سادس عشر صفر والكنية بابى القاسم جائزة بعده صلى الله عليه وسلم على الصحيح كما سيأتى (عن كريمة بنت احمد بن محمد) وفى نسخة بنت محمد وصححها رواية بعض الشراح وفى الاكمال انها كريمة بنت احمد بن محمد ابن حاتم المروزية سمعت صحيح البخارى من الكشميهنى وروت الحديث وحدثت به كثيرا وجاورت بمكة الى ان ماتت قالت (حدثنا ابو الهيثم) الكشميهنى وقد تقدم ضبطه وترجمته (وحدثنا حسين بن محمد) بن سكرة (الحافظ) السابق ذكره (سماعا عليه) فهو احد شيوخه وهذا سند وطريق آخر للمصنف فى رواية هذا الحديث وفى نسخة وحدثنا وح تكتب عند الانتقال من سند لآخر اشارة الى التحول كما فصلوه فى مصطلح الحديث قال (حدثنا القاضى ابو الوليد) الباجى الذى نبهنا سابقا قال (حدثنا عبد بن احمد) عبد بغير اضافة ابو ذر الهروى السابق ذكره قال (حدثنا ابو الهيثم) الكشميهنى السابق فى الطريق الاول قال (حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف) الفربرى الامام الحافظ راوى البخارى المشهور كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسماعيل) هو الامام البخارى صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا محمد بن عبد الله) المعروف بالمسندى والبخارى روى عن اربعة كل منهم اسمه محمد بن عبد الله والمراد هنا هذا كما ذكره الكلاباذى وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان توفى يوم الخميس لست بقين من ذى القعدة سنة سبع وعشرين ومائتين قال (حدثنا ابو عامر) عبد الملك بن عمرو بن قيس العقدى بفتح العين والقاف ودال مهملتين وهو محدث بصرى مشهور اخرج له الائمة الستة توفى سنة خمس ومائتين

قال (حدثنا فليح) بضم الفاء وفتح اللام ومثناة تحتية وحاء مهملة ابن سليمان العدوى المدنى اخرج له اصحاب الكتب الستة وهو ثقة وقيل ليس بالقوى توفى سنة ثمان وستين ومائة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا ابو النضر) بالضاد المعجمة الساكنة سالم ابن ابى امية المدنى الثقة راوى انس توفى سنة تسع وعشرين ومائة (عن بسر بن سعيد) بضم الباء الموحدة وسكون السين وراء مهملتين المدنى الزاهد الثقة توفى سنة مائة (عن ابى سعيد) سعيد بن مالك بن سنان الخدرى السابق ترجمته رضى الله تعالى عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر) هذا حديث صحيح رواه البخارى وغيره من طرق متعددة ومعموله الثانى محذوف تقديره خليلا ولو حرف شرط لامتناع مايليه وهو الشرط فان لم يكن للجزاء سبب غيره لزم من امتناعه امتناعه والا فلا يلزم فامتنع اتخاذه خليلا غير ربه فيلزم امتناع اتخاذ ابى بكر خليلا فالمعنى لااصل فى محبة احد من الخلق الى مرتبة الخلة فانها مختصة بربى فلو فرض حصولها لاحد كان ابو بكر الحق بها من جميع الخلق لبذل نفسه وماله ووطنه واهله فى طاعته وهذا صريح فى تفضيله على غيره وتقدمه عنده فان كان من الخلة بالضم وهى الصداقة والمحبة التى تخلل باطن القلب فالمعنى ان محبته مقصورة على ربه وان كان من الخلة بالفتح والكسر وهى الحاجة فالمعنى انى ابرؤ من الاعتماد والافتقار الى غير ربى وفى هذا الحديث دلالة على ماتقدم له الفصل وهو وصفه له صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحبة والخلة وقد تقدم مااتفق عليه المسلمون من المحبة وماهنا دال على الخلة وما قيل من انه كان ينبغى للمصنف ان يذكر حديثا صريحا فى اتخاذ الله خليلا وتقدم ماذكره فى آخر الفصل غنى عن الرد (وفى حديث آخر وان صاحبكم خليل الله) يعنى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التجريد والاحاديث تفيد ان المخالة من الجانبين اذا كانت بمعنى المحبة لا من الخلة بمعنى الحاجة فان الله غنى عن العالمين (ومن طريق عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه) التى رواها البخارى وغيره (وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا) كما اتخذ ابراهيم عليه الصلوة والسلام ولا يصح ان يراد بصاحبكم ابو بكر كما توهم وفى هذا دلالة على انه من جانب الله فهم دلالة على انه من الجانبين بخلاف ماقبله ولا ينافيه كون ابراهيم عليه الصلوة والسلام خليلا كما سيأتى تحقيقه (وعن ابن عباس رضى الله عنهما) فى رواية الدارمى والترمذى (قال جلس ناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه) اى ينتظرون خروجه من بيته لمجلس اصحابه والجملة حال من ناس لوصفه بالجار والمجرور (قال) ابن عباس رضى الله عنهما (فخرج) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى اذا دنى) قرب (منهم سمعهم يتذاكرون) اى يذكر بعضهم لبعض فيتحادثون او يذكر بالتشديد كل منهم من عنده ماينسيه (فسمع) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حديثهم) وفسر هذا الحديث بقوله

(فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا) اى من دون خلقه
او اختاره للخلة من بينهم اى نتعجب عجبا من هذا والتعجب يكون من امر فيه غرابة
ولا غرابة عند من عرف عظمة الله وغناه عن مخلوقاته وان كل شئ من فضله
واحسانه انما غرابة اتخاذه خليلا من عبيده وهو ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم غير
ان هذا كان جليلا لانه كان عجبا بذلك فلا وجه لما قيل انه يريد اختصاص ابراهيم بكونه
خليلا على ناس (وقال آخر ماذا) اى ليس اتخاذ الله ابراهيم عليه السلام خليلا
(باعجب من كلام موسى) حين ناجاه فى الدنيا (كلمه الله تعالى تكليما) مع انه تعالى
فى الدنيا لم يكلم انبياءه الا بواسطة ملك الوحى (وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه)
هذه الفاء فصيحة فى جواب شرط مقدر اى اذا ذكرتم خليل الله وكليمه وتعجبتم
من ذلك فاذكروا عيسى عليه السلام وكونه كلمة الله وروحه وسمى عيسى كلمة الله
لان الله خلقه من دون اب بمجرد قوله كن او لانه اهتدى به الناس كما اهتدوا بكلامه وقال
الصدر القونوى فى نفحاته لكل شئ فى عرصة العلم الالهى الازلى صورة الحرفية
فاذا صبغه الحق بنوره الذاتى وذلك بحركة معقولة معنوية تعينها شأن من الشؤن
الالهية المعبر عنها بالكتابة تسمى تلك الصورة كلمة فالموجودات كلمات الله تعالى كما قال تعالى
* اليه يصعد الكلم الطيب * اى الارواح الطاهرة اسمى وسمى روحه انه روح
منه بدون واسطة تولد فالاضافة للتشريف (وقال آخر) ممن كان ثمة (وآدم
اصطفاه الله) اى اختاره وجعله صفيه وهذا كله تعجب منه من لاحظ عظمة
الربوبية وانه غنى عن العالمين (فخرج الى) صلى الله تعالى عليه وسلم (عليهم
وسلم) لما ذكر قوله فخرج اولا ثم اعادها وهو مكرر ولا يصح كونه تأكيدا فقيل
كرره ليعطف عليه ما بعده اولا ويحتمل ان يكون الخروج الاول من مكان والثانى
من آخر وانت خبير ان هذا التوهم ان العطف ينافى التأكيد وليس كذلك فان النحاة ذكروا
كما فى التسهيل ان التأكيد قد يقترن بالعاطف فلا كثيرا ما كقوله * كلا سوف تعلمون ثم
كلا سوف تعلمون * وقد يكون بالفاء وصرح المفسرون بانه قد يعاد اللفظ اذا طال
الكلام بتكريره وههنا بحث نفيس وهو ان ما قاله النحاة ينافى ما نص عليه اهل المعانى
من ان التأكيد لا يصح عطفه لما بينهما من شدة الاتصال ولان العطف يقتضى المغايرة
والتأكيد عين المؤكد والعجب منهم انهم لم يتعرضوا لما قاله النحاة والمسئلة من مسائل
الكتاب فان لم يقفوا عليه فهو عجب وان وقفوا عليه واعرضوا عن خلافه فهو اعجب كما قيل

فان كنت لا تدرى فتلك مصيبة * وان كنت تدرى فالمصيبة اعظم

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (قد سمعت كلامكم وعجبكم) اى تعجبكم
و قولكم عجبا كما مر فى اول الحديث وقد قيل ان سمعت مضمن معنى ادركت
او فيه مقدر عامل فى الثانى اى وعرفت عجبكم على حد قوله علفته تبنا وماء

اى واعطاته ولاحاجه لماذكر لما قدمناه لك وقوله (ان الله اتخذ ابراهيم خليلا)
وقد صحح فى النسخ المقروءة فتح همزة ان فهو بدل وفى الشرح الجديد يجوز ان يكون
جملة مستأنفة كأن سائلا سأل ما كلامهم وما تعجبوا منه فاجابهم بقوله ان الله الخ
وان يكون مقول قول محذوف وهو مقتضى ان ان مكسورة الهمزة (وهو كذلك)
اى اتخذه خليلا (وموسى نجى الله) اى كلمه والمناجاة المكالمة واصل معناها
ان يخلو بحوه من الارض ليسار غيره ثم شاع فيما ذكر وقيل اصلها من النجاة فمعناه
ان يكلمه بما فيه خلاصه (وهو كذلك) اى هو نجى الله وكليمه فما ذكره واقع (وعيسى
روح الله وهو كذلك) اى هو روح الله كما علم وتقدم بيانه وان الاضافة للتشريف
اوهو بمعنى رحمة الله (وآدم اصطفاه الله وهو كذلك) كما علم فان الله اصطفاه
واختاره للنبوة والخصائص الروحانية وكونه ابا البشر (الاوانا حبيب الله) الا بفتح
الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح تؤكد به الكلام المستأنف فتحقق ما بعده
نحو (الا ان اولياء الله لاخوف عليهم) وتدخل على الجملتين ودخولها هنا
على العاطف لتحقيق اختصاصه بكونه حبيب الله واشارة الى ان هذه الصفة
اعلى درجة مما له اى من نحب مما وصف به الانبياء قبلى فانا موصوف بما هو انجب
واعلى وهو كونى حبيب الله اى محبوب له فانه فعيل بمعنى مفعول وفاعل من انه
من القول بالموجب الذى هى كقوله تعالى (ليخرجن الاعز منها الاذل * ولله العزة
ولرسوله) فانه سلم لهم اخراج الاذل بمعنى غير الذى ارادوه فانهم ارادوا بالاعز
غير المؤمنين وبالاذل المؤمنين فعكسه عليهم وهو على ضربين كما تقرر فى علم المعانى
غير صحيح لانهم لم يقصدوا تفضيلهم على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقصد
الرد عليهم حتى يقال انه من هذا القبيل باعتبار نفى لازمه ولذا قال التلمسانى انه
قريب من القول بالموجب لانه قرر اولا ما ذكروه من فضائلهم بقوله هو كذلك
ثم نبه على انه افضل منهم كلهم وقوله (ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى)
تقدم شرحه فى حديث آخر (ويدخلنيها) بضم المثناة التحتية والضمير الثانى
للجنة ويجوز فيه الفصل والوصل خلافا لسيبويه للزوم الفصل عنده كقوله ان الله
ملككم اياهم (ومعى فقراء المؤمنين) اكراما لهم وفيه اشارة الى ان الفقير الصابر
افضل من الغنى الشاكر كما مر والجملة حالية (ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين
ولا فخر وفى حديث ابى هريرة) الذى رواه البيهقى وصححه (من قول الله تعالى)
وفى نسخة فى قول الله والاصح رواية بلفظ من (انه صلى الله عليه وسلم اى
اتخذتك خليلا) كما تقدم (فهو مكتوب فى التورية انت حبيب الرحمن) قال السمنى
انه وقع هكذا فى النسخ المعتمدة من الشفاء بهمزة مفتوحة ونون مهملة ساكنة

وباء موحده وهى هكذا وفى نسخة المصنف المبيضة المروية عنه وصححها بعضهم وكتب اب وهى لفظه عبرانية بمعنى اب وقال الدلجى ان بعد السين تاء مثناة فوقية وفسره بامت وعن الشمنى قوله بعد السين حرة اى مدة حفظه لم ينسها لشكه فيها قيل حاصله انه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وصف الجنة من غير مشاركة فيها والخلة التى شاركه فيها ابراهيم عليه الصلوة والسلام وقد اثبتها صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه فى آخر خطبة خطبها قبل وفاته بخمسة ايام فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه عن اسمه انه قد كان لى فيكم اخوة واصدقاء وانى ابرؤ الى الله ان اتخذ احدا منكم خليلا ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابابكر خليلا ان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا او نيف الارجحة مما جمع حرائق الارض والسماء وهو بعرف منه صلى الله تعالى عليه وسلم باعلى مقامه واكمل حالاته وبين خلته وخلة ابراهيم عليه الصلوة والسلام فرق لان خلته حقيقية اصلية وخلة ابراهيم مستعارة من جانبه الداعية ولذا قال ابراهيم فى حديث الشفاعة انما كنت خليلا من وراء وراء فالخليل غيره وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اسمى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوص بالمحبة وبالخلة الحقة من والا فقد قال تعالى (يحبهم ويحبونه) ولكل صفة مراتب فهو صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوص باعلاها وسيأتى تحقيقه قريبا (قال القاضى ابو الفضل وفقه الله تعالى) هو عياض المصنف (اختلف) بالبناء للمجهول اى اختلف العلماء (فى تفسير الخلة) وبيان معناها (واصل اشتقاقها) بيان لمحل الخلاف ومنشأه وفى قواعد العلوم الاشتقاق اقتطاع لفظ من اصل يوافقه فى حروفه الاصول كضارب من الضرب والاشتقاق الاكبر رد تراكيب المادة الواحدة المختلفة الى معنى واحد مشترك بينهما وقد يكون ظاهرا فى بعضها خفيا فى البعض ويحتاج فى رده الى ذلك المعنى الى تلطف فى معرفة المناسبات انتهى وتفسير اقسام الاشتقاق وتحقيقه مذكور فى كتب ابن جنى كالخصائص وغيرها (فقيل الخليل) المذكورها (المنقطع الى الله) اى الذى قطع رجاءه واعتماده عما عدا الله (الذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبته له اختلال) اى خلل ونقص يحتاج لجبر وتكميل لخلوصه فيه وثقته الذى لا يخل اصلا وتحقيقه ماقاله الامام الراغب انه يقال خلل الثوب بالخلال والرمية بالسهم ادخله فيه والخلة بالضم الطريق فى الرمل وبالفتح الاختلال العارض للنفس لشهوتها او لحاجتها اليه ولذا فسرت الخلة بالحاجة والخصلة والمودة لانها تخلل النفس اى توسطها او تؤثر فيها تأثير السهم فى الرمية اولفرط الحاجة وابراهيم عليه الصلوة والسلام خليل لافتقاره الى الله وقيل

﴿ من ﴾

من الخلة واستعمالها كاستعمال المحبة وقال ابو القاسم الناجى هو من الخلة بالفتح لا من
الخلة بالضم ومن قاسه بالحبيب فقد اخطأ لانه تعالى لا يجوز ان يحب عبده فان محبته
الثناء عليه ولا يجوز ان يخاله وهذا منه تشبه فان الخلة من تخلل الود نفسه ومخالطته
ولذا يقال تمازج روحاهما والمحبة بلوغ الود حبة القلب يقال حببته اذا اصبت حبة
قلبه فاذا استعملت فى الله اريد مجرد الاحسان وكذا الخلة فيجوز فى احدهما كما
يجوز فى الآخر فاما ان يراد بالمحبة بلوغ حبة القلب وبالخلة تخلل حاشا الله
عنه انتهى وفى كلام المصنف رحمه الله تعالى دلالة على ان الخلة تستلزم المحبة
ومن تفسيره للخليل يعلم معنى الخلة التى هى مأخذه فلا يرد ان اول كلامه فى الخلة
وما ذكره تفسير للخليل فسقط ما قيل من انه انما يستقيم على ان الخلة بمعنى الخليل
يستوى فيه المؤنث والمذكر لانه مصدر فى الاصل وان الكلام فى معناه اللغوى
الوصفى الثبوتى وتفسيره بالسلبى غير مناسب لانه بيان لحاصل معناه (وقيل الخليل)
معناه (المختص) من خالله مطلقا فهو الصديق الذى صار من خاص احبائه
واصدقائه وتفسيره بانه اختص بخدمة الله واختار ما كلفه من فعل وترك اقتصار
فيه قصور (واختار هذا القول غير واحد) من الائمة المحققين ورجحه السراج
(وقال بعضهم اصل الخلة) بالضم (الاستصفاء) اى كون محبته ومودته صافية
اى خالصة من الكدورات وقيل هو من الصفوة بمعنى الاخيار وهو من لوازم
الصداقة ثم فرع على الاقوال قوله (وسمى ابراهيم خليل الله لانه يوالى فيه ويعادى
فيه) الموالاة المحبة وفى بمعنى اللام كقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا) اى لاجلنا
اى لا يحب الامن احبه الله من المؤمنين اهل الطاعة ولا يبغض الا اهل المعصية
والضلال كقوله تعالى (لا تجدوا قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله) ولذا قالوا

اذا صافى صديقك من تعادى ❊ فقد عاداك وانفصل الكلام

(وخلة الله له) اى لابراهيم عليه الصلوة والسلام (نصره) على عدوه كنمرود
وهذا جواب سؤال مقدر اى قد علم معنى كون ابراهيم خليل الله فما معنى كون الله خليلا له
(وجعله اماما لمن بعده) لقوله تعالى (انى جاعلك للناس اماما) اى مقتدى مقتديا
لجميع من بعده لان الانبياء بعده كلهم من ذريته وهذا من تمام نصرته لانه لولم تنتصر
خالفه من بعده ولذا ذكره معه تأسيدا وتأكيدا (وقيل الخليل اصله) اى اصل معناه
الذى وضع له انه (الفقير المحتاج) صفة كاشفة مفسرة له (المنقطع) اى المتفرد عن
الناس لعدم اعوانه واخوانه (ماخوذ من الخلة) بفتح الخاء (وهى الحاجة) لاحتياج
صاحبها الغيره لعجزه عما يقوم بأموره (فسمى به) اى لقب عليه السلام بها وهو الخليل
(ابراهيم) فالضمير للحاجة او للفظة الخلة والاظهر انه مصدر مضاف اى عشقها

ونحوه (لانه قصر) بفتح القاف والصاد المخففة والقصر كالحصر بمعنى التخصيص (حاجته على ربه) اى لم يكن له حاجة الا الى ربه فلا يؤمل نفعا من غيره ولا يقبله (وانقطع اليه بهمه) الهم هنا مايهتم به المرء ويعتنى به ويعزم عليه يعنى كما انه قصر حاجته على الله قصر امله وعزمه على الله وعلى مايرضيه (ولم يجعله قبل غيره) قبل بكسر القاف وفتح الموحدة واللام بمعنى المقابل الذى يدرك ويرى فالمراد انه عنده وفى جانبه وانه لم يجعل امره ورجاءه فى غير الله اى لم يطلب شيئا من غيره ولم يؤمله (اذ جاءه) اى جاء ابراهيم عليه الصلوة والسلام (جبريل) عليه الصلوة والسلام (وهو فى المنجنيق ليرمى به) اى وقد وضع فيه ليرمى به (فى النار) التى اوقدت لاحراقه وكان لهيبها اشتد حتى لم يمكن احد ان يدنو منها حتى يرمى شيئا فيها فصنعوا المنجنيق لالقائه من بعيد وهو بفتح الميم وكسرها آلة لرمى العدو بحجارة كبيرة بان يشد سوارى مرتفعة جدا من الخشب يوضع عليها مايراد رميه ثم تضرب بسارية توصله لمكان بعيد جدا وكانت هذه الآلة قديمة قبل وضع النصارى للبارود والمدافع وهو فارسى معرب وفى وزنه ومعناه قبل التعريب كلام طويل لهم واصله من جى نيك اى ما اجودنى وهو مؤنث كما قال

لقد تركتنى منجنيق ابن جندل * احيد عن العصفور حين احيد

وميمه زائدة ووزنه منفعيل وقال سيبويه فعليل والاستدلال عليه مشهور (فقال له) جبريل عليه الصلوة والسلام (الك حاجة) عندى من سؤال مايجيبك ونحوه (قال اما اليك فلا) حاجة لى لقصر حاجته على ربه كما مر وهذا رواه ابو نعيم (وقال ابو بكر ابن فورك) بضم الفاء وفتح الراء المهملة وكاف ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقال البرهان انه صحح فى النسخ بالتنوين والصرف لظن انه علم مرتجل وقيل انه عربى معناه الفار ولا يعرف فى اللغة وانما المذكور فيها انه بمعنى نوع من الطباء ومن قال معناه الفار لعله اراد انه من عجمة اندلس وتحريف عامتهم قلت رأيت فى كتب التواريخ ان ملك الهند ارسل للاسكندر رسولا اسمه فورك وسألت عنه فقيل معناه غلام حقير وهو يقتضى انه عجمى غير مصروف وعندى انه يجوز فيه الوجهان وقد مر فيه كلام لنا وماقلناه هنا زبدته (الخلة صفاء المودة) وهى المحبة مع التودد وهى المواسة والمساعدة وصفاؤها خلوصها بان يوافق الظاهر الباطن كما قال المعرى

والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

(التى توجب الاختصاص) اى يلزمها اختصاص الواد بمن يوده بان يلازم صحبته واسعافه (بتخلل الاسرار) جمع سر وهو مايخفيه المرء عن غيره وتخللها دخولها فى باطنه لاطلاعه عليها وعلمه بها فلا يخفى عليه شئ من احواله والباء سببية وقيل

الاسرار بتجاويف حبات القلوب وهو مجاز او معناه رسوخ المودة فى القلب واعلم انه تقدم ان الفرق بين المحبة والمودة والخلة ان المحبة ميل القلب لما هو حسن عنده سواء كان حسن صورة او كمال كمحبة العلماء والصلحاء او انتفاع وانعام لان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والمودة مواصلة من تحبه والتودد اليه فاذا زادت المودة وخلصت كانت خلة * فان قلت حينئذ الخلة اخص من المحبة فتكون افضل فلم قيل ان المحبة افضل * قلت المحبة اعم فقد تكون من غير مخالطة وقرب فلا خلة فيها الا ان المحبة قد تصل الى مرتبة بحيث يكون الحبيب لايغيب عن ذكره وذكره طرفة عين حتى يصل الى الهيام وذهاب العقل وتبذل لها الارواح فضلا عما سواها وهذه تسمى عشقا والعشق لايجوز فى الشرع اضافته لله فلا يقال عشقت الله كما ذكره ابن تيمية وغيره وان وقع من بعض الحكماء والصوفية وان كان مع هذه المرتبة خلة وتقريب فليس كهذا الحب محب ولا كحبيبه حبيب وهذه المحبة هى التى اختص بها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الاسراء لما رأى الله وشاهد من جماله وجلاله ووصل من قربه لمرتبة لم يصل لها رسول ولا ملك مقرب وتمت له خلة مقربة لم ينلها غيره فلم يحتج لغيره ولاسأل سواه وعرض عليه مفاتيح خزائن السموات والارض واعانه الله ونصره نصرة عزيزة وغفر له ما تقدم وما تأخر مع انه لم يصدر عنه زلة واطلعه على اسراره وحظائر قدسه واىّ خلة كهذه فلذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوصا بانه خليل الله ايضا وقال الخليل عليه الصلوة والسلام انا خليل من وراء وراء كما مر وكرر وراء اشارة الى زيادة قرب نبينا فى الارض والسماء فلامنافاة بين اختصاصه ووصف ابراهيم وان اشتهر بذلك لانه اجل صفاته واشتهر محمد بالحبيب لانه بهذا المعنى اجل من الخليل وهذا من جانب العبد واما من الله فمحبته له بمعنى تقريبه وانعامه وتعليمه مالم يعلمه غيره وتفضيله على ماسواه وخلته له واسعافه له بجليل هذه النعم وتوفيقه لجعله نصب نصره وبصيرته حتى كأنه معه فى كل حين فاعرفه (وقال بعضهم اصل الخلة المحبة) يحتمل ان اصل معناها الوضعى المحبة لانها من تخلله فى قلبه وروحه ويحتمل ان المراد ان المحبة اساس الخلة ومنشؤها لانها تكون بعد تحققها (ومعناها) اى معنى الخلة الوضعى بناء على الثانى وهو الارجح وقيل ضميرها راجع للمحبة المرادفة للخلة (الاسعاف) اى الاعانة والنصرة والامداد لكل ما اراد (والالطاف) بفتح الهمزة اى الانعام والاحسان قال الزمخشرى فى شرح مقاماته الالطاف الهدايا واحدها لطف بفتحتين قال كل له عندنا التكريم واللطف انتهى ويحتمل انه جمع لطف كقفل وهو التوفيق لفعل كل خير وتسهيله وكونه بكسر الهمزة تحريف

(والترفيع) باعلاء رتبته بالكمالات الظاهرة والباطنة (والتشفيع) باذنه له فى الشفاعة وقبولها وله صلى الله عليه وسلم شفاعات كما مر فيشفع فى فصل القضاء ولرفع درجات قوم فى الجنة ولمن مات بالمدينة كما رواه الترمذى وسيأتى ولبعض المؤمنين فى التجاوز عن سيئاتهم ولبعض من كان من اهل النار بعدم دخولها واخراجه منها ولتخفيف عذاب بعض الكفرة كابى طالب لجعله فى ضحضاح من نار يغلى منه دماغه كما رواه البخارى وهو لاينافى قوله تعالى (لايخفف عنهم العذاب) كما قيل وقد بيناه فى حواشى القاضى ولقبول شفاعة بعض الانبياء والصلحاء وقيل التشفيع بمعنى التأييد والتقوية من الشفع (وقد بين ذلك تعالى) اى كون المحبة والخلة تقتضى الاسعاف وما بعده بطريق المفهوم واللزوم (فى كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم الآية) يعذبكم مضارع بمعنى الماضى اى عذبكم فى الدنيا بالمسخ والقتل وغير ذلك وهذا برهان اى لو كنتم ابناؤه واحباؤه ماعذبكم لكنه عذبكم فلستم كذلك اوهو على اصله اى لم يعذبكم فى الآخرة فعلم منه ان من كان محبوبا لله لايعذبه ولا يسوءه لاقتضاء المحبة لذلك والعجب ان هذا مع ظهوره قيل عليه انه لادليل فى الآية على مدعاه وليس فيها على تقدير التسليم الاعدم مؤاخذة المحبوب بذنبه على انه ممنوع فى احباء الله لان من احبه الله عصمه من الذنوب ويمتحنه بالمناقشة والابتلاء ولا دليل فيها على ان اصل الخلة المحبة وهو عاية عن منه العجب وقولهم ابناء الله اى ما بناؤه وهو المسيح وعزير اونحن اتباع نبيه وقيل انهم ادعوا ذلك لانهم رأوا فى التورية يا ابناء احبائى فبدلوها بيا ابناء انجارى (فاوجب للمحبوب) اى بطريق اشارة النص فيهم ان كل محبوب وخليل يجب (ان لايؤاخذ بذنوبه) اى لا يعاقب بها ويجازى عليها (قال) ذلك المحشى (هذا) اسم الاشارة يتخلص به من كلام لآخر فيكون خبر مبتدأ مقدر اى الامر هذا او مبتدأ خبره مقدر وقد يذكر كما فى قوله هذا ذكر او معمول فعل مقدر اى خذ هذا وقد يقال ها اسم فعل بمعنى خذ ودا معموله لكن الرسم يخالفه (والخلة اقوى من البنوة) بموحدة ونون مصدر بمعنى كونه ابنا متولدا منه ثم بين ذلك بقوله (لان البنوة قد يكون فيها العداوة) اى معها او فيمن اتصف بها وهو من طريقة الصفة للموصوف (كما قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم) اى منهم من يظهر العداوة والعقوق كما هو مشاهد فاحذروهم وخافوا شرهم (ولا يصح ان يكون عداوة مع خلة) لان المحبة معناها اوداخلة فيه اولازمة له وهى ضد العداوة فلا يجتمعان بخلاف البنوة فانها وان كانت الفطرة تقتضى المحبة لكن قد يتخلف لعارض ويكفى هذا فلاوجه للاعتراض بان الاصل فيها المحبة والعارض لايعتد به كما توهم ومن العجب انه ايده بقولهم زيد ابوك عطوفا وكم له مثلها تجاوز الله عنه (فاذن) تفريع

على ماقبله (تسمية ابراهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام بالخلة) اى بما اخذ من الخلة وهو الخليل او المراد بالتسمية الوصف تجوزا وقدم ابراهيم عليه الصلوة والسلام لتقدمه رتبة وشهرته وهو باضافة تسمية وفى نسخة اضافه بالضمير (اما بانقطاعهما الى الله تعالى) هذا ناظر لان الخلة الحاجة اى لاعتمادهما عليه واما لمنع الخلو فقط (ووقف حوائجهما عليه) اى بجعلهما موقوفة على انامه لاكتفائهم بفضله (والانقطاع عمن دونه) اى الانقطاع اليه تعالى وترك غيره (والاضراب عن الوسائط والاسباب) الاضراب بمعنى الاعراض والترك يقال اضرب عن كذا اذا امسك عنه وتركه (او لزيادة الاختصاص منه تعالى بهما) معطوف على ما تقدم اما بان الله اختصهما زيادة اختصاص به فاغناهما عما سواه كما يغنى الخليل خليله وهذا ناظر الى انه من الخلة بالضم (وخفى الطافه عندهما) خفى بالخاء المعجمة لان لطفه يكون من حيث لايدرى او بالحاء المهملة اى زيادة مبالغة فى اكرامه لهما يقال احفى به وحفى اذا بالغ فى اكرامه وهو مجرور معطوف على زيادة او ما اضيف اليه والطاف بالفتح تقدم تفسيره وقيل انه بكسر الهمزة مصدر وفيه مامر (او ما خالل) اى تخلل ودخل (بواطنهما من اسرار الهيبة) اشارة الى انه من التخلل كما تقدم وفى نسخة من اسرار الهيبة بمثناة تحتية فموحدة (ومكنون غيوبه) جمع غيب وهو مالايدرك بالحواس الظاهرة او ما سيكون قبل وقوعه وهو من جملة المستورات ولا يطلع على غيبه الا من ارتضى من رسول والمكنون بمعنى المستور (ومعرفته) اى معرفة افاضها عليهما من علمه اللدنى او معرفة ذاته وصفاته مما لا يطلع عليه كل احد (او لاستصفائه لهما) اى لاختياره لهما من دون خلقه وجعلهما صفوة له حتى يستحقا وصف الخلة لانهما خيرة الله من خلقه والمصدر مضاف لفاعله وقوله (واستصفاء قلوبهما) مضاف لمفعوله واسم المفعول مضاف لا من يجوز افراده وجمعه وتثنيته اى جعل مراتبهما صافية خالصة له صالحة لاسراره ومعرفته (عمن سواه) بحيث لايكون فيها غير معرفته وحده (حتى لم يخلهما) اى لم يدخل فى خلالهما (حب لغيره) هو نتيجة الاستصفاء وماله فان صفاهما وصفى ما بينهما من الدرجة السوى المانعة عن الطبع البشرى (ولهذا) اى لكون معنى الخلة الانقطاع عما سواه والاعراض عن العوارض البشرية (قال بعضهم الخليل من لايتسع قلبه لسواه) لامتلائه بمحبته ومشاهدة جلاله بحيث لايبقى فى قلبه سواه وسوى مراقبته كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبى * فان ترد الزيادة هات قلبا

(وهو) اى ما ذكر من معنى الخليل واصله (عندهم معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث البخارى ان من امن الناس على فى صحبته وماله ابابكر (ولو كنت متخذا خليلا) من الناس غير ربى ارجع اليه فى امورى واعتمد عليه فيما يهمنى (لاتخذت ابابكر خليلا) لانه اعز اصحابى واقدم اصدقائى ولو تعلق قلبى باحد لم يكن يتعلق

بغيره لما اعرفه من ايثاره لي على نفسه واهله (لكن اخوة الاسلام) وقديم الصحبة الذى هو بمنزلة القرابة القريبة النسبية كما قيل

صحبة يوم نسب قريب * وذمة يعرفها اللبيب

وهو استدراك على مضمون الجملة الشرطية فنفى الخلة واثبت الاخوة المؤذنة بالمساواة تمضلا منه فالخلة اعظم من النبوة والاخوة واخوه بهمزة مضمومة وروى فى الاكمال انه خوة بدون الف وهى لغة قليلة (واختلف العلماء وارباب القلوب) اى اصحاب القلوب الكاملة الصافية فجعل غيرهم كأنه لاقلب له والمراد بهم الاولياء وذوالنفوس القدسية وقيل المراد بهم الباحثين عن احوال القلوب وقيل المراد بهم اكابر الصوفية وسموا بذلك لنظرهم فى العلوم الباطنة دون ظواهر الالفاظ (ايهما) اى المحبة والخلة (ارفع) اى ايهما افضل فى نفس الامر وعند الله (درجة الخلة او درجة المحبة) وكى برفع الدرجة عن رفع ماتيهما وافضليته والمقدير اهو درجة الخ (فجعلهما بعضهم سواء) اى الدرجتين او المحبة والخلة متساويين فى الفضل (لا فرق بينهما (فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا) لايخفى ان هذا الا غاية مدى تلازمهما لا مساواتهما رتبة ودرجة ثم اشار الى جواب سؤال مقدر وهو انهما اذا استويا وتلازما فلم خص كل منهما بموصوف فقال (لكنه) اى الله او الامر والشان (خص) مبنى للفاعل او المفعول (ابراهيم بالخلة ومحمدا) بالنصب او الرفع (بالمحبة) بان سمى الاول خليلا والثاني حبيبا وهو امر اتفاقي لمجرد التمييز بينهما ولايخفى ضعفه (وبعضهم قال درجة الخلة ارفع) منزلة وافضل واعلى درجة ويشهد له ان اتخاذه مأخوذه من معنى الخلة واخص منها لكنه قيل انه يرد عليه ما تقدم من قوله فى مناجاته حيث قال له الله سل تعطه فقال يارب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال تعالى له الم اعطك خيرا من هذا واتخذتك حبيبا او ما فى معناه مما يقتضى ان درجة المحبة ارفع الا ان قوله لو كنت متخذا الحديث يخالفه فالمقام لا يخلو من الاشكال والجواب ان القائل انما فضله بمجموع ما ذكر فى الحديث (واحتج) هذا القائل لمدعاه (بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه البخارى (لو كنت متخذا خليلا غير ربى فلم يتخذه) اى غير الله (خليلا وقد اطلق المحبة) اى وصفه بمحبته غير ربه والجملة حالية (لفاطمة) الزهراء ابنته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متعلق باطلق (وابنيها) الحسن والحسين (واسامة) ابن زيد بن حارثة فانه ذكر انه كان يحبه ويسمى حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وغيرهم) كابى بكر وعمر وعائشة رضى الله تعالى عنهم وقد ورد هذا كله مصرحا به فى احاديث صحيحة وقد قدمنا لك ان محبة الله تعالى لعبده غير محبة العبد لله ولغيره وان محبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لله بمعنى كونه ليس فى قلبه ود كره غيره وانها مأخوذة من حبة القلب كما قلت

قد تملكت حبة القلب منى * ولذا سمى الحبيب حبيبا

فلاينافى كونه يحب فلانا لانها لمطلق الميل وبهذا سقط الاحتجاج بما ذكر وسيأتى مايؤيده (واكثرهم) اى اكثر العلماء وارباب القلوب (جعل المحبة ارفع) درجة وافضل (من الخلة لان درجة الحبيب نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم بدل من الحبيب او عطف بيان (ارفع من درجة الخليل ابراهيم) فيقتضى ان صفته وهى المحبة افضل من صفته وهى الخلة وفيه انه لايقتضى ذلك لان تفضيل الذات على الذات قد يكون لمعنى آخر غير تلك الصفة لاسيما اذا قلنا ان الخلة هى المحبة او غايتها (واصل المحبة) الوصفى الحقيقى (الميل الى مايوافق المحب) بضم وفتح الحاء بمعنى المحبوب يقال حبه واحبه بمعنى الاانهم احدوا اسم الفاعل فى اكثر استعمالهم من المزيد فقالوا محب واسم المفعول من الثلاثى فقالوا محبوب وحبيب وقالوا فى غير الاكثر حاب ومحب بالفتح كقول عنترة فى معلقته * منى بمنزلة المحب المكرم * فراسه اكلامها والمراد بما يوافقه مايرضيه ويميل اليه فيحب كل مايحبه ويدعه ويترك لاجله مراداته والمراد بالميل ميل قلبه ولذا قال (ولكن هذا) المعنى يكون (فى حق من يصح الميل) القلبى (منه) اى المحب لا المحبوب والعكس جائز وحرم به بعضهم (والانتفاع بالوفق) بفتح الواو وسكون الفاء قبل القاف اى الموافق فسمى الفاعل بالمصدر اوهو على اصله بمعنى الموافقة بين الشيئين وهذا الاخير خير (وهى درجة المخلوق) وهو راجع الى المحبة بمعنى الميل القلبى ممن يصح منه اوانث باعتبار الخبر فيرجع للمثل والدرجة مجاز عن الصفة (واما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض) بفتح معجمة وراء مهملة وضاد معجمة على ماتقدم فالميل بمعنى ترجيح شئ وتقديمه على غيره لفائدة عرض وعلة للفعل لايجوز على الله ولذا ذهب اكثر الاصوليين الى ان افعاله تعالى لاتعلل بالاعراض لانه يقتضى استكماله تعالى بغيره وهو منزه عنه اما بمعنى الثمرات والفوائد المرتبة على الفعل فلايضر وخالفهم بعض المحققين وقال النصوص تدل على خلافه والاستكمال عنده غير مسلم وقد بسطنا الكلام عليه فى غير هذا الكتاب وفى نسخة الاعراض بعين مهملة وليس جمع عرض بمعنى مرض وبزنته كما قيل بل بمعنى الكيفيات النفسانية الحادثة والميل منها وفى نسخة الاعتراض ولامناسبة لها هنا الاستكلف واذا كانت المحبة بهذا المعنى لاتليق برب العزة (فمحبته) اى الله (لعبده تمكينه من سعادته) اى اقداره على مايفيده سعادة الدارين بتوفيقه لطاعته وعبادته (وعصمته) من ارتكاب الذنوب ويجوز رفعه وجره عطفا على تمكين وسعادة والعصمة هنا معناها الحفظ (وتوفيقه) فى اموره بجعلها على وفق رضاه ويجوز رفعه وجره ايضا (وتهيئة اسباب القرب) تهيئة بزنة تكرمة بياء مثناة تحتية بعد الهاء وهمزة وهاء تأنيث مصدر هيأته اذا جعلته حاضرا سهل التناول اى يسر له الله كل سبب

تقربه الى ربه من صلوة وجهاد ومعرفة ونحوها (وافاضة رحمته عليه) اى ايصال الخيرات الدنيوية والاخروية ايصالا كثيرا متواليا عليه فالرحمة بالماء واثبات الافاضة يعني الصب تكثيرة على طريقة المكنية والتخييلية (وقصواها) بضم القاف وسكون الصاد المهملة فعلى من اقصاه اذا ابعده والمراد غايتها والضمير للمحبة المفسرة بما كتبه ومابعده وذكر الغاية لان صفاته تعالى التى لا نهاية له توحد ناء او غايتها وغاية المحبة (كشف الحجب) بضمتين جمع حجاب اى ازالة الموانع (عن قلبه) كالشواغل الدنيوية (حتى يراه بقلبه) اى يعلمه علما يقينيا كالمشاهدة المحسوسة (وينظر اليه ببصيرته) وهى قوة للقلب كالبصر يدرك بها مايتوجه اليه (فيكون كماقال) اى الله تعالى اوالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الناقل له (فى الحديث) الذى رواه البخارى (فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به) ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وهو حديث قدسى طويل ومعناه اذا صفى قلبه وسمل نفسه بالله احبه الله وتولاه الله بقدم انها عنايته واطلاعه وافاضة نعمه على ظاهره وباطنه فيكون حواسه وادراكها واعضاؤه وحركاتها كلها متوجهة لله ولماقيه رضاه من غير تصنع وتشبه بقوته على ذلك حتى يكون كأن افعالها صادرة عن الله والى هذا اشار المصنف بقوله (ولا ينبغى ان يفهم) بالبناء للمجهول اى لا يفهم احد (من هذا) الحديث والكلام (سوى التجرد الى الله) اى تجريد افعاله واحساسه عما يشغله عن الله (والانقطاع الى الله) بترك غيره واخراجه عن فكره ونظره (والاعراض عن غيرالله) حتى يصير مراداله فى جميع احواله (وصفاء القلب لله) بحيث لا يكون فى فكره غيره ويصفو من كدرالاوهام ودنس الخلق (واخلاص الحركات لله) بان لا يحرك عضوا من اعضائه الا لعبادته اولما يعين عليها (كما قالت عائشة رضى الله عنها) كما تقدم (كان خلقه القرآن) اى اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم كلها على وفق ماامر به فى القرآن فجعل القرآن عين خلقه مبالغة والى هذا يشيرقولها (برضاه يرضى) اى يرضى ويحب ماذكر فى القرآن انه فعل مرضى لله من واجب ومندوب ومباح يقصد به مايصيره قربة (وبسخطه) بفتحتين وضم فسكون (يسخط) اى يكره ماذكر فيه ان الله يكرهه من كل حرام ومكروه وخلاف الاولى وقدم الجار والمجرور للحصر فلا يرضى الا مايرضاه ولا يكره الا مايأباه والحاصل انه لما ذكر ان اخلاقه صلى الله عليه وسلم الطبيعية استحالت وذهبت لماسوى قلبه المرتب فلم يبق له ارادة امر مايريده الله ولا رضا لغير مايرضاه ولاشئ فى ارتباط هذا بماقبله من قوله كنت سمعه وبصره فاعرفه (ومن هذا) اشارة الى ماسبق فى اول كلامه من معنى الخلة وقبل ذكر الخلاف فيها ومأخذ اشتقاقها (عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني * وبذا سمي الخليل خليلا

فاذا ما نطقت كنت حديثي * واذا ما سكت كنت الغليلا

وفي رواية كنت الدخيلا يعني ان الشاعر عبر عن معنى الخلة بناء على انها من التخلل كانها تخللت باطنه وجرت مجرى الروح الجسمية السارية في البدن سريانا مسرى ماء الورد في الورد بناء على ان احد الاقوال فيها لا على انها مجردة خارجة عنه ومتعلقة او بناء على انها لطيفة نورانية في احد طابقي القلب لها الحيوة والاحساس ومسلك منسوب على الطريقة تخللت الشيء بمعنى دخلت اسند التخلل اليه مبالغة والمراد تخلل محبته ومودته في مسالك روحه او في قلبه الذي هو مقرها بحيث لا يكون فيه سواه كامنا ثم فرع على انه ليس في روحه وقلبه غيره انه اذا تحدث لم يذكر غير محبوبه وحاله واذا سكت لم يكن في فكره وقلبه غيره فالمراد بالغليل بالغين المعجمة ما كان داخل القلب من قولهم تغلغل الماء وتغلل بين الشجر اذا جرى فيه مستترا وكذا المراد بالدخيل ما هو داخل القلب والبدن لا الاجنبي كما في قول السكاكي الا دخيل كالناسي هذا ما قصده الشاعر واشار اليه المصنف وان كان ظاهر الشعر على تفسير الخلة على المحبة فالمراد بالخليل فيه كل متصف بالخلة لا ابراهيم كما قيل فانه لا يصح فيها وليس المراد بالغليل حرارة العطش اي كنت لعدم ذكري لك مضرما جوانح قلبي عطشا لعدم ذكرك فان ارادته اتم وارادته انسب بذكر الاحبة وما رأيته في الشعر والدخيل بدال مهملة وخاء معجمة ومن العجيب قولا في الشرح الجديد ان المعنى اذا سكت كنت حبك في قلبي كالكلم المعد والصمان والمراد بالغليل الماء والسمان ولا يخفى عدم الاعتناء الاشارة فانه يتصف لا انه يذكره (فاذن) تفريع لجواب سؤال مفرع على ما سبق (مرتبة الخلة) اي فضيلة الخلة وفي شرح العلامة انه لم يرى له نقل وعدم انه يرده قوله في الاساس تحرت عليه اذا زدت في الفضل عليه (وخصوصية المحبة) بفتح الخاء وضمها بمعنى اختصاصها وعبر في الاول بالمرتبة اشارة الى ان الخلة وان شارك فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والخليل عليه الصلوة والسلام فهي مختصة نبينا باعتبار معنى زائد فيها لا لاشتمالها على المحبة الخاصة معنى ولفظا وان لم تطلق على الخليل حبيب الله كامنا وان كانت محبته ثابتة لهما بل لغيرهما كما قال تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) ان هذه غير المحبة الخاصة كامنا مرتقيه وكما ان المحبة من الخاصين فكذلك الخلة فانه يقال حبيب الله والله حبيبه كما يقال خليله خليلا لمن توهم ان الخليل لا يطلق على الله للحديث المتقدم ولو كنت متخذا خليلا غير ربي وبهذا تبين نكتة تعبيره بالمرتبة والخصوصية (حاصلة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة خالصة اي مختصة وكان الظاهر ان يقول

حاصلتان لكنه افرد لجعلهما كالشيء الواحد (عادلت عليه الآثار الصحيحة) الباء للتعدية متعلقة بحاصلة ويجوز ان تكون سببية والمراد بالآثار الاحاديث التي تقدمت كقوله لو كنت متخذا خليلا غير ربي الى آخره وقوله الا وانا حبيب الله وقوله (المنتشرة) اى الشائعة المشهورة (الملتقاة بالقبول من الامة) ذكر شهرتها والقبول لهما مؤيدا لاختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادته على غيره من الرسل ثم استشهد لذلك ببعض القرآن فقال (وكفى بقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية) الباء زائدة في فاعل كفي اوللتعدية وكفى بمعنى اكتفى كما هو مشهور ووجه الدلالة في هذه الآية انه لما جعل من اتبعه محبوبا لله علم انه محبوب عند الله محبة ليس فوقها محبة ومقرب تقربا لايدانيه احد فيه فعلم منه خلته وجهه ولذا قال المصنف وكفى الى آخره ومن لم يفهم مراده قال هذا لايدل على مدعاه لانه علق محبته على اتباعه فيما جاء به من الشرائع وتصديقه وذلك محبوب لله وانما يدل لو علق محبته على محبتهم للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان كنتم تحبون الله فاحبوا الرسول (حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد) بقوله لنا اتبعوني يحببكم الله (ان نتخذه حنانا) بفتح الحاء وتخفيف النون معناه الرحمة والاشفاق مأخوذ من الحنين وهو تكون مع صوت والمراد ان نعطف عليه ونجعله موضع الحنان والرحمة اى نشرك ونتضرع به وقد تقدم الكلام فيه (كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم) عليه الصلوة والسلام حنانا ومعبودا يتقربون بعبادته الى الله تعالى (فانزل الله تعالى غيظا لهم) مفعول له اى انزل الله لغيظهم وتسليطهم بغضبه عليهم فان الغيظ الغضب على العاجز (ورغما على مقالتهم) بتثليث الراء المهملة وسكون العين المعجمة والميم وهو الذل والخزى والاساءة بما يكره واصله كل مود بسبب الانف ولذا قال رغم انفه وعلى رغم انفه وصيغة بمعنى التكبت والتقريع فعداه بعلى والمآل الى انه اذلهم بتوبيخهم ورد مقالتهم هذه وقوله (هذه الآية) مفعول انزل (قل اطيعوا الله والرسول) ثم بعد ماذكر سبب النزول من انكارهم جعل اتباعه سبب محبة الله لهم وتقربهم الى الله تعالى ذكر الآية وانها ابلغ من الاولى واشد لان الاولى لاتقتضي لزوم اتباعه فانه تعالى يتقرب اليه بالنوافل ويحب فاعلها والامر بطاعته يقتضي الوجوب واقترانها بطاعته يدل على تأكيده مع تعظيمه وتشريفه كما دل عليه قوله (فزاده شرفا بامرهم بطاعته) وايجابها عليهم (وقرنها بطاعته) اى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم زيادة في تشريفه والاتباع وان كان عين الطاعة اولازمها فليس هو امر وايجاب ومن جعل عينه قال هما سواء الا ان هذا فيه التصريح بالطاعة (ثم توعدهم على التولى عنه) بالاعراض عن طاعته وهو عدمها (بقوله فان تولوا فان الله لايحب الكافرين) كان الظاهر

ان يقال فان الله لايحبهم فوضع الظاهر موضع المضمر وعلقه بالمشتق الذى هو علة للحكم فكأنه قال لايحبهم لانهم كفروا بالله سواء كان تعريفه للاستغراق او للعهد فهذه الآية اصرح وادل على وجوب طاعته وعلو مرتبته صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء كعيسى عليه السلام (وقد نقل الامام ابو بكر ابن فورك عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة بطول) هذه الجملة صفة قوله كلاما فاشار الى انه لم ينقله لطوله ثم استأنف فقال (جملة اشاراته ترجع الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه) اى من كلام ابن فورك (طرفا) مختصرا اى بعضا قليلا (يهدى) اى يدل (على ما بعده) اى باقيه فالمدة غير مرادة لانه مختار (فمن ذلك قولهم) اى قول المتكلمين الذى نقله ابن فورك عنهم (الخليل يصل) الى من خالله (بالواسطة) اى بتوسط آخر بينه وبين خليله كما يدل قوله يصل به الآتى ثم بين ان هذا المعنى مأخوذ (من قوله) عز وجل (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) فوصل لمعرفة الله بواسطة ما رآه من آيات ملكوته التى اوصلته لمعرفته (والحبيب يصل لحبيبه به) اى هو دله على نفسه بنفسه من غير واسطة لغيره وهذا مأخوذ (من قوله فكان قاب قوسين او ادنى) فاراه عين اليقين كما تقدم وهذا وان كان المصنف رحمه الله تعالى ناقلا له والعهدة فيما نقله على قائله الا ان هذا غير ظاهر لانه ان اراد بالوصول الوصول الى الله ورؤيته وسماع كلامه من غير واسطة فالآية لامناسبة لها بما ذكر وان اراد الوصول الى معرفة الله تعالى ومشاهدته فكذلك ثم انه لايتم الفرق لانه ان اراد من مفهوم المحبة والخلة ما ذكر لايدل عليه بل ليس بصحيح وان اراد من ذاتى من قامابه فلابد ان يثبتا بما يحكى ثم انه مبنى على القول بان ابراهيم عليه الصلوة والسلام لم يعرفه قبل هذا الاستدلال بناء على جواز مثله على الانبياء مطلقا او قبل النبوة مع ان المحققين على انه ورد على طريق الجدل مع قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب وبالجملة فهذا كلام غير منقح (وقيل الخليل الذى تكون مغفرته) اى مغفرة الله له ما قد يصدر عنه مما يحتاج لعفوه عنه (فى حد الطمع) اى واقعة فى حال تطمع صاحبها فى التجاوز عنها لان الخليل لا يؤاخذ خليله بزلاته واصل معنى الحد الحاجز بين الشيئين والمحيط به كحدود الدار فاستعير للحال المغيرة له والمقصود لحقيقته (من قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين) اى قول ابراهيم عليه الصلوة والسلام فى قصته مع قومه هضما لنفسه وتعليما لامته والافهو معصوم (والحبيب الذى مغفرته فى حد اليقين) اى متيقنة وهذا مأخوذ (من قوله) اى قول الله لمحمد حبيب الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى كل ما صدر عنك وما لم يصدر مما هو بالنسبة لمقامك قد يعد نقصا وفى الآية اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يصدر

منه اذ سوى المقدم بالمؤخر فى عدم الوقوع ولذا سر صلى الله تعالى عليه وسلم
بها لما نزلت مرجعه من الحديبية وقال نزلت على آية احب الى مما على وجه الارض
والكلام على الآية مبسوط فى التفسير وقد تقدم طرف منه ايضا ثم ذكر فرقا آخر
قريبا من هذا فقال (فالخليل قال ولا تخزنى يوم يبعثون) اى لا تفضحنى ولا تعذبنى
فى يوم القيمة وقد قيل انه ورد فى الحديث ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام اذا رأى
اباه فى المحشر يقول يارب وعدتنى ان لا تخزنى فيمسخ الله آزر ذيخا بذال معجمة وياء
تحتية وخاء معجمة وهو ضبع منتن فيقال له انظر لما تحت قدميك فيراه فيأخذه ويلقى
فى النار فحول الله صورته حتى لا يعرفه الناس حين يلقى فى النار فيفتضح بين امته قيل
ومنه يعلم ان ابوى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليسا فى النار وفيه ما سيأتى (والحبيب)
اى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (قيل له يوم لا يخزى الله النبى فابتدئ بالبشارة)
بنفى الخزى عنه برؤية ما يكره (قبل السؤال) لذلك كما سأله غيره فيهم والخزى ليس
هو العذاب كما فى قوله تعالى (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته) وانما هو الفضاحة
بكل مؤلم له او لامته كالمصاب فلا يقال ان الله امنه من عصيه وعذابه فما فائدة البشارة بعد
هذا ثم ذكر فرقا آخر فقال (والخليل قال فى المحنة) هى والامتحان بمعنى الابتلاء والمراد
بذلك قصته مع نمرود حين القاه فى النار فكانت عليه بردا وسلاما وقال (حسبى الله) اى
هو كاف لى فى جميع امورى (والحبيب) وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (قيل له
يا ايها النبى حسبك الله) يعنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ذلك طالبا كفاية
الله له وهذا قاله الله له فيكون كفايته له محققة مقررة بخلاف الاول كما يشعر به قريبا
(والخليل قال واجعل لى لسان صدق) اى ذكرا جميلا صدقا فعبر باسم الآلة عما
يصدر منهما مجازا (فى الآخرين) اى فى الامم الآتين من بعدى الى يوم القيمة
فهو طلب ودعاء واجابه الله فما من امة الا وهى تثنى عليه وتحبه (والحبيب قيل له
ورفعنا لك ذكرك) اى جعلناه عاليا شريفا لما تضمنه من النداء مقرونا باسم الله
فى الصلوة والخطبة والاذان وغيرها (اعطى) الحبيب (بلا سؤال) منه وهذا بيان
لمزية الحبيب كما سبق ذلك عليه اولا (والخليل قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام)
اجنبنى كجنبنى بمعنى بعدنى بعدا حسيا ومعنويا بان لا يصدر منهم ذلك وقد
اجاب الله تعالى دعاءه لان المراد بنوا صلبه وهم انبياء عصمهم الله تعالى واتقياء
حفظهم (والحبيب قيل له) اى قال الله تعالى له (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس)
هو كل مستقذر حسا او طبعا او عقلا او شرعا اى الله كرمكم بان حفظكم من الذنوب
وما يدنس الاعراض وقال يريد الله ليذهب ولم يقل اذهب مع انه اخصر اشارة
الى انه قضى لهم بذلك فى الازل وفى عالم الارواح والذر (اهل البيت) منصوب على المدح
او النداء او المراد اهل بيت النبوة فيشمل اولاده صلى الله تعالى عليه وسلم وزوجاته
واتباعه واقاربه ولا يختص ذلك بعلى وفاطمة والحسنين كما زعمه الشيعة وهذا

ابلغ مما في حق ابراهيم لوجوه لاختصاصه بنفي عبادة الاصنام وهذا عام في كل دنس ونقص وذلك خاص بنفسه وهذا شامل لكل من شمله بيته كما في الآية تنويه ومبالغة في تطهيره بقوله (ويطهركم تطهيرا) ولا يخفى ان كل ما نقله ابن فورك انما يدل على شرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة علو مرتبته على غيره ولا علاقة له بنفس المحبة والخلة لاسيما الآيات لم يذكر فيها عنوان لفظ الحبيب (وفيما ذكرناه) من تفسير المحبة والخلة واشتقاقهما والخلاف في ايهما ارفع درجة (تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال) المقصد مصدر ميمي بمعنى القصد او هو بمعنى المقصود لان مفعل يأتي بمعنى مفعول كمركب وان كان نادرا او هو مجاز من المصدر او من اسم المكان باستعارته منه استعارة مصرحة اصلية (من تفضيل المقامات والاحوال) بيان للمقصد والمقامات بفتح الميم جمع مقام وهو محل القيام وبضمها محل الاقامة وجمعه جمع المؤنث لا لمراده فيما لا يعقل كحمامات وسجلات والمراد بالمقام هنا امر يكون عليه العارف بالله تعالى من الانبياء والاولياء يرتفع به من حضيض البشرية في درجات العبودية حتى يرقى الى المقام الاعلى وما يطرأ عليه هو المراد بالاحوال وليس بمعنى واحد هنا كما قيل وقيل المقامات الصفات الثابتة والاحوال الصفات الزائلة وهو قريب مما قبله والظاهر ان المراد بقوله السابق ما ذكرناه ما لخصه من كلام ابن فورك وهو جواب عما تقدم من ان هذا لا يدل على بيان الخلة والمحبة الذي هو بصدده فاشار الى انه وان تعلق بذات الحبيب والخليل فالمقصود بيان تفاوت وصفيهما فيرجع ما قاله الى شانهما فان منهم من يسلك مسلك التصريح ومنهم من يقصد الايماء والتلويح (وكل يعمل على شاكلته) اي كل احد طريقه تجارها والمشاكلة في الآية التي اوثر بها النسب وهي قل كل يعمل على شاكلته بمعنى طبيعته وجبلته وهي كما قال الراغب مأخوذة من الشكال وهو قيد تقيد به الدابة لانها قيدته وذلك لان سلطان الطبيعة قاهر لصاحبه ومنه تشكيل الكتاب يقال شكل الخط كما يقال قيده واشار بقوله (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) اي الله اعلم من طريقه اقوم واكثر ايصالا الى الحق وارشادا للهداية يشير الى ان الخلاف السابق في تفضيل الخلة والمحبة مبني على امور نظر اليها كل من الفريقين وكأنه لم يجزم باحدهما لان الخلاف لفظي وقد يقال ان غاية ما ذكره ابن فورك تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلوة والسلام في حد ذاته من غير نظر لما حملوه عليه من تفضيل المحبة على الصفة والحق تفضيل الخلة كما ذكره ابن قيم الجوزية وقد عاب ما قاله وقد قدمنا لك ما فيه غنية (فصل في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم برفعة مقامه على غيره (بالشفاعة) ان كان تعريفه للعهد والمراد الشفاعة العظمى في المحشر التي يختص الله بها اهله من قوله وكرمه بقوله (والمقام المحمود) عطف تفسير والاوجه هو من عطف الخاص على العام والمقام المحمود كل

مقام يتضمن كرامة محمد ولكنه حصرها مرد ممن من افراده احتلف فيه كما قاله البرهان نقلا عن القرطبي على ستة اقوال فقيل هي الشفاعة العامة السالفة وقيل اعطاؤه لواء الحمد وهو لايناقي ما قبله وقيل هو ان يجلس صلى الله عليه وسلم مع الله على الكرسي وهذا مما نقل فيه حديث طعنوا فيه ويأتي ما فيه ومنهم من اوله وقيل هو شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لاخراج بعض اهل النار منها وقيل هو شفاعته رابع اربعة اذ يقوم له روح القدس جبريل عليه الصلوة والسلام ثم يقوم ابراهيم ثم يقوم موسى اوعيسى عليهم الصلوة والسلام ثم يقوم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع ولايشفع احد بعده في اكثر مما يشفع وبه فسرت الآية وقيل هو مقام يكون اقرب فيه من جبريل والشفاعة ثابتة له صلى الله تعالى عليه وسلم بالاجماع الا انها عند اهل السنة لاصحاب الكبائر لحديث شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وعند المعتزلة لزيادة الثواب لالدرء العقاب والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وكونه محمودا على ظاهره اوا سناده مجازي اي صاحبه محمود (قال الله تبارك و تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) استشهد بالآية على ما قاله وقد علمت ما فسر به المقام المحمود ومقاما منصوب على الظرفية بمحذوف اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعث معنى يقيم او هو حال بتقدير اي ذا مقام واما الوجه الثالث وهو جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم مع الله على العرش والكرسي وقال الواحدي رحمه الله تعالى انه قول فاسد مبني على التجسيم وبين فساده بوجوه منها ان البعث هو الاثارة والاقامة والجلوس ضده فكيف يفسر به وانما هو بمعنى التحديد وانه المستلزم للحدوث وانما انه قال مقاما ولو كان كذلك لقال مقعدا ومثله لايدل عليه البعث ورد هذا بانه رواه احمد من طرق شتى ومثله من المتشابه كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقد صححه الدارقطني وقال ردا على منكره واجاد في ذلك رحمه الله تعالى رحمة واسعة

حديث الشفاعة عن احمد * الى احمد المصطفى نسنده
وقد جاء الحديث باقعاده * على العرش ايضا ولانجحده
امروا الحديث على وجهه * ولا تدخلوا فيه ما يفسده
ولاتنكروا انه قاعد * ولاتنكروا انه يقعده

جلوسه صلى الله عليه وسلم لامانع منه واما نسبة ذلك لله وقوله انه معه فليس المراد ظاهره بل هو وامثاله مأولة وهي كثيرة وعيني للرحمن ومعناها وعملها مشهور في كتب النحو فمعناها الرحمن في المجرور والاسناد في المكرر والرحمن به صلى الله عليه وسلم ظاهر ومن الله فالوا انه ايجاب اي جزم بوقوعه اذالله تعالى لايجب عليه شيء كما تقرر في الكلام (حدثنا) وفي نسخة اخبرنا (الشيخ ابو علي الغساني الجياني) شيخ المصنف وغسان اسم ماء في الاصل سمي به قبيلة من اليمن نزلت عليه وجيان بالجيم المفتوحة وتشديد الياء المثناة التحتية بوزن سداد بلدة بالاندلس منها ابن مالك وابو حيان رحمهما الله تعالى (فيما كتب الي بخطه)

اشارة الى ان هذا الاخبار ليس بالمشافهة اى اخبار اكاتبا فى ضمن امور اخر واحاديث كتبها له والكتابة نوع من التحمل والاجازة لها حكم الاتصال عند كثير من المحدثين واهل الاصول كالسمعانى وصاحب المحصول ووقع ذلك فى الصحيحين سواء كانته حاضرا او غائبا بشرط ان يعرف خطه قال (حدثنا سراج بن عبد الله القاضى) السابق ذكره وترجمته قال (حدثنا ابو محمد الاصيلى) الذى تقدم الكلام عليه وعلى نسبته قال (حدثنا ابو زيد) المروزى وقد تقدمت ترجمته (وابو احمد) محمد بن محمد بن يوسف بن مكى الجرجانى (قالا حدثنا محمد بن يوسف) الفربرى السابق ترجمته قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو امام السنة صاحب الصحيح البخارى وقد تقدم قال (حدثنا اسمعيل بن ابان) ابو اسحق الوراق الازدى الكوفى وابان بفتح الهمزة وتخفيف الباء علم منقول يردد فى صرفه وعدم صرفه بعضهم واجاز بعضهم وجه الصرف وعدمه وسبب الخلاف فيه ان منهم من قال وزنه فعال فتعين صرفه وقيل انه منقول من ماضى ابان بمعنى وجزم به ابن مالك وصاحب التوضيح وقال القرافى المحدثون والنحاة على منع صرفه ونقله ابن بطيش عن الجمهور بناء على ان وزنه افعل بمعنى اوضح فاعل على خلاف القياس واتى على اصله فاندفع قول الدماميني لو كان كذلك وجب تصحيحه لان افعل الاجوف الوصفى لا يعل وفى شرح مسلم انه يجوز فيه الصرف وعدمه والصحيح صرفه كما فى جامع اللغة وبه جزم ابن السيد * اقول عدم صرفه نسمعه وقد ثبت كلام العرب فوجدته مصروفا فيه كقول ابى عطاء الحماسى

اتعرف مسجدا لبنى تميم * فويق الميل دون بنى ابان

(وقول مهلهل)

لهف نفسى على عدى ولم * اعرف عديا اذ ملكتنى اليدان
طل من طل فى الحروب ولم * اعرف ه لا ابالوه من ابان

الى غير ذلك مما لا يحصى فلا وجه للتردد فيه ولذا قال بعض ائمة اللغة من لم يصرف ابان فهو اتان وهو امام ثقة توفى سنة ست عشرة ومائتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا ابو الاحوص) بحاء وصاد مهملتين واسمه سلام بتشديد اللام بن سليم بالتصغير الامام الثقة الرواية توفى سنة مائة وتسعة وتسعين واخرج له اصحاب الكتب الستة وقيل اسمه عوف بن مالك بن فضالة والصحيح الاول (عن آدم بن على) العجلى الثقة التابعى روى عن ابن عمر وغيره (قال سمعت ابن عمر) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنهما (يقول) حال او مفعول كما بينه النحاة وقد تقدم بيانه (ان الناس يصيرون يوم القيامة جثى) هذا الحديث رواه البخارى فى التفسير موقوفا على ابن عمر ومثله مما لا مجال للرأى فيه له حكم المرفوع واحتمال انه سمعه من اهل الكتاب بعيد لا يعول عليه وكونه سمعه من صحابى آخر لا يضر لان مرسل

الصحابي مفعول به اقول هذا مما قاله اهل الاصول وبه الائمة في مصطلح الحديث وفيه
بحث لانه يجوز ان يكون الصحابي ممن قرأ الكتب القديمة او يكون اسنده من
كتاب اوسنة فهي فقد تقدم بما ذكر (وجثى بضم الجيم مقصوره ونون وجوز كسر جيمه
اصلا جمع جثوة مثلث الاول واصله الكوم المجتمع من تراب ونحوه فاستعير لمعنى
الجماعه اي يجتمعون جماعات كل امه جماعة تابعة لنبيها كما ذكره وروى البرهان
عن الحافظ العراقي جثاء بضم الجيم والمد وانه كذا صحح في نسخ البخاري وصححه
الهروى وابن الاثير وروى جثى بضم الجيم وكسر المثلثه وتشديد الياء جمع جاث
وهو البارك على ركبتيه ومنه بعضهم بان يجلس كذلك للخصومه وانشدوا * قوله

اخاصمهم مده قائما * واجثو اذا ماجثوا للركب

ولاشاهد فيه وهذا على خلاف القياس اذا صحت الروايه فلا يرد عليه ان فاعل
لايجمع على فعل كما قيل (كل امه تتبع نبيها يقولون) حال من فاعل تتبع اي تكون
معه تابعة له باصحابها اليه (يافلان اشفع لنا يافلان اشفع لنا) اي تنادي كل امه نبيها
باسمه تسئلونه ان تشفع لهم عند ربهم في الخلاص من هول الموقف كما مر فيجيبهم
بانه لايقدر على الشفاعه كما تقدم فيذهبون لغيره من الرسل فيجيبهم بمثله (حتى
تنتهي الشفاعه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي حتى تنتهي الامم وسؤالهم
لواحد بعد واحد تكون عاقبته ان يلتجئوا له صلى الله تعالى عليه وسلم فيجيبهم
ويشفع لهم فيقبل شفاعته ففي الحديث طي لجمل علمت من البيان ومن احاديث اخر
صرح فيها بذلك ومعنى تنتهي تتتابع وتصل كما يقال بلغ الامر منتهى وهذه هي
الشفاعة العظمى وقد تقدم ان له صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات اخر (فذلك)
اي ماذكر من الشفاعة وماقبلها (يوم يبعثه الله المقام المحمود) اي كائن في ذلك اليوم
فنصب يوم على الظرفيه فان رفع يحمل النسبة المجازيه بكونها فيه مبالغه ويجوزا
جاز (وعن ابي هريرة رضي الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم) اي عن الآيه
المذكوره كما اشار اليه بقوله (يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) فضمير يعني
راجع لابي هريره وهذا الحديث رواه احمد والترمذي (فقال) اي رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم جوابا عن السؤال (هي الشفاعة) العظمى الواقعه لفصل القضاء
وقيل لاخراج المذنبين من النار والمشهور هو الاول وضمير هي راجع للشفاعة
المذكوره في الحديث او للمقام وانث رعاية للخبر او للآيه بالتجوز على ان المراد التي
المقصود فيها وقيل المراد انها هي الشفاعه في اليوم المسمى بالمقام المحمود وهو
تكلف جدا (وروى كعب بن مالك) الانصاري الصحابي احد الثلاثه الذين
تخلفوا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك وتاب الله عليهم
بنص القرآن وهذا الحديث رواه احمد بن حنبل مسندا (عنه عليه الصلاة والسلام)

انه قال (يحشر الناس يوم القيمة) بعد الخروج من القبور اى يجتمعون للحساب (فاكون انا وامتى على تل) بمثناه فوقية مفتوحة ولام مشددة هو رابية من تراب اورمل ونحوه عالية مرتفعة وجمعه تلال واتلال نادر وفى القاموس التل من التراب والكوم من الرمل وتفسيره بمكان عال كالجبل بيان للمقصود او تسامح وفيه اشارة الى اعلاء مقامه صلى الله عليه وسلم ومقام امته واللطف بهم فى تخليصهم من زحام الموقف ومشقته (ويكسونى ربى حلة خضراء) وفيه استئناس لما يلبسه الاشراف الآن من العمامة الخضراء وان كان ذلك مما حدث فى زمن السلطان الاشرف تمييزا لهم عن غيرهم وان لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فعل ذلك كما قدمناه فى محله والحلة بضم فتشديد من برود اليمن ولا تسمى حلة الا اذا كان ثوبين احدهما فوق الآخر او ثوب واحد له بطانة وسمى بذلك لان كلا منهما يحل على الآخر او لكونهما جديدين كما حل طيهما ثم شاع فى مطلق الكسوة الجيدة وكسوته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد كسوة ابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام فى الزمن كما سيأتى التصريح به فى الحديث ولا يستفاد تفضيله عليه لان حلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى واحسن وانما قدم حزاء لما فعله به نمرود حين عراه ليلقيه فى النار ورعاية لها شعر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه جده ورعاية انسب وسيأتى (ثم يؤذن لى) بالبناء للمجهول من الاذن اى يأذن الله لى فى الكلام بين يديه والشفاعة لاهل المحشر احسن فيقال له قل واسمع تشفع كما مر (فاقول ما شاء الله ان اقول) من حمد الله بمحامد لائقة والشفاعة العظمى (فذلك المقام المحمود) وهذا لا ينافى تفسيره بالشفاعة العظمى كما قال المحب الطبرى وذلك اشارة الى جميع ما تقدم من اول الحديث الى آخره (وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فى حديث ساقه (وذكر حديث الشفاعة) معطوف على مقدر وقوله (قال فيمشى) يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدل من قوله ذكر (حتى يأخذ بحلقة) باب (الجنة) وفى رواية قال فامشى حتى آخذ والحلقة معروفة بسكون اللام وحكى فتحها وانكره بعض اهل اللغة كما تقدم والحديث تقدم تمامه (فيومئذ) اى يوم اذ يمشى صلى الله تعالى عليه وسلم واخذ بالحلقة واليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الوقت (يبعثه الله المقام المحمود الذى وعده) به فى القرآن فى قوله تعالى (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) وهو مقام يشفع فيه لسائر الخلائق الشفاعة العظمى ويحمده فيه الاولون والآخرون فلذا سمى بذلك ووعده مبنى للمجهول ومفعوله الاول عائد على النبى صلى الله عليه وسلم مستتر والبارز عائد على المقام ويجوز بناؤه للفاعل ايضا وقيل المقام المحمود هنا وقوفه ثمة واخذه بحلقة باب الجنة وهو معلق ابجنة وفتحها من هو فيه والحامدون له على هذا المسلمون واهل الجنة لان من عداهم الى فى النار فهذا تفسير آخر فتأمله (وعن ابن مسعود) رضى الله

تعالى عنه (عنه عليه الصلوة والسلام انه) اى المقام المحمود الموعود به (قائمه عن يمين العرش مقاما لايقومه غيره) ظاهره ان المقام هو القيام نصبه على انه مصدر وقوله مقاما منصوب على الظرفية وليس كذلك فان المراد ان المقام هو المحل الذى قربه الله فيه قربا لم يتيسر لغيره وقيل المراد اقامته وتمكنه فى ذلك المقام فلا ينافى ماصح من انه صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس على منبر عن يمين العرش (يغبطه فيه الاولون والآخرون) اى جميع الامم والناس والغبطة بالغين المعجمة والموحدة والطاء المهملة هى تمنى المرء ان ينال مثل مارآه عند غيره من النعم وكل امر محمود من غير ان يحب زوالها فان احب زوالها فهو الحسد المذموم وقيل الحسد تمنى الامر المحمود مطلقا فهو اعم من الغبطة ومنه مايذم ويحمد والمشهور الاول ويغبط بزنة يضرب وفى نسخة به والبناء طرفية او سببية والغبطة لاضرر فيها وقد يكون محمودة وفى الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاه الخبط انتهى وفى النهاية الاثيرية ان الغبط لايضر ضرر الحسد وانما يلحق الغابط منه ضرر يسير وائم ينقص ثوابه كما يلحق العضاه بخبط ورقها والذى يظهر لى انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما اراد انه لاضرر فيه على الغابط فى امر محمود تمناه من غير تمنى زواله بل ربما ناله منه مع لحده فى تحصيل مثله اوانه شيئا من صاحبه فهو على حد قوله

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

(ونحوه) اى بمعناه مروى (عن كعب) هو كعب الاحبار (والحسن) البصرى (وفى رواية هو) اى المقام المحمود (الذى اشفع لامتى فيه) فكون هذه الشفاعة غير الشفاعة العظمى لسائر الناس وهو احد الاقوال فى تفسيره كما مر وما فى الشرح الجديد من عود الضمير لقيامه عن يمين العرش وان المراد الشفاعة العظمى فى فصل القضاء وهى وان لم تكن خاصة بامتى فهم المقصودون بالذات منها تعسف لاحاجة اليه (وعن ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه احمد فى مسنده (انى لقائم المقام المحمود) بكسر همزة ان لوقوعها فى ابتداء كلام مستأنف وقيل انه جواب قسم مقدر اى والله انى لقائم وفيه نظر انه يجوز القسم فى الامر العظيم ولذا اكدمان والاسمية وفيه نظر والمقام منصوب على الظرفية او المصدرية (قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه) وفى نسخة على كرسيه (الحديث) اى اذكره اوانظر تمامه وهو كما رواه احمد رحمه الله قيل له ما المقام المحمود قال ذاك يوم ينزل الله على كرسيه فيئط كما يئط الرحل الجديد (٢) من تضايقه به وهو سعة مابين السماء والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون اول من يكسى ابراهيم عليه الصلوة والسلام فيقول الله عزوجل اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة ثم اكسى على اثره ثم اقوم عن يمين الله مقاما يغبطنى

(٢) الرحل الجديد نسخه

فيه الاولون والآخرون وقدعلمت انهذا الحديث من المتشابه لانه تعالى منزه
عن صفات الاجسام كالنزول والجهة قيل ولذا تركه المصنف رحمه الله تعالى وهو
تمثيل لتجليه تعالى لعباده بعظمته وجلاله واقباله عليهم لفصل القضاء واجراء حكم
عدله فيهم كما يجلى الملك لجنده ورعاياه ليبطر فى امورهم ويقرب من شاء منهم والكرسى
غير العرش كما مر والحديث فى المصابيح والكلام عليه مفصل فى شروحه (وعن ابى
موسى) عبد الله بن قيس الاشعرى الصحابى المشهور وهذا الحديث رواه ابن
ماجة فى سننه رواية (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم خيرت) اى خيرنى الله بين احد
امرين (بين ان يدخل) بالبناء للفاعل او المفعول (نصف امتى الجنة) اى امة
الاجابة لا الدعوة (وبين الشفاعة) اخص المذنبين منهم الذين استوجبوا دخول
النار وليس المراد بها الشفاعة العظمى فى فصل القضاء (فاخترت الشفاعة) على
دخول نصف امتى الجنة ثم بين وجه اختياره بقوله (لانها) اى الشفاعة (اعم) اى اشمل
واكثر من النصف وهذه الشفاعة غير الشفاعة فيمن دخل النار وقيل انها شاملة لها
وهذه الشفاعة ثابتة باحاديث كثيرة بلغ مجموع طرقها التواتر ولا عبرة بمن انكرها
من الخوارج والمعتزلة تمسكا بقوله تعالى (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع)
لان المراد بالظالمين الكافرون فان الشرك ظلم عظيم (اترونها) بهمزة الاستفهام
وضم المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة والضمير للشفاعة اى اتظنون الشفاعة خاصة
(للمتقين) جمع متق بكسر القاف اسم فاعل من التقوى وفى نسخة للمؤمنين قال
البرهان والاول هو المحفوظ من مشايخى وردوا على من رواه المتقين بنون مفتوحة
ثم قاف مفتوحة مشددة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة جمع متقى اسم مفعول وهو
الطاهر وكذا فى اصل السنن لابن ماجة وهو اصل صحيح وكتب على هامشه ن ق
وعليهما تصحيح مرتين اشير بهذه ثلاث روايات والمتقين من التقى قال المزى
وحسن هذه الرواية انه روى (ولكنها للمذنبين الخطائين الملوثين) فما لها للملوثين
جمع ملوث وهو اسم مفعول من التلوث بمثناة فى اوله ومثلثة فى آخره والملوث الملطخ
بالاقذار لان الذنوب كالنجاسة والخطائين جمع خطاء وهو الكثير الخطاء وروى
الترمذى (شفاعتى لاهل الكبائر من امتى) وقيل المتقين الاول عام لانه يجوز ان يكون
مذنبا تقى بالتوبة والمتقى اخص وفيه نظر (وعن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه
فى حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقى (قلت يارسول الله ماذا رد عليك فى الشفاعة)
بضم الراء المهملة وتشديد الدال المفتوحة مبنيا لما لم يسم فاعله كذا رواه البرهان
واقتصر عليه وروى ورد من الورود مبنى للفاعل كما ذكره التلمسانى وتبعه غيره
من الشراح وما اسم استفهام وذا اسم موصول بمعنى الذى ويجوز ان تكون اسم اشارة
والرد الجواب وورد بمعنى جاء اى ما جاءك به الله او الملك لما سألته الشفاعة فى امتك (فقال

سماعتي) هو فاعل مرفوع تقديرا اي جاءني اوورد علي ان اشفع (لمن يشهد ان لا اله الا الله) اي لمن اقر بوحدانية الله تعالى ولم نقل وان رسول الله اكتفاء باحد جزئي كلمة الشهادة للعلم بانه لا بد من الاتيان بهما في صحة الاسلام (مخلصا) حال من الموصول اي غير مشوبة شهادته بشك او شرك (يصدق لسانه) بالنصب على المفعولية وقوله (قلبه) مرفوع فاعله ويجوز عكسه اي يطابق اعتقاده لما نطق به

(وعن ام حبيبة رضي الله تعالى عنها) في حديث رواه الحاكم والبيهقي وهي ام المؤمنين بنت ابي سفيان بن حرب اخت معاوية رضي الله تعالى عنهم واسمها رملة على الصحيح وقيل هند وهي من السابقات الى الاسلام وترجمتها معروفة توفيت سنة اربع واربعين (قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اريت) بضم الهمزة والبناء للمجهول اي اعلمني الله واخبرني بواسطة الملك (ما تلقى امتي من بعدي) اي اريت ما اطلعت به على ما سوءها فرأى عاقبة وقيل انه من باب الكشف عما سيكون سوقف من الله له صلى الله تعالى عليه وسلم كرامة والاشبه من الرؤية البصرية (وسفك بعضهم دماء بعض) بصوت معطوف على ما تلقى وسفك الدم اراقة وصبه وهو مصدر مضاف لفاعله وقيل اراه ذلك وحيا او مشاهدة او الهاما لما تقع بينهم من الحروب والفتن التي تقع فيها القتل واراقة الدماء (وسبق لهم من الله ما سبق في الامم قبلهم) ماض معطوف على تلقى صلة الموصول اي اريت واعلمت بما سبق لاني مما قدره الله تعالى عليهم وارادة لهم فوقع على وفق ارادته في الازل وعلمه القديم (فسألت الله تعالى ان يؤتيني فيهم شفاعة يوم القيمة ففعل) اي اعطاه الله تعالى ما سأله فشفعه في المذنبين منهم (وقال حذيفة) بالتصغير وهو ابن اليمان الصحابي رضي الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث موقوف عليه رواه البيهقي والنسائي (يجمع الله الناس في صعيد واحد) اي في مكان مجموعين فيه غير متفرقين واصل معنى الصعيد التراب فالمراد به هنا الارض المحشر اوقيل هو تربة لبس فيها رمل ولا حجر يبدل الارض غير الارض والمراد بالناس الثقلان من الجن والانس اوالمراد الانس واقتصر على الاشرف فلا يرد ان الجن والبهائم تحشر معهم ايضا (حيث يسمعهم الداعي) صوته ونداءه كما قال تعالى (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون) ويسمع بضم الياء مضارع اسمع وحيث ظرف مكان مبني على الضم (وينفذهم البصر) بفتح الياء الداله المعجمة وروى بضمها ركبرا لما وعلى الاول هي مضمومة والمراد بصر الرائي اي يراهم دفعة واحدة وليس المراد بصر الله كما قاله ابو عبيد وقيل المراد يبلغهم ويجاوزهم لانهم في ارض مستوية لا عوج ولا حجر فيها وهو بالدال المهملة والمحدثون يروونه بالذال المعجمة وهو صحيح ايضا لانه لاحاطته

بهم ومحاوره كانه يحرقهم فلاوجه للرد مع صحة الرواية (حفاة عراة) منصوبان على الحالية وحفاة جمع حاف وهو الذي لانعل له ولاخف وقيل جمع حفي وهو الذي رق جلد قدميه وعراة جمع عار وقيل جمع عريان وهو قليل في الاستعمال وهو الذي لاثوب له ولالباس يستره ويعارضه ماروى في الحديث الصحيح ان اباسعيد الخدري رضي الله تعالى عنه لما احتضر دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها وعن معاذ بن جبل ايضا رضي الله تعالى عنه احسنوا اكفان موتاكم فانهم يحشرون فيها وجمع بينهما بان هذا محمول على الشهداء وثيابهم التي قتلوا فيها والحديث وارد فيهم واوسعيد حمله على العموم وقيل ان بعضهم يحشر عاريا وبعضهم بثيابه وقيل انهم يحشرون باكفانهم ثم يتناثر من عليهم في المحشر وقيل المراد بثيابهم اعمالهم كقوله تعالى (وثياب التقوى ذلك خير) ولايخفى ما في هذا من الضعف والتحرير (كما خلقوا) حال اي كائنين على حال مثل حالهم الاول من عدم نقص شيء من اجزائهم كما ورد عن لا نقصان حال اعادتهم حال اخراجهم من العدم كما قال كما بدأكم تعودون اوما كافة اومصدرية (سكوتا) جمع ساكت حال من الناس او من ضمير خلقوا (لاتكلم) اسم لتكلم فيحسب (نفس الا باذنه) فلايتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله (هذا يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون) في موقف آخر او الاول مخصوص بذوي الاعذار الباطلة فلاتعارض بينهما وبهذا يجاب ايضا عن قوله تعالى (واقبل بعضهم على بعض يتلاومون) وقوله (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) (فنادى) بالبناء للمجهول (محمد) بالرفع نائب الفاعل او هو غير منون مبني على الضم والنداء مقدر الظاهر اي يقال له يامحمد فحذف حرف النداء وعلى الاول بنادى بمعنى يدعى ويطلب وكلا الوجهين حسن وفي نسخة فنادي يامحمد (فاقول لبيك وسعديك) منصوبان على المصدرية بفعل لا يظهر في الاستعمال من اللب وهي اجابة المنادي من الب بالمكان اذا اقام فيه لانه مقلوب الاصل والمراد بها تثنية التكرير والمراد اجابة بعد اجابة واسعادا لك بعد اسعاد اي اسعادا بعد اجابة واسعادا لك طاعتي لك واما معنى ذلك لاانفك عنه (والخير في يديك والشر ليس اليك) اي ليس مما يتقرب به اليك او لا ينسب اليك على انفراده لان نفس ما يصدر من الخير الكبير لم يرد فالا مكان ترك الخيرات الكثيرة لاجل ذلك الشر القليل شر لايصدر منه وعند المعتزلة عن الفحشاء ولايجري في ملكه الامايشاء والى هذا اشار القاضي في تفسيره والمعتزلة قدر واتى بلا والشر ليس منسوبا اليك واستدلوا به على مذهبهم وغيرهم بان الشر ليس منسوبا اليك كما عرف الى نفس طائفة الملوك بعض القبائح

قاله العراقى فى قواعده او المعنى لايضاف اليك تأدبا وقيل المعنى لايصعد اليك فانه انما يصعد اليه الكلم الطيب واليد اسم للجارحة المعروفة واصله يدى بالسكون لقولهم فى جمعه ايد وقيل يدى بالفتح لقولهم فى تثنيته يديان واستعير للنعمة وللملك والتصرف والقدرة والقوة والنصرة واذا اضيف الى الله تعالى يراد به المعنى المجازى لتنزهه عن الجارحة وثنى هنا وفى قوله تعالى (لما خلقت بيدىّ) اشارة الى زيادة تصرفه فيه واختصاصه به وجعل الخير مستقرا فيهما ترشيحا للاستعارة والاحسن ان يقال انه اشارة لما مر ان وجهى تصرفه فى الموجودات بالخير والشر خير كله فتدبر (والمهتــدى من هديت) اى الموفق للهدايه من جعلته مهتديا ووفقته لطاعتك وتعريف الطرفين يفيد الحصر اى لايهتدى الا من هديته (وعبدك بين يديك) اراد به نفسه الشريفه اى انه صلى الله تعالى عليه وسلم حاضر لديه واقف فى مقام الذلة والفقر وقيل انه تشبيه لقربه من ربه وتمكنه واختصاصه من بين الجهتين المسامتين ليدى الانسان واستعير لذلك (ومنك واليك) اى امره كله لك فانه عبدك وامره موكول اليك (لاملجأ) بالهمز والقصر للازدواج اى لاملجئ ولا مستند لاحد سواك (ولا منجا) بلاهمز اوبه للازدواج اى لانجاة ولاتخلصه احد (منك) اى من عذابك ومصيره اليك (الا اليك) وليس بالتاء ولا الف وتشر كامل (تباركت وتعاليت) اى كثر خيرك وزاد عن كل شئ وعلا قدرك فى ذاتك وصفاتك وتنزهت عما لايليق بك والكلام عليه مفصل فى التفسير (سبحانك) اى تنزهت (ربَّ البيت) بالرفع خبره بدأ مقدر والنصب على النداء اى يارب البيت والمراد به الكعبة اوالبيت المعمور فى السماء ولما كان البيت قد يشعر بالحلول قدم التنزيه عليه احترازا عن توهمه وقال رب البيت دون رب العالمين اظهارا لشرفه وشرف الحج اليه المشابه جمع الخلائق فيه بالمحشر وهم عراة حفاة (قال) اى النبى عليه السلام لانه معلوم من السياق اوحذفه راويه وهو فى حكم المرفوع (فذلك) اى المقام الذى جمع فيه ووقع فيه هذه المناجاة (هو المقام المحمود الذى ذكره الله) فى القرآن فى قوله تعالى (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) (وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا دخل اهل النار النار) قدمه لانه اوفق بما قبله فى تحسب سبب دخولها ولان ذكر النعمة بعد النقمة اوقع فى النفس (واهل الجنة الجنة) بجر الاول ونصب الثانى اى ودخل اهل الجنة الجنة والمراد غالب اهل النار وغالب اهل الجنة بدليل قوله (فبقى آخر زمرة من الجنة) اى من اهل الجنة (وآخر زمرة من النار) اى من اهل النار والزمرة الجماعة القليلة ومنه سمى زمرة اى قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة اومن الزمر وهو الصوت لانها لاتخلو عنه (فتقول زمرة النار) اى الزمرة الباقية من اهل النار (لزمرة الجنة) اى للزمرة الباقية من اهل الجنة الذين لم يؤذن لهم فى دخولها (ما نفعكم ايمانكم) ما استفهامية

انكارية او نافية حرفية اى لم ينفعكم ايمانكم ولم يغن عنكم شيئا لانهم بجهلهم باحوالهم ظنوا انهم لايدخلون الجنة وانهم منعوا من دخولها (فيدعون ربهم) الضمير للرمى المتحاملة من اهل الجنة (ويضجون) اى يصيحون ويرفعون اصواتهم فرحا بما لحقهم من تعيير اهل النار لهم واصل الضجيج بضاد معجمة وجيم الصياح من الفزع للحقوق المكروه والصيحة ارتفاع الاصوات المختلفة مطلقا (فيسمعهم اهل الجنة) اى يسمعون صياحهم واستغاثتهم بربهم ليأذن لهم فى دخول الجنة (فيسألون آدم) ان يشفع لهم فى دخول الجنة (وغيره بعده) اى يسألون بعد آدم عليه الصلوة والسلام غيره من الانبياء كنوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام (فى الشفاعة لهم فكل يعتذر) لهم بانه لايقدر على الشفاعة ولم يؤذن له كما مر تفصيله (حتى يأتوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ما يئسوا من شفاعة غيره من الرسل (فيشفع لهم فذلك المقام المحمود) الذى يحمده فيه الناس ويظهر فضله على جميع الرسل وهذا الحديث موقوف على ابن عباس وهو فى حكم المرفوع (ونحوه) اى فى معناه حديث مروى (عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره على بن الحسين) بن على بن ابى طالب وهو زين العابدين كما تقدم (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مرفوعا وما قبله موقوف (وقال جابر بن عبد الله) رضى الله تعالى عنهما الصحابى وقد تقدمت ترجمته (ليزيد الفقير) هو ابن صهيب ولقب بالفقير لانه اصيب فى فقار ظهره فكان يشكوها وفقار الظهر خرزات العظم التى من عجب الذنب الى فقره العنق وهى اسنان ولانه فقره فهو فعيل بمعنى مفعول وقول عائشة رضى الله تعالى عنها فى حق عثمان رضى الله تعالى عنه ارتكبوا منه الفقراء الاربع اشارة اى استحلوا له حرمات اربع الصحبة والصهر والخلافة والبلد وهذا الحديث رواه مسلم ويزيد هذا امام ثقة روى عنه ابو حنيفة واصحاب الكتب الستة (سمعت) بفتح تاء الخطاب واصله اسمعت بحذف همزة الاستفهام او هل اى اسمعت او هل سمعت (بمقام محمد صلى الله عليه وسلم) اى هل روى لك فيه شئ تفسيره (يعنى الذى يبعثه الله فيه) اى الخبر اراد السؤال عن حقيقة المقام المذكور فى قوله تعالى (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) وفى قوله فيه اشارة الى انه منصوب على الظرفيه وانه محل القيام حقيقة (قال) يزيد (نعم (٢)) اى سمعت ما ورد فيه اجمالا (قال) اى جابر بن عبد الله الجلى الصحابى المشهور وكان الظاهر ان يقول فقال (فانه مقام محمد المحمود الذى يخرج الله به من يخرج يعنى من النار) ضمير به للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم او للمقام اى يخرج الله بسبب الشفاعة الواقعة فيه فالمراد به مقام آخر فيه شفاعة غير الشفاعة العظمى لاهل المحشر واليه اشار بقوله (وذكر) اى جابر رضى الله تعالى عنه (حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين) المنسوبين لجهنم لانهم المؤمنون الذين

(٢) لعله نعم بدله

دخلوا النار بمعاصيهم وهذا نص حديث رواه مسلم اختصر منه المصنف على محل الشاهد لما هو بصدده ولفظه قال يزيد الفقير رحمه الله تعالى كان قد شغفني رأي من رأى الخوارج فخرجت في عصابة ذوي عدد نريد ان نحج ثم نخرج على الناس فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما جالس الى سارية يحدث الناس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فاذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت له يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي يقولون والله تقول انك من تدخل النار فقد اخزيته * وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما هذا الذي تقول فقال اتقرأ القرآن قلت نعم فقال هل سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج به من يخرج قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال واخاف ان لا اكون احفظ ذلك وقال غير واحد ان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها كأنهم عيدان السماسم فيدخلون نهرا من انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس الى آخر الحديث الذي رواه مسلم والكلام عليه مبسوط في شروحه فالمعنى ان يزيد مال الى رأي الخوارج في خلود عصاة المسلمين في النار فلما سمع من جابر ما رواه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له علم بطلان رأيهم ورجع عنه (وعن انس) في حديث رواه احمد في مسنده (نحوه) اي ما هو في معنى هذا الحديث (وقال) انس [illegible] (فهذا المقام المحمود الذي وعده) بالبناء للمجهول ونائب الفاعل ضمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير البارز للمقام (وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما) في حديث رواه الشيخان (ودخل حديث بعضهم في حديث بعض) اي وافق رواية كل منهم رواية غيره لفظا ومعنى (قال عليه الصلاة والسلام يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة) في ارض المحشر للحساب وفصل القضاء (فيهتمون) افتعال من الهم بمعنى الحزن او العزم والضمير فقال اهتم اذا اغتم وحزن واهتم [illegible] من همه وليس من الهمهمة وهي الصوت الخفي (او قال فيلهمون) بالبناء للمجهول من الالهام وهذا شك من الراوي في لفظ الحديث اي [illegible] (فيقولون لو استشفعنا الى ربنا) اي لو طلبنا من يشفع لنا عند الله في ان يخلصنا من هول هذا الموقف وشدته ولولا من [illegible] [illegible] [illegible] لحوقهم منزلة [illegible] الذي لا تحمل (ومن طرق اخرى عنه) [illegible] اي في رواية اخرى (ماج الناس بعضهم في بعض) اي دخل بعضهم في بعض [illegible] لاضطرابهم (وعن ابي هريرة) رضي الله عنه في حديث [illegible] الذي رواه الشيخان (وتدنو الشمس) اي تقرب من رؤس اهل الموقف (فيبلغ الناس من الغم) اي من الكرب وشدة الحر (ما لا يطيقون) اي ما لا يقدرون على تحمله (و [illegible])

عظمت تفسير اى لا يقدرون ولا يستطيعون (فيقولون الاستطرون من يشفع لكم)
اى يقول بعضهم لبعض هذا الكلام (فيأتون آدم) عليه الصلوة والسلام بدؤا به
لانه اول الانبياء وابوهم المشفق عليهم كما قال (زاد بعضهم فيقولون انت آدم
ابو البشر) فينبغى لك ان تشفع لهم ولبنيهم (خلقك الله بيده) اى اوجدك
من العدم بقدرته من غير واسطة ام واب (ونفخ فيك من روحه) اضافة الروح له
تعالى للتعظيم والاختصاص ونفخ الروح ايجاده متصلة بجسده كما يقال بيت الله
(واسكنك جنته) بعد نفخ الروح فيه وايجاده والمراد الجنة المعروفة على الاصح
وقيل المراد بها بستان فى الارض والخلاف فيه مشهور فى كتب التفاسير والادلة
من الطرفين مفصلة فى محالها (واسجد لك ملائكته) اى امرهم بالسجود ذلك
سجود تحية وتعظيم له واداء لحقه لاسجود عبادة هو كالقبلة له وكان ذلك جائزا
شرعا ثم نسخ (وعلمك اسماء كل شئ) كما ذكره الله تعالى فى القرآن وهذا كله
مما يدل على شرفه صلى الله عليه وسلم وعلو رتبه عند ربه ومزيد قربه المقتضى
انه اول شافع صلى الله تعالى عليه وسلم كما نبه بقوله (اشفع لنا عند ربك حتى
يريحنا من مكاننا) هذا وهو المحشر ويريحنا يعنى يحصل لنا راحة (الا ترى ما نحن
فيه) من الكرب والهول الذى لايطاق (فيقول) لهم آدم (ان ربى غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) اى اظهر شدة غضبه
وسخطه على من عصاه مريدا ايقاع العذاب الذى فى الآخرة بادخالهم النار
وهذا لم يكن قبل يوم القيمة ولا بعده فلذا خاف آدم عليه الصلوة والسلام وقال
(ونهانى عن الشجرة) اى عن الاكل منها والمراد بها العنب الذى فى الكرم
او الحنطة وسماها شجرة مجازا لان الشجر ماله ساق (فعصيت) اى خالفت امره
تعالى بالاكل منها وفى كون هذا معصية كلام سابق فى عصمة الانبياء عليهم الصلوة
والسلام (نفسى نفسى) اعتذارا عن تركه الشفاعة لهم لخوفه على نفسه وكررها
تأكيدا وبيانا لانه لا يقدر على مسامحة غيره لاشتغاله بنفسه وذكر الانبياء تدريجا
الاول فالاول والاقدم فالاقدم على وجه تأخيرا نبينا صلى الله عليه وسلم
(اذهبوا الى غيرى) من الرسل فى اكم تجدون من يقدم قوله فقال (اذهبوا
الى نوح) فيه الاب الثانى للبشر بعدى ولم يقل اذهبوا الى محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم لعلمه بانه صاحب الشفاعة وانها منحصرة فيه (فيأتون نوحا
فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض) لانه لانحصارهم وانحصار الناس فيه
وهذا لاينافى اختصاص عموم الرسالة بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لان عمومها
لانه ليس بعموم وقال ابن حجر رحمه الله تعالى لانه لم يكن بعد الطوفان الا من كان
مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم والعموم لم يكن فى اصل بعثته وانما اتفق بعده

فالحادث الذي وقع هو انحصار الخلق الموجودين بعد هلاك سائر الناس واما نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه صلى الله
تعالى عليه وسلم بذلك واما كونه اول رسول كما صح في حديث الشفاعة فالمراد به
انه اول رسول ارسل الى جميع اهل الارض في حيوته فليس المراد عموم بعثته مطلقا
بل اثبات اولية ارساله ولو سلم فهو مخصوص بعده آيات على ان بعثة نوح عليه الصلوة
والسلام كانت الى قومه ولم يذكر انه ارسل الى غيرهم واستدل على عموم
رسالته بدعائه على جميع من في الارض فاهلكوا غير اهل السفينة ولولاه ما اهلكوا
لقوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقد ثبت انه اول الرسل واجيب
بجواز ان يرسل غيره في زمنه وعلمه بانهم لم يؤمنوا فدعا عليهم وهو حسن لو نقل
مجيء رسول في زمنه غيره او خصوصية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بقاء شريعته
الى يوم القيمة او دعوته لقومه بتوحيد بلغ الناس عنه فعاندوا واستحقوا العذاب واليه
ذهب ابن عطية في سورة هود ويبعد عدم بلوغ نبوته القريب والبعيد مع طول
مدته وقال ابن دقيق العيد يجوز ان يكون الدعوة الى توحيد عامة في بعض الانبياء
وان لم يعم فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك ويحتمل
انه لم يكن في عهده غير قومه فبعثته خاصة وان عمت صورة * اقول هذا ما قاله
ابن حجر في شرح البخاري ولم يبين كون نوح اول الرسل مع من تقدمه من الانبياء
وتحقيقه ان آدم صلى الله عليه وسلم كان نبيا رسولا ولكنه ارسل لبنيه ولم يظهر
للكفر في حيوته قوم واما هو فكان كالمعلم الضابط لاهله وخدمه فلذا لم يكن كغيره
من الرسل عليهم الصلوة والسلام وادريس نبأ في زمنه وشيث كان وصيه الى
ان بعث الله تعالى نوحا فاظهر الناس الكفر وخالفوا دعوته حتى احتاج الى اهلاكهم
فهو اول رسول بعث لدعوة الناس وعنادهم ومقاتلتهم ومن قبله لم يكن كذلك
كما لا يخفى (وسماك الله عبدا شكورا) في الكتب القديمة لانه كان كلما اكل او شرب
شكر ربه فاشتهر بذلك في الامم السالفة والصحف الموحى بها كما نقل في تفسير قوله
تعالى (ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) على الاصح من ان الضمير راجع له
لا لموسى كما قيل فانه قول غير مرضي (الا ترى ما نحن فيه) من شدة الموقف وقوله
(الا ترى ما بلغنا) بسكون الغين المعجمة وفتحها اي ما وصلنا اليه من الكرب او ما وصل
الينا منه وقال النووي الاصح المعروف فتح الغين بدليل انه روي الا ترون ما بلغكم
ولو كان بالاسكان قال ما بلغنا والوجه ما تقدم (الا تشفع لنا الى ربك) في الخلاص
مما نحن فيه (فيقول لهم) اي ما تقدم بعينه وفي نسخة التصريح به (فيقول ان ربي
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي) وقد تقدم
شرحه (قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب) صفة خطيئته والعائد

(محذوف)

محذوف اى التى اصابها اى التى عملها والانبياء عليهم الصلوة والسلام معصومون كلهم ولكنهم لشدة تعظيمهم لله تعالى وخوفهم منه يعدون ما صدر منهم نسيانا وسهوا وغفلة ذنبا عظيما والمراد خطيئة بما فسره بقوله (سؤاله ربه بغير علم) فهو منصوب بدل او عطف بيان من قوله خطيئته مفعول يذكر وقوله بغير علم صفة مصدر محذوف او حال اى قالا كائنا بغير علم منه بان ما سأله لا يليق ان يسأله وهو قوله رب ان ابنى من اهلى وقد وعدتنى وعدك الحق ان تنجى اهلى من الغرق وهو فهم منه وجه فقيل له انه ليس من اهلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم وانه هذا هو كنعان وليس بولده وانى زوجته كما زعمه اهل الكتاب قيل انما عاقه هذا عن الشفاعة وزجره وجعل جهلا لانه ممن سبق عليه القول من اهله ودلت الحال على ما منعه من السؤال ولكن حب الولد شغله حتى اشتبه عليه امره وهذا قول قريب من قول من قال انه ظنه مؤمنا لقوله تعالى (اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) فلا وجه لجعله خطيئة فتأمل (وفى رواية ابى هريرة) فى حق نوح عليه الصلوة والسلام (وكانت لى دعوة دعوت بها على قومى) اشارة الى ما ورد فى الحديث ان لكل نبى دعوة والمراد ان الله تعالى وعد كل نبى بان يجيب له دعوة يدعو بها على جميع امته فتستجاب اويدعو بها لهم فلا ينافى كون دعاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام مستجابا وهذا اعتذار منه عليه الصلوة والسلام فى ترك الشفاعة ولذا عقبه بقوله (٢ اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله) وابو الانبياء ومقتداهم فانه احق بالشفاعة واقدر عليها منى (فيأتون ابراهيم فيقولون) له (انت نبى الله وخليله من اهل الارض) اى انفردت من بينهم بالخلة كما تقدم وفيه اشارة الى انه اهل للشفاعة (اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله) اى مثل ما تقدم (ويذكر ثلاث كلمات كذبهن) هى قوله انى سقيم للمدعى الى الاصنام وقوله لزوجته لما طلبها الملك منه انها اختى وقوله فى حق الاصنام فعله كبيرهم هذا وهذا كله مخالف للواقع ولا عبادة الا ان ابراهيم على نبينا وعليه افضل الصلوة والسلام لم يقصد به حقيقته وانما قاله لضرب من التأويل يقصده فليس بكذب فان فى المعاريض مندوحة عنه وانما سماه كذبا نظرا لما ظهر منه للمخاطب وخاف ان يؤاخذ به لعلو مرتبته وعظمة الربوبية عنده وان مقامه يقتضى ان لا يدارى مخلوقا او يخافه والا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر الانبياء معصوم من الكذب وغيره وعدها فى مسلم قوله فى الكوكب هذا ربى والمشهور خلافه لانه ذكره على طريق الالزام والجدل وطريقه زيادة على الدلالة وقد صرح بالحصر فيها فى بعض الروايات وقيل فى قوله انى سقيم انه كان به حمى خفيفة لا تعد سقما وفيه نظر وسيأتى تفصيله فى محله ان شاء الله تعالى وهذا اعتذار منه عليه الصلوة والسلام

(٢) اذهبوا الى غيرى نسخه

في عدم الشفاعة (نفسي نفسي) اي انا مشغول بنفسي وتخليصها (لست لها) اي لست اهلا للشفاعة لغيري (ولكن عليكم بموسى) استدراك لدفع ما لزم من كلامه الاول من حيث اياسهم وتأسيهم من الشفاعة وعليكم اسم فعل والباء زائدة اي الزموه فانه اقدر مني واقرب الى الله وهذا تواضع منه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بين مزيته عليه بقوله (فانه كليم الله) اي انه كلمه الله في الارض سماعا من غير واسطة فهو اقوى على الشفاعة مني (وفي رواية اخرى فانه عبد آتاه الله التوريه) التي هي اعظم الكتب الالهية قبل القرآن (وكلمه) بيان لكونه كليما او المراد اوحى الله اليه كلامه (وقربه نجيا) اي جعله قريبا منه حال كونه نجيا اي مناجيا ومخاطبا له والقرب ليس مكانيا بل رتبيا (فيأتون موسى) عليه الصلوة والسلام (فيقول لست لها) اي لست اهلا للشفاعة لكم (ويذكر) موسى (خطيئته التي اصاب) اي التي وقعت منه وعاتبه الله عليها بقوله وما اعجلك عن قومك يا موسى كما هو مبين في التفسير (وقتله النفس) وهو القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه فوكزه موسى فمات ولم يكن قاصدا لقتله وانما هو لدفع الصائل ومثله جائز لكنه عليه الصلوة والسلام خشي المؤاخذة به ولذا استغفر منه وعده من عمل الشيطان فلا ينافي هذا عصمته عليه الصلوة والسلام ثم قال كما قال غيره (نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى) عليه الصلوة والسلام (فانه روح الله وكلمته) تقدم بيانه مفصلا (فيأتون عيسى) عليه الصلوة والسلام (فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد) بدل مجرور لا صفة كما قيل لانه نكرة ويجوز رفعه ونصبه وفي نسخة فانه عبد (غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) اي غفر الله له كل ما صدر منه مما يعاتب عليه وان لم يكن معصية لعصمته من الذنوب ومن كان كذلك فهو حقيق بقبول الشفاعة منه (فيأتوني) بالياء للمفعول اي فيأتيني اهل الموقف لسؤال الشفاعة لهم (فاقول لهم انا لها ٢) الفاء فصيحة اي فيأتوني اي اذا جاؤني فاقول لهم انا اهل للشفاعة مدخرا لها (فاستأذن على ربي) اي اطلب منه ان يأذن لي في القرب منه والشفاعة لا ان (فيؤذن لي) بالياء للمجهول اي فيأذن الله لي في الدخول الى مكان لا يقف فيه داع الا اجيب وهو موقف ليس بينه وبين الله فيه حجاب وانما لم ينقل من موقف العرض والحساب الى موقف آخر لان الموقف الاول محل سياسة وخوف والثاني موقف كرامة ولطف ورحمة فهو ادل على قبول الشفاعة واقرب الى قلب السامع (فاذا رأيته وقعت ساجدا) اي اذا رأيت ربي صلى الله تعالى عليه وسلم ربه [illegible] سجدت تعظيما لله وشكرا له على قربه لديه دال على وقوع رؤية الله في الآخرة (وفي رواية فآتي تحت العرش) اي آتي انا مكانا تحت العرش قريبا منه (فاخر ساجدا) اي اقع واسقط في ذلك المكان ساجدا لله سجدتين وقال الراغب خر بمعنى سقط سقوطا يسمع منه صوت كصوت خرير الماء والريح وغير ذلك مما يسقط

٢) فانطلق نسخه

من علو وقوله (خر واسجدا) تنبيه على اجتماع امرين السقوط وحصول الصوت منهم بالتسبيح وقوله تعالى (وسبحوا بحمد ربهم) تنبيه على ان ذلك الخرير كان تسبيحا بحمد الله لا بشيء آخر انتهى وقال التلمساني هذا المكان الذي يأتي له صلى الله تعالى عليه وسلم يسمى بخصه العرش وهى دار عظيمة وجنة هي اوسع الجنان واكثرها بساتين يجتمع فيها اهل الجنة لرؤية ربهم في كل جمعة ولم تسد الا لرؤيته تعالى واكرام من اكرمه الله برضوانه ومشاهدة عظمة ملكوته مع تنزهه عن الحلول والمكان وفي المشارق يدل قوله فاوتى واوتى وفي شرحه للكازروني انه سمع بتشديد الواو وبه ضبط قال البرهان ومقدار كل سجدة جمعة من جمع الدنيا كما في مسند احمد وقيل مقدارها سبعين فالطره (وفي رواية فاقوم بين يديه) اي بين يدي الله تعالى وهو تمثيل لشدة القرب منه وتصويره وقيل الضمير للعرش وهو بعيد وكذلك (فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الآن) اي لا احسنها ولا اعرف كيفيتها في الدنيا (الا ان يلهمنيها الله) اي الا ان يوقفها الله في واني بالهام منه والهام الانبياء عليهم الصلوة والسلام نوع من الوحي وهو في عرفهم ليس بحجة لانه لا يدل على دليل (وفي رواية فيفتح الله على من محامده) هو قريب معنى من قوله يلهمني لان الفتح ازالة الاغلاق الحسي كفتح الباب والقفل ثم شاع في حصول الشيء ابتداء من غير عسر (وحسن الثناء عليه) هو عطف تفسير لما قبله (شيئا لم يفتحه على احد قبلي) مطلقا او المراد انه لم ييسر لغيره من الرسل قبله ولا بعده فهو اكتفاء (قال في رواية ابو هريرة فقال لي) وانا ساجد (يا محمد ارفع رأسك) من السجود (وسل تعطه) ما تسأل من الشفاعة وغيرها (تعطه واشفع تشفع) والفعلان مجزومان في جواب الامر (فارفع رأسي فاقول يارب امتي يارب امتي) اي ارحم او انج امتي وفي رواية بأتي امتي امتي بدون قوله يارب وهو معنى الرواية الاولى على الصحيح وقيل انه يحتمل الندا اي يا امتي ويناديهم ليأتوه ويكونوا معه ليسجوا ما هم فيه وانما حملهم على ان هذه الشفاعة هي الشفاعة العظمى الشاملة لسائر الامم اعتناء بهم واشارة الى انهم المقصودون بالذات من بينهم وحذف الفاعل لضيق المقام وشدة الاهتمام بتحصيل خلاص ما لابد منه (فيقول) الله بعد رفع رأسه (ادخل من امتك) اي امتي لا بد من دخول الجنة (من لا حساب عليه) اي خواص امتك المتقين الذين لاذنب لهم يستوجبونه (من الباب الايمن من ابواب الجنة) الذي هو اشرف ابوابها وهو الباب الايمن وهو باب المقربين من علماء هذه الامة (وهم) اي الذين لا حساب عليهم (شركاء الناس فيما سوى ذلك) وفي نسخة فيما سواه (من الابواب) وهي باب الصدقة وباب الصوم ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين وباب الراضين وباب الصلوة كما بينه المصنف رحمه الله تعالى في شرح مسلم

(ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل) الذي في رواية ابي هريرة من قوله فيقال يا محمد ارفع رأسك الى هنا (ثم قال مكانه) وفي نسخة وقال مكانه اي اتى بدلا منه (فاخر) وفي نسخة ثم اخر (ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه) الضمير لما سأل اوهو هاء سكت للوقف (فاقول يارب امتي امتي فيقال انطلق) امر اي اذهب من مقام الشفاعة المقرب به (فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر اوشعير) المثقال بكسر الميم وسكون المثلثة معناه موازن وموازن لانه مقابله لمعرفة مقدار ثقله فعبر به عن مطلق المقدار ومن بر الى آخره بيان للحبة وهي واحدة البر المعروف وقوله (من ايمان) بيان لمثقال اي من كان في قلبه اقل قليل من الايمان والموزون صحف الاعمال اوهي نفسها بناء على جواز تجسيم الاعراض وامور الآخرة لاتقاس بامور الدنيا (فاخرجه) بقطع الهمزة امر من الاخراج معطوف على الامر قبله (فانطلق فافعل) ما امرني به الله من اخراج من في قلبه اقل قليل من الايمان وهذه الشفاعة ان كانت هي الشفاعة العامة فالمراد باخراجهم تخليصهم من هول الموقف وكربه وان كان المراد ما بعدها فالمراد اخراجهم من النار وانطلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من مقام القرب الذي وقع فيه الشفاعة كما تقدم ولذا قال (ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد) التي الهمها كما تقدم (وذكر مثل الاول) اي مثل الكلام الاول في قوله فاخر ساجدا الخ (وقال فيه) اي في الحديث الذي رواه مسلم (مثقال حبة من خردل) وهو حب معروف في غاية الصغر والمعنى واحد في كونه كناية عن غاية قلة الايمان (قال فافعل ثم ارجع الى ربي وذكر مثل ما تقدم وقال فيه) كما رواه مسلم (من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى) وهو افعل تفضيل من الدنو واصل معناه القرب في المكان او الزمان او المرتبة كقوله تعالى (قطوفها دانية) ثم عبر به عن الاقل وقابل بالاكثر وعن الاصغر وقابل بالاكبر وعن الارذل وقابل بالخير كما قال تعالى (اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير) وافعل هنا مضافة لما بعدها للمبالغة اي اقل من الاقل وفي صحيح مسلم من رواية انس تكرير لفظ ادنى ثلاثا وهو كذلك في بعض نسخ الشفاء وفي بعضها كرر مرتين ووقع كذلك في صحيح البخاري من رواية الكشميهني وقوله (من مثقال حبة من خردل) بيان لادنى الادنى وقوله (فافعل) اي اخرج من في قلبه اقل قليل من الايمان (وذكر في المرة الرابعة) من رجوعه الى ربه ومراجعته له في الشفاعة فانه وقع مرارا في رواية البخاري وفيما ذكر دلالة على ان الايمان يزيد وينقص فان قلنا بدخول اعمال الطاعة مطلقا او الفرض فهو ظاهر وان قلنا انه مجرد التصديق القلبي فاختلف فيه فقيل لاتقبله فانه لاتقبله الا باحتمال النقيض وهو كفر وذهب القصد وغيره من المحققين الى انه تقبلها تصافا اعتقادا وتصديقا ليس كتصديق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتفاوته باعتبار وله

التشكيك وعدمه وتحقيقه في الكتب الكلامية (فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع) اي تجب وتقبل دعاؤك (واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يارب ائذن لي في) الشفاعة واخراج (من قال لا اله الا الله) اي من نطق بكلمة التوحيد والظاهر انه مع اعتقاده لذلك اعتقادا جازما من غير منافية له وضيقها بعنى حاله الغافل من انه ان اعتبر تصديق القلب واللسان فهو كمال الايمان فاوجه الترقي من الادنى المؤكد وان لم يعتبر دخل فيه المنافق وهو مشكل غير متجه فتدبر (قال) اي الله تعالى (ليس ذلك اليك) اي ليس ذلك مفوضا اليك بل الي (ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي) قسم دال على تحقق المقسم عليه والعزة الغالبة والقهر والكبرياء بمعنى الترفع عن الانقياد والعظمة ظهور ذلك وزيادته وهي متقاربة (وجبريائي) بالمد مضاف لياء المتكلم وجيمه مكسورة وجوز فتحها وياؤه ساكنة وقيل انه مقصور ومدلشا كله الكبرياء ورد بانه سمع كذلك من غير ازدواج وهو والجبروت بفتح الباء وسكونها بمعنى وتاؤه لم المه كالملكوت (لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله) من غير شفاعة احدو استدل(٢) بهذا الكرامة على ان مجرد النطق بكلمة الشهادة كاف في صحة الايمان ولا حجة لهم فيه وفيه رد على من قال بخلود اصحاب الكبائر من المعتزلة وما خص الني صلى الله تعالى عليه وسلم باخراجه من امر ايمانه مزيد نقص اوعمل ماونما اخرجه رب العزة من تجرد ايمانه عن كل شئ عداه ويدل له قوله في حديث الشخص الذي فيه لم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار يخرج فيها قوما لم يعملوا خيرا قط بعني غير قولهم لا اله الا الله خالصا من قلبه كما ورد في رواية اخرى وقوله من قلبه لا تأكيد كم طرت بعيني وسمعت باذني (ومن رواية قتادة عنه) اي عن انس رضي الله تعالى عنه (قال) اي انس لا النبي صلى الله عليه وسلم كما توهم لان الشك في قوله (فلا ادري في الثالثة اوالرابعة) انما هو من الراوي والمراد بالثالثة والرابعة مرات مراجعته ربه وانطلاقه لاخراج المشفوع لهم وقيل في هذا الحديث اشكال لان اوله يدل على ان هؤلاء اهل الموقف والمحشر وآخره يدل على انهم دخلوا النار فاخرجوا منها بشفاعته والجواب بانهم صاروا فرقتين فرقة في المحشر شفع لهم فلم يدخلوا وفرقة دخلوها ثم اخرجوا منها بشفاعته وفي الكلام اختصار وطي (فاقول يارب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي وجب عليه الخلود) اي لم يبق بعد هؤلاء الخارجين الا من حكم الله في القرآن بخلوده في العذاب ولم يؤذن في الشفاعة لهم وهم المنافقون والكفار لقوله تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) اي شفيعا وقوله (ان الله لا يغفر ان يشرك به) ونحوه من الآيات كقوله تعالى (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) (وعن ابي بكر) الصديق (وعقبة بن عامر وابي سعيد) الخدري الصحابي المشهور (وحذيفة) بن اليمان (مثله) اي مثل الحديث السابق (قال) اي قال كل واحد منهم

(٢) وقد وقع في بعض النسخ واستشهد بدل واستدل عاله مصححه

او النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (فيأتون محمدا) يأباه ظاهرا اذ الظاهر ان يقول فأتوني اي يأتونه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مراجعة الانبياء وذكرهم العذر في عدم الشفاعة لهم والآتون هم اشراف اهل المحشر من اتباع الرسل وقال العراقي في الكشف انهم العلماء العاملون يلهمهم الله تعالى طلب ذلك من الانبياء قال وبين اتيانهم آدم ونوح وآخر بعده الف عام لكن قال الحافظ بن حجر هذا التعيين للزمن لم اقف له على اصل وقد اكثر في كتبه من مثله فلا يعرف له اسمي (فيؤذن له) اي يأذن الله تعالى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في الشفاعة (وتأتي الامانة والرحم فتقومان عن جنبتي الصراط) اي ناحيتيه وسيرة واحده جنبة بفتح النون وسكونها والامانة ضد الخيانة والرحم القرابة واصلها مقر الحمل سمي بهما يمثلان او يجسمان تقدره الله تعالى ليشهدا على الخائن وقاطع الرحم وحلافهما ولعل المراد بالامانة العظمى التي في قوله تعالى (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) وهي التوحيد والاقرار به في عالم الذر التي فطر الناس عليها والرحم هي المذكورة في قوله تعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) وهذا المعظم امر الله وسعته على خلقه وفي هذا ونحوه مما لم ياتي جدا واتر الله وي ورد على المنزلة المكرى للصراط كما بين في الكتب الكلامية ورأى يحيى بن اليمان رجلا نائما وهو اسود الرأس واللحية شاب فاستيقظ وهو ابيض شعر الرأس واللحية فاخبره انه رأى في منامه كأن الناس قد حشروا واذا نهر من نار وجسر يمر عليه الناس فدعي فدخل الجسر فاذا هو كحد السيف يمور به يمينا وشمالا فشاب من ذلك (وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع لهم) في الخلاص من الموقف وهوله يسأل الله السلامة (ويضرب الصراط) اي يوضع كما ورد في رواية اخرى وعبر به هنا بأتي من ضرب الخيمة اذا نصبها وعبر بالضرب لذي اوتاده واطرافه وتوهم بعضهم ان الضرب بمعنى الجلد فقال ان ضربه يشعر بمرور الصراط بنفسه مع من عليه فان كان المراد مرور من عليه فضربه لاستعجالهم ونحو ذلهم وهذا مما يقضى منه العجب وهو جسر ممدود اي منصوب عليها لعبور المسلمين عليه الى الجنة وعن الفضيل بن عياض قال بلغنا ان الصراط مسيرة خمس عشرة الف سنة خمسة الآلاف صعود وخمسة الآلاف هبوط وخمسة الآلاف مستوى لا يجوز عليه الاصناف مهزول من خشية الله عز وجل وهذا معضل لا يثبت فتأمل نفسك اذا جزت على الصراط ووقع بصرك على جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وزفيرها وسوادها وسعيرها وكيف بك اذا وضعت احدى رجليك عليه فاحسست بحدته ثم اضطررت الى ان ترفع القدم بعد القدم والخلائق بين يديك يزلون

والزبانية تلتقطهم بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر الى ذلك فياله من منظر ماافظعه ومن نصر ماانصعه ومخاوف ما اصيقه نسأل الله السلامة والاعانة والعافية انتهى وهو على متن جهنم ادق من الشعرة واحدمن السيف اوالموسى وعند بن المبارك وابن ابى الدنيا عن سعيد بن هلال بلغنا ان الصراط ادق من الشعرة على بعض الناس ولبعض الناس مثل الوادي الواسع وهو مرسل اومعضل انتهى كما ورد فى الحديث وما قيل انه شعرة من عين مالك لااصل له وانما هو من اكاذيب الوعاظ واصحاب القصص والصراط بالصاد والسين والزاء كما بين فى اللغة وكتب التفسير وعلم القراآت (فيمرون) اى عبر الناس عليه فمنهم من يقع فى النار ومنهم من ينجو وهم فرق (اولهم كالبرق) فى السرعة من غير مهلة ومشقة (ثم كالريح والطير) فى السرعة مع الزمان الممتد اكثر من الاول (وشد الرحال) بالجيم جمع رجل ضد المرأة كما صحح فى النسخ والشروح وصحح العرقي تقليد النص رواية عنه كما نقله التلمسانى انه الرحال بالحاء المهملة جمع راحلة وهى روايه ابن ماهان والمراد به هنا البعير فقد ذكر بعضهم ان الرحل ماوضع على البعير وتفسيره تارة عن البعير انتهى فما قيل ان روايته بالحاء المهملة خطأ خطأ وان كان لايخلو من التكلف وفى بعض الشروح هنا ما نصه ولاحاجة لنا بارادة والشد سرعة الجرى وقال الراغب انه مستعار من قولهم اشد الريح وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم) فى هذا الحديث يعنى به نفسه على طريق التجريد المعروف فى علم البديع (على الصراط) يحتمل انه على ظاهره ويحتمل ان المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف عنده اكنه لقربه منه كالواقف عليه (يقول اللهم سلم سلم) جملة حالية تدل على اعانته صلى الله تعالى عليه وسلم بهم والدعاء لهم بالسلامة من الوقوع فى جهنم (حتى يجتاز الناس) يجتاز افتعال من الجواز وهو المرور وهو غاية لقوله اى لايزال يقوله حتى يعبروا اوعلة له اى يقوله حتى يسلموا فيعبروا والناس اعم من امته (وذكر آخرهم جوازا الحديث) اى ذكره اى يعنى آخر من يمر على الصراط فقيل هو هناد وقيل جهينة وقيل هما واحد واحدهما اسم والآخر لقب والذى رأيناه ان جهينة آخر من يخرج من النار وعند جهينة الخبر اليقين كما ذكر فى كتب الحديث وفى شرح التلمسانى قيل آخر من يخرج من النار هناد ولم يقع اسمه فى الصحيح وروى ان الحسن قال ياليتنى كنت هنادا فقيل انما تمنى هذا لانه علم انه قطع له بخاتمة الايمان فى الحديث وقيل لان يدخوله الجنة كملت النعمة على اهلها لانهم كالجسد الواحد انتهى (وفى رواية ابى هريرة فاكون اول من يجيز يومئذ) هذا مما رواه الشيخان فهو اول من يجيز امته من الرسل وهو يقتضى ان المراد بالناس السابق امته وانهم اول الامم جوازا على الصراط فله صلى الله تعالى عليه وسلم قصب السبق فى كل امر فهو

اول من يجئ فى عالم الارواح والذر واول من يشفع واول من يفتح باب الجنة واول من يدخلها واول من يجيز امته على الصراط ويجيز مصارع وليس بمعنى جاركما قيل (وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (توضع للانبياء) عليهم الصلوة والسلام فى ارض المحشر (منابر من نور) جمع منبر اى كرسى مرتفع (يجلسون عليها) والناس وقوف على اقدامهم اكرامالهم وتمييزا لهم عمن عداهم برفعة مقامهم ليسر المؤمن بهم ويخزى من كفر (ويبقى منبرى) حال اى (لااجلس عليه) حال من المضاف وقوله (قائما) حال من فاعل اجلس فهى متداخلة لاحال بعد حال (بين يدى ربى منتصبا) اى قريبا منه تعالى قربا معنويا منزها عن الزمان والمكان والجارحة فهو تمثيل وقيامه صلى الله تعالى عليه وسلم مع جلوس غيره من الانبياء فيه زيادة تكريم له لما فيه من الاشارة الى انه من المقربين فى حظائر القدس الناظرين فى امور غيرهم عند ربهم ولذا فرع عليه قوله (فيقول الله ما تريد ان اصنع بامتك) لما فيه من الدلالة على زيادة محبته واكرام اتباعه بما هو فى صورة الاستشارة له (فاقول يارب عجل حسابهم) اى قدم النظر فى امورهم على غيرهم حتى يخلصوا من هول الموقف ويدخل الجنة من هو داخلها منهم فيتام من عذب منهم عدم خلوده فى النار فلا منافاة بين هذا وحديث من نوقش الحساب عذب ولذا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها لايحاسب احد يوم القيمة الادخل الجنة (فيدعى بهم) اى بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبنى للمجهول كقوله (فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته) تعالى من غير شفاعة لغلبة حسناته على سيئاته ولطف الله تعالى به (ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى) له وذلك رحمة ايضا (ولاازال اشفع) فى العصاة (حتى اعطى صكاكا) جائزة اوعلة لاستمرار شفاعته وامتدادها وصكاك بالصاد المهملة وكاف مكررة جمع صك كصكوك واصك وهو الورقة التى تكتب المصالح والعرف خصها بحجة القاضى وهو معرب جك بالجيم المعجمة (برجال قدامرتهم الى النار) فهى متعلقة بهم وكانها ترسل خلفهم بعد ذهاب ملائكة العذاب بهم وامر مبنى للمجهول اى امرهم الله بأخذهم ليدخلوها اوباخراجهم بعد مادخلوها (حتى ان خازن النار) الملك الموكل بها وهومالك او المراد جنسها فيشمل مالكا واتباعه (ليقول) لما رأه من كثرة انقاذه لمن امربه (يا محمد ماتركت لغضب ربك فى امتك من نقمة) الغضب ارادة الانتقام والنقمة بكسر اوله العذاب اى لم تدع احدا ممن استحق العذاب بعذب وحق هنا ابتدائية (ومن طريق زياد) بن عبدالله النمرى (النميرى) بالتصغير نسبة الى نميرة قبيلة سميت باسم ابيها وقد اختلف فيه فقيل انه ثقة وقيل ضعيف لايحتج به وهذا الحديث رواه البيهقى وابو نعيم فى الحلية

(عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق الارض) اي تنشق والفلق
شق الشئ وابانة بعضه من بعض قال تعالى (فالق الاصباح) (عن جمجمته) بضم الجيم
الاولى والثانية وهي الرأس او قحف الرأس او عظمه الذي فيه الدماغ وخصها
لانها اول ما يظهر منه (ولا فخر) اي لا اقول هذا اظهارا للافتخار والتبجح بل
بيانا لما انعم الله به علي وتحدثا بنعمه ولا ينافيه ما ورد في الحديث * لا تفضلوني
على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى آخذ بساق
العرش لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله قبل علمه بانه سابق عليه في البعث وانه
لا يلزم منه افضلية موسى عليه فتأمل (وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر) المراد
انه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم واشرفهم في الدنيا والآخرة وخص الثاني
بالذكر لعدم اعتداده بغيره او لانه يعلم منه بالطريق الاولى او لانه مسلم لا ينكره كافر
(ومعي لواء الحمد يوم القيمة) اي معي لواء موضوع عندي او هو بيده صلى الله
تعالى عليه وسلم على عادة العرب في اخذ الرئيس اللواء والمراد لواء الرياسة العظمى
الذي يحمده ويبسط به سائر الخلق امرده صلى الله تعالى عليه وسلم به وهو على
حقيقته او كناية عن تقدمه على غيره (وانا اول من يفتح له الجنة ولا فخر) اي
يفتح له بابها وفي نسخة ابواب الجنة (فآتي فآخذ بحلقة) باب (الجنة) بسكون اللام
كاسر اي امسكها واحركها حتى يسمع حركتها (فيقال من هذا) الذي دق الباب
(فاقول) انا (محمد فيفتح لي) ليعلم بانه اذن له صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك
(فيستقبلني الجبار تعالى) اي فارى الله عيانا بعد الفتح وعبر بالجبار دون غيره لانه
يوم جزاء وانتقام كما ان الله غضب في ذلك اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده
(فاخر له ساجدا) لما شاهده صلى الله عليه وسلم من عظمة الله تعالى وانعامه عليه
وتجليه له برؤيته ورضوانه * قال السنوسي في هذا تمثيل تحمله كمن قدم على ملك عظيم
في سلطانه وكرسي مملكته ودار كرامته فاستقبله لما قدم عليه بشرا بقدومه واظهارا لعظمة
مقامه عنده وتعظيما له ولاشاعة ليزداد سروره مع علوه وحبوره واسم الله عن جلمه
فلا يتوهم ان المقام يناسب ان يقال اسم اي الرحمن لا الجبار (وذكر نحو ما تقدم)
من جهة تجامد لم يكن جده بهافل (ومن رواية انيس سمعت رسول الله عليه السلام
يقول) بالتصغير وفي بعض النسخ انس مكبر والصحيح الاول وهو صحابي انصاري
اشهلي ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وروى عن شهر بن حوشب ولم ينسبه
وذكر حديثه هذا الطبراني في الاوسط وقالوا اسناده ليس بقوي وقول بعضهم
يؤيد ضعفه بناء الشفاعة على الافعل من الشجر والحجر سهو لان معنى قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم (لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر ومدر) انه يشفع
الناس اكثر عددا من عدد الشجر والحجر لا ما توهمه والعجب ممن اعتذر له بانه لا يبعد

ان يستغيث به صلى الله تعالى عليه وسلم الخادات فرقا من نار جهنم وزمهريرها (فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار) اى اذا سمعت ما تقدم من الاحاديث مرفوعة وغير مرفوعة واختلاف الفاظها فى شفاعته صلى الله عليه وسلم وتفسير المقام المحمود الذى وعده الله تعالى به تبين لك من مجموعها (ان شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم ومقامه المحمود) بالنصب عطف على اسم ان وخبرها قوله الآتى من حين الى آخره فلا يتوهم انه لا خبر لها مذكور وانه مقدر وقوله (من اول الشفاعات الى آخرها) بيان لمقامه المحمود وفيه اشارة الى تعدد شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال القرطبى انها أربعة وفى الحديث زيادة عليها وهى شفاعته العظمى فى الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس وشفاعته لدخول اهل الجنة الجنة ولقدس فى العفو عن ذنوبهم ولمن امر به الى النار ولمن قال لا اله الا الله ولاخراج من دخل النار منها ولرفع درجات اهل الجنة كما مر جميع ذلك (من حين يجتمع الناس للحشر) هذا خبران ومن ابتدائية (وتضيق بهم الحناجر) هذا كناية عن شدة الهول والكرب والحشر جمع الناس فى المحشر والنشر الخروج من القبور بعد الاحياء والحناجر جمع حنجرة وهى الحلقوم اوطرفه او عظم العنقعة اورأسه او المراد انها تضيق عن اخراج النفس لكثرته وشدته لتراكم الغم والهم حتى تسدها كما قال الله تعالى (اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) (ويبلغ منهم العرق) بفتحتين وهو معروف (والشمس والوقوف مبلغه) اى نهايته الى تمكن بلوغها والوصول اليها وفى الحديث تكون عرق الناس على قدر اعمالهم فمنهم من تكون عرقه الى كعبيه ومنهم من تكون الى ركبتيه ومنهم من يرتدى به حتى يلجمه قالوا وهذا امر خارق للعادة فان الناس اذا كانوا فى الماء فى مكان مستو تكون تغطية الماء لهم على السواء وبلوغ الشمس قدر ميل وهذا ايضا خارق للعادة فان الشمس ليست فى سماء الدنيا كما انهم عراة ولا يرى احدهم عورة غيره (وذلك قبل الحساب) الاشارة الى اجتماعهم للحشر (فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف) اى حين اذ تضيق الحناجر وبلغ ذلك مبلغه (ثم يوضع الصراط) السابق ذكره ومرانه ليس شعره من حين مالك كما قيل (ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث) الذى تقدم ذكره (عن ابى هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتم) اى اكبر اتمانا من غيره (فيشفع فى تعجيل من لاحساب عليه من) امته (امته) ويشفع معلوم او مجهول لكونه معلوما (الى الجنة) متعلق بتعجيل (كما تقدم) من حوالهم من الباب الايمن (ثم يشفع) سماية بانه (فيمن وجب عليه العذاب) اى تحقق فالوجوب ليس على ظاهره (ودخل النار منهم) كما تقدم (حسب) بسكون ثانيه وفتحه ونصبه على المصدرية اوالظرفية اى على وفق ومثل (ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة) السالفة (ثم) يشفع

(فيمن)

(فمن قال لا اله الا الله) خالصا مخلصا من قلبه كما تقدم * فان قلت هذا ينافي ما تقدم من قوله فاقول يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله فيقول ذلك ليس اليك * قلت اجيب عنه بانه ليس فيه الا ان اخراجهم من النار مفوض الى الله لا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا ينافي اخراجهم بشفاعته ونفيه خفاء وقد يقال المذكور شفاعته فقط وقيل المراد من اثر توحيده زيادة طمأنينة له والسابق المفوض لله تعالى من مجرد توحيده عما عداه (وليس هذا) اى الشفاعه فيمن قال لا اله الا الله (لسواه) من الشفعاء (وفي الحديث المنتشر) اى الشائع ولا يلزم منه صحته فلذا قال (الصحيح) الذي رواه الشيخان (لكل نبي دعوة يدعو بها) تقدم ان المراد بها دعوة لجميع امته لا بخصوصه به او ببعض امته والا فللانبياء عليهم الصلوة والسلام دعوات كثيرة مستجابة بل لبعض اممهم بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة) واشار المصنف رحمه الله تعالى الى جواب آخر بقوله (قال اهل العلم معناه) اى معنى هذا الحديث المقصود منه (دعوة اعلم) بضم الهمزة وكسر اللام مبني للمجهول اى اعلمه الله وروى اعلموا بالبناء للمجهول اى الانبياء وعلى الاول النائب للفاعل ضمير مستتر وقوله (انها تستجاب لهم) معمول بان له اى يدعون اجابتها (ويبلغ فيها مرغوبهم) بالبناء للمجهول ومرغوبهم اى مطلوبهم الذي رغبوا في حصوله واخره نائب الفاعل (والا) اى وان لم نقل ان معناه ماذكر بان بقي على ظاهره وانه يستجاب له دعوه فقط كان مخالفا للواقع (وكم لكل نبي من دعوة مستجابة) اى اجاب الله تعالى دعاءه بها في الدنيا (ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) خصوصا (منها ما لا يعد) من الدعوات المشاهد استجابتها (ولكن حالهم عند الدعاء بها) قبل تحقق اجابتها (بين الرجاء) لاجابتها (والخوف) من عدم قبولها (وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة) اى ضمن الله لهم قبولها هنا وهذه هي الدعوة المذكورة في هذا الحديث والجار والمجرور حال اى متيقنا اجابتها ثم اشار الى جواب آخر بقوله (وقد قال محمد بن زياد) الجمحي البصري الثقة الذي اخرج له اصحاب الكتب الستة (وابو صالح) ذكوان السمان الثقة (عن ابي هريرة في) تأويل (هذا الحديث) وتفسيره (لكل نبي دعوة دعا بها في) حق (امته) وشانهم سواء كانت لهم ام عليهم (فاستجيب له واني اريد ان اؤخر دعوتي شفاعة) بالنصب اى لاجل الشفاعة (لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي صالح) السابق ذكره وهذا مما رواه الشيخان عنه (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته) وفيه اقامة الظاهر مقام المضمر لان المقام مقام بشارة تطلب فيه البسط (ونحوه في رواية ابي زرعة) بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الامام الثقة اخرج له اصحاب الكتب الستة وقد اختلف في اسمه فقيل جرير وقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن وقيل هرم وقيل

هذا وهم وانما هو هادم وقيل عمرو (عن ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه (وعن انس مثل رواية بن زياد عن ابي هريرة) اي موافقة لها معنى واشار بكثرة طرقه الى صحته وقوة روايته ثم بين المراد بهذا الجواب وانه غير الجواب السابق بقوله (فتكون هذه الدعوة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا) اي وان لم يفسر الحديث بما ذكر لزم الخلف (فقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم انه سأل لامته اشياء من امور الدين والدنيا منع بعضها واعطى بعضها) فتبين انها ليست الدعوة الموعود بها وهذا اشارة لما في الصحيح من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت الله عز وجل ثلاث خصال فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة منها سألته ان لا تهلكنا بما اهلك به الامم فاعطانيها وسألته ان لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فاعطانيها وسألته ان لا يلبسنا شيعا وفي رواية يذيق بعضنا بأس بعض فمنعها وهو المذكور في سورة الانعام في آية (قل هو القادر على ان يبعث) الخ ومن فسر الدعوة التي ادخرها بهذا فقد اخطأ وغفل عن قوله (وادخرلهم هذه الدعوة) بالدال المهملة المشددة اي جعلها ذخيرة مؤخرة (ليوم الفاقة) وهي الفقر وشدة الحاجة والمراد به يوم القيمة لاحتياج الناس فيه الى رحمة الله تعالى وشفاعة نبيه حيث لا يسمع غيره (وخاتمة المحن) جمع محنة بكسر الميم وهي البلية الحيرة بين هول الموقف اذ لا بلية بعده الا النار (وعظيم السؤال والرغبة) بالجر معطوف على يوم الفاقة او على الفاقة او جعل اليوم بمعنى محنة والرغبة عطف تفسيري للفاقة اوهو اخص منه ولما ذكر ما فضل به النبي صلى الله عليه وسلم على امته الداخل فيهم دخولا اوليا(٢) ختم الفصل بدعائه له بقوله (جزاه الله تبارك وتعالى (ما جرى بدا عن امته) اي بما جزاه او يليق به وفي نسخة احسن (وصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا) دائما ابدا الى يوم الدين ولبعض الشراح هنا كلام طويل لاطائل تحته تركناه خوف السآمة مما لافائدة فيه والله تعالى اعلم ﴿فصل في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ على غيره (في الجنة بالوسيلة) اصل الوسيلة امر يكون موصلا لامر يسعه كالهدية والتودد ونحوه قال الراغب الوسيلة التوسل الى الشيء برغبة وهي اخص من الفضيلة وانتضمنها معنى الرغبة عدي بالى قال تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) وحقيقة الوسيلة الى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة اسمي والمراد بها منزلة عالية في الجنة كما سيأتي فهو مجاز من باب اطلاق السبب على المسبب ومن فسرها بالقرب من الله تعالى فقد تسامح في العبارة قال الرشيدي يقال وسل اذا تقرب لانها المقرب (والدرجة الرفيعة) اي المرتبة العالية والدرجة هنا المنزلة واصلها ما يصعد فيه كدرجات السلم وهذا تفسير لما قبله وقال السخاوي في المقاصد الحسنة لم يرد هذه اللفظة في الدعاء الذي يدعى به عقب الاذان كما يفعله من لا خبرة له بالسنة بذكره في الدعاء

(٢) وقد وقع في بعض النسخ اوليا بدل اوليا فالمصححة ط

لااصل له (والكوثر) تقدم تفسيره وانه فوعل من الكثرة والمراد به نهر في الجنة (والفضيلة) خصلة من الفضل ضد النقص ثم ذكر المصنف شواهد لتفضيله في الجنة على غيره منها حديث رواه مسلم وابوداود والترمذي واقتصر في الرواية على ما في ابي داود دون الترمذي ومسلم لقرب سنده الى الاول دونهما فقال (حدثنا القاضي ابوعبد الله محمد بن عيسى التميمي) نسبة لتميم قبيلة وقد تقدمت ترجمته (والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد) تقدم ايضا (قراءتي عليهما) لا بسماعي من لفظهما وفي نسخة عليه بالافراد وهذه اعلى من السماع من شيخه كما علمت (قالا حدثنا ابو علي الغساني) الجياني السابق ذكره قال (حدثنا النمري) بفتح النون والميم وهو الامام ابن عبد البر المتقدم قال (حدثنا ابن عبد المؤمن) قال (حدثنا ابو بكر التمار) بفتح المثناة الفوقية نسبة الى التمر المعروف وتقدم ان الاول عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي وابو بكر التمار تقدمت ترجمته ايضا قال (حدثنا ابوداود) الحافظ صاحب السنن وقد تقدم ايضا قال (حدثنا محمد بن سلمة) بفتح السين واللام وما في بعض النسخ من انه مسلمة بميم في اوله سهو من الناسخ وهو ابو الحارث محمد بن سلمة المرادي المصري اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة مائتين وثمان واربعين قال (حدثنا ابن وهب) هو عبد الله بن وهب تقدمت ترجمته (عن ابن ابي لهيعة) بفتح اوله وكسر ثانيه وهو عبد الله الحضرمي ثم المصري الامام الحافظ وهو ثقة خلافا للذهبي اذ ضعفه روى عنه مالك واصحاب السنن وتوفي سنة مائة واربع وسبعين (وحيوة) بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وواو وهاء وقياسه حية بالادغام الا انه لم يغير فرقا بين العلم وغيره وهو ابن شريح الحمصي ثم المصري توفي سنة مائتين واربعة وعشرين وروى عنه اصحاب السنن (وسعيد بن ابي ايوب) ابو يحيى بن مقلاص الخزاعي المصري الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة احدى وستين ومائة (عن كعب بن علقمة) بن عمرو بن زيد بن خيثم الانصاري الخزرجي الصحابي البدري توفي سنة اربع وثلاثين وسنه سبعون سنة وفي بعض النسخ عن كعب عن علقمة والصواب الاول (عن عبد الرحمن بن جبير) القرشي مولى نافع الثقة توفي سنة سبع وتسعين واخرج له اصحاب الكتب الستة (عن عبد الله بن عمرو بن العاص) السابق ذكره (انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) حال وعبر بالمضارع لحكايته حتى كأنه مشاهد حاضر (اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول) من كلمات الاذان غير الحيعلتين فانه يقال عند سماعهما لاحول ولا قوة الا بالله وهذا على سبيل الندب على الصحيح وفي قول عند الشافعية انه واجب واذا كرر سماعه يكفي اجابة الاول وفي فتاوي ابن عبد السلام انه يندب اجابة الكل والاول اصح وكذا في الاقامة عند الشافعي ويقول عند قوله قد قامت الصلوة اقامها الله وادامها وعند

قوله الصلوة خير من النوم صدقت وبررت قيل ولا يلزم سماع حيعلة ولا فهمه (ثم صلوا علي) اى قولوا عقب الاجابة اللهم صل وسلم عليه وهذا مندوب ايضا (فانه من صلى علي) اى اى نسمة من صيغ الصلوة مرة واحدة ضربة قوله (صلى الله عليه بها) اى بصلوته وضمير انه للشان (عشرا) لتضاعف الحسنات (ثم سلوا الله لى الوسيلة) اى ادعوا الله لى بان يؤتينيها فقولوا اللهم آت محمدا الوسيلة ثم فسرها بقوله (فانها منزلة فى الجنة) اى مقام عال فيها اعلى مما عداه (لاينبغى) اى لايليق اعطاؤها (الا لعبد) عظيم جليل عبدالله فالتنوين والتنكير للتعظيم (من عبادالله) الاشراف الاقربين فالاضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم قال ابن كثير هى اقرب منازل الجنة الى العرش واعلاها واشرفها وتقدم ان الوسيلة من التوسل وهو التقرب * فان قلت ما وجه تخصيص الدعاء بها بعد الاذان * قلت لما كان المؤذن يدعو الناس للصلوة وهى مقربة الى الله ومعراج المؤمنين وهذا مما من الله به علينا بارشاده وهدايته ناسب ان نجازى ذلك الدعاء بالقرب من الله ورفعة المنزلة فان الجزاء من جنس العمل (وارجو ان اكون انا هو) ضمير انه للعبد وانا مبتدأ وهو خبر والجملة خبر اكون و كون انا تأكيدا للضمير المستتر وهو خبر استعير ضمير الرفع للمنصوب او وضع موضع الظاهر والاصل اكون انا اياه وذلك خلاف الظاهر ونسبه صلى الله عليه وسلم بالرجاء مع تحقق اختصاصه بارفع المنازل عند ربه تأدبا وتشريعا لامته بالدعاء له وفيه دليل على جواز دعاء المفضول للفاضل ليعود بالثواب كما اشار اليه بقوله (فمن سأل الله تعالى لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة) بالحاء المهملة وتشديد اللام بمعنى وجبت من حل يحل كضرب يضرب او غشيته ونزلت عليه من حل يحل كقعد يقعد وروى وجبت وروى له بدل عليه ولا حاجة لحمل اللام بمعنى على لان وجب يتعدى وليس المراد بالوجوب معناه المشهور بل الحقوق والثبوت ولايستشكل بان الشفاعة للمذنبين وقائلها ليس عندئذ بل عابد لله تعالى لان الشفاعة انواع كما مر كالشفاعة فى دخول الجنة من غير حساب وفى رفع الدرجات وزيادة العطيات ولايختص هذا بمن قاله مخلصا مستحضرا لاجلاله صلى الله تعالى عليه وسلم بل يكفى فيه مجرد قصد الثواب الا انه ينبغى ان لايكون غافلا لاهيا واستحباب هذا لغير المصلى فرضا او نفلا فان قاله فيها لاتبطل صلوته لانه ذكر الا فى قوله صدقت فانه من كلام الناس فتأمل (وفى حديث آخر) رواه الترمذى ايضا (عن ابى هريرة الوسيلة اعلى درجة فى الجنة) مخصوصة به صلى الله عليه وسلم وهى اقرب الى العرش من سائر المنازل وليس هذا مفهوما من الحديث السابق الا انه المراد منه (وعن انس) فى حديث رواه البخارى (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير فى الجنة) تقدم الكلام على بينا بالالف والظاهر ان سيره هذا كان ... ويحتمل انه نقطة فى الاسراء (اذ عرض لى نهر) (اى)

اى فاحتأ نى مروصه اى طهوره بمروري عليه (حافتاه) اى جانباه وشطاه وهو بتخفيف
الفاء المفتوحة وهو مبتدأ خبره (فيهما لؤلؤ مثل القباب) وفى نسخة حافتاه قباب
اللؤلؤ جمع قبة المعروفة اوهى بيت صغير تصربه العرب لتنزل فيه والجملة صفة
نهر بسكون الهاء وفتحها والمراد انها لؤلؤ حقيقى اومثله فى الحسن والنضارة
(قلت لجبريل ماهذا) النهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعرفه (قال هذا
الكوثر الذى اعطاكه الله) اى وعدلك فى قوله (انا اعطيناك الكوثر) وهو فوعل صفة
مشبهة من الكثرة لكثرة مائه واوانيه ولذا فسره ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
بالخير الكثير كما يأتى عافيه وهو اصل معناه ثم نقل وجعل علما لهذا النهر ودخلت
عليه اللام للمح الاصل ووصل الضميرين المنصوبين على اللغة الفصحى ولو فصل وقال
اعطاك اياه جاز وورد فى صفته انه ابيض من اللبن واحلى من العسل كما سيأتى (قال)
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ضرب) جبريل عليه الصلوة والسلام
(بيده الى طينه) بالنون والاضافة الى ضمير النهر وسماه طينا لانه بمنزلته وعلى صورته
وضرب بده مجاز عن ادخالها فيه (فاستخرج مسكا) اى اخرج من قعره وعرضه
ليعرفه فضله وان طينه مسك فليس كانهار الدنيا (و) روى (عن عائشة وعبدالله
ابن عمرو) بن العاص (مثله) اى مثل حديث انس المذكور (قال) اى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (ومجراه) بفتح الميم مصدر ميمى اى جرى
هذا النهر اى مجرى مائه (على الدر والياقوت) الذى فوق طينه الذى هو مسك كما
ان الانهار تجرى على طين وحصى فهذا طينه مسك وحصاه جواهر فلامنافاة بين
كون مجراه على الجوهر وكون طينه مسكا كما مر (وماؤه احلى من العسل وابيض من
الثلج) بفتح المثلثة وسكون اللام فعل الجيم وفتحها مصدر ثلج صدرى بكذا اى بردليقينه
وابيض افعل تفضيل من البياض وقد سمع من العرب على خلاف القياس فلاينافى قول
النحاة ان افعل التفضيل لايصاغ من الالوان كما مر ويجوز ان يكون صفة كاحمر واسود
الاانه خلاف الظاهر وفى الحديث ان الله اعطانى نهرا يقال له الكوثر لايكاد احد
من امتى يسمع خريره الاسمعه فقيل يارسول الله كيف ذلك قال ادخل اصبعيك
فى اذنيك وسدهما فالذى تسمعه خريره نقله السهيلى وفى رواية ابيض من اللبن
وكونه احلى من العسل لاينافى ان من انهار الجنة نهرا من عسل (وفى رواية
عنه فاذا هو) اى الكوثر (يجرى) جريا معتدلا (ولايشق شقا) جملة حالية من
ضمير يجرى اى لايشق الارض لشدة جريه وكذا سائر انهار الجنة تجرى من غير
ان تخد اخدودا كما قاله التلمسانى وشق مبنيا للفاعل وقيل انه روى مبنيا للمجهول
وقيل المراد انه يجرى معترضا لامستطيلا من قولهم شق البرق اذا لمع مستطيلا
وهو بعيد لما ورد فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لانظنون ان انهار

الجنة اخدودا لا والله انها لسائحة على وجه الارض وقد يرجع ما ذكر اليه فيكون المعنى واحدا (عليه) اى على الكوثر (حوض) والظاهر انه مجاز قريب منه كما يقال مررت على زيد اى على مكان قريب منه والحوض معروف وقد قيل المراد بكونه عليه انه يتقدمه لان عليه ميزابين يشخبان فيه من الكوثر الا انه مجاز اذ هو فى الجنة والحوض خارجها لحديث الآتى ليردن على اقوام اعرفهم ولا يعرفونى ثم يحال بينى وبينهم فاقول انهم امتى فيقال لا تعلم ما احدثوا بعدك فاقول سحقا لمن غير بعدى فتأمل (ترد عليه امتى) اى يأتونه للشرب منه ولعله بعد الحساب والنجاة من النار (وذكر حديث الحوض) الآتى وهذا يدل على انه غير الكوثر وقد جاء فى بعض الاحاديث ان الكوثر هو الحوض والحق انه غيره على قول من اقوال عدة ولو قيل بتعدد الحوض لم يبعد (ونحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما) اى روى عن ابن عباس ما يوافقه (وعن ابن عباس ايضا) اى فى رواية اخرى ذكرها البخارى (قال) فى تفسيره (الكوثر الخير الكثير الذى اعطاه الله اياه) تشريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتكريما وهذا بناء على انه فوعل من الكثرة مطلقا ثم خص بالكثير من الخير وبالنهر الذى فى الجنة فان اراد ابن عباس بهذا بيان ما وضع له لغة او بيان معنى عام خص فى الحديث والآية فلا كلام فيه وان اراد تفسير ما فى الآية فالاحاديث الصحيحة وردت بخلافه وفى الآية ستة عشر قولا فقيل انه النهر السابق ذكره وقيل النبوة والكتاب وقيل القرآن وقيل الاسلام وقيل تخفيفات الشريعة وقيل كثرة الامة وقيل رفعة الذكر وقيل نور النبوة المحمدية وقيل كثرة المعجزات وقيل الدعوات المجابة له صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل كلمة التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الفقه فى الدين وقيل الخمس صلوات التى خصت بها امته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل الحوض والاصح انه نهر فى الجنة مخصوص (وقال سعيد بن جبير والنهر الذى فى الجنة من الخير الذى اعطاه الله اياه) يعنى انه على عمومه وهذا داخل فيه او هو المراد منه (و) يؤيده ما روى (عن حذيفة) بن اليمان (فيما ذكره عليه الصلوة والسلام عن ربه) حيث يثنيه له فى حديث قال فيه (واعطانى الكوثر وهو نهر فى الجنة يسيل فى حوضى) الذى فى الموقف او بعد الصراط يسقى منه امته وفيه اشارة الى تفسيره بالحوض لان مادته منه (وعن ابن عباس) فى حديث صحيح رواه ابن جرير بسنده وابن حبان (فى) تفسير (قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى) اى يعطيك الى ان ترضى بما اعطاه لك وتقر عينك (قال) من جملة ما اعطاه (الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك) اى هى من لؤلؤ وترابها من المسك فالضمير للقصور الذى دل عليها قوله الف قصر (وفيه) اى فى كل قصر فاعاد الضمير عليه مفردا رعاية للفظه لان كل مفرد مذكر (ما يصلحهن) الضمير عائد عليه ايضا رعاية

لمساه وقيل حير فيه حاذ عليه نظرا للفظ قصر اولتأويله عا ذكر هنا قيل ان سواه فيهن لاوسعه له والمراد مايقوم بمصالح تلك القصور من الخدم والزوجات والالات كالاواني كما اشار اليه بقوله (وفي رواية اخرى وفيه ماينبغي له) اى في كل قصر ماينا سبه ويليق به (من الازواج والخدم) بفتحتين جمع خادم وفعل جمع لفاعل ورد في الفاظ ذكرها النحاة وقيل انه اسم جمع والازواج جمع زوج اوزوجة وذكر هذا هنا لمناسبته للمنزل والمقام وهذا الحديث رواه المصنف موقوفا على ابن عباس انه كان فاعل قال ابن عباس لا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الظاهر ورواه الاوزاعي مرفوعا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال حدثنا اسمعيل بن عبدالله عن علي بن عبدالله بن عباس عن ابيه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه راى ماهو مفتوح على امته فسر بذلك فانزل الله عز وجل عليه (والضحى والليل اذا سجى) الى قوله فترضى فاعطاه الله عز وجل الف قصر الحديث وقيل في الاية انه اعطاه ماهو شامل لكل خير اعطاه ولما ادخره له مما لايعرف كنهه الا الله وتقدم انها لما نزلت قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذن والله لاارضى وواحدا من امتي في النار وقد تقدم الكلام عليه ﴿فصل﴾ في بيان شبهة ترد على ما تقدم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل الرسل واعظمهم عنده وجرد من نفسه سائلا خاطبه بقوله (فان قلت) واتى بالفاء الاستئنافية اشارة الى نشأته مما قبله وترتبه عليه (قد تقرر من دليل القرآن) وفي نسخة فاذا تقرر اى تحقق وثبت واضافه دليل للقرآن بيانيه اومخصصة لامه (وصحيح الاثر) اى الحديث وهو معطوف على القرآن اوعلى دليل (واجماع الامة المحمدية (كونه) صلى الله تعالى عليه وسلم (اكرم البشر) اى اشرف بني آدم (وافضل الانبياء) والرسل خاصة منهم ولم يقل اكرم الخلق لان قوله اجماع الامة ينافيه لما فيه من خلاف المعتزلة في خواص الملائكة وان كان الصحيح خلافه فلا وجه للاعتراض بذلك (فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه صلى الله عليه وسلم عن التفضيل) بين الانبياء اوالنهي عن التفضيل عليهم (كقوله) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ورواه المصنف رحمه الله تعالى من طريق مسلم (فيما حدثناه) متعلق بكقوله اوحال منه (الاسدى) نسبة الى اسد قبيلة قال (حدثنا السمرقندي) تقدمت ترجمته قال (حدثنا الفارسي) عبدالغافر السابق ترجمته قال (حدثنا الجلودي) تقدم بيانه وبيان نسبته قال (حدثنا ابن سفيان) ابراهيم بن محمد بن سفيان السابق ترجمته قال (حدثنا مسلم) الامام صاحب الصحيح المتقدم قال (حدثنا ابن المثنى) محمد ابو موسى البصري توفي سنة اثنين وخمسين ومائتين كما تقدم قال (حدثنا محمد بن جعفر) ابوعبدالله الهذلي البصري الملقب بغندر بضم الغين المعجمة وسكون النون وضم الدال وفتحها وراء مهملة وقد تقدم انه توفي في ذي القعدة سنة ثلاث اواربع وتسعين

ومائة قال (حدثنا شعبة) بن الحجاج بن بسطام كما تقدم (عن قتادة) تقدم بيانه قال (سمعت ابا العالية) التابعي السابق ترجمته (يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم يعني ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما ابن عبد المطلب المشهور وهو احد العبادلة وطالت روايته عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم لصغر سنه في زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فيما رواه عنه بلا واسطة فقيل اربعة احاديث وقيل تسعة وقيل عشرة وقيل عشرون حديثا (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينبغي) اي ما يصح ولا يجوز (لعبد) من عباد الله نبيا كان اوغيره (ان يقول انا خير من يونس بن متى) بفتح الميم وتشديد التاء المثناة الفوقية والف مقصورة وهو اسم امه وقيل اسم ابيه وصحح كلا من القولين طائفة والاول اشهر كما مر وهو من ولد يامين بن يعقوب عليه الصلوة والسلام وكان بعد سليمان عليه الصلوة والسلام وقيل كان بينهما ايوب عليه الصلوة والسلام وكان قبل النبوة من عباد بني اسرائيل فهرب ونزل بشاطئ دجلة فبعثه الله الى اهل نينوى من ارض الموصل وهو ابن اربعين سنة فضاق ذرعا بالرسالة فشكى ذلك للملك واعلمه انهم ان لم يستجيبوا له حل بهم العذاب واجل لهم اربعين يوما واعلمهم بالاجل فقالوا ان رأينا امارات ذلك آمنا بك وانصرفوا فلما مضى من الميقات خمسة وثلاثون يوما غامت السماء بغيم اسود له دخان فايقنوا بالعذاب فخرجوا من القرية باهاليهم وفرقوا بين النساء واولادهن وفزعوا الى ربهم فرحمهم فقبل توبتهم وساح يونس عليه الصلوة والسلام في الارض ومر براع سماه له فقال له اقرأ على قومي السلام فقال له يا نبي الله لا استطيع فان من كذب مات قبل فقال له ان كذبوك فشاتك وعصاك يشهدان لك فاخبرهم فانكروا مقاله فشهد له الشاة وعصاه فصدقوه وملكوه عليهم اربعين سنة وقيل كان مقامه ثلاثة ايام فاستطر يونس فخاف لانه من كذب ولم يقم بينة قتل في شرعهم فذهب مغاضبا وركب سفينة فركدت وغيرها من السفن يسير فسألوه عن سبب ذلك فقال ان عبدا ابق من ربه وانها لا تسير حتى يلقوه في البحر فقالوا اما انت يا نبي الله فلا نلقيك فقال اقترعوا فاقترعوا ثلاث مرات وسهم القرعة يقع عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فالقوه فابتلعه حوت وغاص به الى قرار الارض فسمع يونس تسبيح الحصى فنادى في الظلمات ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت (ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فنبذ بالعراء وهو سقيم) كطير ممعوط لا ريش له فانبت الله عليه شجرة من يقطين استظل بها واصاب منها فيبست فبكى فاوحى الله اليه ابكي على شجرة يبست ولا ابكي على مائة الف اوزيادة هلكوا فنادى (ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين) واختلف في مكثه في بطن الحوت فقيل بعض يوم وقيل عشرون وقيل سبعة ايام وقيل اربعون يوما

وقيل ثلاثة وانما خص يونس بالذكر لما يعلم مما يأتي وهو خشية ممن سمع قصته ان يقع في نفسه شئ لقلة صبره وعدم ثباته في الشدائد ويأتي ان النهي عنه تفضيل يؤدي الى تنقيص احد منهم ولذا قيل ان من قال انا خير من بعض الانبياء يخشى عليه الكفر ان لم يكن نبيا فان كان فلا ينبغي له ذلك وهذا مخصوص بما اذا لم يكن كذلك وقاله افتخارا ولذا وقع من نبينا صلى الله عليه وسلم تحدثا بنعمة الله (وفي غير هذه الطريق) المذكورة آنفا (عن ابي هريرة قال نبي رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (ماينبغي لعبد الحديث) اي اذكره الخ كما مر (وفي حديث ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه الذي رواه الشيخان في رجل من الانصار تنازع مع يهودي بالمدينة وبينه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (في اليهودي) اي في رجل من اليهود ولم يذكروا اسمه (الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر) اي اختاره وفضله على سائر بني آدم من الانبياء وغيرهم (فلطمه رجل من الانصار) لم يذكروا من هو وفي سيرة ابن اسحق ان اسم اليهودي فنحاص (وقال) اي الرجل الانصاري (تقول ذلك) اي تفضل موسى على البشر (ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا) جملة حالية اي مع وجود النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذي هو افضل من موسى وغيره ولفظ اظهر جمع ظهر مقحمة اي بيننا (فبلغ ذلك) الذي قاله اليهودي والرد عليه (النبي صلى الله عليه وسلم فقال لاتفضلوا بين الانبياء) بالضاد المعجمة اي لاتقدموا على الحكم بافضلية بعضهم على بعض وليس هذا على ظاهره كما سيأتي وجوز بعضهم ان يكون بالصاد المهملة اي لاتفرقوا وتميزوا بعضهم من بعض (وفي رواية لاتخيروني على موسى) وهذه الرواية في الصحيحين وسنن ابي داود والنسائي والنهي عن تفضيل نبي من غيره مؤد الى نقص اوعلى سبيل المفضول والفاخر فلاينافي قوله انا سيد ولد آدم ولافخر وسيأتي تفصيله (فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس ابن متى) وفي هذا الحديث زيادة ذكر موسى وهو من عظماء الرسل اولي العزم فالتفضيل عليه اقوى فيما نحن بصدده فلاوجه لما قيل من انه كان ينبغي تقديم هذا الحديث على الذي قبله والحديث المذكور اوله استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم مقسما والذي اصطفى محمدا على العالمين فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين فلطمه المسلم فذهب اليهودي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره بما جرى بينهما فقال لاتخيروني على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري احوسب بصعقة الطور اوبعث قبلي ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وكانت القصة في عرض سلعة وقال البرهان لااعرف اسم اليهودي والمسلم اللاطم له وقال غيره اليهودي اسمه فنحاص

اى كما تقدم والاظهر ابو بكر رضى الله تعالى عنه الا ان قوله فى الحديث رجل من الانصار يأباه الا ان قال الانصار هنا بمعناه اللغوى وهو خلاف الظاهر وهذه الصعقة هى المذكورة فى قوله تعالى ﴿ ويوم ينفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ﴾ وهذا هو الاستثناء المذكور فى الحديث فالصعق الاحياء والاخراج من القبور مجازا لان حقيقتها الصراخ مع غشى يحرمه وقيل المراد بها حقيقتها وانها فى عرصات القيمة بعد الحشر يوم الفزع الاكبر وقال ابن قيم الجوزية فى كتاب الروح نقلا عن تذكرة القرطبى ان هذه الرواية دخل فيها حديث فى حديث ولذا اشكل عليهم والذى يزيح الاشكال ان الموت ليس بعدم محض بل تحول وانتقال من حال الى حال والانبياء والشهداء احياء لكنهم غيب واعناق من اقدهم فاذا نفخ فى الصور فمن مات حى ومن كان حيا من الانبياء ونحوهم كالمغشى عليه صعق ثم افاق ولذا ورد فى حديث مسلم فاكون اول من صعق فلذا تردد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى انه اول من تنشق عنه الارض وافاق ام موسى عليه الصلوة والسلام سبقه لانه حوسب بصعقة الطور فلم يغش عليه ويصعق وهذه فضيلة لموسى عظيمة فلذا ذكرها ونهى عن تفضيله عليه وان لم يلزم كونه افضل منه من سائر الوجوه فلذا خصه بالذكر وخص يونس لما مر وسئل امام الحرمين عن نفى الجهة وذا انها فقال دليلها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى لانه خاطب الله فى قعر البحر والظلمات الثلاث بقوله سبحانك كما خاطبه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقام قربه قاب قوسين على الرفرف فلم يكن ثمة اقرب من يونس ﴿ وعن ابى هريرة ﴾ فى حديث رواه البخارى ﴿ ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب ﴾ ذكروا فيه احتمالين ان يكون انا عبارة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى من فضلنى على يونس عليه الصلوة والسلام فقد كذب وان يكون انا عبارة عن القائل غيره اى اى احد من الناس قال انا خير من يونس او همه انه فضله بعلمه وعبادته وغير ذلك من الفضائل لان احدا لا يبلغ درجة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقد قالوا انه كفر وهذا يؤيد ان المراد الاول ويأتى بيان الثانى فى كلام المصنف رحمه الله ﴿ وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفى حديثه الآخر ﴾ اى حديث ابن مسعود الذى رواه مسلم وابو داود والترمذى ﴿ فجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم رجل فقال يا خير البرية ﴾ اى يا افضل الخلق كلهم والبرية بتشديد الياء من برأ مهموزا بمعنى خلق من البرأ بمعنى التراب الا انه التزم فيه ابدال الهمزة ياء كما فى النهاية ﴿ فقال ذاك ﴾ وفى نسخة ذلك والاشارة لخير البرية ﴿ ابراهيم ﴾ الخليل عليه الصلوة والسلام وهو فى الجملة افضل البرية والرسل بعد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السيوطى انه متفق عليه ﴿ فاعلم ﴾ جواب الشرط فى قوله

فان قلت وهو شروع في تحقيق المسئلة والجمع بين الاحاديث المتعارضة في التفضيل وعدمه (ان للعلماء في هذه الاحاديث) الناهية عن التفضيل وما يخالفها (تأويلات) تقدم بعض منها وسيأتي تحقيقها (احدها ان نهيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم) بالبناء للفاعل او المفعول اي يعلمه الله وهذا دليل على ان قوله انا السابق عبارة عنه عليه الصلوة والسلام (فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف) اي اعلام به من الله واذن فيه فلا يقدم عليه بالعقل وكون التفضيل في الحديث خاصا بموسى ويونس عليهما الصلوة والسلام فيه دلالة عليه في الجملة فلا يرد ما قيل انه لا يقتضي المنع مطلقا فتأمله (وان من فضل بلا علم فقد كذب) لانه لا يطابق ما في نفس الامر عنده اذ لم يعلم وهذا تشديد في النهي والانكار على علمه بانه واقع لا يعد كذبا (وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو) لانه نفي للقول وهو لا يدل على انتفائه في نفس الامر وما كل ما يعلم يقال وضمير تفضيله هو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اي تفضيله على يونس او او موسى صلى الله تعالى على نبينا وعليه السلام (وانما هو في الظاهر كف) اي انه امتناع او منع لغيره (عن التفضيل) بينهم وقد يكون لامر آخر (الوجه الثاني انه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع ونفي الكبر والعجب) بضم فسكون اي تيهه وخيلائه بنفسه ومدحه لها فانه كذلك في امثاله والكبر اظهار عظمته والعجب استحسانه لنفسه وسياسته والتواضع لين الجانب وخفض جناحه لغيره (وهذا) الجواب (لا يسلم من الاعتراض) الوارد عليه لانه بعد الاخبار بخلاف الواقع الذي هو كذب مذموم تواضعا قيل ولان نفي الكبر والعجب تقتضي ثبوتهما له وانه مع ما علم من حاله كيف يتوهم فيه ما لا يتوهم في غيره من صلحاء امته ولا يخفى انه اعتراض ساقط فان التواضع صفة محمودة وهو من شأنه صلى الله عليه وسلم كما تقدم (الوجه الثالث) ان مقصوده صلى الله عليه وسلم نهيه (ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي) بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة اي يجر ويوصل (الى تنقيص بعضهم) تفعيل من النقص اي تنقيص وصفهم بما فيه نقص لهم وذم (او الغض منه) بفتح الغين والضاد المعجمتين المشدد المكسورة كالغضاضة وهي النقص والعيب واصله من غض الطرف والصوت وهو خفضه فاستعير لما ذكر وضمير منه للبعض وفي نسخة منهم وفهم من هذا جوازه ان لم يؤد لما ذكر (لا سيما) اي خصوصا (في جهة يونس عليه الصلوة والسلام) اي في جهته ووصفه لان الجهة تطلق على الصفة وفيه موجهات القضايا ولا يساعده النحاة من ادوات الاستثناء وليس هذا محل الكلام عليه (اذ اخبر الله عنه بما اخبر) في قوله ولا تكن كصاحب الحوت الخ (لئلا يقع في نفس

من لا نبي معه) أي لا يقل من يونس وما قص من قصته (بذلك) أي بسبب ذلك المذكور وهو متعلق بقوله (غضاضة) أي نقص وحقارة يتوهمها من لا علم عنده وعطف عليه عطف تفسير قوله (وانحطاط من رتبته الرفيعة) استعارة بتنزيل شرفه منزلة أمر عال حسا نزل من علو الى سفل (اذ قال الله تعالى) حاكيا (عنه اذ أبق الى الفلك المشحون) أي خرج الى سفينة مملوءة بما فيها من الناس والمتاع والاباق هروب العبد من سيده حسن اطلاقه عليه اذ خرج بغير اذن ربه وقال تعالى (اذ ذهب مغاضبا) لقومه لما لم يجيبوا دعوته كما تقدم (فظن ان لن نقدر عليه) أي لن نضيق عليه بالعقوبة ونؤاخذه انه فر بشيء مثلا او تمثيلا لحاله بحال من ظن انا لا نقدر عليه في مراغمته قومه [illegible] لامرنا وروي ان معاوية قال لابن عباس ايظن نبي ان لا يقدر الله عليه فقال هو من القدر لا القدرة قال ابن بري أي من الارادة فظن ان لن نريد عقوبته (فربما يخيل) بالبناء للمجهول ونائب فاعله قوله حطيطة وقوله (لمن لا علم عنده) بمعاني القرآن وما قيل في تأويل هذه الآية متعلق به (حطيطة) أي نقيصة (بذلك) ونزول مقامه عن مقام غيره من الرسل لنظره لظاهر الآية وقد قال المفسرون فيه أقوالا فقيل معنى ذهب مغاضبا انه غضب من قومه لامر ربه وهذا خلاف الاولى اذ كان حقه الصبر كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في احد وغيرها فلا يذهب بغير اذن ولذا قال الله تعالى له (ولا تكن كصاحب الحوت) واما قوله (فظن ان لن نقدر عليه) فقد تقدم تأويله وقيل أحسن ما قيل فيه ان معناه لن نضيق عليه وقول التلمساني انها خطرة شيطانية سبقت الى وهمه بسبب ظنا لا تليق بمما لا يليق ان يقال لعصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام عن مثله (اذ التفاضل الواقع بين الانبياء والرسل) الذي افاده النهي الوارد في الحديث انما هو (في حق النبوة والرسالة) فيهما لا الانبياء والرسل قال السنوسي في شرح عقائده بعدما ذكر ما قاله المصنف ومما دل على عدم التفاضل بين الانبياء في نفس النبوة وحقيقتها منع ان يقال ثبت لفلان النصيب الاعلى من النبوة ولفلان النصيب الاوفر منها ونحو ذلك من العبارات التي تقتضي ان النبوة مقولة بالتشكيك ولا شك ان الامتناع من هذه العبارة معلوم من الدين بالضرورة بين السلف والخلف فدل ذلك على ان حقيقة النبوة من المتواطئ المستوي افراده ولا ناسب لمن خالف مقتضاه لوضوح فساده انتهى وفي ذكره ذلك في النبوة دون الرسالة ايماء لفرق بينهما في ذلك فافهم ونرجع لشرح قوله (فان الانبياء فيها) أي في النبوة من حيث هي هي (على حد واحد) مرتبتها وقدرها متحدة فيهم (اذ هي شيء واحد) أي متحد في جميعهم (لا تفاضل) أي لا تزيد بعضها على بعض (وانما التفاضل) والتفاوت (في زيادة الاحوال) أي العوارض الطارئة عليها (والخصوص) أي ما خص به بعضهم دون بعض (والكرامات)

(الى)

التي اكرم الله بها بعضهم (والرتب) الدنيوية والاخروية (والالطاف) اي العطايا التي اعطاها الله بعضهم جمع لطف بفتحتين وهو الهدية كما مر فهو استعارة هنا (واما النبوة في نفسها فلا تفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها) طارئة ليست من نفس حقيقتها كما بيناه (ولذلك) اي لما ذكر من ان التفاضل لامر زائد (كان منهم رسل) غير اولي العزم (ومنهم اولو العزم من الرسل) والعزم القوة والشدة والتصميم على تنفيذ مايراه اولى به وغيره والرسل جمع رسول وهو صاحب الرسالة من الله شريعته المأمور بالتبليغ فهو اخص من النبي على المشهور من الرسل بالكسر وهو تتابع الدروسه على رسلك اي تمهل وتثبت وقد اختلف في اولي العزم والحزم منهم فقيل هم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وهم اصحاب الشرائع وقيل اربعة نوح وهود وابراهيم ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وقيل ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وقيل هود ونوح وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على نسق في الاعراف والشعراء وقيل هم نوح لصبره على اذى قومه وابراهيم لصبره على النار واسحق لصبره على الذبح في قول ويعقوب لصبره على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف لصبره على السجن وايوب لصبره على الضر وقيل هم المأمورون بالجهاد وقيل جميع الرسل المذكورون في الانعام واختاره الحسن لقوله (اولئك الذين هدى الله الخ) وهذا مبني على تفسير العزم ثم بين بعض ماوقع فيه التفاضل فقال (ومنهم من رفع) اي رفعه الله (مكانا عليا) وهو ادريس سبط شيث وجد نوح واسمه قديما اخنوخ رفع الى السماء او الجنة كما قاله المفسرون وكذا عيسى (ومنهم من اوتي الحكم صبيا) وهو يحيى اذ احكم الله عقله في صباه وآتاه الحكمة وفهم التورية واكثر الانبياء نبئ بعد الاربعين وقد ذكر مثل هذا في عيسى ايضا (واوتي بعضهم الزبور) وهو داود وفي نسخة الزبر جمع زبور بمعنى المزبور المكتوب فتشمل موسى وعيسى وادريس وشيث وداود وقيل انه يكون مصدرا كما في الحجة لابي علي (واوتي بعضهم البينات) اي المعجزات الظاهرة الباهرة التي لم يؤتها احد قبله من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحوه مما فضله الله تعالى به وهو عيسى عليه الصلوة والسلام (ومنهم من كلم الله) من غير واسطة وهو موسى اذ كلمه بالطور لما رأى نورا (ورفع بعضهم درجات) عالية فضله بها على غيره وهذا اجمال لفضائل لم تذكر او المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ فضله على من سواه بوجوه متعددة ومراتب متباعدة كدعوته العامة للعرب والعجم والجن والانس والملائكة ومعجزاته الباقية الى يوم القيمة ومن اجلها القرآن وغيره مما هو معروف الحصر (قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال) تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية)

هذا بيان لما قبله او ناظر لجميعه كما اشير اليه وقوله تلك انثه باعتبار الجماعة (قال بعض اهل العلم) بالكتاب والسنة (والتفصيل المراد لهم هنا) عطف على مقدر او على ما تقدم وهنا اشارة لما ذكر قبله (في الدنيا) متعلق بالمفصل (وذلك بثلاثة احوال) وفي نسخه اوجه (ان تكون آياته ومعجزاته ابهر) اي اقوى واغلب من بهر ضوء القمر الكواكب اذا غلبها او اظهر (واشهر) عطف تفسير له كانشقاق القمر والقرآن وانفلاق البحر وانقلاب العصا حية (او تكون) بالنصب (امته ازكى واكثر) اي انقى واكثر من غيرهم كنبينا صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس) وقد ارسل للناس كافة (او يكون) بالنصب (في ذاته افضل) بزيادة علمه وخصاله المحموده (واظهر) بالمعجمة اي اشهر وبالمهملة انقى واتقى (وفضله في ذاته) وشبهه (راجع الى ما خصه الله به) اي ماله ومعناه (من كرامته) اي اكرام الله له بما ذكر ومناقب عظيمة وخصاله (واختصاصه) بالجر معطوف على مدخول الي او من في قوله (من كلام) بيان لاختصاصه بمعنى ما خصه به بغير واسطة كموسى ونبينا صلى الله عليهما وسلم (او خلة) تقدمت وانها لابراهيم اوله ولنبينا صلى الله تعالى عليهما وسلم (او رؤية) عيانا قبل دخول الجنة كما في المعراج (او ما شاء الله) وارادة لهم غير ما ذكر (من الطاف) بفتح الهمزة اي عطايا كما تقدم وفي نسخه الطافه بالاضافة (وتحف ولابسه) اي تحف اولاها لهم (واختصاصه) بما اختصهم به من وراء اعين لا يعلمها الا هو (وقد روي) بالبناء للمجهول وهذا رواه ابن ابي حاتم والحاكم في مستدركه عن وهب بن منبه وهو رجوع الى تبرئه يونس صلى الله تعالى عليه وسلم عما ذكر من الاوهام (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان لله ثقالا) اي احمالا ثقيلة قال تعالى (وتحمل اثقالكم) جمع ثقل والثقل كعنب وسكن مقابل الخفة قال الراغب واصله في الاجسام ثم يقال في المعاني كاثقال الغرم والوزر وهو في الانسان ذم في اكثر المعارف وقد يكون مدحا كقوله

تخف الارض اما بنت عنها * وتبقى ما بقيت بها ثقيلا
حللت بمستقر الارض منها * فتمنع جانبيها ان تميلا

والمراد هنا المشاق التي تكون في تبليغ الرسالة (وان يونس تفسخ منها) الضمير للاثقال والاحمال وتفسخ بالفاء والسين المهملة المشددة والخاء المعجمة تفعل من الفسخ اي تقطعت اعضاؤه وتفككت لعدم طاقته صلى الله تعالى عليه وسلم حملها قال تفسخ البعير تحت الحمل الثقيل وفسخ يده اذا ازالها ومنه فسخ العقود عند الفقهاء (تفسخ الربع) تفعل مصدر من الفسخ والربع بضم الراء المهملة وفتح الباء الموحدة والعين المهملة وهو الفصيل اي ولد الناقة الصغير الذي يولد في الربيع وبعده الهبع الذي يولد في الصيف وتفسخ منصوب بالمصدر به انفسخ اي تفسخ كتفسخه

اى لم يطلق مثانيها ولم يصبر عليها وفى تشبيه بالربع اشارة الى انه كان فى مبدأ امره وفى قوله اثقالا استعارة تصريحية وفى تفسخ استعارة تصريحية تبعية ولايلائم التشبيه ويجوز ان تكون استعارة تمثيلية وهو احسن ثم بين مراده فقال (لحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) نهيه عن التفضيل (موضع الفتنة) اى مايقع الناس بسببه فى فتنة وامر محذور من تنقيص الانبياء عليهم الصلوة والسلام فجعله كأنه موضع لها تقريبه (من اوهام) التى يتوهمها من لاعلم له وهو متعلق بحفظ اى صانه عما يتوهم اوهو بيان لموضع (من يسبق اليه سببها) اى المواضع اوالاوهام وقيل المراد بسبب اثقالها من سأم وضجر وقيل بسبب الفتنة وقيل بسبب قصة يونس عليه السلام (حرج فى نبوته) بفتح الجيم اى ذكر مالايليق بمقام النبوة مما تقتضى عدم العصمة (او قدح فى اصطفائه) اى ذم ونسبة من ارتكابه هفوة مختارا بذنبه مفضلا على غيره والقدح ذكر المعائب والنقائص (وحط من رتبته) اى نزيل له من علو مقامه (ووهن فى عصمته) اى عدم عصمته فيها بسبب ماتوهمه من ظاهر قصته السالفة فلذا نهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عن تفضيله عليه مفصلا عن قصته لتساويهم فى حقيقة النبوة وان تفاوتت احوالهم وصفاتهم كامتنعه مفصلا (شفقة منه صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب مفعول له او علة لحفظ (على امته) اى تقع منهم مالايليق بمقام النبوة فيكون لهم وزر يستحقون به سوء العاقبة بسخط الله تعالى وعقابه (وقد نتوجه) اى يحصل بوجه آخر فى الجواب خامس او سادس او ثنوى (على هذا الترتيب) اى على مارتبناه على النبوة من الاختصاص بامور اكرمها الله تعالى بها (وجه خامس وهو ان يكون لفظ انا) فى الاحاديث السابقة (راجعا الى القائل نفسه) المذكور فى قوله لا ينبغى لاحد ان يقول فليس المراد تضمير المتكلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الوجوه المتقدمة (اى لا يظن احد) من الناس عن الانبياء (وان بلغ من الزكاء) اى انه بلغ من الزكاء بالزاء المعجمة اى الصلاح وزيادة الخير قال التلمسانى انه بخط المصنف رحمه الله تعالى هكذا ورواه العزفى بتقييد المصنف بالذال المعجمة وهو الفطنة (والعصمة) اى الحفظ من الذنوب وليس المراد بها ماخص به الانبياء وهى المذكورة فى قوله اسألك العصمة فى الحظرات والسكنات ولذا جوز تعميم الدعاء بها وسعه بعضهم كافصله ابن حجر فى فتاويه (والطهارة) اى البراءة من الاوزار (مابلغ) اى مع ماعطيها فما مصدرية او موصولة (انه خير من يونس) بن متى وهذا معمول يظن المنفى (لاجل ماحكى الله عنه) تعالى لطفه اى مانصه فى قصته من لومه على تضجره وعدم صبره على قومه لتماديهم فى غيهم وعدم اجابتهم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم للايمان وسوق كلامه مؤذن

بان القائل من غير الانبياء كما يشهد له قوله (فان درجة النبوة) ورتبتها العالية (افضل واعلى) عند الله من درجة غيرهم من الانبياء وهذا امر مرضي او مبني على عدم العلم بالنهي عن مثله فلا يرد عليه انه كيف يكون تفاوت وقد صدر منه تنقيص الانبياء الذي قيل انه كفر وايضا كيف وصفه بالعصمة وهو غير نبي (فان تلك الاقدار) جمع قدر بفتح القاف والدال المهملة اي ما قدره الله عليهم لحكمة باهرة وليس بمحتمة وان جاز تأويله بانه بالنسبة لمقامهم دون من قدر فانه غير مناسب لفظا ومعنى (لم تحطه عنها) اي لم تنزل يونس عليه الصلوة والسلام عن درجته (مقدار حبة خردلة) اي هي اصغر الحب والاحسن حبة خردل بدون هاء (ولا ادنى) اي اقل واصغر من خردلة اي لم ينقصه اصلا (وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا) باتضاحه وتحقيقه (ان شاء الله تعالى) ذلك (فهذا بان لك الغرض) المقصود الذي قصدناه في هذا الكتاب (وسقط تفاخر رناه) اي تفاخرناه او لخصناه او كتبناه والتحرير التخليص واظهار الزبدة لان اصله جعل الشيء حرا اي خالصا وقد يعبر الوجه لاكرم موضع منه والحر المقابل للعبد والتحرير بمعنى الكتابة من الخاص الذي صار عاما واصله كتابة ملخصة او كتابة العامة كما في الكشف (شبه المعترض) الذي اعترض على ما قدم ولو قال من اعترض كان سجعا لكن المصنف رحمه الله تعالى لم يقصده ولما كان ما تقدم في ذكر فضائله واسمائه صلى الله عليه وسلم دالة على ذلك عقبه بذلك كما اشار اليه بقوله ﴿ فصل في اسمائه ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم (وما تضمنته من فضيلته) اي ما هو نص مدلوله او لازم له صادق حتى كانه ضمنه والاسماء جمع اسم والكلام على كونه من السمة او السمو اعرضنا شهرته عن ذكره واما البحث عن كونه عين المسمى او غيره فبحث لاطائل تحته فلا وجه لذكره هنا او قد افردناه بالتأليف والاسم له معان فيطلق على مقابل الفعل والحرف وعلى مقابل اللقب والكنية وعلى مقابل الصفة المسمة ويكون بمعنى العلم والظاهر ان المراد به هنا ما شاع اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم سواء كان علما او صفة او غيرهما وسواء اختص به وصفا ام لا فهو العلم وما شبهه وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى ولو ادعاه فلا يرد كثرة اسماء الخمر او هوا كثرى وهو الظاهر وفي شرح الترمذي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الف اسم كما ان الله تعالى الف اسم وعن مغلطاي انها تبلغ ثلثمائه وقيل انها تسعة وتسعون كاسماء الله ومنها ما هو بلفظ الفعل والمصدر واكثرها صفات مادحة كما اشار اليه المصنف بقوله تضمنته من فضيلته ولابن دحية تأليف مستقل في اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ان المصنف رحمه الله تعالى ذكرها حديثا رواه الشيخان عن محمد بن جبير عن ابيه بسند متصل الا ان المصنف رواه عنه مرسلا لعلو سنده فيه بدرجتين فقال (حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه) تلميذ

بفتح المثناة الفوقية وآخره دال مهملة يعني قديم العهد لولادته بعد فتاؤه مبدلة من واو وهو ضد الطارف وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا ابو عمر الحافظ) ابن عبد البر وقد تقدم ايضا قال (حدثنا سعيد بن نصر) تقدمت ترجمته ايضا قال (حدثنا قاسم بن اصبغ) بهمزة مفتوحة وصاد مهملة وموحدة تحتية وغين معجمة وهو قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف بن واصبح بن عطاء الامام الحافظ محدث الاندلس ابو محمد الاموي مولاهم القرطبي كان صدرا عاليا الاسناد ثقة ولذا قطع الرواية في آخر عمره خوفا من الغلط ولد سنة سبع واربعين ومائتين وتوفي بقرطبة في جمادى الاولى سنة اربعين وثلثمائة (قال حدثنا محمد بن وضاح) بن بزيع مولى ملك الاندلس ابو عبد الرحمن بن معاوية الاموي الحافظ محدث الاندلس ابو عبد الله القرطبي مولده سنة تسع وتسعين ومائة او سنة مائتين بقرطبة وتوفي في المحرم سنة تسع وثمانين ومائتين قال الذهبي انه صدوق روى عنه كثير من اهل الاندلس قال (حدثنا يحيى بن يحيى) الليثي عالم الاندلس وراوي الموطأ وليس له رواية في الكتب الستة الا نادرة وقد تقدم الكلام عليه (عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه) ومحمد هو ابو علي وقد روى عنه الزهري وهو روى عن ابيه جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل وهو صحابي اسلم بعد الحديبية وروى عنه ابناه محمد ونافع وروى عنه ابن المسيب وكان سيدا وقورا توفي سنة سبع وخمسين واخرج له الائمة الستة واحمد في مسنده وهذا الحديث اخرجه مالك في الموطا والترمذي في الشمائل والبخاري وهو حديث صحيح مسندا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء) قدم الجار والمجرور للتقرير والتأكيد او للاختصاص باعتبار انه لم يسم بها احد قبله او لاشتهارها في الامم الماضية فالحصر المستفاد من التقديم اضافي لا حقيقي لزيادتها على ذلك وقال السيوطي في كتاب الرياض الانيقة في اسماء خير الخليقة قيل ان لله تعالى على تقديره اسمائه وقال المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتي قيل انها موجودة في الكتب القديمة وعند الامم السالفة وزاد بان منها اكبر فالحق ان مفهوم العدد غير معتبر فلا يفيد الحصر وقال ابن دحية في كتاب المستوفى قيل انه لعل العدد ليس من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او التحسين لان المراد خمسة اسماء فاضلة او معظمة مشهورة اسمي بها لا في ما عداه وانه مخالف للظاهر وقال ابن فارس ان اسماءه صلى الله تعالى عليه وسلم الفان وعشرون وقيل المراد خمسة سماني بها ربي وباقيها اوصاف واسماؤه صلى الله تعالى عليه وسلم توقيفية فلا يجوز ان يسمى عالم بتسميته به الله او يسمى بغير ما سماه او ابوه او جده (انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي

الكفر) اى بسببه حقيقة من جزيرة العرب وحكما من جميع الارض وقيل كما يأتى فى الحديث يمحو به سيئات من تبعه كقوله تعالى (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى كان الظاهر ان يقول به لكنه راعى فيه المعنى كقوله * انا الذى سمتنى امى حيدره * والكلام عليه مفصل فى كتب العربية (وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى) بتشديد الياء مفتوحة وتخفيفها ساكنة اى يحشرون على اثرى وبعد سوقى اولبس بعده صلى الله تعالى عليه وسلم نبى كما يأتى تفسيره وقد روى ان الحشر الذى يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره (وانا العاقب) الآتى عقب الانبياء عليهم الصلوة والسلام فلا نبى بعده وعيسى عليه الصلوة والسلام تقدم انه يأتى على شريعته وقال ابن الاعرابى العاقب من يعقب غيره فى الخير ومنه العقب بمعنى الولد وسيأتى تفصيل معنى الحديث (وقد سماه الله فى كتابه) وهو القرآن (محمدا واحمد) فى قوله تعالى (ما كان محمد ابا احد من رجالكم) وقوله (يأتى من بعدى اسمه احمد) وكونه حكاية عن عيسى عليه الصلوة والسلام لا ينافى كون المسمى له الله ولذا قيل انه سمى عليه الصلوة والسلام اما اطلاقه عليه باعلام الله واذنه له فالمسمى حقيقة هو الله (فمن خصائصه تعالى له) اى الكائنة له ان قلنا بجواز حذف الموصول مع بعض الصلة فهو صفة له او هو متعلق به لما فيه من معنى الكريم وقيل انه معمول له واللام مزيدة للتقوية والظاهر انه اسم غير موصوف بالتعدى وصفة (ان ضمن اسماءه) فاعل ضمن ضمير الله والضمير المضاف اليه للنبى صلى الله عليه وسلم (ثناءه) معمول ضمن وهو مصدر مضاف للفاعل او للمفعول باعتبار ان الضمير لله او للرسول اى سماه الله عليه (وطوى اثناء ذكره) بفتح الهمزة وسكون المثلثة والمد جمع ثنى كمعى وهو ما انعطف من الوادى ونحوه فى اثنائه ونحوه اى داخله وبعضه على الطرف وطوى من قولهم طوى الثوب اذا عطف بعضه على بعض وهو كناية عن الكتم والاخفاء فالمعنى اخفى داخل ذكر النبى اى فى اسمائه التى سماه بها (عظيم شكره) اى شكره العظيم والضمير لله اولا نبى فان كان ضمير شكره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاضافته له من اضافة الفاعل او المفعول اى كونه شاكرا او مشكورا عظيما لانها كثيرها اوصاف غلبت عليه واختصت به اختصاص الرحمن بالله مع بقاء الوصفية او اعلام منقوله ملموح اصلها فيفيد المدح والاعلام وصف انه من الذات لكن المنقول من الصفات تشعر بمعانيها الاصلية ولذا جاز دخول ال عليها ومعظم اعلامه كذلك (فاما اسمه احمد) فورد به (افعل مبالغة فى صفة الحمد) مبالغة مرفوع خبر مبتدأ محذوف او منصوب مفعول له والجار والمجرور صفة والمبالغة لانه افعل تفضيل حذف المفضل عليه قصدا للتعميم نحو الله اكبر اى من كل شئ ثم نقل ولحظ اصله فلا يرد عليه انه علم

(فكيف)

فكيف يعيد ماذكر وماقيل من انه للتفضيل لا للمبالغة والمبالغة لها صيغ مخصوصة فقد وهم والحال من غير طائل على عادته وقال السخاوى فى سفر السعادة احمد اسم النبى صلى الله عليه وسلم ليس بمنقول من المضارع ولا من افعل التفضيل فهو كاحمر واصفر وهو ابلغ من محمد وهو كل من تكاملت مناقبه وبلغ النهاية فى الحمد قال الاعشى

اليك ابيت اللعن كان كلالها * الى الماجد الفرع الجواد المحمد

انتهى وفيه نظر لا يخفى وقدمه المصنف رحمه الله تعالى لانه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب القديمة ومدسماه به موسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام كما نطق به القرآن وسماه الله به لانه حمده فى مقام لم يحمده فيه سواه بمثل محامده كما تقدم وستأتى تتمته (ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد) فهو فى الاصل اسم مفعول من التفعيل فينبئ عن الكثرة ففيه مبالغة ايضا ولهذه الصيغة معان اخر مذكورة فى كتب الصرف وفى شرح الهادى انه مرتجل قال ابن معطى وهو غلط وتوجيهه بانه لم يستعمل فى غير العلمية يرده بيت الاعشى المذكور وروى عن ابن عباس بسند متصل كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة انه لما ولد صلى الله تعالى عليه وسلم عق عنه عبد المطلب بكبش وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ماحملك على ان سميته محمدا ولم تسمه باسم آبائه فقال اردت ان يحمده اهل السماء ويحمده الناس فى الارض واخرج عن ابن اسحق مسندا ان امه آمنة بنت وهب حدثت انها اتيت حين حملت به صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الارض فقولى * اعيذه بالواحد * من شر كل حاسد * وكل برعاهد * وكل عبد رائد * يرود غير رائد * وروى * فانه عبد الحميد الماجد * حتى اراه قد اتى المشاهد * فاذا وضع فسميه محمدا فان اسمه فى التوراة احمد يحمده اهل السماء والارض واسمه فى الفرقان محمد فسمته بذلك وقال ابو الربيع بن سالم فى سيرته روى ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا رآها كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذا سماه محمدا مع ماحدثته به آمنة انتهى (فهو صلى الله تعالى عليه وسلم احمد من حمد) بفتح الحاء وكسر الميم والبناء للفاعل اى اجل الحامدين (وافضل من حمد) بالبناء للمجهول ففيه لف ونشر مرتب فالاول راجع الى اسم احمد والثانى لمحمد والافضل انسب من محمد لما فيه من الكثير وكون الله لم يسم به غيره فكان افضل من حمد والحمد مصدر محتمل للحامدية والمحمودية وان نص فى محمد الثانى وجوز

ابن القيم في احمد ان يكون بمعنى المفعول اى اكثر محمودية والفرق بينه وبين محمد انه لزيادة الكمية ومحمد لزيادة الكمية وهذا ابلغ في مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم ولو اريد الفاعل لقيل حماد بدل احمد واعترض عليه بانه تخصيص من غير مخصص وبناء اسم التفضيل من المفعول شاذ كاشغل من ذات النحويين وكون حماد ابلغ من احمد كما قاله كلامه لا وجه له * اقول هو لم يبين ماقاله واما ادعى جوازه وانه اولى لسلامته من التكرار والترادف الذي هو خلاف الاصل وترجيح حماد على احمد ليس لا بلسته بل لانه اكثر واقيس واما كون التفضيل من المفعول شاذا فمسلم ولكنه سمع من العرب في قولهم العود احمد وانه العلامة الزمخشري واول من قال العود احمد خداش بن حابس التميمي وقول المصنف (وأكثر الناس حمدا) اى محمودية بدليل قوله (فهو احمد المحمودين) والاعتراض عليه بما ورد على ابن القيم ساقط لما سمعته آنفا (واحمد الحامدين) هو وما بعده بيان لوجه التسمية بهما وصح ارجاعه لكل منهما من غير لف ونشر وقيل اسمه احمد بل محمد في التسمية فانه تعالى لما خلق نوره قبل كل مخلوق حمده بمحامد الهمه اياها لم يحمده بها غيره فكان احمد من دخل تحت كلمة كن في عالم الخلق والامر ولما ظهر للعالم حمده على التسمية استحق ان يسمى محمدا فاذا كان يوم القيمة كان احمد الخلق فسمى احمد فلما فتحت شفاعته العظمى حمده الخلق فسمى محمدا وفيه من التكلف ما لايخفى ويأبى فيه كلام المحشي (ومعه لواء الحمد يوم القيمة) تقدم ان اللواء علم الجيش وهو اكبر من الراية اى انه تحت امره او في حضرته وهذا يحتمل انه على حقيقته اعلاما انه صلى الله تعالى عليه وسلم نال هذه المرتبة تفوقه على كل مخلوق في كونه حامدا ومحمودا ومعنى لواء الحمد انه لواء تبعه كل حامد ومحمود ويعلم ذلك بالهام الله او بنداء الملائكة معه او باعلان الحمد حامده ونحوه واصحاب الحمد هذا من ايام الشفاعة وكثرة الانبياء ويحتمل انه على التشبيه صلى الله عليه وسلم في اهل الموقف وعدم الأول اسلم (ليتم له كمال الحمد) مبني للمفعول او الفاعل واختار البرهان الاول واتمام حمده له باشتهاره وانتظام كل احد له من غير تردد كما كان في الدنيا ابعض اهلها كما اشار اليه قوله (ويشتهر) وفي نسخة وتشهر (في تلك العرصات) بسكون الراء وبحور فتحها وعرصة الدار ساحتها وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء وجمعها عراص وعرصات وفي التهذيب ...... الدار ... لان الصبيان يعرصون فيها اى يلعبون ويمرحون والمراد هنا ارض الموقف والحشر (بصفة الحمد) وهو البناء على الجليل الاختياري على جهة التعظيم وقيل حمده اظهار الصفات الكمالية بالثناء او بغيره وفيه كلام في شرح الزوراء للجلال الدواني (ويبعثه ربه هناك) اى في العرصات (مقاما محمودا كما وعده) بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا

ونصب مقاما على المفعولية بتضمين يبعث معنى يعطي او على الظرفية لتشابهه للمبهم اوهو حال على ما فصل في الكشاف وشروحه ثم بين محمودية بقوله (يحمده فيه الاولون والآخرون) اى جميع الخلق لانهم تحت لوائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مقام الشفاعة العظمى حين اعترف جميع الرسل بالعجز وقيل له اشفع تشفع (بشفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم) فى فصل القضاء كما تقدم (ويفتح عليه فيه) اى فى ذلك المقام (من المحامد) جمع محمدة بمعنى حمد اى يلهمه الله محامد عظيمة يحمده بها ثمة واصل الفتح ضد الغلق فاستعير للاعطاء والالهام وتيسير الامور كما استعير المغلق للصعب ومن بيان لما اى امر او نحوه او للمفعول ان قلنا بجوازه كما مر وقوله (كما قال عليه الصلوة والسلام) اشارة الى وروده فى الحديث كما تقدم (لم يعط غيره) من الانبياء وبعطى مبنى للمجهول وغيره بالرفع نائب الفاعل (وسمى) الله تعالى لعلمه من السابق او هو مجهول وهو الاولى (امته فى كتب انبيائه) بالمورية والانجيل كما ورد فى الاحاديث (بالحمادين) اى البالغين فى الحمد وروى الدارمى عن كعب انه قال نجد مكتوبا فى التورية محمد رسول الله مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون الى آخره (فحق ان يسمى محمدا واحمد) اى بان يسمى لانه يتعدى بالباء وقد يتعدى بعلى كما فى (حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق) لما فيه من معنى الوجوب كما فى الحجة لانى على وقرينة على ماذكره لانه اذا حمد بما لم يحمده غيره وحمده الاولون والآخرون وكثر حمد امته كان جديرا بذلك (ثم فى هذين الاسمين) محمد واحمد اى فى تسمية الله له بهما قبل وجوده (من عجائب خصائصه) اى من العجائب التى خصه الله بها ولم يشركه احد لمثلها (وبدائع آياته) اى غرائب علاماته اى احمد وقد مر البديع بالحسن فهو مساو (فن آخر) اى نوع آخر غير ما تقدم (وهو ان الله جل اسمه) اى عظم فى ذاته وفيه مناسبة لما بعده اسم نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قرنه باسمه وحسنه كما احسن بما فيه الحسن (حمى) اى منع وصان عن (ان يسمى بهما احد قبل زمانه) مع ذكرهما فى الكتب القديمة والامم السالفة كما مر وامر نبى اسمه احمد واتباعه باسمه لعلمه اذا سمى بهما انه النبى الموعود به وعد من الخصائص لانه بعد الاعلام باسمه منع من التسمية به مع انهما اعلام فقوله فلا يرد ان كثيرا من الاعلام المرتجلة لا يكاد غيرهم لم يسم به غيرهم مما كان ذلك لشبهه فى نوع مشترك قال تعالى (ولم نجعل له من قبل سميا) (اما) اسمه (احمد الذى اتى فى الكتب) الالهية (وبشرت به الانبياء) كعيسى وموسى كما قال تعالى (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد) وقال سمع الاول كما قال فى البردة

ان بعثهم سماه نبيهم ... فى لاء حسن فى الشام

فى احمد بالمدائن ... [illegible]

(فمنع الله بحكمته) اى بسبب حكمته او منعا ملتبسا بعلمه و حكمته التى اسأثر بها او اظهرها لبعض خاص عباده (ان يسمى به احد غيره ولا يدعى) مبنى للمجهول بنون رمى اى يسمى (به مدعو قبله) يسمى قبله قال اكثر العلماء ان هذا هو الصواب وما نقل من ان الحصر عليه الصلوة والسلام اسمه احمد قول مردود واه كما قاله ابن دحية واما احمد بن عجيان بضم العين المعجمة وسكون الجيم ومثناة تحتية بزنة سفيان وبفتح الجيم وتشديد الياء فلا اصل له وقيل تسمى فى الجاهلية قبل الاسلام بزمان طويل احمد بن ثمامة الطائى واحمد بن دومان البكيلى واحمد بن زيد بن حراش السكسكى ومن اله ائل بنو احمد فى همدان وبنو احمد فى بكيل وبنو احمد فى طى ولم يكن قريبا من عهده من تسمى به صيانة له واما بعده فاول من تسمى به احمد بن عمرو بن تميم الفرهودى او الفراهيدى ابو الخليل النحوى الزاهد وببركة هذا الاسم كان له من العلم والتقوى ما لم يكن لغيره ثم بين حكم صيانته بقوله (حتى لا يدخل على ضعيف القلب لبس) اى التباس واشتباه لعدم تمييزه وضعيف القلب من لا عقل له تام ورأى صائب ونظر مفرق بين الحق والباطل فتردد فى صدق مدعى النبوة بمجرد شيء يسمع له فيجوز كونه احمد الموعود به فى الكتب فضعف القلب كناية عن قلة العقل الذى هو محله وقوته كناية عن ضده وان اشتهر فى الجرأة وعدمها (اوشك) معطوف على لبس ويجوز ان يراد به هنا ما قابل الوهم والظن ومطلق التردد وعدم الجزم ومن ظن بعده هنا وانسده عما لا يجدى ليس شيء (وكذلك محمد) اى مثل احمد فى عدم التسمية به قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وجعله مشبها به لانه لم يسم به اصلا على الاصح (ايضا) مصدر آض بمعنى عاد ورجع ويراد به فى العرف التشبيه فهو تأكيد لقوله كذلك (لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع واشتهر قبل وجوده صلى الله عليه وسلم) قيل فى النسخ قصر كمد لقليل زمانه وقربه (وميلاده) عطف تفسير على وجوده اى ولادته او زمانها وقبل الميلاد وقت الولادة والمولد مكانها وحملت به صلى الله تعالى عليه وسلم امه آمنة نهارا وولد ليلا فى شعب ابى طالب عند الجمرة الوسطى ووافق مولده يوم عشرين من نيسان سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من التاريخ الاسكندرى وقيل كان فى الساعة العاشرة لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فكان كامل (ربيع فى ربيع فى ربيع) وقيل ولد فى شعب بنى هاشم بعد الفيل بشهر او اربعين او خمسين او بسبعة وخمسين يوما وقيل غير ذلك وسيأتى تفصيله ان شاء الله تعالى (ان بما سمع) اى رسل من بعث بمعنى اثار وقد فصل زمان بعثه وبه اذ بعث فى السير (اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك) الاسم (رجاء ان يكون) اى لاجل رجاء ان يكون الولد المسمى به (احدهم) اى احدا بنائهم المسمى بمحمد (هو) اى النبى الموعود بعثه فهو اسم يكون واحدهم منصوب

(٢) اقتبس نسخه

خبر مقدم او مرفوع اسمها وهو خبرها استتر فيه ضمير الرفع لضمير النصب والاصل اياه والاول اولى (والله اعلم حيث يجعل رسالاته) اقتباس(٢) لبيان انه لم يقدمهم ذلك ادلس كل محمد رسول ولا كل فاطمة بتول والآية رادة لهم كما تبطل قول من زعم من الحكماء ان النبوة والرسالة تكتسب بالمجاهدة وتصفية الباطن فانها موهبة الهية وان اختصت بمن جد في العبادة والتصفية حتى صار احسن الناس خلقا وخلقا الى غير ذلك مما يستعد به لتلقي وحيه ومشاهدة ملائكته وحيث ظرف منصرف هو هنا مفعول به لفعل مقدر اي يعلم لان افعل لاينصب المفعول وان صح تعلق الجار والظرف به وليس هو هنا ظرفا لان علمه تعالى لايوصف بانه في مكان او زمان لقدمه وتفصيله في كتب العربية ويجوز افراد رسالته كما قرئ به هنا وانما سموا ابناءهم به لما طمعهم من الاحبار والكهان وروي في المبشرات وشربوا قرب زمانه فكانوا به طربوا اسطار المحب لحب له سقدم (وهم) اي المسمون باسمه قبل ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم رجاء لكونه المبشر به (محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي) وقال البلاذري انه محمد بن عقبة بن احيحة وتردد فيه ابن حجر في الاصابة واحيحة بضم الهمزة وحاء مهملة مفتوحة يليها مثناة تحتية ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وهاء والجلاح بضم الجيم وفتح اللام المخففة ثم الف وحاء مهملة والاوسي نسبة للاوس قبيلة الانصار (ومحمد بن مسلمة الانصاري) بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصاري ووصف هذا بالانصاري دون محمد بن احيحة وهو من قبيلة الانصار لانه لم يسلم وانما يقال الانصاري لمن اسلم منهم ولذا قال الذهبي من عد محمد بن احيحة من الصحابة فقد وهم لانه لم يدرك الاسلام وانما هذا ابو عبد الرحمن المدني حليف بني عبد الاشهل المولود قبل البعثة باثنين وعشرين سنة وهو ممن سمي محمدا في الجاهلية كما في الاصابة عن الواقدي من غير تردد فيه وهو صحابي شهد بدرا وكان عمر رضي الله تعالى عنه بعثه لكشف المعضلات في خلافته ومات بالمدينة سنة ثلاث واربعين وقيل غير ذلك وهو من قدماء الصحابة وقول بعض الشراح ان ذكر المصنف لمحمد بن مسلمة ليس في محله لانه بصدد ذكر من سمي محمدا قبل مولده وهو ولد بعد مولده نحو عشرين سنة لاوجه له لماسمعته من خلافه مما هو مصحح في السير نقلا عن الواقدي وما قاله قول مرجوح وان قاله مغلطاي في سيرته (ومحمد بن براء البكري) نسبة لبكر له مشهورة وبراء بموحدة تحتية مفتوحة وراء مهملة بعدها مدة وهو ابن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة واسم ابيه براء رأسه مصححا كذا في حواشي الحلبي وفي غيره بدال بعد الموحدة وتشديد الدال المهملة قبل وقد تخفف وقال البرهان الحلبي ان محمد بن احيحة ومحمد بن مسلمة

ومحمد بن براء لم يدركوا الاسلام بل هلكوا في الجاهلية فعدهم ممن اسلم امر عجيب فلا يليق بالمصنف وان كانوا ممن سمى محمد قبل البعثة (و) كذا (محمد بن سفيان بن مجاشع) التميمي فانه لم يدرك الاسلام وقد خطئ ابو نعيم في عده من الصحابة (ومحمد بن حمران الجعفي) بضم الجيم نسبة للجعفة قرية معروفة وحمران بضم الحاء المهملة وسكون الميم وراء مهملة ثم الف ونون وفي بعض نسخ السير عمران بدله وهذا ايضا لم يدرك الاسلام كما قاله البرهان (ومحمد بن خزاعي السلمي) بضم السين المهملة وفتح اللام وميم وياء نسبة له وخزاعي بضم الخاء وزاء معجمتين والف وعين مهملة نسبة لخزاعة وهو من بني ذكوان واسم ابيه علقمة وهو لم يدرك الاسلام ايضا كما قاله البرهان الا ان هذا لا اعتراض به على المصنف لانه انما عد من سمى محمدا قبل الاسلام اسلم ام لا وهم ستة (لا سابع لهم) وهذا على ما اختاره المص ومنهم من نقص عددهم كالسهيلي فانه لم يردهم على ثلاثة ومنهم من زاد حتى بلغ العشرين كما قاله ابن حجر مع تكرار في بعضهم وتردد في بعض وسيأتي لهم سابع وقد عاصب مغلطاي به في محمد بن مسلمة (ويقال ان اول من سمى به) اي باسم محمد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة محمد (محمد بن سفيان) بن مجاشع التميمي السابق ذكره (واليمن) اي اهله فهو من اطلاق اسم المحل على الحال فيه (تقول) وفي نسخة يقولون لم يسم به اولا احدا (بل) الذي سمى اولا (محمد بن اليحمد من الازد) وفي نسخة الازدي نسبة الى الازد من اليمن ابو هم ازد ذي الغوث وقالوا اسد وفي نسخة بعد ماذكر ومحمد بن سراه بالسين ايضا ومن نسله الانصار لانهم والازد شنؤة وعمان والسراة والاحمد قال البرهان انه في النسخ بفتح الياء وسكون الحاء وضم الميم وقال ابن ماكولا انه بضم الياء وسكون الحاء المهملة وكسر الميم واصحاب الحديث يضمون الميم وفي شرح مسلم للنووي انه اسم الياء وسكون الحاء وكسر الميم وكما في تقييد المهمل للغساني وهو علم منقول من المضارع والمقارنة اعلال لادخاله بعد العلمية فانه شاذ ولهذا كقوله ** يا ابن المرزبان كحاكم الكسر يحكوه ** وكم به ** وقال ان هذا ليس من النسبة وكون شاذا وهو شاذ وقوله هنا لا سابع لهم وفي شرح مغلطاي زيادة محمد بن عدى بن ربيعة المقري ومحمد بن عثمان السعدي قال واظنهما واحدا ومحمد الاسدي ومحمد بن عواره الليثي ومحمد بن حرمان العمري ومحمد بن خولة الهمداني ومحمد بن يزيد بن ربيعة ومحمد بن ابي وابنة بن مالك فزاد تسعة او ثمانية وتوقف المصنف رحمه الله تعالى في واحد منهم وقد نقل في بعض هؤلاء انه ادرك الاسلام وكلام المصنف لا ينافي هذا الا في قول الانصاري كما تقدم والامر فيه سهل اذ لا مانع من اطلاقه على من لم يسلم لقرابته بهم مسمحا (ثم حمى الله) اي صان ومنع بصرفه الهمة (كل من تسمى به) اي بمحمد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يدعى النبوة) فقدره من ادعى ادعائها بنفسه بان يقول انا نبي

(او يدعيها احدله) بان يقول هو نبى (او يظهر عليه) بفتح الياء التحتية [illegible]
مبنى للفاعل ويجوز ضم ياؤه للمجهول والاول اظهر وضمير عليه لمن (سبب يشكك
احداً فى امره) اى شئ فى ذاته يكون سببا موقعا للناس فى شك فى انه هو النبى الموعود
كمحاسنه وصفاته الظاهرة كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من الارهاصات والاخلاق
الظاهرة او يجرى على يديه مايشككهم من سحر وعرافة والعطف باو بمعنى الذى هو
فى معنى النفى والنهى يفيد العموم كقوله تعالى (ولا تطع منهم آثما او كفورا) ولو عطف
بالواو اوهم ان المنفى عنه المجموع وان وقع بعض منها (حتى تحققت) اى ظهرت
وثبتت فى الخارج (السمتان) اى الصفتان اللتان هما المحمدية والاحدية الاسمان
هما علمان لموافقة اسمه لمسماه وفى بعض النسخ السمتان بتاء بعد السين وهو خطأ
كما قال التلمسانى وطنه ان من القلم (له صلى الله عليه وسلم) متعلق بالفعل او بالسمتان
وهو تسميته بما هو دال على انه المبشر به فى الكتب السالفة والامم الماضية فادعى
الرسالة وشهدت له الكتاب بصدق دعواه (ولم ينازع فيهما) بفتح الزاء المعجمة
والبناء للمجهول اى لم ينازعه احد فى السمتين (واما قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم
فى هذا الحديث (وانا الماحى الذى يمحو الله به الكفر) بيان لمعناه المراد منه ولذا اتى
[illegible] (مفسر فى الحديث) بالفاء المفسر به وفسر مبنى للمجهول اى فسره
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقرينة قوله فى الحديث وهو صفة له وقيل علم منقول
[illegible] الوصف وما رأى هنا سؤالان احدهما انه تقدم فلا حاجة لاعادته
[illegible] وان المحو بمعناه الازالة بالكلية والكفر موجود فى كثير من الناس والبلدان
[illegible] الى دفعهما بقوله (ويكون محو الكفر اما من مكة) بعد الفتح اذ اظهره الله
تعالى عليهم ولم يبق بها [illegible] (وبلاد العرب) الشاملة له وهو
آخر والمراد بها جزيرة العرب وساحة الاسلام فانه لم يبق بها الا ما لا يعتد به واضمحل
حتى صار كالعدم وقد كانت مملوءة بالشرك فاستأصله الله على يد حضرته من حامه
(٥) كذلك قوله و (ماروى له من الارض) اشارة لما ورد فى الحديث من قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم زويت لى الارض [illegible] مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى
مازوى لى منها [illegible] اى ان الله تعالى جمع
له الارض [illegible] حتى رأيتها كلها [illegible]
تملكها كلها [illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible]
[illegible] منها [illegible] وهو الذى [illegible] ([illegible])
اى الله [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم لما ورد فى الحديث ([illegible]) اى [illegible]
[illegible] (ملك امته) بضم الميم ويجوز كسرها اى [illegible] على الوجه
السالف وقد ورد انه زويت له الارض [illegible]

ما فيه من الكفر لاضمحلاله حتى يصير ما بقي منه كالعدم ولما كان محو الكفر بأمره وشرعه وبركته نسب المحو له صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه الماحي حقيقة وقد قيل أنه كله جواب واحد وقوله (أو يكون المحو عاما) شاملا لجميع الارض وليس المراد بها ارضا مخصوصة (بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله تعالى ليظهره على الدين كله) جواب ثان فيبقى على عمومه ولا يخص بمكان فالمراد بالمحو علو الدين وعلبته لغيره من الاديان بنسخها وبيان ما غير وبدل منها وعلو اهله على جميع من عداهم بتسلطهم عليهم وقهرهم وايقاع الرعب في قلوبهم كما هو مشاهد قال الله تعالى عز وجل (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) وتوضيحه ان المحو لغة اذهاب الاثر وهو قد يكون مع بقاء العين وان ما لا اثر له كالعدم ولذا عبر بالماحي دون المزيل وما قيل من ان هذا جعله المصنف وجها واحدا وحمل المحو على ازالة يدهم عن تلك الاراضي وحمل بعض اهل الارض كالعبيد بضرب الجزية عليهم وحملهم بازالة تصرفهم كالموتى وحمل محو آثارهم كمحو دوائهم ونسخ اديانهم وكتبهم التي هي بمنزلة ارواحهم وابطال شوكتهم وقهرهم كازالة ذواتهم ونحوها من مخالفة الوجود فهو مجاز باعتبار وجوه مختلفة (وقد ورد تفسيره) اي الماحي بغير ما مر (في الحديث) والتفسير المذكور (بانه الذي محيت به سيئات من اتبعه) بما انعم الله تعالى به على امته من المكفرات وعما وله من شفاعته لهم في الدنيا والآخرة والعفو كالمغفرة موافق للمحو لغة ومعنى وهذا مروي عن المصنف وقد سقط من بعض النسخ فاسناده الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مجاز اذ هو سببه والماحي حقيقة هو الله تعالى وهذا من خصائص امته وقد فسر قوله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) بمغفرة لامتك وقد روى هذا التفسير الذي ذكره المصنف للماحي الحاكم في مستدركه وابو نعيم والبيهقي وقال ابن دحية انه حديث مرسل صحيح الاسناد وقال السيوطي انه معضل ولفظه واما ماحي فان الله محى به سيئات من تبعه وقال ابن حجر في شرح الشمائل معناه ان من آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم محى ذنب كفره وما عمله فيه قال الله تعالى (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) وفي الحديث (الاسلام يجب ما قبله او يهدم ما قبله) وخص بهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لم يمح احد الكفر كما محاه اذ جاء على فترة وقد عم الكفر ... وقد الحجر وابع مسير العرب والمراد بكونه من خصائصه ان الله تعالى لطف بامته بكثرة المكفرات كثرة لم تكن قبله فهو معنى مخصوص لوقوع خلافه في الآيات والآثار كقول نوح عليه الصلاة والسلام لامته استغفروا ربكم انه كان غفارا (وقوله) في هذا الحديث (وانا الحاشر) فسره صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله بعده (الذي يحشر الناس) جميعهم مؤمنهم وكافرهم لدعوانهم كلهم في سماعه العظمى لخلاصهم من هول الموقف والحشر وتعجيل

الحساب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للعالمين (على قدمى) بالتخفيف والتشديد كما مر وفى رواية على عقبى ولما كان ظاهره انه يسوق الناس للمحشر وليس بمراد فسره بقوله (اى على زمانى وعهدى) وهما بمعنى لانه يقال هذا كان على عهد الخلفاء فى عصرهم ثم قال (اى ليس بعدى نبى كما قال وخاتم النبيين) فهو اما بتقدير مضاف اى على اثر قدمى من غير فاصل اوالقدم سواء كان مفردا او مثنى مايتبعه الناس فيه وهو الشريعة وقال الكرمانى معناه على اثرى كما جاء على عقبى او على زمانى ووقت قيامى على القدم بظهور علامات الحشر فانه لا نبى بعده ويحتمل ان يريد اول محشور لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اول من تنشق عنه الارض كما تقدم والقدم معروفة وهى مؤنثة لتصغيرها على قديمة ويتجوز بها عن معان اخر كما فى الاساس فقال جعله تحت قدمه اذا عفا عنه وله قدم فى كذا اى تقدم فسبق له ذلك لتقدمه فيه وكونه السبب فيه ثم انهم يحبسون فى المحشر حتى يشفع لهم فهو حاشر فى هذا الحشر الثانى الى مقرهم من جنة او نار فقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع الخلائق فهو على هذا حاشر حقيقة وهذا هو المراد فى رواية من روى قدمى بالتشديد مثنى وقول الكرمانى ويحتمل الخ سبقه اليه الخطابى وان كان ظاهره انه من باب افكاره وارتضاه ابن دحية وما ذكره المص وان سبق اليه فيه حماقة الا ان يريد ان القدم مجاز عن الاركبانه او مجازا الا انه يتكرر مع قوله العاقب وقال السيوطى ان الله وصف نفسه بالحشر فى قوله (ويوم نحشرهم) فيكون هذا من اسمائه التى سماه بها فان قيل ما قاله كان ماقبله كذلك وحشر الناس فى وقت نبوته ابقاء ملته لانها لا تنسخ وليس بعدها شرع آخر فلا يرد عليه ان الساعة تقوم وليس على وجه الارض من يقول الله وعدم ان كونه خاتم النبيين اى آخرهم او من حيث نبوته على مراده الفتح لا ينافيه نزول عيسى عليه السلام بعده لانه نزل تابعا له صلى الله تعالى عليه وسلم عاملا بشرعه ولذا يدفن عنده لانه آخر خلفائه وقيل المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم آخر من نبئ وعيسى نبئ قبله وان مات بعده كالحصر والناس على قول وقيل سمى حاشرا لانه حشر فى العصر من خصومهم وحرب ارضهم وهو ضعيف رواية ودراية (وسمى عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء) عليهم الصلوة والسلام اى خلفهم فى الخير ومنه عقب الرجل لولده وفسر بمن لا نبى بعده فان العاقب الآخر وقد فسر فى حديث مروى عن ابن جبير فهو اصح واحسن (وفى الصحيح وانا العاقب الذى ليس بعده (٢) نبى) وقيل العاقب عند العرب من يكون خلف سيد القوم فتسميته خاتمه الله لانه احق بخلافته من جميع الرسل ومن العرب من قيل انه اسمه عند اهل النار من امته لان الله تعالى نسيهم اسمه محمدا فاذا ذكروه ارتفع عنهم العذاب وهو ضعيف (وقيل معنى على قدمى انه يحشر الناس بمشاهدتى) اى بقربى ومعنى يقرانى لهم بى الناس فى القيامة من القبر (كما قال الله تعالى لتكونوا

(٢) بعدى نبيه

شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ٢) وهذا بناء على انه من الشهادة بمعنى المشاهدة والمعاينة والجمهور على انه الشهادة الحقيقة كما ورد في الصحيحين من ان امته تشهد للرسل بالتبليغ وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد لامته بالصدق وهو معنى جعلهم امة وسطا اى عدولا وخيارا كما مر بيانه واخر المصنف رحمه الله تعالى هذا وهو متعلق بما قبله من معنى الحاشر اشارة الى ابهامه (ومعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لى خمسة اسماء) جواب عن سؤال مقدر تقديره انه صلى الله تعالى عليه وسلم اسماء كثيرة فجعلها خمسة اوعشرة ان قلنا بمفهوم العدد مخالف للواقع والا فهو زيادة بغير فائدة (ان اسما موجودة في الكتب المتقدمة) المنزلة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام كالتورية والانجيل (وعند اولى العلم من الامم السالفة) اى السابقة وتخصيصها بالذكر لهذه الفائدة ومرضه لما سيأتى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم له اسماء اخر في الكتب القديمة ايضا وكون العدد لامفهوم له لايدفع السؤال كما توهم وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقف على هذه الزيادة حتى ذكره بعيد (والله اعلم) بوجه التخصيص فيما ذكر (وقد روى عنه عليه الصلوة والسلام) في حديث رواه ابو نعيم في الدلائل وابن مردويه في تفسيره من طريق يحيي التيمي وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابى الطفيل (لى عشرة اسماء) وقد تقدم انه لامعارضة بينه وبين غيره من الاحاديث (وذكر منها طه ويس كما حكاه مكى) تقدمت ترجمته وقد تقدم هذا وانما اعاده لينبه على ما الذى ذكره وقال ابو بكر بن العربى في احكام القرآن اختلف الناس في معناه على اربعة اقوال * الاول انه اسم من اسماء الله تعالى قاله الامام مالك وروى عنه اشهب قال سألته هل ينبغى لاحد ان يتسمى بيس قال ماأراه ينبغى لقوله تعالى * يس والقرآن الحكيم * اى هذا اسمى يس * الثانى قال ابن عباس رضى الله عنهما يس يا انسان بالحبشية وبالنبطية وبالرجل وروى عنه انه اسم الله تعالى كما قال مالك * الثالث انه كنى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لبلاغه ليس اى يا سيد كما مر * الرابع انه من فواتح السور وروى عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (سمانى الله تعالى في القرآن سبعة اسماء محمد واحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله) وهذا حديث لم يصح وروى اشهب عن مالك لا يتسمى احد بيس لانه اسم الله وهو كلام بديع وذلك ان العبد يجوز له ان يتسمى باسم الرب اذا كان فيه معنى منه كعالم وقادر وانما منع مالك من التسمية بهذا الاسم لانه من الاسماء التى لايدرى معناه اذ ربما كان ذلك معنى ينفرد به الرب فلا ينبغى ان يقدم عليه من لايعرف لما فيه من الخطر فاقتضى النظر المنع منه فان قيل فقد قال الله تعالى * سلام على آل ياسين * قلنا ذلك مكتوب بهجائه وتجوز التسمية به وهذا ليس بهجى وهو الذى تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال انتهى وهو كلام حسن

٢) وقد سقط هنا مواضع في بعض النسخ فليراجع الى المتن فانه ط

الا ان فيه بحثا لان محو زه للتسمية بيس من وجه ومنعه من آخر وانه عند التلفظ لا يعرف منه الهجاء وعدمه اللهم الا ان يقال مراده المنع في غير ماورد في القرآن فتدبر (وقد قيل في بعض تفاسيرطه انه ياطاهر ياهادي) على انه اسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه السيوطي عن ابي الطفيل وتقدم انه قيل انه من اسماء الله وماذكره السيوطي رحمه الله مروي عن الواسطي واراد به ان كل حرف منه مروى بعض من اسم فالطاء من طاهر من كل عيب ودنس والهاء من هادالى كل خير فهو اسم مركب من اسمي حرفين كما في الم وفي البخاري عن سعيد بن جبير معناه يارجل بلغة عك وقيل معناه اطمئن وقيل معناه طأ الارض والهاء ضمير الارض وقيل يارجل بالسريانية معرب وقيل هو بالنبطية وهي لغة اهل سواد العراق وقيل معناه بلغة عك ياحبيبي وقيل طوبى لمن هدى (و) قيل (في) بعض تفاسير (يس انه ياسيد حكاه السلمي) بضم السين وفتح اللام وهو ابو عبد الرحمن كما تقدم في ترجمته (عن الواسطي) نسبة الى واسط بلدة معروفة وقد تقدمت ترجمته (وجعفر بن محمد) هو جعفر الصادق الامام المشهور كما تقدم وهذا مروي في اسمائه عن ابي الطفيل ورواه الذهبي في دلائله مسندا وقال السهيلي لو كان من اسمائه لقيل ياسين بالضم وقال ابن دحية هذا غير لازم مع انه روى عن الكلبي انه قرأه بالضم ايضا وقيل معناه ياانسان بلغة طي واصله ياانيسين فاقتصر على بعض منه وقد بسطنا الكلام عليه في حواشي البيضاوي وكذا فيما مر اوائل الكتاب وقيل معناه يارجل وقيل ياسيد البشر (وذكر غيره) اي غير الواسطي انه روى (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول) الذي سمعته آنفا (و) زاد عليها و (قال وانا رسول الرحمة) لقوله تعالى * وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * لانقاذهم من العذاب في الدنيا والآخرة فمن اسعفه نجاه في الدنيا من القتل او من ذلة الكفر والجزية وفي الآخرة من العذاب المخلد والخزي المؤبد واراحهم من التعب فيها فلذا سمي بذلك كما قال (ورسول الراحة) لانه صلى الله عليه وسلم راحة للمؤمنين في الدنيا لما رفع عنهم مما كان في الامم السالفة من الاصر والمشاق بما في شريعته من الرخص والتخفيفات وفي الآخرة راحتهم العظمى لامهم وازالة تعبهم ورفع الكلف عنهم وراحة للكافرين بتركه لهم وبنى دارهم اذا قبلوا الجزية فنزلوا في حرم الايمان آمنين وامنت امته من عموم الخسف والمسخ وستر عليهم معاصيهم وكان من قبلهم اذا عصى اصبح وقد كتب على باب داره فلان فعل الاله كذا وكذا وتسميته صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة رواه ابن ماجه والحاكم مسندا عن ابي هريرة وصححوه وورد في بعض طرقه نبي الراحة وما سبق انسب بالآية (ورسول الملاحم) جمع ملحمة وهي الحرب والقتال سميت بذلك

لالتحام الابطال فيها اى ازدحامهم فيها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل بالسيف وامر بالجهاد ولم يقع لنبى ولا لامته من الجهاد والقتال ماوقع له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته ولا يزالون كذلك حتى يقاتلوا الدجال وينزل عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام وهذا لاينافى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لانه رحمة حقيقة اذ فى قتاله عصمة للمسلمين وهداية بعض الكافرين الى الاسلام وامن دار الاسلام وغير ذلك مما لايحصى والجواب بانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لاوليائه حرب لاعدائه مع مافيه لايناسب العالمين (وانا المقفى قفيت النبين) كلاهما بتشديد الفاء كما قال تعالى (ثم قفينا على آثارهم) وهو اما بمعنى التابع الذى جاء على اثرهم لان معنى قفا تبع ومنه القافية وفيه من الفضل انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف على احوالهم وشرائعهم فاختار له الله من كل شئ احسنه وكان فى قصصهم له ولامته عبر وفوائد او المراد به خاتمهم وآخرهم ووقع فى بعض النسخ المقفى بزيادة الياء الموحدة واوضع عليه بعض الشراح ونقله عن العلمى ثم قال ان المقفى ذكره غير الطيبى ولم يرد به نص صريح وفيه نظر (وانا قثم) بالقاف ومثناة تحتية بعده سند (٥) فسره المصنف بقوله و (القيم الجامع الكامل) اى الجامع لمكارم الاخلاق الحسنة الكامل فيها او الجامع لسمل الناس بالفة بهم وجمع شتاتهم لان القثم تكون بمعنى السيد لدلالته بامر الناس وامر الدين كما قاله ابن الاثير لما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الآمدى * بدات بسائمة دين فيهم * وكنت فى الدين كان فى ظلم * نامن الدين الله يستقم * كما ورد فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتانى ملك فقال انت قثم وخلقك قثم * اى مستقيم حسن وفى النهاية القيم القائم بامور الخلق ومدبر العالم فى جميع امورهم وهو مرادف للقيوم الذى هو من اسمائه تعالى ولا بعد ان يسمى النبى صلى الله عليه وسلم بشئ من اسماء الله تعالى بمعنى ما كالقيم اذا كان بمعنى القيوم كما سمى بغير ذلك من اسمائه والقيم ايضا من اسماء الله تعالى كما ورد فى الحديث فى قوله صلى الله عليه وسلم (انت قيم السموات والارض ومن فيهن) وقال ابن دحية هو بمعنى القائم كما نقله السيوطى فى الرياض الانيقة (كذا وجدته) اى تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالقيم فى كتب الحديث (ولم اروه) بطريق من الطرق المعتبرة عند المحدثين الذى وجدته فيما رواه غيره وهذا عند المحدثين يسمى الوجادة وله شروط عندهم وهو مما يستأنس به وهذا رواه الدارمى فى مسند الفردوس وفى النهاية الاثيرية ايضا كما مر (وارى ان صوابه) بحسب الرواية (قثم) بالثاء المثلثة المفتوحة المخففة وضم القاف فرأى انه تصحيف عليهم وهو معدول عن قاثم كعمر معدول عن عامر ممنوع الصرف كما ذكره ابن فارس وغيره ورواه ابن اسحق فى حديث غريب هو قال رسول الله صلى الله

(تعالى)

تعالى عليه وسلم (اتانى ملك فقال انت قثم وخلقك قثم ونفسك مطمئنة) قال ابن دحية فى اشتقاقه معنيان احدهما من القثم وهو الاعطاء يقال قثم له من العطاء اذا اعطاه فسمى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لجوده وعطائه والثانى من القثم وهو الجمع يقال للرجل الجامع للخير قثوم وقثم وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم جامعا للفضائل وجميع الخير والمناقب وقد علمت مافيه (كما ذكرناه بعد) بالبناء على الضم اى فيما سيأتى (عن الحربى) قال البرهان لعله ابواسحق الحربى واسحق بن الحسين الحربى والثانى ثقة حجة سمع من هوذة وحسين بن محمد وغيرهما ووثقه الدارقطنى وصحح عليه فى الميزان وذكر الذهبى انه فهم (وهواشبه بالتفسير) يعنى انه اقرب شبها بتفسيره المأثور بالجامع وفيه نظر لان قثم بالمثلثة بمعنى مجتمع ايضا كما تقدم آنفا وقد كان عبدالله ابوالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يكنى بابى محمد وابى قثم وقالوا انه الجامع للخير اوالشمل انتهى ويأتى ان هذا الاسم معروف فى جماعة من اهل البيت منهم قثم بن الحارث عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابن عبدالملك وبه سميت محلة بسمرقند دفن فيها وبها مدرسة تنسب اليه ايضا وقثم بن عبدالله بن العباس ثم عاد المصنف الى ذكر الفعم بالحتية واشار الى ما يصححه فقال (ووقع ايضا فى كتب الانبياء) المنزلة من السماء كصحف ابراهيم وداود (قال داود عليه الصلوة والسلام اللهم) اى ياالله والحقوا الميم فى آخر هذا الاسم ايذانا بجمع اسمائه وصفاته فالسائل اذا قال اللهم فكأنه قال ادعو باسمائه وصفاته فاتى بالميم المؤذنة بالجمع فى آخره ايذانا بسؤاله باسمائه كلها ولذا قال العطاردى اللهم فيها تسعة وتسعون اسما من اسمائه وقال النضر من قال اللهم فقد دعا الله بجميع اسمائه ووجه هذا بان اللهم بمنزلة واو الجمع فانها من مخرجها فكان الداعى بها يقول ياالله الذى اجتمعت له الاسماء الحسنى والصفات العلى وشددت لتكون عوضا عن الواو والنون فى نحو مسلمون (ابعث لنا محمدا مقيم السنة) اى الطريقة الشرعية والدين (بعد الفترة) اى انقطاع الوحى والرسل وضميرا بها للناس (فقد يكون القيم بمعناه) اى بمعنى المقيم للسنة المأخوذ مما ذكر لدلالته بمادته عليه فيكون اذا سلم انه اسم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا المعنى وقد قالوا انه اسمه فى الزبور كما يشير اليه كلام المصنف وفى التورية كما نقله السيوطى ولن نقبضه الله حتى نقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فالسنة سنة الرسل وهى الشريعة والتوحيد والفترة مابين كل رسولين من الزمان وهو المراد وقد يخص بمابين عيسى ونبينا صلى الله تعالى عليهما وسلم واصل معناها الضعف وتسمية ترك العادة فترة بمعنى اصليا كما توهم فان كان ضميرا لما له ولقوله محملة انه الدعائية لنبى ان يبعث فى زمنه وقيل ضمير بمعناه لقثم بالمثلثة وفى كتاب فضل الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابن القيم ان اللهم لا تستعمل الا فى الطلب

نحو اللهم اغفر لي فلب وهذا ينافي قوله بعد هذا انه يسوغ استعماله في موضع لا يكون بعده دعاء نحو اللهم لك الحمد واليك المشتكى فتأمله (وروى النقاش) تقدمت ترجمته (عنه عليه الصلوة والسلام) انه قال (لي في القرآن سبعة اسماء) تقدم المراد بالاسماء وانها تشمل الصفات غير الاعلام ثم ذكرها فقال (محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبدالله) تقدم الكلام على بعضها وستأتي تتمته ومحالها من القرآن معلومة في اوائل السور وغيرها كقوله تعالى (وانه لما قام عبدالله يدعوه) واقتصر على هذه لشهرتها والا فقد ورد فيه غيرها كالرسول والنبي والخاتم والرؤف والرحيم والصاحب ومفهوم العدد غير معتبر وقيل انه كان قبل وصف الله له بهذه او المراد بما يختص به كما اشعر به تقديم الخبر والجواب بان رؤف ورحيم صفه ان لا اسمان لتعلق الجار بهما كما في قوله تعالى (بالمؤمنين رؤف رحيم) ثم انه قيد كونهما اسمين بعد القرآن غير مسلم لما مر وقوله في القرآن يشير الى ان له اسماء اخر ليست فيه وفي الصحيحين في فترة الوحي (بينا انا امشي اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض فرعبت منه ورجعت فقلت زملوني زملوني) وفي رواية دثروني فانزل الله تعالى (يا ايها المدثر قم فانذر) والمدثر والمزمل اسمان من الحالة التي كان عليها حين النزول والمدثر الملتف في الدثار وهو الثياب والمزمل بمعناه واصله المتدثر والمتزمل فقلبت وادغم كما هو معلوم من علم التصريف وقال ابن الورد انما نزل يا ايها المدثر عقيب قوله زملوني لان هذا الزمل او نحوه الدثار من برد يعتري المروع كالمحموم كما كان يعتريه صلى الله تعالى عليه وسلم عند نزول الوحي عليه فخاطبه عاطفا من زملوه اي يا ايها المزمل المدثر دع الدثار وحد في الانذار تأنيسا له من الروع وتنشيطا له على فعل ما امر به كما تقول لمن ارسلته لامر فتحوف وتثبط فيه يا ايها المتحوف امض لامرك وقال السهيلي فيه ملاطفه لانه ورد انما المدثر العريان فوصفه بالانذار مع الدثار تملح بالطباق وهو مبرع بديع وكان تدثره صلى الله تعالى عليه وسلم بقطيفة في بيت خديجة وذكر عائشة بدل خديجة خطأ لانه كان بمكة وعائشة انما كانت معه بالمدينة وقيل معناه المدثر بالقرآن وقيل معنى المزمل الحامل لاعباء الرسالة من الزامله فهو استعارة تصريحية وقال السهيلي ليس المزمل من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو مشتق من حالته الملتبس بها حال الخطاب والعرب تفعله ملاطفه ومعاتبه كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه وقد نام على الارض قم يا ابا تراب ملاطفة لما كان بينه وبين فاطمة رضي الله تعالى عنهما من المعاتبه وما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه كان بمرطها مرملا مرطا طوله اربعة عشر ذراعا نصفه عليها وهي نائمة لا اصل له فان نزول يا ايها المزمل كان بمكة ودخوله صلى الله تعالى عليه وسلم على عائشة انما كان بالمدينة وقد علمت ان عبد الله سماه الله تعالى به في آيات

(والعبودية)

والعبودية اشرف صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم واصل معناها الخضوع والتذلل وان العبد هو الانسان رقيقا ام لا وقال المشايخ العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوفيق والنظر للصدر منه بعين التقصير وفي بعض النسخ (وفي حديث عن جبير بن مطعم هي) اي اسماؤه صلى الله عليه وسلم (ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحي) وقد علمت معانيها (وفي حديث ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفى) وفي رواية كما تقدم المقفي (والحاشر ونبي التوبة) هذا الحديث اسنده السيوطي في الرياض الانيقة وفسر تفسيرهذه الاسماء غير الاخير ومعناه ان توبة امته مقبولة من غير حرج عليهم حتى تطلع الشمس من مغربها او بغرغر وكانت الامم السالفة فيهم من لا تقبل توبته اصلا ومنهم من تقبل توبته بشرط امور شاقة كما لم تقبل توبة بني اسرائيل من عبادة العجل الا بقتل انفسهم وهذه الامة تقبل منهم مطلقا وان تكررت مع تكرر الذنوب وبه فسر قوله تعالى (ان الله يحب التوابين) بشرط الندم والعزم على عدم العود ورد حقوق العباد اواستحلالهم ونحوه كما فصلوه في محله فهو لا ينافي قول بوبة غير هذه الامة في الجملة (وفي الملحمة) تقدم تفسيره (وفي المرحمة والرحمة ٢ وكل صحيح ان شاء الله) رواية ودراية كما تقدم ايضا (ومعنى المقفى هو معنى العاقب) كما مر مفصلا والاولى تفسير كل منهما بمعنى فرارا من التكرار فمعنى المقفى التابع لهدى الناس وسننهم والعاقب الخاتم لباب النبوة والرسالة واليه اشار بقوله (وقيل) معنى المقفي (المتبع لهدى الناس واما نبي الرحمة والتوبة) فأتى بجواب اما وقيل معنى نبي التوبة انه كثير التوبة والاستغفار لنفسه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة) (والمرحمة والراحة) لان من رحمه الله تعالى فقد اراحه من العقاب واذا علمه بذلك اراحه من القلق والضجر (فقد قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) دليل وتفسير لما قبله وقد تقدم انه لا ينافي انه نبي الملحمة والقتال اي القتال بما تقدم وفي شرح السنة ان الامم السالفة كان من كفر منهم بعد ظهور المعجزات بعذب بالاستئصال فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالجهاد بنفسه ليرتدعوا عن الكفر فالسيف فيه بقية لهم وتؤيده رواية تلك الحال عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لطاقتها عليهم واباؤه ذلك رجاء ان يكون من ذريتهم من يعبد الله ورفع عنهم الاصر واثابهم الكثير على العمل القليل مع قصر اعمارهم وقد اثاب الله تعالى الامم السالفة مع كثرة اعمارهم واعمالهم باقل من ذلك وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وفي جعله صلى الله تعالى عليه وسلم عين الرحمة وتعميم العالمين بها مبالغة ظاهرة (وكما وصفه) اي مثل وصفه الذي وصفه به في هذه الآية

(٢) والراحة نسخه

وصفه له في غيرها (ويزكيهم) اي يطهرهم من الاخلاق الذميمة والآثام المدنسه لهم بمقاله وحاله وضمير يزكيهم للعالمين وقيل لامته (ويعلمهم الكتاب) اي القرآن (والحكمه) اي العلوم النافعه والعقائد الحقة ومعاني القرآن وفسرت ايضا باصابه الحق قولا وفعلا ووردت بمعنى القرآن ايضا والحكمة من الله معرفه حقائق الاشياء وايجادها على غاية الاحكام ومن الناس معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهو الذي وصف به لقمان ونصح ارادته هنا ايضا (ويهديهم الى صراط مستقيم) اي يدلهم على طريق لاعوج فيه بالوحي والشريعة توصلهم الى سعادة الدارين (وبالمؤمنين رؤف رحيم) قدم متعلقه للتخصيص اوللاهتمام والتشريف مع رعاية الفاصلة وموافقة نظم القرآن قصدا للاقتباس من مشكاته وقدم الرؤف كما مر لانه الشفقه والتلطف بالام عاه وهو مقدم كما مر وماقيل من انه قدم للفاصلة وحقه التأخير بناء على انه ابلغ الرحمه فقدم رده (وقد قال) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اوالله في غير القرآن اذ لم تقع فيه بهذا اللفظ (في صفه امته امتي امة مرحومه) في الدنيا والآخرة في الحيوة والممات والامه امه الدعوة او الاجابه (وقد قال تعالى فيهم) اي في حقهم وشانهم (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) معطوف على جملة الصلة في قوله تعالى الذين آمنوا (اي يرحم بعضهم بعضا) اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعه الله وعن معاصيه وبالرحمه على خلق الله (فبعثه الله) وفي نسخة فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه (رحمة لامته) مفرع على ما قبله باعتبار العلم والظهور وهو في الحقيقه سببه ورحمته الخاصه بهم ظاهرة ورحمه مفعول له او حال من الله او من ضمير الني بمعنى راحما لهم (ورحمة للعالمين ورحيما بهم) اي جعله عين الرحمه لارشاده لهم ولطفه بهم وحمله على ذلك فلا تكرار فيه مع ما قبله (ومترحما ومستغفرا لهم) اي داعيا لهم بالرحمه والمغفرة لشفقته صلى الله عليه وسلم عليهم ففيه حسن ترتيب وابهام للتأكيد (وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمه) لاجابه دعائه وتحقيق رجائه لهم ويجوز ان يكون بيانا للمامور لاعتنائه به وتفصيله (وامرها) اي الامة (عليه الصلوة والسلام بالتراحم واثنى عليهم) اي امر امته بان يرحم بعضهم بعضا ثم فسره بقوله (وقال) عليه الصلوة والسلام (ان الله يحب من عباده الرحماء وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (الراحمون يرحمهم الرحمن) وهذا خبر لفظا مآل معناه الامر فلذا اردفه بصريحه بقوله (ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) بالرفع والجزم وحديث ارحموا الخ صحيح مشهور مسلسل بالاولية فلم يوجد من كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمه انه لا ينبغي ان يدعى له بالرحمه فقال اللهم ارحم محمدا ورده العراقي بان كونه رحمه للعالمين من جملة الرحمه فهو دليل لهم لا عليهم وما ورد في الحديث يتبع وقيل انه مخصوص بالتشهد لعدم وروده

فى غيره وسيأتى تفصيله فى بحث الصلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (واما رواية نبى الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف وهى صحيحة) متنا وسندا كما ذكره المحدثون وظاهرة معنى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم فرض عليه القتال واحلت له الغنائم ونصر بالرعب ووقع له من الحروب والجهاد والنصرة مالم يتفق لغيره من الرسل وبقى ذلك فى امته الى يوم القيمة وما احسن ماقيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما احسن المحراب فى المحراب

فلاختصاصه بذلك اضيف له (وروى حذيفة) وفى نسخة عن حذيفة وهذا رواه احمد والترمذى فى الشمائل (مثل حديث ابى موسى) الاشعرى السابق اى معناه ولفظه (وفيه ونبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم) بالجمع للكثرة اشارة الى انه اختص بكثرتها (وروى الحربى) تقدم ذكره وانه محدث ولم ينبه المصنف رحمه الله تعالى ورواه ابو نعيم فى الدلائل عن يونس بن ميسرة (فى حديثه عليه الصلوة والسلام انه) بيان لانه مرفوع (قال اتانى ملك فقال انت قثم) بالثاء المثلثة كما مر (اى مجتمع) اى مجموع فيك كل كمال وخير فكنى عن ذلك بكونه مجتمعا فى ذاته ولذا عقبه بقوله (قال والقثوم الجامع للخير) كله فى ذاته ولغيره (وهذا اسم) له صلى الله عليه وسلم (هو فى اهل بيته معلوم) فسمى به عمه كما تقدم هو وتفسيره (وقد جاءت من القابه) وهى اسماؤه المنقولة والقب ماأشعر بمدح واماقوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب فمخصوص بما فيه ذم مؤذ كما ذكره المفسرون (وسماته) جمع سمة اى صفاته او هو عطف تفسيرى والسمة فى الاصل الوسم والكى ثم عم لكل علامة واشتهر بمعنى الصفة والمراد الصفات الواردة (فى القرآن) لان اكثر مافيه صفات منزلة منزلة الاعلام (عدة كثيرة سوى ماذكرناه) مما تقدم ذكره ومنها ماهو حقيقة ومنها ماهو استعارة (كالنور والسراج المنير) كما قال تعالى (قد جاءكم من الله نور * قال وسراجا منيرا) وفسر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه نور لا يطفى (ويأبى الله الا ان يتم نوره) وهذا بناء على ما اختاره ومنهم من فسره بالقرآن ولكل وجهة والذى جمعه المشايخ ونور الله تعالى من اقوالهم كما فى مشكاة الانوار لحجة الاسلام ان حقيقة النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره والعالم مشحون بالانوار الظاهرة المحسوسة والباطنة المعقولة التى تفيض بعضها على بعض فالنور الحقيقى هو الله تعالى فهو نور السموات والارض ونور الانوار وقال الاشعرى انه نور ليس كالانوار والروح النبوية القدسية لمعة من نوره والملائكة شرر تلك الانوار وهذا صرح فى هذا كل النور فلذا سمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نورا ولانه اول من الانوار الالهية سمى سراجا لما فاض عليه من الانوار العلوية فاشبه الوصف به لمعا ولألأ وكذا فان فهمت نور على نور فهو فى الاصل استعارة ثم ان كان سمى به صار حقيقة عرفية (والمنذر والنذير)

وهما متقاربان معنى واصل الانذار الاعلام بما فيه تخويف قال تعالى (انما انت منذر ولكل قوم هاد) وقال انى انا النذير المبين) وفى البخارى انما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوما فقال ياقوم انى رأيت الجيش بعينى وانا النذير العريان فالنجاء النجاة فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق والنذير للمبالغة فى صدقه وجده فى انذاره ووصفه بالعريان لانه ابلغ فى انذاره وقيل كان النذير يتجرد من ثيابه ويلوح بها مع الصياح تأكيدا لانذاره (والمبشر والبشير) قال تعالى (انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) ونحوه من الآيات وهما من البشارة بكسر الباء وضمها وهو الاخبار بخبر سار وقوله تعالى (فبشرهم بعذاب اليم) تهكم وسميت بها لتغييرها بشرة الوجه اى ظاهره وقيده بعضهم بالخبر الصادق وبنوا عليه مالو علق عليه طلاقا او عتقا كما بين فى كتب الفقه والاصول وقيل انه يعم الخير والشر حقيقة وقدمر ذلك كله وقال السيوطى انه من اسماء الله ايضا لقوله تعالى (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان) ونبه بقوله (والشاهد والشهيد) قال تعالى (انا ارسلناك شاهدا ويكون الرسول عليكم شهيدا) ونحوه والشهادة كما فى الصحاح الخبر القاطع واصل معنى الشهادة المعاينة وسمى به لشهادته على الامم لابلاغ انبيائهم لهم وشهادته على امته بالايمان كما ورد فى الحديث (٢) وبيان ان الشهيد من اسماء الله تعالى ومعناه العالم او الشاهد على عباده يوم القيمة ثم سمى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (والحق المبين) قال تعالى (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) وقال قد جاءكم الحق من ربكم) ونحوه وفسر انه صلى الله تعالى عليه وسلم والحق والصدق متقاربان وفرق بينهما الامام بان الصدق نسبة الشيء الى الواقع والحق نسبة ما فى الواقع الى الشيء من حق اذا ثبت وسمى به صلى الله تعالى عليه وسلم لحقية نبوته ورسالته وما جاء به وجعل عين الحق مبالغة والمبين من ابان ويكون متعديا ولازما بمعنى بين فمعناه الظاهر فى نفسه والمظهر لغيره قال تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) وان المبين من اسمائه تعالى المبين الوهيته وعظمته والمبينه لعباده امر معادهم ومعاشهم وشرائعهم (وخاتم النبيين) بكسر التاء اسم فاعل وبفتحها اسم آلة كالطابع كأنه ختمهم بنفسه فهو استعارة فى الاصل شاع وصار حقيقة قال تعالى (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) من ختمت الامر اذا تممته وبلغت آخره وفى الصحيحين مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا واحسنه واكمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين وحكمة كونه خاتما لكون شرعه رحمة ولئلا تطول مكث امته تحت الارض ولئلا تطلع الامم على احوال

(٢) قال السيوطى والشاهد من اسماء الله تعالى نسخه

امته ولئلا تنسخ شريعته ولذلك نزل عيسى عليه السلام على شريعته كما تقدم (والرؤف الرحيم) تقدم معناهما مفصلا (والأمين) فعيل بمعنى مفعول مبالغة ويكون بمعنى فاعل كقوله تعالى (وهذا البلد الامين) وتسميته به مشهورة قبل البعثة ووقع في القرآن في قوله تعالى (انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين) في قول بعض المفسرين ان المراد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وان كان المشهور خلافه وانه جبريل عليه السلام وقال المصنف انه قول اكثر المفسرين كما نقله السيوطي عنه وقيل انا لم نقف على تسميته في القرآن في غير هذه والراجح خلافه الا انه وقع فيه نظر في الالتزام لانه وصف به فيه من هود وغيره كقوله تعالى (في موسى اني لكم رسول امين) وفيه تكلف وقد سمي به وبالمأمون في الجاهلية قال كعب بن زهير

سقاك بها المأمون كأسا روية ❊ فانهلك المأمون منها وعلكا

ومن ذلك لما تشاجرت قريش فيمن يضع الحجر الاسود قالوا اول من يدخل من هذا الباب نحكمه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا قد جاء الامين وانه كان مشهورا به قبل البعثة فكانت توضع عنده الودائع والامانات (وقدم الصدق) كما عده كثير من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي البخاري عن زيد بن اسلم في قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) قال هو محمد صلى الله عليه وسلم ومر الكلام عليه مفصلا في اول الكتاب وعن علي كرم الله وجهه كما اخرجه ابن مردويه انه قال في تفسيره هو محمد شفيع وفيه اشارة الى وجه التسمية من انه تسمية بالمقدم لان من عادة الشافع تقدمه على من يشفع له فعلى هذا انه سماه الله تعالى به وكذا روى عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان معناه شفيع صدق ومر ... في كلام المصنف رحمه الله تعالى شفيع صدق عند ربهم ومر فيه عن سهل ان معناه سابقة رحمة اودعها الله تعالى اي عهد له بها ازلا انه سيجعله رحمة لهم ولذا عقبه المصنف رحمه الله بقوله (ورحمة للعالمين) فهو كالتفسير له والقدم واحد الاقدام وتطلق على التقدم لانه يكون بها ويقال املاك قدم اي تقدم كما قال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها ❊ مع الحسب العادي طمت على البحر

وكونه رحمة لجميع العالمين كما في قوله تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وقدمر الكلام عليه (ونعمة الله) فهو صلى الله عليه وسلم نعمة لهم وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى (بدلوا نعمة الله كفرا) قال هم كفار قريش ونعمة الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فسمي نعمة كما سمي رحمة وذلك حقيقة في اسمه ولذا قال (والعروة الوثقى) قال ابن دحية واتوبا الرحمن السلمي في قوله تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والعروة ما يتمسك به من الحبل والدلو الوثيقة المحكمة واستعارة ... شبه لان من اتبعه لا يقع في هوة الضلال كما ان من تمسك

حلا مثيبا سمد من خصص المهالك (٥) من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم (الصراط المستقيم) ذكره ابن دحية وقال ابو العالية في قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه ابن ابي حاتم وسمي به لانه طريق الى الله تعالى موصل اليه وتقدم ان الصراط بالصاد والسين والزاء المشمة الطريق المستوي او الواضح والمستقيم الذي لا عوج فيه فاستعير له صلى الله تعالى عليه وسلم لان التابع له واصل لسعادة الدارين ناج والمنحرف عنه ضال غير مهتد فلذا عقبه بقوله (والنجم الثاقب) اشارة لقوله (تعالى وبالنجم هم يهتدون) وروى عن السلف في قوله تعالى (والنجم الثاقب) انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل فانه وهو بعيد وقد من هذا وماله في كلام المصنف رحمه الله عن جعفر الصادق في تفسير والنجم اذا هوى وان الثاقب بمعنى المضيء المتوهج قال

اضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وهو تشبيه بليغ او استعارة من مطلق النجم او من نجم مخصوص وهو زحل لانه يهتدى به صلى الله تعالى عليه وسلم كما يهتدى بالنجم او لانه استنارت به ظلمة الجهل فان خص بزحل فوجه الشبه الاضاءة مع الرفعة كما قيل (والكريم) المفضل او العفو او الكثير الخير او العلي كما يأتي وكله صحيح في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سمي به في قوله تعالى (انه لقول رسول كريم) بناء على انه المراد به وقيل المراد جبريل عليه السلام كما مر ويأتي والخلاف في تفسيره مشهور ولا حاجة لاثباته بهذه الآية لا تصافه صلى الله عليه وسلم به وعماه في الاحاديث الصحيحة (والنبي الامي) قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي) وهو من لا يقرؤ ولا يكتب وقيل هو الذي يقرؤ ولا يكتب ورجحه السبكي والسيوطي وفيه اقوال احدها وثانيها هذان وقيل كان يقرؤ ويكتب وقيل كان لا يقرؤ ولا يكتب في اول امره ثم لما رالت الشبهة علمه الله ذلك وذهب الى هذا بعض المحدثين من علماء المغرب ومن تبعهم وسيأتي تفصيله مع انه تقدم مرارا والامي منسوب الى الام كانه على الحالة التي ولدته امه عليها او الى ام القرى وهي مكة او الى امة العرب وكني به عماذكر لان القراءة والكتابة لم تكن معروفة فيهم وقيل منسوب الى الامة لانه امة نفسه وامية معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم وان عدت منقصة لغيره لانه مع ماظهر منه من العلوم والمعارف اللدنية ومعرفته باخبار الامم السالفة وشرائعهم وهو لا يقرؤ ولا يكتب ولم يدارس ولم يلق من قرأ وكتب امر غريب عجيب والمقصود من القراءة والكتابة ذلك لانهما آله وواسطة له غير مقصودة في نفسهما فاذا حصلت له الثمرة المطلوبة منهما استغنى بها بخلاف غيره مع ما في ذلك من الريبة والاستغناء بكتابته عن ملاقاته كما قال الله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون) وروى انه صلى الله تعالى

(عليه)

عليه وسلم قال لااريد الخط لئلا يقع ظل القلم على اسم الله تعالى رواه الترمذى ولم يسنده فجازاه الله تعالى على ذلك ان يرفع ظله عن الارض فلا يوطأ وان لاترفع الاصوات على صوته وسيأتى ان من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالامية على وجه يشعر بالنقص له حكم الساب (وداعى الله) اى داعى الناس الى توحيد الله وطاعته كما قال الله تعالى (وداعيا الى الله باذنه واجيبوا داعى الله) ونحوه وفى الحديث الصحيح (ان رجلا بنى دارا وصنع مأدبة فمن اجاب الداعى رضى عنه السيد ودخل الدار واكل من المأدبة فالسيد هو الله والداعى محمد والدار الاسلام) وقال البخارى الجنة وكذا المأدبة قال السيوطى وقد وصف الله تعالى نفسه بانه داع فى قوله تعالى (والله يدعو الى دار السلام) فهو من جملة اسماء الله تعالى التى سماه بها وقال على لسان الجن (اجيبوا داعى الله) فيه دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث الى الجن وقال مقاتل لم يبعث الى الجن نبى قبله وفسر قوله (بعثت الى الاسود والاحمر) بالانس والجن كما تقدم وهو مشكل بسليمان عليه السلام وقد يوفق بينهما بان الله سخر له الجن مع امره لهم بتوحيد الله تعالى لانه لا يرضى الكفر الا انه لم يكلفهم بفروع شريعته والنبى صلى الله عليه وسلم مأمور بدعوتهم وتكليفهم بالعمل بشرعه ولم يؤمر بتسخيرهم واستخدامهم وتسخيرهم له كسليمان (فى اوصاف كثيرة وسمات جليلة) عظيمة مبجلة اى ورد ما ذكر فى القرآن والآثار مع صفات اخر كثيرة اطلقت عليه كاطلاق الاسم على مسماه فحمل الكثير بالنسبة الى غيره كالطارق والمحرى على مطروقه وسمات جمع سمة وهى العلامة لكن تجوز بها عن مطلق العلامة كالمرسن للانف وشاع حتى صار كالحقيقة او غيرها ثم تجوز بها عن الصفة وهو المراد هنا وعبر به للتفنن فى العبارة (وجرى منها فى كتب الله المتقدمة) اى وقع منها فى كتب الله المتقدمة على القرآن كالتورية والانجيل وغيرهما وجرى حقيقة اسرع من المشى وبالمائيات بمعنى سال كجرى النهر ثم شاع عرفا بمعنى وقع وحدث فيقال جرى الماء على كذا ولذا تلطف الشاعر فى قوله * وتحدث الماء الزلال مع الصفا * فجرى النسيم عليه يسمع ماجرى (وكتب انبيائه) بل المراد بها كتاب مقولة فان لهم عليهم الصلوة والسلام احاديث دونها احبارهم فى زمانهم ولم نسخ احكامهم ونقلها المسلمون عنهم ودونوها كالاسرائيليات وهذا يعلم من مقابلته لما قبله (واحاديث رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم الواقع فيها وصفه او تسميته لنفسه اوقالها اصحابه بل غيره وتدوينه وهذه كلها تسمى احاديث ايضا (واطلاق الامة) غير الصحابة او المراد الاعم اى تسميتهم له صلى الله عليه وسلم ووصفهم فان اطلاق اللفظ بمعنى استعماله سواء كان حقيقة ام لا مشهور ومتعارف وهو فى الاصل من الاطلاق بمعنى فك الوثاق ثم نقل عرفا لما ذكر واسماؤه صلى الله عليه وسلم وان كانت توقيفية عند بعضهم

كأسماء الله تعالى فما اشتهر منها وتلقى بالقبول في حكم المنقول فان الامة لا تجتمع على
الضلالة وقد وقع هذا في كثير من اسمائه وسماه (جملة شافية) فاعل جرى من
شفاء المرض اي شافية من داء الجهل او من شفاء الغليل وهو حر العطش لانه يروي
الظمأ ويثلج الصدر (كتسميته بالمصطفى والمجتبى) هذا مما اطلقه عليه الامة ولم يرد
في كتاب ولا سنة وهما بمعنى وفي الصحاح اجتباه بمعنى اصطفاه واختاره واصله
كما قاله الراغب من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته فجمعه صلى الله تعالى عليه وسلم المكارم
والصفات الحميدة فيض الهي من غير سعي كما قال الله تعالى (يجتبي اليه من يشاء ويهدي
اليه من ينيب) قال السيوطي المصطفى من اشهر اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم
ومثله المختار وفي مسند الدارمي ان في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار الى آخره
(وابي القاسم) وهذا اشهر كناه صلى الله عليه وسلم ومنها ابو ابراهيم كما يأتي وابو
المؤمنين وابو الارامل كما ذكره السيوطي وهذا ورد في الحديث الصحيح في مسلم عن جابر
رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال (تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فاني ابو القاسم
اقسم بينكم) ويأتي الكلام في اوائل القسم الرابع ومثله ما في كتاب البخاري والاعلاق
في ادب النفوس ومكارم الاخلاق انه كني به لانه يقسم الجنة بين اهلها يوم القيمة والذي
جزم به اهل السير انه كني باسم القاسم وهو اول اولاده صلى الله تعالى عليه وسلم من
خديجة ولادة ووفاة وظاهر النهي فيه تحريم التكني بكنيته مطلقا وهو الاصح من
مذهب الشافعي وقيل انه جائز بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم والنهي مخصوص
بحياته ورجحه النووي ووجهه ان النهي عن ذلك لئلا ينادي باجابة دعوة غيره ويجد
المنافقون فرصة لاذاه وهو يزول بوفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا لم ينه عن
اسمه مع منع الله تعالى من ندائه به وفي قول يحرم لمن اسمه محمد دون غيره لما روي عن جابر
مرفوعا (من تسمى باسمي فلا تكنى بكنيتي) وأتى بسط ذلك في القسم المذكور قال
السبكي ويجب حرمانه فالمحرم التكنية وهو وضع الكنية لاحد والتكني وهو قبول
المسمى لذلك واما الاطلاق فاشتباه الآن يكون ذلك الشخص لا يعرف الا به فيكون
عذرا واختلفوا في غير اسمه القاسم فقيل يباح وقيل غير ذلك (والحبيب) وحبيب
الله تعالى وهذا ثابت بالحديث الصحيح الذي رواه البيهقي في الشعب عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه (اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا وقال وعزتي
وجلالي لاوثرن حبيبي على خليلي ونجيي) وقد مر الكلام على المحبة والخلة والفرق
بينهما والكلام على انهما افضل وهذا الحديث صريح في تفضيل المحبة لان لها معنيين
احدهما مطلق وهو في الخلق مطلق الميل وفي الله ارادته وتفضله على غيره وخاص
وهو في الناس اثارة على نفسه وغيره وجعله نصب عينيه بحيث لا يفتر عن ذكره وتملكه
لقلبه بحيث لا يكون فيه محل لسواه والخلة المودة والمعاونة مع ميل ما ولا شك انها

بهذا المعنى افضل واعلى فقول ابن القيم فى كتاب الداء والدواء مايطلبه بعض العالطين من ان المحبة اكمل من الخلة من جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة فانها نهاية المحبة فانه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبرنا بانه لم يتخذ خليلا غير ربه مع اخباره صلى الله عليه وسلم بمحبته عائشة وغيرها لم يصادف محزه (ورسول رب العالمين) لم ينتظم هذا فى سلك ماوقع فى القرآن لانه وان ورد فيه كثيرا الا انه لم يقع فيه مضافا لرب العالمين قال الازهرى الرسول المتابع لاخبار من بعثه من قولهم جاءت الابل رسلا اى متتابعة والفرق بينه وبين النبى مشهور (والشفيع المشفع) اى المقبول شفاعته وسمى شافعا ايضا وقد تقدم ان له صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات سبعة كما تقدم تفصيله (والمتقى) والاتقى والاتقى لحديث مسلم (انا اتقاكم لله) والتقوى لها مراتب مفسرة فى تفسير البيضاوى (والمصلح) للخلق بارشاده وهدايته قال المصنف رحمه الله وجد على بعض الحجارة القديمة محمد نبى مصلح امين لانه الف بين قلوب الناس وازال مابينهم من الضغائن كما كان بين العرب والعجم وقبائل العرب كما قال الله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم) (والطاهر) بالمهملة الطاهر نفسه صلى الله عليه وسلم من المعائب والادناس الحسية والمعنوية حتى ذهب الشافعية الى طهارة فضلاته كما تقدم وبوله ودمه ورجحه السبكى والبلقينى وافتوا به كما مر وقد شربت بوله ام ايمن وشرب جماعة من دمه ولم ينكره صلى الله تعالى عليه وسلم وطهارته من الذنوب والاخلاق الردية كما تقدم (والمهيمن) ومما ان هذا اسمه به عمه العباس رضى الله تعالى عنه فى شعره المشهور الذى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم به وقد تقدم روايته له وفيه

حتى احتوى(٣) بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

(٣) ثم اهتدى نسخه

وميمه الاولى مضمومة والثانية مكسورة وروى فتحها ايضا وهو كما انه اسمه صلى الله عليه وسلم صح انه من اسماء الله تعالى ومن اسماء القرآن قال الله تعالى (وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) وفسر فى الآية بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم على انه حال من كاف اليك والراجح تفسيره بالقرآن على انه حال بعد حال من الكتاب ولذا لم يذكره المصنف فى اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم الواردة فى القرآن وقال ابن فارس انه من اسماء الله تعالى معناه الشاهد وقيل الحفيظ وقيل الرقيب وقيل القائم على خلقه وقيل الامين وسمعه المصنف فى ذلك كما فى النهاية وانما قرئ بقلب همزته هاء وقيل المهيمن وهو فى اسمائه الحسنى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمعنى الاول اوالرابع اوالخامس اسمى وهو عنده اى المصنف مصغر مؤمن على مايأتى وتصغيره لا تعظيم وقد رد هذا وشنع عليه فيه بان اسماء الله واسماءه صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن جل كل معظم

لايجوز فيها التصغير كما يأتي ولم يرد مثله ولذا ارتضى ابوعلي في الحجة انه اسم مكبر
ورد بهذه الزنة كالمبيقر والمسيطر وفتح ميمه يدل على ماقاله واذا وصف به القرآن
فمعناه رئيس الكتب العالى عليها لحفظه من التغيير والتبديل واعجازه ببلاغته ومزاياه
وقيل معناه المصدق وشهده بتعديته بعلى الا ان يقال انه لما فيه من معنى العلو وعلى
انه من الامن ظاهر لانه امنهم من الخوف (والصادق والمصدوق) وسمي بالصدق
ايضا والمصدق اسم فاعل بالتشديد كما ذكره ابو بكر بن عربي وفي صحيح البخاري
حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدق قاله ابن مسعود وقد ورد هذا في عدة
احاديث رواه السيوطي لانه صدق الانبياء والكتب التي قبله والمصدوق اسم
مفعول من صدق المتعدي كما ورد صدق وعده والصادق من اسماء الله ايضا ورد
في حديث الاسماء كما قاله السيوطي رحمه الله تعالى (والهادي) عده جماعة من اسمائه
اخذا من قوله تعالى (وانك لتهدي الى صراط مستقيم) وهو من اسماء الله تعالى
ايضا وتأتي ان الهداية تطلق على خلق الاهتداء ويوصف بها الله تعالى خاصة وهو
المنفي في قوله (انك لاتهدي من احببت) على قول وعلى البيان والدلالة بلطف وهذه
يوصف بها الله تعالى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويطلق على الداعي ومنه ولكل
قوم هاد ولا تستعمل الا في الخير وقوله (واهدوهم الى صراط الجحيم) تهكم وهدايته
صلى الله عليه وسلم لما فيه من صلاح المعاش والمعاد ظاهرة وقد اشبعنا الكلام عليه
في حواشي القاضي (وسيد ولد آدم) وقد ورد اطلاقه عليه في احاديث كثيرة صحيحة
كما في حديث الشفاعة (انطلقوا الى سيد ولد آدم) وفي الصحيحين (انا سيد الناس يوم
القيمة) وهو من اسماء الله تعالى ايضا كما اثبته البيهقي في كتاب الصفات فيجوز اطلاقه
على الله تعالى وعلى غيره مطلقا وهو احد اقوال اربعة فقيل يختص بالله مطلقا
وقيل يختص به معرفا وقيل يختص بغيره ولا يجوز اطلاقه عليه واستدل للاول بانه
لما قال له صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر انت سيدنا قال (السيد هو الله) وهو حديث
صحيح كما مر وتحقيقه انه على الاطلاق معناه المعظم المحتاج اليه غيره وهذا مما
يوصف به الله وغيره واما تخصيصه بغير الله كما روي عن مالك فلانه لم يثبت عنده
اطلاقه على الله تعالى ولان معناه رئيس القوم الذي يفخر ويسر باتباعه ويسد القوم
فهم وهذا لايليق بالله تعالى ولذا فسر اذا اطلق على الله بما مر واما اختصاصه بالله
فلان معناه المالك المتصرف في امور غيره وهذا في الحقيقة انما هو لله واما التفصيل
فلانه معرفا المعهود بالعظمة وكونه ملجأ لكل احد وهذا مختص به تعالى وهذا
اضعفها * فان قلت اذا صح الاول فالنص صريح بالحصر في حديث السيد هو الله * قلت
اذا ثبت وصف لشيء وحده اومع غيره واريد رده فللعرب فيه طرق اظهرها ان تؤتى
بصريح الحصر كقولك لامعبود الا الله فلما وافرادا او بتعريف الطرفين كالمعبود

الله وهو كالذي قبله معنى الا انه قد يجاز ايماء امطنة مخاطبه فهو ابلغ في مقامه او يحمل من اثبته الزاعم له الصفة عين من هي له في نفس الامر كما يقال للدهري الدهر هوالله اي لادهر ولا تصرف لسوى الله فاثبت له التصرف وسماه مما عداه بطريق برهاني كقوله تعالى (ان كان للرحمن ولد) الى آخره وهذا نوع ادق من غيره سماه الشيخ التنويع وذكره سيبويه في باب الاستثناء فقوله السيد هوالله يحتمل اجراؤه على ظاهره وان يكون من هذا القبيل فلا دليل فيه على انه من اسماء الله تعالى فضلا عن اختصاصه فاعرفه فانه من نفائس الذخائر المكنونة في دفائن الخواطر وقد قدمنا ذلك اول الكتاب في الباب الاول واعدناه لطول العهد به والمراد بولد آدم النوع الانساني وكذا كل جماعة سموا باسم ابيهم جاز اطلاق الاولاد عليه واطلاقه عليهم كما يقال تميم له ولاولاده وكذا يقال بنو تميم لما يشمل تميم وهو الفقيه وهذا مجاز شاع حتى صار حقيقة عرفية كما فصله القرافي في كتاب العقد المنظوم وعده من الفاظ العموم ثم قال الولد للواحد والجمع فان كان مفردا ينبغي ان تكون الاضافة للاستغراق بقرينة المقام اي انا سيد كل ولد آدم وان كان للجمع فالامر ظاهر ويلزم من كونه سيد ولد آدم سيادته على آدم ادفيهم من هو افضل من آدم كابراهيم وموسى عليهما الصلوة والسلام فقد تكلف بالاحاجة اليه لعدم وقوفه على ماذكر ومن في الحديث (انا سيد ولد آدم يوم القيمة) وانه خص يوم القيمة لانه ظاهر فيه سيادته على سائر المرسلين من غير منازع فيه وان كان سيدا في الدارين كما مر (وسيد المرسلين) كما ورد في احاديث صحيحة واذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من سائر المرسلين فهو افضل من سائر النبيين لان الرسول افضل من النبي وان اختلف في فضل الرسالة والنبوة (وامام المتقين وقائد الغر المحجلين) جمعهما المصنف رحمه الله تعالى لورودهما كذلك في حديث رواه البزار انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (ليلة اسري بي انتهيت الى قصر من لؤلؤة يتلألؤ نورا واعطيت ثلاثا قيل لي انك سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين) وقد ورد تسميته صلى الله عليه وسلم بامام المتقين وامام المؤمنين وامام الناس وامام الخير كما في الرياض الانيقة والاول ذكره ابن سيد الناس في سيرته وعن قتادة في قوله تعالى (يوم ندعو كل اناس بامامهم) ان الامام المراد به النبي صلى الله عليه وسلم والامام في اللغة المقتدى به ويطلق على الواحد كقوله تعالى (اني جاعلك للناس اماما) وعلى الجمع كقوله تعالى (واجعلنا للمتقين اماما) فالدين الاساري وسمي صلى الله تعالى عليه وسلم امام النبيين لانه اسبقهم في النبوة الروحانية ولانه امهم في الاسراء كما مر واخرج احمد والترمذي (اذا كان يوم القيمة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم) وفي رواية لاحمد (كنت امام الناس) وفيها احد تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم به وامام المتقين

ان اريد به امته صلى الله تعالى عليه وسلم فظاهر وان اريد الاعم موافقة لرواية امام الناس فلاقتداء الانبياء به وفي بعض الشروح ان كل متق سواء كان من امته او من الامم السالفة مقتد به لانهم في السير الباطني اشرفوا على المقام المحمدي وآمنوا به واهتدوا بهديه وامام الخير ورد في حديث رواه ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لاتدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا له فعلمنا قال قولوا * اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرون * وقائد اسم فاعل من القود وهو تقدمه على من يأتمه باختياره وهو يقودهم الى الجنة برضاهم وفي القاموس القود نقيض السوق والغر جمع اغر واصل الغرة بياض في جبهة الفرس فالمراد به مطلق بياض الوجه هنا والتحجيل بياض في القوائم وفي الصحيحين (ان امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء) وورد بمعناه من طرق كثيرة وفيه زين لهم وقد جعل ذلك علامة انهم يعرفون بها من الامم يوم القيمة والتعبير بالقود بما هو معروف من صفات الخيل فيه اشارة الى انهم جياد سابقون على غيرهم ففيه استعارة مكنية وترشيح كقوله * الناس للموت كخيل الطراد * والسابق السابق منها الجواد * وبها استدل على ان الوضوء من خصائص هذه الامة وقيل انه غير مختص بهم وانما المختص بهم الغرة والتحجيل لحديث (هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي) واجيب بضعفه واحتمال ان يكون الانبياء عليهم الصلوة والسلام اختصوا به دون اممهم على تقدير صحته بعيد وكون بياض الغرة اثر الوضوء لا ينافي كونه من اثر السجود وادعاء انه غيره فيه نظر (وحبيب الله) تقدم بيانه مفصلا (وخليل الرحمن) تقدم تحقيقه (وصاحب الحوض المورود) رواه ابن حبان والحاكم وقال السيوطي حديث الحوض مروي عن اكثر من خمسين صحابيا وقد سرد بعضهم في كلام المصنف ومنهم ابو برزة الاسلمي وحديثه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (ان لي حوضا ما بين ايلة الى صنعاء عرضه كطوله فيه ميزابان من الجنة احدهما من ورق) اي فضة (والآخر من ذهب ماؤه احلى من العسل وابرد من الثلج وابيض من اللبن من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة فيه اباريق عدد نجوم السماء) وقال القرطبي ذهب جماعة الى ان حوضه صلى الله عليه وسلم بعد الصراط والصحيح ان له حوضين احدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا واختلف هل هو قبل الميزان او بعده والصحيح انه قبله والمعنى يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا ويزداد عطشهم

في السوق الى المحشر فيردونه قبل الميزان والصراط وورد ايضا تسميته صلى الله عليه وسلم بصاحب الكوثر وسمي به لاختصاصه به وفي بعض الكتب لكل نبي حوض وتسميته به صلى الله تعالى عليه وسلم لعظم حوضه وزيادته ومثله يحتاج الى نقل والمورود اسم مفعول من الورود بالكسر وهو الذهاب للماء ويلزمه الشرب عادة فلذا عبر به عنه وهو وان كان اسم مفعول لايدل على المبالغة فالمراد به كثرة الواردين عليه ولولاه كان الوصف به لغوا وقد ورد التصريح به (والشفاعة) اي من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب الشفاعة وقد تقدم بيانه (و) صاحب (المقام المحمود) وهو مقام الشفاعة العظمى كما مر (و) صاحب (الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة) الوسيلة السبب الموصل لامر عظيم سمي به لانه سبب لكل خير وفسر في الحديث بمنزلة مخصوصة كما ورد في حديث مسلم السابق (سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون هو) واصل الوسيلة كما قال السيوطي القرب من الله والمنزلة عنده وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب فضيلة ودرجة عالية رفيعة حسا ومعنى في الدنيا والآخرة غني عن البيان (وصاحب التاج) قيل المراد بالتاج هنا العمامة ونقل عن المصنف رحمه الله تعالى والعمائم تيجان العرب لكونها معروفة عندهم دون غيرهم فكنى به عن انه من صميم العرب واشرفهم حسبا ونسبا وروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لم يلبس العمامة غيره من الانبياء وفي مقدار عمامته وكيفيتها تفصيل في السير وللناس رسالة مستقلة وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عمامة تسمى السحاب تحتها قلنسوة ودخل مكة في الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء وهو لاينافي رواية انس رضي الله تعالى عنه انه كان على رأسه مغفر ولبس صلى الله تعالى عليه وسلم عمامة حمراء ايضا ولم يلبس خضراء اصلا (و) صاحب (المعراج) وهو السلم فهو اسم آلة وقال السيوطي هو عروجه وصعوده صلى الله تعالى عليه وسلم للسماء والاسراء سيره من مكة الى بيت المقدس فهو مصدر ميمي وبينهما فرق وان اطلق كل منهما على الآخر كما مر وهو الذي اصعد عليه الارواح والملائكة ولم يصعد عليه في الدنيا بجسده احد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا خص بالتسمية به (و) سمي ايضا صاحب (اللواء) قال السيوطي المراد به لواء الحمد الذي عندي وقد يحمل على اللواء الذي كان يعقده صلى الله تعالى عليه وسلم للحرب فهو كناية عن القتال قال وهو مما يحمل في الحرب اعلم به صاحب الجيش يحمله هو بنفسه وقد يحمله غيره وقريب منه الراية وفرق بينهما وفي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت رايته صلى الله تعالى عليه وسلم سوداء ولواؤه ابيض وقيل كان مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد رسول الله واول ما حدثت الرايات في الاسلام يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية

(والقضيب) اى من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب القضيب وهو السيف كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وتبعه السيوطى ويأتى انه وقع مفسرا به فى الانجيل حيث قال معه قضيب من حديد يقاتل به وانه يحتمل ان يراد به القضيب الممشوق الذى يمسكه الخلفاء وفى كتاب البيان للجاحظ انه كانت له صلى الله تعالى عليه وسلم مخصرة وقضيب وعنزة تحمل بين يديه و هكذا كانت عادة عظماء العرب وخطبائهم فاذا اريد الاول فهو كناية عن جهاده وكثرة قتاله وان كان الثانى فعبارة عن كونه من صميم العرب وخطبائهم وماقيل من ان المراد به القضيب الذى اعطاه صلى الله تعالى عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلب سيفا كما هو معروف فى معجزاته تكلف ناش من ضيق العطن (وراكب البراق والناقة والنجيب) البراق بزنة غراب من المخلوقات العلوية وروى ان وجهه كوجه الانسان وجسده كالفرس وقوائمه كالثور ودنبه كالغزال وليس بذكر ولا انثى وسمى به لسرعته او لمعانه وسماته او لما فيه من قليل سواد من قولهم شاة برقاء وركبه صلى الله عليه وسلم للاسرى به واختلف فيه هل ركبه غيره من الانبياء ام لا وهل ركب معه جبريل ام لا كما تقدم ذلك كله فان قلنا لم يركبه غيره فوجه التسمية به ظاهر وان قلنا ركبه غيره فوجهه ان ركوبه بهذه السرعة وصعوده به الى السماء مخصوص به على ان وجه التسمية لا يلزم اطراده والنجيب الجمل وقد سمى راكب الجمل ايضا فى الكتب القديمة كما سمى عيسى عليه الصلوة والسلام راكب الحمار ولذا قال الجاسوس للنجاشى كما فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به اشهد ان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وسمى به مع ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم الفرس والبغل والحمار لانه كان عن تواضعه اولهجرته عليه اوكونه من صميم العرب وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم جمال ونوق مذكورة فى السير وقيل المراد بالنجيب الناقة وقيل النجيب اسم فرس له صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه من اعرابى وهو الذى شهد له به خزيمة وهو غريب (وصاحب الحجة) وهى الدليل الذى يحج به الخصم وهو المراد او المراد المعجزة وهى بلعب الفاء اعظمها القرآن (والسلطان) بضم السين وسكون اللام وقد تضم وهو يذكر ويؤنث وله معان منها البرهان والملك والقوة والغلبة ويصح ارادة كل منها هنا وسمى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا فى كتاب شعيا وبعض الكتب القديمة (والخاتم) اى صاحب الخاتم بالكسر والفتح وهو خاتم النبوة الذى كان بين كتفيه صلى الله تعالى عليه وسلم كزر الحجلة وبيضة الحمامة وقيل انه كان فيه كتابة الله وحده لاشريك له او محمد رسول الله او توجه حيث شئت فانك منصور وذكره مع السلطان لانه ورد مقرونا به فى كتاب شعيا وقيل المراد به الخاتم المعروف لانه لم يعرف فى العرب ولا فى الانبياء من ختم الكتب سواه وفيه نظر (والعلامة) اى علامة النبوة وهى الخاتم ايضا وقد ورد

نعته به فى الكتب القديمة وهو من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم الدال على ان الانبياء ختموا به كما ورد فى حديث ويجوز ان يراد به مطلق العلامات التى كان اهل الكتاب يعرفونه بها كما يعرفون ابناءهم (وصاحب الهراوة) بكسر الهاء ثم راء مهملة والف وواو وتاء تأنيث وهى العصا قال فى النهاية لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يمسك بيده القضيب ويمشى بالعصا بين يديه وتغرز له ليصلى اليها وقال الجوهرى هى العصا الضخمة وجمعها هراوى كمطايا وقال المصنف رحمه الله كما يأتى انها العصا الوارده فى حديث الحوض انه يذود بها الناس عنه وقال النووى انه ضعيف او باطل لان المراد وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بما يعرفه الناس ويعلم اهل الكتاب انه المبشر به فى كتبهم فلا وجه لتفسيره بامر يكون فى الآخرة فالصواب ما قدم ومن سنن الانبياء حمل العصا تواضعا (والنعلين) اى صاحب النعلين وقد ورد تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا فى الانجيل وفى كثرة نعله كلام مفصل افرده بعض اهل العصر بالتأليف وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم نعلان سبتية بكسر السين اى لا شعر عليها او مدبوغة وما قيل من انه سمى بملابسه من مخالفته لاهل الجاهلية من تسلطهم فى رحل واحده وقد ورد النهى عنه فى الحديث الاولى تركه (ومن اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب) الالهيه المنزلة على من قبله من الانبياء عليهم الصلوة والسلام (المتوكل) هو اسمه فى التوريه ونصها انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل وهو الذى يكل امره الى الله ويعتصم به والتعلق بالله على كل حال وقيل التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وهو فرع التوحيد وكان صلى الله عليه وسلم ارسخ الانبياء قدما فيه وتوكل العوام مباشرة الاسباب مع الاعتماد على مسببها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) وتوكل الخواص وهو ترك الاسباب بالكلية (والمختار) اسم مفعول من الاختيار وهو الاصطفاء لانه خيار من خيار وفى التوريه عبدى المختار لا فظ ولا غليظ (ومقيم السنة) سمى به فى التوريه والزبور فى قوله اللهم ابعث لنا محمدا يقيم السنة بعد الفترة لن نقبضه الله حتى نقيم به الملة العوجاء والمراد سنة من قبله من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وطريقهم باظهار التوحيد ودعوة الخلق من قامت السوق نفقت ففيه استعارة مكنية بجعل ذلك كالامتعة المرغوب فيها او معدلها او مسويها (والمقدس) بالتشديد اسم مفعول وفى الرياض الانيقه معناه المفضل على غيره وقال ابن دحية معناه المطهر النقى من دنس الذنوب والمآثم من القدس وهو التطهير ومن اسماء الله تعالى القدوس اى المنزه عن سمات النقص والحدوث وقيل مقدسة الصلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروح القدس) بضم ثم وضم وسكون وهذا سقط من بعض نسخ الشفاء اى الروح

المقدسة من النقائص وروح القدس في القرآن فسر بجبريل عليه الصلوة والسلام والقدس الطهارة او الله واضافة الروح له لتشريفه كروح الله لعيسى (وروح الحق) الحق هو الله وقال الشيخ ابن عربي في الفصوص انه اسم الله الاعظم وهو صلى الله عليه وسلم مظهره (وهو) اى روح القدس وروح الحق (معنى البارقليط في الانجيل) فانه فيه سمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم البارقليط وفسر بما ذكر وروايته مفسرا به في شرح الانجيل للمسيحي الطبيب الا انه حرفه وقال المراد روح الحق احد الاقانيم الثلاثة عندهم قاتلهم الله (وقال ثعلب) وهو احمد بن يحيى الشيباني البغدادي امام اهل اللغة والعربية المشهور ومولده في حدود المائتين ووفاته في جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين ومائتين في تفسيره (البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل) قال ابن دحية وهو اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب المنزلة القديمة وروى عن ابن عباس ايضا وروى بالفاء المفتوحة وبالباء غير صافية وفي المغني للحنفي الذي احفظه انه بموحدة في اوله والف وراء مكسورة وقاف ساكنة ثم لام ثم ياء مثناة تحتية ساكنة وطاء مهملة وهو الصحيح وفي بعض الحواشي انه روى بفتح الراء وقد تسكن وقاف بفتح مع السكون وتسكن مع الفتح ومعناه محمد وفي الرياض الانيقة معناه الحامد او الحماد والذي عليه اصحاب الانجيل ان معناه المخلص وعبارة الانجيل اني ذاهب الى ابي وابيكم ليبعث لكم البارقليط وفي شرح مشكل النور للدواني انه بالباء ثم الف وراء مكسورة وقاف ساكنة ولام مكسورة ثم طاء مهملة والف مقصورة وهو لفظ عبراني معناه الفارق بين الحق والباطل والمراد مظهر الولاية التي هي باطن النبوة والمراد بابي وابيكم ربي وربكم والاوائل يسمون المبادي بالآباء انتهى فالحاصل انه بباء مثناة وآخره الف ثم عرب بباء وفاء وحذف الالف من آخره ففيه ثلاثة اوجه وقالوا معناه المخلص كما علمت وفسره بالفارق الى آخره بيان لحاصل المعنى ومن كذب جهلة النصارى ان البارقليط نار نزلت على التلامذة من السماء انها يعملون العجائب وفي ترجمة الانجيل اذا او حفظتموني فاحفظوا وصيتي وانا اطلب ان يعطكم فارقليطا آخر يكون معكم الدهر كله قال بعض اهل العلم بالكتب السالفة هذا صريح في ان الله يبعث اليهم من يقوم مقامه في تبليغ رسالته ويكون شريعته مؤبدة وليس الا هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهم حائرون في معنى البارقليط والذي صح عندهم انه الحكيم الذي يعرف السر وفي الانجيل ما يدل على انه الرسول فانه قال هذا الكلام الذي تسمعونه ليس هولى بل للاب الذي ارسلني اكلمكم بهذا وانا معكم واما البارقليط وروح القدس الذي يرسل الى باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكر جميع ما اقول لكم وهم يزعمون ان روح القدس تفسير للبارقليط كما رأيته في شرح الانجيل واما الاب فكلمة تعظيم للعلم وهم يسمون العلماء آباء روحانية وقوله يرسل باسمي اى يشهد بصدق

رسالى وبهذا اتصح لك لفظه ومعناه وهذا مما اختصته من كتب عديدة فاحفظه

(ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة مادماد ومعناه طيب طيب) وروى موذ موذ وميذميذ والاول هو الذي صحح روايته المصنف والثانى ذكره العزفى وقال انه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم في صحف ابراهيم وذكر الثالث وقال انه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة وهو بميم مفتوحة والف غير مهموزة ودال معجمة ساكنة كما في المنفى وقال انه بني بضم داله لانه اسم غير منصرف للعلمية والعجمة وتقديره انت ماد ماد او ياماد ماد نقل الشهاب الخفاجى الاديب شرح السيوطى نقلا عن السهيلي ان ميمه مضمومة والفه مهموزة بين الواو والالف وقال انه سمعه من بعض احبارهم والظاهر انه تكرار للتأكيد والمراد انه طيب في نفسه او في دنياه وطيب في صفاته وآخرته وكونه اسما واحدا مثل مرمر او مركب خلاف الاصل وقيل ان داله مهملة وفي شرح رسالة الكندى المنسوب للعراقى انه سمع عن اسلم من احبار اليهود انه في التورية اشارة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله لابراهيم انى قد استجبت لك في اسماعيل وانا اباركه واعظمه جدا ماذماذ وهو محمد من طريق العدد لان فيه ميمين في مقابلة ياء موحدة والفين ودالين بأربع عشر وهو عدد الحاء والدال من محمد وهذا مبنى على ان داله مهملة وهذا مما لم يذكره احد من ارباب الحواشى والشروح وما قاله التلمسانى من انه يحتمل ان يكون ماخوذا من الماذى وهو العسل الابيض لحلاوته في ذاته وصفاته او الماذى بمعنى الدرع اللينة السهلة لانه حصن حصين للعالمين ليس بشئ لانه يقتضى انه عربى ولم يقل به احد فقط (وحمطايا) هذا وماقبله رواه ابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وضبطه الشمنى في حاشيته بفتح الحاء المهملة وفتح الميم المشددة وطاء مهملة مخففة والفين بينهما مثناة تحتية وفي العرشين انه بكسر الحاء وميم ساكنة تليها باء مثناة تحتية والف ثم طاء والف هكذا ضبطا وفي المواهب انه بفتح الحاء وسكون الميم ومثناة تحتية والف وطاء مهملة والف بعدها وقال انه بكسر وياء او نون واما معناه فقال ابو عمرو عن بعض الاحبار ان معناه يحمى من الحرام ويحمى الحرم اى يمنع ما كان في الجاهلية من الانكحة وغيرها من المحرمات فالحرم بفتحتين او بضم ثم فتح وفي الرياض الانيقة معناه حامى الحرم او بنى الحرم (والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار) فقدمت رحمه واختلف الشراح في ضبطه وروايته فقيل هما بالخاء المعجمة الا ان الاول بفتح التاء والثانى بكسرها او بالعكس وهو بعيد لانه تقدم فلا وجه لاعادته وقيل الاول معجمة والثانى مهملة وفسر بانه احسن الانبياء خلقا وخلقا كما ذكره والظاهر انه من الحتم وهو الاحكام لاحكام القضاء والاحكام ويجمع على حتوم كما قال امية بن ابى الصلت

عبادك يخطئون وانت رب ۞ بكفيك المنايا والحتوم

والخاتم القاضي كما في الصحاح ووجه الاول انه جمال الانبياء كالخاتم الذي يتزين به فهذا ان كان تفسير الخاتم بالمعجمة فهو في قوله (وقال ثعلب فالخاتم الذي ختم الله به الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا) يكون اشارة الى تفسيره على وجه يسقط به التكرار وسكت عن الثاني لظهوره وان كان الاول هنا بالمعجمة والثاني بالمهملة كما ضبط في بعض الشروح والحواشي وهو مروي عن المصنف ففيه مع التكرار ان تفسير الحاتم بالمهملة بما ذكر ليس معروفا في اللغة واعادته انه ماتقدم حتما الا ان يتكلف انه من الحتم بمعنى الخالص وقد قالوا فيه انه مقلوب من المحت ولك ان تقول انه من الحاتمة وهي بقية الطعام كانه آخر مابقي من نعم الله تعالى وقرن بالخاتم وان نكر ولهذه النكتة والعجب من الشراح انهم لم يتعرضوا لهذا مع ظهوره (ويسمى بالسريانية) وهي لغة آدم عليه الصلوة والسلام واول اللغات ومنها تشعبت سائر اللغات ثم صار اصول اللغات ثلاثا السريانية والعبرانية والعربية وفي بيان معنى نسبتها كلام لاحاجة اليه هنا وهي بضم السين وراء ساكنة اومكسورة وما قيل انه من السر لان الله تعالى علمها لآدم سرا لحمد وقال السيوطي رحمه الله تعالى ان سؤال القبر بالسريانية (مشفح) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفاء مفتوحة اومكسورة مشددة فيهما وروي بالقاف وحاؤه مهملة وسمي به صلى الله تعالى عليه وسلم في كتاب شعيا وقال البرهان لا اعلم صحته ولا معناه ونقل بعض اهل العصر عن ابن فورك ان معناه محمد لانهم يقولون شفح لاها اي حمد الله وتبعه التلمساني (والمنحمنا) قال البرهان هو بضم الميم ونون ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وميم مكسورة ونون بعده وحة مشددة والف مقصورة وقال التلمساني الميم الثانية مثلثة ومعناه روح القدس وهو بالسريانية محمد وبالرومية البرقليطس ونحوه في تذكرة الصفدي وضبطه بعضهم بفتح الميمين ونقله السيوطي عن ابن دحية وقال ابن سيدالناس في السيرة معناه محمد وهو محتمل لانه اسم له ولكونه بمعناه (واسمه في التورية احيد) قال الشمني هو بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية وكسرها ودال مهملة وقيل انه بفتح الحاء المهملة وسكون الياء التحتية والمضبوط فتح الهمزة وسكون المهملة وفتح التحتية وهو غير عربي وفي الكامل روايته عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال (اسمي في القرآن محمد وفي الانجيل احمد وفي التورية احيد وانما سميت احيد لاني احيد امتي عن نار جهنم) وكذا اخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ويؤيده انه ضبطه بكسر الحاء مع فتح الهمزة وضمها وهو عربي من حاد يحيد اذا عدل ومال ان لم يكن من توافق اللغات وذكره الماوردي في تفسيره وضبطه بمد الالف وكسر الحاء كما في الرياض الانيقة وفي الشرح الجديد ان الذي في النسخ بضم الهمزة وحاء مكسورة مهملة ومثناة

(تحتيه)

تحتيه ساكنة والمشهور فتح الهمزة وسكون الخاء وفتح الياء وفى نسخة بفتحهما وكسر الخاء وسكون الياء وحاصل انه من الواحد لانفراده فى ذاته وصفاته فيه مالايخفى (وروى ذلك ابن سيرين) الامام الحجة الثقة الزاهد الورع الشائع صيته فى الآفاق ابو بكر محمد بن سيرين الانصارى وروى عنه الائمة الستة وتوفى بعدمائة وعشر وهو من اعلم التابعين رضوان الله عليهم اجمعين ثم انه رجع الى تفسير بعض الاسماء السابقة فقال (ومعنى صاحب القضيب اى السيف) كما تقدم ومعنى مبتدأ خبره (وقع ذلك مفسرا فى الانجيل قال) اى الله فى الانجيل وكون فاعله ضمير الانجيل تجوزا تكلف وفى القاموس القضيب السيف القاطع كالقاضب سمى به من القضب لانه اقطع من الحديد (معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك) اى تقاتل بالسيف الاعداء ثم اشار الى معنى آخر فقال (وقد يحمل على انه القضيب الممشوق) اى قد يفسر به وهو مجاز من الحمل على الظاهر فحمل التأويل به كحمله عليه استعارة صارت حقيقة شائعة فيه وقد للتحقيق وقد يحمل للتقليل لقلة تفسيره بالنسبة لما قبله وقضيب فعيل بمعنى فاعل من قضبه بمعنى قطعه فهو فى السيف بمعنى انه بالغ فى القطع الى حد لم يصل اليه سواه فهو عبارة عن شجاعته وكثرة جهاده وكثرة غزواته وفتوحاته وغنائمه فان كان بمعنى العصا فهو بمعنى مفعول لانه مقطوع من الشجر وقد مرانه كان له صلى الله تعالى عليه وسلم عصا على عادة العرب فى اتخاذ عظمائهم وخطبائهم عصا يشيرون بها كما قال الشاعر

فى كفه خيزران ريحه عبق * فى كف اروع فى عرنينه شمم

كما فى كتاب العصا للجاحظ وفى القاموس قضيب ممشوق طويل دقيق من المشق وهو جذب الشيء ليطول وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم قضيب يسمى الممشوق ويحتمل انه لم يه الركى وقال ابن الجوزى كان له صلى الله تعالى عليه وسلم قضيب وهو (الذى كان يمسكه عليه الصلوة والسلام وهو الآن عند الخلفاء) يمسكونه تبركا به فكان لهم واحدا بعد واحد (واما الهراوة التى وصف بها) وصفا لغويا فى تسميته صاحب الهراوة وتقدم تفسيرها فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحملها ويتوكأ عليها وهو من بين الاسماء (فهى فى اللغة العصا واراها والله اعلم) بضم الهمزة او فتحها بمعنى اظنها اواعتقدها اوان المراد بها هنا فى التسمية (العصا المذكورة فى حديث الحوض) الذى قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن) اذود بمعنى اطرد وامنع وهو بالدال المعجمة فى اوله ومهملة فى آخره وهذا الحديث رواه مسلم فى المناقب هكذا لاهل اليمن اى لاجلهم فانهم على بعد شقتهم اجابوا دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تردد وقتال فاوردهم الحوض قبل غيرهم لتعجيلهم كما اراحوه فالجزاء من جنس العمل وفيه روايات فروى لاهل اليمن كما ذكر ومع صحته

معنى قالوا انه من طغيان القلم وعن النووى ان هذا التوجيه ضعيف او باطل لان المراد تعريفه صلى الله تعالى عليه وسلم بصفة يعرفها الناس ويستدل بها عليه وانه المشربة فى الكتب السالفة التى يعبر فيها السواك فلا وجه لتفسيره بما فى الآخرة مما لم يتقدموه ولكن يكفى فى ذلك ذكره ماوقع فى الكتب الالهية التى لم يقرأها او نقول من فسره بهذا اراد تفسيره بامر يختص به وتفسيره علما له وتقدم انه قيل الاحسن حمله على العصا التى اعطاها صلى الله تعالى عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلبت سيفا فانه معجزة له كما قال الصرصرى يمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم

وعصاه لما مسها بيده ✽ فصلت عصا صارت الى ثعبان

يعنى انها صارت معجزة اقوى من معجزة موسى عليه الصلوة والسلام بعصاه (واما التاج فالمراد به العمامة) كما تقدم (ولم تكن حينئذ) اى فى عهد بعثته وحيوته صلى الله تعالى عليه وسلم (الا للعرب والعمائم تيجان العرب) اى قائمة مقام تيجان العجم المعهودة بينهم والتاج ماتوضع على الرأس من الذهب المرصع بالجواهر والعمائم جمع عمامة وسيأتى الكلام على عمامته صلى الله عليه وسلم ولما لم يقع فى وصف الحبيب المعمم عاصر قال (واوصافه) اى الاوصاف التى اطلعت عليه (وألقابه وسماته) جمع سمة وهى العلامة كما تقدم (فى الكتب كثيرة) اراد بها كتب الحديث والسير او الكتب الالهية (وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله) اى فى المقدار الذى ذكره ما يحصل به القناعة عن غيره مما فى الكتب وفى المصباح مقنع كجعفر ما يقنع به يعنى انه اسم مكان بخور به عما يقنع به وقيل انه مصدر ميمى من قنع بمعنى رضى والاول اولى وفى بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المصنف وهى (وكانت كنيته المشهورة) والكنية ماصدر باب اوام ونحوه (ابا القاسم) اشتهر بها صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اول اولاده صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم (وروى عن انس رضى الله تعالى عنه) رواه احمد فى مسنده والبيهقى (انه لما ولد له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولده (ابراهيم) من ماريه القبطية جاريته المشهورة (جاءه جبريل عليه الصلوة والسلام فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم) وكناه به كما كناه بالقاسم ومما كنى به صلى الله تعالى عليه وسلم ابو الارامل وابو المؤمنين وورى فى السواد وارواحه امهاتهم وهو اب لهم وقيل ان هذا وامثاله مما لم [illegible] الجهة [illegible] لا كنية كانى [illegible] مسلى فى شرحه الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] اى بعظمته وفضله (مما سماه به من اسمائه) [illegible] (الحسنى) اى الحسنة الحالة لدلالتها على معان محمودة وقال الراغب الفرق بين الحسن والحسنة والحسنى ان الحسن يقال فى الاعيان والاحداث وكذلك الحسنة اذا كانت وصفا لااسما فاذا كانت اسما فهى [illegible] فى الاحداث والحسنى تكون

في الاحداث دون الاعيان انتهى (ووصف به من صفات العلى) بالضم جمع عليا كبكر وكبرى وفي بعض النسخ العليا وفي المصباح العليا كل مكان مشرف ولا وجه لتخصيصه بالمكان وقال الراغب العلى جمع للأنيث اعلى بمعنى افضل واشرف والصفات كاشئة ان (قال القاضي ابو الفضل) هو عياض المصنف (رضي الله عنه) وهو تجاهر به عن نفسه من غير قصد التمدح لاشتهاره او وراده بلا مزيد كقوله في بعض النسخ * وفقه الله * والتوفيق تهيئة الاسباب الموافقة وهي جملة دعائية معترضة (ما احرى) بفتح الهمزة وحاء ساكنة مهملة وراء مقصور بمعنى احق واولى وهي صيغة تعجب من زيادة لياقته (هذا الفصل) قال البرهان الفصل ضبط في الاصل بالرفع والظاهر نصبه لان ما تعجبية كما تقول ما اكرم زيدا كما هو معروف في النحو (فصول الباب الاول) المعقود اثناء الله عليه واظهار عظيم قدره وهذه التسمية دالة على ذلك كما اشار اليه بقوله (لانخراطه في سلك مضمونه) اى لدخوله فيما تضمنه ودل عليه من المناقب التي جرت عندها السنة الاعلام وفي السلك استعارة تخييلية ومكنية غير انهم فسروا الانخراط بالانتظام ومدة تتبع اللغة وكلام العرب فلم اجد الانخراط بهذا المعنى بل هو منساق له فان انخراط السيف اخراجه من غمده وانخراط ورق الشجر ازالته عنه بجمع الكف ومنه خرط القتاد الا انهم استعملوها كثيرا في كلام المصنفين الموثوق بهم كالزمخشري والسكاكي ولم يزل هذا يختلج في صدري ولم اجد ما يثلجه حتى وجدت ابن عباد قال في جامع اللغة خرطت الجواهر جمعتها في الخريطة وهي الكيس فعلمت ان هذا منه غير انهم تسمحوا في استعماله فذكروا السلك مكانه لانه مثله في جمع الجواهر فحمدت الله على ذلك (وامتزاجه) اى اختلاطه بحيث لا تتميز احدهما عن الآخر ومنه المزاج (بعذب معينها) وهو بفتح الميم وكسر العين المهملة بمعنى الجاري مطلقا او على وجه الارض واصله معيون فاعل كما هو فهو من عين الماء وميمه زائدة وقيل انه وزن فعيل ومعناه الماء بحراه من امعن في سيره والعذب الحلو الذي يتعدى به وفي تفسيره بالعزيز مسامحة ووجه الاستعارة فيه ظاهر ثم استدرك الاعتذار عن عدم ذكره في الباب الاول فقال (لكن الله لم يشرح الصدر للهداية الى استنباطه) اى لم يفتح الله عليه به او لا نخراجه في محله اصل الاستنباط اخراج الماء عميقة مع ماله مناسبة لطيفة وفي ذكر الخوض الآتي بعده لطف * يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا * وقوله (ولا انار) اى دل دلالة واضحة (الفكر) بكسر الفاء وسكون الكاف او فتحها جمع فكرة (لاستخراج جوهره والتقاطه) اى استخراجه من بحاره او احد ما فيه وهذا ناظر لانخراطه في سلك فيه استعارة ولف ونشر غير مرتب فيه درة ودرة (الا عند الخوض في الفصل الذي قبله) اى لم يهده الله للوقوف عليه الا عند الشروع

فيما قبله واصل الخوض الشروع في المرور في الماء فاستعير لمطلق الشروع الا انه كما قال الراغب أكثر ما ورد في القرآن فيما ذم الشروع فيه (عرآنيا ان نضمه اليه) اى الى الفصل الذى قبله بان نذكره عقبه لمناسبته له ومراده ان نجعله كالضيف الذى انزل عنده علينا قال (ونجمع به شمله) اى نضمه اليه والشمل بمعنى المتفرق اى نجمع ماتشتت منه ويكون بمعنى الجمع فهو من الاضداد (فاعلم) خطاب لكل من يصح توجيه الخطاب له كما مر (ان الله تعالى خص كثيرا من الانبياء عليهم الصلوة والسلام بكرامة) اى بامر أكرمه وشرفه به (حلاها عليهم من اسمائه) اى اعطاها لهم والبسها اياهم والاصل فى الحلية انها ثوب يلقيه الملك على من يكرمه او يوليه ولاية وشاع فى عرف الكتاب تسمية الحلية تشريفا واليه اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله فى اول هذا الفصل فى تشريف الله له بما سماه من اسمائه هو لطف لمقتبه وا له وفى نسخة عليه بالافراد وفى نسخة جعلها بدل حلاها والصحيح الاول لما عرفته وفيه استعارة لطيفة بجعل الاسم حلية لمافيها من الشهرة واظهار الكريم (كتسمية اسحق واسمعيل بعليم وحليم) فى قوله تعالى (وبشروه بغلام عليم) يعنى اسحق وقوله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) يعنى اسمعيل وهذا بناء على ان المبشر به اسحق وقيل هو اسمعيل قيل ولهذا جمع المصنف رحمه الله تعالى هنا بين اسحق واسمعيل (وابراهيم بحليم) فى قوله ان ابراهيم لاواه حليم (ونوح بشكور) اى كثير الشكر فى قوله تعالى (ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) فى الاسراء بناء على ان الضمير له لا لموسى عليهما الصلوة والسلام كما تقدم (ويحيى وعيسى ببر) فى قوله وبرا بوالديه وبرا بوالدتى وهو صفة مشبهة من البر والبر خلاف البحر لما فيه من السعة توسعوا فيه فاشتقوا منه اى التوسع فى فعل الخير وينسب ذلك تارة الى الله نحو انه هو البر الرحيم والى العبد فيقال بر العبد ربه اى توسع فى طاعته فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك ضربان ضرب فى الاعتقاد وضرب فى الاعمال وقداستعمل منه قوله تعالى (ليس البر ان تولوا وجوهكم) الآية ولذا لماسئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن البر تلا هذه الآية وبر الوالدين التوسع فى الاحسان اليهما ويستعمل البر فى الصدق لكونه بعض الخير المتوسع فيه قاله الراغب (وموسى بكريم وقوى) فى قوله تعالى (وقد جاءهم رسول كريم) وقوله ان خير من استأجرت القوى الامين وفى بعض النسخ بدل كريم كليم والصحيح الاول لانه لم يسم به الله وان كان الكلام من صفاته (ويوسف بحفيظ عليم) اى حافظ كثير العلم وهذا فى قوله تعالى (اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم) (وايوب بصابر) فى قوله تعالى (انا وجدناه صابرا نعم العبد) (واسمعيل بصادق الوعد) فى قوله تعالى (واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد) لشهرته بوفاء الوعد به من صبره

على الذبح وفدائه به ولا يرد عليه ان فيما ذكر ما هو من كلام الملائكة والانبياء لانه تعالى
حكاه واقره فكان في الحقيقة وصفا من الله تعالى ذكره واسمعيل هو ابن ابراهيم عليهما الصلوة
والسلام لا ابن هود عليه السلام فانه قول غير مشهور وما قيل من ان هذه الصفات
يوصف بها كل من قامت به فكل من قام به علم او حلم يقال له عليم وحليم مثلا
فلا اختصاص لهذه الاسماء بمن ذكر والجواب بالفرق بين ثناء الله تعالى وثناء غيره
فالاختصاص من حيث ان الله تعالى وصفهم بها وفيه غاية الاختصاص وثناء الله
على كثير من المؤمنين بالصبر والصدق ايضا لا ينافيه لان الثناء بهذه الصفات على هؤلاء
من حيث ان الله تعالى جبلهم عليها وكذا ما قيل من ان عيسى عليه الصلوة والسلام
هو الذي وصف نفسه بما ذكر الا انه لما كان في حال الطفولية والله هو الذي
انطقه على خرق العادة فالواصف هو الله في الحقيقة كلها تكلفات نحن في غنية عنها
فان المصنف لم يذكر الاختصاص وانما قال ان من اسماء الله تعالى ما سمى به رسله
تشريفا لهم وبيانا لتخلقهم باخلاقه ولا شك ان هذه الصفات اذا اجريت على الله تعالى
فلها معان لا تليق بغيره ولما كان سمى بعض بها بعض رسله دل على انها بمعنى لا يليق
بغيرهم ايضا وقد قال ابن القيم في كتاب الفوائد ان الاسماء التي تطلق على الله تعالى
وعلى غيرها اختلف فيها فقيل انها حقيقة في الله مجاز في غيره وقيل على العكس
وقيل انها مشتركة بينهما وان كان هذا مخالفا للبسط والبيان (كما نطق بذلك
الكتاب العزيز) اي كما دل عليه القرآن نصا وتصريحا فالنطق مجاز عما ذكر كما في قولهم
نطقت الحال والعزيز بمعنى الغالب لغيره من الكتب باعجازه وانما بانه لما اندرس
في غيره من الكتب (من مواضع ذكرهم) اي مستفادا من مواضع ذكرهم فيه
وان حكاه عن غيره ففيه اشارة لما تقدم (وفضل نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم)
في القرآن على غيره بمن ذكر (بان حلاه منها في كتابه العزيز) الباء سببية
متعلقة بفضل وحلاه بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام من الحلية وهي الصفة
الظاهرة او الحلي التي يزين بها اي بان وصفه او زينه وكرمه بما وصفه وسماه به
في القرآن (وعلى السنة انبيائه) في الكتب المنزلة عليهم او فيما نقل لنا عنهم (بعدة
كثيرة) بكسر العين وتشديد الدال اي بعدة اسماء وصفات كثيرة فيه تكثيرها
لان كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى (اجتمع لنا منها جملة) اي انه جمع منها اسماء
متعددة (بعد اعمال الفكر) مصدر اعمله اي جعله عاملا فاعلا لما يريده فكأنه اتخذ خادم
افكاره في النظر فيما تؤخذ منه وتدل عليها (واحضار الذكر) اي استحضارها
وتذكرها وذاله معجمة مكسورة وجوز ضمها وتفسير الذكر بالقرآن هنا لا وجه له
والحاصل انه اجتهد في جمعها وبذل فيها جهده وطاقته (اذ لم نجد من جمع منها
فوق اسمين) قيل هما رؤف رحيم في سورة براءة (ولا من تفرغ فيها لنا الف فصلين)

الفراغ خلاف الشغل الحسي والمعنوي يقال تفرغ لعمله اذا اشتغل به وترك غيره والفاء لتعليل المقابلة (وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما) نحوها بمعنى قريب اي بقريب من هذا العدد فلا يضر زيادة اونقص قليل منهما كما ان فوق مما سبق بمعنى اريد والتحرير بمعنى الكتابة اوالتهذيب والتحقيق كما مر (ولعل الله تعالى) اي ارجو من الله تعالى عز وجل الذي الهمنا ان يتم ما الهمنا والمراد الدعاء (كما الهم الى ما علم منها) ضمن الهم معنى ارشد وهدى فعداه بالى فانه يتعدى بها وباللام وعلم بتشديد اللام اي علمني من هذه الاسماء (وحققه) اي من حقيقته او جعله محققا متقنا واطلعه عليه (يتم) هذه (النعمة) وهي التعليم والتحقيق (باتمامه) اي اظهار (ما لم نظهره لنا) حتى نقف عليه والكاف للتشبيه وقدم المشبه على المشبه به اهتماما به اوهي للمبادرة كما في قولهم كما تدخل صلي (الآن) مبني على الفتح والالف واللام لازمة زائدة اي لم نظهره الى حين تحرير هذا الفصل (وفتح علينا) بفتح العين المعجمة وفتح اللام والقاف وهو ما تعالى اي ثقل به كما في المغني وفي بعض الشروح انه بضمتين وهو الباب المغلق ففيه استعارة تصريحية مرشحة ويجوز ان يكون مفتحة ثم مكسرة زنة كتف من قولهم كلام غلق فالاستعارة تبعية في قوله فتح (فمن اسمائه تعالى الحميد بمعنى المحمود ٢) فهو فعيل بمعنى مفعول لانه سبحانه الحمد (لانه حمد نفسه وحمده عباده) بناء الفعل للفاعل فيهما وذكر الاول توطئة للثاني وبيانا لانه المحمود الحقيقي وحمد غيره انما هو باقداره عليه وخلقه لقوة النطق فيه فكأنه في الحالين حمد نفسه وبهذا فسر قوله الحمد لوليه اي لموليه ومعطيه فليس احد مستحق الحمد سواه (وتكون ايضا) اي الحميد في اسمائه كما تكون بمعنى المفعول يكون بمعنى الفاعل كما قال (بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات) والاعمال الصالحة الصادرة من عباده وقال الغزالي في شرح الاسماء الحسنى انه يجوز ان يطلق على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الحميد لانه من حمدت جميع اخلاقه وعقائده واعماله الا انه لما لم ينقل لم يذكره المصنف فاشار الى انه ورد اطلاق ماهو بمعناه عليه فقال (وسمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محمدا واحمد) وهما بمعنى حمد على الوجهين (فمحمد بمعنى محمود) لان كلا منهما اسم مفعول دال على المبالغة في كونه محمودا (وكذا وقع اسمه) صلى الله تعالى عليه وسلم اي تسميته بمحمود (في زبور داود) وفي نسخة زبر بكسر الزاء وضمها وضم الباء وسكونها وهومصدر اوجمع بمعنى كل جزء منه زبورا بمعنى مزبور فلا يرد عليه ان هذا لادليل فيه على تسميته باسم الله تعالى فلا يناسب ماهو بصدده ثم اشار الى المعنى الثاني بقوله (واحمد بمعنى اكثر من حمد) فالموحدة وحمد مبني للفاعل (واجل من حمد) بالبناء للمفعول ففيه لف ونشر (والى نحو هذا) اي كون اسمه بمعنى

(٢) ومعناه المحمود نفسه

ماذكر (اشار حسان) بن ثابت الانصاري المشهور (بقوله) في شعر له من قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم (وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد) والشعر هكذا تمامه

الم تر أن الله ارسل عبده * ببرهانه والله اعلى وامجد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي اتانا بعد يأس وفترة * من الدين والاوثان في الارض تعبد
فارسله ضوأ منيرا وهاديا * يلوح كما لاح الصقيل المهند

وشق مبني للفاعل من شق الشيء اذا جعله قطعتين اي اشتق له صلى الله تعالى عليه وسلم من اسمه اسما اجله وعظمه وهمزة اسمه مقطوعة للضرورة وانما قال المصنف رحمه الله تعالى نحو ولم ينقل الى هذا لان ما في الشعر انه مأخوذ من محمود والمصنف رحمه الله تعالى بصدد اخذه من حمد وزيد في هذا

اغر عليه للنبوة خاتم * من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن اشهد

وشق الخ والبيت المذكور رواه البخاري في تاريخه وعزاه لابي طالب وهو منقول عن علي بن زيد فحسان رضي الله تعالى عنه توارد معه او ضمنه واستعان به (ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب) لان الرأفة نوع من الرحمة وقد تقدم تحقيقه (و) قد (سماه) الله (في كتابه) اي القرآن (بذلك) اي الرؤف الرحيم (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمحقق امره) اي المتصف بالوجود الازلي الابدي من ذاته لذاته لانه واجب الوجود والمحقق بمعنى المتقن وجوده او ثبوته بالبراهين القاطعة وامره بمعنى شأنه وما يجب ثبوته من صفاته وافعاله والمحقق بفتح القاف ويجوز كسرها وللحق معان اخر (وكذلك المبين) اسم فاعل من ابان اللازم لانه ورد لازما ومتعديا (اي البين) الظاهر (امره والهيته وأبان بمعنى) واحد فيكون متعديا ولازما وابان تكون بمعنى قطع وفصل انفصاله بناء على اللزوم وعلى التعدي (ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم) في الدنيا (ومعادهم) في الآخرة (وسمى النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (بذلك) اي الحق المبين (في كتابه فقال) تعالى (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) بناء على ان المراد بالحق محمد صلى الله عليه وسلم ومبين بمعنى ظاهر لعظم آياته ومعجزاته فلا وجه لما قيل ان هذا ليس على وجه التسمية وانما هو وصف للرسالة (وقال) تعالى (وقل اني انا النذير المبين) اي المحذر لكم من الله والمبين لكم امور دينكم (وقال) تعالى (قد جاءكم الحق من ربكم) على ان المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل المراد به القرآن (وقال) تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) من الله (قيل) هو (محمد) اي المراد به في هذه الآية وتكذيبه صلى الله تعالى عليه وسلم

بتكذيب رسالته وماجاء به (وقيل) المراد به (القرآن) بدليل التكذيب (ومعناه) اى الحق (هنا ضد الباطل) من حق بمعنى ثبت (والمتحقق صدقه وامره) هو تفسير لما قبله اومعنى آخر وفى تفسير البيضاوى الحق الثابت الذى لايسوغ انكاره يعم الاعيان والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج (وهو بالمعنى الاول) ضمير هو راجع الى قوله المتحقق صدقه وامره والمراد بالمعنى الاول كون الحق اسما لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (والمبين) على هذا التفسير (البين) الظاهر الذى لايخفى (امره ورسالته) وهذا على كونه من بان اللازم (او) هو (المبين) بتشديد المثناة التحتية المكسورة (عن الله مابعثه به) للخلائق كافة وعداه لتضمنه معنى المبلغ اوهو حال بتقدير ناقلا (كما قال) تعالى (لتبين للناس مانزل اليهم) من شرائعه واحكامه وهذا على انه من ابان المتعدى (ومن اسمائه تعالى النور) وقد قدمنا ماقاله الغزالى انه حقيقة فى ذات الله تعالى لان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره واليه ذهب الحكماء ونشير اليه قول الاشعرى رحمه الله تعالى انه نور ليس كالانوار وما قاله السهيلى فى الفرق بينه وبين الضياء بانه ذات المنير والضوء والضياء اشعته المنتشرة عنه ولذا قال (جعل الشمس ضياء والقمر نورا) لكثرة اشعتها فلاوجه لما يتوهم من ان الظاهر العكس ولاحاجة لتأويله اذا اطلق على الله فان اردت تحقيقه فطالع مشكاة الغزالى والمشهور فيه التأويل كما اشار اليه المصنف بقوله (ومعناه ذو النور وخالقه) عطف تفسير وهذا تأويل له بتقدير مضاف فيه لمانس (او منور السموات والارض) فعلى الاول هو حقيقة وعلى هذا هو مجاز كعدل بمعنى عادل لانه المنعم على اهلهما (بالانوار) الفائضة عليها بواسطة الكواكب ودونها والنور على هذا بمعناه الحقيقى (ومنور قلوب المؤمنين بالهداية) ولذا ورد تفسيره بالهادى وهذا على استعارة النور للهداية لما فيها من الدلالة ثم انه قد يقال بمعنى النور الهادى فيه مجاز على مجاز لاشتهار الاول حتى صار كالحقيقة (وسماه) اى سمى الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل) المراد بالنور فى هذه الآية (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم لظهور آياته (وقيل القرآن) لازالته ظلمة الكفر والجهل ولايشكل على الاول افراد الضمير بعده فى قوله يهدى به الله من اتبع رضوانه مع تغايرهما وعطفهما بالواو دون او كما قيل لان الضمير راجع اليهما معا باعتبار المذكور اولانهما كالشئ الواحد وهداية احدهما عين هداية الآخر وقد صرح الفراء فى تفسيره بجواز مثله جوازا مطردا وبه ورد القرآن فى آيات كثيرة كما بيناه فى السوانح وانشد عليه شاهدا

رمانى بامر كنت منه ووالدى * بريئا ومن جول الطوى رمانى

(وقال فيه) اى فى وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشأنه (وسراجا منيرا)

فسماه سراجا كما سماه نورا على نهج الاستعارة او التشبيه البليغ ثم بينه بقوله (سماه بذلك) اى بالنور والسراج وفى نسخة سمى بذلك (لوضوح امره) كالنور الذى لا يخفى (وبيان نبوته) اى كونها بينة ظاهرة (وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين به) وبما جاء به وهذا ناظر لقوله وتنوير قلوب المؤمنين بالهداية وفيه تنبيه لاطلاقه على القرآن ضمنا (ومن اسمائه تعالى) التى شرف بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (الشهيد) من الشهادة وهى المعاينة والاخبار بمعاينة او من الشهود وهو الحضور (ومعناه العالم) لان من شاهد شيئا علمه علما تاما قال تعالى (لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون) اى تعلمون وفى شرح المواقف الشهيد العالم بالغائب والحاضر ويوافقه اطلاق المصنف فلا يرد عليه انه فسر الاخص بالاعم وقول العراقى اذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم وان اضيف الى الغيب والامور الباطنة فهو الشهيد مدفوع (وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة) اذ يبين لهم ما صدر منهم فى حيوتهم الدنيا اذ لا يخفى عليه خافيه (وسماه) اى سمى الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا) منه ولا شهادتك على امتك ولهم وهو حال مقدرة (وقال) تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اشارة الى ما رواه مسلم من ان الله يسأل الانبياء عليهم الصلوة والسلام هل بلغتم فيقولون نعم فينكر اممهم فيقول من يشهد لكم فيقولون محمد وامته فتشهد امة محمد ويشهد عليه الصلوة والسلام لامته بصدقهم وهذا معنى الآية وهذه الشهادة لهم لا عليهم لكن ضمن شهيد معنى رقيبا وقدم الجار لاختصاصه بهذه الشهادة وفيه فضيلة له صلى الله عليه وسلم فان الانبياء يحاسبون يوم القيمة وهو لا يحاسب وفضيلة لامته اذ لم ينكروا تبليغه وقد تقدم الكلام على هذه الآية (وهو) اى الشهيد الذى اطلق عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (بمعنى الاول) اى الشاهد او بمعنى الشهيد الاول الذى اطلق على الله تعالى والاولية على الوجهين لمطلق التقدم وقيل وصف اسمه الشاهد بالاولية مع كونه ثانيا لذكر انه قيل آنه اسمه الشهيد (ومن اسمائه تعالى) اى من اسماء الله التى سمى بها نبيه (الكريم ومعناه الكثير الخير) وهو اصل معناه لغة وان احسن فى عرف اللغة والعرف العام بالسخى الكثير العطاء واليه اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وقيل المفضل) بوزن محسن ومعناه ولذا فسر بمن يعطى عفوا بغير وسيلة وسؤال (وقيل العفو) فعول من العفو وهو التجاوز عن سيئات من اساء وقيل وهو ابلغ من الغفور من حيث ان الغفر ستر السيئة والعفو محوها وهو فى الاصل القصد لتناول الشيء فاستعير لقصد ازالة المحو (وقيل العلى) وهو البالغ الى رتبة فوق كل رتبة فهو العلى فى ذاته وصفاته وفسره العراقى بانه الذى اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالى كم اعطى ولا لمن

اعطى وان رفع حاجة الى غيره لايرضى واذا جفى عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذبه والتجا فيغنيه عن الوسائل والشفعاء فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم المطلق وذلك هو الله وحده لا يناله غيره الا باكتساب وتمحل ومع ذلك لا يستوفي جميع انواعه ولذا جاز اطلاقه على غيره تعالى كالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي الحديث المروي) الذي رواه ابن ماجة في سننه (في اسمائه تعالى) اي في اسماء الله وهو متعلق بالمروي او بمقدر اي عدّ في اسمائه (الاكرم) اي الزائد على غيره في صفة الكرم وهذا يقتضي مشاركته لغيره في هذه الصفة ان فسرت بمعنى يوجد فيه وفي غيره فان فسرت بما تقدم عن الغزالي وهو مختص بالله فالتفضيل ليس على بابه بل بمعنى الكريم او على اصله على طريق التسامح كما في قوله احسن الخالقين قالوا ابن عبد السلام في اماليه هذا ونحو ارحم الراحمين واحكم الحاكمين مشكل لان افعل يضاف الى جنسه وهذا ليس كذلك لان خلق الله ايجاده وهو من غيره بمعنى الكسب وهما متباينان والرحمة من الله ان حملت على الارادة صح لان المعنى اعظم ارادة من سائر المريدين وان جعل من مجاز التشبيه وهو ان معاملته تشبه معاملة الراحم صح ايضا لانه مشترك بينه وبين عباده فان اريد ايجاد الرحمة فهو مشكل اذ لا موجد غير الله واجاب الآمدي بان معناه اعظم من سمي بهذا الاسم واستشكل بان الفاصل في غير ما وضع له اللفظ ويصح على مذهب المعتزلة لان الفاعلين عندهم كثير ثم انه قيل على المصنف ان اثباته تسمية الله بالاكرم بالحديث غفلة عن تسميته بذلك في القرآن في قوله تعالى (اقرأ وربك الاكرم) ولك ان تقول ان الذي في الآية على سبيل التوصيف والذي ذكره انه عد في الحديث في سلك الاسماء الحسنى وهو ادل على مراده (وسماه الله تعالى كريما) اي سمى الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (بقوله انه لقول رسول كريم قيل) اي قال بعض المفسرين هو في هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل جبريل عليه الصلوة والسلام) وهو قول اكثر المفسرين كما مر لانه الظاهر من السياق (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انا اكرم ولد آدم) اي اشرف من سائر الخلق الانبياء وغيرهم وقد تقدم مرارا روايته ومعناه ثم اشار بقوله (ومعاني الاسم) اي الكريم والاكرم (صحيحة في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم) لاتصافه بغاية الكرم الى انه لا اتصافه بمعناه والمراد بالاسم ما يطلق عليه سواء كان اسما او صفة فسقط ما قيل ان تسميته كريما على سبيل التوصيف لا على طريق الاسماء الاعلام وقوله اكرم ولد آدم المراد به فضله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم لا التسمية بهذا الاسم بل يدعى ان يقال باختصاص الاكرم بالله وهو غفلة عما قررناه بل هو ناشئ عن عدم فهم كلام المصنف

رحمه الله تعالى وفى ذلك اشارة الى شرفه بكونه كريما واكرم (ومن اسمائه تعالى العظيم) وهو الذى عظم حسا اوقدرا ورتبة والمراد الثانى لانه عز وجل هو العظيم على الاطلاق لبلوغه مرتبة من العظمة لا تحيط بتصورها الافهام ولا تحيط بها الاوهام لتنزهه عن ان تحيط العقول بكنه ذاته وصفاته ولذا قال (ومعناه الجليل الشان) بهمزة او الف مبدلة منها (الذى كل شئ دونه) اى قاصر عن بلوغ رتبته اذ لا كمال يدنو من كماله فى ذاته وصفاته والعظيم والجليل والكبير معانيها متقاربة الا انه قيل ان الكبير هو الكامل فى ذاته والجليل هو الكامل فى صفاته والعظيم هو الكامل فيهما (وقال) تعالى (فى) حق (النبى عليه السلام وانك لعلى خلق عظيم) لما جمع الله له من محاسن الاخلاق ما لا يتصور فى احد سواه واذا وصف خلقه بالعظيم فقد وصفه به وكان من اسمائه فلا يرد عليه انه وصف لخلقه صلى الله تعالى عليه وسلم لا له فليس ولا ان العظمة مختصة بالله او يقول انه توطئة لقوله (ووقع فى اول سفر من التوريه) بكسر السين وسكون الفاء وراء مهملة وهو الكتاب (عن اسمعيل) نبى الله بن خليل الله عليهما الصلوة والسلام وكان الظاهر ان يقول فى حق اسمعيل فكأنه ضمنه معنى سفر اى سفر فيه ما يصدر عن اسمعيل عليه الصلوة والسلام (وسيلد عظيما لامة عظيمة ٢) وفيه مبالغة فى وصفه بالعظمة اذ جعل اتباعه عظماء فما بالك به

وادا سحر الاله سعيدا * لا باس فاتهم سعداء

(ومن اسمائه تعالى الجبار) وهو صيغة مبالغة على خلاف القياس اذ لم يجئ جبر من اجبر فهو مجبر وجبار وجبرته فتعدى ولازم يقال جبرت العظم وجبر جبورا وجبر الفقير ويوصف به من الناس الشديد العدوان وله معان فى كلام العرب القهار والمسلط قال الله تعالى (وما انت عليهم بجبار) كما يأتى والقوى العظيم الجسيم والمتكبر والعال والنخلة الطويلة فهو بجبر الرب طال وجبره على كذا اكرهه والجبر خلاف القدر والجبرية بفتح الباء وسكونها وقال ابو عبيد انه مولد والمجبر الذى يجبر العظام المكسورة اى يصلحها يقال اجبرت وجبرت وهو اكثر قال (قد جبر الدين الاله فجبر) ويقال جبرتها ايضا ولما ذكرناه من معناه الحقيقى لغة اختلفوا فى تفسيره حيث وقع صفة كما قال المصنف رحمه الله (ومعناه المصلح) للعالم وللامور فاعاده متصلا به من جبرت العظم والفقير فهو من صفات الافعال (وقيل القاهر) فيرجع الى صفة القدرة الذاتية فما من مخلوق الا وهو مقهور فى قبضته تصرفه فعل به ما يريد (وقيل العلى العظيم الشان) من قولهم نخلة جبارة ونبت جبار اى طويل فاستعير من العلو الحسى للمعنوى ولذا فسروه بالعالى فوق خلقه فهو صفة ذاتية (وقيل المتكبر) المعظم الذى يرى الكل حقيرا بالاضافة الى ذاته من قولهم فيه جبرية وجبروت اى تكبر وعظمة ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول فى سجوده وركوعه سبحان ذى الملك

(٢) ووقع فى غالب النسخ هنا فهو عظيم وعلى خلق عظيم فالله اعلم

والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت (وسمي النبي صلى الله عليه وسلم) بالبناء للمجهول
اي سماه الله تعالى (في كتاب داود) اي الصحف الالهية المنزلة عليه صلى الله عليه وسلم
(بحار فقال) الله تعالى مخاطبا له صلى الله تعالى عليه وسلم لتنزيله منزلة الموجود
لتحققه في علمه الحضوري عنده (تقلد ايها الجبار سيفك) يقال تقلد السيف اذا حمل
حمائله على عاتقه وجعله كالقلادة وفيه اشارة الى انه سيؤمر بالقتال (فان ناموسك)
اي الوحي المنزل عليك او عظمتك في قلوب الناس وهذا المعنى سائغ بين الناس واصل
معناه كما في القاموس صاحب السر المطلع على باطن امرك او صاحب سر الخير
وصاحب سر الشر جاسوس وقترة الصائد وهي شئ يخفي فيه الصائد لئلا احد الصيد
وفي البيان للجاحظ قال الزبيدي الناموس دويبة تلسع الانسان مشتق
من نمس الكلام اخفاه وسمي جبريل عليه الصلوة والسلام بالناموس الاكبر لانه
يخفي الكلام حتى يلقيه الى الرسل عليهم الصلوة والسلام اسمي (وشرائعك) يحتمل
انه عطف تفسير ولذا وحد الخبر في قوله (مقرونة بهيبة يمينك) اي بالخوف
من سيفك فكني عنه كرعه او تحوز باليمين عما فيه (ومعناه في حق النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم) اي معنى الجبار الذي هو من اسماء الله اذا اطلق في وصف النبي صلى الله
عليه وسلم يقال كذا وورد في حق كذا اي امره وشانه المحقق فيه ولو فسر الجبار
في كتاب داود بالمجاهد القاتل الذي هو احد معانيه بقرينة ما بعده كان اولى من قوله
(اما لاصلاحه لامته بالهداية والتعليم) اي ارشادهم لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم
وتعليم امور دينهم فعلى هذا سمي صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه الجبار بمعنى المصلح
(او لقهر اعدائه) وفي نسخة لقهره اعدائه وهذا اشارة الى انه سمي بالمعنى الثاني الذي
مر بيانه (او لعلو منزلته على البشر) فهو مسمى به باعتبار المعنى الثالث وهو العلي ولو قال
على الخلق كان احسن وقيل انه فهم من تفضيله على البشر تفضيله على الجن
والملك بالطريق الاولى وفيه نظر (وعظيم خطره) هذا اشارة الى انه امتنع مما رام من العلو
الحسي فينزل الرتبة منزلته ويحتمل فيه انه ارتفع في مكان طال او علو القدر وهو المعظم
وهذا على هذا الوجه وعلى الاول هو كقول ابي تمام وقد ذكر علو ممدوحه
ويصعد حتى يظن الجهول * بان له حاجة في السماء

واصل الخطر ما يعطي في الرهان للمسابقة ثم استعير للشرف فقال له خطر ورجل
خطير وهو من اضافة الصفة لموصوفها ولله در العراقي رحمه الله تعالى في قوله
الجبار من الله من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبه بحيث
يجبر الخلق بهيئته وصولته على الاقتداء به وعلى اتباعه في سمته وسيرته فيفيد الخلق
ولا يستفيد ويؤثر ولا يتأثر ويتبع ولا يتبع لا يشاهده احد الا ويفني عن ملاحظة
نفسه ويصير مستوفى الهم به غير ملتفت الى ذاته ولا يطمع احد في استدراجه

واستتباعه وانما حظى بهذا الوصف سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه حيث قال (لوكان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي وانا سيد ولد آدم ولا فخر) وفي كلامه لف ونشر وايجاز اذا صل معناه في حقه عليه الصلوة والسلام كمعناه في حق الله وان لم تكن تساويه او تعادله ويدانيه ولما كان المعنى الاخير وهو المتكبر لايصح في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بوجه من الوجوه قال (ونفى عنه في القرآن جبرية التكبر) بفتح الباء وكسروه وجبروت وجبورة كفروجه التكبر كما قاله القرطبي في شرح الاسماء الحسنى واضافها الى التكبر احترازا عن الجبريه بمعنى الجبر وهو خلاف القدر وقال القرطبي الجبرية بفتح الباء خلاف القدريه عن الجوهري وحكى عن الزجاج الجبرية بالاسكان وهو اسلوب وعن ابى عبيد انه مولد (التي لا تليق به) صلى الله تعالى عليه وسلم لما تقدم من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ولان الكبرياء والتكبر من صفات الله التي لاتليق بغيره ومعنى تليق تناسب وتصح (فقال وما انت عليهم بجبار) تفسير لقوله ونفى عنه وتقدم انه فسر بمسلط والتكبر هو التعاظم على الغير وانه بجبارة وهو محرم على كل مخلوق وعاد كرناه علم مافي قول القرطبي في شرح الاسماء الحسنى انه يجب على كل مسلم مكلف ان لا يتصف باسم الجبار ولا بمعناه وانما حظه الاتصاف بنقيضه فان اطلاقه باباه اطلاقه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في تقييده ببعض معانيه وقيل تفسيره بالمسلط اولى لانه نزل في حق اهل مكة وانكارهم لبعثه فامره بان ينذرهم ولا يجبرهم على الايمان ويتسلط عليهم حتى يسلموا والآيه منسوخة بآية السيف لانها من سورة قاف وهي مكية وانما امر صلى الله تعالى عليه وسلم بالقتال بالمدينه وعلى ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى تكون غير منسوخة (ومن اسمائه تعالى الخبير) وقد ورد في القرآن معرفا ومنكرا وقال (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) من الخبر بالضم وحقيقته انكشاف باطن الخبور حتى يستوى عنده ظاهره وباطنه ولذا قيل للحارث حار ويكون بمعنى المخبر والمخبر والله تعالى مخبر لعباده قال تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) فهو من صفات الافعال وتكون بمعنى العلم من صفات الذات واذا كان بمعنى المخبر رجع الى صفة الكلام فقوله (ومعناه) اذا اطلق على الله (المطلع بكنه الشيء) اى الواقف على حقائق الاشياء وكنه الشيء بضم فسكون له معان منها الحقيقة كما في التهذيب فقال اكتنهه اذا بلغ كنهه فقوله في شرح المصباح انه مولد لا وجه له وتعديه بعلى لانه بمعنى (العالم بحقيقته) وهي ذاته لا غاية كما قيل (وقيل معناه المخبر) واصله المخبر والمراد به في حقه تعالى استدراج عباده حتى يعلم الصابر من غيره ولمزمه الحجة او يعلم سلوكه المحجة وهو اعلم بهم وفي بعض النسخ المخبر اى المخبر انه انه ورسله بكلامه المنزل عليهم او المخبر عباده يوم القيمة باعمالهم فانه لا يعزب عن علمه شيء

ثم شرع في بيان تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم به فقال (قال الله تعالى) وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن (فاسئل به خبيرا) اى عنه او الباء تجريدية والضمير لخلق السموات والارض والاستواء على العرش المذكور قبله والخبير بمعنى العالم ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى (قال القاضي بكر بن العلا) بفتح الموحدة والعين المهملة وهو بكر بن محمد بن العلا بن زياد القشيري من ولد عمران بن الحصين رضي الله تعالى عنه توفي ليلة السبت لسبع بقين من ربيع الاول سنة اربع واربعين وثلاثمائة (المأمور بالسؤال) في الآية (غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) من كل من يأتي منه السؤال لا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المخاطب (والمسؤل الخبير هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه العالم بحقيقة ما ذكر دون غيره ففيه دليل على تسميته خبيرا (وقال غيره) اى غير القاضي بكر (بل السائل النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المخاطب به (والمسئول الله تعالى فالنبي خبير بالوجهين المذكورين) اى على التفسيرين فانه بمعنى على او طرفية اما الاول فظاهر لاطلاقه عليه ولانه لو لم يكن خبيرا لم يؤمر بسؤاله واما على الثاني فلان اذنه له في السؤال دال على اعلامه به وقيل المراد بالوجهين تفسير الخبير بالعالم بالحقيقة وتفسيره بالمخبر (قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته) اى سمي خبيرا لما اعلمه الله به من الخفيات والمغيبات التي اطلعه عليها بوحيه وما فتح له عليه من المعرفة العظيمة (مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به) دون ما لم يؤذن فيه من الاسرار الالهية وما بعد قيل ناظر لكونه بمعنى العالم وهذا لكونه بمعنى المخبر والفرق بين هذا وما قبله لانه سمي خبيرا باعتبار ما اجابه به بعد سؤاله والقيل باعتبار انه عالم قبل السؤال فتدبر (ومن اسمائه تعالى الفتاح) قال الراغب اصل معنى الفتح ازالة الاغلاق والاشكال وهو ضربان احدهما ما يدرك بالبصر كفتح الباب والقفل والمتاع والثاني ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم والمشكل ومنه فتح القضية اذا فصل الحكم فيها ومنه الفاتح والفتاح للقاضي وفتح الممالك الظفر بها عنوة(٢) وفتح الله رزقه اذا جاءه من حيث لا يحتسب (ومعناه) في حق الله (الحاكم بين عباده) في فصل القضاء او بانصاف المظلوم من الظالم فهو من صفات الافعال (او فاتح ابواب الرزق والرحمة) لهم بتيسير ارزاقهم لهم وتهيئة اسبابها وفتح اقفال موانعها والرحمة الانعام اى المنعم عليهم الرازق لهم قال تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) وهو استعارة في الاصل صار حقيقة عرفية (والمنغلق من امورهم عليهم) بالجر عطف على ابواب اى فاتح المنغلق بمعنى ميسر كل صعب ومسهله وعليهم متعلق بفاتح او بالمنغلق (او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق) الذي هو الله او خلاف الباطل اى يزيل

(٢) عنة نسخه

اقفال قلوبهم المانعة لهم او غشاوة ابصارهم وبصائرهم حتى يبصروه ويهتدوا بهدايته وفتح مصدر مضارع معطوف على فاتح فان الفعل يعطف على الاسم الصفة لانهما بمعنى وفي بعض النسخ بفتح بالباء الجارة والظاهر الاول وهذا معطوف على مقدر اى المغلق (٢) بتيسيره او بفتح الى آخره (ويكون) الفتاح (ايضا) كما كان بمعنى الحاكم (بمعنى الناصر) المعين لان من شان الحاكم نصرة المظلوم ولعانة استشهد له بقوله (كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) اى لانه فسر هكذا (ان تستنصروا فقد جاءكم النصر) من عبد الله محمد لان اعداء دينه ونصره بالحق (وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر) لان الفتح جاء بمعنى البدء ومنه فاتحة الكتاب لاوله ومبدئه ومعنى مبتدئ النصر انه موجده وميسره وما النصر الا من عند الله وقوله ان تستفتحوا خطاب من الله لاهل مكة ابي جهل واضرابه حين قتل ببدر تعلقوا باستار الكعبة عند خروجهم من مكة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفريقين واكرم الحزبين فاجابهم الله تعالى متهكما بهم ان قد نصرتم (وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل) الذي تقدم ذكره (من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة) والفاتح بمعنى الفتاح والمبالغة التي فيه لا تنافي مشاركته له في اصل معناه كما توهم وكذا ما قيل من انه ليس بخاص به ولا على وجه التسمية ونحوه مما لا ينبغي ذكره (وفيه) اى في حديث الاسراء (من قول الله تعالى) لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيما خاطبه به اذ صرح به (وجعلتك فاتحا وخاتما) اى اول الانبياء وآخرهم لما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم نبي قبل خلقهم وقد تقدم بيانه او المراد به ما قاله في شرح قوله (وفيه) اى في حديث الاسراء (من قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ثنائه على ربه) اذ حمده بمحامد لم يلهمها قبل (وتعديده مراتبه) اى مقاماته بين يدي ربه (ورفع لي ذكري) بجعله قرينا لذكره كما تقدم (وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا الحاكم) وانما خصه بذلك لانه لم يكن لاحد قبل شريعته كشريعته (او الفاتح لابواب الرحمة على امته) اذ هداهم الى ما ارشدهم الى سعادة الدارين (او الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله) لدعوتهم الى معرفته تعالى وتوحيده (او الناصر للحق) والدين القويم بجهاده في سبيله تعالى (او المبتدئ بهداية الامة) لقدمه ذلك على كل من قبله (او المبدأ المقدم في الانبياء) كما بدأه اولا والمبدأ بضم الميم وتشديد الدال المهملة وهمزة كما قاله البرهان فالمقدم تفسير له فان كانت به رواية فيها والا فيجوز فتح الميم وسكون الباء الموحدة المفتوحة اولا وبجمع ضبط الدال بمعنى الاول (والخاتم لهم كما قال كنت اول الانبياء في الخلق) لخلق نور روحه قبلهم واخذ عليهم الميثاق في اتباع من ادركه منهم (وآخرهم في البعث)

(٢) اى المغلق آه اى فاتح المغلق بوجهين اما بتيسيره كل صعب او بفتحه قلوبهم آه ملا مصححه ط

باعتبار الزمان و بما قررناه علمت الجواب عما قيل من انه لا اختصاص لما ذكر غير الاخير به الا ان يقال انه وقع على اتم وجه بحيث لا يشاركه فيه غيره ثم ان المصنف رحمه الله تعالى لم يقل انه لا بد في اسمائه من اختصاص معانيها به فتدبر (ومن اسمائه) اى من اسماء الله التى سمى بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (في الحديث) الصحيح الذى رواه الترمذي وغيره عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه في تعداد الاسماء الحسنى (الشكور) وفي القرآن (ان ربنا لغفور شكور) وللشكر معنيان لغوى وعرفى مشهوران واما في حقه تعالى ف (معناه المثيب) اى المعطى الثواب الجزيل (على العمل القليل) فهو من صفات الافعال وهو مجاز لان حقيقته الثناء المقابل للاحسان فاطلق على الانعام المقابل للشكر لان العمل شكر اذ هو لا يختص باللسان فهو استعارة او من اطلاق السبب على المسبب كقوله تعالى (لئن شكرتم لازيدنكم) وهذا قريب مما قيل انه الذى يجازى على قليل من عمل الطاعة في ايام قليلة ما لا نهاية له من النعيم المخلد كما قال تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية) اى في الحيوة الدنيا لان المغايرة بينهما سهلة خلافا لمن توهم ذلك (وقيل المثنى على المطيعين) وهذا انسب بمعنى الشكر الحقيقى واقرب وقد اثنى الله على عباده الصالحين كثيرا في القرآن وكسبه المنزلة وهو الذى خلق فيهم القدرة على الطاعة ووفقهم لها كما قال ابن عطاء الله في حكمه * من نعمه عليك ان خلق فيك ونسب اليك ومع ذلك بين باحسانه عليك * فهو اثنا اى في الحقيقة على نفسه ثم ذكر ما دل على ان اسماء الله التى سمى بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يلزم اختصاصه بها فقد تشرف بها غيره كما مر فقال (ووصف) اى الله عز وجل (نبيه نوحا عليه الصلوة والسلام بذلك فقال انه كان عبدا شكورا) قيل وعلم من وصفه به وصف من هو افضل منه وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فلا ينافى ما هو بصدده من ذكر تسمية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم باسمائه ولا حاجة اليه مع قوله (وقد وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه بذلك فقال) في حديث مشهور تقدم ذكره (افلا اكون عبدا شكورا) فان الاستفهام الانكارى يدل على انه وصف مقرر له وما ذكره في حق نوح عليه الصلوة والسلام مبنى على ان الضمير راجع له لقرينة لا لموسى عليه الصلوة والسلام كما ذهب اليه بعض المفسرين (اى معترفا بنعم ربى) معترفا بها (عارفا بقدر ذلك) مؤديا لحمده (مثنيا عليه) باسانى واركانى (مجهدا) بزنة مفعل اى باذلا جهدى وطاقتى ومتعبا (نفسى في الزيادة من ذلك) اى من الاعتراف والثناء عملا بقوله تعالى (لئن شكرتم لازيدنكم) من النعم التى شكرتموها وعدا ممن لا يخلف الميعاد اذ قال لبنى اسرائيل واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم (ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة) اى احاط علمه بكل شئ مما غاب وخفى وما حضر وظهر

ودق وجل وعلمه تعالى لايشبه علم غيره وتحقيقه في علم الكلام (ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه) بمزية كمية عمى فضيلة وقال العلامة في شرح المواقف لايدرى منه فعل وتمه بمعنى هما وفي الاساس تمزيه عليه ومزالت به على ذلك وفسر المزية بقوله (فقال وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) مما حصلت به من العلم والمعارف الالهيه والامور الدينيه وفيه اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مزية في ذلك لم ينلها غيره ولايساويه فوله (وقال) كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم (ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) مما لاطريق له سوى الوحى غير المتلو ولذا اعاد الفعل لتغايرهما ولما كان هو المعلم لهم وما اعلمهم بعض مما علمه الله لم يشاركوه في هذه المزية وانما ذكر هذه الآية وان كان ظاهرها ليس مما هو بصدده لانها تدل على زيادة علمه صلى الله تعالى عليه وسلم وانه معلم اسره غير متعلم من غيره به (ومن اسمائه تعالى الاول والآخر) وقد سمى به في القرآن والاحاديث الصحيحة ومعناه بحسب اللغة وبحسب الاشتقاق وكون فائه واوا وهمزة معلوم في العربيه ووزنه افعل ويكون اول اسم تفضيل وظرفا وليس هذا محل الكلام فيه وانما الكلام في معناه في اسماء الله تعالى فقال ابن العربي للعلماء فيه عبارات فقيل الاول الموجود قبل الخلق فكان ولاشئ قبله ولامعه قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقيل انه الذي لاابتداء له وقيل انه الذي له كل شئ وبه كل شئ ومنه كل شئ كما يقال فلان اول هذا الامر وآخره وقيل الاول بصفاته وقيل بمحبته لاوليائه ومقابله الآخر فقيل هو الموجود بعد الخلق فلاشئ بعده وقيل هو الذي لاانتهاء له وقيل الذي يرجع اليه كل شئ وقال الضحاك هو الذي اخر الاواخر اى الذي جعل لكل شئ آخرا وقيل الآخر بصفاته وبقدره وقال الغزالي رحمه الله تعالى الاول والآخر متناقضان فالشئ الواحد لايكون اولا وآخرا من وجه واحد فاذا نظرت الى ترتيب سلسلة الموجودات فالله تعالى بالاضافة اليها اول لانها استفادت منه الوجود واما هو فوجود بمعنى انه غير مستفيد لوجوده من غيره فاذا نظرت الى ترتيب السلوك ومنازل السائرين فيه اليه فهو آخر ما ترتقى اليه درجة العارفين ولما كان الاول والآخر معنى كونهما كالمضادين توهم الاشتباه من الطرفين فسروه بما بعده والى هذا اشار المصنف بقوله (ومعناهما السابق للاشياء) اى جميع الموجودات (قبل وجودها) لانه الذي اوجدها وابدعها (والباقي بعد فنائها) ثم صرح بالمقصود من دفع الايهام فقال (وتحقيقه انه ليس له اول ولا آخر) ولا ابتداء ولا انتهاء فلا سابق عليه ولا باقي بعده فهو واجب الوجود وجوده عين ذاته لايتصور انفكاكه عنه فهو من صفات التنزيه وقال القرطبي انه الاول بوجوده في الازل وقبل الابتداء والآخر بوجوده في الابد وبعد الانتهاء وعلى هذا اكثر من اسماء الذات ويجوز ان يكون

من اسماء الافعال على معنى اول الاول وآخر الآخر فى الوجود ثم اشار الى اطلاقه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (وقال عليه الصلوة والسلام كنت اول الانبياء فى الخلق) يعنى انه فى عالم الذر والارواح خلقت روحه وجئ قبلهم ولذا عبر بالانبياء دون الرسل كما تقدم بيانه ولا وجه لتفسيره بانه كان نورا فى وجه آدم اذ لا يطابق قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وآخرهم فى البعث) فهو خاتمهم ونبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته لا تنقطع نبوته (وفسر بهذا) اى بتقدم خلقه وتأخر بعثته (قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الميثاق هو ان يؤمنوا بالله ويوحدوه (فقدم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الذكر لتقدمه فى الخلق بل والبعث وهذا التفسير رواه قتادة عن الحسن عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قوله عز وجل واذ اخذنا الآية فقال كنت اولهم فى الخلق وآخرهم فى البعث واما ما روى عن مجاهد من ان هذا فى ظهر آدم عليه الصلوة والسلام فتفسير آخر لا وجه لذكره هنا (وقد اشار الى نحو من هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه) فى قوله كما تقدم لما بكى على النبى صلى الله عليه وسلم اذ توفى بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين الآية وانما قال اشار ونحو لانه ليس فيه تصريح بتقديم خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ التقدم الذكرى ليس صريحا فيه لجواز كونه لشرف رتبته عنده (ونحوه) اى من قبيل ذكر كونه اولا وآخرا (قوله نحن الآخرون) اى هو صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء بعثة وامته آخر الامم (السابقون) اى اول من يقضى بينهم ويقضى لهم يوم القيمة قبل الخلائق كما صرح به فى حديث مسلم (وقوله) صلى الله عليه وسلم كما تقدم (انا اول من تنشق عنه الارض) فى الخروج من القبر للمحشر (واول من يدخل الجنة) هو وامته كما مر (واول شافع واول مشفع) اى مأذون له فى الشفاعة المقبولة وهذا بيان لاطلاق الاول عليه وقوله (وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم) لبيان اطلاق الآخر عليه ايضا فعلم منه انه يقال له صلى الله عليه وسلم الاول والآخر كما يقال على الله وان كان اطلاقهما على الله بمعنى مخصوص به كما مر واطلاقهما عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بمعنى آخر مقيد بقيود اخر تدل على تغايرهما فكفاه شرفا تسميته باسم الله ومشاركته فى لفظه فسقط ما قيل ليس هذا المعنى بالمعنى الاول قطعا ولا قريبا منهما فهو غفلة منه وزلة قدم اذ مثله لا يخفى عليه لهذا واعلم انه وقع هنا فى بعض الحواشى انه سماه بالاول والآخر والظاهر والباطن وفسر الاول والآخر بما مر والظاهر بانه الذى لا يخفى على عاقل وجوده او القادر والباطن بالمحجوب عن عباده فى الدنيا او الذى لا يحاط به او الذى لا كنه له وقيل الظاهر القريب والباطن العليم الحكيم وروى فيه حديثا وهو ان جبريل عليه

الصلوة والسلام نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السلام عليك يا اول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فقال يا جبريل كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلي وهي صفة للخالق لا تليق الا به فقال ان الله تعالى امرني ان اسلم عليك بها وقد خصك بها دون الانبياء والمرسلين وشق لك اسماء من اسمه وصفة من صفته وسماك بالاول لانك اول الانبياء خلقا وسماك آخرا لانك خاتم النبيين وسماك بالباطن لانه عز وجل كتب اسمك مع اسمه بالنور الاحمر على ساق العرش قبل ان يخلق اباك آدم بالف عام الى ما لا غاية له ولا نهاية وامرني بالصلوة والسلام عليك فصليت عليك الف عام حتى بعثك اليه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لانه اظهرك في عصرك واظهر دينك على الدين كله وفضلك على اهل السموات والارض فما منهم احد الا وقد صلى عليك صلى الله تعالى عليك وسلم فربك محمود وانت محمد وربك الاول والآخر والظاهر والباطن وانت الاول والآخر والظاهر والباطن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذي فضلني على جميع النبيين في اسمي وصفتي انتهى وهذا مما لم نره لغيره (ومن اسمائه تعالى القوى وذو القوة المتين) بالشديد المحكم قوته فالمتين اخص من القوى ولذا وصف بها والقوى وذو القوة ورد اطلاقهما عليه في القرآن واصله قوو فاعل بالقلب والقوة خلاف الضعف وهي ما يجده القادر نفسه مسلطا لتقدير المراد وان لم يفعله فهي والقدرة متقاربان وقد يراد بالقوة كثرة الاسباب المعينة كالجند والمال ونحوه ومنه قوله تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وقال الخطابي القوى يكون بمعنى القادر ومن قوى على شئ قدر عليه ويكون معناها التام القوة الذي لا يستولى عليه العجز بحال من الاحوال فيما لا يتناهى وهي مخصوصة بالله ولذا قال تعالى ان القوة لله جميعا فلا قوة لغيره الا اذا قواه الله تعالى ولذا تعبدنا بقول لاحول ولا قوة الا بالله كما قيل * بك استطيل اذا سطوت ولولا * ك لما استمسكت قوى اوصالي (ومعناه القادر) وان كان بين القوة والقدرة فرقا كما اشرنا اليه ولكنهما متلازمان ولذا فسره به الخطابي واباه القرطبي في شرح الاسماء الحسنى الا انه لا خلاف بينهما (وقد وصفه الله تعالى) اي وصف الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (بذلك فقال) انه لقول رسول كريم (ذي قوة عند ذي العرش مكين) اي ذي مكانة ورتبة عليه عند الله (قيل) المراد بذي قوة (محمد وقيل جبريل) عليهما الصلوة والسلام وعليه اكثر المفسرين كما مر وبه استدل المعتزلة على تفضيل جبريل ولا دليل فيه كما سيأتي (ومن اسمائه تعالى) التي سمى بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (الصادق المصدوق) كما رواه ابن ماجه والمصدوق

بمعنى المصدق فيما جاء به وقد وردا في اسماء الله الحسنى (في الحديث المأثور) المروى بسند صحيح (وورد في الحديث ايضا تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالصادق المصدوق) وتقدم لفظه والكلام عليه في الفصل السابق (ومن اسمائه تعالى الولى) كما قال تعالى (الله ولى الذين آمنوا) اى الذى يتولى امرهم ويقوم بنصرهم ومن اسمائه ايضا الوالى وهو بمعناه (والمولى) كما قال تعالى (ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لامولى لهم) (ومعناها) اى المولى والولى (الناصر) اى الذى ينصرهم على اعدائهم (وقال تعالى انما وليكم الله ورسوله) والذين آمنوا اى ناصركم ولم يقل اولياؤكم لان نصرهم واحدة اولان الناصر انما هو الله وغيره بتعبيه واعانته كما قال تعالى (وما النصر الا من عند الله) (وقد قال عليه الصلوة والسلام انا ولى كل مؤمن) كما رواه البخارى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ورواه احمد وابو داود انا اولى بكل مؤمن من نفسه وفى البخارى ايضا انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم فى اول الاسلام يؤتى بالرجل المتوفى فيسئل هل عليه دين وهل له وفاء فان قالوا له عليه دين وليس له وفاء قال صلوا على صاحبكم والا صلى عليه فلما فتح الله بالفتوح والغنائم قال صلى الله تعالى عليه وسلم (من مات وعليه دين فعلى قضاؤه) فقيل انه كان واجبا عليه وارتضى امام الحرمين والماوردى انه لم يكن واجبا عليه وانما كان يفعله تكرما وهل كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقضيه من الغنائم اومن خالص ماله احتمالان (وقد قال تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم) اى احق بهم من انفسهم فانه يتولى صلاحهم ونصرهم ويقضى ديونهم كما مر ويخلصهم مما يكرهون فى الدنيا والآخرة (وقال عليه الصلوة والسلام) فى حديث رواه الترمذى وحسنه (من كنت مولاه فعلى مولاه) والمراد ولاء الاسلام ونصرته كما قال الشافعى وهذا الحديث ورد فى قصة غدير خم وقيل سببه ان اسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما قال لعلى كرم الله وجهه لست مولاى انما مولاى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما سمعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم * قال من كنت الى آخره ولادليل للشيعة فيه على انه رضى الله عنه وكرم وجهه احق بالخلافة لاسيما والمولى من الولاء وله معان كالنصرة والمحبة وغيره فلا حجة لهم فيه (ومن اسمائه تعالى العفو) مبالغة فى العفو عن السيئات وهو محوها وازالة اثرها وقيل انه ابلغ من الغفور لانه من الغفر وهو الستر واما الصفح فمعناه الاعراض وهو دونهما لكنه يطلق على ذلك ايضا فلذا قال (ومعناه الصفوح) فلا يرد عليه انه لا ينبغى تفسيره به (وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه) عليه الصلوة والسلام (فى القرآن) اذ امره به فيه اذ قال (خذ العفو

وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين) فامره صلى الله تعالى عليه وسلم بالتخلق بذلك
فكان ممتثلا له متخلقا به مقتضى الاتصاف به على ابلغ وجه وانه اذ كان خلقا له
صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يرد عليه انه لم يطلق عليه في القرآن وانما امر به ولو سلم
اتصافه به لانه لا يعطى له امرا لا يقتضى كونه على وجه المبالغة التي دل عليها
صيغة فعول والامر لا يقتضى التكرار على الاصح (والتورية) وفي نسخة والانجيل
(وامره بالعفو فقال) بيان لما في القرآن (خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح) هذا مبنى
على ان العفو في هذه الآية الصفح ويدل عليه ماروى انها لما نزلت قال صلى الله تعالى
عليه وسلم لجبريل ما هذا فقال لا ادرى حتى اسئل ربي فسأله ثم رجع فقال ان ربك
امرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتحسن الى من اساء
اليك وهذا رواه البغوي والقرطبي وقيل ضعفه الحريص وعليه اعتمد المصنف
بقوله (وقال له جبريل وقد سأله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن قوله خذ العفو قال
ان تعفو عمن ظلمك) فاختصره والذي عليه الاكثر ان العفو المال الفاضل عن نفقة
العيال كما في قوله تعالى (يسئلونك ماذا ينفقون) قل العفو ثم نسخت بآية الزكوة
فلا شاهد فيها على ما نحن بصدده (وقال) هذا بيان لما في التورية وفي بعض النسخ
التصريح بقوله (في التورية) والانجيل (في الحديث المشهور ٢) الذي تقدم عن عبد الله
بن عمرو بن العاص انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو
ويصفح) وقد تقدم شرحه وان قول النساء لعمر رضي الله تعالى عنه في قصة
الحجاب لانت افظ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس افعل تفضيل على اصله
او انه فظ على من يستحق الغلاظة كالكفرة (ومن اسمائه تعالى الهادي وهو)
الضمير للهداية التي في ضمن الهادي وذكره لان تأنيث المصدر غير حقيقي اولانه
بمعنى ان يهدي كما في الكشاف (بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده) اللام زائدة
لا مقوية لتعدى التوفيق بنفسه واصل معنى الهداية كما قاله الراغب الدلالة بلطف
لما يوصل او الموصلة على الخلاف المشهور وهي على انواع الاول ما عم كل مكلف
من العقل والعلوم الضرورية والثاني دعاؤه اياهم على السنة رسله والثالث التوفيق
الذي خص به من اهتدى والرابع الهداية في الآخرة التي في قوله (الحمد لله الذي
هدانا لهذا) والانسان لا يقدر ان يهدى احدا الا بالدعاء ولذا نسب تارة وانتفى اخرى
اسمى والى احد انواعها اشار بما ذكره واشار الى الآخر بقوله (وبمعنى الدلالة والدعاء)
اي الدعوة (قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام) اي الجنة (ويهدي من يشاء
الى صراط مستقيم) اي يرشدهم الى طريق مستقيم يوصلهم الى الجنة بما خلقه فيهم
من العقل وارسل من الرسل ووفقهم لاتباعهم وتقدم ان التوفيق خلق قدرة الطاعة
في العبد وضده الخذلان ومن فسر المعنى بالهداية والتوفيق فقد ضل عن الطريق

(٢) في نسخة

وكذا ماساه عليه من ان تفسير الهداية بما ذكر مبنى على مذهب المعتزلة فى خلق العباد لافعالهم وان ماذكره المصنف لاتساعده الاصول الى غير ذلك من الخلط الناشى عن عدم معرفة قدر المصنف رحمه الله (واصل الجميع) من معانى الهداية وفيه اشارة الى انها معان مختلفة اصلها لغة (من الميل) فمن هداه الى كذا صرفه اليه وامالة عن غيره لانه من التهادى وهو التمايل وفى الحديث خرج صلى الله تعالى عليه وسلم يتهادى بين اثنين اى يتمايل (وقيل) انها مأخوذة لغة (من التقدم) ومنه هوادى الوحش للمتقدم منها والهادية العنق وهو الذى ارتضاه الراغب ثم شرع فى بيان اطلاقه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وقيل فى تفسير طه انه ياطاهر ياهادى) على طريق الرمز والاكتفاء بحرفين من الاسمين يدلان على الباقى كما فى قوله * قلت لها قفى فقالت قاف * اى وقفت (هى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يريد الله تعالى بهذين الاسمين نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم لطهارته من كل دنس وهدايته لخلقه (وقال له الله تعالى) خطابا لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) اى تدل وتدعو الى الاسلام والطريق الموصلة الى سعادة الدارين وهذا على قراءة بناء الفاعل وهى المشهورة وعلى المجهولة هو الله (وقال فيه) اى فى حقه وشانه صلى الله تعالى عليه وسلم (وداعيا الى الله باذنه) اى بتيسيره وارادته والاذن يستعمل مجازا مشهورا فى ذلك واصل الاذن معروف الاجازة وعبر فى الاولى بقوله له لكونه بصيغة الخطاب فقال قال له كذا اذا خاطبه ولما لم يكن فى الثانية خطابا قال فيه لانه فى حقه ووصفه فلاوجه لما قيل انه لاوجه لمغاير المتقاربين ثم اشار الى ان معانى الهداية منها مايختص بالله ومنها مايطلق عليه وعلى غيره فقال (والهداية بالمعنى الاول) وهو التوفيق بخلق الاهتداء (يختص بالله ٢) فانه لايقدر عليه سواه ولذا نفى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا المعنى (قال تعالى انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء) ونريد توضيحه (وبمعنى الدلالة) بضم الدال المهملة وفتحها وهى اراءة الطريق (تطلق على غيره تعالى) كالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين العلماء لوقوع الدلالة منهم وقوله تعالى (انك لاتهدى من احببت) نزلت فى ابى طالب عمه لابى العباس عمه رضى الله تعالى عنه كما قيل وكان صلى الله تعالى عليه وسلم حريصا على اسلامه حتى دخل عليه فى مرض موته وقال له ياعماه قل لااله الاالله كلمة احاج لك بها عند الله وعنده ابوجهل وصناديد قريش فقالوا له اترغب عن ملة عبد المطلب وكان آخر ماقال انه على ملة عبد المطلب فنزلت هذه الآية والشيعة يقولون انه قالها حين موته وشهد بذلك فمات مسلما وقد رده الحفاظ وقالوا انه لم يثبت (ومن اسمائه تعالى) التى سماه صلى الله تعالى عليه وسلم بها (المؤمن المهيمن فاما) واسماء الله

(٢) فائدة الى يختص بالمعنى الاول نسخه

تعالى (بمعنى واحد) ولفظهما من مادة واحدة لان الهاء عند هذا القائل مبدلة من همزته (فمعنى المؤمن) على هذا القول (فى حقه تعالى المصدق وعده) اى ماوعد به (عباده) فى الدنيا من الثواب ونعيم الآخرة والنصر العزيز فى الدنيا الى غير ذلك من وعد من لايخلف الميعاد (والمصدق قوله الحق) اى الذى صدق ماقاله من الحق كما قال فورب السماء والارض انه لحق (والمصدق لعباده المؤمنين ورسله) اى يصدق ماقالوه او جاعلهم صادقين فى قولهم ملتزمين للصدق فى اقوالهم وعهودهم كما قال الله تعالى (رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) فعلى الاول اللام غير زائدة وعلى الثانى مزيدة لتقوى وتحقيقه ان هذا الاسم سمى الله به نفسه فى القرآن والاحاديث الصحيحة واجمعت عليه الامة وهو من آمن يؤمن ايمانا فهو مؤمن اى مصدق فانه كذلك فى لغة العرب واستعمالهم وعلى هذا فقيل معناه مصدق مؤمن عباده اوالذى لايخاف ظلما وقيل معناه الذى يأمن اولياء عذابه قال الشاعر

والمؤمن العائذات الطير يمسحها * ركبان مكة بين الغيل والسند

وقال الحاكم معناه انه اذا وعد صدق وعده وقال الخطابى بعد مافسره بالمصدق انه يحتمل وجوها احدها انه يصدق عباده وعده ويفى بما ضمنه لهم من رزق الدنيا وثواب الآخرة والآخر انه يصدق ظنون عباده المؤمنين ولايخيب آمالهم كقوله انا عند ظن عبدى بى (وقيل الموحد نفسه) بقوله تعالى (شهد الله انه لا اله الا هو) وقوله تعالى (انى انا الله لااله الا انا) فصدق مانطقت به الكتاب وحكمته البراهين من توحيده فى الوهيته وهذا كله على انه من الايمان بمعنى التصديق وقوله (وقيل المؤمن عباده) كلهم مؤمنهم وكافرهم (فى الدنيا من ظلمه) اى رفعه عنه وماربك بظلام للعبيد (والمؤمنين فى الآخرة من عذابه) معطوف على قوله عباده معمول مؤمن بوزن محسن بمعنى معطى الامان فعلى هذا هو من الامن ضد الخوف فهو من صفات الافعال وعلى الاول صفة ذاتية لانه راجع للكلام ثم بعد ماس معنى المؤمن شرع فى بيان معنى المهيمن على انه بمعناه فقال (وقيل المهيمن بمعنى الامين) فوزنه مفيعل وهمزته مبدلة هاء واصله مؤيمن ومنه الاولى مضمومة زائدة ومعناه الامين كما ذكر وفى بعض النسخ بمعنى الامن وهو من طغيان القلم الا ان يراد معنى مادته المأخوذ منها وهو من اسمائه الوارده فى القرآن والحديث واجمعت عليه الامه وورد اطلاقه على غيره تعالى كما سيأتى فى مدح العباس واطلق على ابى بكر انصار رضى الله عنه فى قول الشاعر * الا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التاليه فى العرف والنكر * ولم ينكره وقال ابن الحصار لا نعلم احدا سمى به الا انه ليس فى الشرع مايمنعه وقوله (مصغره) اى مصغر من الامين وهو قول ابن قتيبة الا انه رد بانه قول مرغوب عنه لان اسماء الله تعالى لايجوز تصغيرها لايهامه التحقير وان جاء للتعظيم

فى قوله * دويهية تصفر منها الانامل * لانه انما جاء فيها يجوز تصغيره فصغروه تلطفا منهم كما قال و تقدم * ماقلت حيني من التحقير * بل يعذب اسم الشخص بالتصغير * واما اسماؤه تعالى واسماء انبيائه عليهم الصلوة والسلام فلا يجوز ذلك فيها قطعا وانما هو اسم فاعل من هيمن فهو مهيمن والياء فيه كياء بيطر وحيذر وليست للتصغير وقد جاء فى كلامهم الفاظ على وزنه كسيطر ومصيطر ومبيطر وهو البيطار ويقال له بيطر ايضا والمدير بالموحدة من الادبار ومجيمر اسم جبل وهذا البناء من النوادر غير متصرف ولم يرد له فعل فلا يقال هيمن يهيمن هيمنة وحكى الخطابى عن بعض اهل اللغة المهيمنة بمعنى القيام على الشئ والرعاية له وذكره ابن الانبارى فى الزاهر ولعل انه اختلفوا فى معناه على اقوال عشرة * الاول انه بمعنى الامين كما ذكره المصنف رحمه الله (بقلب الهمزة هاء) لانها اختها كما قالوا فى اراق هراق وفى اياك هياك وقول المصنف انه مصغر منه اى من مادته ونوعه والا فهو من الامين مصغر مؤمن ويجوز ان يعود ضمير منه الى مؤمن فليس مراده انه تصغير امين كما توهمه عبارته الا انه لظهوره لم يوضح عبارته فلا يرد عليه ماقيل انه مبنى منه لان تصغير امين امين بضم اوله وتشديد يائه وجعله شاذا لاداعى اليه واسماء الله لا تصغر ولانه زائدة للكثير ثم ذكر اسما آخر من هذه المادة فقال (وقد قيل ان قولهم فى الدعاء آمين) بالمد وقد تقصر اسم فعل كصه ومه قال الحسن معناه استجب او افعل او لا تخيب وامن اذا قال آمين وقائله مجاهد (انه اسم من اسماء الله تعالى) بدل من قوله ان قولهم فبل اصله على هذا امين بالقصر مبنى على الفتح وادخلت عليه همزة النداء وابدلت الثانية الفا ورده ابن قرقول بانه ليس فى اسماء الله اسم مبنى وقال الراغب عن ابى على ان القائل بذلك اراد ان فيه ضمير الله لان معناه استجب وقيل انه عبرانى وقيل سريانى وقيل لا نعلم اصله (ومعناه معنى المؤمن) اذا كان اسما لله ولذا قيل بنى عدمه على هذا والكلام عليه مفصل فى التفاسير * والقول الثانى فى المهيمن ما اشار اليه بقوله (وقيل المهيمن بمعنى الشاهد) اى الحاكم او الذى يشهد على كل نفس بما كسبت وقريب منه الثالث وهو الشهيد (و) الرابع (الحافظ) للموجودات عن العدم حتى يريد غيره او المحصى لاقوالهم وافعالهم * والخامس انه بمعنى العلى المتعالى * والسادس الشريف وهو قريب مما قبله * والسابع المصدق * والثامن الوالى قاله عكرمة * والتاسع القاضى قاله ابن الزبير * والعاشر الرقيب وفيه كلام فى شرح الاسماء الحسنى للقرطبى ثم شرع فى ذكر تسمية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن) اى تسمى بهذه الاسماء الثلاثة التى سمى الله بها وان لم تجد معانيها من كل الوجوه بشهادة حديث انى لامين فى الارض وامين فى السماء وكانت قريش تسميه

(صلى)

صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة محمد الامين كما مر واشار اليه بعد وسيأتي ذكر المهيمن (وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين) ان لم نقل المراد به جبريل عليه الصلوة والسلام كما تقدم اي مطاع امره وامين على وحيه واسراره (وكان يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها) من اهل مكة وطوائف العرب * والفضل ما شهدت به الاعداء * وهذا مؤيد لما قبله لان شهرته بذلك بتقدير الله تعالى واظهاره فلا يرد عليه انه بصدد تسمية الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم لا الناس حتى يقال انه لما اقره ورضي به دل على انه باذن الله تعالى وسمى بالمأمون ايضا كما في قول كعب حين كتب لاخيه بجير في حال جهاله

سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا

فلما سمعها صلى الله تعالى عليه وسلم قال مأمون ان شاء الله ان لم نقل المراد به ابو بكر رضي الله تعالى عنه ثم بين تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالمهيمن بقوله (وسماه العباس) ابن عبد المطلب عمه عليه السلام (في شعره مهيمنا في قوله) في الشعر الذي قدمناه مع شرحه (ثم احتوى (٢) بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق) وقدم شرحه فانظره (وقيل المراد يا ايها المهيمن) ولولا هذا لم يكن استشهاد بل هذا لم يكن استشهاد المصنف رحمه الله تعالى وبرأيه تعرف امثاله قوله (قاله القتبي) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري البغدادي الامام المشهور نسبة لقتيبة جده توفي سنة ست وستين ومائتين وتآليفه كثيرة (والامام ابو القاسم القشيري) عبد الكريم بن هوازن منسوب لقشير قبيلة وانما مرضه لانه تكلف ضعيف لان المعرف بال لا ينادي وتقدير انها مع تقدير حرف النداء لا يرتضيه نحوي واسهل من هذا ما قيل ان البيت هنا بمعنى العز والشرف كما في قوله

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول

واذا اعزه وشرفه بالمهيمن كان صفة له على ابلغ وجه لان صفة الصفة صفة ومثل هذه الدقة لا يحتملها الكلام فانه زهرة لا يحتمل الفرك (وقال تعالى) في وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه مؤمن اي مصدق (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق) اهله بخلوصهم واللام لتضمينه معنى يذعن ويسلم او مزيدة والآية نزلت في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قالوا في حقه امرا منكرا وقالوا اذا بلغه ذلك نحلف وتعتذر فانه اذن اي يصدق بكل ما سمعه فقال تعالى (قل هو اذن خير لكم يؤمن) الخ (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انا امنة لاصحابي (٣)) هذا طرف من حديث (النجوم امنة في السماء فاذا ذهبت السماء ما توعد وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت اتى اصحابي ما يوعدون واصحابي امنة لامتي فاذا ذهب اصحابي اتى امتي ما يوعدون) يعني ان النجوم اذا رهب قرب وقت فنائها وانسفافها ولذا كثر سقوطها عند بعثه

(٢) ثم احتوى بيته

(٣) ووقع في بعض النسخ هنا « هذا معنى المؤمن » قاله ط

صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى قرب الساعة فهو صلى الله تعالى عليه وسلم امان لاصحابه رضى الله تعالى عنهم من وقوع بأسهم بينهم ووقوع الفتن فاذا توفاه الله ابتدأ وقوع ذلك كقصة عثمان وعلى والحسين واصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم امان للناس من ظهور الفساد في البر والبحر فاذا ذهبوا بدأ ظهور ذلك وامنة بفتح الهمزة وضمها مصدر بمعنى الامان اوبه المبالغة كرجل عدل فيقع على الواحد وغيره قال الراغب يقال رجل امنة وآمنة بين يكل احدوامنه ويؤمن به انتهى ونحوه في الاساس وكونه جمع امين وهو الحافظ خلاف الظاهر للاخبار به عن الواحد وانما ذكره المصنف رحمه الله تعالى تأييدا لما قبله لانه خارج عما هو بصدده من ذكر تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم باسماء الله ادلس من هذا القبيل (ومن اسمائه تعالى) التى اطلقت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (القدوس) فعوله من القدس وهو الطهارة والنزاهة باتفاق اهل اللغة وهو بضم القاف في الاشهر وان كان القياس فتحها وهولغة فيه وقرئ بها وكل اسم على فعول فهو مفتوح الاول كذوب وسعور الا السبوح والقدوس ومنه القدس بفتحتين لا فعال والعامة تقول له قادوس وظاهر كلام القرطبى في شرح الاسماء الحسنى انه سمع والمشهور خلافه (ومعناه المنزه عن النقائص المطهر عن سمات الحدوث) اى علاماته وآثاره فلا يتصف بشئ منها (وسمى بيت المقدس به) اى من هذه المادة بالمعنى المذكور بيت المقدس بتخفيف زنة مرجع اسم مكان اومصدر ميمى من القدس وهو الطهر وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشدده من التقديس وهو التطهير وجاء بكسر الدال المشددة اسم فاعل ويقال له البيت المقدس بالوصف والاشهر الاضافة قاله الكرمانى وقد تقدم (لانه يتطهر فيه من الذنوب) بزيارته والعبادة فيه وروى النسائى باسناد صحيح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان سليمان بن داود عليهما الصلوة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغى لاحد من بعده وان لا يأتى بيت المقدس احد لا ينهزه الا الصلوة فيه يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه فاعطى جميع ذلك انتهى ولذا تشد اليه المطى كما تشد الى الكعبة ومسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ومنه الوادى المقدس) المسمى طوى وهو واد بالشام كلم الله فيه موسى عليه الصلوة والسلام سمى به لان الله تعالى قدسه وشرفه بالظهور كلامه فيه وهو من الارض المقدسة انما فيه طهر مبارك وقد فسر المقدس بالمبارك ايضا (و) منه (روح القدس) بضم ين وضم فسكون كما مر وهو جبريل عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى (قل نزله روح القدس) لنزوله بما يطهر النفوس من القرآن والحكمة والفيض الالهى وهذا هو الاصح وفيه وجوه اخر (ووقع في) بعض (كتب الانبياء)

المنزلة من عند الله تعالى عليهم (في اسمائه عليه الصلوة والسلام المقدس) هذا هو الصحيح وما في بعض النسخ من انه القدوس من غلط الناسخ فانه لايجوز ان يقال في حق مخلوق القدوس مطلقا (اى المطهر من الذنوب) لعصمة الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم من التدنس بها ومغفرتها لو فرض وقوع شيء منها يسمى ذنبا بالنسبة له صلى الله تعالى عليه وسلم (كما قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وقيل المراد ما تقدم من ذنوب امتك وما تأخر منها كما سيأتي بيانه وخوطب لانه سبب المغفرة (او الذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه) بناء المجهول فيهما والتنزه التبعد ولذا اخره لاشعار التطهير بالوقوع وقوله (باتباعه عنها) متعلق بيتنزه والباء سببية لان من اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم واتبع شرعه المطهر لا يرتكب الذنوب وان ارتكبها غفرت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (كما قال) الله تعالى (هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم ما يكفهم عن الآثام (وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور) اى من الكفر والمعاصي الى الايمان وتقوى الله وطاعته بارشادهم وتوفيق الله لهم ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ففيه استعارة تصريحية (او يكون مقدسا) الموصوف به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة) بالمعجمة اى المذمومة (والاوصاف الدنية) الحقيرة التى لا تليق بجنابه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الشرح الجديد هنا ما يركه حيرة منه (ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع) الذى لاينال ولا يدرك والعرب تقول حصن عزيز اذا كان لا يوصل اليه قال الهذلى في العقاب

حتى انتهت الى فراش عزيزة * سوداء روثة انفها كالمخصف

كذا قاله القرطبي نقلا في شرح الاسماء الحسنى وهذه صفة ذاتيه وقوله (الغالب) القاهر من صفات الافعال وكان ينبغي له ان يقول او الغالب لانه معنى آخر صرحوا به في شرح اسماء الله والجمع بينهما على انه مركب من نعت حقيقي ونعت سرنهي كما قيل خلط وخبط يعرفه من نظر شرح القرطبي لاسماء الله الحسنى ثم ان اطلاق الغالب على الله لم يأت في عداد الاسماء وورد في قوله (والله غالب على امره) اى الفعال في مخلوقاته ما يريده احبوا او كرهوا وفي التنزيل (كتب الله لاغلبن انا ورسلي) وقال الحاكم الغالب والطالب جرت عادتهم باستعمالهما في اليمين اى المنيع اى الممهل فانه يمهل ولايهمل وهو على الامهال بالغ امره انما يملي لهم ليزدادوا اثما (اوالذى لا نظير له) هذا معنى آخر قال الخطابي العزة تكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه عز يعز بكسر العين فتتناول معنى العزيز على هذا انه لايعادله شيء وانه لا مثل له انتهى وبما سمعته من تفسير العزيز ظهر ان ما قيل انما يحصر في فرد كالشمس والقمر داخل فيه فتحتاج لزيادة قيود اخر لئلا يشتمل (او المعز لغيره) فهو فعيل بمعنى

معمل وهو عزيز في العربية ولذا الاخرة المصنف يعني به انه لاعزيز الا من اعزه فالعزة له
وبيده لابيد غيره ولذا صح الاستشهاد له بقوله (وقال الله تعالى ولله العزة ولرسوله)
صلى الله تعالى عليه وسلم والآية نزلت في حق المنافق ابي بن سلول حيث قال
(ليخرجن الاعز منها الاذل) يعني بالاعز نفسه وبالاذل المسلمين فرد الله عليه على طريق
القول بالموجب ثم نفاها عنه بتقديم الخبر هنا فلا يتوهم ان انحصار العزة في الله
لايقتضي انه معز بل معزز بالفتح وقد جوز في الاسم الشريف ان يكون المعزز المعظم
وقد يقال يكفي في كونه معزا اثبات العزة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين
وانه محل الاستشهاد (اى الامتناع وجلالة القدر) معطوف على ماقبله لانه
بمعنى العزة عدم النظير وتقديره وزيادة المصنف لما ذكر اندفع ما تقدم ايضا
وقال الغزالي العزيز من العباد من يحتاج اليه في المهم وهو الحيوة الاخروية وهو مما
يعز وجوده وهو مرتبة الانبياء والحلماء وورثتهم من العلماء المرشدين وذوى
العدالة من الحكام ثم ذكر اسما للرسول ووصفه بها الله لاعلى طريق الاسمية
فقال (وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة) الاول بكسر اوله والثاني
بفتحه والبشارة الخبر السار سمي به لانه يؤثر في بشرة الوجه ولذا لو قال لعبده
من بشرني بقدوم زيد فهو حر فبشروه على ترتيب عتق الاول ولو قال من اخبرني
عتق الجميع كما مر والنذارة الاعلام بما فيه وعظ وتخويف وقوله (فبشرهم بعذاب اليم)
تهكم كما مر (فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيي
وبكلمة منه) اسمه المسيح عيسى ابن مريم ومن نكتة في بوجود المادة يجوز ان يسمى الله
مبشرا ومنذرا ومنه يكفي في كونه توقيفا والاسعرى رحمه الله تعالى يقول لابد
من وروده بعينه (وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اى مبشرا لاهل طاعته)
بما يسرهم في الدنيا والآخرة (ونذيرا لاهل معصيته) بما يسوءهم من العقاب ونحوه
(ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم انهما
من اسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وشرف وكرم وتقدم الكلام عليه مفصلا
فلا حاجة لاعادته ﴿ تنبيه ﴾ في فتاوى السبكي رحمه الله تعالى في قوله تعالى في سورة الاسراء
انه هو السميع البصير ان الضمير في قوله انه يعود على الله تعالى وقد ورد في اربعة
مواضع من القرآن وقال بعضهم ان الضمير هنا يعود على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ويكون هذان الاسمان من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعنى وصفه بهما
انه الكامل في السمع والبصر اللذين يدرك بهما الآيات التي ريناها وهو تدبر والانذار
العمل واعظم الحواس الموصلة الى العقل السمع والبصر فلى هذا وصفه صلى الله
تعالى عليه وسلم بذلك لانه لااحد اكمل منه في الانذار والاستدلال انتهى * اقول يعني

ان وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بهما هنا على هذا وقع بطريق الحصر المستفاد من تعريف الطرفين وسيق للمدح وهو امر عام فسره بما يخصصه وبصيره مدخاله ولاحاجة لهذا مع بعده فانه قدتبين توجيه اظهر منه وهوالسيح الكلام الله تعالى من غير واسطة والناظر الى نورجماله وجلاله بعين بصره وهذا مما اختص به صلى الله عليه وسلم ﴿فصل قال القاضي ابو الفضل﴾ عياض المؤلف (رضي الله عنه وههنا نكتة) وفي نسخة وها انا اذكر نكتة وهاء حرف تنبيه والاكثر وقوع اسم الاشارة خبرا عن المبتدأ الواقع بعدها نحوها انا ذا اقول وقد لا يؤتى به كما صرحوا به فمن خطأه لازما واعترض على المصنف رحمه الله تعالى لم يصب والنكتة بضم اولها وفتح المثناة الفوقية هي الامر الدقيق المحتاج الى فكر وتأمل سميت بها لان صاحبها كثيرا ما يبحث في الارض بقصب ونحوه وهو بمعنى النكت انه (اذيل بها هذا الفصل) اي اختمه بها واطوله فكون كذيل الثوب الذي تطول به وفي حديث مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه انه كان في الجاهلية مرفاندهن بالعبير ويذيل عنه الحي اي يطيل ذيلها والتذييل من روادالبيني فيه اشارة بصريحه بعده وانه اشار بقوله (واختم به هذا القسم) الذي فيه ذكر الاسماء (وازيح الاشكال بها فيما تقدم) اي ازيل ما اشكل على سامعه (عن كل ضعيف الوهم) قيل المراد بالوهم الذهن والادراك لا القوة الواهمة المعارضة للعقل فان ضعفها بقوة العقل المزيل للاوهام والاشكال فقوله (سقيم الفهم) كالمفسر له وسقمه بمعنى فانه فهو استعارة وتعبيره في الاول بالضعف وفي هذا بالسقم تفنن حسن والوهم بسكون الهاء وفتحها (تخلصه من مهاوي التشبيه) بكسر الواو جمع مهواة وهي كالهاوية الحفرة العميقة التي من يقع فيها يصعب طلوعه ومن اضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء اوهي تخييلية ومكنية والمراد بالتشبيه تشبيه الله وصفاته بغيرها لان اطلاق بعض الاسماء على الله وعلى غيره يقتضي ذلك (وتزحزحه) اي تزيله وتبعده قال تعالى ﴿فمن زحزح عن النار﴾ (عن شبه التمويه) اي الشبه بضم ففتح جمع شبهة وهو ما يلتبس واصله مالا يتميز عن غيره لتشابهما من التشابه والتمويه من الماء والمراد به زخرفة الكلام الذي لا حقيقة له وتحسينه حتى يروج على من لا علم عنده وهو استعارة قال في الاساس سرج مموه مطلي بالذهب او الفضة وحديث مموه مزخرف وماالحسن موهة وجهه بهاؤه ورونقه اسقي واتماسمي تمويها لانه يذاب حتى يصير كالماء ويقال موه عليه الخبر اخبره بخلاف ماساله عنه (وهو) عائد على ما فهم مما تقدم وهو ما يزيل الاشكال ويزيح الاوهام والبحث عن اعادة على ضعف الوهم وسقيم الفهم (ان يعتقد ان الله جل اسمه) اي عظم وبعد عن الالحاد في اسمائه بالتأويلات الباطلة ولعدا صاب قوله هنا جل اسمه بخيره

وطبق مفصله (في عظمته وكبريائه) الكبرياء الترفع عن الانقياد والعظمة جلالة ذاته في نفسها ولظهور الاولى ورد في الحديث (الكبرياء ردائي والعظمة ازاري من نازعني في شيء منهما قصمته) والفرق بينهما فيه تفصيل ليس هذا محله والجار والمجرور متعلق بما يأتي من قوله لا يشبه الى آخره وقيل انه حال لازمة من ضمير اسمه اي متصفا بهما وعبارة بعضها وكنى بالظرفية عن تمكنه فيهما من غير تصور ظرفية واستقرار ففيه استعارة تبعية او هو ظرف مستقر كأنه تمكنه واستقراره بالعلى من اتصافه فيهما انتهى وفيه تكلف (وملكوته) اي عظم وعز سلطانه وهي كلمة مبالغة من الملك كالجبروت وقد تقابل بالملك فيراد به عالم الغيب وبالملك عالم الشهادة وكلا المعنيين صحيح هنا (وحسنى اسمائه) اي اسماؤه الحسنى ووصفت بالحسنى لدلالتها على احسن المعاني واشرفها فهي صفة كاشفة لا مخصصة وفيها ما يختص به كالخالق وما يطلق عليه وعلى غيره ولها تقاسيم اخر (وعلى صفاته) بضم العين وفتح اللام مقصور جمع عليا وهي الشريفة الرفيعة وروي على فتح العين وكسر اللام وتشديد الياء وهما بمعنى (لا تشبه سيئاتها مخلوقاته) بالتاء الفوقية اي المذكورات من لفظ العظمة وما بعده وهو خبران وما بعده متعلق به او حال مما قبله وليس معترضا كما قيل (ولا تشبه به) مبني للمجهول بضم الفوقية مشددا الباء الموحدة ومجرور ضمير فيهما بالجملة اي معاني اسمائه وصفاته لا يشابه غيرها بوجه من الوجوه لقدمها وكونها على اعظم رتبة لا تصل اليها غيرها وهو جواب عن سؤال وشبهة نشأت مما تقدم تقديره ان بعض اسمائه تعالى اطلق على نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره فيلزم مشاركته عنده له فيها كما قال (وان جاءت) من اسمائه تعالى (مما اطلقه الشرع) في القرآن والاحاديث والكتب الالهية (على الخالق وعلى المخلوق) كشكور وجليل وغيره مما تقدم واعاد الجار اشارة الى تغايرهما وان اتحد لفظهما (فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي) الذي هو مأخذ الاسماء من الشكر والحفظ قال العلامة ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد اسماؤه تعالى التي تطلق عليه وعلى غيره كسميع هل هي حقيقة فيه مجاز في غيره او مجاز فيه حقيقة في غيره او حقيقة فيهما ثلاثة اقوال والاسماء الحسنى منها ما هو علم وصفة والوصف فيها لا ينافي العلمية بخلاف العباد فانها مشتركة اسمي وهو كلام مشكل فان منها ما هو حقيقة قطعا كالاله والخالق ومنها ماهو مجاز كالرحيم فان الرحمة رقة القلب وقد صرحوا بانه اطلق عليه باعتبار غايته الآن فقال انه حقيقة شرعية فان تغايرها باعتبار الصفات كالقدم والحدوث لا يستلزم اشتراكها بل كونها مقولا بالتشكيك ثم قوله (اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق) لاسم دالا على مدعاه (فكما ان ذاته لا تشبه الذوات) اي حقيقة ونفسه ومن ذهب الى ان الذات لم يرد بهذا المعنى ينكر دخول الباء عليه

الا ان الظاهر نحوه وتشهد له قولهم الدوس لملوك اليمن وقوله تعالى ذواتا افنان (وكذلك صفاته لانه صفات المخلوقين) وكون ذاته لا تشبه شيئا من الذوات هو الحق الذي ذهب اليه الاشعري وغيره من المتكلمين خلافا لمن ذهب الى انها تشبه غيرها في الحقيقة وان امتازت بالوجوب والالوهية وغيرها وتفصيله في الكتب الكلامية ۞ واعلم ان في اطلاق لفظ الذات على الله تعالى شرعا ولغة خلاف فقيل انه غير صحيح لانه مؤنث ذو ودخول ال عليه غير صحيح لغة وقال السهيلي ذهب كثير الى اطلاقها عليه وجواز تعريفها لانها بمعنى النفس والتأنيث غير مراد ويقولون ذات البارى بمعنى حقيقته ويحتجون بما ورد في الحديث الصحيح ثلاث كذبات في ذات الله تعالى وقول خبيب رضي الله تعالى عنه

وذلك في ذات الاله وان يشأ * يبارك على اوصال شلو ممزع

وقد اثبت ذلك البخاري واحمد في مسنده وقال ابن الصفوان قدامه ليست هذه اللفظة كما زعموا في اللغة والشرع بالاستغراء ولم يرد الا محرورا بفي والطريقة غير صحيحة وهي صفة لمؤنث مقدر وقدرها لطاعة الله وشريعته كما قال النابغة * مجلتهم ذات الاله ودينهم * ومن فسره بغير ذلك فقد وهم وقدر (اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاغراض) الاول بفتح مهملة والثانى بفتح معجمة او العكس ثم راء مهملة وضاد معجمة فيهما فالاول جمع عرض بفتحتين وهو ما يقابل الجوهر اي لا تقوم بذاته او بمعنى كالمرض ويكون بمعنى النقصان لان ما يعرض لا يدوم ان استمر فهو مرض عند الاطباء والا فعرض ويطلق كل منهما على الآخر والثانى هو الامر الباعث على وجود الفعل وايجاده وهذا انما لم يكن ذات الله تعالى وما تعلق بها لا تشبه شيئا من المخلوقات فان الخالق وصفاتهم لا تنفك اي لا تفارق الاعراض والله تعالى منزه عن الاعراض المحسوسة والكيفيات النفسانية لانها تابعة للمزاج المستلزم للتركيب المستلزم الحدوث المنافي لوجوب الوجود الذاتي خلافا للحكماء والكرامية وافعاله تعالى لا تعلل بالاعراض وان كان انها ثمرات وحكم كثيرة حاملة وهي تسمى عرضا ايضا وانه ليس محل خلاف وذهب السني وبعض الحنفية الى جوازه والخلاف فيه لفظي فان العرض ان كان ما يستكمل به الفاعل ويحتاج اليه فهو منفي عنه والا فيجوز اثباته له خلافا للحكماء وليس هذا محل بسط الكلام فيه وفي كلامه تجنيس (وهو تعالى منزه عن ذلك) فلا يحل به عرض ولا يفعل لغرض (بل لم يزل) موجودا ازلا وابدا (بصفاته واسمائه) الدالة على ذاته وصفاته فهي قديمة اما صفاته الذاتية فلا كلام في قدمها وفيما هو عينه وفيها ما هو غيره اولا عينه ولا غيره عند الاشعري واما صفات الافعال كالاحياء والاماتة والخلق فاختلف فيها فقيل انها قديمة والحادث تعلقها عند الماتريدية والمصنف رحمه الله تعالى منهم هنا وقيل انها حادثة

ادني اضافات تعرض له ولا محذور فيه كما حققه المتكلمون وصفاته السلبية قديمة ايضا واستحقاقه على ما ذكره قديمة ايضا لانه تعالى سمى نفسه بها في كلامه وهذا بناء على قدم الكلام اللفظي وهو مذهب السلف وبعض الخلف كالشهرستاني (وكفى بهذا) اي يكفي في اثبات كون ذاته وصفاته واسمائه لا يشبهه شئ منها (قوله تعالى ليس كمثله شئ) فانه صريح فيه سواء قلنا ان مثله كناية عن ذاته كقولهم مثلك لا يبخل والكاف غير زائدة او قلنا انها زائدة وقيل الفرق بين مثله وكمثله ان الاول يدل على المشابهة من سائر الوجوه وكمثله يدل على المشابهة بوجه ما (ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين) الدر بفتح الدال وتشديد الراء المهملتين اصل معناه اللبن الحالب ويتجوز به عن الخير والعمل الصالح واللام في لله للتعجب وكذا يستعملونه فقال لله دره للثناء عليه والتعجب من محاسنه ولم يقولوا لله هو لانه ابلغ عبارات التعجب من لبن ارتضعه كما قال لله ابوه ولله ولاه واضافوه لله اشارة الى انه لا يقدر عليه سواه واراد بالعارفين مشايخ الصوفية الماسكين بهم فان العارف مخصوص في العرف باولياء الله تعالى (التوحيد اثبات ذات) وهي ذات الله تعالى (غير مشبهة للذوات) في شيء بوجه من الوجوه (ولا معطلة من الصفات) اصل معنى التعطيل فقد الزينة والشغل والمراد به الخلو ها اي غير خالية عنها الصفات كما قاله المعتزلة هربا من تعدد القدماء والمحذور تعدد ذوات قدماء لا ذات وصفات وفيه تشبيه للصفات بالزينة (وزاد هذه النكتة) وهي معنى التوحيد الذي قاله المشايخ (الواسطي) قدس سره (بيانا وهي) اي الزيادة التي زادها فهو عائد على ما فهم مما قبله (مقصودنا) لا لانها على ما عقد له هذا الفصل (فقال ليس كذاته ذات) اي ليس كحقيقته حقيقة فلا تشاركه بوجه من الوجوه اذ لو شاركه لزم امر آخر يميز ذاته عن ذات غيره والا لاتحدا وهذا يستلزم التركيب والحدوث (ولا كاسمه اسم) اي لا يشبه مدلول اسمه مدلول اسم آخر كما مر (ولا كفعله فعل) لانه في غاية الكمال والاتقان وليس لغرض ولا عبثا كما مر (ولا كصفته صفة) لانها عظيمة قديمة وغيرها ليس كذلك (الامن جهة موافقة اللفظ اللفظ) في بعضها كسميع وبصير وحي فان ذلك في حقه ليس مثله في غيره وان كان اللفظ متحدا لما هو مقام وصحيح فقال (وجلت الذات القديمة) اي عظمت وتعالت وترهت عن (ان يكون لها صفة حديثة) اي محدثة موجودة بعد العدم لانها ان كانت صفة كمال لزم خلو الذات عنها قبل وجودها وهو نقص لا يليق بكماله والا استحال اتصافه بها وهذا مبني على قدم صفات الافعال كما تقدم (كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة) لانه لا يمتنع وجود صفة قبل موصوفها (وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة) الماتريدية فالجماعة اذا اطلق فالمراد به هؤلاء دون غيرهم من الفرق الضالة المضلة (وقد فسر الامام

ابو القاسم القشيري) قدمت ترجمته (قوله هذا) اى قول الواسطي السابق (لبريده سابا) واصحابا على اصحاب (فقال هذه الحكاية) اى المحكي المنقول عن الواسطي (تشتمل) وفى نسخة اشتملت (على جوامع) اى امور جامعة مستوعبة (مسائل التوحيد) وهو اعتقاد ان الله تعالى واحد فى ذاته وصفاته لا مثل له ولا ضد ولا ند ولا شريك له فى الوهيته واستحقاقه للعبادة (وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات) بفتح الدال المهملة اى الامور الحادثة (وهى بوجودها منفردة) منفردة عن مجانسة ومستندة لغيرها لوجوب وجودها وكونه عين ذاتها والا كانت ممكنة (وكيف تشبه فعله فعل الخلق) فى حقيقته ولوازمه وكماله (وهو) اى فعله (لغير جلب) بفتح الجيم وسكون اللام وفتحها وبابه موحدة وهو التحصيل واصل معناه السوق (انس) اى استئناس ودفع وحشة لاستغنائه عن الانس والجلاس (او دفع نقص حصل) اى ليس شئ من افعاله لنفعه بل كله لمجرد افادته الغنى المطلق (ولا بخواطر واعراض) والباء سببية وفى نسخة لخواطر باللام التعليلية واعراض بغير همزه اى ليس شئ من افعاله تعالى لخواطر تطرا عليها وباعث يدعوه لفعله كما تقدم وفى نسخة ولا بجواهر واعراض بالمهملة والصحيح روايته ومعنى الاول وهذا تحريف من النساخ وان احتمل رجوع الجواهر لذاته والاعراض لافعاله على مافيه وقوله (وجد) ماض للمجهول كما قاله البرهان ووقع فى مقابله قوله حصل اى ليس لدفع نقص حاصل ولا لخاطر وعرض موجود وفى بعض الشروح بكسر الجيم وتشديد الدال اى ليس فعله باجتهاد وجد منه والذى غره قوله (ولا بمباشرة ومعالجة) الآن قوله (ظهر) يأباه فان الافعال الثلاثة فيها ضمير عائد على الفعل فان معناه ليس فعله لدفع نقص حصل له او لخاطر وعرض وجد فى نفسه ولا بكد ظهر وجب فعله وقد وقع كل من الافعال الثلاثة فى محله فوصف النقص بحصل لانه طار عليه ووصف الخاطر بانه وجد نفسه فى نفسه كما هو شأنه كما ان شأن المباشرة كونها محسوسة فهذا ناش من عدم تأمل كلامه والمباشرة فعل الشئ بنفسه ومزاولته بجوارحه والفعل صريح بان بمباشرة وتولد كانه مس بشرته وظاهر بدنه والمعالجة المباشرة بجد وقوة يقال اعتلجوا اذا اقتتلوا اى ليس فعله كفعل غيره بعلاج واعمال وانما هو بارادته من غير شئ من ذلك (انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون (وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه) المذكورة من جلب نفع ودفع ضر واعراض ومباشرة ومعالجة (و) قد (قال آخر من مشايخنا) جمع شيخ والشيخ من كبر سنه وفى العرف من تصدر للافادة لانه انما يحصل باتفاق العمر وله جموع منها مشايخ على الاصح وقال بعض اهل اللغة انه لا اصل له ولم يسمع فى كلام العرب ورد بانه سمع كما فى شرح الفصيح (ما توهمتموه باوهامكم) اى كل شئ واقع فى اوهام الناس انه حقيقة البارى ليس كما توهمتموه (او ادركتموه بعقولكم) اى تصورتموه وعلمته عقولكم (فهو محدث مثلكم) لان

الاوهام والعقول مألوفة بادراك ماتشاهده فتظن ان الله تعالى جل وعلا مثله وتقيس الغائب على الشاهد والله تعالى اجل من ان يحيط به ادراك المدرك للامور المحدودة المتناهية وهو تعالى منزه عما يليق به مما المتناهي من المدركات وليس المراد انه لاتدرك ذاته وصفاته بوجه ما فانه معلوم بالعقل الصحيح والبراهين القاطعة فالمراد انه لا تدرك كنه ذاته وصفاته وحقيقة اسمائه تكنهه ولم نكلف بهذا وانما كلفنا بمعرفة ذاته وصفاته ووحدانيته وانه لارب ولامعبود سواه (وقال الامام ابو المعالى الجوينى) امام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى النيسابورى ابو المعالى امام الائمة علما ومجدا فريد دهره بحر العلم ونكتة عطارد صاحب الفضائل والتأليف الجليلة ولد ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة واربعمائة فى خامس وعشرين من ربيع الثانى وحوض تصم الحم من نواحى نيسابور وهو شيخ الغزالى ومعاصره (من اطمأن) بطاء مهملة ساكنة وميم وهمزة مفتوحة ونون مشددة بمعنى سكن بعد انزعاج اى فتر وسكن نفسه بعد الشك والشبه (الى موجود انتهى اليه فكره) اى ظن امرا موجودا على هيئة معينة ارتسم فى ذهنه انه الله (فهو مشبه) اى معتقد لشبه الله تعالى بغيره مما فى خزانة فكره وهو ضلال لانه ليس كمثله شئ وفكره انما هو مدركاته المشاهدة فاتصل الشبه بها واختر بقوله اطمأن عن الوسوسة فانها لا يضر بشرط اعدم ركون النفس اليها (ومن اطمأن الى النفى المحض) الخالص بان نفى ذات البارى حقيقة اوحكما كالفلاسفة القائلين لا يصدر عن الواحد بالذات الا واحد (فهو معطل) نافى للصانع فهم الدهرية القائلون بالطبائع الى غيرذلك مما لايصدر عن عاقل (وان قطع) اى جزم (بموجود) الا واجب الوجود (اعترف بالعجز عن درك حقيقته) بسكون الراء وقد تفتح اصله من ادركت الشئ ثم صار بمعنى اللحاق كالادراك لوصول العقل اليه اى بعجز عن تمام كنهها (فهو موحد) لانه عرف الله ووحده واعترف بانه لايقدر على معرفته كنهها وهذا التوحيد الصرف قال الراغب وروى عن ابى بكر رضى الله عنه انه قال يامن غاية معرفته العجز عن معرفته اذكان غاية معرفته ان تعرف الاشياء فتعلم انه ليس شئ منها ولامثلها بل هو موجد كل ما ادركته انتهى (وما احسن قول ذى النون المصرى) الزاهد العارف بالله تعالى ابو الفيض ويقال ابو الفياض واسمه ثوبان بن ابراهيم الاخميمى كان ابوه نوبيا توفى رحمه الله تعالى سنة خمس واربعين ومائتين وكان عالما بالعلوم والخطوط القديمة وحدث انه مرا من خط قديم * انا نجر بالنجوم ولست ندرى * ورب النجم يفعل ما يريد * وقيل رؤى فى المنام (حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله فى الاشياء) اى فى انشائها وابدائها (بلا علاج) اى بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة (و) ان تعلم (صنعه لها بلا مزاج) الامتزاج كالمزج الخالط ومارك منه البدن من الطبائع وهى الاخلاط الكائنة من العناصر الخاصة بحسب تكسير سورة

كل منهما سورة الآخر وهو بالمركبات العنصرية والمراد ان ايجاده لها لا يحتاج الى مادة ومعاونة تركيبها بل قدرته تعالى العلية اوجدته ابتداء من العدم بعد ان لم يكن بمجرد قوله كن فيكون فلا يحتاج الى شيء من العلل الاربع كما شار اليه بقوله (وعلة كل شيء صنعه) بمجرده وبمجرد قدرته (ولا علة لصنعه) بل في ايجاده اداوماله تعالى لا تعلل بالاعراض (ومانصوره وهمك فالله بخلافه) فان ذاته لا تشبه الذوات وافعاله لا تشبه افعال غيره فهو منزه عن ان تتصوره الاوهام (وهذا كلام نفيس عجيب) من النفاسة وهي الشرف وعلو القدر (والفصل الاخير) من كلام ذي النون وهي الفقرة الثالثة اعني قوله ومانصوره وهمك فالله بخلافه (تفسير لقوله) عز وجل اي يعني قوله (ليس كمثله شيء) فان مالا مثل له لا يرتسم في الوهم (والثاني) اي الفصل الثاني وهو قوله وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه (تفسير) وبيان (لـ) معنى (قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسألون) فانه لا علة لفعله حتى يقال له لم فعلت كذا بخلاف غيره من عبيده المكلفين (والثالث) في العدد وهو الاول اعني قوله حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج (تفسير لقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) وفي كلامه لف ونشر غير مرتب وهذا دليل لشرف علم الايجاد والتسخير (ثم الله تعالى على التوحيد) اي على العمدة الجمعة شاء مواد وحدانية الله تعالى في ذاته وانفراده بجميع شؤنه (والاساب) اي اسباب ما في نفي ذاته لذاته وصفاته لصفاته وليس المراد اثبات واجب الوجود المنافي للمعطل فانه معلوم من التوحيد الا ان يريد تجريد التوكيد (والتزيه) لذاته وصفاته عما لا يليق بها (وحدنا) اي بعدنا (طرفي الضلالة والغوايه من) طرفي (المعطل والمشبه (٢) من سائه واراد بالضلالة المعطل وبالغوايه ادعاء التشبيه والتجسيم وجعل للاعتقاد الحق طرفين افراط وتفريط والوسط هو الصراط المستقيم والدين القويم وهذا كالاستدلال على ان ما اطلق على الله وعلى غيره ليس لاشتراكهما في حقيقة المدلول والمسمى كما من سابقه مبسوطا ولما كانت هذه النسبة تستر عاوتحيرا لهم عما اعتادهم اردفه بما تتم به التحير وهو المعجزات فقال

﴿ الباب الرابع ﴾

من القسم الاول (فيما اظهره الله على يديه) صلى الله عليه وسلم ما على الدهر واوضح دونها فكني به عما كان مشاهدا (من المعجزات) وهي الامور الخارقة للعادة التي يظهرها الله تعالى على يد انبيائه عليهم الصلوة والسلام لالزام من كذبهم اذ اعجزوا عن الاتيان بالمثل وهذا هو الفرق بينها وبين الكرامة وليس الفرق ان المعجزة للنبي والكرامة للرسل كما قيل فان الكرامة تكون للنبي ايضا كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وشرفه به من الخصائص والكرامات) اي ما خصه الله تعالى به واكرمه بما لم يكن لغيره والفرق بينها وبين السحر ليس ادعاءا وقوعا فان الساحر قد يدعيها كاذبا بل انها امر الهي ليس بمزاولة العزائم ونحوها من تسخير الكواكب كما يدل عليه قوله اظهره الله وهي داله على

(٢) عسه وسله ورحمه سه

صدقه في دعوى النبوة وما كان قبل النبوة فهو ارهاص اي تأسيس للنبوة وادخلها بعضهم
في المعجزة قال الزركشي في البحر اختلف في دلالتها فذهب القشيري الى انها وضعية ومادل
وضعا يجوز ان يتبدل واختار الامام في الارشاد وابو اسحق انها عقلية وقال الامدي
في ابكار الافكار الذي ذهب اليه المحققون ان دلالة المعجزة على صدق الرسول ليست
دلالة عقلية ولا سمعية اما الاول فلان مادل عقلا يدل بنفسه ويرتبط بمدلوله لذاته
وقد تقع الخوارق عند تصرم الدنيا مع عدم دلالته على تصديق مدعي النبوة فانه
لا ارسال ولا رسول اذ ذاك واما الثاني فلان الدلالة السمعية تتوقف على صدقه
فلو توقف صدق الرسول عليها كان دورا بل دلالتها على صدقه عرية خارج عن
الدلالات الوضعية النازلة منزلة قول الله تعالى صدق عبدي انتهى وفيه بحث (قال
القاضي ابو الفضل) عياض المؤلف (رضي الله تعالى عنه حسب المتأمل) بسكون
السين اي يكفيه او يكفيانه والمتأمل هو المفكر الناظر نظرا صحيحا (ان كتابنا هذا
لم نجمعه) اي لم نؤلفه (لمنكر نبوة نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم من كفرة
(ولا لطاعن في معجزاته) اي معترض ومعارض معاند في ثبوت بعضها وان كان مظهرا
الاسلام كبعض الزنادقة واصل الطعن الرشق بالسنان ونحوه فاستعير لعيب الناس
وذمهم فقال طعنه يطعنه بالضم والفتح وقال ابن بري الاكثر في طعن السلاح بضم عين
المضارع وفي القول فتحها ونقله بعضهم عن غيره من الائمة فتأمله (فنحتاج) بالرفع
على الاستئناف او النصب في جواب النفي بناء على رأي من جوزه مستدلا بقوله

لم الق بعدهم حيا فاخبرهم * الا يزيدهم حبا الي هم

وقدمه بعض النحاة وهم نحاة المغرب (الى نصب البراهين عليها) اي على اثباتها
بالادلة القاطعة الملزمة لمن انكرها او طعن فيها ونصبها اقامتها وايضاحها
من قولهم نصب رأيا اذا اشار اليه بان لا يعدل عنه كما في الاساس (وتحصين حوزتها)
بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الزاي المعجمة وهي الناحية والجانب وتحصينها
جعلها حصينة محفوظة كان عليها حصنا يحميها وفيه استعارة تمثيلية تخييلية بجعل
المنكر كالعدو القاصد لخراب الممالك ويقال حمى حوزة وبيضة بلده اذا حفظ جوانبه
ومايلزمه حفظه (حتى لا يتوصل المطاعن اليها) جمع مطعن وهو الطعن والرد
بالاباطيل الفاسدة التي تصدر عن اهل الالحاد وضمير اليها للحوزة او للمعجزة والاول
اولى وابلغ لان عدم الوصول الى الحوزة يستلزم عدم الوصول اليها (ونذكر شروط
المعجزة والتحدي) بفتح المثناة الفوقية المشددة والحاء المهملة وكسر الدال المهملة
المشددة وياء تحتية وهو طلب المعارضة واصله مقابل الحادي في حداء الابل (وحده)
معطوف على نحتاج الداخل في حيز النفي وحده يعني تعريفه صوب كقوله (وفساد قول
من ابطل نسخ الشرائع ورده) اي لا نذكر فساده ورده معطوف على فساد او ناصب

(معطوف)

معلوف على الطل اى لم يحتمه لاجل شئ من ذلك حتى يحتاج الى ذكر مايدفعه ويقيم الحجة على بطلانه كما هو دأب المتكلمين ان يعدموا فلم احتج اثبات النبوة اوذكر المعجزات بحث ابطال قول المنكرين للنسخ لعدم فرقهم بينه وبين البداء وهم اليهود الذين تمسكوا بذلك فى ابطال نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ونبوة عيسى عليه الصلوة والسلام لنقلهم عن التورية مايدل على تأبيد شريعة موسى عليه الصلوة والسلام مع وقوع النسخ فيها كما فصل فى كتب الاصليين (بل الصباء لاهل ملته) اى انما الغناء لاهل ملته نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المؤمنين به (الملبين لدعوته) بالباء الموحدة المشددة اى القائلين له اذ دعاهم صلى الله عليه وسلم للتوحيد والدين الحق لبيك وهو عبارة عن اطاعته وتصديقه ولذا قال (المصدقين لنبوته) لاقرارهم واعترافهم بكل ماجاء به ولا يقال ان جميع التأليف الاسلاميه كذلك فانه ليس شئ منها بين الداعى لتأليفه فقال (اكون ما كتبنا فى مجموعه) صلى الله عليه وسلم دفعا لما عسى ان يقال ان المؤمنين غير محتاجين له مع اعترافهم واقرارهم بذلك فاجاب بانه مؤكد لحبهم له صلى الله عليه وسلم (مماة لاعمالهم) بالنون من النمو بمعنى الزيادة مصدر اواسم محل اى يزيدهم رغبة فى اعمالهم الصالحة او يبلغهم الاعمال او سابع اعمالهم الى الله تعالى من غيث الحديث اذا بلغه (وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) بذلك فانه يزيده او يشبه فى قلوبهم وفى تقديمه زيادة الاعمال على زيادة الايمان اشارة الى ان زيادته مبنية على دخول الاعمال والقول فى قبول الايمان الزيادة مقرر فى محله (وبنيتنا) بالنون والمثناة التحتية المشددة والمثناة الفوقية والنون قبل الالف اى قصدنا وما عزمنا عليه فى هذا الباب (ان نثبت فى هذا الباب) اى نقرر ونكتب وهو بكسر الموحدة مخففة ومشددة رواية من الاعمال اوالعمل (امهات معجزاته) اى كبارها وعظامها جمع ام (ومشاهير آياته) عاربين هما بما فان الآيات بمعنى المعجزات ايضا او المراد ماشتهر من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تحدى غيره (ليدل) مبالغة على عظم قدره (عند ربه) لما اجراه على يديه من عظيم الآيات (واتينا منها) اى ذكرنا من تلك المعجزات (بالمحقق) اى ما اشتهر وشاع حتى لم يبق فيه شبهة (والصحيح الاسناد) اى ماصح سنده وقد تقدم ان الاسناد الاتيان بالسند وهو عبارة عن الرجال الذين نقلوا الحديث منقول من سند الجبل وهو ماارتفع من سفل الجبل وقد يكون الاسناد بمعنى السند وصحته باستيفاء شروطه المذكورة فى كتاب ابن الصلاح وغيره (واكثره) اى اكثر ما اثبتناه (مما بلغ القطع) اى وصل الى رتبة القطع بحيث لا يقبل التشكك كالقرآن (اوكاد) اى قارب بلوغ القطع لشهرته وصحته فهو وان كان طالكة قوى حتى صار متيقنا بما ضمه من القرائن وحذف معمول كاد سائغ فى كلام العرب لاسيما فى السجع كما هو فيما نحن فيه (واضفنا اليها) اى ضمنا الى المعجزات المحققة

والمقارنة لها (بعض ماوقع في مشاهير كتب الائمة) يعني ائمة الحديث الذين تلقى الائمة كتبهم بالقبول كدلائل النبوة للبيهقي والسنن وبقية الكتب (واذا تأمل المتأمل المنصف ماقدمناه) اي من نظر بعين الرضاء والانصاف في صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم التي قدمها المصنف رحمه الله تعالى في هذا الباب وهذا تأكيد لما قبله من انه ذكر المعجزات ليس لاثبات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لان من تأمل صفاته علم انه غير محتاج في اثبات نبوته الى برهان بذكر معجزاته وانما ذكرت لجمعها وتأكيد ذلك كما قال المتنبي

صفاته لم تزده معرفة * وانما لذة ذكرناها

(من جميل اثره) صلى الله تعالى عليه وسلم بفتحتين وهو بقية الشيء وما يبقى بعده من آثار فعله كالصدقة الجارية والولد الصالح والعلم النافع مما يرسم في صحائف الاعمال وقيل جمع اثرة (٢) من آثره يؤثره ايثارا اذا اعطاه ومآثر العرب مكارمها ومفاخرها التي تروى وتذكر (وحميد سيره) جمع سيرة كسدرة وسدر وهي الطريقة والسنة المحمودة (وبراعة علمه) اي علمه الفائق به على غيره يقال برع براعة وبروعا اذا فاق في علم او غيره (ورجاحة عقله) اي عقله الزائد بحسب الوزن يعبر به رجح عقله (وحلمه) الراجح ايضا (وجملة كماله) اي جميع كمالاته التي لم تجتمع لغيره (وجميع خصاله) جمع خصلة وهي الصفة الحسنة وهي مجاز من الخصل وهي مايعطى في الرهان فاستعير لما ذكر كما ذكره في الاساس (وشاهد حاله) اي ماحكي عما كان يشاهد من حاله وفي تعبيره بالشاهد لطف لانه ايهام انه يشهد لمحاسنه وهو بمعنى الحاضر (وصواب مقاله) اي ماحكي من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الذي هو صواب كله وحكم وحكم والكل بالجر عطف على جملة وقوله (لم يمتر) جواب اذا اي لم يشك وبنسبه عليه وعقله يردد (في صحة نبوته) التي ادعاها واظهرها (وصدق دعوته) اي صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم في مدعاه او فيما دعا الخلق اليه من دينه وتوحيد ربه (وقد كفى هذا غير واحد) هذا فاعل كفى وهو اشارة لما ذكر من الجهل وما بعده وغير مفعوله (في اسلامه والايمان به) اي كفاه مارآه من احواله صلى الله تعالى عليه وسلم عن طلب برهان وآية على نبوته وصدق رسالته والانقياد لامره فاسلم وآمن به وغيره من ائمتهم كابي بكر رضي الله تعالى عنه فانه كان كلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم قال احلف الله هذا الامر علمه فلما دعاه للاسلام قال هذا الذي كنت ارجوه لك (حدثنا ابو علي البرمذي) الامام المشهور صاحب السنن وتقدمت ترجمته (وابن قانع) بقاف ونون مكسوره وعين مهملة بعد الف وتحته المعجمة بنافع سبق وفاء وهو غلط وهو عبد الباقي بن قانع الامام الحافظ كما تقدم (وغيرهما باسنادهم) جمع اسناد وجمع وان كان مصدرا اصله الى الاسمه (ان عبد الله بن سلام) الصحابي المشهور وهو بتخفيف اللام بغير مشدد اللام واخطأ من قال بتشديدها

(٢) قوله جمع اثرة هو بفتحتين استبداله ط

اسنا (قال لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينه) في هجرته هو وابو بكر رضي الله تعالى عنه (جئته لانظر اليه) جواب لما يعني انه سمع بقدومه صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة وقولهم انه رسول الله فاتاه ليعرف امره وهو من علماء اهل الكتاب صاحب فراسة وذكاء (فلما استبنت وجهه) استفعال من البيان وهو الوضوح والظهور والسين للمبالغة (عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب) اي لاح له من سيماه ونور النبوة في محياه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يكذب فيما ادعاه فجاء الله تعالى عنه علما مسرورا مصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ما كان علمه من صفته في التوراة والكتب السالفة وقال رضي الله تعالى عنه لليهود يا معشر يهود اتقوا الله تعالى واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله الذي تجدونه عندكم مكتوبا في التوراة باسمه وصفته واني اومن به واصدقه ثم شرع في ذكر سنده لما رواه عن الترمذي ولم يقدمه لئلا يفصل بينه وبين ما استشهد له به فقال (حدثنا به) اي بحديث ابن سلام (القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى) الحافظ المعروف بابن سكرة كما تقدم (قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي) بالتصغير ومن قال ابو الحسن مكبرا فهو مخطئ (وابو الفضل ابن خيرون) تقدمت ترجمته (عن ابي يعلى البغدادي) بفتح الباء وهو المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم (عن ابي علي السنجي) تقدم ضبطه وبيان نسبته (عن ابن محبوب) المعروف بالمحبوبي راوي السنن (عن الترمذي) كما تقدم قال (حدثنا محمد بن بشار) بفتح الموحدة وتشديد المعجمة كما تقدم قال (حدثنا عبد الوهاب الثقفي) بن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله بن الحكم بن ابي العاص الثقفي الحافظ وثقه ابن معين وقيل انه اختلط في آخر عمره توفي سنة اربع وتسعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة وترجمته في الميزان (ومحمد بن جعفر) هو غندر كما تقدم (وابن ابي عدي) محمد بن ابراهيم بن ابي عدي البصري الثقة توفي سنة اربع وتسعين ومائة وروى له اصحاب الكتب الستة (ويحيى بن سعيد) بن فروخ ابو سعيد القطان البصري التميمي الحافظ احد الائمة الاعلام توفي سنة ثمان وتسعين ومائة وترجمته في الميزان (عن عوف بن ابي جميلة) بفتح الجيم وكسر الميم (الاعرابي) سمي به لانه كان يدرب الاعراب قال ابن دقيق العيد وهو ثقة توفي سنة ست واربعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة كما في الميزان (عن زرارة بن ابي اوفى) زاي فتحه بن اوفى وهو من حفاظ التابعين وزرارة بضم الزاي المعجمة وراءين مهملتين وهو مكي تابعي صاحب قاضي البصرة ثقة عالم نبي امام في داره مهرا فاذا نقر في الناقور فشهق فمات سنة ثلاث وتسعين وروى له اصحاب الكتب الستة (عن عبد الله بن سلام الحديث) كما تقدم (وعن ابي رمثة التيمي) بكسر الراء المهملة وسكون الميم وبالمثلثة قيل اسمه عمارة وقيل رفاعة بن يثربي من تيم الرباب واختلف في اسمه فقيل رفاعة وقيل عمارة وقيل حبيب التيمي

وقيل التميمي الحنظلي في نسخة لتيم اوتميم وهما قبيلتان مشهورتان وقيل انه بلدي
ايضا (اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي) حكاية للحالة التي جاءه بها
والا فلا دخل له في القصة (فاريته) اي اراءنيه وعرفني به غيري باشارة ونحوها وهو
بضم الهمزة مجهول اراه يريه لانه لم يكن رآه قبل ذلك (فلما رأيته قلت هذا نبي الله)
اي بمجرد تعلق نظري به اعرف نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لما شاهده من عظمته
ونور نبوته فاوقع الله في قلبه علما ضروريا بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم
(وروى مسلم وغيره ان ضمادا) بكسر الضاد المعجمة وميم مفتوحة مخففة وآخره دال
مهملة وهو ضماد بن ثعلبة الازدي نسبة لازد شنوءة قبيلة مشهورة وكان صديقا
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل النبوة فلما قدم مكة وسمعهم يقولون فيه ما قالوه
اتاه واسلم في اول الاسلام وكان عاقلا يتطبب ويرقي ذكره ابن عبد البر في الصحابة
وفي الصحابة شخص آخر يسمى ضمادا وله وفادة ولا ثالث لهما (لما وفد عليه) اي
لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة في ابتداء الاسلام وقد تقدم ان الوفود
القدوم على العظماء من مكان بعيد قصدا وكان راقيا يرقي الناس في الجاهلية فلما سمعهم
يقولون ان محمدا مجنون وفد عليه فقال يا محمد اني راق فهل لك من شيء فارقيك
فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم دفعا لما قاله بما سيأتي به الآية كما بينه بقوله (فقال له
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الحمد لله) جوزوا في ان كسر الهمزة وتشديد
النون وفتح الهمزة مع التخفيف وهو ظاهر والحمد ويكون جملة انشائية او خبرية
مشهور وحسن تأكيده لان سؤاله وطلبه ان يرقيه اوهمه صدقهم فيما قالوه فاجابه
صلى الله تعالى عليه وسلم وصدر كلامه بحمد الله اشارة الى ان الله انعم عليه
بنبوته نعمة رد لما زعموه على ابلغ وجه ثم قال (نحمده ونستعينه) فابدل الجملة
الاسمية بفعلية مضارعية لانه قصد بالاولى ان الحمد ثابت ومستحق له بالاستحقاق من
قطع النظر عن الحامدين والجملة خبرية لا انشائية ثم اردفها بجملة اخرى
لانشاء حمده بنفسه لما انعم الله به عليه من جلائل النعم التي اجلها نعم النبوة المؤيدة
بالمعجزات الباهرات ولذا قطعها عما قبلها واتى بها مضارعية لتدل على الاستمرار
التجددي واسنده لضمير المتكلم مع الغير اشارة الى انه لا يقدر وحده على وفاء حق حمده
فان كان الضمير له وحده فليس لتعظيم نفسه بل لتعظيم الحمد والمحمود ونستعينه
بمعنى نطلب المعونة والمساعدة منه على اداء حق حمده او على جميع امورنا التي
من جملتها الحمد وفيه اقتداء بما ارشدنا اليه من ان الطالب للشيء يقدم عليه حمد الله
وتعظيمه كما في سورة الفاتحة ولذا اردفه بقوله (من يهده الله) اشارة الى انه
طلبه الهداية الى الطريق المستقيم كما في قوله اهدنا الصراط المستقيم ومن شرطية
جوابها قوله (فلا مضل له) اي لا يقدر احد على اضلاله (ومن يضلل فلا هادي له)

وفيه تعريض بمن تعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم بما ادعاه مالا يليق به وان الله بيده الهداية والضلال (واشهد) اعلم وادعن واعتقد (ان لا اله الا الله) اى لامعبود بحق سوى واجب الوجود المستحق لجميع المحامد (وحده لاشريك له) فى الوهيته وجميع شؤنه وهو مؤكد لما قبله لاحصر المقدم عليه (وان محمدا عبده ورسوله) ارسله لهداية خلقه وارشادهم لتوحيده وفيه دعوة اى اعترافى بانه عبده وجواب لما قوله (قال له) ضماد المذكور لما سمع ماقاله صلى الله تعالى عليه وسلم (اعد على كلماتك هؤلاء) المذكورة من قوله الحمد لله الى آخره وانما طلب اعادتها لتأملها وفهم ما اراده وهؤلاء واولئك اشارة الى جمع المذكر والمؤنث من العقلاء وغيرهم كما قال الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد اولئك الايام

فالمشار اليه هنا الكلمات (فلقد بلغن (٢) قاموس البحر) اى اشتهرت مقالتك هذه فى جميع اقطار الارض شرقا وغربا وقاموس البحر وسطه او لجته او قعره كما فى كتب اللغة من قمسه اذا غمسه ووزنه فاعول وهذه اشهر الروايات واصحها وفيه روايات اخر فروى ناعوس بنون مفتوحة وعين وسين مهملتين بينهما واو ساكنة وروى قاعوس وروى فاعوس بفاء بدل القاف ورواه ابو داود قاموس اوقاموس على الشك فى الميم والباء الموحدة وروى ناعوس بالنون ايضا وقيل ان الكل تصحيف ماعدا قاموس وقاعوس كما قاله ابن قرقول نقلا قال فلان قولا بلغ قاموس البحر اى سمعه كل ذى روح حتى دواب البحر وهو مبالغة فى شيوعه وروى قاعوس من القعس وهو خروج الصدر وبروزه وقيل انه تصحيف ممن لم يسمعها ولم يصدق بها من العقلاء مع بلوغها هذا المبلغ (هات) بكسر التاء اسم فعل معناه اعط (يدك ابايعك) بالجزم فى جواب الامر ووجه استشهاد المصنف به انه بمجرد رؤيته وسماع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم آمن به من غير تردد وليس فى كلامه مايدل على صدق مدعاه ولكنه لما رأى نور وجهه الشريف وحسن بهجته آمن به (وقال جامع بن شداد) فى حديث رواه عنه البغوى وهو ابو صخرة الاسدى الكوفى والحديث (٢) روى عن صفوان وغيره واخرج له ابو داود والنسائى وتوفى سنة ثمان اوسبع عشرة او عشرين ومائة (كان رجل منا يقال له طارق) بن عبد الله المحاربى وهو صحابى كما اشار اليه بقوله (فاخبرانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة) كما قال ابن شداد وغيره وله رواية عنه وقال ابن حبان انه اعاره بمكة بذى المجاز وهو سوق بقرب عرفة فرسخ وهو مخالف لماقاله المصنف (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم ولمن له معه (هل معكم شئ تبيعونه) انما سألهم لانهم اعراب وانما يقدم مثلهم للبيع والشراء (قلنا هذا البعير قال بكم) تبيعونه (قالوا بكذا وكذا وسقا من تمر) بكسر الواو وفتحها وهو ستون صاعا مما كال (فاخذ بخطامه) بخاء معجمة

(٢) بلغن نسخه

(٢) الحديث نسخه

وطاء مهملة وميم وهو كالزمام وزنا ومعنى اى رسنه الذى يقاده والباء مزيدة اى احدنا ليجره ويذهب به (وسار ٢) اى ذهب من عندنا البعير (فقلنا) اى قال بعضنا لبعض (منا) بعيرنا (من رجل لاندرى من هو) حتى نطالبه بالثمن والوسق المبهم فى الحديث كان ستين صاعا كما ورد التصريح به فى رواية اخرى وقوله من هو مفعول ندرى والمعنى لاندرى جواب هذا السؤال وعدى الى مفعول وهو متعد بنفسه اماباء على مذهب الاخفش من جواز زيادة من فى الاثبات وقال النووى انه لغة فيه فيتعدى بنفسه وبمن كانكح وزوج فانه قال انكحه وزوجه وانكح وزوج منه وقد وقع هذا فى كثير من الاحاديث فلاعبرة بقول من عده من لحن الفقهاء وفى مسلم لو بعت من اخيك وفى البخارى بيعه من الصواعق الى غير ذلك مما لايحصى (كذا) قوله وسقاء صوب لانه تمييز وكذا مركبة من كاف التشبيه واسم الاشارة ثم كنى به عن العدد وغيره وتكون مفردة ومكررة بعطف ودونه وذهب البصريون الى ان تمييزها لايكون الا مفردا منصوبا وذهب الكوفيون الى انها بحسب مايكنى بها عنه كناية عن ثلاثة الى عشرة وكذا كذا عبدا كناية عن مائة فصاعدا وكذا كذا عبدا كناية عن احد عشر واخواته وكذا كذا عبدا كناية عن واحد وعشرين الى تسعة وتسعين وكذا عبدا كناية عن عشرين واخواته وتفصيله فى شروح التسهيل وقد افرده بالتصنيف ابن هشام وغيره (ومعنا ظعينة) جملة حالية والمراد بالظعينة المرأة من الظعن وهو الارتحال ولذا قيل ان الظعينة امرأة فى هودج على جمل ثم تجوزوا عما ذكر والهودج بلا امرأة والجمل ظعينة وهو بظاء معجمة وعين مهملة وسميت المرأة ظعينة لظعنها مع زوجها (فقالت) اى المرأة المسمع كلامهم (انا ضامنة لثمن التمر) اى اعطيه لكم من عندى ان لم يجئ لكم منه وانما ارادت انها واثقة بانه لابد ان يجئ به لماوقع فى قلبها من ان ه صلى الله عليه وسلم لايغدر ولايخاف مراسه فيها من شاهدته ولذاقالت (رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر) هذا استئناف بيانى لوجه ضمانها لمن لم يعرفه بانها رأت فى وجهه صلى الله عليه وسلم نورا وحسن سمات تدل على انه ليس ممن يصدر منه شر وشبهت وجهه الشريف بالقمر عند كماله وزيادة نوره على عادتهم فى تشبيه الوجه الحسن به والاشارة الى انه لامثل نوره وحسنه وقد انتقد بعض الظرفاء فى قوله بلاغة للبدر وجهك اجمل في ... مالا بها فا ... جمل ... اكبها النور بالنسبى يدكركناية لى * طى ادامابدا محاه * اول رب ورتك الله * و... هجا ابن الرومى البدر فقال * لو اراد الاديب ان يهجو البد * ر رماه بالخطة الشنعاء(٢) * قال يابدر انت تعرو بالسا * رى وتعرى بروره الحساء * كاشف فى سحوب وجهك تحكى * عشا فوق وجهه رشاء * تمر تك المحاق فى كل شهر * فترى كالقلامة الحجناء * ...

(٢) الى المدينة نسخه

(٢) الشنعاء نسخه

النقصان في آخر الشهر * فيمحوك من اديم السماء (لايحسن بكم) اى حسن صورته صلى الله تعالى عليه وسلم يدل على حسن سيرته فانه لا يصدر عنه ما يذمونه فقال خاس يخيس ويخوس اذا غدر وكذب ونكث عهده واخلف وعده وهو بخاء معجمة وسين مهملة (فاصبحنا) اى مضى بعد اخذه صلى الله تعالى عليه وسلم البعير يوم وليلة ثم دخلنا في صبيحة يوم بعده (فجاء رجل) من اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الرجل لا يعرف اسمه (بتمر فقال انا رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم) ثم استأنف جواب سؤال مقدر او مطوى كأنهم قالوا ما نفعل او ما نقول فقال (يأمركم ان تأكلوا من هذا التمر) الذى جاء به (وتكتالوا) اى تكيلوا منه ثمن البعير (حتى تستوفوا ٢) اى تأخذوا الثمن من التمر الذى جاء به وافيا كاملا غير ما اكلتموه فانه هبة منه لكم وهذه من المكارم وحسن المعاملة ما لا يخفى وفى الحديث خياركم احسنكم قضاء (و) ورد (في) حديث رواه ابن اسحق فى (خبر الجلندى) وقصته (وهو) اى الجلندى (ملك عمان) وسلطانها فى عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى القاموس جلندا بضم اوله وفتح ثانيه وهو اللام المخففة ممدودا وبضم ثانيه بقصر ووهم الجوهرى فقصره مع فتح ثانيه قال الاعشى

وجلندا فى عمان مقيما * ثم قيسا فى حضرموت المنيف

ولا حجة له فيما ذكره لاحتمال انه ضرورة كما قاله تلميذه البرهان الحلبى وفى شرح المفصل لابن الحاجب الاولى ان لا تدخل عليه الالف واللام ومعناه القوى المتحمل من الجلادة كما قاله المعرى فى رسالة الغفران وعمان بفتح العين المهملة وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام وبالضم والتخفيف صقع عند البحرين وفى الشروح نقلا عن الذهبى ان له شعرا يدل على اسلامه وهذا يدل على عدم جزمه به والذى نقله النويرى فى تاريخه الجزم به وانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث عمرو بن العاص فى سنة ثمان من الهجرة الى جيفر وعبد ابنى الجلندى وهما من الازد والملك منهما جيفر وكتب اليهما كتابا فلما قدم عمان عمد الى عبد وكان احلمهما واحسنهما خلقا وقال انى رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليك والى اخيك فقال اخى مقدم علىّ فى السن وهو الملك وانا اوصلك اليه فمكث ببابه اياما ثم دعانى فدخلت عليه ودفعت اليه الكتاب ففض ختمه وقرأه ثم دفعه الى اخيه فقرأه فقال دعنى يومى هذا وارجع الى غدا فلما رجعت اليه قال انى فكرت فيما دعوتنى اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما فى يدى فقلت انى خارج فلما ايقن بخروجى ارسل الىّ واجاب الى الاسلام هو واخوه وصدقا النبى صلى الله عليه وسلم وخليا بينى وبين الصدقة والحكم بينهم فلم ازل مقيما بينهم حتى بلغنى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وهذا يدل على ان ملك عمان ابن الجلندى لا هو الا ان يقال كل من ملك عمان يسمى جلندى واما ما فى بعض الشروح من انه فى بعض النسخ ملك غسان بتشديد السين كشداد

(٢) معطا بدله

اشم قسلة ولعل تلك القبيلة سكنت تلك البلدة وكان الجلندى ملكها فما لايعول عليه لمخالفته الرواية والنسخ الصحيحة وهو الذى صححه السهيلى والشراح كلهم (لما علمه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوه الى الاسلام) كما سمعته مفصلا (قال الجلندى والله لقد دلنى على هذا النبى الامى) الذى لايقرأ ولايكتب ووصفه به لشهرته صلى الله تعالى عليه وسلم به فى الكتب القديمة ولانه مدح له كما تقدم (انه لايأمر بخير الا كان اول آخذ به) اى اول عامل بما امر به صلى الله تعالى عليه وسلم (ولاينهى عن شئ الا كان اول تارك له) كما قال صلى الله عليه وسلم (انى لاتقاكم لله واخشاكم له) وهو كما قيل

لاتنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقوله انه الى آخره اسم تأويلا وهو فاعل دل (وانه يغلب) اعداءه و ينتصر عليهم وهو مبنى للفاعل (فلا يبطر) اى لايطغى و يتكبر و يظهر الفرح وهو خصلة مذمومة وبطر من باب علم (ويغلب) بالبناء للمفعول اى يغلب احيانا فان الحرب سجال كما جرت به عادة الله فى ابتلائه (فلا يضجر) اى يقلق ويجزع بل يصبر و يحتمل مااصابه فى سبيل الله احتسابا لاجره ورضاء بما قدره الله تعالى كما هو عادة الانبياء عليهم الصلوة والسلام (و يفى بالعهد) فاذا عاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احدا لاينكث عهده كما قال الله تعالى (واوفوا بالعهد) (وينجز الموعود) اى يعجل ماوعد به لكرمه فالموعود اسم مفعول ويجوز ان يكون مصدرا فانه جاء على مفعول الا انه نادر (واشهد انه نبى) لما جمعه من اخلاقه وكمال صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا شاهد لما عقد له الفصل من ان من تأمل صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم صدق بنبوته وان لم يشاهد معجزته (وقال نفطويه) ابراهيم بن محمد الامام الجليل بن عرفة بن سليمان الازدى الواسطى النحوى المفسر الاديب وقد تقدمت ترجمته وضبط اسمه بفتح اوله وواوه وسكون ثانيه وان المحدثين يضمون ماقبل الواو ويسكنونها كما مر (فى قوله تعالى) مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية (يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا بناء على الوقف على قوله تعالى (الله نور السموات والارض) وان معنى قوله تعالى (مثل نوره) وان الضمير فى قوله تعالى (مثل نوره) لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان المشكاة هو او صدره والمصباح علمه والزجاجة قلبه والزيتونة نبوته والمعنى ان نبوته تظهر وان لم يبد معجزة و برهانا عليها وقد تقدم ذكر المصنف لهذه الآية وان هذا احد تفاسيرها وانه بعد وانما اعاده هنا لدلالتها على هذا من دلالتها على المقصود من ان المتأمل يشهد و يصدق نبوته وان لم تقم برهانا عليها فلا تكرار فى كلامه كما توهم

وهو على هذا تشبيه تمثيلي وهو ظاهر (بقول) الله تعالى (يكاد منطره) اي ما يتعلق به النطر من ذاته صلى الله عليه وسلم وصفاته (يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا) اي وان لم يظهر صلى الله عليه وسلم معجزة وخص القرآن لانه اعظم معجزاته وتلاوة القرآن معلومة وروى وان لم يقل قرآنا ثم استشهد له بما يدل على معناه فقال (كما قال ابن رواحة) رضي الله عنه وهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الانصاري الصحابي احد شعراء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد شهد معه المشاهد الا الفتح فانه مات شهيدا بمؤتة سنة ثمان من الهجرة وهو احد الامراء الثلاثة بها وهم زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب ومما روى من مدحه صلى الله عليه وسلم قوله (لو لم يكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر) ومبينة بكسر الياء المشددة اسم فاعل وبفتحها اسم مفعول ومنظره مرآه وظاهره وفي رواية كانت بداهته وهذا على نهج قوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اي مما يترتب الجواب فيه على وجود الشرط وعدمه وهو على فقد الشرط اولى ويجوز ان يبقى على حاله لانه عند ظهور الآيات لايحتاج الى الاستدلال بظاهر الحال فلا اشكال فيه اصلا واصل ينبئك بالهمزة فابدلت ياء واسكنت على حد قراءة بارئكم وفي جعل المنظر مخبرا من البلاغة مالايخفى (وقد آن بأخذ) اي نشرع (في ذكر النبوة والوحي والرسالة) فقال احد في القراءة اي شرع فيها واصل الاخذ التناول باليد ثم تجوز به عن معان منها هذا وآن بمعنى قرب اوانه (وبعده) اي بعد ذكرها نشرع (في معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة) اي دليل قاطع على نبوته وهي بفتح الدال وكسرها مصدر وتستعمل بمعنى الدليل ﴿فصل اعلم﴾ امر بالعلم اهتماما بما بعده والخطاب عام لكل من وقف على كتابه اولمن سأله تأليفه كما تقدم (ان الله جل اسمه) اي عظم وعظمت اسماؤه وجلالة اسمه تدل على جلالته بالطريق الاولى (قادر على خلق المعرفة ٢) وهي العلم بالجزئيات وتكون بمعنى مطلق العلم ايضا (والعلم بذاته) علما يقينيا وان لم تكن بالكنه والحقيقة (واسمائه وصفاته) الذاتية وغيرها (وجميع تكليفاته) التي الزمهم بها من الامور الشرعية والعادات (ابتداء) فسره بقوله (دون واسطة) تتوسط بينه وبينهم في اعلامهم وتعليمهم ماذكر (لو شاء كما حكى عن سنته) اي عادته تعالى وطريقته (في بعض الانبياء) عليهم الصلوة والسلام اذ عرفهم بعض الامور السابقة بدون واسطة بان اوقع ذلك في قلوبهم وكشفه لهم او الهمهم او اراهم ذلك في مناماتهم الصادقة وهذا مما شاع وذاع وملأ الاسماع وكون كل علم ينقسم الى نظري وضروري المراد به غير علوم الانبياء كما صرحوا به وفي الكشاف جرت العادة بان كل علم نظري كسبي ثم في قدرة الله تعالى احداث علم واحداث القدرة عليه من غير تقدم نظر قال بعضهم كعلوم

(٢) في قلوب عباده نسخه

الانبياء التي ليست ضرورية ولا نظرية فحلق فيهم العلم بلا تقدم نظر لئلا يكونوا زمان النظر شاكين وذلك لا يصح عليهم في التوحيد ولو كان ضروريا لم يكن عليه امر فجمع بين كونه مقدورا لنا لولا الاحر وعدم تقدم النظر ليتقي الريب وهذا هو الذي ارتضاه المحققون فما نقل عن بعض مشايخ الصوفية ان علوم الانبياء جميعها ضرورية غير مسلم (وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) بناء على ان الوحي يشتمل الالهام ونحوه وليس المراد به ما كان بواسطة الملك فقط (وجائز ان يوصل) الله معطوف على قوله اولا قادر (الفهم في جميع ذلك) المذكور من العلوم السالفة (بواسطة يلقيهم) صفة واسطة بالموقعة او التحتيه اي يوصله بكلام يدل عليه (ويكون تلك الواسطة اماما غير البشر كالملائكة مع الانبياء) عليهم الصلوة والسلام سواء رأوهم متمثلين بصورة غير صورتهم او على صورهم الاصلية كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم او لم يروهم كما كان يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم احيانا كصلصلة الجرس وليس رؤية الملك مخصوص بالانبياء عليهم الصلوة والسلام بل قد يراه غيرهم من خلص عباده كريم (او من جنسهم كالانبياء مع الامم) الذين ساقوهم عن الله ما امرهم به (ولا مانع لهذا) المذكور قطعا (من دليل العقل) اي من دليل هو العقل فالاضافة بيانية او هي ... حلافا للبراهمة الذين جعلوه مستحيلا لا لاداء ... ارسال الرسل عبثا وضلالا عما تطلب به الكتب الالهية ودلت عليه الادلة العقلية كما بين في الكتب الكلامية كما اشار اليه بقوله (واذا جاز هذا ولم يستحل) اي لم يعد محالا عقلا (وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم) الظاهرة المحققة (وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به) عن الله وبلغوه لاممهم (لان المعجزة مع التحدي من النبي) اي اظهار النبي معجزته وطلبه ممن انكره ان يأتي بمثلها لان معنى التحدي هو الطلب المذكور لانه مأخوذ من تحدى الابل اذا سعى لها ليسعلها ومن دأبهم ... ان ... بل ... اوبان ذلك فهو من النبي (قائم مقام قول الله) الذي اقدره على ذلك ... (صدق عبدي) ورسولي فيما ادعاه لما ... من البرهان الذي لا يقدر عليه احد من جنسه (فاطيعوه واتبعوه) في كل ما يأمركم به لانه من عند الله (وشاهد على صدقه) في كل ما قاله وهو معطوف على قوله قائم خبران وقد تقدم الكلام على دلالة المعجزة وانها سمعية او وضعية والفرق بينها وبين الكرامة والسحر (وهذا) الكلام (كاف) فيما قصدناه (والتطويل فيه خارج عن الغرض) الذي قصد الكتاب لاجله (فمن اراد تتمة) اي الوقوف على (وجده مستوفى) حيز من اوخواتها اي تقف على تمامه وتفصيله (في مصنفات ائمتنا رحمهم الله تعالى) وعلمائنا وفي نسخة في كتب ائمتنا (والنبوة في لغة من همزه) اشارة الى ان فيه لغتين الهمز وتركه الا ان الهمز هو الاصل

كما ذهب اليه كثير من اللغويين والنحاة وان كان ترك الهمز هو الاكثر ولذا نقل انه لغة
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه انكر على من قال له يا نبيء الله بالهمز ويأتي
الكلام عليه (مأخوذ من النبأ وهو الخبر) لانبائه واخباره عن الله تعالى وقال الراغب
النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم او غلبة ظن فلا يقال له نبأ حتى يتضمن هذه
الاشياء الثلاثة ويكون صادقا فالخبر اعم منه (وقد لا تهمز) بالتاء الفوقية والياء للمجهول
اي النبوة ويجوز قراءته بالمثناة التحتية باعتبار اللفظ (على هذا التأويل) اي تفسيره
بالنبأ (تسهيلا) اي تبدل همزته واوا تخفيفا لكثرة الاستعمال فهو بدل من جنس الحركة
التي قبلها وهي الضمة والتسهيل عند القراء بمعنى جعل الهمزة بينها وبين الحرف
الذي منه حركتها وليس بمراد هنا (والمعنى) اي معنى النبي المفهوم من الكلام على
هذا القول (ان الله اطلعه على غيبه) اي اعلمه واخبره بغيباته (واعلمه انه نبيه) الموحى
اليه (فيكون نبيا منبأ) صيغة المفعول مشدد الباء الموحدة ويجوز تخفيفها اي يكون
من اطلعه واعلمه انه نبي منبأ (فهو فعيل بمعنى مفعول او يكون) معناه (مخبرا)
بكسر الباء اسم فاعل (عما بعثه الله به ومنبئا) اسم فاعل بتشديد الباء وتخفيفها (عما
اطلعه الله عليه) من علمه ومن انه نبي فهو (فعيل بمعنى فاعل) على هذا (ويكون عند
من لم يهمزه) اي يقول بان اصله الهمز من النبأ مأخوذ (من النبوة) مصدر بزنة
فعولة في الاصل فعل وشاع بمعنى المرتفع (وهو) ذكره باعتبار اللفظ اي نظرا للخبر اي
(ما ارتفع من الارض) فهو كالربوة لفظا ومعنى ثم بين المراد منه بقوله (معناه ان له)
عند الله وفي الواقع (رتبة شريفة ومكانة نبيهة) اي عالية مشهورة والنبه ضد الخامل
انه بمعناه من نومه الخمول والمكانة كالرتبة تخص بالمنازل المعنوية فجعل علوه
معنى بظهوره كعلوه حسا (عند مولاه) وربه الذي تولى اموره (منيفة) عالية
لا تصل لها سواه وهو على هذا ايضا فعيل بمعنى مفعول لانه اي النبي مرفوع على غيره
او بمعنى فاعل لانه مرتفع لماله من رفيع الدرجات (فالوصفان) اي وصفه بالنبي
بمعنى المخبر او بمعنى المرتفع (مؤتلفان) اي متوافقان بحسب المعنى لان من نبأه
الله واطلعه على ما لم يطلع عليه غيره له منزلة عالية ومن له مقام عال يطلع على ذلك
او المراد بالوصفين فعيل بمعنى فاعل او مفعول والذي ارتضاه سيبويه انه مهموز كالذرية(٢)
والبرية التزم تخفيفه في الاكثر وكلاهما لغة وبهما قرئ في السبع كما اتى وقرأ نافع بالهمز
في جميع القرآن الا في موضعين (ان وهبت نفسها للنبي * لا تدخلوا بيوت النبي) والخلاف
انما هو في انهما اصل ولذا قدم المصنف رحمه الله تعالى المهموز (واما الرسول فهو
المرسل) اسم مفعول من ارسله اذا بعثه لامر وتبليغ رسالة (ولم يأت فعول) بفتح
اوله اسم مفعول من الافعال (بمعنى مفعل) بضم الميم وفتح العين المهملة (في اللغة)
اي لغة العرب وكلامهم ويجوز ان يراد به علم اللغة وكتبها (الا نادرا) اي الا في الفاظ

(٢) كالذرية نسخه

قليلة قال السمين في الدر المصون فعول بمعنى مفعول قليل جاء منه ركوب وحلوب بمعنى المركوب والمحلوب والرسول بمعنى المرسل اسمي وكلام المصنف رحمه الله تعالى يقتضي ان النادر فعول بمعنى مفعل من المزيد وكلام العرب انه قليل بمعنى المفعول مطلقا فان الغالب فيه معنى الفاعل كصبور وشكور الا انه ان قيل ان الرسول في الاصل مصدر بمعنى الرسالة لم يكن مما نحن فيه بل مجاز للمبالغة كالدرهم ضرب الامير اي مضروبه وقد ورد في قول كثير بهذا المعنى وهو قوله

لقد كذب الواشون مافحت عندهم * بسر ولا ارسلتهم برسول

اي برسالة فاقيل ان فيه شيئا ليس بشيء (وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسل اليه) اي تبليغهم شريعته ودينه بنفسه او بواسطة (واشتقاقه من) الارسال بمعنى (التتابع) اي التوالي والتكرار اتباعه فالمناسبة بينهما ظاهرة (ومنه قولهم جاء الناس ارسالا) بفتح الهمزة جمع رسل بفتحتين اي فرقة بعد فرقة متتابعين يتبع بعضهم بعضا كما بينه بقوله (اذا تبع بعضهم بعضا) كما ورد في الحديث انهم صلوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسالا يتبع بعضهم بعضا ثم بين وجه اشتقاقه بقوله (فكأنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (الزم تكرير التبليغ) مرة بعد اخرى الى امته (والزمت الامة اتباعه) فرقة بعد فرقه وامة بعد امة لعموم رسالته فالتكرار والتتابع اما في نفس تبليغه او باعتبار اتباعه وامته ولو عطفه بالواو كما في نسخة كان احسن فاقيل من ان في كلامه بحثا لانه مأخوذ من جهة المعنى والاشتقاق من الالفاظ وان قولهم جاء الناس ارسالا ليس مصدر ارسله لاختلاف المعنى كلام ناش من عدم فهم كلام المصنف رحمه الله تعالى وفيه خلط وخبط لا يخفى على من له بصيرة (واختلف العلماء) في جواب قولهم (هل النبي والرسول بمعنى) واحد فهما مترادفان (او بمعنيين) فهما متغايران غير مترادفين وفي نسخة ام بمعنيين ولذا قيل ان او احسن منه او ونه كلام في المعنى وشروحه ليس هذا محله (فقيل هما سواء) اي متساويان او مترادفان لان الاول التساوي في الماصدق دون المفهوم كالانسان والناطق والثاني التساوي فيهما معا ارتة شاملة لهما الا ان ماعنده اقرب الى الاول فتأمل كل من اوحي اليه بشرع (واصله من الانباء وهو الاعلام) والارسال فيه اعلام ايضا لانه انما ارسل لذلك فهما متساويان واختلاف مفهوميهما وتركه لانه للعلم به فافهمه ولا يرد عليه ان الاعلام اعم لانه قد يعلمهم بما لم يرسل به من بعده وكذا قوله ان الآية لا تدل على ما ذكره فانه من تلقي الركبان (واستدلوا) على تساويهما (بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) لانه عامل فعل الارسال فيهما فاذا ارسل النبي لزم ان يكون الرسول نبيا والنبي رسولا والا فسد اشار بقوله (قد اثبت لهما معا الارسال قال) المستدل (ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا) ورد عليه بان الآية دالة على ان النبي اعم من الرسول

فانها ترقى من ذكر الاخص الى ذكر الاعم والحديث الآتي الناطق بزيادة عدد الانبياء على عدد الرسل يأباه واعادة النبي تقتضي المغايرة فاذكر ممنوع (وقيل هما مفترقان من وجه) فبينهما عموم وخصوص وجهي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول فالآله الى موجبة كلية وسالبة جزئية كما سيأتي بيانه والمشهور انه على هذا من اوحى اليه بامر الهي امر بتبليغه ام لا والرسول من اوحى اليه بذلك وامر بالتبليغ وقيل انه من كانت له شريعة ناسخة لغيرها وقيل من انزل عليه كتاب والى هذا اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (اذ قد اجتمعا) اى النبوة والرسالة (في النبوة التي هي الاطلاع) بتشديد الطاء وتخفيفها اى سكونها (على الغيب) اراد به مالم يعلمه من اوامر الله تعالى وتشريعه له ما يختص به او به وبغيره (والاعلام) من الله تعالى (بخواص النبوة) اى ما يختص بالنبوة الشاملة للرسالة كالعصمة والوحي بواسطة الملك او بدونها كما وقع لموسى عليه الصلوة والسلام اذ كلمه الله تعالى قبل ارساله (او الرفعة بمعرفة ذلك) المذكور من الاطلاع والاعلام وفي نسخة لمعرفة باللام بدل الباء السببية (وحوز درجتها) اى درجة النبوة العلية والحوز بحاء مهملة مفتوحة وواو ساكنة وزاء معجمة وهي حيازتها وتحصيلها وقوله الاطلاع والاعلام اشارة الى انها من النبوء المهموز وما بعده الى انه من النبوة الواوي وهي الرفعة كما تقدم ولا تكلف في شيء من كلامه كما توهم (وافترقا) اى النبوة والرسالة (في زيادة الرسالة) اى الامر بالتبليغ المعتبر (في الرسول) دون النبي (وهو) اى الرسالة وذكره مراعاة للخبر وهو (الامر بالانذار والاعلام) بما امر بتبليغه وهذا القيد المخصوص هو الذي حصل به الافتراق في ماصدق عليه النبي ولا تخالفه بينه وبين ماقاله المطلع من كاوله لانهم اعتبروا ذلك في ماصدقا عليه لا في المفهوم وهذا كلام ناس من فقه التدبر (كما قلنا) اشارة الى ماقرره اولا (وحجتهم) اى دليل القائلين بان بينهما العموم والخصوص من وجه وليسا مترادفين مأخوذة (من الآية نفسها) التي استدل بها من ذهب الى القول فهي عليهم لا لهم (التفريق بين الاسمين) يعني النبي والرسول فان العطف واعادة النفي تدل على تغايرهما (ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارها في الكلام البليغ) وليس المقام مقام اطناب ولا تأكيد اذ لو كان كذلك حسن التكرار كقوله تعالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) ونحوه (قالوا والمعنى) ان معنى الآية على هذا (وما ارسلنا من قبلك) اى اوحينا واعلمنا (من رسول الى امة) امر بتبليغهم ما ارسل به وفي بعض النسخ من نبي والاولى او نبي بالعطف واظهر (او نبي ليس بمرسل الى احد) فافترقا على هذا المعنى افترقا ظاهرا وفي كلامه نوع خفاء اراد بعضهم ان يصلحه فافسده وفي الآية ترق لانه ترقى في التي بذكر العام بعد الخاص وفي الانسان ترقى به على العكس كما تقول مافي الدار انسان ولا حيوان ولو عكسه كان ذكر الانسان بعده لغوا فان قلت الذي استدل به اولا

تعلق ارسلنا بهما فانه يقتضي ان النبي مرسل ايضا وماذكره المصنف لايدفعه * قلت وجه دفعه ماذكر انه لما اقتضى هذا العطف التغاير لزم تأويل ارسلنا بمعنى يشملهما اي ما ارسلنا ملائكتنا بوحينا لاحد من نبي اورسول لان ارسل متعد بنفسه اوهو من قبيل * زوججن الحواجب والعيونا * ومن زائدة بعد النفي اي ما ارسلناه لانبأناه بياقتأمل (وقد ذهب بعضهم) مجاز من الذهاب وهو الخروج من مكان الى آخر قال في الاساس ذهب فلان الى قول ابي حنيفة اذا اخذ به وتحقيقه مذهبا (الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ) ولم يكن مقرر الشرع غيره فشرعه لم يسبق اليه ومبتدأ بفتح التاء صفة شرع ويجوز كسرها على انه حال من ضمير جاء والاول اولى (ومن لم يأت به) اي بشرع مبتدأ لم يسبق اليه (نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار) فبينهما عموم من وجه آخر (والصحيح والذي عليه الجماء الغفير) عند الجماء وفي نسخة الجم والمعنى واحد اي الجماعة الكثيرة والجم بفتح الجيم وتشديد الميم والغفير بغين معجمة وفاء وفي الصحاح الجماء الغفير جماعة الناس يقال جاؤا جماء غفيرا وجم غفير والجماء الغفير بالمد وجم الغفير والجم الغفير اي جميعا والراء زائدة والغفير صفة لازمة للجماء لا تفرد بدونها من الغفر وهو الستر كانهم لكثرتهم ستروا وجه الارض ومعناه جاؤا جميعا بجماتهم شريفهم ووضيعهم وهو اسم ينصب كالمصدر كجاؤا جميعا وقاطبة والجم الكثير ونصبه لانه اسم وضع موضع المصدر وقيل انه مصدر ولا التزم نصبه عند الكسائي وعليه يمشي كلام المصنف رحمه الله تعالى لا على من التزمه النصب وليس المراد الجميع بل الاكثر حتى تستشكلها ويجاب بانه لم يعتد بغيرهم وصيرهم كالعدم (ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا) وهو صادق القولين الاخيرين وبينهما عموم وخصوص وحقيقي لانه يشترط في الرسول دون النبي ان يؤمر بالابلاغ اويكون له شرع جديد اوانزل عليه كتاب والاول هو المشهور ولذا قال المحدثون اذا ورد في الحديث ذكر احدهما اوقال قال رسوله اونبيه لايجوز له ان يبدله من رويه وقيل انه لايلزم ولكنه اولى وهذا في غير الاذكار فانها توقيفية ولذا ورد في حديث ان بعضهم قال في بعض الادعية آمنت بكتابك الذي انزلت ورسولك الذي ارسلت فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم قل ونبيك الذي ارسلت كما في شرح مسلم وفيه بحث وقيل الرسول اعم يشمل رسل الملائكة كجبريل عليه الصلوة والسلام لكن الكلام انما هو في رسل البشر وقال صاحب القاموس في كتاب الصلوة ان النبي من اوحي اليه بامر يختص به في نفسه حتى لايجوز لغيره ان يتبعه فان امر بتبليغ ما امر به لامة مخصوصة اولجميع الناس فهو رسول فان لم يكن له حكم يختص به فهو رسول لانبي وان كان مع التبليغ له ما يختص به كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فهو نبي ورسول فعلى هذا بينهما عموم وخصوص مطلق وليس كل رسول نبيا وقال انه الحق الذي لاشك فيه وهو مخالف لكلام

(المصنف)

المصنف رحمه الله تعالى * واعلم ان النبي ان كان من الانباء فهو مهموز وان كان من
النبوة فغير مهموز كما تقدم وكلاهما جائز وبهما قرئ في السبعة واما قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم لاعرابي قال له يا نبئ الله اي بالهمزة لست نبئ الله ولكني نبي الله لان
النبئ في لغته بمعنى خرج من ارضه وطرد فلايهامه ذلك منعه وورد ايضا لاتنبؤا
باسمي فانما انا نبي الله ومعنى لاتنبؤا لاتهمزوا وليس في هذا مايقتضي منعه على
الاطلاق كما قاله ابن سيدة (واول الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليهما
وسلم) ولاينافي هذا مافي البخاري في حديث الشفاعة من انهم يقولون لنوح عليه
الصلوة والسلام انت اول الرسل الى اهل الارض لانهم لم يقولوا انه اول الرسل
مطلقا بل اول الرسل الى اهل الارض في عصره ولذا قال في الدعاء عليهم لاتذر على
الارض من الكافرين ديارا وآدم عليه الصلوة والسلام انما ارسل الى بنيه وهم
مؤمنون وادريس وشيث عليهما الصلوة والسلام لم تعم رسالتهما وهذا لاينافي
اختصاص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعموم الرسالة الى آخر الزمان فلم يختص
بعصر ولابقوم وعمت رسالته الانس والجن والملك كما تقدم (وفي حديث ابي ذر)
الذي رواه احمد في مسنده وابن حبان والحاكم في مستدركه وـ ابى بطوله (عنه)
صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي) وقد
قال الحاكم في مستدركه انه طعن في بعض رواته وقيل انه منكر وقال القرطبي انه اصح
حديث ورد في عدد الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام وقيل ان اصحابه عليهم
الصلوة والسلام كانوا بهذه العدة ايضا عند وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن كعب الاحبار انهم الف الف ومائتا الف وعن مقاتل انهم الف الف
واربعمائة الف واربعة وعشرون الفا وقد عرفت ان الاول اصح مافي الباب (وذكر
ان الرسل منهم) اي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام (ثلاثمائة وثلاثة عشر
اولهم آدم عليه الصلوة والسلام) وقيل اربعة عشر بعدد اصحاب طالوت
ويوافقه ان احرف اسم نبينا محمد بالجمل الكبير ثلاثمائة واربعة عشر اذ فيه ثلاث ميمات
لان الحرف المشدد بحرفين ولفظ ميم ثلاثة احرف فجملتها مائتان وسبعون ولفظ
دال خمسة وثلاثين ولفظ حاء تسعة ففي اسمه الكريم اشارة الى ان جميع الكمالات
الموجودة في المرسل موجودة فيه صلى الله عليه وسلم بزيادة واحد على القول الاول
والحديث الاول طويل اورده الحاكم في مستدركه كاملا ونقل البرهان ما في بعض
رواته من الكلام وطوينا ذكره لانه لاتعلق له هنا (فقد بان لك معنى النبوة والرسالة) على
الاقوال الثلاثة من الترادف والعموم والخصوص من وجه او مطلقا كما فصلناه
(وليستا) اي النبوة والرسالة (ذاتيا للنبي عند المحققين) اي ليستا امرا ذاتيا
في الرسول خلقه طبعه الله عليهما كالعقل وغيره من الغرائز وليست النبوة

مكتسبة برياضة وتصفية باطن كما ذهب اليه الحكماء وانما هي امر طارئ عليه بارادة الله تعالى وفضله والله تعالى اعلم حيث يجعل رسالته (ولا صفة ذات) اى ليست صفة قائمة بذاته موجودة فيه صلى الله عليه وسلم قبل الوحي اليه (خلافا للكرامية) فهؤلاء قالوا انهما امران غير الوحي وامر الله له بتبليغ شريعته فصاحبهما متصف بهما وان لم يوح اليه * اقول ان اراد هؤلاء ان الله تعالى جبل له نفسا قدسية واودع فيها قوى يستعد بها لتلقي الوحي والعلم به وان سمي النبوة هذا وان اطلقوها على ما يترتب عليها وانه ركب فيه نورا كان يشاهد في آبائه وينتقل في اصلابهم وذلك من نعم الله اتصافا كما جاء به ابتداء فالامر فيه سهل والا فهو لغو من القول والكرامية بتشديد الراء وتخفيفها على القولين وفتح الكاف وكسرها على المخفف قال في المغرب اخبرني صديق الثقة ابن حولة ابن عبد العزيز المرجي ذكر في تاريخه هذا الرجل وهو محمد بن كرام الذي نسب اليه الكرامية فقال كرام بوزن حذام وقطام وقيل انه كرام على لفظ جمع كريم وهو الجاري على السنة اهل سجستان وهي بلدته كما قال فيه البستي رحمه الله

ان الذين بجهلهم لم يقتدوا * بمحمد بن كرام غير كرام

الفقه فقه ابي حنيفة وحده * والدين دين محمد بن كرام

فهم منسوبون لمحمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الراء كما قال السمعاني وقال لان والده كان يحفظ كرما او يعمل فيه وكذا صححه في الميزان وقال ابن الصلاح انه لا يعدل عنه وكذا صححه ابن ماكولا والذهبي وانكره ابن الهيصم وهو من اهل مذهبه ادعى انه ادرى كما مر عن البستي وانما هو بتخفيف الراء مع فتح الكاف بمعنى كرم او كرامة وبكسرها على لفظ الجمع وكان صاحب مذهب العقائد وغيرها وله رواية في الحديث وكان يجوز الكذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الترغيب والترهيب لا به له لا عليه فعليه ما عليه ومات في القدس في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين (في تطويل لهم) في بيان مقالهم وتأييدها (وتهويل) اى تخويف وتقريع لمن عدل عن مذهبهم في هذا (ليس عليه تعويل) اى هو مع ذلك ساقط ضعيف لا يعتد به ولا يلتفت اليه ويجوز ان يريد بالتهويل تزيين الباطل وزخرفته ففي القاموس التهويل الالوان المختلفة وزينة الصاري وهذا اقرب لنسبة المصنف (واما الوحي فاصله) اى معناه الخفي الذي وضع له اولا (الاسراع) وفي الحديث اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فوحه اى اسرع فيه والهاء للسكت وقال الاعشى

فل ربح المسك ذاك ربحها * صبها الساقي اذا قيل توح

وقال اوحى بمعنى اومأ او تكلم بكلام خفي (فلما كان النبي صلى الله تعالى عليه

وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه بسرعة سمي) اي ما يأتيه من ربه (وحيا) اي متلقى بسرعة فاطلق عليه المصدر مبالغة ثم صار حقيقة في كل ما يوحى اليه (وسميت الانواع الالهاميات (٢) وحيا) كقوله تعالى واوحى ربك الى النحل (تشبيها بالوحي الى النبي) في سرعة وقوعها في القلب فهو استعارة تحقيقية والالهام القاء امر في الروع باعث على الفعل او الترك (وسمي الخط وحيا) على الاستعارة التحقيقية ايضا او المجاز المرسل (لسرعة حركة يد كاتبه) هو وجه الشبه بينهما (ووحي الحاجب واللحظ) هو في الاصل مؤخر العين ثم اطلق على النظر فيقال لحظه بعينه وهو هنا مستعار (لسرعة اشارتهما) اي حركتهما بسرعة للاشارة بهما (ومنه) اي من اطلاق الوحي على الاشارة (قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اومأ) بهمزة في آخره وقد استعمل مقصورا ايضا بالالف كاوحى اعطا ومعنى (ورمز) بفتح الميم اي اشار بالعين او بالشفة (وقيل) معناها (كتب) لان الوحي يكون بمعنى الكتابة كما تقدم (ومنه قولهم) اي قول العرب (الوحاء الوحاء) بفتح الواو والمد والقصر ويقال الوحاك بكاف الخطاب ايضا كما في الاساس وهو منصوب بفعل مقدر للاغراء (اي السرعة) والعجلة (وقيل اصل الوحي) لغة (السر والاخفاء ومنه) اي من كونه بمعنى الاخفاء (سمي الالهام وحيا) لخفائه وهو اظهر مما تقدم من ان معناه السرعة (ومنه) اي من هذا القبيل (قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم) اي من يوالونهم ويصادقونهم من المشركين (اي يوسوسون في صدورهم) اي يلقون في قلوبهم والمراد بالشياطين مردة الجن والمراد باوليائهم كفرة قريش او مردة الانس من مجوس هجر وفارس والوسوسة كالالهام الالقاء في القلب الا ان الاول يختص بالخير وهذا بغيره ولذا اتبعه بقوله (ومنه) قوله تعالى (واوحينا الى ام موسى) ان ارضعيه (اي القي) بالبناء للمجهول (في قلبها) مناما والهاما وقيل انه وحي حقيقي كالوحي للانبياء عليهم الصلوة والسلام (وقد قيل ذلك) المعنى السابق (في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة) والذي رجحوه في هذه الآية ان المراد بالوحي فيها المشافهة بكلام الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وكلامه لموسى عليه الصلوة والسلام وحديث ابي ذر المشار اليه هو هذا قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس وحده فجلست اليه فقلت بابي انت وامي امرتني بالصلوة فاي الصلوة وقال الصلوة خير موضوع استكثر او اقل قال فقلت فاي الاعمال افضل قال ايمان بالله وجهاد في سبيل الله فقلت اي المؤمنين اكمل ايمانا قال احسنهم خلقا قلت اي المسلمين اسلم قال من سلم المؤمنون من يده ولسانه فقلت اي الهجرة افضل فقال هجر السيئات فقلت اي الصلوة افضل قال طول القنوت قلت اي الليل افضل قال

جوف الليل الغابر قلت اى الصلوة افضل قال فرض محرى عبدالله وعبدالله اصعاف
كثيرة قلت اى الصدقة افضل قال جهد من مقل يسير الى فقير قلت فاى الرقاب
افضل قال اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها قلت فاى الجهاد افضل قال من عقر دمه
وعقر جواده قلت فاى شىء اعظم مما انزل الله عليك قال آية الكرسى يا اباذر ما السموات
السبع والارضون السبع فى الكرسى الا كحلقه ملقاه فى فلاة من الارض وفضل
العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على الحلقة قلت بابى انت وامى فكم الانبياء
قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت فكم الرسل من ذلك قال ثلاثمائة وثلاثة
عشر جم غفير قلت فمن كان اولهم قال آدم قلت نبى مرسل قال نعم خلقه الله بيده
ونفخ فيه من روحه ثم سواه قال يا اباذر اربعة سريانيون آدم وشيث واخنوخ وهو
ادريس وهو اول من خط [illegible] بالقلم ونوح واربعة من العرب هود وصالح وشعيب
ونبيك [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم وابراهيم وسائرهم من بنى اسرائيل فاول
الانبياء آدم وا[illegible] [illegible] اول انبياء بنى اسرائيل موسى وآخرهم عيسى قلت فكم
كتاب انزله الله تعالى قال مائة كتاب واربعة كتب انزل على شيث بن آدم خمسين
صحيفة وانزل على اخنوخ الاربعين صحيفة وانزل على ابراهيم عشر صحائف وانزل
على موسى قبل التورية عشر [illegible] وانزل التورية والانجيل والزبور والفرقان قلت
فما كان فى صحف ابراهيم قال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الملك [illegible] [illegible] اى لم ابعثك
لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا اردها ولو
على الكافر مالم يكن مغلوبا على عقله ان لا يكون ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاد
ومرمة لمعاش ولذة فى غير [illegible] [illegible] اعلم ان معنى [illegible] [illegible] ما جاءت به الانبياء
عليهم الصلوة والسلام ([illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاسان [illegible]) المعجز عند
العرب ان لا تقدر على ما تريده [illegible] [illegible] الجيم تعجز بكسرها ويقال انما بكسر
الجيم فى الماضى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كذا اذا فاته
وفاعل المعجز فى الحقيقة هو الله خالق العجز [illegible] [illegible] لم تقدر على المثل فان من
خرجت عن مقدورهم لا يتصور فيهم العجز لعدم قدرتهم وما لهم عليه قدرة
لا يتصور عجزهم عنه انما فان العجز [illegible] المعجوز عنه [illegible] واو وجدت المعارضة
منهم ولم توجد فالمعنى [illegible] [illegible] المعارضة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ان الا [illegible]
اثبات عجز المرسل اليهم فالمعجز لاظهار العجز واسناد [illegible] الذى هو اظهار
الخوارق وجعل اسناده الياء [illegible] على من الوصف الى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
بحث لا يخفى (وهى) المعجزة (على ضربين) اى جنس اسم شامل لوعين مقدور
وغير مقدور (ضرب هو من نوع قدرة البشر) اى مقدورهم الذى يمكنهم الاتيان

عايماله من نوعه (فسحر واعنه) الفاء فصيحة اى فطلب منهم فسحر واعنه (فسحيرهم عنه) اى جعلهم عاجزين والمصدر مضاف لمعموله اى تسخير الله اياهم (فعل الله دل على صدق نبيه) اى خلق العجز فيهم ومنعهم عما من شانهم القدرة عليه فهو فى قوة قول الله تعالى صدق عبدى فيما ادعاه والعادة جارية بان يقع بعده علم ضرورى بصدقه (كصرفهم عن تمنى الموت) اى منع الله اليهود عن تمنى الموت لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وكذبهم الله تعالى والزمهم بقوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين * اى قل لهم يا محمد ان كنتم احباء الله تعالى والجنة مختصة بكم فاطلبوا الموت فان من احب الله احب لقاءه ومن كانت داره الجنة يبادر لدخولها فلم يتمنه احد منهم ولو بلسانه لصرف الله لهم عن ذلك ولذا ورد ولو تمنوه لم يبق على وجه الارض يهودى وسيأتى بيان هذا مطولا فى محله وهذا اعظم حجة على صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قاله المفسرون وهذا وان كان تركا وعدما متضمن لمعنى وجودى وهو السكوت والخوف ونحوه فسقط ما قيل ان المعجزة فعل خارق وليس هذا من قبيل الافعال (و سخرهم(٢) عن الاتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم) القائل بان اعجازه بالصرفة اى بصرف العرب الفصحاء عن معارضته مع تحديه لهم وتقريعهم بذلك على رؤس الاشهاد حتى عدلوا عن مجادلة الحروف الى مجالدة السيوف كما هو مشهور معروف وهذا مذهب النظام وبعض المعتزلة والشيعة فقيل صرفهم بان لم يكن دواعى و بواعث لذلك وقيل سلبهم المعارف المركورة فى طباعهم من معرفة فنون البلاغة واساليبها على القولين المشهورين فى الصرفة والذى عليه الجمهور المحققون ان اعجازه انما هو بما تضمنه من الفصاحة والبلاغة وغرابة الاساليب وبلاغة التراكيب وجزالتها وانواع البديع ومطابقة المقامات وبدائع الفواتح والمقاطع وروائع الاستعارات الى غير ذلك مما خرج عن طوق البشر وبلغ الى ذروة لا تصل اليها خطى الافكار مع حلاوة وطلاوة تعن السامع الى غير ذلك مما عرفوه وقيل اعجازه بما فيه من المغيبات وقيل بمجموع ذلك والاقوال معروفة مقررة فى الاصول والمعانى وغيرها من كتب السلف (ونحوه) مما نوعه مقدور لهم (وضرب) من المعجزة (هو خارج عن قدرتهم) اذ تحداهم به (فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى) الذى وقع لابراهيم ولعيسى عليهما السلام فانه قيل ان ما كان بدعاء عيسى عليه السلام معجزة له انما كان من الله لانه بشهادة واحيى الموتى باذن الله * واذ تخرج الموتى باذنى لا وجه له وهذا ايضا مما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فيما وقع لابويه على الصحيح (وقلب العصا حية) معجزة لموسى

(٢) واعجازهم نسخه

صلى الله تعالى عليه وعلى نبينا وسلم وسيأتي أنه مامن معجزة لنبي من الانبياء الا ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها وزيادة (واخراج ناقة من صخرة) بلا واسطة وانها معتادة معجزة لصالح عليه الصلوة والسلام لما اقترح عليه جندع بن عمرو سيد قومه ان يخرج لهم من صخرة اسمها كاسبة ناقة عشراء فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء وهم ينظرون ثم نتجت مثلها في العظم فآمن جندع في جمع من قومه وتمادى غيرهم في الكفر حتى عقروا الناقة فاخذتهم الرجفة (وكلام الشجرة) وفي نسخة الشجر وهذا مما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله حنين الجذع المشهور (ونبع الماء من الاصابع) اي من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا مما وقع له صلى الله عليه وسلم ايضا كما سيأتي ولله در الابوصيري في قصيدة عارض بها بانت سعاد حيث قال

ونبع الماء عذب من اصابعه * وذاك منبعه فيما جرى النيل

(وانشقاق القمر) معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صار فلقتين تشاهده الناس وقد ثبت هذا في الاحاديث الصحيحة وروي من طرق متعددة خرجها السيوطي وبه فسر قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) واهل النبوة معنى امة الدعوة (٢) وهذا النوع كله وان سأله (مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله) غيره جل (فيكون) اجراء (ذلك) الذي لا يفعله الا الله (على يديه) اي وقوعه من نبي من انبياء الله بحسب الظاهر فعلا وهو في الحقيقة (من فعل الله تعالى) الذي اظهره على يده بقدرته (وتحديه) بتشديد الدال مصدر مضاف للفاعل وهو ضمير النبي ويجوز عوده على الله لانه هو طلب المعارضة والاتيان بمثله كما تقدم وهو مبتدأ وقوله (من يكذبه) مفعوله وقوله (ان يأتي بمثله) قدر الجار اي لان يأتي بمثله او بدل من يكذبه او خبر وقوله (تعجيزا له) خبر بعد خبر اي يظهر عجزه عن ذلك (واعلم ان المعجزات) جمع معجزة وقيل جمع معجز لانه لم يستعمل (التي ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وصدرت منه (ودلائل نبوته وبراهين صدقه) عطف تفسير له كانشقاق القمر ونحوه مما تقدم وسيأتي مما لا يحصى (من هذين النوعين معا) خبران اي بعضها مقدور وبعضها غير مقدور كالقرآن ونحوه (وهو) اي نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (اكثر الانبياء معجزات) منصوب على التمييز اي معجزاته اكثر من معجزات سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام (وابهرهم آية) تمييز والآية المعجزة لانها علامة لنبوته وابهر افعل تفضيل من بهر بمعنى ظهر او غلب فقال بهر القمر فهو باهر اذا ملأ الارض ومن ذلك قول عمر بن ابي ربيعة

ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصى والتراب

وفيه وجوه ذكرها الادباء فالمعنى ان معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر واظهر

(٢) وهذا النوع الخ عبارة الكلام على هذه

(واقوى)

واقوى (واظهرهم برهانا) هذا اعم مما تقدم لان البرهان وهو الدليل القاطع اعم من المعجزة ويجوز ان يريد المعجزة ايضا (كما سنبينه) في آخر هذا الباب وفي قوله اكثر واظهر ما يدل على ان سائر الانبياء اتت بدلائل ومعجزات وبراهين ومعجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وبراهينه اقوى واظهر وانما تسمى بذلك كما تسمى به آيات نبينا وقد اطلق عليها آية وبرهان الا انه لم يطلق عليها في القرآن معجزة قيل ولا في السنة والمعجزة مخصوصة بالانبياء عليهم الصلوة والسلام وخوارق الاولياء تسمى كرامة وقد يطلق عليها واطلق عليها المعجزة ايضا الامام احمد بن حنبل واباه غيره (وهي) اي معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (في كثرتها لا يحيط بها ضابط) اي لا يحيط بها حصر وعدد او حفظ لان الناس يطلقونه على هذا تجوزا من الضبط بمعنى الاخذ باليد والحفظ بمعنى الصيانة واما اطلاقهم الضابط على القاعدة الكلية فوله من كلام المصنفين ووجه التجوز فيه احاطته بافراده ففي كلامه استعارة مكنية وتخييلية ولم يتعرض له في الاساس ثم بين ذلك بقوله (فان واحدا منها) اي معجزة واحدة من جملة معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو القرآن) فانه بجملته معجز وكذا آياته وسوره قال الامام محمد الدين في نهاية المعقول التحدي وقع مرة بالقرآن كقوله تعالى (قل لئن اجتمعت الجن والانس على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) ومرة بعشر سور كقوله تعالى بعشر سور ومرة بسورة كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله ومرة بآية كقوله فليأتوا بحديث مثله وذلك نهاية التحدي وهو كقول الرجل لمن يناظره هات وما كقوله هات كلكم هات كل منهم هات كل واحد منهم انتهى والى هذا اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (لا يحصى) اي لا يعدو يضبط وكانوا يعدون ما كثر بالحصى ثم استعمل في مطلق العدد ولذا قال الاعشى * ولست بالاكثر منهم حصى * وانما العزة للكاثر * (عدد معجزاته) اي معجزات القرآن (بالف ولا الفين) لما في كل آية من الاعجاز (ولا اكثر) من ذلك لما في الفاظه من البلاغة ونحو ما كالايجاز والمدح والتشبيه والاستعارة والاعجاز وحسن المبادئ والخواتم والفواصل الى غير ذلك مما لا يحصى (لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد تحدى بسورة منه) اي طلب مثلها من بلغاء قريش (فعجز عنها) فاعل عجز من تحداه المعلوم مما قبله او هو مبني للمجهول وهو اولى (قال اهل العلم) بالقرآن وبلاغته (واقصر سورة) من القرآن وهو بالتنوين او هو جمع مضاف لضميره (انا اعطيناك الكوثر) سميت بجزئها هذا كما تسمى سورة الكوثر لذكره فيها لانها ثلاث آيات وسورة قل هو الله احد كذلك وسورة العصر الا ان حروف هذه اقل منهما (فكل آية) طويلة من القرآن بعدد حروفها ومقدارها (او آيات منه) اي القرآن (بعددها) اي بعدد الكوثر آيات وحروفا وكلمات (وقدرها معجزة) للبلغاء عن معارضتها لما فيها من البلاغة وهذا بيان اول مراتب الاعجاز فيه ومنه يعلم

كثرته (ثم فيها نفسها) اى فى سورة الكوثر (معجزات) كثيرة (على ما نفصله) بعده تفصيلا (فيما انطوى) اى اشتمل القرآن (عليه من المعجزات) التى لاتحصى ولاتحصر (ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين) اى علم واستقر انقسامها انقسام الكلى الى جزئياته فلذا استقر ارها باعتبار الادراك على ضربين لانها امان تعلم علما يقينيا قطعيا اولا فالاول (قسم منها علم قطعا و نقل الينا تواترا كالقرآن فلامرية) بكسر الميم وضمها وسكون الراء المهملة وفتح مثناة تحتية وهى الشك والتردد كما تقدم بيانه (ولاخلاف بمجئ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به) الباء الاولى بمعنى فى والثانية صلة المجئ (و) لاخلاف ولامرية فى (ظهوره من قبله) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة ومعناه جهته وجانبه كما سيأتى فى قوله من قبل الله على ما فيه (واستدلاله) اى استدلال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على صدقه ونبوته (بحجته) الاضافة بيانية اى بحجته هى القرآن (وان انكر هذا) المذكور الذى لامرية فيه (معاند جاحد) اى منكر له عنادا مع علمه به (فهو كانكاره وجود محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا) وهو سفسطة وانكار للمحسوسات التى لاتسمع ولاتصدر من عاقل (وانما جاء اعتراض الجاحدين) اشارة الى ان انكارهم لما علموا خلافه (فى الحجة به) اى الاحتجاج به وانه كلام الله كقول المشركين هذا سحر مبين واساطير الاولين وما انزل الله على بشر من شئ الى غير ذلك (فهو) اى القرآن (فى نفسه) اى فى كلامه المفرد (وجميع ما تضمنه) واشتمل عليه (من معجز) اى من كل امر معجز كالانباء والاخبار عن المغيبات (معلوم ضرورة) علما ضروريا لمن كان من اهل البلاغة ولذا قال الوليد بن المغيرة لما سمعه ان له حلاوة وعليه طلاوة واسفله مغدق واعلاه مثمر وما هو من كلام البشر كما يأتى انه يعنى المفضل ما شهدت به الاعداء (ووجه اعجازه معلوم ضرورة) عند اهل اللسان لا عند كل احد لما فيه من فنون البلاغة (و بعضه) اى استدلالا عند غيرهم اولاعتبار بعض وجوهه الآتية (كما سنفسره) وفيه قوله (قال بعض ائمتنا) اى علماء الحديث والتفسير لا الفقهاء كالائمة الاربعة اذ لا احد من الناس لم يذكر مذهبه (ويجرى هذا المجرى) بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمى اى نقابه ما تقدم وتشبه به لان ما جرى فى مجرى شئ ساواه (على الجملة) اى اجمالا من غير تفصيل لوجه المشابهة وفاعل يجرى (انه قد جرى على يديه) اى سيدنا (صلى الله تعالى عليه وسلم آيات وخوارق عادات) عطف تفسيرى او من عطف الخاص على العام والاول اولى (ان لم يبلغ) اى يصل (واحد منها معينا) اسم مفعول حال من الآتية او صفتها ولو رفع كان اولى (القطع) والجزم مفعول يبلغ (فيبلغه جميعها) اى مجموعها فهذا يسمى التواتر المعنوى كشجاعة على وجود الحسن البصرى فان كل حال من احواله

هؤلاء لم يبلغ مبلغ التواتر ومجموعها احالا بلغ ذلك بحيث لم يبق شبهة فيه كبذليه الجبابره مما شاهدوه من خوارق عاداته وانقياد الملوك له وغير ذلك (فلامرية في جريان معانيها على يديه) مشهورة ناطقة بتصديقه شاهده برسالته (ولا يختلف مؤمن ولا كافر) من الامم السالفة (انه) اي نبيهم قد (جرت على يديه عجائب) اي امور خارقة للعادة حيرت ابصارهم والبابهم حتى يتعجب المتعجب منها (وانما) وقع (خلاف المعاند في كونها) اي تلك العجائب صادره (من قبل الله) بكسر القاف وفتح الباء اي من المبدأ الفياض المبدع الصانع (وقد قدمنا) اولا (كونها) بيان كون العجائب (من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله) اي الله عز وجل لرسوله (صدقت) في نبوتك وما ادعيته ومعنى مثابه منزلته وفي حكمه فعله من اتاه كذا اداعوضه ومنه الثواب بالثاء المثلثه لجزاء الطاعه والجاحد المعند يزعم تارة انه سحر وكهانة وان ما سمع من كلام الشعر والجان كلام جن سحرها الى غير ذلك من الخرافات التي صاروا اليها فات حوابها سحر قادا عرف هذا (فقد علم وقوع مثل هذا) الذي وقع للانبياء عليهم الصلوة والسلام والامم السالفة مما علمه كل مؤمن وكافر وبر وفاجر (ايضا) كما وقع لاولئك (من نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ضروره) اي علم علما ضروريا متواترا تواترا معنويا (لاتفاق معانيها) اي اتفاقها كلها في معنى واحد (كما نعلم ضرورة جود حاتم) الطائي وشهرته تغني عن ذكره فاخباره في الجود مشهورة ايضا وكان في الجاهلية قريبا من مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم وادرك ابنه عدى الاسلام وكان من كبار الصحابه رضي الله تعالى عنهم (وشجاعة عنترة) بالهاء ويقال له عنتر ايضا وهو عنتره بن معاوية بن شداد العبسي وهو علم منقول من عنتر وهو نوع من الذباب ازرق وبوبه اختلف في زيادتها وهو من فرسان العرب وفصحائها المشهورين (وحلم احنف) بن قيس التميمي ادرك الاسلام واسلم لكنه لم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من كبار التابعين واحنف بفتح الهمزه وسكون الحاء المهمله معناه مائل الرجل وله كلمات من الحكم مشهوره في كتب وعنه في الحلم حكايات عجيبة وكان من المعمرين ثم وضح ذلك على طريق اللف والنشر المرتب فقال (لاتفاق الاخبار الوارده) اي المرويه (عن كل واحد منهم) ثم ابدل من قوله عن كل واحد قوله (على كرم هذا) يعني حاتما (وشجاعه هذا) يعني عنتره (وحلم هذا) يعني احنف واشتهار هذا لعرب ذكرهم وحضورهم في الذهن (وان كان كل خبر) من اخبار هؤلاء الثلاثه (بنفسه) اي وحده (لا يوجب العلم) القطعي (ولا يقطع بصحته) لعدم تواتره بانفراده وانما المتواتر ماتحصل من مجموعها كالكرم والشجاعة والحلم والحاصل ان ماجرى على يديه صلى الله تعالى عليه وسلم تواتر تواترا معنويا لا لفظيا حقيقيا والمعنوي هو حصول العلم القطعي من مجموع امور جزئية واخبار

واردة مستفيضة كما اذا اخبر واحد بان حاتما اعطاه دينارا وآخر بانه اعطاه بعيرا وآخر بانه وهبه عبدا وآخر بانه كساه وآخر بانه دفع له فرسه فقد اتفقوا كلهم على مطلق الاعطاء والتواتر الحقيقي ان يخبر جماعة عن جماعة الى آخره تؤمن مواطئتهم على الكذب في خبر واحد متفق اللفظ والمعنى وكلاهما يفيد علما ضروريا عند سماعه من غير حاجة الى نظر واستدلال بشروط مقررة في الاصول خلافا لامام الحرمين والرازي فانه عندهما يفيد علما نظريا اوقفه على مقدمات اخر ولا يشترط فيه عدد مخصوص والاسلام (والقسم الثاني) من المعجزات (مالم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع) عطف تفسيري اي لم يصل الى حده (وهو على نوعين نوع منه مشتهر) اي له شهرة وشيوع بين الناس ويسميه المحدثون مشهورا ومستفيضا (رواه العدد) الكثير (وشاع الخبر به عند المحدثين) الحفاظ الذين رووه وهو لاسابع وبه المتواتر المفيد للعلم الضروري ولا النظري وذهب بعض الاصوليين الى انه يفيد العلم القطعي بل انه يفيد العلم النظري والمشهور انه يفيد الظن ولا بد ان تكون شهرته عن اصل وروايه فان اشتهر لا عن اصل وهو المسمى بالمشهور على الالسنة لم يعتد به المحدثون مالم يعلم اصله فان علم ذلك قوى بشهرته في الجملة (والرواة ونقلة السير) جمع ناقل بفتحتين ككاتب وكتبة والسير جمع سيرة كسدر وهي اخبار المغازي (والاخبار) عطف تفسيري (كنبع الماء من بين الاصابع) اي اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وتكثير الطعام) الذي رواه انس وغيره كحنين الجذع وكلام الضب والذراع الذي رواه الشيخان وغيرهما (ونوع منه) لم يشتهر ولم يشتمل (اختص به) روايه (الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير) اي القليل (ولم يشتهر اشتهار غيره) كالقسم الاول والنوع الاول من القسم الثاني ويسمى غريبا وهو لا يفيد العلم الا بقرينة كما في جمع الجوامع وقيل لا يفيد مطلقا وقال احمد انه يفيد العلم مع عدالة راويه (٢) ولا يجوب العمل به ولو لم يفده يجب العمل به وله ادلة مذكورة مع الجواب عنها في الاصول (لكنه اذا جمع الى مثله) من احاديث المعجزات (اتفقا في المعنى ٢) من اصل الاعجاز وثبوته كما اشار اليه بقوله (على الاتيان) اي اتيان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمعجز كما قدمنا) من جريانها على يديه وانضمام بعضها الى بعض المقوى له (قال القاضي ابو الفضل) عياض المصنف (رضي الله تعالى عنه وانا اقول صدعا بالحق) فقدم المسند لافادة التقوية ويجوز ارادة الحصر لا افادة اشارته الخصوصية وقوع ما قاله وقوله صدعا اي صادعا صدعا فهو حال او مفعول لاجله او مطلق لمقدر او لاقول لانه بمعناه كقوله فاصدع بما تؤمر مستعار من صدع الزجاج ونحوه من الاجرام الصلبة لاظهار الحق والجهر به كانه يصدع قلبه او يصدع شبهه ويبطلها

(٢) روايه نسخه

(٢) واجتمعا نسخه

او من ابتداع السحر لظهوره ويقال للسحر صديع لهذا (ان كثيرا من هذه الآيات) والمعجزات (المأثورة عنه) اى المروية عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (معلومة بالقطع) لتواترها حقيقة او معنى (اما انشقاق القمر) اى اما معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم بانشقاق القمر له بمكة حين سأله كفار قريش آية عن ما جاء به ولا فراهم ذلك فهى ظاهرة باهرة (فالقرآن نص بوقوعه) اى صرح به فى قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) وقرئ وقد انشق اى اقترب وقد حصل من آيات اقترابها انشقاقه ولتضمنه معنى صرح عداه بالباء والامر متعد بنفسه فقد تواتر ذلك لفظا على القراءة المشهورة وبحثه نقد يأتى تأويله بان معناه انه سينشق اذا قامت القيامة والتعبير عنه بالماضى لتحقق وقوعه فهو استعارة تبعية وقرينتها اقترابها بلفظ الساعة فلا يرد عليه انه ليس معه قرينة تصححه كما يتوهم الا انه لا يدفع كونه خلاف الظاهر (واخبر بوجوده) فى هذه الآية وقراءة انشق تؤيد التأويل فقد تعارضا وترجح الاول انه الاصل والمتبادر منه (ولا تعدل عن ظاهر) بالتنوين اى عن ظاهر القرآن (الا بدليل) قوى يقتضى العدول عنه وتاويله بما تقدم وقولهم انه لو وقع شاهده الناس كلهم يرده انه آية ليلية قد تخفى على بعض الناس (وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار) اى احتمال خلاف الظاهر ورد فى الاخبار الصحيحة ما يرفعه ويدفعه كما سيأتى (من طرق كثيرة) تؤيد حمل الآية على ظاهرها لا سيما وقد روى فى الصحيحين وقد قال خاتمة الحفاظ ابن حجر ان ما روى فى الصحيحين قد علم قطعيا وان لم يتواتر وقد صرح بهذا قبله ابو اسحق الاسفرائنى والحميدى وابو الفضل بن طاهر فان احتف به قرائن وورد من طرق اخر زاد قوة وبلغ العلم المستفاد مرتبة تقرب من القطعى ثم اشار الى انه لا يلتفت لخلاف من خالف فى مثل هذه المطالب فقال (فلا توهن) بالتخفيف والتشديد اى تضعف (عزما) اى ما عزمت عليه وقصدته جزما من اثبات هذه المعجزات وحمل النصوص الواردة بها على ظاهرها من غير تأويل (خلاف اخرق) بالاضافة اى مخالفة احمق واصله الذى لا يحسن العمل بيده كانه يخرق ما يريد رقعه وقال الثعالبى فى فقه اللغة فى انواع الحمق اولها احمق ثم ابله فان كان معه عدم الرفق فهو اخرق فالحاصل ان المخالف فى مثله جاهل لا دراية له ولا معرفة بالاحاديث ثم وصف ذلك المخالف بقوله (منحل عرى الدين) فهو بالجر صفة اخرق اى هو مع جهله فاسد الدين ضعيفه لعدوله عن ظاهر النصوص وتشديده بدال السنة وعرى بضم العين وفتح الراء المهملتين والقصر مقصور جمع عروة وهى ما ينعقد فى الحبل ليتمسك به وقال الراغب العرا مقصور الساحة ومنه العروة هو ما يتمسك به قال الله تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) وهو على طريق التمثيل انتهى فاستعار الدين بالعروة فهو من اضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء

وان شبه بالحبل للتوصل به لما يعلو كما في الحديث كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض فان الحبل مستعار في كلام العرب كقوله اني محالك واصل حبلي فهو استعارة مكنية وتخييلية والمراد انه غير متمسك بالدين (ولا يأممت الى سخافة مبتدع) الالتفات الانحراف للنظر الى شيء ثم صار كالنظر كناية عن الرعاية بلطف واحسان ومنه قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة والسخافة اصلها عدم احكام النسج ثم تجوز به عن قلة العقل فيقال هو سخيف العقل اي عقله وفكره غير قوي والمبتدع مرتكب البدع وهو المحدث على خلاف الشرع وقوله (ماتى الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين) اشارة الى ماهو من شان اهل البدع من الغاءهم الشبه والمشككات على ضعفاء العقول من المؤمنين وخصهم بذلك لان غيرهم لا تقبل مثل هذه الآراء الواهية واما ضعيف العقل فقد يأخذ باقوالهم فيدعهم ويفتن (بل ونعم بهذا انفه) اي يرد باطله ويظهر جهده وسخافة عقله حتى يفتضح ويذل ويخزى لان اصله ان يلصق انفه بالرغام وهو التراب فتجوز به عن الاذلال والتحقير وكني به هنا عما فسرناه به وهذا اشارة الى ماذكر من القول الصحيحة التي لاتصرف عن ظاهرها بغير دليل (ونبذ بالعراء سخفه) النبذ بالنون والموحدة والذال المعجمة يقال نبذه ينبذه كضربه يضربه اذا طرحه والفضاء والعراء بالمد المكان الخالي الذي لا ستر فيه والقفر الناحية ويقال عراه اذا قصده وسخفه قلة عقله ودينه ونبذ سخفه بالعراء اي القاه في مكان خال عن الناس وهو عبارة عن ابطاله بالكلية وهذا ابلغ من عدم الالتفات الذي هو معنى الاعراض وعدم الاعتداد بالشيء فهذا ترق لان الاول تكون مع استماعه وحضوره عنده وهذا ابعاده لرميه بالفلاة ولا تكرار في كلامه ونشره باطله فهمل لا يلتفت اليه وحاصله ان انشقاق القمر في الآية على ظاهره لوروده في الاحاديث الصحيحة من طرق متعددة فمن حمله على ان المراد انه ينشق اذا قامت القيمة يوم تنشق السماء لم يات بشيء وان ارتضاه جمع لانه لو وقع شاع وذاع وملأ الاسماع لانه آية عظيمة وقيل معناه ظهر الامر لان العرب تضرب المثل بالقمر لما وضح كما قال التبريزي في لامية العرب

فقد حم الحاجات والليل مقمر * وشدت لطيات مطايا وارحل

وقيل معناه انشاق الظلم عنه بطلوعه كما يقال انفلق الصبح وانشق كما قال النابغة

فلما ادبروا ولهم دوي * دعانا عند شق الصبح داعي

والداعي لهم على هذا عدم الوقوف على ماورد في السنة والفهم لاقوال الحكماء الذاهبين الى امتناع الخرق والالتئام في الاجرام الفلكية ونحوه من الخرافات الفاسدة

(وكذلك قصة سقي الماء) من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وتكثير الطعام) القليل ببركته ووضع يده الشريفة فيه (رواها) اى القصة (الثقات) من حفاظ المحدثين والعدد الكثير عن الجم الغفير) تقدم معناه مفصلا ويأتى ايضا مع زيادة (عن العدد الكثير من الصحابة) كالشيخين عن انس رضى الله عنه والبخارى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فلذا استعمل الجم الغفير مجرورا بالحرف والذى فى كتب العربية انه لازم النصب وجوز بعضهم رفعه كما تقدم ولا وجه له لان من لم يقل بلزوم نصبه يجوز جره ايضا اذ لا مانع منه (ومنها) اى رواية قصة تكثير الماء والطعام (ما رواه الكافة عن الكافة) اى ما رواه جماعة عن جماعة ومثل هذه العبارة من غريب كافة وجره وقع فى كلام كثير من العلماء والفصحاء وقد خطأهم فيه الحريرى فى درة الغواص وتبعه صاحب القاموس وغيره بناء على انه يلزم تنكيرها ونصبها وقد صرح به كثير من النحاة قال فى القاموس لا يقال جاءت الكافة لانه لا يدخلها ال ولا تضاف ووهم الجوهرى وقد بسطنا الكلام عليه فى شرح الدرة وبينا انه مردود رواية ودراية فانه سمع فى كلام العرب فان اردت معرفة ذلك فانظره (متصلا عن من حدث بها) اى بتلك القصة (من جملة الصحابة واخبارهم) بفتح الهمزة وكسرها مرفوع معطوف على قوله مارواه (ان ذلك) بفتح الهمزة اى بان الى آخره وجوز كسرها (كان فى موطن) بمعنى محل فاصله محل التوطن (اجتماع الكثير منهم فى يوم الخندق) بالمدينة وهو بفتح الخاء المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وقاف وهو فارسى معرب كنده بمعنى الحفر والمراد غزوة الخندق وتسمى غزوة الاحزاب لاجتماع احزاب المشركين واليهود بها حول المدينة فامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة اشار عليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه ولم يكن ذلك معروفا عند العرب وانما هو من مكائد الفرس وكان ذلك فى شوال وقيل فى ذى القعدة سنة اربع او خمس من الهجرة النبوية وقد فصلوها فى السير (وفى غزوة بواط) بضم الباء وفتحها وهو اسم جبل من جبال جهينة بينه وبين المدينة اربعة برد بقرب رضوى وهو جبل ايضا وهى التى ظفر فيها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعير قريش سنة اثنين ولم يكن بها حرب ايضا وبواط قيل فيه الصرف وعدمه والظاهر الاول واشار بالاول الى قصة جابر رضى الله تعالى عنه لما دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له اى ذبحها مع صاع من شعير خبزه فاتاه صلى الله عليه وسلم ومعه ناس كثير وكان دعاه وحده فأكلوا وشبعوا وفضل ذلك الطعام وكانوا بخوالف وبالثانى الى قصة بواط وهى انه وضع يده صلى الله تعالى عليه

وسلم ماء قليل للوضوء فقال لجابر ادع الناس فلما اتوا وضع يده الشريفة في الماء فنبع الماء من بين اصابعه حتى توضؤا كلهم كما سيأتي (وعمرة الحديبية) بالجر عطف على المجرور من قبله والحديبية مصغر كدويهية اسم مكان او قرية قريبة من مكة سميت بشجرة حدباء فيها وهي التي وقع تحتها بيعة الرضوان وهي بتخفيف الياء الثانية على الصحيح وشددها بعضهم واليه ذهب كثير من المحدثين وكانت في سنة ست والآية التي كانت فيها انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من المدينة معتمرا فلما وصل اليها صده المشركون عن البيت وكان بين يديه ركوة فتوضأ منها وماء البئر قليل جدا نزحه الناس وشكوا العطش الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزع سهما من كنانته واعطاه لناجية بن عميرة فغرزه في البئر فجاش ماؤها وجاءت جارية من الانصار معها دلو فاطلبت على ناجية وهو في القليب وقالت منشدة

يا ايها المائح دلوي دونكا * اني رأيت الناس يحمدونكا

يثنون خيرا ويمجدونكا * ارجوك للخير كما ارجوكا

الى آخر ما فصل في السير وسيأتي تمامه (وغزوة تبوك) في السنة التاسعة من هجرته عليه الصلوة والسلام اوالسابعة وهواسم موضع بين الشام والمدينة غير منصرف سميت بعين مائها امرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا تمسوا ماءها فسبق رجلان منهم حملاها فيها اكثر ماؤها فزجرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لهما مازلتما تبوكانها اي تحركانها لتخرج ماؤها فاشار المصنف الى آية فيها رواها ابو هريرة رضي الله تعالى عنه هي ان الناس اصابتهم مجاعة فقال عمر رضي الله تعالى عنه يارسول الله ادع بفضل الازواد ودعا بنطع وبسطه ودعا بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجيء بكف من ذرة والآخر بكف من تمر والآخر بكسرة من خبز فجمع ذلك وبارك عليه ثم قال خذوا فاخذوا في اوعيتهم حتى ما بقي في العسكر وعاء الا ملؤه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة وعقد المصنف رحمه الله تعالى اكل آية فصلا كما يأتي (وامثالها من محافل المسلمين) مجرور معطوف على موطن والضمير للغزوات المذكورة والمحافل جمع محفل من حفل القوم اذا اجتمعوا وكثروا وقيل المحفل مجمع الرجال والمأتم مجمع النساء والنادي مجمع الناس في النهار ودار الندوة المجمع للمشاورة وقيل محل اجتماعهم لامورهم والمجالس مقر الناس في سوقهم والديوان محل المساكين والحانوت محل البيع والشراء وقد يخص محفل بمجمع الحرب (ومجمع العساكر) اي محل اجتماعهم وهو المعركة والعساكر جمع عسكر وهو الجيش والجمع الكثير مطلقا من الرجال والخيل وقيل انه معرب (ولم يؤثر) بالبناء للمجهول اي لم ينقل من اثره اذا نقله ومنه الاثر بمعنى الخبر وقد يخص بغير الحديث (عن احد من الصحابة مخالفة للراوي)

نائب الفاعل (فما حكاه) الراوى من الامور والآيات المذكورة (ولا) نقل عن احد (انكار لما ذكر عنهم) وذكر مبنى للمجهول نائب فاعله (انهم رأوه كما رآه ٢) اى لم ينقل انكار انهم رأوا من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما رآه منهم الآخر بل سكتوا حين سمعوا من بعض الرواة انه شاهد بعض آياته صلى الله تعالى عليه وسلم (فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق) لانه فى محله اقرار (اذهم المنزهون عن السكوت على باطل) يسمعه من غيره ولا يصرح له بانكاره وكون السكوت كالنطق ليس على اطلاقه كما ذكره الفقهاء واهل الاصول ولذا قالوا السكوت فى محل الحاجة بيان (و) المنزهون عن (المداهنة فى كذب) فان الصحابة كلهم عدول لا يخشون فى الله لومة لائم والمداهنة الملاينة والمطاوعة الا ان الفرق بينها وبين المداراة ان المداراة فى الحق والمداهنة فى غيره ولذا جعلت من الغش قال الله تعالى (افبهذا الحديث انتم مدهنون) وهى استعارة من الدهن للين كلام صاحبها وحاشيته وهى مذمومة لانها نفاق (وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم) اى الصحابة رضى الله تعالى عنهم ليسوا ممن يطمع ويرغب فى دنيا غيره ولا يخافون احدا عدل عن الحق لصلابة دينهم فلا يداهنون لان الحامل على المداهنة هذان الامران فليس عندهم مانع يمنعهم من الانكار على من كذب (ولو كان) الاحسن ان يقول فلو بالفاء لترتبه على ما قبله (ماسمعوه منكرا عندهم) اى فى اعتقادهم (وغير معروف لديهم) اذ لم يبلغهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثله (لانكروه) على قائله تنزها عن الاقرار على الباطل وما يخالف الظاهر واما احتمال ان غيرهم سمع ما لم يسمعه وحمل قائله على الصلاح فغير مناف هنا لان الصحابة رضى الله عنهم فى العصر الاول كان عندهم حرص على معرفة احواله صلى الله تعالى عليه وسلم واقواله اوفر دواعيهم على نقلها والعمل بها والمعجزات المتحدى بها لغرابتها وعظمها ليس مما يخفى مثله ثم بعد عصرهم يجوز هذا لان خبر الآحاد مقبول وندر (كما انكر بعضهم) اى بعض الصحابة (على بعض) منهم (اشياء رواها من السنن) اى سنن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جمع سنة بمعنى طريقه والمراد الاحاديث النبويه (والسير) جمع سيرة وهى احوال الغزاة (وحروف القرآن) اى قراءاته المتعددة فان كل وجه من القراءة يطلق عليه حرف وبه فسر حديث انزل القرآن على سبعة احرف اى لغات ووجوه مقولة على المعنى المشهور من معانيه وفى السنن الستة ان عمر رضى الله تعالى عنه انكر على هشام بن حكيم قراءة قرأها فى سورة الفرقان لم يسمعها فجاء به الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سمعت هذا يقرأ بغير ما اقرأتنيها فقال اقرأ يا هشام فقرأ فقال هكذا انزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأ فقال له هكذا انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه وفيه بيان لحكمة ، كما وقع بين عمر وابن عباس رضى الله عنهم

في انكاره عليه ما قاله في نكاح المتعة وامثاله كثيرة في كتب الحديث (وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك) اي ان بعض الصحابة نسب بعضهم الى الخطاء والوهم اذا ذكر امرا لم يكن معروفا عندهم مما يتعلق بدين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسيره او بالقرآن وغير ذلك مما يتوقف على النقل ولا يقال بالرأي فانهم لا مداهنة عندهم ولا مداراة في الحق الا ترى ان عمر رضي الله تعالى عنه مع جلالته لما قبل الحجر الاسود وقال اني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولكن رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك فقبلتك فسمعه علي كرم الله وجهه فقال له لا تقل كذا فان الله تعالى لما اخذ العهد على ذريات بني آدم اودع كتاب العهد فيه وقال من وفاه فقد وفى بالعهد فيشهد له الحجر بذلك يوم القيامة فدعا له عمر وقال لا عدمتك يا ابا الحسن والوهم والخطأ هنا بمعنى وروي وهنه بالنون من الوهن وهو الضعف في الرأي (مما هو معلوم) بيان لذلك (فهذا النوع منه) من المحدثات المروية بطريق الآحاد ولم تشتهر اشتهارا يقرب من التواتر (مطروح) بفتح اوله وضمه (بالكلية) اي بعد من قبيل المطروح به (من محدثاته [illegible]) من نقل بعض الصحابة له بلا نكير صحابي وسكوت غيرهم عليه من بابه فهو كالاجماع السكوتي (واتصالها) ابا وجه تؤيد كونها كالقطعي (فان امثال) هذه (الاخبار) المتعلقة بالمحدثات النابتة في عصر الصحابة لو لم تكن صحيحة وكانت من الاخبار (التي لا اصل لها) رواية (وبنيت على باطل) بان كانت كذبا محضا باطلا وتصحيحا له اذ (لم تبق مع مرور الازمان) بقاءها في زمانها في عصر بعد عصر (وتداول الناس) اي تلقي الناس لها فيما بينهم عصرا بعد عصر قال الراغب يقال تداول القوم كذا اذا تناولوه واخذه بعضهم من بعض قال الله تعالى ﴿ وتلك الايام نداولها بين الناس ﴾ (واهل البحث) اي التفتيش عنها والمراد علماء الحديث الذين يفتشون عن رواة الحديث صحة وسقما (من انكشاف ضعفها) اي ظهوره (وخمول ذكرها) بان ينسى ولا تشتهر لها ذكر لكونها لا اصل لها (كما نشاهد) بالمشاهدة العينية او الموهبة وشعور فراسة بالنون ان نعرف ونحقق (في كثير من الاخبار الكاذبة) التي ظهرت في بعض الازمنة ثم نسي كذبها وصارت كان لم تكن شيئا مذكورا كاخبار مسيلمة الكذاب واضرابه (والاراجيف الملفقة) اي الاكاذيب التي حدثت في بعض السنين الخالية والاراجيف جمع ارجاف بكسر الهمزة [illegible] من الرجف وهو الاضطراب والتحرك تحركا شديدا ولذا سمي البحر رجافا لاضطراب امواجه وقال بعض الشعراء [illegible]

ما كان من رجاف كملك مكرم [illegible] فالبحر من امواجه الرجاف

وهي هنا بمعنى الاخبار السيئة التي تقع بين الناس ثم ينسى لظهور كذبها [illegible]

(بالهمزة)

بالهمزه والباء التحتية من طرأ اذا حدث وتجدد (واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الهمزه جمع علم بمعنى علامه او راية كبيره والمراد معجزاته المعلومه المشهوره (هذه الواردة) اى المرويه (من طريق الآحاد) بالمد اى التى رويت آحادا ولم تتواتر (لا تزداد مع مرور الازمان الا ظهورا) ولو كانت غير صحيحة ازدادت خفاء وضعفا (ومع تداول الفرق) اى تكلم الناس بها فرقه بعد فرقه وهو بكسر الفاء وفتح الراء جمع فرقه (وكثرة طعن العدو) من اعداء الدين الكفرة والطعن القدح والدخل بالمعارضه (وحرصه على توهينها) اى تضعيفها وفى نسخه بدل حرصه حضه بضاد معجمة اى حثه وتحريضه (وتضعيف اصلها) بالانكار والعناد وادعاء انها سحر وافتراء (واجتهاد الملحد) اى بذل طاقته وقوته والملحد العادل عن الحق من الزنادقه والالحاد الميل عن الاستقامه والحد ولحد فى دين الله حاد عنه وعدل وعن ابن عباس فى قوله تعالى (ان الذين يلحدون فى آياتنا) هو تبديل الكلام ووضعه فى غير موضعه وفى نسخه باجتهاد بدون باء من اجتهد اى اتعابه نفسه وكدها (على اطفاء نورها) اى ابطالها شبه المعجزات لسراج منير ونار على علم فى الظهور والتحقق على طريق الاستعارة المكنية واضاف الاطفاء اليها على طريق التخييل وعدى الاجتهاد بعلى مشاكلة لما قبله او ضمنه معنى الملازمة والانكباب عليهم كما قال الله تعالى (يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره) ومن حكم اهل الهند ان الرجل ذو المروة والعقل ليكون خامل المنزلة غامض الامر فما تبرح به مروته وعقله حتى تستبين وتعرف كالشعلة من النار التى تصوبها صاحبها وتابى الا ارتفاعا ومنه اخذ ابن الرومى قوله

كالذى طاطا الشهاب ليخفى * وهو ادعى له الى التضريم

ومنه اخذ الارجانى قوله

مالسالك باطلى من غرور * وله اخر ترهب قمعه
كلما رام منه للرأس وضعا * زاد حمضا كانه نار شمعه

واحسن من هذا كله قوله فى بعض الحساد

رام بالذل ان يكسر قدرى * حاسد زادنى سنا وسناء
مثل ان الشهاب شعله نار * كلما نكسوه زاد ضياء

وقوله (الا قوة وقبولا) معطوف على قوله الا ظهورا كما ان قوله ومع تداول الفرق معطوف على قوله مع مرور الازمان وفى نسخه الزمان وقوته بظهور حقيته وثبوته وهو مقابل لما قصده من التضعيف والقبول بادعان العقول السليمه له وهو مقابل لطعن الطاعنين وانكارهم (وللطاعن) اى المنقص الذى يعيبها ويسعى فى ابطالها والجار والمجرور حال من المستقر بعده بعد ما كان صفه وعداه بعلى فى قوله (عليها) لانه ضمنه معنى

المتعدى عليها لانه يتعدى بفى وقوله (الا حسرة) وهو التأسف والتندم على مهم فاته وآيس منه (وغليلا) بالغين المعجمة واصله حرارة وتلهب فى الجوف من شدة العطش والمراد به هنا مجازا الحقد المضمر والحسد معطوف عليه وان لم يشاركه فى متعلقه الا بتأويل فتدبر (وكذلك) اى كاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد (اخباره) بكسر الهمزة مصدر اخبر (عن الغيوب) جمع غيب وهو ما خفى علمه عن الناس كالدجال والمهدى ودابة الارض وغير ذلك مما اخبر به بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم (وانباؤه) بوزن اخباره ومعناه (عما يكون) فى المستقبل من اشراط الساعة وعما يقع بين امته عليه الصلوة والسلام من الفتن وغيرها (و) عما (كان) فى الماضى كاحوال الانبياء عليهم الصلوة والسلام والامم السالفة ونحوه مما لا يعلم الا بوحى او حفظ الكتب الالهية التى لم يقرأها ولم ير من عرفها (معلوم) انه (من آياته) ومعجزاته الخارقة للعادة اما الاول فظاهر واما الثانى فلانه عليه الصلوة والسلام امى ولا يخالط من علم ذلك

كفاك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

(على الجملة بالضرورة) اى معلوم بعلم ضرورى مجموعه واجماله وان لم يكن كل فرد كذلك (وهذا حق) اى امر محقق متيقن (لاغطاء عليه) ظاهر منكشف من غير لبس وشبهة فيه (وقد قال به) اى اعتقده وصرح به يقال قال كذا اذا تعلق به وقال به اذا ذهب اليه واختاره (من ائمتنا) المقتدى بهم من الاشعرية او المالكية (القاضى) ابو بكر الباقلانى الاصولى المالكى لانه المراد به اذا اطلق وبه صرح صاحب الملة فى هذا قال والمراد بقوله (والاستاذ ابو بكر) ابن فورك كما تقدم من كلام المصنف وقيل المراد بالاول ابو بكر بن العربى شارح الترمذى وبالثانى ابو بكر الباقلانى او العكس والاول مالكى والثانى عده المصنف من المالكية وعده السبكى فى طبقاته من الشافعية وقال التلمسانى ان المراد بالثانى ابو بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى والاستاذ بضم الهمزة وآخره دال معجمة معناه الماهر وهو معرب فارسية بالدال المهملة والمولدون يريدون به الطواشى وقد بسطنا الكلام عليه فى كتابنا شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل (وغيرهما) من الائمة اى ذهب هؤلاء كلهم الى انها معلومة بعلم ضرورى قطعى فهى متواترة بحسب المعنى وان لم يتواتر مفرداتها (وما عندى اوجب قول القائل) وفى نسخة اخبر ماغير عندى وهى نافية ومعنى عندى فى اعتقادى وحكمى وهو متعلق باوجب (ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد) اى من قبيل خبر الآحاد التى لا توجب العمل واوجب عمى اقتضى واستلزم والجأ اى لم يلجئه لذلك (الا قلة مطالعته للاخبار) الدونة ومطالعتها الاطلاع عليها (وروايتها وشغله) بضم اوله اى اشتغاله (بغير ذلك من المعارف)

عن الاحاديث من العربية والامور والعلوم النقلية وفيه تأدب مع العلماء وعدم المجاهرة بالقدح فيهم (والا) اى لو لم نقل بقلة اطلاعهم لاستحالتهم فاذكر (فمن اعتنى) اى كانت له عناية واشتغال (بطرق النقل) اى الامور النقلية السماعية (وطالع الاحاديث والسير) النبوية بان درسها وقرأها (لم يرتب) اى لم يحصل عنده ريبة وشك (فى صحة هذه القصص المشهورة) عند المحدثين والحفاظ (على الوجه الذى ذكرناه) من جمع طرقها وضم بعضها الى بعض حتى تقوى وتصير متواترة بحسب المعنى فقط وقوله لم يرتب فاصل يرد اعتراضه على من قال انها آحاد اذ لم يرد بمجموعها بل جميع افرادها وفيه نظر ثم اشار الى دفع شبهة هى انه لو كانت الآحاد تصل رتبة التواتر بالاعتناء بالنقول ومطالعة الاحاديث كانت متواترة معنى عند غيره فقال (ولا يبعد ان يحصل العلم التواتر) الحقيقى (عند واحد ولا يحصل عند آخر) فالظاهر ان الاولى التواتر المعنوى ومن امثلة هذا فى البسملة وجمعه بين الخلاف ومن الائمة فان اثباتها فى اوائل السور واسقاطها قراءة ان متواتر ان من السبعة كما قاله ابن الجزرى ومن تبعه وان خفى على كثير (فان اكثر الناس يعلمون بالخبر) المتواتر (كون بغداد موجودة) وهى المدينة المشهورة بدار السلام اما السلامة اهلها من فساد وغير المراح اولان نهرها يسمى السلام وهى فارسية معربة ومعناها عطية البستان لان باغ معناه بستان وقيل بغ اسم صنم وداد معناه العطية اى عطية الصنم ولذا كره بعضهم تسميتها بذلك وفيها ست لغات اهمال الدالين واعجامهما واهمال الاول واعجام الثانى وعكسه وبغدان بالنون مع الاهمال وزاد بعضهم ابدال الباء ميما مع الدال والنون والاهمال والاعجام والاهمال اصح وقالوا بغدين ايضا (وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة) بكسر اولهما وهما بمعنى والخلافة هى الولاية العامة لانه خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى السلطنة ونحوه وسمى امامه لان الامامة والخطبة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين لازمة له لا تقوم بها غيره الا بطريق النيابة عنه كالقضاء والحكومة ولذا احتاج لعقد السلطان ونحوه ومعنى دارها مقرها ومحلها واول من بنى بغداد هذه ابو جعفر المنصور المعروف بالدوانيقى ثانى خلفاء بنى العباس (وآحاد) بالمد جمع واحد (لا يعلمون اسمها) لعدم سماعه (فضلا عن وصفها) من كونها دار الخلافة مدينة عظيمة البناء وفضلا منصوب بالمصدرية بعد اولوية ما بعدها والكلام فيها مبسوط فى العربية مشهور ثم ذكر مثالا آخر فى الشرعيات فقال (وهكذا) اى مثل امر بغداد (يعلم الفقهاء من اصحاب مالك) المقلدين لمذهبه فمحور بالصحة عندكر حوراسم ررا (بالضرورة) اى بالعلم الضرورى اى البديهى الا الاضطرارى لتواتره عندهم بقوله (وتواتر النقل عنه)

كالمسيرله (ان مذهبه ايجاب (٢) ام القرآن) اى الفاتحة و وجه التسمية مشهور (فى الصلوة للمنفرد والامام) دون المأموم فان قراءة امامه قراءة له وان لم يسمعها ولا فرق بين الصلوة الجهرية وغيرها وكذا مذهب ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه كما فصل فى كتب الفقه (واجزاء النية) اى نية صوم رمضان كله (فى اول ليلة من رمضان عما سواه) الضمير راجع لاول فلا يحتاج فى بقية الشهر الى نية اخرى اكتفاء بتلك النية والاجزاء بمعنى الكفاية والاغناء وقيل معناه سقوط القضاء ورده الاصفهانى فى شرح المحصول والفرق بينه وبين الصحة مفصل فى كتب اصول الفقه (وان الشافعى رضى الله عنه يرى) من الرأى بمعنى المذهب (تجديد النية كل ليلة) قيل المحرر مذهبه ان النية واجبة فى كل ليلة لا مندوبة وهذا معلوم بالضرورة عند الفقهاء لتواتره عند اصحابه وغيرهم لان صوم كل يوم عبادة مستقلة فتفتقر الى نية جديدة لحديث (انما الاعمال بالنيات) والمراد الاعمال الشرعية اى انما صحتها وغيره فقدر انما كمالها كما بين فى محله (والاقتصار على مسح بعض الرأس) اى ويعلم ضرورة ان الاقتصار على مسح بعض الرأس يجزى عند الشافعى او لو نقل ذلك عنه خلافا لمالك فانه يجب عنده مسح الرأس كله احتياطا (وان مذهبهما) اى مالك والشافعى (القصاص) اى وجوبه (فى القتل بالمحدد) اسم مفعول مشدد الدال وهو حديدله حد جارح كالسيف ونحوه (وغيره) مما لا حدله كالعصا والحجر والسحر (وايجاب النية فى الوضوء) فهى واجبة عندهما لانه عبادة فلابد من النية فيه لتكون قربة ولتميز العبادة عن العادة باخلاص العمل بالنية (واشتراط الولى) وهو من تكون له ولاية شرعية على المنكوحة كالاب والسيد (فى النكاح) اى فى صحته وانعقاده كما فصل فى كتب الفقه (وان ابا حنيفة) النعمان بن ثابت الامام المشهور شهرته تغنى عن ذكر ترجمته (يخالفهما فى هذه المسائل) فلا يوجب القصاص فى غير المحدد بل الدية ولا يوجب النية فى الوضوء وخالف فيه بعض الحنفية كما فى الاسرار للدبوسى ولا يشترط فى النكاح الولى كما يعلمون بان مذهبه يخالف مذهبهما فى هذه المسائل فانه لم يرها حتى يخالفهما والفقهاء يستعملون مثل هذه العبارة كثيرا فى كتبهم فيقولون خالف فلان فى كذا فلانا وان تقدم عصره عليه (وغيرهم) اى غير الفقهاء واصحاب المذاهب (ممن لم يشتغل بمذاهبهم) اى مذاهب الفقهاء ومن ذكر من الائمة (ولا روى اقوالهم) ممن قلدهم واشتغل بكتبهم (لا يعرف هذا) الا الامر الذى وقع فيه الخلاف بينهم (من مذاهبهم) واقوالهم (فضلا عما سواه) اى سوى هذا من دقائق المذاهب ومسائلها الغريبة (وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا) بتفصيلها وذكر ما يتعلق بها من الفوائد (ان شاء الله تعالى) ذلك ﴿ فصل فى اعجاز القرآن ﴾ اى فى بيان

الحجارة والقرآن بالهمزة وقد تسهل وتنقل ووزنه فعلان على الصحيح وتقدم
بيان الاعجاز وهو جعل غيره عاجزا عن معارضته والاتيان بمثله (اعلم وفقنا الله
وإياك) اى ورزقنا التوفيق والجملة دعائية وتصديره باعلم تنبيها له على ما بعده امر
مهم يلزم علمه (ان كتاب الله العزيز) بفتح الهمزة وهو وما بعده ساد مسد مفعولى
اعلم وتقدم ان العزيز بمعنى القوى الغالب وبمعنى الذى لا نظير له ويجوز فيه الجر
والنصب على انه صفة الله او الكتاب ولك ان ترفعه قطعا والكتاب المراد به القرآن
لغلبته فيه وله معنيان الكلام النفسى وما بين الدفتين وكلاهما قديم عند بعض المحققين
كالسنوسى ستاتى والكلام فيه مشهور والمراد الثانى لانه هو المتحدى بالاعجاز
(منطو) اى مشتمل ومحتو اسم فاعل من الطى وهو معروف (على وجوه من الاعجاز
كثيرة) اى انواع اشرف بها الحجارة وكونه لا يقدر عليه البشر (وتحصيلها)
اى تحصيلها اجمالا فالمراد بالمصدر اسم المفعول مبالغة كالدرهم ضرب الامير اى
مضروبه والضمير للوجوه (من جهة ضبط انواعها) اى حصرها وجعلها
مضبوطة محفوظة (فى اربعة اوجه) خبر تحصيل او متعلق بقوله ضبط (اولها
حسن تأليفه) اى نظم كلماته مؤتلفة متوافقة (والتئام كلمه) عطف تفسير اى
كونها مناسبة بحسب الدلالة حسب مقتضى معانيها والكلم اسم جنس جمعى
الكلمة كتمر وتمرة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح (وفصاحته) قدمها على البلاغة
لتوقفها عليها بناء على المشهور فى كتب المعانى (ووجوه ايجازه) اى قلة لفظه وكثرة
معناه ووجوهه معروفة فى المعانى (وبلاغته الخارقة عادة العرب) عادة بالنصب
مفعول خارقة اى خارجة عن عادتهم كما هو شأن خرق الاجماع اذا خالفه وخرج
عنهم من ذلك فعال (وذلك) اى ما ذكر من عاداتهم (انهم) اى العرب (كانوا ارباب
هذا الشان) الشأن هو الامر العظيم والمراد به البلاغة وجعلهم اربابها اى اصحابها
المالكون لها الذين عندهم ازمتها وهو مبالغة فى اتصافهم بالفصاحة والبلاغة
(وفرسان الكلام) جمع فارس او جمع فرس الذى هو جمعه والفرس تكون اصح
فارس معنى يحمى كما فى شرح شواهد الايضاح ومنه قولهم انه الفرس فى هذا الكلام
الذين تمكنوا من التصرف فيه تصرف الجواد خلوه وتسابقوا به فى ميادين البلاغة
والرهان وفازوا بقصب السبق به (قد خصوا من البلاغة والحكم) اى خصهم
الله تعالى من دون الناس بالبلاغة كلا هم المخصوصة بلغاتهم وربما خصه من الحكم
اى المعانى المحكمة المتقنة وما حث على مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات وفيه
كلام تقدم (بما لم يخص به غيرهم) ولكان الظاهر ان يقول بما لم يوجد فى غيرهم
لكنه عبر به لسا كل ما قاله ولان نفى الوجود منهم من اختصاصهم به دون غيرهم
ولا يقال انه لا يلزم من نفى الاختصاص نفى الوجود فهو المقصود وفيه بحث

(من الامم) اى جميع الامم السالفة واللاحقة (واوتوا) بالبناء للمجهول اى اعطاهم الله (من ذرابة اللسان) المراد الجارحة المعروفة والكلام عنه والذرابة بذال معجمة وراء مهملة وموحدة اصل معناها حدة السيف والسنان ونحوه وقيل هى ان يسقى السم والذراب السم فاستعير لطلاقة اللسان مع الخلو عن اللكنة قال

ارحنى واسترح منى فانى ٭ ثقيل محملى ذرب لسانى

وهذا امر محمود وقد يكون بمعنى كونه سليطا صخابا فيكون ذما كالحدة قال الله تعالى سلقوكم بالسنة حداد (مالم تؤت انسان) اى لم تؤته غيرهم من الامم لكنه اتى بما ذكر لقصد السجع والخطابة كقوله (ومن فصل الخطاب) اى الخطاب البين الفاصل عند المحاجة الذى لالبس فيه ولاخفاء كما تقدم (مايقيد الالباب) جمع لب وهو العقل وتقييدها بمعنى تحيرها اذا سمعته حتى كانها قيدت ومنعت عن الحركة لدهشتها من حسنه وبراعته (جعل الله لهم ذلك) المذكور الذى خصوا به (طبعا وخلقة) مركوز فى طبائعهم لاتكلف وتعلم وتقليد لغيرهم (وفيهم غريزة) اى خلة وسجية مركوزة فيهم (وقوة) المراد بالقوة معالى الفعل والبأس بمعنى الشدة وهذا استعمال مولد وهو قريب من الطبيعة ايضا وتكرار الالفاظ المتقاربة لابأس به هنا لانه مقام خطابة او المراد بالقوة القدرة اى هذا امر طبعهم الله عليه وجعل لهم زيادة قدرة فيه فلذا عقبه بقوله (يأتون منه على البديهة بالعجب) اصل معنى البديهة المفاجأة ولذا قيل لكل كلام من غير انتاب فكر وتطلب بديهة فيقال اجاب على البديهة وله بدائع بداهة وهذا معلوم فى بداهة العقول والعجب فى بداهة حربه والعجب بمعنى الامر الذى تعد محمدا لحسنه وجزالة معناه فكأنه لم يعهد مثله فلهذا عبر بالعجب الاوحال (ويدلون به) بضم المثناة التحتية وسكون الدال المهملة وباللام من ادلى دلوه فى البئر اذا ارسله لاخذ الماء ثم عبر به عن مطلق التوصل كما قال عمر رضى الله تعالى عنه لما استسقى بالعباس رضى الله تعالى عنه وقد دلونا به اليك مستشفعين اى توسلنا (الى كل سبب) اى طريق ووسيلة الى حصول مهمات امورهم كالزام الخصوم وجلب محبة القلوب واستعطاف الملوك والرؤساء فاذا ذكروا هذه الوسائل عبروا عنها بعبارات بليغة رائقة تسحر السامعين وتقود بعنانها سواد القلوب والخواطر وفى قوله سبب هنا تورية لانه فى الاصل بمعنى الحبل فذكره بعد الادلاء فيه لطف وقيل المراد ادلاؤا سهما من الدلو وهو السوق والرفق وقيل المراد بالسبب الطلب العالى السدة بأسباب السموات اى نواحيها كانه شبه ذلك الطلب فى عزة سبله بنواحى السماء والعرب كانوا يصلون الى هاتك المطالب بما اوتوه من القرائح الزكية ولعل المراد بالاسباب مقتضيات الاحوال وقد بين ذلك بقوله (فيخطبون) الى آخره اسهى ولايخفى انه لا لائم مابين فيه (بديها) اى يأتون الخطب فيه بديها

طناثهم بديهة من غير تكلف (في المقامات) اي محافل الناس ومجامعهم على رؤس الاشهاد بديهة من غير تصنع جمع مقام او مقامة يقال قام بين يدي الامير بمقامة حسنة اذا تكلم بعظة ونحوها وكانوا يخطبون قياما فلذا سميت مقامة ثم اطلقت على نفس الكلام المقول فيها كمقامات البديع والحريري وغيرهما (وشديد الخطب) اي الامر العظيم الشان الذي من شانه ان يقع فيه المخاطبات والمنازعات فكان لكل قوم خطيب يقوم بينهم بحثهم على مهماتهم وقيل ان الخطر الشان عظم او صغر وسبب الامر ولا يناسب المقام والتكلم بكلام بليغ ارتجالا يدل على سجية وغريزة قوية (ويرتجزون به) اي ينشدون رجزا في تلك المقامات مدحة بعدونه كالخطب ولذا ذهب بعضهم الى انه ليس بشعر (بين الطعن والضرب) كما ينشدون في اندبتهم وهذا كقول علي رضي الله عنه لما بارز مرحبا بخيبر * انا الذي سمتني امي حيدرة * كليث غابات كريه المنظرة * اكيلكم بالسيف كيل السندرة * وامثاله مما لا يحصى (ويمدحون) من يستحق المدح في مقاماتهم بديهة بابلغ الاشعار (ويقدحون) اي يذمون ويهجون يقال قدح في عرضه اذا عابه ومن فسره بقوله اي يقدحون افكارهم فيستخرجون محجر الكلام في احسن نظام لم يصب محز الكلام (ويتوسلون) بما ذكر من بليغ الكلام نظما ونثرا (ويتوصلون) عطف تفسير اي بالمذكور الى مطالبهم العالية (ويرفعون) من مدحوه بمدائحهم حتى يرتقي لمرتبة لم يكن له لشهرة مدحه فيصير نابه الذكر بعد ان كان خاملا كما وقع للمحلق لما نزل عنده الاعشى ضيفا فنحر له وسقاه وعنده بنات لم يرغب احد في تزوجهن فمدحه بقصيدة فائية مشهورة فلم يمض زمن حتى خطبوا بناته وزوجوا بهن (ويضعون) مقدار من ذموه بقدحهم حتى يصير سبة بينهم فيه انف وشر (ويأتون من ذلك) المذكور كله (بالسحر الحلال) السحر في الاصل اللطيف وكل ما دق ثم انه يسمى به الكلام البليغ الذي تلذه النفوس وتنجذب له القلوب ومنه ان من البيان لسحرا فهو تشبيه بليغ والسحر معناه الحقيقي معروف وهو قبيح محرم فوصفه بالحلال بيان للمعنى المراد منه وتجريد للاستعارة والسحر حق واقع وهو مأمور بشرعها اهلها سيأتي الكلام عليها عند قوله وقولهم ان هذا الاسحر يؤثر (ويطوقون) بالتشديد من الطوق وهو ما يحمل في العنق من ذهب ونحوه (من اوصافهم) البديعة البليغة وفيه استعارة مكنية وتخييلية اي من وصفهم لغيرهم بمدحهم (احلى من سمط اللآل) احلى بمعنى ازين واحسن وسمط بكسر فسكون المراد به جنسه لعمومه بالاضافة شيء قال صوابه سموطة لم يصب وهو السلك ما دام فيه الخرز والا فهو خيط وقال البرهان السمط الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك ونسبه الانطاكي ونسبه للجوهري وقال ان غيره

قال ان السمط للجوهر والسلك للجزر والنظام للاز وفيه نظر وفصله عقد المدائح على اللآلى لانه لايعنى ولا يعاومه ممن لم تروا اصل اللآل اللالى؛ بهمزة فى آخره فابدلها ياء لسكونها وقعاتم عامله معاملة المعتل فى الوقف فاسقطها كالقاضى (مخدعون الالباب) الخداع هو المكر واظهار امر على خلافه لمن تريد به امرا مكروها والالباب جمع لب وهو العقل كاص والمراد انهم يستميلون العقول حتى تنقاد لهم ففيه استعارة مكنية وتخييلة وتقدير ذوى العقول يذهب رونق الكلام (ويذللون الصعاب) اى يسهلون لمصاحبتهم الامور الصعبة فان كان من الذل بالكسر والدال معجمة من الارض الذلول وهى التى سهل المشى فيها ففيه استعارة تبعية وكذا ان كان من الذل بضمها والمراد على كليهما انهم يجعلونهما مطيعة لهم ويجوز ان تكون مكنية وتخييلة على ان الصعاب جمع صعبة وهى الناقة التى لا تنقاد (ويذهبون الاحن) بكسر الهمزة وفتح الحاء المهملة جمع احنة بكسر فسكون وهى الحقد (ويمحون الدمن) بضم اوله وفتح ثانيه وكسر الثاء التحتية المشددة ويجوز كسر الهاء مع سكون الياء اى يحركونهما ويطهرونهما والدمن بكسر الدال المهملة وفتح الميم والنون جمع دمنة وهى فى الاصل ماقى مبارك الابل من بعرها الملبد عاعليه من ابوالها استعير للحقد المصمم المختمع فى الباطن وهى استعارة بليغة سائغة فى كلامهم قال الشاعر

ارعى الامانة لا اخون ولا ارى ✽ ابدا ادمّن عرصة الاخوان

ويكون المراد به آثار السكان فى الديار والمعنى انهم يبدون الاطلال وسكانهما ويهيجون الاشواق بذكرها وان سلم من التكرار بعيدهما فلا نعتز عاعليه (ويجرؤن الجبان) بالتشديد والهمز من الجرأة وهى الاقدام والشجاعة والجبان ضد الشجاع اى يجعلونه شجاعا بمدحهم (ويبسطون يد الجعد البنان) باضافة الجعد الى البنان والبنان الاصابع وعقدها وبسطها مدها واذهاب جعودتها وهى انقباضها والجعد اذا اضيف الى اليد اوالبنان كان للذم بمعنى البخيل اللئيم فان اطلق كان بمعنى الجواد الكريم والجعودة ضد السبوطة وهى الانبساط والمعنى انهم بمصاحبتهم يصيرون البخيل كريما قال ابوعبيد الجعد فى صفة الرجال يكون مدحا ويكون ذما فى المدح معناه شديد الخلق مدبر للامور او انه سعر جعد غير سبط لان السبوطه اكثر فى العجم وفى الذم معناه القصير او البخيل (ويصيرون الناقص كاملا) بحثه على اكتساب الكمال حتى يصير الطابع طبعا وان كانت الطباع يعسر تغيرها وتبديلها (ويتركون النبيه) الشريف المشهور (خاملا) اى خامل الذكر متروكا بعد شهرته بسبب ذمهم له وتنقيصه بالهجاء ونحوه ثم قسمهم فقال (منهم) اى من العرب (البدوى) وهم سكان البادية النازلون فى الاخبية والدارات وهو بالباء الموحدة والدال المهملة المفتوحتين البدو لايسكنون القرى والامصار ويسمى ساكنها حضرا وحاضره

الحضور نسبهم لبعض فيها والنسبة للبادية اوللبدو بالسكون على خلاف القياس ويقال بداوى بفتح اوله وكسره اوهو نسبة للبدا كالفتى بمعنى البادية ايضا (ذو اللفظ الجزل) اى صاحب اللفظ المحكم القاطع الفاصل ويكون الجزل بمعنى الكثير ايضا ومنه الثواب الجزيل (والقول الفصل) بالصاد المهملة اى الفاصل بين الحق والباطل قال الله تعالى (انه لقول فصل وماهو بالهزل) واصل معنى الفصل الحجز ومنه فصول الكتب (والكلام الفخم) اى المفخم المعظم لشهامتهم وعدم مداراتهم او الممتلئ المعانى الرائقة يقال وجه فخم اذا كان له جمال ومهابة اوهو من الفخم ضد الرقيق لاعتيادهم باخراج الحروف من حاق مخارجها والجهر بها لقوله (والطبع الجهورى) اى طبعوا على جهر الصوت وعلوه ومنه الحروف المجهورة قال فى القاموس جهر ككرم وفخم الصوت ارتفع وكلام جهر وجهير وجهورى قال وفى الحديث (فاذا رجل صوت جهورى) وفى نسخة جوهرى نسبة للجوهر وهو الخالص النقى او القديم الحرى فان كان من الجوهر المعروف كالياقوت والزمرد ونحوه فهو استعارة للنفيس وفى القاموس الجوهر كل حجر يستخرج منه شئ ينتفع به ومن الشئ ما وضعت عليه جبلته والحرى المقدم اسمى والواو زائدة وقيل انه عماه المعروف معرب والعرب تمدح بالجهر بالكلام وتميزه عن النهاه والحسن كما قال الاعرابى

جهير الرواء جهير الكلام * جهير العطاس جهير النغم

وهذا اشبه بطريقة المصنف رحمه الله تعالى فى فصاحته (والمنزع القوى) مفعل من النزع وهو الجذب والاخذ ونزع الماء من البئر اخرجه ونزع القوس جذبه وهو مصدر ميمى او اسم مكان والاول اظهر اى يأتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين انواع الكلام بطائفهم السليمة بحيث اذا سمعه السامع شق عليه (ومنهم الحضرى) نسبة الى الحضر بفتحتين مقابل البدو وهو الحاضرة ايضا والحضارة سكنى الحضر وهى الامصار والقرى (ذو البلاغة البارعة) اى الفائقة من برع اقرانه اذا فاقهم بزيادة طبعه وتهذيب كلامه (والالفاظ الناصعة) اى الخالصة من الالفاظ الوحشية الغريبة السالمة من الركاكة (والكلمات الجامعة) للمعانى الكثيرة فى الالفاظ القليلة الموجزة (والطبع السهل) اللين المنقاد بسهولة لسلامة ذوقه وانسجام كلامه الذى هو ارق من النسيم بكاد من عذوبة الالفاظ يسرى مسامع الحفاظ فيدخل الاذن بلا اذن (والتصرف فى القول القليل الكلفة) فيخرج من نوع الى نوع من غير تكلف لكونه سجية له والقليل صفة للتصرف او للقول بلا تورية فى كلامه ما يعسر فهمه على السامع لرقته او بعده (الكثير الرونق) اى الحسن والطلاوة من رونق السيف وهوماؤه وحسنه كما قال البحترى

وبديع كأنه الزهر الضاحـ * ك في رونق الربيع الجديد
مشرق في جوانب السمع ما يخـ * لقه عوده على المستعيد

(الرقيق الحاشية) اصل الحاشيه طرف البرد والثوب ورقة حاشيته عبارة عن رقته وحسن نسجه والكلام يشبه بالحلل والبرود والتكلم بالنسج وفي الاساس من المجاز عيش رقيق الحواشي وكلام رقيق الحواشي وهو عبارة عن سهولته وسلاسته بان يكون لفظه رشيقا عذبا وفخما سهلا ومعناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا (وكلا الناس) اى كلا القسمين من كلام البدوي والحضري في مقامه ومحله وعند اهله (فلهما في البلاغه الحجة البالغة) قيل ان في الكلام تقديرا واصله واما كلا الناس الى آخره فالفاء واقعة في جواب اما المقدرة ولا يخفى انه ركيك ولو حذفها كان اولى ولو قيل كلا مبتدأ خبره مقدر تقديره وكلاهما مما اختصوا به او مماله شان عظيم ومابعده مبنى عليه كان احسن لان اما حذفها من غير عذر بل لبس سهلا والحجة البرهان والدليل من حجه اذا خصمه والزمه والبالغة بمعنى الواصلة والافصح افراد ضمير كلا رعاية للفظه ومعناه وان جاز تثنيته وقد جمع بينهما القائل في قوله

كلاهما حين جد الجري بينهما * قد اقلعا وكلا انفيهما رابى

(والقوة الدامغه) اى الغالبه لغيرها من سائر اللغات واصل الدمغ الضرب على الدماغ فاريد به ما ذكر من الغلبه والقهر يقال دمغ الحق الباطل اى ابطله ودمغت فلانا قهرته (والقدح الفالج) بكسر القاف وسكون الدال والحاء المهملتين واحد قداح الميسر وهو سهم بغير ريش وقداح الميسر التي كانوا يتقامرون بها في الجاهليه ولها اسماء مشهورة ومنها ماله نصب زائد ومنها ما لانصيب له والفالج بالفاء واللام والجيم بمعنى الفائز يقال فلج اصحابه اى فاز وسعد اى لهذه اللغة شرف وفوز عند سامعها وقيل المراد ماتنتجه الافكار واصابة الآراء وجودة الانظار وهواجس لاتعلق له بنفس الكلام والكلام فيه (والمهيع الناهج) بفتح الميم وسكون الهاء وفتح المثناة التحتيه وهي الطريق الواسع والناهج بمعنى البين الواضح المسلوك واصله السالك فتجوز به عن السلوك كماء دافق بمعنى مدفوق وعيشة راضية واراد به سعة لغتهم وظهور دلالتها (لايسكون ان الكلام طوع مرادهم) قيل كان الاحسن الظاهر ان يقول لا يسلك بناء المجهول ليكون ابلغ وهذا من عدم معرفته بمقاصده فان هذا هو المناسب لما هو بصدده فان البليغ الفائق اذا كان هذا حاله كان له اقدام على المعارضة عند التحدي فلله دره ما ادق نظره والمراد انهم يعلمون ماحملوا عليه من البلاغة والقدرة على ايراد كل كلام بليغ في مقامه على ماتقتضيه حاله وسكة في قواله ونظره لاستيلائه المطاوعة له ومعرفته بذلك (والبلاغه ملك قيادهم) بكسر القاف وهو حبل تقاد به الدابه اى والبلاغه مملوكة لهم منقادة واصله ملكهم وفي قيادهم فعدل

عسه لما ذكره لانه ابلغ ففيه استعارة في الملك والقياد وهي اضافية على حد قوله مكر الليل يعني انهم متصرفون في اقاليمها من غير تكلف (قد حووا فنونها) اى جمعوا وحازوا انواع البلاغة واقسامها والفنون جمع فن (واستنبطوا عيونها) اى استخرجوا اخيارها ومحاسنها واصل معنى الاستنباط استخراج الماء من الآبار والعيون النابعة فعيون هنا في موضعها وفيها تورية لايهامه لعيون الماء والمراد خيارها لان عين كل شئ خياره وليس من اطلاق اسم الجزء على الكل كما توهم (ودخلوا من كل باب من ابوابها) اى سهل عليهم الوصول الى مقاصدهم باى عبارة ارادوها كالحقيقة والمجاز والكناية وبسط الكلام في مقام وايجازه في مقام والتصريح والاخفاء وفيه استعارة مكنية وتخييلية بجعل مقاماتها قصورا واسعة لها ابواب متعددة ولذا عقبه بقوله (وعلوا صرحا) وهو البيت العالي المزخرف سقوفه والبيت الممرد وعلوا بتخفيف اللام بمعنى صعدوا ويجوز تشديدها (لبلوغ اسبابها) جمع سبب وهو كل ما يتوصل به لشئ آخر كالحبل والسلم وهو علة للعلو اى علوا قصر البلاغة ليصلوا الى ما فيه من الاسباب الموصلة لمهماتهم ومطالبهم الهمة كمن يدخل قصرا ليقابل الملك فينال عند لقائه انعامه واحسانه وفيه ايماء لقوله تعالى (ياهامان ابن لي صرحا لعلى ابلغ الاسباب) الآية فتامل ان الاحسن ان يقول صرح اسبابها تركه احسن منه لان معناه انهم علوا ذروة البلاغة فوصلوا بها لكل ما ارادوه فظفروا بمراداتهم لمقاصدهم واللام لام العاقبة هنا وفيه استعارة مكنية تخييلية لتشبيه مرتبة الافتخار التي فخروا بها باسباب لم يصلوا اليها (فقالوا) اى تكلموا بكلامهم البليغ (في الخطير) اى في الامر العظيم الذي له خطر اى شرف ومرتبة على غيره (والمهين) بفتح الميم اى الحقير من المهانة وهي الحقارة (وتفننوا) اى اتوا بكل فن من فنون الكلام متصرفين (في الغث) بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة واصله اللحم المهزول الذي تكره ساوله فاستعير للامر الهين والفاسد (و) ضده (السمين) وفي حديث ام زرع زوجي لحم جمل غث وفي المثل غثك خير من سمين غيرك وقد علمت ان فقالوا في اكثر النسخ بالقاف من القول وفي بعضها فغالوا بالغين المعجمة وفتح اللام اى زادوا والاول رواية الانطاكي وفسره التلمساني بانشاد المدائح والهجاء والمدح والذم او الجدل والهزل وله وجه (وتقاولوا) تفاعل من القول اى اداروا الكلام بينهم (في القل والكثر) بضم اولهما واجاز البرهان كسرهما اى القليل والكثير مدحا وذما وجدا وهزلا وقيل بينه نقل ولو قال في الكثير والنزر كان احسن واخصر وانسب بقوله (وتساجلوا في النظم والنثر) والتساجل تفاعل من السجل بالفتح وهو الدلو الكبير وسجالب الماء صبه ثم لما كانوا يتناوبون في سقي الماء استعاروا المساجلة للعطاء وللمفاخرة كما قال

* من يساجلني يساجل ماجدا *

يملوا الدلو الى عقد الكرب * وقيل الحرب سجال اى تارة يغلب وتارة يغلب كما قيل
فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر
فالمراد انهم تناوبوا او تفاخروا وتعارضوا فى عد المآثر كما هو متعارف عندهم وليس
المراد به المبارزة بان يدعو احدهما الآخر للقتال ويبرز من الصف كما قيل فانه لا وجه له
هنا وهى جائزة لفعل الصحابة رضى الله تعالى عنهم لها ومنعها بعضهم شرعا
لما فيها من المخاطرة والنظم والنثر غنى عن البيان (شاراعهم) اى بينما هم كذلك
جاءهم امر بغتة لم تكن لهم علم به ولم تطرق مسامعهم مثله وفى الاساس ماراعنى
الا مجيئك اى ماشعرت الا به وهو من الروع بمعنى الخوف والفزع (الارسول كريم) بعث
بين اظهرهم صلى الله تعالى عليه وسلم (بكتاب عزيز) لا نظير له شريف ومنيع
بحماية الله وهو استثناء مفرغ من عام مقدر اى لم يفجأهم ويفزعهم شيء سوى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءهم من الله اتاهم بخلاف هواهم وعكس
مناهم اذ كانوا يتوهمون ان رتبتهم فى البلاغة لا يفوقها كلام فاتاهم بكتاب اخرس
شقاشقهم واصم اسماعهم والباء للمصاحبة اى مؤيد بكلام معجز (لا يأتيه الباطل)
اى لا يأتيه باطل وامر فاسد بحسب العقل والشرع او ما يبطله كالنسخ
والطعن المقبول (من بين يديه) اى قدامه وفى مقابلته (ولا من خلفه) اى وراء ظهره
والمراد من جهة من الجهات فلا يجد سبيلا يوصله اليه وما وقع فيه من المطاعن اضمحل
وانمحق حتى صار كالعدم ولذا قال تعالى (لا ريب فيه) وقال تعالى (جاء الحق
وزهق الباطل) (تنزيل من حكيم) بحكم لمصنوعاته وتدبيره لجميع مخلوقاته (حميد)
محمود يحمده جميع الكائنات بلسان القال والحال (احكمت آياته) اى نظمت نظما
محكما لا يعتريه فساد ولا خلل ومنعها الله تعالى وحفظها من التبديل والتحريف الذى
وقع فى غيره من الكتب فهو من احكمت الدابة اذا وضعت فى فمها حكمة تمنعها
الجماح او جعلت حكيمة لاشتمالها على امهات الحكم النظرية والعملية من حكم بالضم
اذا صار حكيما وآيات القرآن جمع آية وهى جملة كلام من القرآن لها ابتداء ومقطع
(وفصلت كلماته) اى فصلت وبين ما فيها من الفوائد الجليلة كالعقائد الحقة والاحكام
الشرعية والمواعظ والاخبار الصادقة او جعلت سورا او ابوابا نجما نجما او فرق
بين الحق والباطل وجمع الوعد والوعيد (وبهرت) اى غلبت وادهشت
(بلاغته العقول) جميعها لغرابة اسلوبها وحسن بديعها الذى اعجز البلغاء
(وظهرت فصاحته) اى اتضحت كالشمس وسط النهار او غلبت واربت من بين
اخبارها (على كل مقول) اى كل كلام نظما ونثرا (وتظافر) بالظاء المشالة كما
فى اكثر النسخ تفاعل من الظفر وهو الفوز ونيل الامانى (ايجازه) اى قلة الفاظه الوافية
باداء المعانى من غير خلل (واعجازه) اى كونه فى اعلى مراتب البلاغة المعجزة للبشر

فالمعنى ان الايجاز احد من الاعجاز مايليق به والاعجاز استوفى من الايجاز مايحق له فيه مع المبالغة استعارة مكنية وتخييلية فمن قال انه لم يجد فى كتب اللغة مايفسر به فقد قصر وفى بعض النسخ بالصاد المعجمة اخت الصاد المهملة بمعنى تعاونا وتقويا على منع معارضته والاتيان بمثله من ضبر الخيل والشعر اذا جمع بعضه على بعض ليتقوى وهو مجاز مستعمل يقال تضافر القوم اذا تجمعوا وتعاونوا وقيل انه بالطاء المهملة من الطفرة بمعنى الوثوب اى وثب كل منهما والمراد انهما بلغا الغاية فى بابهما والا وجه الثلاثة معانيها متقاربة فلا وجه لتصويب بعضهما دون بعض (وتظاهرت حقيقته ومجازه) اى عضد كل منهما الآخر وقواه لما صار له ظهيرا ومسندا لما بينهما من العلاقة او تشابها فى الظهور لوضوح معانيه وظهور قرائنه لا كما تكون فى بعض المجازات من الخفاء والتعقيد (وتبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه) اى تشابهت وتساوت اوائله واواخره من قولهم فلان يبارى فلانا اذا فعل مثله والبارى تكون بمعنى التسابق فى الجرى فالمعنى ان مطلعه وهو مبدؤه ومقطعه وهو منتهاه وغايته كفواتح السور والآيات وخواتمها يجارى كل منهما الآخر ويسابقه ليحوز قصب السبق من الفصاحة وصحة المعانى وهو عبارة عن تشابههما (وحوت كل البيان) اى ما ينبغى بيانه واظهاره (جوامعه) اى جوامع كلمه التى جمعت المعانى الكثيرة فى الفاظ قليله (وبدائعه) اى ما ابدع فيه مما لم يسبق مثله فى كتاب وكلام الله تعالى مما لا تنقضى عجائبها ولا يحصى بصحيحها وكفى بالدهر عالما وبالذوق منه عالما (واعتدل) اى استقام من غير افراط ولا تفريط (مع ايجازه) وعدم تطويل لفظه (حسن نظمه) اى تناسب كلامه لفظا ومعنى وقلما يكون الايجاز كذلك وهذا من ادلة اعجازه وليس هذا مكررا مع قوله حوت كل البيان جوامعه وبدائعه كما توهم (وانطبق) اى وافق (على كثرة فوائده) اى معانيها التى تعدها (مختار لفظه) اى لفظه المهذب الذى كأنه انتخب ونقى وهذا من وجوه الاعجاز ايضا لان اللفظ الذى يفيد معانى كثيرة من الفصحاء يحتاج غالبا الى ترك الفاظ غيره محتاجة (وهم) اى فصحاء العرب من كل باد وحاضر (افسح ما كانوا فى هذا الباب مجالا) اى اوسع يقال فسحت مجالسه وفسح فيه وفيه فسحة له ان يفعل كذا اى وسعت له فهو فى فسحة منه وماكانوا بمعنى اكوانهم فما مصدريه واضافه افعل للمصدر على التجوز كاخطب مايكون الامير قائما والمجال محل الجولان وهو الحركة والجملة حالية من ضمير راعهم ومجالا تمييز على السبه محول عن الفاعل والمراد بالباب جانب البلاغة وجعله بابا لوصولهم به الى مقاصدهم اى جاءهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالكتاب المجيد ومجالهم فى غاية الاتساع وعبر المجال بالاتساع وان كان ينبئ عنه

فيه تكلف (واشهر) اى اعظم شهرة وفى نسخة واشهرهم بالاضافة لضمير الناس (فى الخطابة) بفتح الخاء اى انشاء الكلام فى المحافل وقوله (رجالا) تمييز كالذى قبله واشهر معطوف على خيرهم اى ورجالهم اشهر من غيرهم فى هذا وليس المراد بالرجال مطلق المذكور بل الاشراف كما قال رجالات قريش لاشرافهم وليس هذا منافيا لقوله خصوا بالبلاغة والحكم بما لم يخص به احد من الامم لان اسم التفضيل يقتضى مشاركة غيرهم لهم فيما كان مخصصا بهم لان اختصاصهم بما ذكر على ظاهره والتفضيل مجازى بان يكون على طريق الفرض كما فى حديث (ما رأيت ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل منكن) اذ الخطاب لجنس النساء او نقول انه على حد قولهم الخل احلى من العسل اى انه فى خصوصه اقوى من العسل فى حلاوته ولاسم التفضيل استعمالات اخر ذكروها فى المطولات (واكثر فى السجع) وهو الكلام المنثور الذى له فواصل مقفاة كالشعر وهو منقول من سجع الحمام لكونه على وتيرة واحدة ولذا لا يجوز اطلاقه على القرآن (والشعر) وهو الكلام الموزون المقفى بالقصد (ارتجالا) اى تكلما به من غير فكر وروية وهو فى الاصل الاسهاب والقيام على الارجل فاطلق على الكلام قائما لانه كان عادة لهم ثم نقل لما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه وفى كتاب بدائع البداية انه فى الاصل الاسهاب بسهولة ومنه شعر رجل وقيل هو من ارتجال البئر وهو ان ينزلها راجلا من غير حبل كالبديهة وهو من بدهه بمعنى بداه كما قالوا مدحه ومدهه الا ان الارتجال اسرع من البديهة وبعده الروية اسهى وفى نسخة واكثر فى الشعر والسجع سجالا والمراد بالسجال هنا المحاورة واصل معناه الدلو كما تقدم وقيل المراد به المفاخرة (واوسع فى الغريب) المراد به ما استغرب من الكنايات والمجازات البديعة لصرفهم فى الكلام وقيل المراد به ما يحتاج الى سفر وتفتيش من كتب اللغة وهو بالنسبة الينا * فان قلت هذا مما يخل بالفصاحة وسياق الكلام لمدحهم * قلت قال ابن هلال فى كتاب الصناعتين انه ليس مخلا بها لمن كانت لغته من الاعراب والفصيح من العرب الغرباء فاطلاق اهل المعانى غير صحيح وليم ارمن نبه عليه (واللغة مقالا) اللغة معناه الكلام ولكل قوم لغة ويكون اسما لعلم مدون يبين فيه معانيها والمراد هنا الاول والمقال مصدر ميمى بمعنى القول يعنى ان لغة العرب اكثر من سائر اللغات الفاظا فقلما يكون معنى الا وله اسماء مترادفة حتى انه يوجد فى كلامهم ماله مائة اسم فاكثر وقد افردوه بالتأليف وهذا كناية عن كونهم اقدر على الكلام من غيرهم فاذا اعجزهم القرآن فغيرهم بعلم عجزه بالطريق الاولى وعطف اللغة على الغريب من عطف العام على الخاص (بلغتهم التى بها يتحاورون) الجار والمجرور صفة كتاب او حال منه والتحاور اداره الكلام والمراجعة فيه سؤالا وجوابا من الحور وهو التردد والضمير للعرب وقيل لقريش لان القرآن نزل بلغتهم

فان كان ماله كذلك فلا اشكال فى كلامه (ومنازعهم) بفتح الميم والنون وزاء معجمه وعين مهملة جمع منزع بالفتح مجرور بالعطف على لفتهم من النزع وهو كما فى الحديث والاخذ والمنزع مصدر بمعنى النزع واسم مكان ويكون اسما للسهم الذى يرمى به فقال رماه بمنزع اى بسهم بعيد المرمى قال * فهو كالمنزع المريش من الشوحط السهم يعين المعالى * قاله فى الاساس قيل وهو المراد هنا لمناسبته لقوله (التى عنها يتناضلون) بالضاد المعجمة اى يترامون بالسهام يقال ناضله وخرجوا يتناضلون ويتنضلون وتنضلت من الكنانة سهما اخترته ومن المجاز ناضل عن قومه اذا دافع وحاج والمناضلة المفاخره فشبه الكلام الدائر بينهم فى المخاصمه والمفاخرة بالسهام واثبت له المناضلة تخيلا وقيل المنزع هنا اسم مكان والمعنى انهم يتغالون فى كلامهم نظما ونثرا فى حال المنازعه وهى المجادله فى الاعيان والمعانى وهو بعيد وابعد منه ماقيل ان المنزع مايرجع اليه الرجل من رأيه وطريقه اى ابانهم الكتاب بما هو دينهم الذى لايتركونه فاكدوا على مداومته (صارخا بهم فى كل حين) حال من الكتاب اوالرسول من الصراخ وهوالصياح والنداء بصوت شديد يسمع من بعيد اى مصرحا بدعوته فى كل وقت يتلوالقرآن عليهم ويبكتهم ويدعوهم لمعارضته (ومقرعا) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء المهمله وعين مهملة اى معيرا وموبخالهم من القرع وهو الضرب ومنه القرعة (لهم بضعا وعشرين عاما) سنه وهو بكسر الباء الموحدة وضاد معجمه ساكنة وعين مهمله وهو من الثلاث الى التسع من كسور العدد وقال بضعة ايضا فى لغه قليلة وفيه اقوال اخر فى القاموس هذا اصحها ويستعمل مع العشرة وماقوقها الى تسعين ولايختص ببعض العقود منها وهذه المده مدة دعوته صلى الله عليه وسلم من بعثته الى وفاته وقد اختلف فيها مع انه بعث على رأس الاربعين وتوفى بعده قيل عشرون وقيل ثلاث وعشرون وهوالاصح وقيل خمس وعشرون ولذا قال بضعا من غير تعيين العام والسنه بمعنى وقد خص الثانيه بالشمسية والاول بالقمريه ولذا اختاره لان بها حسابهم ولانها قد يعبر بها عن الشدة والقحط * واعلم ان البضع ليس كصريح العدد فى انه يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر وماقاله فى القاموس عن مرمان يرده مافى الحديث الايمان بضعه وسبعون شعبة فلا يرد على المصنف ان الصواب ان يقول بضعة وعشرون كما قيل ولامشاحه للاوائل (على رؤس الملا اجمعين) الرؤس جمع رأس وهو العضو المعروف الشريف السيد والملاء الجماعة وقد يخص بالاشراف ويقال كله على رؤس الناس وعلى رؤس الاشهاد اذا صرح بمايريده واشاعه لان من يريد ذلك يقوم فى المحافل مستعليا على رؤسهم اى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يزل مظهرا لدعوته مده بعثته منذرا لهم قاما عليهم من اظهرهم

والجار متعلق بقوله مفتريا او تنازعه مفتريا وساردا (ام يقولون افتراه) هذا حال ايضا اى قائلا وتاليا لهم ام يقولون الخ ولم يعطفه رعاية لنظم القرآن فيكون اقتباسا من مشكاة انواره والافتراء كالاختلاق الكذب والاستفهام انكارى توبيخى (قل) ان كان الامر كما زعمتم (فأتوا بسورة مثله) فى النظم والبلاغة فانه رجل مثلكم وانتم فصحاء (وادعوا من استطعتم) اى كل من قدرتم على دعوته ليعينكم على افتراء كلام يضاهيه (من دون الله) اى غير الله تعالى فانه القادر على كل شئ (ان كنتم صادقين) فى قولكم انه افتراه وهذا توبيخ وتقريع بتعجيزهم عن اقل مراتبه وليس مقابلا للسخفة الاولى كما قيل ثم انه اتى باية اخرى فى معناها فقال (وان كنتم فى ريب) فى شك وشبهة (مما نزلنا على عبدنا) اى نزلناه نجما نجما بحسب الوقائع (فأتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا) وقوله من مثله صفة سورة اى سورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اى بسورة مماثلة للقرآن فى البلاغة وحسن النظم اولعبدنا ومن للابتداء اى بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير للعبد وهذه الآية ابلغ مما قبلها للدلالة على عجزهم فى المستقبل بقوله ولن تفعلوا والكلام على الآيات مما كفانا المفسرون مؤنته (وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) نظما وبلاغة (لا يأتون بمثله الآية) وهو جواب قسم مقدر ولذا لم يجزم ولم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يستلزم اعجازه فتأمل (وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) اى بمحض كذب واختلاق منكم ومحض الكذب بالذكر لقوله (وذلك) اى طلب الاتيان بالمفترى منهما ومقربنا (ان المفترى) اسم مفعول (اسهل) عليهما (ووضع الباطل اقرب) تناولا واروج بينهما ومع ذلك لم يقدروا عليه (واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب) لانه يلاحظ فيه ما فى الواقع ونفس الامر ثم يؤتى باللفظ على طبقه وتربيته بحيث لا يخرج عنه (والمختلق) بفتح اللام اسم مفعول بمعنى الكذب المفترى كما قال تعالى (وتخلقون افكا) وهو من الخلق بمعنى التقدير لانه امر مقدر فى النفس من غير نظر للواقع وقيل انه من الخلق وهو الثوب البالى لان الحق يزيد كل يوم جدة والكذب يزداد بلى (على الاختيار اقرب) المراد بالاختيار ضد الالجاء والاضطرار اى فان الصادق مضطر الى اتباع الحق وقد يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب فانه يجد ميدانا واسعا كما قال تعالى (الم تر انهم فى كل واد يهيمون) وقيل ههنا بحث وهو ان التحدى بقوله فأتوا بسورة الى آخره ان كان الاتيان بما هو واقع على وجه الحق فهو غير ممكن قطعا وان كان بالاتيان بمثله وعلى صورته لفظا فلا يخرج عن كونه مفترى وحينئذ يستوى الامران والذى دار فى خلدى ان ذكر مفتريات لمشاكلة قوله

افتراء تهكما وتقريعا لا لماقاله المصنف رحمه الله تعالى اشهى وليس شئ لا ما مجاز الثانى وقولهم انهم لحذرهم لايستويان وهو فى غاية الظهور فقد روضمن اقرب معنى اهون ولذا عداه بعلى كقوله تعالى (وهو اهون عليه) ولولا ذلك عداه بالى اواللام (ولذا) اى لكون المختلق اسهل واقرب من الحق الصحيح عبارة (قيل) اى قال الادباء ومن لهم دراية فى صناعة الصناعة للكلام (فلان) اى المنشئ لرسائل الملوك ونحوه ممن يقول الحكم والمواعظ من الفصحاء (يكتب كما يقال له) اى كتب فى شان امر واقع لرسالة فهو فى احكام الكلام عن زهر المعانى الزاهية الزاهرة حتى يفوح عبيرها فى نادى البراعة (وفلان) ممن ينشئ المقامات (يكتب كما يريد) من كل ما يطرأ على خاطره من غير نظر لصدقه وكذبه فاذا صعب عليه التعبير عن معنى عدل عنه لغيره فهو يكتب كما يريد لا كما يراد وهذا اشارة كما حكى عن بديع الزمان انه رتب له راتب من كتبة الديوان فلم يقدر على كتابة الرسائل فلما اخبر الصاحب بذلك قال دعوه فانه يكتب كما يريد لا كما يراد وحكى مثله عن الحريرى ايضا (وللاول) الذى يكتب كما يقال له (على الثانى) وهو الذى يكتب كما يريد والمراد بالكتابة هنا مطلق الكلام وان لم يكتب (فضل) اى زيادة شرف ورتبة (وبينهما شأو) اى مسافة ومدى (بعيد) والشأو بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة وقد تبدل الفا وبالواو بمعنى السبق والغاية والامد فتجوز به عن المسافة ثم كنى به عن التفاوت الزائد (فلم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعهم) اى يعيرهم ويعنفهم ويشنع عليهم لما تحداهم بالقرآن (اشد التقريع) لانذارهم بالهلاك والعذاب الاليم (ويوبخهم غاية التوبيخ) هو بمعناه لكن المقام مقام اطناب وخطاب يحسن فيه له (ويسفه احلامهم) اى يصفهم بالسفه وهو قلة العقل وخفته والسفه الخفة والاحلام جمع حلم بضمتين وضم فسكون وهو العقل (ويحط اعلامهم) بحاء مهملة مضمومة واعلام جمع علم بفتحتين وهى الراية الكبيرة والجبل والسيد والاسم المخصص والكل محتمل هنا اى ينكس راياتهم ويهتك حبالهم ويذل ساداتهم ويزرى باسمائهم والمعنى على كل حال انه يحقرهم ويقهرهم بطعنه فيهم واظهار ضلالهم وسوء حالهم (ويشتت نظامهم) اى يفرق جمعهم ويبطل آراءهم بجداله وجلاده والنظام ما ينظم به الدرر ونحوها والشئ المعروف كما هو فاستعير لما ذكر (ويذم آلهتهم) اى اصنامهم التى عبدوها فى الجاهلية (وآباءهم) الذين اقتدوا بهم فى الكفر وقالوا (انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون) والآباء بالمد جمع اب (ويستبيح ارضهم وديارهم) اى يجعلها مباحة للمسلمين بالسيف لاثمهم عليها واجلائهم عنها (واموالهم) مما ملكوه من الاثاث والمواشى وغيرها (وهم فى كل هذا) المذكور من التوبيخ والذم وما بعده الى اباحة الاموال والديار (ناكصون) فقال

نكص على عقبيه اذا احجم وتأخر فاستعير للاعراض عن معارضته فيما فعله وما اتى به القرآن (عن معارضته) والاتيان بمثله والجملة حالية من الضمير قبلها (محجمون عن مماثلته) اى عن الاتيان بشئ مماثل اقصر سورة منه لما تحداهم واحجم كنكص بمعنى تأخر وهو كناية عن عدم القدرة يقال حجمته فاحجم وهو من النوادر كقتل كبته فاكب (يخادعون انفسهم) اى يمنون انفسهم امانى كاذبة ويؤملون آمالا فارغة ويمكرون مكرا يعود عليهم بالوبال فكأنهم بذلك خادعوا انفسهم فهو كقوله تعالى (وما يخدعون الا انفسهم) وتحقيقه فى الكشاف وشروحه (بالشنف) وهو تهييج الشر والفتن من الشغب بفتح الغين المعجمة وسكونها (والكذب) اى بادعائهم كذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به من الحق الذى لا مرية فيه وقيل هو من قولهم كذبته نفسه اذا خيلت له آمالا بعيدة على اتباع الباطل وهو بعيد لا وجه له والذى غره قوله (والاغراء بالاغراء) هكذا فى النسخ الصحيحة بغين معجمة وراء مهملة ومدة وفى بعضها الاغتراء افتعال منه وقال التلمسانى صوابه الاغراء بمثناة وهو المولع بالحث والتحريض قال تعالى (فاغرينا بينهم العداوة) اى الزمناها اقول قال بعضهم اصله من الغراء الذى يلصق به وعلى هذا فالاعتراض ساقط لما فى القاموس من انه يقال اغتراه اذا الصقه والمصنف اجل من ان يوهم فى اللغة فانه قدوة فيها ولا حاجة الى انه لمشاكلة الاغراء والاغراء الكذب كما يقدم وصيغة الافتعال تفيد المبالغة لست فى المجرد كما قرروه فى قوله لها (ما كسبت وعليها ما اكتسبت (وقولهم) بالجر معطوف على الكذب (ان هذا الا سحر يؤثر) اى ينقل ويروى عن السحرة كاهل بابل وغيرهم وسبب نزول هذه الآية ان الوليد لما سمع منه صلى الله تعالى عليه وسلم حم السجدة قال سمعت من محمد كلاما ليس بكلام انس ولا جن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل صبأ الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل لعنه الله انا اكفيكموه فجلس عنده حزينا وكلمه بكلام اغاظه فقال لهم يزعمون ان محمدا مجنون هل رأيتموه يخنق وزعمتم انه كاهن هل رأيتموه يتكهن وانه شاعر هل رأيتموه قال شعرا قالوا لا فقال ما هو الا ساحر ا ما رأيتموه يفرق بين المرء واهله وولده فاهتز النادى فرحا واتى ذلك كله مبسوطا واعلم ان السحر كما قاله الكرمانى فى ارشاده قد صنف فيه كتب كثيرة اكثرها غاية الحكيم للمجريطى وهو حق فى وغيرهم فى نقال لا الا خدع وخيالات والى القسمين الاشارة بقوله سحروا اعين الناس وقوله واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ولما حسب الناس انه اخفى طريقة فطريقة الهند تصفية النفس وتجريدها لانهم رأوه افعالا تصدر عن النفس وطريق النبط عمل اشياء مناسبة للغرض المطلوب مضافة لرقية وعزيمة ودخنة فى وقت مناسب وتلك الاشياء تماثيل وتصاوير وعقد ينفثون فيها وكتابة تدفن او تعلق

في الهواء ويحرق والعزائم تصرع للكواكب المؤثرة عندهم وطريق اليونان تسخير
روحانية الأفلاك والكواكب دون أجرامها في وقت خاص وطريق القبط
والعبرانيين والعرب الاعتماد على أسماء وعزائم مجهولة كأنهم يخاطبون بها حاضرا
لاعتقادهم أنها تصدر عن الجن بتسخير الملائكة لها وأنواعه ثلاثة الاستخدام والاستنزال
والاستحضار وتكون بقطعه بتوسط تلبس الروح ببدن منفعل ينطق بلسانه
كصبي وامرأة حال غيبة عن الحس ويختص باسم الاستحضار فإن كان مناما
اختص باسم الحلبان أسمى ملخصا (وسحر مستمر) أي دائم بأن يمر وراءه من تتابع
الوحي غضا طريا أو محكم متقن وأصله من مر الحبل وهو فتل مرائره وهي طاقاته
أو ذاهب غير قار من المرور أو مستبشع من المذاق (وإفك افتراه) أي كذب اخترعه
واختلقه والإفك أسوأ الكذب (وأساطير الأولين) أي شيء أخذه مما سطره
الأولون وزخرفوه وهو جمع سطر أي صف من الكتابة على خلاف القياس
وقال المبرد إنه جمع أسطورة كأرجوحة وأراجيح على القياس أو له مفرد مقدر
كأسطارة وأسطيرة وقائل هذا هو النضر بن الحارث بن كلدة وفيه نزلت الآية
وقتل يوم بدر (والمداهنة) بالجر عطفا على الكذب وهي بمعنى الهذيان وهي
الكذب الذي يبهت ويدهش سامعه وكذا قوله (والرضاء بالدنيه) بالهمزة
ويبدل فتدغم ومعناه الخصلة الحقيرة الخسيسة المنحطة التي لا يرضى بها من له
عقل ومروءة وفسرها بقوله (كقولهم قلوبنا غلف) لأن ظاهره الوصف
بالحماقة وعدم الفهم وهو أمر مذموم لا يرتضيه العاقل وهو جمع أغلف أي
في غلاف فيقال سيف أغلف فهي بمعنى في أكنة جمع كنان ونظيره كتاب غطاء
ومعناها مغطاة وغلام أغلف بمعنى أقلف والقلفة الغلفة وقيل إنه جمع غلاف وأصله
غلف بضم اللام ككتب وقرئ به ثم خفف بالسكون أي هي أوعية للعلم مملوءة به
فلا تحتاج لعلمك وعلى الأول معناه لا نفهم ما تقول ولا يصل إلينا وهذا هو الملائم
لكلام المصنف ولقوله (وفي أكنة مما تدعونا إليه) وهو القرآن والإيمان
(وفي آذاننا وقر) أي صمم وأصل معناه الثقل والحمل (ومن بيننا وبينك حجاب)
أي مانع عن وصول ما تقوله لنا وفي من إشارة إلى أنه مبدأ وأنه استوعب المسافة
المتوسطة بينهما حتى لم يبق فراغ وهو تمثيل لنبو قلوبهم عن إدراك ما تدعوهم له
ومج أسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم له (و) قال الذين كفروا
(لا تسمعوا لهذا القرآن) أي لا تصغوا وتنقادوا (والغوا فيه) بفتح الغين المعجمة
وضمها من لغي يلغى ولغا يلغو والأول أصح وهو المعروفة والمراد به ارفعوا الأصوات
بأي كلام كان حتى تشوشوا على قارئه فيقطع قراءته أو يمنع من استماعه ولغو الكلام
ما لا فائدة فيه وهو من اللغا وهي أصوات الطيور فقال لغى أي لغوا ولغا كل وقد سمي

كلام قبيح لغوا قال تعالى (لايسمعون فيها لغوا) اى قبيحا كما قاله الراغب وانما
فعلوا هذا لعجزهم عن معارضته (لعلكم تغلبون) قارئه فيقطع قراءته فتغلبوهم انما
هو بالجهل والسفه كما هو شأن الساحر المعاند ومثله دنية لا ترضى (والادعاء) مجرور
كالذى قبله (مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا) وهذه وقاحة لفرط عنادهم
ومكابرة ولو استطاعوه ما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشرين
سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع انفة كانفهم من ان يغلبوا خصوصا فى الفصاحة
وقائل هذا هو النضر بن الحارث انما لكنه اسنده الى الجميع كما يسند
فعل الرئيس الى المرؤسين او على حد قولهم بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد
منهم (وقد قال لهم الله تعالى) مكذبا لهم (ولن تفعلوا) فنفى قدرتهم فى المستقبل
فلو قدروا الخ بهم فعلوا ولم يقل فلن يأتوا بسورة من مثله لما فيه من الكناية والايجاز
(فما فعلوا ولا قدروا) نفى الفعل ظاهر والقدرة فى الانسان قوة غير محسوسة فيها
يعلم من انهم وبخوا وعيروا فلم ينطقوا ببنت شفة مع شدة غيرتهم واشتعال نار حميتهم
(ومن تعاطى ذلك) اى فعله وتكلم بما توهمه معارضة واصل معناه المناولة
(من سخفائهم) ممن له طيش وقلة عقل (كمسيلمة) تصغير مسلمة فلامه مكسورة
وميمه مضمومة والعامة تفتح لامه وهو خطأ منهم والضمير للعرب وهو كذاب
تضرب به المثل فيقال اكذب من مسيلمة وهو ابن حبيب اليمنى من بنى حنيفة وله
وهذا لقبه واسمه هارون ويقال له ابو ثمامة وكان وفد على النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم ولم يسلم حتى قتله خالد بن الوليد فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه وقيل قتله
وحشى قاتل حمزة رضى الله تعالى عنه وكان له حيل ونيرنجات يوهم انها معجزات
وارسل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا صورته من مسيلمة رسول الله سلام
عليك اما بعد فانى قد اشركت معك فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن
قريشا قوم يعتدون علينا فاجابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكتب اليه
من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومن هذيانه الذى زعم انه وحى
نزل عليه والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا
والثاردات ثردا ضفدع بنت ضفدعين الى كم تنقين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين
الى غير ذلك مما تمجه الاسماع وتستقبحه الطباع (فكشف عواره) فى نسخة
بدون فاء واثباتها احسن اى اظهر بما قاله من الكلام السخيف الركيك عيبه
وخيانته وهو بضم العين المهملة وفتحه غريب على الافصح وآخره راء مهملة وتفتح
العين ايضا وقيل انها الافصح (لجمهم) اى العرب ممن سمعه وقد نقل صاحب
الدلائل منه كلاما كثيرا وشرحه ولا حاجة لتسويد وجه الصحف به والعوار مأخوذ

من عور العين وفيه اشارة الى ماقيل من انه مسح عين من استشفى بمسحه فاستصب عينه (وسلبهم الله) اى احد منهم والضمير لمن وضع نظرا لمثاه (ماألفوه) اى اعتادوه بطباعهم (من فصيح كلامهم) بيان لما اى لما ارادوا المعارضة لم يقدروا على كلام مثل كلامهم قبله وليس هذا قولا بالصرفة كما توهم لان من فعل هذا ليس له صرفة وهذه الجملة معطوفة على جملة مافعلوا وليست الواو للمعية ولا حالية كما قيل (والا) اى وان لم يسلبهم الله فصاحتهم المألوفة (فلم يخف على اهل المير ٢) بفتح الميم وسكون التحتية والراء المعجمة اى التمييز والعقل وزاد الفاء فى الجواب لانه ماض لفظا ومعنى او بتقدير المبتدأ اى فهم لم يخف الى آخره ووجهه دفع توهم كون الاستثنائية فاندفع ماقيل ان الصواب اسقاطها لصحة مباشرته للشرط فقال ماره بميره ادامره اى لو نظر لتلك الجمل ومازها ظهر انه كلام ماراى ومارهى (انه ليس من نمط فصاحتهم) بفتحتين ونون وميم وطاء مهملة اى من نوع الفصاحة وعلى طريقتها التى اعتادها فانه معجز خارج عن طوق البشر وضمير انه للقرآن فقال عندى ماع من هذا النمط وهذا ابلغ من لبس فصيحا لانه نفى عنه كونه من جنسه (ولا جنس بلاغتهم) لركاكته وقباحته (بل ولوا عنه مدبرين) اضراب عن مثله ومدبرين اى معرضين حال مؤكدة لولوا عمى رجعوا واعرضوا (وأتوا مذعنين) بذال معجمة وعين مهملة اى منقادين مسلمين والاذعان الانقياد واما اطلاقه على العلم فى قولهم اذعان النسبة تصديق فقوله ليس من كلامهم (من بين مهتد) اى مصدق بحقيقته واعجازه لهداية الله تعالى له (وبين مفتون) متحير فى امره منكر لاعجازه وفيه لف ونشر مشوش (ولهذا) اى لكونه ليس من نمط كلامهم (لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية) لما سأله ان يقرأ عليه شيئا من القرآن لينظر فى امره وقرأ هذه الآية عليه دون غيرها لمناسبتها لانه من اقاربه وفيها عطفه وتنبيه وهو من رؤساء عقلائهم فرجا بذلك ان يهديه الله للاسلام قال السيوطى وهذا الحديث رواه البيهقى عن عكرمة مرسلا وفى المدخل فى الاحياء فى آداب تلاوة القرآن حدثت ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اقرأ على فقرأ عليه (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى) الآية فقال اعد فاعاد فقال ان له لحلاوة الى آخر ماذكره المصنف هنا وكذا ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد الا انه قال ان الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وكذا ذكر ابن اسحق فى سيرته فان صح فهما قصتان والوليد والد خالد بن الوليد والمغيرة بضم الميم وكسر الغين المعجمة هو ابن عبد الله

(٢) منهم نسخه

الحروري وباقي نسبه معروف مات كافرا وترجمته معروفة (قال) لما سمع ما تلاه عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (والله ان له) اى لما تلا (حلاوة) اى عذوبة فصاحة عند من له ذوق فهو استعارة لما تستلذه السمع (وان عليه لطلاوة) بضم الطاء وبجوز فتحها لغة ومشاكلة وتكسر ايضا فهو مثلث ومعناها الحسن والقبول والرونق وجاء بمعنى السحر ايضا وهو استعارة كالذى قبله واكده بالقسم وان والاسمية وقدم الخبر للحصر اشارة الى انه لا تشبه غيره من الكلام (وان اسفله لمغدق) بلام التوكيد وضم الميم وسكون الغين المعجمة وكسر الدال المهملة كما فى النسخ كلها من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء ورواه ابن اسحق وان اسفله لمغدق وان فرعه لجناة والغدق بفتح الغين المهملة وسكون الدال المعجمة هو النخلة التى اصلها ثابت ورواه ابن هشام لعذق بفتح المعجمة وكسر المهملة من الغدق بفتحتين قال البرهان الحلبى ورواية ابن اسحق اصح لانها اشارة بانه وبما آخر الكلام يشبه اوله والجناة بفتح الجيم والنون الثمرة (واعلاه لمثمر) اى له ثمر طيب كثير والجملة الثانية تمامها استعارة تمثيلية والمراد انه كلام اصله قوى ليس من جنس كلام البشر ومعانيه مفيدة مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة وهو كقوله تعالى (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء) او استعارتان تمثيلية ان واراد باسفله مافيه من المعانى كما قال تحت هذا الكلام معان غزيرة وان اراد باعلاه ما ينتجه من الفوائد والعوائد التى تظهر من فهم معانيه وجعلها تشبيه الكلام لفصاحته وبلاغته بشجرة شرب عروقها ماء غزيرا فاهتزت وربت واسعت ثمرتها وكثرت وعذبت ويجوز ان تكون مكنية وتخييلية قلت اختلاف الروايات يدل على تعدد القصة ثم بنى على هذا قوله (ماهذا بقول بشر) لانه لا تشبه كلامهم بوجه من الوجوه وفى نسخة مايقول هذا بشر بصيغة المضارع اى ليس من كلام البشر لحلاوة نظمه وبديع اسلوبه وبلاغة معانيه وحيرا لله باسه نفى انه ليس ممن يجهلها وخص البشر لانهم المعروفون بالبلاغة والا فهو معجز للجن ايضا مع ان فى هذا الخبر التصريح بذلك حيث قال وليس بشعر قد علمت وجل اعلم بالشعر منى ولا اعلم برجزه ولا بقصيده منى ولا باشعار الجن والله ماتشبه الذى يقول شيئا من هذا وانه ليعلو ولا يعلى وانه ليحطم ما تحته كما رواه البيهقى فى الدلائل ثم انه روى المزى ان القارئ على الوليد عثمان بن مظعون لا النبى صلى الله عليه وسلم كما رواه المصنف رحمه الله تعالى فان عثمان رضى الله تعالى عنه قال ماسامعت ابتداء الايمان من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى نزلت ان الله يأمر بالعدل الآية وانا عنده فاستقر الايمان فى قلبى فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخى اعد الى آخر الحديث وهذا يؤيد مامر من تعدد القصة (وحكى ابو عبيد) القاسم بن سلام بسنده

اللام الامام في الفقه والحديث واللغة البغدادي الحبر الهمام الجليل احد عن الشافعي وغيره وكان عبدا روميا لرجل من هراة واحواله ورحلته معروفة توفي سنة اربع او ثلاث وعشرين ومائتين (انا عرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر) واعرض عن المشركين اي اجهر بما امرت بتبليغه ولا تبال بما يقولونه وما موصولة اومصدرية واصل معنى الصدع التفريق والتمييز فاستعير لما ذكر لتفرقته بين الحق والباطل وما قيل من انه لايجوز ان تكون مصدرية لانه بمعنى امرك وهو مصدر مبني للمفعول والصحيح عدم جوازه ولاموصولة لانه يحتاج لتقدير العائد اي تؤمر به ولايجوز الا اذا جر بما جر به الموصول واتحدا معنا والاول متعلق باصدع والثاني بتؤمر فهو من فاته وان سبقه اليه بعض المعربين لان الخلاف في المصدر الصريح لافي ان والفعل كما في هذه الآية ولانه انما حذف العائد بعد حذف الجار ونصبه (فسجد) الاعرابي لما ادهشه من بلاغته (وقال سجدت لفصاحته) اذليست آية سجدة وانما هزه الطرب لفصاحته حتى ذل وصرع وجهه في التراب وكان هذا معروفا في مثله حتى قال بعضهم للشعر سجدت وليس المعنى سجدت لله لاجل فصاحته كما توهم وتعبير بفصاحته لا لكلام المفرد لالعارض كما توهم لانه لايناسب المقام (وسمع) اعرابي (آخر رجلا يقرأ) قوله تعالى (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا) اي لما يئسوا من يوسف عليه الصلوة والسلام وزيدت السين والتاء للمبالغة في اليأس وخلصوا بمعنى اعتزلوا وانفردوا ونجيا بمعنى متناجين في تدبير امره وهو يطلق على الواحد المذكر وغيره (فقال اشهد ان مخلوقا لايقدر على مثل هذا الكلام) لاعجاز بلاغته وخروجها عن طوق البشر فانك اذا وزنت قولك لما لم يطعهم يوسف عليه الصلوة والسلام ولم يجبهم ذهبوا وتشاوروا ثم ما يقولون بعد هذا وكيف يرجعون لابيهم بهذا النظم عرفت بالذوق انه لامناسبة بينهما ولولا خوف السآمة فصلنا وجوه البلاغة فيها (وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يوما نائما بالمسجد) اي مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة والظاهر ان مراده بقوله نائما مضطجعا لا نائم فانه يستعمل كثيرا بهذا المعنى لقوله (وعلى رأسه قائم) اي في جانب رأسه رجل منتصب القامة وليس المراد انه ملتجئ لرأسه وهو جهة مقدمه فوق بدنه والجملة حالية والضمير لعمر رضي الله تعالى عنه وفي نسخة فاذا هو بقائم على رأسه فاذا فجائية والباء للملابسة (يتشهد شهادة الحق) اي يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (فاستخبره) اي طلب عمر رضي الله تعالى عنه منه الاخبار عن سبب تشهده وعن حاله (فاعلمه) ذلك الرجل المتشهد (انه من بطارقة الروم) بطارقة جمع بطريق بكسر الراء معرب بطرك ومعناه الرئيس وقائد الجيش وقد تكلمت به العرب قديما قال الجواليقي في كتاب المعرب البطريق بلغة الروم وهو القائد للجيش وجمعه بطارقة

وقد تكلموا به ولما سمعت العرب بن البطارقة اهل رياسة وسموا الرئيس به يريدون المدح قال ابو دؤس

هم رجعوا بالعرج والقوم شهد * هوازن تحدوها حماة بطارق

وهذا يقتضي ان بطريق هو المعرب وهو المعروف وقال ابن خالويه في كتابه ليس البطريك معرب بطريق عربته العرب قديما قال

يعلو الطواهر فرد في التلال له * كبطرك قدمشي في غط كتان

وهذا مما تجب منه غرره والروم جيل من الناس معروفون سموا باسم جدهم روم بن عيصو بن اسحق وكان اصفر فلذا قيل لهم بنو الاصفر والواحد رومي وقول الجوهري رامي غلط منه (من محسن كلام العرب وغيرها) من العبرانية والسريانية والرومية وانما قال هذا وطئه لانه فهم القرآن والانجيل وقدر على النظر في معانيهما ولذا قال (وانه سمع رجلا من اسارى(٢) المسلمين) بضم الهمزة وفتحها جمع اسير وابدله من الاسر وهو الشد بالقد ثم عم الكل من اسر وصار في يد عدوه (يقرأ آية من كتابكم) ايها المسلمون يعني القرآن (فأماها) اي نظرت وتفكر في معناها (فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى ابن مريم) عليه الصلوة والسلام في الانجيل (من احوال الدنيا والآخرة) بيان لما اي من الاحوال التي يلزم العبد في الدنيا التي هي سبب للامور والنجاح في الآخرة (وهي) اي الآية التي جمعها (قوله) عز وجل (ومن يطع الله ورسوله) في امره بما فرض وسن ونهيه عن غيره (ويخشى الله ويتقه) اي يخافه ويجتنب ما يسبب عقوبته (فاولئك هم الفائزون) بسعادة الدارين وقوله جمع بالنظر للمعنى ويجوز ساؤه للفاعل وقرأ بالافراد فاعله ضمير رجل وقيل انه روى هرؤن ضمير الجمع للاسارى وهو محتاج لا تكلف (وحكى الاصمعي) بصاد مهملة ساكنة وميم مفتوحة وعين مهملة وهو عبد الملك بن قريب بالصغير ابن اصمع وهو لقب جده ومعناه صغير الاذن وهو امام الائمة في النحو والادب والوادر ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائة وتوفي بها سنة عشر ومائتين (انه سمع جارية) اي امرأة شابة من العرب تتكلم بكلام فصيح (فقال لها قاتلك الله ما افصحك) تعجب من فصاحة لسانها وبالغ في تحسينه فانها يقال لمن اتى بامر بديع غريب وهي في الاصل جملة دعائية يرادبها شدة الاستحسان كانه يستحق ان يحسد ويدعى عليه (فقالت اوبعد) فتح الهمزة للاستفهامية والواو العاطفة والهمزة مقدمة من تأخير او داخلة على مقدر معطوف عليه وبعد بالبناء للضم مجهول او المنوية معلوم (هذا) الكلام (فصاحة) اي فصيحا (بعد قول الله) اي مع فصاحة القرآن لايقال الكلام غيره انه فصيح لمن سمعه فانه ازرى بكل فصاحة وسترها كالنجوم كالماع الشمس اذا نشر يجب ماهو اعظم شأنه منه فانه بعد عنه عنه كامل

(٢) اسراء نسخه

ولاقح فيها غير ان حالها * تصير كل الغايات قاطا

(واوحينا الى ام موسى) اى الهمناها او ارسلنا ملكا (ان ارضعيه الآية) اى فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين (جمع فى آية واحدة بين امرين) ارضعيه والقيه (ونهيين) لا تخافى ولا تحزنى (وخبرين) او خبرا وخفت عليه (وبشارتين) رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين والمراد بالفصاحة هنا البلاغة فانها تطلق عليها كما ذكره الشيخ عبد القاهر (فهذا) اى الجمع من ماذكر فى آية واحدة (نوع من اعجازه) اى القرآن (معجز بذاته) اى مستقل بنفسه غير محتاج لغيره (غير مضاف لغيره) اى غير تابع لنوع غيره من البلاغة (على التحقيق) لما فى الواقع عند من عرفه (والصحيح من القولين) بالجر معطوف على التحقيق والظاهر ان مراده بالقولين هنا كما قاله بعضهم القول بان اعجاز القرآن هل هو مجموع بلاغته واسلوب نظمه او هو متحقق بكل واحد منهما على حدته وانفراده بدون اضافة احدهما الى الآخر فان كلا منهما خارق للعادة خارج عن طوق البشر وهذا هو المادر من سياقه وقيل المراد بالقولين القول بان اعجازه ببلاغته التى لا يرتقى احد الى مرتبتها والقول بانه معجز بغير ذلك كالصرفه والاخبار بالمغيبات ولا شك فى ان من يقول باعجازه البلاغيه واسلوبه يقول ايضا انه بالنظر لمعانيه ايضا اذ لا يمكن قطع النظر عنه كما قاله العلامة الزركشى فى برهانه اذ قال اكثر المحققين على ان الاعجاز من جهة البلاغة لكن تعذر الاحاطه بتفصيلها فان اجناس الكلام مختلفة ومراتب البيان متفاوته فمنها البليغ الرصين الجزل والفصيح القريب السهل والجائز الطلق الرسل فهذه اقسامها المحموده والاول اعلاها والثانى اوسطها والثالث ادناها وقد حازت بلاغة القرآن من كل قسمة فانتظم له نمط جمع الفخامة والعذوبة وهما كالمتضادين لان العذوبة نتاج السهولة والمتانة والجزالة تعالجان لوعورة فكان اجتماعهما فضيلة خص بها القرآن ليكون آية بينة وانما تعذرت على البشر لان علمهم لا يحيط بجميع اللغة العربية وظروف معانيها وافهامهم لا تدرك جميع معانيها ووجوه نظمها فعجزوا احسن بها حتى يأتوا بمثله وانما يقوم الكلام بلفظ حامل ومعنى به قائم ورباط له ناظم فاذا تأملت القرآن وجدته اسمى فى ذلك كله ورقى لاعلى درجاته وهذا لا يتيسر لغير العالم القدير فانما صار معجزا لانه جاء باحسن الالفاظ وابدع النظم والتأليف واصح المعانى من الدعاء للتوحيد وطاعة الرب المجيد والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها واضعا كل شئ فى موضعه بحيث لا يرى محلا اولى من محل موضوعه مملات اخبار القرون الماضية مبينا بالحوادث المستقبلة برمانها جامعا للحجج والحجج له المؤكدة للزوم ماذكاله ولاشك ان استيفاء هذه الامور منسقا احسن نسق لا يمكن

لعزه عز وجل (وكون القرآن من قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف
وفتح الباء الموحدة واللام اي من عنده قال تعالى (فما للذين كفروا قبلك مهطعين)
ويستعار للقوة والقدرة على المقابلة اي المجازاة فقال لا قبل لي بكذا ومنه قوله بجنود
لا قبل لهم بها والمراد كونه من عنده بقوله (وانه اتى به) عطف تفسير فليس المراد انه
كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم (معلوم ضرورة) لتواتر وتوفر الدواعي على نقله
(و) كذا (عجز العرب عن الاتيان به) اي بمثله (معلوم ضرورة) لمشاهدتهم له
(و) كذا (كونه) صلى الله تعالى عليه وسلم (متحديا به) اي طالبا منهم الاتيان بمثله
(معلوم ضرورة) استماعهم له (و) كذا (كونه في فصاحته) في سنده ... عارة
... بالطرق المحكي ... (خارقا للعادة) اي مخالفا لعادة فصحاء العرب
في كلامهم الفصيح من قولهم خرق الثوب اذا تجاوزه وتعداه (معلوم ضرورة
للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة) اي انواعها ومقاماتها المقتضية لها لعجزهم
عن معارضته وقد طلب منهم ذلك مرارا لا تحصى وهم احرص الناس على ذلك
(وسبيل من ليس من اهلها) اي طريق من لم يكن من اهل الفصاحة الجبلية الموصلة
لمعرفة اعجازه كالمولدين والعجم (علم ذلك) اي الاعجاز واسم الاشارة قائم مقام الضمير
(بعجز المنكرين من اهلها) لاعجازه وانه ليس من كلام البشر اذا تحدوا (عن
معارضته) والاتيان بمثله وعن ... (واعتراف) هو في الاصل افتعال من المعرفة
صار بمعنى الاقرار بما عرفوه فقوله (المقرين) بانه كلام الله المعجز من اقامة الظاهر
مقام المضمر (باعجاز بلاغته) لهم واعجزهم عن ان يأتوا بسورة الا من عاند
... السفه ... هذا ... تصديقه ... من ... واكثر ... مكابرة ...
... وعلم ... مصدر علم ... معرفة ... لمن
الموصولة والجر باضافته لاسم الاشارة ولارباب الحواشي هنا خبط ...
... فمنهم من قال علم مجرور ... من الموصولة وذلك مفعول ويجر الى
آخره ... علم من ليس اهلا لذلك ... خارقا للعادة وهو ... الى آخره
واعجب منه قولهم ان علم بفتح العين وسكون اللام بمعنى علامة من علم ... اذا
... اعلم ... بمعنى ... علم ... للمجهول او للمعلوم
وهو ... (وانا اذا ناما)
اي ... قائل ...
الى حد قوله تعالى (ذا السماء انشقت) ... دخولها على الجمل الاسمية (قوله
تعالى ولكم في القصاص حياة) وما اودع فيه من البدائع والروائع مع لطائف الاسرار
وانوار الاعجاز الساطعة من مشكاته ... فيه من الفصاحة وحلاوة غرابة بلاغته

فى الدوى وما اشتمل عليه من بديع البديع كالاعراب بحمل القتل الذى هو ضد الحيوة طرفالها لان من علم انه اذا قتل اقتص منه كف عنه وكان سببا لحيوة من بهم قتله وهو اوجز مما عدوه من افصح كلامهم وهو قولهم القتل انفى للقتل مع مافيه من التكرار والقتل مطلقا لاسيما فى القصاص تصريح بالمعنى المراد اذ القتل قد يكون ظلما وفيه كلام وفوائد كثيرة فى شروح الكشاف والمصباح والعزة تدل على النجدة ولا اقول العزة تدل على الفخر لما فيه من محاسة سوء الادب (وقوله ولو ترى اذ فزعوا) من حلول الاجل او من بعثهم من القبور او فى يوم بدر (فلا فوت واخذوا من مكان قريب) اى من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليبها فى هذه الآية من الايجاز والبلاغة وعذوبة الالفاظ مايعرفه من له بصيرة (وقوله) تعالى (ادفع بالتى هى احسن) اى ادفع سيئة من اساء اليك بالحسنة التى هى احسن من كل شئ حسن او بأحسن ما يمكن دفعه ولاحاجة الى القول بان احسن بمعنى حسن وعدل عنه للمبالغة فاعلم ما فى هذه الآية من الايجاز بحذف مفعول ادفع وهو السيئة لانه لا يدفع الحسن واطلف المعنى وما فيه من المبالغة ومكارم الاخلاق وهذا كقولهم احسن الى من اساء كفى المسئ فعله وفى طى ذكر السيئة كونه سيئة وامادعوى المناسبة للمقام بما فيها من دفع السائل وكف الناس عنها وبين قوله (وقوله) تعالى (وقيل ياارض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى) فهذه عبارة جليلة وتكلف من غير طائل وفى هذه الآية من البلاغة المعجزة مع الايجاز انه ناداهما كما ينادى العقلاء وامرهما بما يؤمرون به تنبيها على كمال قدرته وعظمته لانقيادهما لما اراد كالمأمور المطيع المبادر للامتثال حذرا من سطوة آمره والبلع استعارة للجفاف والاقلاع الامساك وفيها لطائف اخر مفصلة فى شرح المصباح (الآية) وتمامها وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين (وقوله) تعالى (فكلا) ممن ذكر قبله من المكذبين (اخذنا بذنبه) اى عاقبناه (فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) اى ريحا عاصفة فيها حصباء وهى الحجارة الصغيرة اوما كان يرماهم بها وهم قوم لوط عليه الصلوة والسلام (الآية) وتمامها (ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا) والاول قوم هود ومدين والثانى قارون والثالث قوم نوح وفرعون وفى الآية من وجوه البلاغة الاجمال والتفصيل وحسن السبك والعلم والاعلام باحوال من مضى للاعتبار و لاعتبار والانسجام الرائق (واشباهها) اى ما شابهها مما ذكر فى البلاغة ووجوه الايجاز (من الآى) اسم جنس جمعى ككلم وكلمة اواسم جمع وهو منصوب معطوف على مفعول امامه ثم اضرب عنها لانه لا يحصر فى آيات مخصوصة مشيرا الى وجوه من الايجاز فيها فقال (بل اكثر

القرآن) وجواب اذا قوله (حققت ماثبته) لك آنفا (من البحار الفاظها وكثرة معانيها) مع لطائف ودقائق (و) لطائف (ديباجة عبارتها) قيل معنى الديباج نوع من الحرير له ورق يقال فلان يلبس الديباج ويركب الهملاج وقيل انه معرب فاصله ديبا زيدفيه الجيم كما يقال فى قولون وهو من الامراض قولنج ثم اشتق منه فقالوا دبج المطر الارض اذا زينها بالنبات والرياض وفلان يصون ديباجة اى خداه وفى صدره بتدابجهما ومنه اخذ ديباجة الكتاب والقصيدة لاوله والحواميم ديباج القرآن اى رياضه التى يرتع فيها القارئ فالمراد حسن عبارته ففيه استعارة مكنية وتخييلية شبهت العبارة بمعنى واثبت له الديباج بمعنى الرياض والنبات ثم كنى به عامر (وحسن تألف حروفها) حيث كانت سالمة من التنافر والثقل (و) حسن (تلاؤم كلماتها) بالهمزة وقد تبدل ياء فقال تلايم وملائمة اى مناسبة ومواخاته واما ابدالها واوا فهو خطأ من رسم الهمزة بالواو لان الملاومة مفاعلة من اللوم فقراءة بعض المحدثين له بالواو لحن بمعنى التبس فيه فيعتقد ولا يصحف بأنه سائر كتاب (وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة) اى فيها معان كثيرة وفوائد عزيرة وجمل مايدل عليه تحته تجوزا (وفصولا جمة) اى انواعا كثيرة من محاسن الكلام كما يقال جمل الكلام فصلا فصلا والجم الكثير وطابق بينهما بما قبله كقوله (وعلوما زواخر) بزاء وخاء معجمتين وراء مهملة اى علوما كثيرة كالبحار الزواخر من زخر البحر اذا كثر ماؤه وارتفعت امواجه ففيه مكنية وتخييلية ويجوز ان تكون تشبيها بليغا واستعارة مصرحة وزواخر ممنوع من الصرف وما فى بعض النسخ من تنوينه للتناسب لا وجه له (ملأت الدواوين) اى املأت كتب التفسير وغيره من الفنون (من بعض ما استفيد منها) بالبناء للمجهول اى اخذه كل باحث عنه بحسب فهمه واذا ملأها بعضه فكله لا يمكن حصره ولا يحويه كتاب كما قال تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى) ودواوين جمع ديوان وهو الكتاب وقد تقدم الكلام عليه (وكثرت المقالات) اى كلام الائمة والمصنفين (فى المستنبطات عنها) اى فى المعانى والاحكام المستخرجة بطريق الاشارة والدلالات الالتزامية وهو من قولهم استنبط الماء من البئر اذا استخرجه فالمستنبط هو ما دل عليه صريحا وما استنبط غيره (ثم هو) اى القرآن وعطفه بثم للتراخى الرتبى عما قبله (فى سرد القصص الطوال) اى ذكرها فى اثنائه مستعار من سرد الدرع اى نسجه (واخبار القرون السوالف) معطوف على القصص جمع قصة والمراد بالقرون السوالف الامم المتقدمة على عصر النبوة من سلف بمعنى تقدم والقرن مدة من الزمان مختلف فيها والمراد اهله (التى يضعف فى عادة الفصحاء عندها الكلام) صفة للقصص والاخبار اى انها لطولها اذا اريد ذكرها بتمامه

يصعب على الفصيح حكايتها ويصعب نطقها عن ادائها واحمالها لمن لايطيقها لانه لا فائدة بتدبرها وليس المراد انه واقع في الخارج عجز الفصيح عن مطابقة حكايته له (ويذهب ماء البيان) اي رونقه وحسنه لانه لطوله قدلا تتناسب كلماته ونشق نظامه ولايحكم ارتباطه والبيان افصاح المعاني وهومعطوف على يصعب الصلة فيه عائد مقدر كالذي قبله (آية لمتأمله) اي علامة بينة لمن تأمل نظمه وسرده القصص والاخبار وآية خبرالمبتدأ الذي هوهو اومبتدأ مؤخر والجار والمجرور خبرمقدم والجملة خبرهو والرابط الالف واللام القائمة مقام الضمير الذي هو في سرد قصصه آية لمن تأمله حق التأمل وقوله (من ربط الكلام) صفة لآية ومن بيانية اومتعلق بمقدراي يظهر كونه آية دالة على اعجازه من ارتباط الكلام (بعضه ببعض) بالجربدل من الكلام اي من كون اجزائه الى غاية التناسب حتى كان كل كلمة مرتبطة باخرها (والتئام سرده) بالهمزة والتاء اي مناسبة كلماته المسرودة اي المتتابعة كحلق الدرع الداخل بعضها في بعض مع فصاحتها وحسن تأليفها (وتناصف وجوهه) المراد بالوجوه انواع بلاغته من الاستعارة والكناية وتناصف تفاعل من النصفة والانصاف يقال اعضاؤه متناصفة حسنا اي لايفضل حسن بعضها عن بعض وهو من بديع الكلام الذي لايعرفه الامن ذاق حلاوة العربية كما اشار اليه المبرد رحمه الله تعالى في الكامل قال الشاعر

لما عرضت الى تناصف وجهها * عرض المحب الى الحبيب الاول

واصل معنى الانصاف المواساة ونحوها كانك تعطيه نصفا وتأخذ نصفا ومن طي عدم تغاير هذه المعاني تمدوهم (كقصة يوسف عليه الصلوة والسلام على طولها) فصلها الله تعالى على احسن ترتيب وابدع تهذيب بحيث لم يصعب ماء بيانها ولم يختل عقد نظامها مرسلة الهوادي بالاعجاز على اصح وجه واوضح نهج (ثم اذا ترددت) اي اذا كررت (قصصه ٢) المذكورة في القرآن من قولهم فلان تردد على فلان اذا كان يكثر الاتيان اليه كقول بعضهم

ان كنت لم اكثر زيادة حكم * فيحق اكثر من تردد

اي ما كرر من قصص القرآن ليس تكرارا مخلا اذ قد (اختلفت العبارات عنها) قد ذكرت في كل مكان لمعنى ضرب له مثلا غير المكان الآخر وحكيت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا (على كثرة ترددها) وتكرارها والجار والمجرور حال من ضمير عنها وهذا من عظيم قدرة قائلها ويحكى عن ابن عباد رحمه الله تعالى انه مات له ولد فاشتد حزنه على فقده فلما صلوا على جنازته في محفل عظيم قام الناس لعزيته فلم تعد عبارة المعزين له مع كثرتهم وكونه في حالة حزن والم حتى تعجب الحاضرون من بلاغته (حتى تكاد كل واحدة) من القصص

(٢) نسخة قصته

المكرره (نسى في السان صاحبها) يعني ان سامعها كأنه اعاسمعها الآن ولم يسبق لها ذكر قبل ذلك لان العبارة غير الاولى والسياق ومناسبة المقام تفيد فوائد اخر وتجدد لمن سمعها حظا عظيما لله ارة العبارة لما تقدمها وغير تكاد لا نهالم تمس حقيقة (وتناصف في الحسن وجه مماثلتها) لتفاوتهما باعتبار المقامات المحكية فيهما كقصة آدم وحوا وموسى عليهم الصلوة والسلام مع بني اسرائيل (ولا تعوز للنفوس من ترديدها) وتكريرها وهذا اشارة الى الجواب عما قاله بعض الطاعنين في القرآن بان فيه مكررات كثيرة وهو مما ينفر الطبع السليم (ولا معاداة لمعادها) اي لا تعادي الطباع المكرره المعاد في القرآن من قصصه كما قال الشاعر * طبع النفوس معاداة المعادات * وفيه تلميح لما ذكر وتجنيس لطيف ﴿فصل الوجه الثاني﴾ من وجوه اعجاز القرآن (من اعجازه صوره نظمه العجيب والاسلوب الغريب) اشار بالاسلوب والصوره الى رشاقة عبارته وفخامة معانيه وهذا باعتبار نظمه وطريقه الوارد فيها فانه مع الرعة لا يشبه الشعر ولا الخطب ولا غيرها مما كان عادتهم ومحاوراتهم فترى الاسماع بفوائده وبهذا اضمحل ما قيل انه بحسب المعنى راجع للاول لان حسن تأليفه والتئامه كله راجع لصورة نظمه فان قيل ان قوله (المخالف لاساليب كلام العرب) مغن عنه قلت لا لان قوله الخارق للعادة بمعناه ابين والاساليب جمع اسلوب وهو الفن والنوع وفي كلامه اشارة الى ان الاعجاز ليس مداره على الالفاظ ولذا عبر بالنظم دون اللفظ قال عبد القاهر النظم توخي المعاني على حسب الاعراض التي صيغ لها الكلام لابوابها في النطق وضم بعضها لبعض كما سبق (ومناهج نظمها ونثرها) مجرور معطوف على اساليب اي مخالف لما جمعها جمع منهج وهو الطريق اي لاسلوب كلام النظم وهو الشعر ولا المنثور من الخطب وغيرها (الذي جاء عليه) صفة نظم اي النظم الذي جاء عليه من عند الله تعالى واردا على اسلوبه العجيب الذي لا يشبه كلام البشر (ووقف مقاطع آية) جمع آية مضاف لضمير القرآن وفي نسخة آياته والمقاطع جمع مقطع وهو آخر الكلام الذي يقف عليه القارئ وفيها ما وكانها واسناد الوقف اليها مجازي والواقف انما هو القارئ وهو بمعنى انتهى ووصل ولذا عداه بالى وهو معطوف على الصله (وانتهت فواصل كلماته اليه) وفي بعض النسخ ووقف مطالع آية عليه والفواصل جمع فاصلة وهي الكلمة الاخيرة من الفقرة ونحوها والضمير للموصول مصدر مضاف الى آخره قالوا لا يقال في القرآن انه سجع وانما يقال فواصل لقوله فصلت آياته (ولم يوجد) اي لم يسمع كلام ناثر (قبله ولا بعده نظير له) مماثله في بلاغته وعلو مرتبته وغرابة اسلوبه (ولا استطاع) وقدر (احد مماثلة شيء منه) بان يأتي بكلام ما يشبهه في الجزالة والبلاغة (بل حارت فيه عقولهم) فوقعوا في الحيرة فانه دعمهم من الاعراق

وظهور انحاره بكذبهم فى قولهم انه مفترى او سحر او نحوه مما لا تقبله الطبع (وتدلهت به دونه احلامهم) بفتح الدال المهملة واللام المشددة اى دهشت وتحيرت فى شانه فهو تمامله وفى نسخة تولهت بواو بدل الدال من الوله وهو الحيرة ايضا والاحسن ان تقصر التدله بذهاب العقل من الهوى فكون ترقى من حيرته الى ذهابه ودونه بمعنى ما لم يبلغ مرتبته كما فى قوله تعالى (لاتتخذوا بطانة من دونكم) والاحلام جمع حلم وهو بمعنى العقل وله معان اخر يعنى ان عقولهم لم تصل اليه اذ تحيرت فيما هو اقل منه فكيف به (ولم يهتدوا الى مثله) اى لم يسمعوا به من فصحائهم ولم يقدروا على الاتيان بسورة تماثله او تقرب منه (فى جنس كلامهم) الذى يقدرون عليه ويأتى به قواهم البشرية (من نثر) كالخطب والرسائل (او نظم) من القصائد والشعر (او سجع) وهو الكلام المقفى غير الموزون وهو يطلق على مجموع هذا وعلى الكلمات الاخيرة من النثر ويطلق على الاتيان به وهى التوافق الواقع فيه (او رجز) وهو نوع من الشعر معروف وافرده بالذكر مع دخوله فى النظم لانه خلافه فى عدم التزامهم رويا واحدا فعد نوعا مستقلا من الكلام افرد باسم يخصه ولم يعده بعضهم من الشعر حتى سمى قائله راجزا لا شاعرا (او شعر) لو لم يذكره كان احسن لانه مكرر مع النظم (ولما سمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة) تقدم ضبطه وانه ابو خالد وكان من صناديد قريش وعقلائهم وفصحائهم الا ان الله لم يهده الى الاسلام كما مر واسم ولده خالد رضى الله تعالى عنه سيف الله (وقرأ عليه القرآن) اى اسمع الوليد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعض القرآن رجاء اسلامه (رق) قلبه ومال طبعه الى الاعتراف به والاسلام واصل الرقة ضد الغلظة فتجوز به عن الملاءمة والميل كما قال ابن سعيد المغربى

قد طال شوقى الى ثغور * ملأى من الشهد(٢) والرحيق

عنها احدث الذى اراه * عندى من شعرى الرقيق

(فجاءه ابو جهل) لعنه الله تعالى لما علمه ميله الى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليصده عنه وكان ابن اخيه واسمه عمرو بن هشام (منكرا عليه) ميله واستحسانه لما قرأه صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وهو حال من فاعل جاء (فقال) الوليد ردا لانكار ابى جهل عليه (والله ما منكم) يامعشر قريش (احد اعلم بالاشعار منى) انكارا لقولهم انه ساحر (والله ما يشبه الذى يقوله) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من القرآن (شيئا من هذا) الشعر الذى ينشد واشار اليه بالقرب لشهرته وحضوره فى الذهن كالشاهد المحسوس (وفى خبره الآخر) اى فى خبر آخر عن الوليد رواه البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما (حين جمع) الوليد (قريشا) يعنى اشرافهم ورؤساؤهم (عند حضور الموسم) مفعل من الوسم وهو العلامة

(٢) من السوق نسخه

والمراد موسم الحجاج وهو زمان اجتماعهم لانها معالم كانوا يجتمعون فيها بمكة وحضوره مجيء زمانه او مجيء اهله ولما كان يجتمع به جميع قبائل العرب من كل فج حتى ان يجتمعوا بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيتبعوه جمعهم وحذرهم ليتشاوروا ويروا رأيا فيما يصد الناس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما اشار الى بيان ذلك بقوله (وقال ان وفود العرب) جمع وفد وهم كالجماعة الذين يقدمون من بلادهم الى مكة من غير اهلها واصل معنى الوفد الاشراف (ترد) اى تقدمون من غير البلاد واصل الورود الذهاب للماء (فاجمعوا فيه) اى في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وامره اى تروا وتداركوا (رأيا) اى امرا تعتمدون له فائدته بعده واجمعوا بقطع الهمزة من الاجماع يقال اجمعت كذا وكذا واجمعت عليه واكثر مايقال فيما يكون جمعا يتوصل اليه بالفكر نحو (فاجمعوا امركم وشركاءكم) ويقال اجمع المسلمون على كذا اى اجتمعت آراؤهم عليه ويجوز ان يكون همزته همزة وصل ايضا لانه يقال جمع رأيا ايضا وبه فسر قوله تعالى (ان الناس قد جمعوا لكم) اى جمعوا آراءهم وتدبيرهم كما قال الراغب ولا عبرة بانكار الحريري في الدرة مجيء كمانه في شيء منها (لا تختلفوا فيكم) اى اجمعوا على امر واحد في قدومهم حتى لا ... اى كله واحد لا في شانهم (فقالوا فقل) هو (كاهن) ... يدعي معرفة الاسرار وكانوا في العرب كثيرا كشق وسطيح وكان لهم كلام مسجع ... حتى يخبره بما في الاخبار ومنهم من يدعي معرفة ذلك باسباب وامور ... احدها من كلام السائل وفعله وحاله وتعاله عراف واكثرها امور ... ما يصيب احيانا (فقال) الوليد لهم (والله ماهو بكاهن) اى ماله لاشيء ... مقالة ... كلامه لاشبه كلامهم المسجع الذي كانوا ياتون به ... وهو ... كاذب ... لاشيء ... هذا ... ولا يروج عند العقلاء (ماهو بزمزمة ولاسجعه) الضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ... اى ... مروفا ... من السواى وما كلا ... وما ... لا كالكهان ... من الجن ... كلام الكهان كان ... صلى الله تعالى عليه وسلم ... هذا من احوال الكهان وهذا لا ... صلى الله تعالى عليه وسلم ... الرأي هذا الرأي ... صلى الله تعالى عليه وسلم (قالوا) فنقول هو (مجنون) اى ... كلامه ... وذلك ... اصحابه ...

واحسه اذا سره لاسار عقله ومه الحان والحس (قال) الوليد ودا لرأيهم هذا (ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته) اى لا يسه حاله حال المجانين والخنق بفتح الخاء المعجمة وسكون النون مصدر وهو الاختناق والجنون فقال له خنق بكسر النون وفتحها والوسوسة بفتح الواو مصدر وهو شئ يلقى فى القلب اوفى السمع بصوت خفى وقد يحدث لمرضه نفسه ولذا سمى حديث النفس (قالوا فنقول شاعر قال) اى الوليد (ما هو بشاعر) اى ليس كلامه بشعر ولا موزونا ولا معنى ان الشعر مدح ونحو ونشبيب وليس فيما سمعوا منه صلى الله تعالى عليه وسلم شئ من ذلك (قد عرفت الشعر كله) بانواعه واوزانه وقوافيه ثم فصل بعضا منه بقوله (رجزه) هو نوع من الشعر معروف يسمى بالرجز ويقال للقصيدة منه ارجوزة وجمعها اراجيز وسمى رجزا لاضطرابه فى وزنه واختلاف اوزانه واختلاف قوافيه (وهزجه) بفتحتين وهو اسم لبحر من بحور الشعر معروف وبه فسر هنا ولكن الذى قالوا ان اسماء البحور مقولات اصطلاحية وضعها الخليل بن احمد ممى مقولة من الهزج لنوع مضطرب من الاغانى ولو قيل انه اسم لضرب من الشعر كانت العرب تسميه كان اقرب وانسب قوله (وقريضه) لانه ليس اسم بحر من بحور العروض لانه فى اللغة بمعنى الشعر مطلقا من قرضه بمعنى قطعه فعيل بمعنى مفعول لان الشاعر يقطع نوعا مخصوصا من الكلام ليعرض له فالظاهر ان المراد به ما يقابل القصائد وهى المقطوعات وقرض الشعر ملكة يقتدر بها على نظمه وفى العرف معرفة محاسن الشعر وقبحه (ومبسوطه) اى مطولات قصائده مطالما المقابلة لما قبله فتناول جميع انواعه من الطويل والبسيط وغيره فمن فسره بحر البسيط وقال زيادة الميم فيه لمشاكلة قوله (ومقبوضه (٢)) فقد تكلف ما لا دليل عليه وكان المراد بمقبوضه مختصر اوزانه المسمى فى العروض بالمجزو والمنهوك وليس المراد مصطلح العروضيين وهو المحذوف بالسبب الخفيف الذى هو خامس كما ان الذى حذف ياؤه فصار مفاعلن لان هذا اصطلاح احدثه المولدون لا تعرفه العرب قديما وقوله رجزه وما عطف عليه منصوب بدلا من الشعر لا من كله لانه يوكد لا يصح البدل منه لانه لا يقع معمولا كما توهم (قالوا فنقول) هو (ساحر قال) اى الوليد (ما هو بساحر) انكره لما تعلمه من ان الساحر هو الذى يستعين على ما يأتى من خارق العادة بامر علوى او بعزائم يسخر بها الجن و بطلسمات يستخرج بها السفلى بالعلوى والناس جميعهم يعلمون انه صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ولذا قال (ولا نفثه ولا عقده) بفتح النون المهملة وسكون القاف او بضم ففتح جمع عقدة والنفث النفخ مع ريق والعقد عقد خيط اوشعر مضفور ونحوه كما تعرفه السحرة مما تؤثر امورا خارقة للعادة فى الخارج فنفى عنه انه ليس عمل مما ذكر له

(٢) ووقع هنا فى بعض النسخ «وما هو بساحر» فيكون حينئذ تأكيدا للاول فافهم ط

السحرة فقد توفي صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرهم ولم يراحد منه ذلك علما حطاهم الوليد في وصفهم له صلى الله تعالى عليه وسلم وبين لهم ان تدبيرهم الباطل لايروج على عاقل كما قيل

يا سطوة الله حلي عقد مار بطوا * وشتتي شمل اقوام بنا احتاطوا
الله اكبر سيف الله قاطعهم * وكلما قد علوا في دمهم هبطوا

(قالوا فانقول) بالنون او بالمثناة الفوقية اي نحن او انت ياوليد ومارأيك (قال ماانتم بقائلين من هذا) اي مثل هذه الآراء (شيئا) في حقه (الاوانا اعرف انه باطل) اي بقول غير ذي ولا عند العقلاء الذين يعرفونه وتقديم الضمير افوية الحكم لانه تقدم اقوية الكلام اوللحصر لمسيه اعتماد بصرحها بهم فيه والجملة حالية مستأنفة تأخيرا انها بالواو وعدمه (وان اقرب القول) في حقه وان كان الكل مفترى (انه ساحر) بفتح الهمزة وكسرها كما في كل ماوقع بعد افعل مضاف للقول على ان المصدر خبران والجملة الحكاية لانه اخ الرابط لاسماعين المبتدأ هنا وهذا رجل عاقل رحم الله تعالى على فائه وسمعه ونبهت عاكف الضلالة على بصره ثم بين وجه اقربيته بحسب الفطرة التي هو لها (فانه سحر) اي كالسحر ووجه المشابهة انه (يفرق بين المرء وابيه) بالباء الموحدة والواو او الياء المثناة التحتية ومعناها ظاهر (والمرء واخيه) وفي نسخة بين المرء وابيه واخيه (والمرء وزوجه) اي امرأته وفيه لغات هذه وزوجة بتاء التأنيث (والمرء وعشيرته) اي اقاربه الادنون المعاشرين له وقد كان ذلك فان من ذاق حلاوة الاسلام ترك ما عداه لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان مشاهدا في الصحابة رضي الله تعالى عنهم وفيهم من ترك ملكا كبيرا بن النجاشي كما في سيرة ابن هشام والتوفيق بين هذا وبين ماحكاه الزمخشري عن الوليد هذا من انه قال لهم ماهو الاسحر اما رأيتموه يفرق بين المرء الى آخره وما حكاه عنه من قوله ان هذا الاسحر يؤثر كما تقدم انه اراد ماهنا من انه كالساحر فحاذكر لكنه ساقه في معرض الجزم وليروج عندهم او انه قال من هم راجع عقله فرجع عنه وهو الاوفق بما في الآية ومناسبة ماذكرنا هو بصدده في غاية الظهور فالقول بان الانسب ان يذكر ماحكى عنه من انه قال لبني مخزوم والله قد سمعت محمدا يقول كلاما ماهو بقول انس له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى كما هو ولا وجه له (فتفرقوا) من المجلس الذي جمعهم للمشاورة فيه (وجلسوا على السبل) جمع سبيل وهو الطريق ليحذروا الوافدين عما قالوه حتى لا يتبعوه صلى الله تعالى عليه وسلم و (يحذرون الناس) منه حتى لا يتبعوه يقولون لكل من رأوه محمد شأنه كذا وكذا فاحذروه لانه يحكم عن دينكم والجملة الاولى معطوفة او حالية بتقدير قد وكذا الثانية من ضمير تفرقوا او هما حالان متداخلتان فقالوا ذلك لكل من قدم للحج فمشا امره صلى الله تعالى عليه وسلم في قبائل العرب

(حتى)

وحتى ابو طالب من ذلك ومن ثم ثبت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا كهتهم وسبها ان تقع منهم ما يخرجهم على ضرره فقال في قصيدته اللامية الطويلة المشهورة بمدحه صلى الله عليه وسلم ويذكر حسن حاله وما هو عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ما قوله

لعمري لقد كلفت وجدا باحمد * واحوته دأب المحب المواصل

الى آخرها ولولا خوف الاطالة اوردتها لما فيه من مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم وبيان حميده وتقييده بحميه (فانزل الله في الوليد) وقصته المذكورة التي هي سبب النزول وهذا من اقامة الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليه بذم الله تعالى له (ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات) اي دعني معه فانا اكفيه من كيد اعدائه وان كان وحيدا منفردا عن اهله وعشيرته لتركهم له او لانفراده وتمام الآية (وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر) والكلام على هذه الآيات مفصل في التفسير والمقام لا يسعه (وقال عتبة بن ربيعة) بن عبد شمس بن عبد مناف والد هند ام معاوية رضي الله تعالى عنهما وهذا قتله عبيدة بن الحارث في غزوة بدر كافرا (حين سمع القرآن يا قوم لقد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته) هذا عبارة عن انه عنده علم بالكتب المنزلة لقراءته بعضها وانه قرأ القصص السالفة وقال الشعر وله سعة علم بالبلاغة وليس ظاهره مرادا اذ لا يمكن له ما ادعاه (والله لقد سمعت قولا) يعني به القرآن العظيم الذي سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتلوه (والله ما سمعت مثله قط) هو للاستغراق في الماضي (ما هو بالشعر) الباء زائدة اي ليس بشعر ولا يشبهه كما مر (ولا بالسحر ولا بالكهانة) اي ليس يشبه كلام السحرة والكهنة المسجع المتكلف ولم يكن في فائه شئ من اعمال السحرة المعهودة والكهانة مصدر كهن يكهن بكسر الكاف وفتحها كالكتابة والقسامة كما قاله السرسي في شرح المقامات (وقال النضر) بفتح النون المشددة وسكون الضاد المعجمة علم منقول من النضارة بمعنى الحسن (ابن الحارث) بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار الذي قتله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالصفراء صبرا وقصته مذكورة في السير (نحوه) اي مثل ما قاله عتبة والوليد في اعترافه بالقرآن وانه لا يشبه كلام البشر (وفي حديث اسلام ابي ذر) الغفاري الصحابي رضي الله تعالى عنه وهو حديث بن جنادة كما مر وغفار قبيلة من العرب مشهورة وغفار ولد من كنانة وهو غفار بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة وحديثه رواه مسلم وغيره ووصفه البيهقي في دلائل النبوة واسنده الى عبد الله بن الصامت وهو حديث طويل وكان اسلامه بمكة رابع اربعة

فلذا كان يقول كنت رابع الاسلام وقوله (ووصف اخاه انيسا) بالضمير ووصف ماض والجملة حالية بتقدير قد (فقال) تفسير لوصفه المذكور (والله ماسمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض) بقاف وضاد معجمة من المناقضة مفاعلة من النقض وهو هدم البناء وحل طاقات الحبل ثم صارت بمعنى كون الكلام له معنى لايمكن اجتماعه مع نقيضه كزيد قائم وزيد ليس بقائم وهذا اصطلاح المنطقيين وعند العرب نقائض الشعر في الجاهلية انه اذا قال احدهم شعرا ذكر فيه افتخارا بآبائه وشرفهم على قوم غيره اوذكر فيه هجاء غيره ومثالبه ونقص حسبه وآله ويعارضه غيره بشعر يذكر فيه ضد ماقاله فيسمى ذلك مناقضة ويقال للقصائد نقائض ومنه نقائض جرير والفرزدق لقصائد من الطرفين جمعت وشرحت وفي الاساس يقال في كلامه تناقض وهذا ناقضه وينقضه وتناقض القولان والشاعران وناقض احدهما الآخر يقول قصيدة فينقض صاحبه عليه وهذه القصيدة نقيضة قصيدة فلان وهما نقائض ومنه نقائض جرير والفرزدق انتهى وفسره في الشرح الجديد بما في النهاية من ان المناقضة مفاعلة من نقض البناء وهو هدمه اي ينقض قولهم وينقضون قوله واراد به المراجعة والمراودة انتهى وهو تفسير لايفي بالمقصود لما عرفته (اثنا عشر شاعرا في الجاهلية) اي عارضهم في قصائدهم فاتى بمثلها وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر وقدرته على انشائه وزمان الجاهلية كان فيه الشعراء الفحول كثيرا وذكر هذا تمهيدا لما يأتي من انكاره عليهم في قولهم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شاعر (انا احدهم) ذكره اعترافا بقوة شاعريته (وانه) اي اخاه انيسا (انطلق الى مكة) اي ذهب اليها بعد ما كان في غنم لهما يرعى فقال لاخيه ان لي حاجة بمكة فاكفني امر غنمي حتى آتيك فانطلق حتى اتى مكة فراطأ على ابي ذر ثم اتاه فقال ماحبسك فقال رأيت رجلا يزعم انه على دينك الى آخر القصة التي ذكرها الا هنا واشار الى نص ما فيها من قوله (وجاء بخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى) اخيه (ابي ذر) وكان اسلم بمكة وقيل انه ثم وانه لم يجتمع به بعد ... (قلت) لا يعدما اخبرني (فما يقول الناس) فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) يقولون (شاعر كاهن ساحر) اي بعضهم يقول هذا وبعضهم يقول هذا ثم انيسا الى ما قالوه بقوله (لقد سمعت قول الكهنة) جمع كاهن مثل كاتب وكتبة (فما هو) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اوكلامه ما فيه (بقولهم ولقد وضعته) بالضاد المعجمة والمثناة الفوقية الساكنة اي وضعت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (على اقراء الشعر) يعني انه قابله وقايسه بالشعر ونزل عليه ليعلم هل هو منه ام لا وهو مجاز من قولهم وضع النعل على النعل اي طابقه به لينظر هل هو مساوله والاقراء بفتح الهمزة والمد جمع قرء بالضم كما قال في القاموس من اقرأ الشعر انواعه وانحاؤه اي امثاله فهو جمع قرء

بالضم وقيل انه جمع قرء بالفتح وهو طرفه وانواعه ونحوه وقال الزمخشري انه قوافيه التي تختم بها كاقراء الطهر التي ينقطع عندها الدم واحدها قرء فتحا وكسرا وضما فهو مقاطع آياته وحدودها (فلم يلتئم) بالهمز من الملاءمة اي لم اره مناسبا ولا موافقا لفظا ولا معنى واين الثريا من الثرى ولذا قال الفقهاء رحمهم الله تعالى لاتكتب فيه البسملة واجازها بعضهم مع الكراهة قال وهذا في مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه من الوعد ومنظومات العلوم اما الفصحاء فينبغي ان لا يختلف في عدم كتابتها فيه كما قاله التلمساني (وما يلتئم) اي يتيسر ويتفق (على لسان احد بعدي انه شعر) بفتح همزة انه اي لا يتم لاحد غيري ان يقول انه شعر لانه ليس احد اعلم بالشعر واقدر عليه مني فلو امكن لاحد ان ينزله على الشعر ويعارضه بكتبت فعلت فحيث لم يتيسر لي لا يتيسر لغيري والمراد ابطال كونه سحرا وكهانة فلذا عقبه بقوله (وانه) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لصادق) في قوله انه كلام منزل من عند الله (وانهم) اي الكفرة (لكاذبون) في جميع ماقالوه ونسبوه له من الاباطيل وتتمة الخبر انه قال لانيس هل انت كاف حتى انطلق فانظر قال نعم وكن على حذر من اهل مكة فانطلقت حتى اتيت مكة فقلت لرجل اين هذا الذي تدعونه الصابي فاشار الي فمال على اهل الوادي يرجموني حتى خررت مغشيا علي ثم اتيت زمزم فشربت منها وغسلت الدم ودخلت تحت استار الكعبة ولبثت نحو ثلاثين ليلة ومالي طعام الا ماء زمزم فسمنت وماوجدت جوعا فبينا انا في ليلة وامرأتان تطوفان وتدعوان اسافا ونائلة فلما رأياني ولتا وانطلقتا فاستقبلهما ابو بكر ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هابطين من الجبل فقالا مالكما قالتا صابي بين الكعبة واستارها فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابو بكر فاستلما الحجر وطافا ثم صليا فاتيته وحييته بتحية الاسلام وكنت اول من حياه بها فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ممن انت قلت من غفار فرفع رأسه ثم قال متى كنت هنا قلت منذ ثلاثين ليلة ويوما قال ما كان طعامك قلت ما كان لي طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني فقال انها مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم فقال ابو بكر يارسول الله ائذن لي في طعامك الليلة فانطلقت معهما حتى فتح ابو بكر بابه وجعل يقبض لي من زبيب الطائف وكان ذلك اول طعام اكلت بمكة ثم اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اني وجهت لارض ذات نخل ماأحسبها الا يثرب فهل انت مبلغ عني قومك لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فانطلقت حتى اتيت اخي انيسا فقال لي ما صنعت قلت اسلمت قال مابي رغبة عن دينك فاني اسلمت وصدقت ثم اتيت امي فقالت مثله ثم احتملت فاتيت قومي فاسلم نصفهم فلما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

المدينة وكان يؤمنا حفاف وهو سيد قومنا فلما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة اسلم بقية قومى وجاءت اسلم فقالوا يارسول الله نسلم على الذى اسلم عليه اخواننا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله وهذا خبر اسلامه باختصار (والاخبار فى هذا) الذى ذكر من اعتراف العلماء باعجازه وانقياد من هداه الله تعالى منهم للايمان به (صحيحة كثيرة) مع اختلاف انواعها ورواياتها (والاعجاز) لجميع الخلق تعجيزهم عن الاتيان بمثله (بكل واحد من النوعين) الذين ذكرهما والنوع الاول منهما (الايجاز والبلاغة بذاتها) اشارة الى قوله فى اول هذا الفصل اولها حسن تأليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وحاصله ان اعجازه من نفس جوهر كلامه بكونه فى اعلى طبقات البلاغة والفصاحة بحيث يسلم عن ضعف التأليف وتنافر الحروف والكلمات وايجازه ورعاية معان ووجوه تقصر بها الافهام وتعجز بكتابته طاقة البشر منها والنوع الثانى ما اشار اليه بقوله (او الاسلوب الغريب بذاته) يعنى كونه على نمط لا يشبه نمط كلامهم المنظوم ولا المنثور فانه ليس بشعر ولا سجع ولا خطب وان وقع فيه من غير تكلف سجع احيانا وبعلم حتى ذهب الخفاجى فى تكملة العمدة ان النظم الواقع فيه مقصود كالابيات واسمارها التى تقع فى اثناء الانشاء نادرا ولا يسمى بها الكلام شعرا لانه لم يقصد بالذات وهو قول غريب وقوله بالذات يعنى فقط وتغاير النوعين ظاهر وان لم يفرق بينهما بعض الشراح وقال ان فى النوعين تداخلا اذ لا يتصور كونه اسلوبا غريبا دون البلاغة الى آخر ما ذكره مما لا طائل تحته (اذ كل واحد منها) بضمير الواحدة المؤنثة الراجع للبلاغة وفى نسخة منهما فى والتعبير للنوعين وهى الاولى اولى وكل مبتدأ خبره (نوع اعجاز على التحقيق) غير محتاج الى الآخر ثم بين اعجازه بقوله (لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منها) وفى نسخة منهما كما تقدم (خارج عن قدرتها) لانه (مباين) اى مخالف (لفصاحتها وكلامها) لما فيه من وجوه البلاغة التى لا تحيط بها قدرهم ولم تألف طباعهم مع السجاحة وعذوبة الفاظه (والى هذا) القول الدال على ان كل واحد منهما نوع مستقل من الاعجاز كاف فى اثباته (ذهب غير واحد) اى جماعة كثيرة (من ائمة المحققين) العارفين بالبلاغة ووجوه الاعجاز يعنى ان منهم من قال ببلاغته باسلوبه الغريب ونظمه العجيب الذى لا يشبه كلام البشر ولا نظيمه القوى والمدر مع انه بلغتهم وكلماته كلماتهم التى يعرفونها كما قيل فى معنى الحروف فى اوائل السور نحوالم والمر يعنى انه كلام مركب من هذه الحروف التى تركب منها كلامهم فلم يأتوا بمثله (وذهب بعض المقتدى بهم) اسم مفعول بوزن المصطفى (الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب) لا بكل واحد منهما وحده (واتى على ذلك) القول الذى

اختياره وصبر الى معنى استدل بفحواه على (تقول تمجه) بضم الميم وجوز بعضهم
فتحها اى ترميه ولا تعتد به (الاسماع) بفتح الهمزة جمع سمع بمعنى الاستماع او بمعنى
جارحة السمع يقال مج الماء من فيه اذا طرحه ففيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيه الاذن
بالفم والكلام بالماء فى الرقة والعذوبة وتبرد الحرارة كما قال بعض اهل العصر

يكاد من عذوبة الالفاظ * تشربه مسامع الحفاظ

وقال الغزى

وتعبير المعتاد بحسن بعضه * للورد خد بالانوف مقبل

(وتنفر عنه القلوب) من النفار وهو الذهاب بسرعة فكأن القلوب تهرب منه
لعدم قبولها له وهو عبارة عن كونه قولا ضعيفا مردودا ولذا قال فى الاول انه قول
الائمة المحققين واشار بالمقتدى بهم الى ان هذا القول له وجه ايضا ليس كالقول
بالتعسف (والصحيح ما قدمناه) من ان كل واحد منهما وجه وا [illegible]
(والعلم بهذا كاف) اى العلم بالحسن والبلاغة واسبابه السحرية [illegible]
(ضرورة ونظما) [illegible] اى من سمع قطع بما [illegible] من [illegible]
فى انه فى اعلى طبقات الكلام او هو مما يدرك بالذوق ولا يدرك بالوصف [illegible]
والنظر فقوله تابع كلام العلماء وخدمة علم البلاغة الذى [illegible]
(ومن تتبع فى علوم البلاغة) اى عرف فنونها ومارسها حتى حصل له ملكة يعرف
بها خواص التراكيب ووجوه ايرادها فى طرقها المختلفة فى الوضوح وانواع محاسنها
البديعة وهو من علمى المعانى والبيان وتوابعهما (وارهف) اى سن وحدد ودقق
من قولهم ارهف السيف فهو مرهف اذا سنه ودق حده (خاطره ولسانه) اى
فكره ونطقه بحيث يسهل عليه تصوره والتعبير عنه واصل الخاطر المعنى الذى
يخطر على القلب الذى هو محل العقل والفهم ويراد به نفس الفهم والعقل فارهافه
ممارسته حتى تمكن من علمه واللسان الجارحة ويراد به نفس الكلام [illegible]
بالسيف [illegible] فى سرعة نفوذه ودقته وارهف فعل ماض فاعله و(ادب هذه
الصناعة) اى صناعة البلاغة وعلم المعانى والبيان والادب [illegible] يكون بمعنى
الظرف والحسن والعلم يقال ادبه فاحسن تأديبه اى علمه واصله [illegible] المأدبة
وهى الطعام الذى يدعى له كان اهل الادب مأدبة لاحد [illegible] مأدبه ويصح ارادة
كل واحد هنا واوثرنا الاخير واما اطلاق الادب على [illegible]
وان قرب من معناه الاصلى واصل [illegible] معرفة [illegible]
فى معنى العلم (لم يخف عليه ذلك) اى [illegible] ما تقدم [illegible]
(وما [illegible]) [illegible]
[illegible] (فاكثرهم هو) اى [illegible]
[illegible] (انه) [illegible] (الحراز [illegible]

والصلابة والقوة يقال حطب جزل ثم يطلق على الكثرة فيقال عطاء جزيل فاستعير هنا
لاحكام نظمه وعدم ركاكته واضاف اليه القوة اشارة الى انه في اعلى مراتب الاحكام
حتى لا يتطرق اليه خلل اصلا ولا يختلف نظمه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا) ولا حاجة لتفسيره بالقوة ويقال للقوة قوه ويصح اضافتها اليها
(ونصاعة الفاظه) بفتح النون والصاد والعين المهملتين اى وضوحها وخلوصها
ومنه ابيض ناصع وقيل الجزالة القطع ومنه القضاء الجزل اى القاطع للشك ونصاعته
نباهته وهو تكلف لا داعى اليه وكونه اشارة الى المحسنات البديعية لا وجه له (وحسن
نظمه وايجازه) لسلاسته وانسجامه (وبدائع تأليفه) وتراكيب كلماته المؤتلفة المتواخية
(واسلوبه) طريق بلاغته اى لا يسلكها كلام غيره وقوله مما جمع مقدم من تأخير
متعلق بقوله (لا يصح ان يكون فى مقدور البشر) مقدور اسم مفعول او مصدر على
وزن مفعول بمعنى القدرة اى لا يمكنهم القدرة على مثله لما جمعه كالا طاقة بقدرهم
(وانه من باب الخوارق) اى من جنسها او نوعها يقال هذا من باب هذا وبابه اى من جنسه
(الممتنعة عن اقدار الخلق عليها) اى التى لا يقدرون عليها كأنها امتنعت منهم وابت
مطاوعتهم وهو من بليغ الكلام (كاحياء الموتى) بفتح الميم جمع ميت وهذا مما وقع لعيسى
عليه الصلوة والسلام وابراهيم الخليل صلى الله تعالى عليه وسلم (وقلب العصا) حية كما وقع
لموسى عليه الصلوة والسلام وسيأتى حديثا كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واطلقه
المصنف رحمه الله تعالى ليشملهما فيكون فيه ذكر لمعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو المناسب لقوله (وتسبيح الحصا) فى كفه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ثبت فى معجزاته
ثم ذكر مذهبا آخر فقال (وذهب الشيخ ابو الحسن) الاشعرى امام اهل السنة وقد تقدم
بعض من ترجمته (الى انه) اى القرآن المعجز (مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر)
اى انه فرد من افراد الكلام البليغ داخل فيه مندرج فى جنسه ومثله قولهم الحيوان
جنس تحته الانسان والفرس وهو مجاز معروف (ويقدرهم الله عليه) عطف
مفسر لما قبله على مذهبه من خلق الافعال (ولكنه لم يكن هذا) فيما مضى
(ولا يكون) فى الحال والمستقبل (فمنعهم الله عن هذا ٢) اى عن معارضته والاتيان بمثله
وهذا هو القول بالصرفة وفيه اختلاف ايضا فقيل معناه ان فيهم قدرة على الكلام
بمثله وعندهم علم بوجوه البلاغة واساليبها حالة التحدى لكن الله صرف دواعيهم
عن ذلك مع توفر اسبابها من التقريع والتبكيت وتكرير الطلب وهو قول النظام
والاستاذ من اهل السنة وقيل بل سلبهم الله عند التحدى القدرة والعلم بعلوم البلاغة
فاذا ارادوا ذلك لم يقدروا عليه وسمية التحدى صرفه بحسب ظاهر حالهم
وما علم من اقتدارهم وهذا مذهب المرتضى علم الهدى من الشيعة ونقل عن الاشعرى
الا انه لم يشتهر عنه وكلام المصنف محتمل للوجهين فان قلنا هذا اشارة الى الاتيان

(٢) وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه نسخه

(بمثله)

عثله فهو المذهب الاول وان قلنا الاقتدار فهو الثاني وحمله بعضهم على الثاني وقال يحتمل ان يكون المراد بابي الحسن رجل آخر غير الاشعري ولا حاجة لمثله من التكلف (وعلى الطريقين) بل الطرق من اعجازه ببلاغته واسلوبه والصرفة (فعجز العرب عنه ثابت) محقق مع كمال بلاغتهم وفرط تهالكهم وفتح عنادهم لاطفاء نوره ومارادوه الا اشتعالا واضاءة (واقامة الحجة عليهم) بتكليفهم باقل قليل منه (بما يصح) اي يمكن ويدخل في طاقته ورد بهذا المعنى في اللغة (ان يكون في مقدورهم) على مذهب الاشعري (وتحديهم) مصدر مضاف لمفعوله اي طلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من العرب الفصحاء (ان يأتوا بمثله) اي مثل القرآن في البلاغة وعجز العرب مبتدأ خبره ثابت واقامة مبتدأ خبره (قاطع) بعجزهم عما لاريب فيه (فهو) اي ما ذكر او التحدي بما هو مقدورهم (ابلغ في التعجيز) بغيره مما لا يقدرون كاحياء الموتى (واحرى) افعل تفضيل جاء وراء مهملة بمعنى احق واولى (بالتقريع) وهو التوبيخ والتعبير من القرع بالعصا وهو الضرب (والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم) من جنسهم واهل لسانهم (بشيء ليس من قدرة البشر لازم) على القول الاول من اعجازه بعادته وصورته (وهو) اي المذكور من عدم قدرتهم (ابهر آية) اي اظهرها واعلاها لسائر الآيات الاخرة لارتفاع شانه وعلوه في مرتبة لا يدنو منها كلام بليغ كامل في تحصيله (واقمع دلالة) بالنصب على التمييز والجر على الاضافة والدلالة بكسر الدال مصدر او بمعنى الدليل واقمع من قمعه اذا قهره وردعه واذله بعجزهم عن معارضته (وعلى كل حال) من الاحوال السابقة اي سواء قلنا بانه معجز ببلاغته او بالصرف عن معارضته فقد عجزوا (فما اتوا في ذلك بمقال) اي لم يسمع منهم كلام عارضوه به ولو صدر منهم ذلك شاع وذاع (بل صبروا على الجلاء) بفتح الجيم والمد وهو ترك الوطن والمال (والقتل) لفرط عنادهم وعدم انقيادهم (وتجرعوا) اي شربوا جرعة بعد جرعة (كأسات) جمع كأس وهو ما يشرب به الخمر ونفس الخمر (الصغار والذل) بفتح الصاد المهملة وهو المذلة فالعطف تفسيري وفيه استعارة تصريحية او مكنية اي صبروا على التحقير والاهانة وتجرعوا غصصها (وكانوا من شموخ الآنف) بفتح الهمزة والمد وضم النون جمع انف كذا ضبطوه ويجوز فتح الهمزة وسكون النون بالافراد والشموخ بضم الشين المعجمة مصدر شمخ اذا ارتفع وهو كناية عن غاية الكبر والجملة حالية بتقدير قد (واباء الضيم) بكسر الهمزة والموحدة والمد مصدر ابى اذا امتنع مما يكرهه والضيم الذل والتحقير (بحيث لا يؤثرون) بالمثلثة اي لا يرضون (ذلك) اي الذل والضيم (اختيارا) اي باختيارهم وعدم جبرهم وقهرهم (ولا يرضونه الا اضطرارا) اي قسرا والجبر وهو عطف تفسير لما قبله ونصبهما على التمييز او المفعول المطلق (والا)

مركب من ان الشرطية ولا النافية اى وان لم يكن الامر كما ذكر (فالمعارضة)
للقرآن بالاتيـان بمثله (لو كان من قدرهم) بضم القاف وفتح الدال المهملة
جمع قدرة اى لو كانت المعـارضة مقدورة لهم (والشغل بها اهون عليهم) جملة
حالية اى اشتغالهم بمعارضته اسهل عليهم من الصبر على ما ذكر (واسرع بالنجح)
بضم النون وسكون الجيم وحاء مهملة وهو الظفر والفوز بمطلوبهم وهو ابطـال
الحجة عليهم (وقطع العذر) اى قطع مااعتذروا به عن عدم المعارضة من الاعذار
الفاسدة (واسكات الخصم) اى اسكاته عما قرعهم به (لديهم) اى عندهم وهو متعلق
بجميع ماقبله من اهون واسرع وقطع واسكات (وهم من هم قدره) تمييز والجملة
حاليه وليس قدره حال بمعنى مقتدرين كما قيل لكلمة وهم مبتدأ اول ومن اسمها به
وهم الثانى خبره او بالعكس على المذهبين والجملة خبرهم اى وهم اى شئ هم اى
امر عظيم لا يقدر قدره ولا يعلم كنهه وهو ابلغ المدح كقولهم زيد وما زيد
كقوله تعالى (الحاقة ما الحاقة) وهو مشهور كثير فى كلام العرب والعجم وقد يقال هم
هم بدون من اى هم القوم المعروفون بالبلاغة بشهادة الانس والجنة العظيم الذين
لا يعادلهم فيه احد فيما لك بما اوتيتهم فى خصوص البلاغة وبرعهم الفصاحة والدعوى
التى بنا (على الكلام) متعلق بقدره (وقدوه) اى مقتدى بهم وهو منصوب
رواية ودراية معطوف على قدره (فى المعرفة به) اى بمعرفة الكلام وصناعته
لسـلامة فطرتهم وصفاء قرائحهم (لجميع الانام) متعلق بقدوة وانى به للفاصلة
اى هم فى كل ذلك ائمة مقتدى بهم لا سيما غيرهم فكيف عجزوا ورضوا بما رضوا
ثم انه لما ذكر شمم انفهم وتكبرهم ربما يوهم متوهم ان تركهم للمعارضة
لعدم تنزلهم وعدم مبالاتهم فدفعه بقوله (وما منهم) احد (الا من جهد)
ماض بزنة ضرب فالاستثناء مفرغ من عام مقدر (جهده) بفتح الجيم وضمها
الطاقة والمشقة وقيل الفتح بالضم المشقة وبالضم الوسع وقيل الجهد بالضم
ما يجهد الانسان فيه اى يجتهد ويتعب فيه كقوله تعالى (لا يجدون الا
جهدهم) فالمعنى انهم بذلوا ما في طاقتهم فلم يقدروا على شئ منه (واحتيل
ماعنده) بالدال المهملة اى استفرغ ما فى طاقته وقوته (فى اخفاء ظهوره) اى
القرآن او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (واطفاء نوره) ويأبى الله الا ان يتم نوره
ولو كره المشركون (فما جاءوا) اى اظهروا من خلال الغرور على الصحة بزيدها
لا كرار ابت بعده (فى ذلك) اى ما اجتهدوا فيه وحاولوه (بخبيئة) بفتح الخاء المعجمة
وكسر الباء الموحدة وسكون الياء التحتية والهمزة والهاء فعلية بمعنى مفعوله اى
مخبأة فى صناعتهم ومستورة خلف استار ضمائرهم (من سلف شعرائهم) اى كما
اطلعوا بها [illegible]

(مكـية)

مكنية او مصرحة (ولا أتوا بنطفة) بضم النون وسكون الطاء المهملة والفاء وهي
الماء الصافي من نطف بمعنى صب والناطف السائل والمراد القطرة القليلة وفي بعض
النسخ بقطفة بالقاف مقدمة على الطاء وتسمى اللؤلؤة نطفة ايضا كما قاله الراغب
والنطفة تطلق على قليل الماء وعلى كثيره كما جاء في الحديث (فجاء رجل بنطفة في اداوة)
وهو المراد هنا (من معين مياههم) المعين الماء الجاري ظاهرا والميم زائدة من العين
وقيل انها اصلية من معن بمعنى سال في الارض ومياه جمع ماء واصله موه اي لم يقدروا
على شيء مما طلب منهم وهو استعارة مصرحة مرشحة او مكنية اي مع ما لهم
من موارد فصاحتهم وجاري كلامهم(٢) لم يجدوا قطرة من عذب قطراته (مع طول
الامد) اي اتساع زمن التحدي (وكثرة المدد) من فصحائهم (وتظاهر)
اي تعاون وتساعد (الوالد وما ولد) اي الكبير والصغير وهذا دفع للشبه وازالة
الاعذار اذ لو ضاق الزمان وقل الاعوان كان لهم معذرة ما (بل ابلسوا) بالبناء
للفاعل وفتح الهمزة فقال ابلس اذا ايس قيل ومنه ابليس لبأسه من رحمة الله تعالى
ولو كان اسمه عربيا [illegible] ويكون بمعنى الانكسار والحزن والمراد الاول (فما نبسوا)
بنون وباء موحدة مفتوحة مخففة وورد تشديدها كما في قوله * ان كنت غير صائد
فنبس * ومعناه نطقوا قيل هو مختص بالنفي واورد البيت المذكور وقد نقل المخصوص
بالنفي المجحف فتدبر (ومنعوا) بالبناء للمجهول (فانقطعوا) عن المعارضة لعجزهم
وقد قيل هذا اشارة الى القولين فابلسوا فما نبسوا تشير الى عجز بلغائهم عن بلاغته
ومنعوا اي منعهم الله اشارة للصرفة وفي الارشاد لامام الحرمين * فان قيل ان العرب
لم تترك المعارضة للعجز بل لعدم الاكتراث به قلنا هذا ركيك من القول لا يخطر ببال
عاقل وقد كانوا اذا قال شاعر شعرا في حقهم قاموا للمعارضة فكيف وقد وبخوا
اشد توبيخ وجهلت [illegible] وسفهت احلامهم وقوتلوا حتى نكست اعلامهم
وقد رد ما ذهب اليه [illegible] باشارة المصنف رحمه الله تعالى لهذا وجوابه والاضراب
او [illegible] في المعارضة كما قال ما تكلم وقد بل سكت عجزا (فهذان نوعان من اعجازه)
الاول [illegible] اعجازه [illegible] كلامه وخواص تراكيبه وصوره نظمه واسلوبه ولم يلتفت
[illegible] القول بها عنده كما تقدم فانهم افسدوه بان قوله قل لئن اجتمعت
الخ دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة
لاجتماعهم لانهم حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره
هذا مع ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز للقرآن والقول بالصرفة يلزمه
اضافته الى الله تعالى لا الى القرآن وحينئذ يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي
[illegible] لا اعجاز الامة اذ معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية

(٢) الصواب ومجارى كلامهم اه مصححه ط

اظهر من القرآن ويلزم الصرفة ايضا انه لافضيلة للقرآن على غيره فان قلت
القول بسحرهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو محال قلت معنى
قدرتهم ان هممهم توجهت الى المحاكات لعلمها القدرة عليها فسحرت وعلى القول
بالصرفة لم يتوجهوا لمعارضته اصلا لقطعهم من نفوسهم سحرها وانه لاقدرة لها
عليه البتة * فان قلت توجه الهمم اليها مع العجز عنها فى نفس الامر لايسمى
قدرة * قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات
ولاشك فى ان اهل البلاغة لايقطعون بسلب القدرة عن المحاكات ابتداء بل
بعد الاختبار والتأمل لعلم سقوط ماقيل كيف يخاطبون بالتحدى مع القطع
بسحرهم عنه ونظير ذلك خطاب الله من علم منه عدم الاتيان بالايمان كابى جهل
وابى لهب نظرا لقدرتهما عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات
﴿ فصل الوجه الثالث من وجوه الاعجاز ﴾ اى اعجاز القرآن الكريم بوجه
آخر غير الوجهين السابقين او غير الوجوه الثلاثة (ما انطوى عليه) اى اشتمل
عليه ووقع فى ضمنه (من الاخبار) بكسر الهمزة مصدر (بالمغيبات)
بفتح الياء المثناة التحتية المشددة جمع مغيب او مغيبة اسم مفعول وهو شامل لما فى
علم لم يدركه هو ولا اهل عصره ولما وقع بعد ذلك مما لايعلمه الا الله والمراد هنا الثانى
لان الاول يمكن الوقوف عليه فلذا عطف عليه قوله (وما لم يكن ولم يقع) فى عصره
مما كان ووقع من القرون الماضية بناء على ان الاصل فى العطف التغاير فقد خالف
كلامه الآتى من جميع ما مثل به وان كان صحيحا فى نفسه لاندراجه فيها (فوجد) بعد
ذلك مطابقا لخبره ومصدقا له وعبر عنه بالماضى وان كان مستقبلا بالنسبة لما قبله (على
الوجه الذى اخبر) به فى هذه الآية (كقوله تعالى) فى سورة الفتح (لتدخلن المسجد
الحرام) اللام داخلة على جواب قسم مقدر للتأكيد والحصر (ان شاء الله) عامة
بالمشيئة مع تحققه تعليما لله اد او تلويحا بعدم دخول بعضهم لموته او غيبته او حكاية لما قاله
ملك الرؤيا او النبى صلى الله عليه وسلم (آمنين) حال من فاعل لتدخلن والشرط
اعتراض لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى وهو بالمدينة قبل عام الحديبية انه
دخله مع اصحابه واخبرهم بذلك ففرحوا به فى ذلك العام فلما صدهم المشركون
عن الدخول شق عليهم ذلك فاخبرهم الله بانه سيقع بعد ذلك وكان كما اخبر (وقوله
تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون) فاخبر الله تعالى ان الروم تغلب فارس بعد مدة اقل
من عشر سنة وكان كما اخبر الله به فى كتابه وذلك ان الروم كانوا اهل كتاب وفارس
لاكتاب لهم كالمشركين وكان المشركون لما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس
ويفرحون بذلك تفاؤلا بغلبتهم للمسلمين وبعث كسرى جيشا الى الروم فالتقيا باذرعات

ونصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية وأخبر أبو بكر رضي الله تعالى عنه المشركين بذلك وقال ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد أخبر الله تعالى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال له أبي بن خلف كذبت فقال بل أنت كذبت يا عدو الله فقال اجعل بيني وبينك أجلا على عشر قلائص يأخذها الصادق منا فراهنه على ذلك لثلاث سنين وأخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال له مد الأجل وزد في الرهان فإن الله قال في بضع سنين وهي من الثلاث إلى التسع فجعل القلائص مائة إلى تسع سنين فحصل فوقع ذلك بعد سبع سنين فأخذ القلائص أبو بكر رضي الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم تصدق بها وكان هذا قبل تحريم القمار وإنما أمره بالتصدق بها لأنه قد علم خبثها لأنها ستحرم أو شكرا لله على تصديق مقالته وتكذيب مقالتهم (وقوله تعالى ليظهره على الدين كله) هذا وعد من الله تعالى بأن دين رسول الله سيظهر ويغلب سائر الأديان وتقهر أمته صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الأمم فإن العزة لله ولرسوله وكان كما قال من غير شبهة وكم شاهدنا من تأييد الله لجنده ونصرهم مع ما للكفرة من الكثرة في المال والجند (وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية) أي ليجعلنهم خلفاء في أرضه مالكين لها منصورين على أعدائهم وهذه الآية وإن كانت عامة المراد بها غلبة المسلمين لأهل الردة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه (وقوله إذا جاء نصر الله إلى آخرها) أي إلى آخر السورة وهذه الآية وإن كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة بعينه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولما نزلت وتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بكى العباس رضي الله عنه فقال ما يبكيك يا عم فقال نعيت إليك نفسك فقال إنه كما تقول وعبر بالمجيء ايماء إلى أن المقدرات متوجهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة لها فمرتقبة القدوم وفيه من البلاغة ما لا يخفى ثم أشار إلى تفسير ما ذكر بقوله (فكان جميع هذا كما قال) الله عز وجل مطابقا لما أخبر به والإشارة إلى ما تقدم من المغيبات المخبر بها وكان بمعنى تحقق ووقع بعد الإخبار به ثم فصله على اللف والنشر بقوله (فغلبت الروم) وهم جيل من الناس معلومون (فارس) وهم الفرس أي قوم العجم ويطلق على بلادهم أيضا وهو لفظ معرب فإن أريد الأول قدر أهل وقد تقدم بيانه وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث (في بضع سنين) أي سبع سنين كما مر أي في رأس سبع سنين وآخرها والرأس يطلق على ذلك من الزمان ويكون بمعنى الأول أيضا (ودخل الناس في الإسلام أفواجا) أي جماعات كثيرة بعد جماعات كثيرة وفوجا بعد فوج لما أعز الله الدين ونشر أعلامه في الخافقين وهذا إشارة لما في سورة النصر السالفة (فمات النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف الله المؤمنين في الارض) اى جعلهم خلفاء لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده وآخر هذه الآية عن ذكر سورة النصر لان الاستخلاف وقع بعد ذلك الدخول وان تقدمت فيادكر قبله وهذا مبنى على عموم الذين آمنوا فى قوله (وعد الله الذين آمنوا) الآية لجميع الامة وعدم اختصاصها بابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كما تقدم (ومكن فيها) اى فى الارض (دينهم) وهو دين الاسلام اى جعله متمكنا قارا لا يزول الى يوم القيمة فقال مكنته ومكنت له فتمكن وهو فى الاصل التمكن من المكان (وملكهم اياها) اى الارض لان اشرف المعمور منها فى ايديهم ونافذها فى انقيادهم لهم بالقوة كالمالكين لها اوانه باعتبار ما سكون بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام الى الارض على دينه معدودا من امته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال (من اقصى المشارق الى اقصى المغارب) اى ابعد مكان من جانب المشرق الى ابعده من جانب الغرب وقدم المشارق اقتداء بالكتاب والسنة اولشرفه لانه محل الرسل وفيه الاراضى المقدسة وقد وقع للادباء مفاخرة بينهما فقال محيى الدين بن سحنون * من ابن للغرب فضل * الاعلى تعالى * والشمس تعبده * والبدر يأتى هلالا * دلائل النقص فيه * فكيف يحوى الكمالا * وقال

فلا عيب الشرق حقا وجد * من الوصف فيه على ما اتفق
مهب الصبا ومبدأ الضياء * ووجه الزمان وسر الفلق

وعارضه الوداعى رحمه الله تعالى فقال

الغرب [illegible] * [illegible] قدمه
بالشرق [illegible] * [illegible]

من المغرب من قال

يحوى كل من الاقطار فضلا * [illegible]
يهدا مطلع الانوار [illegible] * [illegible] الاقمار

[illegible] (كما قال [illegible] والسلام) فى حديث صحيح [illegible] مسلم عن ثوبان رضى الله تعالى [illegible] الارض براء مهملة وواو وياء مبنى للمجهول اى جمعت وطويت (فاريت) مبنى للمجهول من المزيد اى اراني الله (مشارقها ومغاربها) اى جميع [illegible] وابعادها (وسيبلغ ملك) بضم الميم (امتى ما زوى لى منها) وجمع بمراى منى وما زوى منها هو المشارق والمغارب السالفة [illegible] بعضهم انه غيره وان اول الحديث خالف لآخره [illegible]
[illegible] ان المراد [illegible] المعمور [illegible]

مالايخفى وقدم المصنف رحمه الله تعالى خبرالله على الحديث رعاية للادب بتقديم الاصل الاشرف (وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فاخبر بانه تعالى تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير فى سائر الزمان بدلالة الاسمية المؤكدة (فكان كذلك) فى المستقبل كما اخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب فانه تعالى وكل حفظها الامم المنزلة عليهم فقال (بما استحفظوا من كتاب الله) اى طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لايوثق بما نقل منها والمراد بالذكر القرآن (لايكاد يعد) بالبناء للمجهول اى لا يعد لكثرته (من سعى) اى اجتهد (فى تغييره وتبديل محكمه) وكاد بمعنى قرب ونفى القرب من العدد ابلغ من نفى العدد وقال تبديل محكمه دون تبديله ارشادا للمانع من تبديله وقوله (من الملحدة) بيان لمن اى من الطائفة الملحدة من الالحاد وهو الميل كما مر سموا بذلك لعدولهم عن ظواهر الشريعة وتاويلها بامور سخيفة ويسمون باطنية وهم الاسماعيلية وزعم بعضهم ان مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه نقص منه بعض القرآن كما ذكره القرطبى فى اول تفسيره (والمعطلة) الذين نفوا الصانع وستروا بزى الاسلام خوفا من القتل وسعوا فى نقض الدين وترويج ماروج على بعض العقول القاصرة (لاسيما القرامطة) هم طائفة من الملاحدة ايضا قال السمعانى فى الانساب القرمطى بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم والطاء المهملة نسبة لطائفة خبيثة وهم من اهل هجر والحسا واصلهم رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط وقيل حمدان بن قرمط وسبب ظهورهم ان جماعة من اولاد بهرام جور ذكروا آباءهم وجدودهم وماكانوا فيه من الملك وزوال ذلك بدولة الاسلام فى ايام ابى مسلم الخراسانى بقيام الخلافة العباسية وهو من الموالى وهم من اولاد الملوك فاتفقوا على وضع الاسلام ... فى ان ... وبعث الرعايا عليهم فقسموا الدنيا اربعة اقسام لكل ربع رجل منهم واحد ذهب الى الكوفة فاول من اجابه حمدان بن قرمط فاعانه على الدعوة وقيل انما سموا قرامطة لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فاسرا يمشى وهو من اهل المدينة فقال انه ليقرمط فى مشيه اسعى اى يقارب خطاه ومنه الخط المقرمط وعلى هذا فهو عربى وقيل انه معرب وان جدهم كان يسمى كرميته فعرب وعن بعضهم كان رجلا احمر العين من سواد الكوفة فالكاف مبدلة فى الاصل من الكرمية وهى الحرارة وكان ظهوره فى سنة ثمان وسبعين ومائتين فلم يزل يظهر الضلال حتى اجتمع عليه الخلق وزعم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بشر بهوانه الامام المنتظر فابتدع مقالات وزعم انه اسقط الصلوة ... المسح وجعل الصلوة ركعتين ... [illegible] ... والصوم ... [illegible] ...

وخروب ودعاة وخلفاء مذكورة في التواريخ حتى ظهر منهم سليمان بن الحسن
الجنابي فعاث في البلاد وافسد وقصد مكة فدخلها يوم التروية سنة سبع عشرة
وثلاثمائة في خلافة المقتدر فقتل الحجاج ورماهم في زمزم وقلع باب الكعبة واخذ
كسوتها واخذ الحجر الاسود فبقي عندهم سنين ثم ردوه مكسورا فنصب في محله
وقد كان بذلهم فيه خمسون الف دينار فابوا ولم يزالوا كذلك حتى اخذوا الشام
وغيرها حتى قاتلهم جوهر القائد فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكانت مدة
خروجهم ستا وثمانين سنة وكانوا يحرفون القرآن ويتأولونه بتأويلات فاسدة
لم تقبلها العقول وما نحن فيه مما يجوز فيه وجوه الاعراب الثلاثة كما تقدم بيانه (فاجمعوا
كيدهم) بقطع الهمزة والمراد بالكيد الحيلة والمكر في تحريف القرآن (وخولهم
وقوتهم) اي اعملوا حيلهم وبذلوا قوتهم وقدرتهم في ان يحرفوا القرآن (اليوم)
منصوب على الظرفية فقيل بتقدير ابتداء اليوم او بنزع الخافض اي الى هذا اليوم والمراد
مطلق الزمان والوقت الحاضر في زمن المصنف (نيفا) بكسر الياء المشددة
وسكونها بعد نون مفتوحة ومعناه الزيادة اي مدة زائدة (على خمسمائة عام) هي
مدة بقي هؤلاء فيها كما ذكر (فما قدروا) في هذه المدة الطويلة (على اطفاء شيء
من نوره) بمثل حيلهم في سعيهم في تحريف القرآن ممن اراد اطفاء نور عظيم منتشر
في الآفاق (ولا على تغيير كلمة من كلامه) فضلا عن جعل كلام الله زورا (ولا تشكيك
المسلمين في حرف من حروفه) فضلا عن كله من كلامه فهو نور (والحمد لله) على
هذه النعمة العظيمة وهي حفظ الله تعالى لكلامه وبقاء رونق نظامه وخيبة سعي
من سعى في اطفائه وافتضاح حيلة اعدائه (ومنه) اي مما اخبر به من المغيبات المتحققة
(قوله) عز وجل (سيهزم الجمع ويولون الدبر) نزلت بمكة فلم يدر الصحابة رضي الله
تعالى عنهم ما المراد بها حتى كان يوم بدر بعد سبع سنين من نزولها فلبس صلى الله
تعالى عليه وسلم درعه وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال ابن عمر رضي الله
تعالى عنهما فعلمت المراد منها اي سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين ادبارهم
اي يجعلون المسلمين يولون على ادبارهم بالطعن والضرب فضلا عن شدة انهزامهم
بالمنع عادة فيها الفرار مطلقا ومنه (وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية) اي
ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وفيها من الاخبار عن
الغيب ان ناسا من اليمن ومن خزاعة اسلموا ولقوا بمكة بعد الهجرة ولقوا
من المشركين اذى شديدا فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
ابشروا واصبروا فان الفرج قريب فنزلت هذه الآية وكان بعدها ما اوقع الله تعالى بهم
من القتل ونصرة المؤمنين اي تشفى بها صدورهم وخزاهم بالسبي والجلاء

(وسلب)

وسلب نعمهم (وقوله هو الذى ارسل رسوله بالهدى الآية) فيها اخبار بالغيب من ظهور دينه على سائر الاديان على رغم انفهم وقد تقدم الكلام على هذه الآية (وقوله لن يضروكم الااذى) اى لا تقدرون عليكم الا باذية يسيرة كالطعن فيهم وتهديدهم (وان يقاتلوكم الآية) اى يولوكم الادبار ثم لا ينصرون فاخبرانهم كلما قاتلوا غلبوا وكانت عادة النصر لنا عليهم والامور بخواتيمها والحرب سجال (وكان كل ذلك) اى وقع كلما اخبرالله تعالى به فدل على طريق خبره من هزيمة جموعهم وبعدسهم عما شفى صدور المؤمنين واظهار دينه وتولية الدبر كل من قاتل منهم (و) مما فى القرآن من المعجزات (ماقبه) اى القرآن (من كشف اسرار المنافقين) اى اظهار مااخفاه المنافقون فى قلوبهم مما لا يعلمه الا الله تعالى مما انزله فى حقهم فى سورة المنافقين (و) كشف اسرار (اليهود ومقالهم) اى اظهار ماقالوه فيما بينهم وهم يظنون انه لا يشعر بغيرهم (وكذبهم فى حلفهم) اى كذب المنافقين وقسمهم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على مقالهم انها صادقة والله يعلم انهم لكاذبون كما ذكر فى سورة المنافقين ومثله كثير فى القرآن (وتقريعهم بذلك) اى توبيخ الله تعالى لهم بسبب ماقالوه وحلفهم بالغيب فاخبره ثم مثل لما ذكر فقال (كقوله) عز وجل (ويقولون فى انفسهم) اى قول اليهود فيما بينهم وفى خلوة شياطينهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) اى هلا يعذبنا الله بقولنا فى حق محمد لوكان نبيا ادعانا عذابا حتى نعذب او بما كانوا يقولون هم والمنافقون فيما بينهم فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمين فاخبرالله تعالى بذلك وفضح سرائرهم وزاد بقوله (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) (وقوله تعالى يخفون فى انفسهم مالا يبدون لك الآية) يعنى انهم يسرون فى ضمائرهم غير مايظهرون به لك اذا اتوك وهذا بيان لحال المنافقين ومكرهم والذى اخفوه قولهم يوم احد وقد غشيهم النعاس ولم تكن لهم هم غير تخليص انفسهم من القتل وقال بعضهم لبعض فى خلوة من المؤمنين لوكان لنا من الامر شيء ماقتلنا هاهنا الآية فاعلم الله رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فاخبرهم بما قالوه وهو من جملة الغيب (وقوله) عز وجل (ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية) اى سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه (وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين) دعاء عليهم بالصمم او بالموت او لا سمعت مادعوتنا اليه فاخبره الله تعالى بحيلهم كذبهم ومقالهم وعدم اطاعتهم وهذا من الاخبار بالغيب الدال على اعجاز القرآن وهذا فى حق اليهود وفى الآية كلام مفصل فى التفاسير واحتمالات اخر ووجوه من الاعراب ليس هذا محل

تفسيلها وقوله فى هذه الآية وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين اى بالتكذيب والاستهزاء والسخرية فهذا اخبار بالغيب عما كان اليهود يقصدونه من التحقير ويسرون به فى صورة التوقير فيقولون راعنا وسماله صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة موهمين الناس نظره ورعايته لهم مكرا منهم وليا بالسنتهم وكلامهم (وقد قال الله تعالى حال كونه (مستاثرا) بالياء اى مظهرا (ما قدره الله) وقضى به (واذ قدمه المؤمنون) من الظفر باحدى الطائفتين العير او النفير (يوم بدر) اى فى وقتها الان اليوم يطلق على ذلك فى قولهم ايام العرب كما تقدم وهو من الغيب اى اخبرهم بها قوله (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم) بدل اشتمال منه (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) الشوكة مستعارة من الشوك المعروف للقوة والحدة بكثرة السلاح والرجال ومنه شاكى وشاك السلاح للرجل المستعد للحرب بآلاته وهذا اخبار للمؤمنين بامر وقع فى انفسهم وودوه واخفوه وهو مغيب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اعلمه به جبريل عليه الصلوة والسلام فلما تلاه عليهم زاد اعجازهم باعجاز القرآن وذلك ان المسلمين لما علموا بقدوم عير المشركين عليهم من التجارة واحبوا الخروج اليها علم الكفار بذلك فخرج ابو جهل بعامله مكة وهم النفير ولما علم ابو سفيان بخروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك اخذ بالعير الى جانب ساحل البحر فقيل لابى جهل ارجع بالناس فابى وسار بمن معه الى بدر فوعد الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد الامرين الظفر بالعير او بقتل النفير وكانت اصحابه رضى الله تعالى عنهم يودون فى انفسهم اخذ العير لما فيها من المال ولقلة ما عندهم من السلاح والرجال فقدر الله تعالى انهم يلقون العدو ليقطع دابر الكافرين فقتل صناديدهم وايد الله المؤمنين واعز الدين (ومنه) اى من اخباره بالغيب فى كلامه المعجز (قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين) وهم خمسة من الكفار او ستة كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم اشد الاذى ويسخرون به فاخبره الله تعالى بهلاكهم سرا او كفايته امرهم قبل وقوعه فكان كما قال فهذا من جملة المغيبات التى اخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كالذى قبله ولذا جمعهما فى قرن كما اشار اليه بقوله فى سبب نزول هذه الآية كما رواه الطبرانى فى الاوسط (ولما نزلت) هذه الآية عليه صلى الله عليه وسلم (بشر بذلك اصحابه) اى بهلاكهم لما كان عندهم من الالم بسبب ما (فاخبرهم (بان الله كفاه اياهم) باهلاكهم (وكان المستهزؤن به ...) من اهلها (يسخرون الناس عنه) صلى الله عليه وسلم ... واستهزائهم ويؤذونه فهلكوا وهم الاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى ... [illegible]

ابن عاص السهمي والحارث بن الطلاطلة ذكرهما الماوردي في اعلام النبوة وروى
ان جبريل اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم بهلاكهم وكفايته وقد مر روايته رجلا رجلا
وكيفية هلاكهم مفصل في السير وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم هلكوا
في ليلة واحدة والذي ذكره غيره انهم هلكوا في ايام متقاربة بعدما دعا عليهم بفناء البيت
فاجاب الله تعالى دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وانزل عليه الآية كما قال في الهمزية

وكفاه المستهزئين وكم سا ۞ ء نبيا من قومه استهزاء
ورماهم بدعوة من فناء الـ ۞ ـبيت فيها للظالمين فناء
خمسة كلهم اصيبوا بداء ۞ والردى من جنوده الادواء

(و) من الاخبار بالغيب (قوله والله يعصمك من الناس) اي يحفظك من جميع
الناس الذين يريدون بك سوءا وكان الصحابة يحرسون النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في اسفاره فلما نزلت منعهم من الحراسة وقيل ان هذا لا ينافي ما اصابه
صلى الله تعالى عليه وسلم باحد لان الآية نزلت بعدها او المراد حفظه من القتل
كما نقله الخضري في خصائصه (فكان كذلك) اي محفوظا معصوما كما اخبر الله
تعالى وكان هنا تامة وكذلك اي وقع ووجد كما اخبر به او ناقصة وكذلك خبرها
وقوله (على كثرة من رام) اي قصد (ضره) مفعوله وفسره بقوله (وقصد قتله)
اشارة الى صحة ما تقدم عن الخضري من ان العصمة انما هي عن القتل لا عن غيره من انواع
الاذى كما مر (والاخبار بذلك معروفة صحيحة) كما في صحيح مسلم عن جابر بن
عبد الله قال غزونا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نجد فادركنا
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في واد كثير العضاه فنزل تحت شجرة فعلق
سيفه بغصن من اغصانها وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر فاتاه رجل
وهو صلى الله عليه وسلم نائم فاخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على رأسه والسيف
مصلت في يده فقال له من يمنعك مني قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فشام
السيف قال وها هو جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك قومه
فانصرف حين عفا عنه وقال والله لا اكون في قوم هم حرب لك ومثله كثير
(فصل الوجه الرابع) من وجوه الاعجاز القرآني (ما انبأ به) اي ما اخبر الله به
(من اخبار القرون السالفة) هو جمع قرن وهم اهل كل عصر وزمان من الاقتران لاقتران
زمانهم واحوالهم فقيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل هو مطلق
الزمان اي اخبار الامم والملل المتقدمة والقرون البائدة مما لا يطلع عليه الا من تتبع
الدواوين [illegible] في اقطار الارض وبعد [illegible] طويلا وكلا الامرين منتف في حقه
صلى الله عليه وسلم (و) الامم البائدة) اي الهالكة الذين افناهم الموت وطحنتهم رحى الدهر

حتى اندرست آثارهم (والشرائع الدائرة) بدال مهملة وثاء مثلثة من دثر اذا اندرس ولم يبق له اثر والدثور ورد بمعنى النسيان والمراد معرفته الشرائع القديمة التي نسيت ونسخت احكامها من تدثر شيأ بعد شئ تفصيلاً وفي نظيره نوع من البلاغة يسمى الاعنات لان السالفة والبائدة والدائرة متقاربة اللفظ متقاربة المعاني (مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة) بيان لما كقوله من احد او على حد قوله تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً) على ما حقق في شروح الكشاف (الا الفذ) الفذ هو الفرد والشاذ وهما بمعنى وكلاهما بدال معجمة وفي الحديث لا تدع شاذة ولا فادة (من احبار اهل الكتاب) احبار جمع حبر بكسر الحاء المهملة وفتحها وسكون الموحدة وراء مهملة ومعناه العالم الحافظ الواسع علمه والعرف يخصه بعلماء اهل الكتاب ومنه كعب الاحبار للتابعي المشهور ويقال له كعب الحبر ووجه اطلاقه انه من الحبر وهو المداد الذي تكتب به واليه نسب كعب المذكور او لانه بحر الكلام وزينته وفي المصباح الحبر بالكسر المداد الذي يكتب به واليه نسب كعب فقيل كعب الحبر لكثرة كتابته بالحبر حكاه الازهري وعن الفراء الحبر العالم والجمع احبار مثل حمل واحمال ويقال الاحبار ايضاً اي عالم العلماء وكذا في تهذيب الاسماء للنووي وحينئذ فلا عبرة بقوله في القاموس كعب الحبر بالفتح وبكسر ولا تقل كعب الاحبار (الذي قطع عمره في تعلم ذلك) اي تعلم اخبار من سلف وشرائعهم فاذا كان لا يعلمه الا من قرأه ودرسه طول عمره واما من كان اما في امة امية لم يقارن من له علم بذلك فعلمه به واخباره مفصلاً امر خارق للعادة في حقه محال لاثباته بل لذاته (فورده) فرع على قوله انبأ اي اذا اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في الوحي المتلو المنزل عليه يورده اي يذكره (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على وجهه) حال من الفاعل او صفة مصدر مقدر اي ايراداً كائناً على وجهه اي على اتم حال يليق به وينبغي له كما يقال دبر الامر على وجهه كما في الاساس (ويأتي به على نصه) اي في غاية مرتبته من كماله ورفعه يقال بلغ الشئ نصه اي نهايته كما في الاساس لان معنى نص رفع ومنه المنصة وهي بزنته لان عبارة القرآن تسمى نصاً (فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه) اي من تعلم تلك الاخبار والشرائع اذا سمعها ممن لم يسمع بها علم صحة كلامه وصدقه فيما قاله (وان مثله) اي مثل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او مثل هذا الكلام (لم ينله) اي لم يصل اليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بتعليم) اي من البشر بل بوحي من الله تعالى (وقد علموا) اي علم الناس من المسلمين والمشركين (انه صلى الله تعالى عليه وسلم امي) اي لا يعرف القراءة ولا الكتابة فقوله (لا يقرأ ولا يكتب) صفة له مفسرة وموضحة وقول النحاة الجملة المفسرة لا محل لها من الاعراب ليس على اطلاقه ولما كان هذا الامي لا احتمال ان يسمعه ممن قرأ وكتب قال (ولا اشتغل [2] بمدارسة)

(٢) ولا اشتغل نسخه

اى تحفظ و تلق من الافواه (ولا مثافنة) بضم الميم و تليها مثلثة ثم الف وفاء ونون اى مداومة طلب ومجالسة تحتك فيها الركب بالركب حتى تؤثر فيها الاحتكاك وهو عبارة عن كثرة الجلوس مع اهل العلم بالاحبار والشرائع للعلم منهم وهو مفاعلة من ثفن البعير اذا برك والثفنة ركبة التى يبرك عليها حتى يسقط من حك الارض كثفنته على كذا اذا اعتمده وكان يقال لابن عباس ذو الثفنات لطول جلوسه فى طلب العلم اولكثرة سجوده حتى يصير فى جبهته اثر السجود وهذا ابلغ مماقبله وهو الصحيح الموافق لدأب المصنف فى بلاغته وماقيل من انه بمثلثه وقاف وموحدة من ثقب رأيه اذا نفذ ودهن ثاقب وان الاول بمعنى التعب من ثفنت يد الرجل بكسر الفاء اذا غلظت من كثرة العمل فهو من تحريف الكتبة الذى لا يلتفت اليه من له علم بكلام العرب وان نقله عن بعض الشراح وقد تقدم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اميا لا يقرأ والخط ولا يكتبه وانه من معجزاته وورد مايدل انه مخصوص باول امره وانه كتب بيده الشريفة عام الحديبية فكان ذلك معجزة له اخرى وقد شنع على قائله علماء الاندلس وبسطوه للرد فيه كما هو مبسوط غيرما مرة (ولم يغب عنهم) اى لم يغب صلى الله عليه وسلم عن قومه غيبة يحتمل انه تعلم فيها ما اخبرهم به (ولاجهل حاله احدمنهم) من ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم الى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك من اهل الكتاب (وقد كان اهل الكتاب) اى احبار اليهود والنصارى (كثيرا مايسألونه) اى فى كثير من الاحيان فهو منصوب على الظرفية ومازائدة لتأكيد معنى الكثرة اوهو صفة مصدر مقدر اى يسألونه (صلى الله تعالى عليه وسلم) سؤالا كثيرا (عن هذا) اى عن خبر من تقدم من الامم السالفة (فينزل عليه) عقب سؤالهم جوابا لهم (من القرآن مايتلو عليهم منه ذكرا) المراد بالذكر القرآن المذكور لهم (كقصص) مصدر بالفتح اوجمع قصة بالكسر اى سير (الانبياء مع قومهم) فذكره صلى الله تعالى عليه وسلم لهم مفصلا بلا عبارة والطف اشارة (وخبر موسى والخضر) بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين ويجوز سكون ثانيه مع فتح اوله وكسره وهو ماقصه الله تعالى فى سورة الكهف وموسى هو بن عمران الكليم على الاصح لا نبى آخر كما زعمه اهل الكتاب والخضر هو بليا بن ملكان على اقوال فى الاختلاف فى اسمه وقد اختلف ايضا فى نبوته وفى رسالته وانه هل هو حى الى الآن اومات قبل عام المائة الاولى اوقبل زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم واكثر علماء الصوفية على انه حى الى الآن الا ان الله تعالى اخفاه عنا وقد اطبق اكثر الصالحين على ذلك وانهم يلاقونه ويجتمعون معه وانه يحج فى كل سنة وليس فى ذلك دليل قاطع ولكن حسن الظن بصدق ماقالوه والاكثر انه ولى لا نبى ومن الغريب ماقيل انه ملك وقيل انه لا يموت الا فى آخر الزمان

حين يرتفع القرآن وفي صحيح مسلم في حديث الدجال انه يقتل رجلا ثم يحييه قال
ابراهيم بن سفيان راوي كتاب مسلم يقال انه الخضر وكذلك قال معمر في مسنده
وسمي خضرا لانه اذا جلس على ارض اخضرت له او لانه اذا صلى اخضر ما حوله
وفي جامع الاصول عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم
انما سمي بذلك لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت تحته وفي صحيح البخاري
من حديث همام بن منبه عن ابي هريرة مرفوعا انما سمي الخضر لانه جلس على
فروة فاذا هي تهتز من خلفه خضراء والفروة الارض اليابسة او الحشيش اليابس
قال ابن فارس الفروة كل نبات مجتمع اذا يبس وقال الخطابي الفروة وجه الارض
انبتت واخضرت بعد ان كانت جرداء (ويوسف واخوته) وهم واسباط اخوته
والخلاف في كونهم انبياء ام لا شيء مفصلا وقد كان اليهود سألوه صلى الله تعالى
عليه وسلم عنه فانزل الله عليه السورة (واصحاب الكهف) ومعناه المغارة لانهم
وجدوا فيها واختفوا في مكانها ولهم اسماء يونانية اختلف في ضبطها وكانوا فروا
من ملك يسمى دقيانوس وقصتهم مفصلة في التفاسير وسبب نزولها ان قريشا بعثوا
النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط الى احبار اليهود ليسألوهم عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وامره لانهم عندهم علم من الكتاب الاول فقدموا المدينة
قبل الهجرة وسألوهم عن ذلك فقال لهم الاحبار سلوه عن ثلاث فان اخبركم عنها
فهو نبي مرسل والا فهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان امرهم
العجب وعن رجل طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأه وسلوه عن الروح
ما هي فان لم يخبرها فهو نبي مرسل على ما قيل فسألوه عن ذلك فقال اخبركم غدا
ولم يقل ان شاء الله فانقطع عنه الوحي اياما اختلف في عددها فارجف بذلك كفار
مكة [illegible] رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] الله عليه [illegible]
الكهف (وذي القرنين) اختلف فيه وفي اسمه وسبب تسميته فقيل يوناني اسمه
هردس وقيل حميري اسمه الصعب بن ذي مراثد وفي خطبة لقس بن ساعدة * ان
الصعب ذو القرنين * ملك الخافقين * واذل [illegible] * وعمر [illegible] * ثم كان كلحظة
عين * وهو الاسكندر وسمي ذا القرنين [illegible] وقيل لانه
ضرب على قرني راسه وقيل لانه [illegible] والمغرب [illegible] وقيل [illegible] (ولقمان [illegible])
وهو لقمان بن عنقاء بن سرون [illegible] والاكثر [illegible]
وقيل انه نبي من اهل [illegible]
والقصص) والاخبار [illegible]
الخلق) اي ابتداء خلق الله [illegible]

ودرسها وخلقه للسموات والارض (ومافى التورية والانجيل) من احكام الشرائع والوحدة (والزبور وصحف ابراهيم وموسى) من المواعظ والاذكار وذكر بدء الخلق لما تضمنه من الاخبار عما سلف ايضا من اخبار الامم فلا يرد عليه ماقيل من ان بدء الخلق اخبار عن فعل الله تعالى وهو جدير بالحاقه بالاخبار بالغيب (مما صدقه فيه العلماء بها) اى الاحبار من اهل الكتاب حين ذكر لهم (ولم يقدروا على تكذيب ماذكر منها) لكونه مطابقا للواقع ولما عندهم مما لم يمكن انكاره (بل اذعنوا لذلك) فاقروا به واعترفوا منقادين له (فمن موفق) اسم مفعول من التوفيق اى الذين سمعوا ماقصه صلى الله عليه وسلم عليهم وعرفوا حقيقته منهم من وفقه الله تعالى فهداه و(آمن) بالمفعل ماض بهمزة وحرف الآخر (بما سبق له من خير) اى بسبب ماسبق له فى علم الله الازلى وحكم بانه سعيد فسبق فعل ماض بسين مهملة وباء موحدة وقاف والخير هو احسان الله والعناية عليه بهدايته ويجوز كسر سينه وبل باء مد باء مثناة ماض مجهول بالغه اى مما ساقه الله تعالى له واوصله اليه من الخير (ومن شقى معاند حاسد) اى اشقاه الله تعالى حتى حمله العناد والحسد على عدم الانقياد لما علم حقيته كما حمل الحسد ابليس لعنه الله تعالى على ضلاله لما كتب له من الشقاوة الازلية فلم يصدق ولم يؤمن (ومع هذا) العناد والحسد الذى اظهروه (لم يحك) بالبناء للمجهول ونائب فاعله انكار الواقع بعد سطوع وهو بالفاء الخ تفريع على قوله لم يقدروا على تكذيب ماذكر منها والمقام مقام اطناب وخطابة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لاموقع له بعدما تقدم اى لم يذكر (عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له) صلى الله عليه وسلم اى هم مع انهم اشد الناس عداوة له وعلى عمى مع كونه وانه لحب الخير لشديد اى على حب الخير لشديد (وحرصهم على تكذيبه) اى على شئ من كلامه يقدرون على نسبته الى الكذب فيه (وطول احتجاجه) عليه الصلوة والسلام (عليهم) اى اقامة الحجة عليهم (بمافى كتبهم) المنزله على انبيائهم عليهم الصلوة والسلام (وتقريعهم) اى توبيخهم وتفضيحهم (بما انطوت عليه مصاحفهم) جمع مصحف بتثليث الميم كما نقل عن ثعلب والفتح غريب من اصحف اذا جمع على الصحف فهى بمعنى الصحف هنا (وكثرة سؤالهم له عليه الصلوة والسلام) عما لا يعلمه الا من له تبحر فى العلم منهم (وتعنيتهم اياه) تفعيل من العنت وهو المشقة والتعب اى تكليفهم بما هو شاق (عن اخبار انبيائهم) متعلق بسؤالهم (واسرار علومهم) اى الامور الخفية الدقيقة من علومهم (ومستودعات سيرهم) اى سؤالهم عما اودع فى مصاحفهم من سير انبيائهم (واعلامه لهم بمكتوم سرائرهم) وفى نسخة بمكنون بدل مكتوم اى اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله منهم

عن امور مكتومة محمية عندهم ستروها عن غيرهم (ومصنفات كتبهم) اى ما تصنفها كتبهم من الاحكام وغيرها (مثل سؤالهم عن الروح) فى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان كما تقدم بيانه (وذى القرنين واصحاب الكهف وعيسى) لما قال علماء اليهود للمشركين سلوه عنها فان سكت اواجاب عن الجميع فليس بنبى وان اجاب عن الاولين وسكت عن الروح ووكل علمها الى الله فانه كذلك فى التورية فهو نبى مرسل (وحكم الرجم) اى سؤالهم له صلى الله تعالى عليه وسلم عن حكم الرجم للزانى المحصن الذى انكروه وبينه لهم صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى التورية (وما حرم اسرائيل على نفسه) اسرائيل هو يعقوب عليه الصلوة والسلام ومعناه صفوة الله وكان اليهود سألوه امتحانا له عما حرم على نفسه فقال لحوم الابل والبانها والعرق وما فيه عرق فصدقوه لانه كان يشتكى النسا خوفا من اخذه العصب ثم نذرانه ان دخل بيت المقدس سليما من الامراض والآفات ان يذبح آخر اولاده وامرهم عليه فلما سار وقرب منه بعث الله ملكا وكر فجذبه فرض بعرق النساء حتى كان من وجعه ما كان وذلك لئلا يلزمه ذبح ولده فحرم على نفسه ما امر لانه يضر عرق النساء وكان ذلك باجتهاد منه والانبياء يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح ويعقوب مات بمصر فحمله يوسف عليهما الصلوة السلام فدفنه عند ابيه بوصية منه (و) سألوه ايضا عن (ماحرم عليهم) اى على بنى اسرائيل (من الانعام ومن الطيبات) من المآكل (كانت احلت لهم) اى جعلها الله حلالا لهم (فحرمت عليهم بسببهم) اى حرمت عليهم عقوبة بسبب ظلمهم تشير الى قوله تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) الآية فحرم الله تعالى عليهم ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام والاوز والبط وقيل كل ذى مخلب من الطيور وكل ذى حافر من الدواب وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكلاسى الا ما الصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون وفصلوه فى سورة الانعام وقوله بغيهم اى بقتل انبيائهم واخذهم اموال الناس بالباطل فقالوا ان الله لم يحرم علينا شيئا فنزلت هذه الآيات تكذيبهم حتى افتضحوا وانقمعوا (و) مثل (قوله) تعالى (ذلك مثلهم فى التورية ومثلهم فى الانجيل الآية) الاشارة الى قوله تعالى (سيماهم فى وجوههم من اثر السجود كزرع اخرج شطأه) الى آخر ما ذكره فى آخر سورة الفتح فاخبرهم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بما فى كتبهم (وغير ذلك من امورهم التى نزل بها القرآن) مما لا يعلم مثله الا بوحى (فاجابهم) عما سألوه (وعرفهم) بما كتموه (مما اوحى اليه من ذلك) السابق ذكره كله (انه انكر ذلك او كذبه) بفتح همزة ان والمصدر المسبوك منها ومما دخلت

عليه نائب فاعل لم يحلك وهو ظاهر ثم اضرب عن ذلك اضرابا انتقاليا على سبيل الترقي فقال (بل اكثرهم صرح) اى تكلم بكلام صريح ناطق (بصحة نبوته) اى قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صادق فى دعوى النبوة وان له نبوة صحيحة (وصدق مقالته) اى صدق كل ما قاله صلى الله عليه وسلم مما ادعاه ومما نقله عن كتبهم وصدق مصدر مضاف للفاعل ومقالته مجرور او فعل ماض مشدد الدال ومقالته منصوب مفعوله (واعترف بعناده وحسده اياه) فاقر بان جحده لما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم محض عناد وحسد وافراد ضمير حسده رعاية لافراد لفظ اكثر وروى بضمير الجمع رعاية لمعناه وليس حسده فعل ماض لقوله اياه فانه يأباه (كاهل نجران) بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة فالف ونون وهم قوم من نصارى العرب منزلهم بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة سموا نجران بن زيد بن سبأ وسيأتى الكلام عليهم (وابن صوريا) بضم الصاد وراء مهملتين وواو ساكنة فالراء وبعدها تحتية مقصور وجوز البرهان مده وهو عبدالله بن صوريا وهو حبر من احبار اليهود الذين كانوا بالمدينة وهو الذى وضع يده على آية الرجم وهو لفظ عبرانى واختلف فى اسلامه فقيل انه اسلم وقيل مات على كفره (وابنى اخطب) بنيه ابن واخطب بزنة افعل المفضل بخاء معجمة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وموحدة علم لابيهما وهما حيى بضم الحاء المهملة وفتح الياء المثناة التحتية تليها ياء مشددة وابو ياسر وهما يهوديان من يهود المدينة معروفان ماتا على كفرهما وحيى هذا هو ابو صفية ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها قالت كان عمى ابو ياسر اخس رأيا من ابى كان يقول النبى نجده فى كتبنا فقول ثم هو هو فقول له فما فى نفسك منه فيقول معاداته (وغيرهم) من احبار اليهود والنصارى (ومن باهت فى ذلك بعض المباهتة) اى لم يقر بحقيقة ماجاء به صلى الله تعالى عليه وسلم وادعى انه كذب مكابرة منه يقال بهته وباهته اذا كذبه وبهته لا يهان * ومنكر طيب المسك كذبه الشذاء * وقوله بعض المباهتة اى فى بعض اموره التى تمكن المكابرة فيها وفيه اشارة الى ان من اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم مالا تمكن انكاره من احد من العقلاء وقد علمت انه يقال بهته تكذيبا وباهته كما فى الاساس ومن انكره فقد اتى بهتان من عنده (وادعى ان فيما عندهم) من كتبهم (من ذلك لما حكاه) متعلق بقوله (مخالفة) بالنصب اسم ان ومن الموصولة فى قوله من باهت مبتدأ خبره (دعى) بالبناء للمجهول اى دعاه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بادىء بدء (الى اقامة حجته) اى الى دليل بالاتيان بنص من كتبهم خالف ما اخبرهم به (وكشف دعوته) اى بيان ما ادعاه (فقيل له) اى قال الله له صلى الله تعالى عليه وسلم قل لهم (فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله

الظالمون) يعني قوله تعالى (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم
الظالمون) وسبب نزولها ان اليهود قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم تزعم انك على ملة
ابراهيم وانت تأكل لحم الابل ولبنها وذلك محرم في شرعه وقيل ان المسلمين قالوا
لهم انما حرمت عليكم الطيبات ببغيكم فقالوا انها كانت محرمة قبل ذلك فامروا
باحضار التورية حتى يتلى ما فيها من تحريم ذلك فلم يجدوا ذلك فيها وافتضحوا وقيل
انهم اتوا برجل وامرأة زنيا فقال لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف تفعلون
فقالوا نحممهما ونضربهما فقال لهم ان الذي في التورية رجمهما فانكروه فقال
لهم كذبتم ائتوا بالتوريه فاتلوها ان كنتم صادقين فأتوا بها وقرؤا حكم الزاني فيها
فوضع القارئ يده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها فانتزعت من يده ووجد
فيها الرجم فرجما (فقرع ووبخ) اى قرعهم الله وعيرهم بتكذيبهم وافترائهم على الله
صريحا وبلوغ تحاورهم طاقتهم (ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع) وهو امرهم بالاتيان
بالتوريه وهي حاضرة بين ايديهم فصاروا فريقين (فمن معترف بما جحده) وانكره
من احكام التوريه (ومن واقح) بضم الميم ومثناة فوقية مفتوحة وقاف مكسورة
وحاء مهملة اى متكلف للوقاحة وهي قلة الحياء وصلابة الوجه حتى لا يبالي بفضاحة
والمراد به ابن صوريا الذي وضع يده على آية الرجم فقال له ابن سلام ارفع يدك يا اعور كما
اشار اليه بقوله (يلقى على فضيحته) اى مفتضحه ويحمله سترها من الناس (من كتابه)
اى من الكتاب الذي بيده (يده) اى يضعها عليه وعلى الآية التي بها ابطال دعواه
وتكذيبه (ولم يؤثر) بالبناء للمجهول بمعنى ينقل معطوف على قوله فلم [illegible]
ونائب فاعله (ان واحدا منهم) اى من اهل الكتابين (اظهر خلاف قوله)
صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتبه) اى من الكتب التي عندهم مما يدل على انهم
(ولا ابدى) اى اظهر نقلا (صحيحا ولا سقيما) اى صحيح النقل او ضعيفه ولا [illegible] (من صحفه)
جمع صحيفة وهي الكتاب (قال الله تعالى) بيانا لما كانوا عليه في هذا الامر (يا اهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كقصته
صلى الله تعالى عليه وسلم وقصة الرجم وبشارة الكتب ببعثته صلى الله تعالى عليه وسلم
وبيانه (ويعفو عن كثير) لحلمه وستره عليهم رحمة لهدايتهم [illegible] الله
(الآية) وتمامها قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم
❀ فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة في غاية الظهور (لا نزاع فيها) اى
لا ينازع احد من العقلاء في كونها دالة معجزة (ولا مرية) بكسر الميم وضمها اى
شبهة وشك في ذلك وهي عامة في جميع الآيات وفي جميع الاخبار الواقعة فيها كما قال

تعالى (ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) (ومن الوجوه
الثالثة في اعجازه من عشر هذه الوجوه) الاربعة (آي) جمع آية او اسم جنس جمعي كتمر
وتمرة وليس كل مايفرق بينه وبين واحده بالتاء اسم جنس جمعي كما فصله ابن الدين بن
مالك في باب الجمع من شرح الالفية والآية جملة من القرآن لها مبدأ ومقطع كما مر
(وردت بتعجيز قوم) اى جاء فيها اظهار عجز طائفة مخصوصة من الناس
(في قضايا) جمع قضية وهي الحادثة الواقعة في حكم قضاه الله تعالى وقدره
(واعلامهم انهم لا يفعلونها) الاعلام بكسر الهمزة مصدر اعلم مجرور معطوف على
تعجيز والضمير للقضايا (فما فعلوا ولا قدروا على ذلك) المذكور من طلب القضايا وبني
القدرة ابلغ من نفي الفعل (كقوله) عز وجل (لليهود) لما ادعوا دعاوي باطلة كقولهم
(لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى) فكذبهم والزمهم الحجة فقال خطابا له صلى الله
عليه وسلم (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) وهي الجنة (عند الله خالصة) اى خاصة
بكم وهو حال من الدار الآخرة والخطاب لاهل الكتاب (من دون الناس) اى باقيهم
من المؤمنين وغيرهم (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) في قولكم انكم من اهل الجنة
وانها مخصوصة بكم لان من تيقن دخول الجنة اشتاق لها واحب التخلص
من هذه الدار واكدارها ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه (ولن يتمنوه ابدا بما
قدمت ايديهم) نفى عنهم تمنى الموت في جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وابدا
وما قدمته ايديهم الكفر بالله وتحريفهم التوراة فما في هذه الآية من المعجزات
لانه اخبار بالغيب وهو كما اخبر اذ لو تمناه احد منهم مع توفر الدواعي على نقله اشتهر
والتمني وان كان من اعمال القلب الخفية كما يأتي فالنطق به وقولهم عينا مما لا يخفى
ولو تمنوه ماتوا فهم لحرصهم على الحياة وخوفهم لن يتمنوه وقد صرفهم الله تعالى
عن ذلك معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد استشكل ماقاله المصنف هنا
بان ماذكره هنا داخل في الوجوه السابقة فان قوله لن يتمنوه ابدا مثل قوله فأتوا
بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا لاعلامهم بانهم لا يفعلون لعجزهم
وعدم قدرتهم فهو داخل في النوع المتقدم لانه اخبار عما اسأثر الله بعلمه في المستقبل
فجعله امرا برأسه غير مسلم وقد سوى بينهما في الكشاف والجواب عنه ان ماتقدم
امر معجز في نفسه في سائر الازمنة بخلاف ماهنا فانه قول احدهم انا اتمنى الموت
ونحوه امر ممكن لهم ولغيرهم واعجازه انما هو بمجرد الاخبار عن عدم وقوعه فهو
مغاير لما قبله وادنى منه مرتبة (قال ابو اسحق الزجاج) في تفسيره المسمى بمعاني
القرآن وهو تفسير جامع لم يسبقه اليه وقد نقله الزمخشري في كشافه وهو ماخذه كما مر وهو العلامة
في فنون العربية الآخذ لها عن المبرد واسمه ابراهيم بن السري بن سهل

ابن الزجاج نسبة لصنعته توفى سنة احدى عشر وثلثمائة يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة كما تقدم (فى هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة) اى رسالة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم) وفى نسخة احد منهم وفى الكشاف * فان قلت التمنى من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لن يتمنوه * قلت ليس التمنى من اعمال القلوب وانما هو قول الانسان بلسانه ليت لى كذا وليت كله تمن ومحال ان يقع التحدى بما فى الضمائر والقلوب ولو كان بالقلوب لقالوا قد تمنيناه بقلوبنا ولم ينقل انهم قالوه وفى حواشيه للقطب انه استدلال على ان التمنى ليس من اعمال القلوب لان التحدى انما يكون بامر ظاهر وفيه ان التحدى انما يكون باظهار المعجزة لالزام من لم يقبل الدعوى والتمنى ليس بمعجز فهو كقول الخصم احلف لى ان كنت صادقا ويمكن ان يقال التحدى هنا بطلب دفع المعجزة فان اخباره بانهم لن يتمنوه ابدا معجزة طلب دفعها منهم والدفع لا يكون الا بامر ظاهر وهو كلام حسن منقول ممن لم يصل الى المقصود (وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه البيهقى من طريق الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بهذا اللفظ الآتى واحمد فى مسنده عن ابن عباس مرفوعا بسند جيد بلفظ لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا (والذى نفسى بيده) اقسم بالله فسماه اسما للمقسم عليه فان معناه ان روحه بيد الله ان شاء ارسلها فتحيى وان شاء امسكها فتموت وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما يقسم به (لا يقولها) اى كلمة التمنى المفهومة من السياق (رجل منهم) اى واحد من بنى اسرائيل والرجل على ظاهره والمراد ما يعم المرأة (الاغص بريقه) غص بضم الغين المعجمة وفتح الصاد المشددة المهملة او بفتحهما وفاعله ضمير الرجل وعليه اقتصر بعضهم ولا ينافى الاول كونه لازما كما توهم والغصة ما يقف فى الحلق فيمنع النفس حتى يهلكه فقال غص بالطعام وشرق بالشراب وشجى بالعظم وجرض بالريق وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر والريق رطوبة الفم وغصص الدهر مصائبه وهو كناية عن سرعة وقوع الموت بهم كما فى النهاية واليه اشار بقوله (فمات مكانه) اى فى مكانه الذى غص فيه فلا يمهل لاشتغاله لفراشه (فصرفهم الله عن تمنيه) مصدر مضاف لمفعوله وهو ضمير الموت (وجزعهم) بفتح الجيم وتشديد الراء المعجمة وفتحها وفتح العين المهملة وفى نسخة فى جزعهم وكونه جزعهم براء مهملة غلط (ليظهر صدق رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (وصحة ما اوحى اليه) ثم بينه بقوله (ادلم يتمنه احد منهم) لخوف الموت لتحقق صدق خبره (وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا) على تكذيبه بان يتمنوا

ولا يموتوا والجملة حالية بتقدير قد (ولكن الله) بالجمع والتشديد (يفعل ما يريد) من تمنيهم وعدمه (فظهرت بذلك) اى بعدم تمنيهم مع انهم احرص عليه (معجزته وباب حجته) بصدق خبره عن الغيب (قال ابو محمد الاصيلى) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته (من اعجب امرهم) اى اليهود (انه) الضمير للشان (لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم) اى من حين (امر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم) بقوله قل لهم فتمنوا الموت (يقدم عليه) اى على تمنى الموت (ولا يجيب اليه) اى الى قوله فتمنوا الموت او الى قول احد تمنى الموت لشدة خوفهم ولما اخبر لهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال ولتجدنهم احرص الناس على حيوة (وهذا) المذكور من امتناعهم عن التمنى (موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم) اى كل من اراد ان يعرفه اذا ذكره لهم ظهر له ماقى طباعهم والامتحان هو التجربة وانما ذكره دفعا لما يقال النبى امر حتى فقد يقال انه موجود ولم يطلع عليه (وكذلك آية المباهلة) اى مثل قصة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى بنى اسرائيل قصة المباهلة فى نصارى نجران لان فيها تكليفا بالتكلم بامر لو قالوه هلكوا وقد اخبره الله تعالى به قبل وقوعه فكان كما اخبر ولم يجبه احد منهم الى ما دعاهم اليه كما لم تتمن اليهود الموت فهو (من هذا المعنى) يعنى انهما متقاربان كما قررناه آنفا واصل معنى المباهلة كما حققه الراغب من البهل وهو الاهمال كارسال الغنم وحل صرار الناقة يقال ابهلت فلانا اذا خليته وارادته وفيه الاسترسال وهو بصريح الدعاء قال ومن فسره باللعن فلما فيه من الاسترسال فيه قال الشاعر * نظر الدهر اليهم فابتهل * اى استرسل اليهم فافناهم انتهى وفيه رد على بعض اهل اللغة اذ ظن ان حقيقته الملاعنة ويؤيده ظاهر قوله تعالى ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (حيث وفد عليه) الوفد هو القادم من غير اهل الديار كالضيف وحيث هنا للزمان اى لما قدموا عليه من ديارهم (اساقفة نجران) جمع اسقف بضم الهمزة والقاف وبينهما سين مهملة وآخره فاء مشددة وهو رئيس النصارى فى دينهم وقاضيهم وامامهم وقيل سمى به لانحنائه وخضوعه ونجران بفتح النون واسكان الجيم بلدة كانوا فيها وهى بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة قدموا فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ستون راكبا منهم اربعة عشر رجلا رؤساؤهم ومنهم ثلاثة يرجع اليهم كل امرهم واميرهم اسمه العاقب كما مر ودور رأيهم كان عبد المسيح وثمالهم السيد وكان احبرهم الايهم وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن وائل اسقفهم وامامهم وقصتهم مشهورة فى الاسلام (وابوا الاسلام) اى امتنعوا ان يسلموا لادعائهم حقية دينهم وعدم نسخه (فانزل الله عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حقهم (آية المباهلة بقوله

فمن حاجك فيه الآية) وتمامها من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ومعنى وانفسنا وانفسكم اي ليدع بعضنا بعضا فان الانسان لا يدعو نفسه وكيفيتها كما قاله الله تعالى ان يجمع كل من المتخاصمين اهله ثم يتوجه كل منهما الى الله تعالى ويقول اللهم ان هذا يقول كذا وكذا وانا اقول كذا وكذا اللهم فاجعل لعنتك على الكاذب منا فان عذاب الله يحل بمن كذب من غير بطء وهذا لم ينسخ فان سلطان العلماء العز بن عبد السلام اسند اليه بعض اهله شيئا لم يفعله فقال اباهله الى الله فلم تمض سنة حتى هلك من باهله واما جمع الاهل فجوابهم بحلول العذاب من الله بهم اجمعين ومن قال هذا معنى المباهلة بالضم والفتح اللغة لم يصب كما نص عن الراغب وهذا مما نحن فيه من وجه ومن قال الاسقف منقول من السقف كما قاله ابن السكيت والهاء للمحتمة في كلامه ناقص (فاستعفوا منها) اى من المباهلة خافوا المساعدة من الهلاك على انفسهم بدعائه صلى الله عليه وسلم (ورضوا باداء الجزية) وهو الخراج الموظف على الناس ويطلق على ما يعم على الاراضى فاخبروها مع ماء بها من المدلة وكانوا قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم مالك تسبه انا تقول عبد الله فقال هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا من غير اب فانزل الله عز وجل (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الخ) ثم دعاهم للمباهلة (وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم) اى هلكوا جميعا بالاجابة دعائه عليهم ثم قال لهم ان ابيتم الا الاقامة على دينكم فصالحوه وانصرفوا الى دياركم وروى ان القائل لهذا منهم هو السيد الذى كان يسمى شرحبيل فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسلموا يكن لكم وعليكم ما للمسلمين وعليهم فابوا فقال فاتلكم فقالوا ما لنا طاقة بحربك ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام الفى حلة الفا في صفر والفا في رجب فصالحهم صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك وقال لو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير واضطرم عليهم الوادى نارا وفيه دليل على مشروعية الملاعنة قال في المواهب وقد جربته وانه لا يخطئ على الكاذب نسمته ومدعلمت ان هؤلاء اهل مقوامين الملاعنة كما امتنع اليهود عن تمنى الموت ولذا اورده المصنف رحمه الله تعالى هنا (ومثله قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) اى مثل قوله فمن حاجك فيه (فاخبرهم) الله تعالى في هذه الآية (انهم لا يفعلون) في المستقبل ابدا وهو ما دل عليه الجملة المعترضة بين الشرط وجزائه وهي قوله ولن تفعلوا

(كما كان) في الماضي الدال عليه فان لم تفعلوا فان عجزهم عن معارضة القرآن امر محقق وواقع وانما اتى بان الشرطية وكان مقتضى المقام اذا نظرا الى ما عندهم من الشك في قدرتهم تهكما بهم (وهذه الآية) اي قوله تعالى (وان كنتم في ريب مما نزلنا الى آخره) (ادخل في باب الاخبار بالغيب) اي ابلغ واشد دخولا فيه لانه اظهر واوضح لتحقق النفي في المستقبل بالتأبيد في النافي الذي علم من التحدي بخلاف آية تمني الموت وآية المباهلة لعدم تقدم شيء من نوعها وقيل لان فيها تصريحا بنفي فعلهم في المستقبل بخلاف آية المباهلة فان فيها اشعارا بالعجز عن المباهلة في الحال والاشعار بالنفي في المستقبل الذي هو من الاخبار بالغيب من لوازمها لا من صريحها وفيه بحث (ولكن فيها من التعجيز ما في الاولى منها) اي في آية سورة البقرة التي فيها تعجيزهم عن الاتيان بمثل سورة مما من مثله تعجيز كتعجيزهم عن المباهلة وفيه نظر لانهم لم يعجزوا عن المباهلة وانما خافوا من عاقبتها فامتنعوا عنها ولو ارادوها لم يكن عندهم مانع منها فتدبره ﴿فصل ومنها﴾ اي من وجوه اعجاز القرآن وجعله غير الوجوه الاربعة التي تقدمت (الروعة) بفتح الراء والعين المهملة بالمرة من الروع وهو الفزع والخوف الذي يطرأ عند سماعه لجلالته وهيبته كما وقع لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لما سمع اول سورة طه فاسلم من غير تردد لما وقع في قلبه عند سماعه (التي تلحق قلوب سامعيه) اصله تلتحق قلوب السامعين له فحذفت نونه لاضافته لضمير القرآن (واسماعهم) بالنصب معطوف على قلوب مفعول تلحق وهو جمع سمع بمعنى الحاسة وفيه تسمح لان الفزع لا يلحق السمع وانما يلحق القلب بواسطته وهو كقوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى اي اذا ذكر احداهما الاخرى اذا ضلت كما حقق في الكشاف وشروحه وانما عطف عليه ليفيد ان هذه الروعة تلحق من يفهمه ومن لا يفهمه مؤمنا كان او كافرا فاقيل ان في عده هذا وجها مستقلا من وجوه الاعجاز نظرا لانه معنى زائد عن النظم مشروط بتدبره وهو في المؤمن واضح واما في الكافر فلمن به لبس يتدبر لمن التي السمع وهو شهيد وقوله (عند سماعه) تأكيد والضمير للقرآن (والهيبة) بالرفع معطوف على الروعة ومعناه الخوف يقال هابه اذا خافه كما في القاموس وهو قريب من الروعة والنحة في انهما ليسا بمعنى واحد كما في عروس الافراح قال: ثم توهم ان الروع والمهابة واحد وليس كذلك بل الروع الفزع والمهابة الاجلال قال * اهابك اجلالا وما بك قدرة * علي ولكن ملء عين حبيبها * وقال ابن عربي في قول السكاكي ادخال الروعة وترتيبه المهابة والمهابة يراد بها عرفا الحالة التي تكون في قلوب الناظرين الى الملوك وترتيبها تقويتها والروعة الخوف الذي يحدد فيخاط بها انتهى (التي تعتريهم) اي تطرأ عليهم

وتمشاهم (عند تلاوته) وقراءته والاول ناظر للسامع والثاني للقارئ نفسه او هما معنى (اقوة حاله) اي لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار وهذا ناظر للروعة عند من فهمه (وانافه خطره) اي علو مرتبته على غيره من الكلام الذي يهابه سامعه فهو ناظر للهيبة ويمكن كل منهما لكل منهما (وهي) اي الروعة والهيبة وافراد الضمير لانهما شيء واحد او كالواحد (على المكذبين به اعظم) منها على المؤمنين لشدة خوفهم منه كما قيل الخائن خائف والمؤمن وان هابه فهو متلذذ به مطمئن قلبه ببشارته (حتى كانوا) اي المكذبون (يستثقلون سماعه) لصعوبة ما فيه عليهم (ويزيدهم) سماعه (نفورا) عن الحق والاصغاء اليه (كما قال تعالى) (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا) اي ولوا معرضين عنه لعدم ذكر آلهتهم فيه (ويودون) اي يحبون (انقطاعه) اي قطع تلاوته عندهم (لكراهتهم له) لخبث طباعهم كما تضر رياح الورد بالجعل (ولهذا) المذكور من محبة انقطاعه وكراهتهم له (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في الحديث الذي رواه الديلمي وغيره عن الحكم بن عمير وسيأتي تمامه (ان القرآن صعب) في نفسه بمعنى انه لا يقدر احد على محاكاته وضبط الفاظه وحفظها بسهولة كما قال تعالى (انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) (مستصعب) بفتح العين وكسرها اي تعسر فهمه وتفسيره بالرأي ولا يمكن تغييره وتحريفه لانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لانه ليس من جنس كلام البشر (على من كرهه) من الكفار والمنافقين (وهو) اي القرآن (الحكم) بفتحتين اي الحاكم الفاصل بين الحق والباطل بما تضمنه من الاحكام والبر والفاجر بما نصب فيه من الادلة الدالة على حقيته ولذا قيل له فرقان وهذا في حق غير المؤمن (واما المؤمن) معادلة لاما مقدرة مفهومة مما قبله اي اما غير المؤمن فلا يزال صعبا عليه لكراهته له واما المؤمن (فلا يزال روعته به) بفتح الراء اي فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه وهيبته منزلة الحاصلة بسببه (وهيبته اياه) الضمير الاول للمؤمن والثاني للقرآن او بالعكس (مع تلاوته) اي قراءته من تلاه اذا تبعه او هو بمعناه اللغوي اي اتباعه لاوامره ونواهيه والتلاوة في العرف تختص بالقرآن وقيل لا تختص به (توليه) اي تعطيه من اولاه معروفا اذا اعطاه فهو بضم المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر اللام المخففة (انجذابا) بنون وجيم ودال معجمة وموحدة من جذبه اذا اماله لجهته بشدة اي تميل قلبه وسمعه لجهته له وبه الشيء منجذب اليه (وتكسبه) بضم التاء الفوقية وسكون الكاف (هشاشة) بفتح الهاء والشين المعجمة اي مسرة وخفة ولينا لما فيه من البشائر السارة والمعاني اللذيذة التي تحمله في نشاط (لميل قلبه اليه وتصديقه به) فهو دائما

يرتع فكره فيه في روضات انيقة فاذا عرف من ساجي وانه جليس الرحمن سر ونشط ثم استشهد لهذا بقوله (قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) اى تعرض الجلود ابدانهم قشعريرة اى قيام من الخوف من هيبته فاذا تأمله وتدبره لان قلبه وجلده لانسه وسروره به ولذا ترى بعض الصالحين اذا تلى القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك الى الغشى وشق الثياب ونحوه ومثله لاينكر ومن لم يدر لايعرف ولا يأبى هذا انه لم يقع من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لان مقامهم مقام تمكين وقد بسط هذا فى الاحياء فان اردته فارجع اليه وعدى تلين بالى لما فيه من معنى الميل وذكر الجلود فى الاول وضم اليها القلوب فى الثانى اشارة الى ان الاول قبل التدبر التام فاذا تدبر ذلك وقر فى قلبه وزالت تلك الحالة الظاهرة عنه (وقال) تعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية) يعني لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وهذا تمثيل لما فيه من الروعة التى تهد الجبال فما بالك بالرجال والآية مبينة فى التفاسير فلا حاجة للتطويل بذكر مافيها (ويدل على ان هذا) اى مايحدث للقلوب والاسماع من الروعة والمهابة (شئ خص به) القرآن دون غيره من الكلام (انه) امر (يعترى) اى يطرأ ويحدث (من لايفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره) ممن لايمارس كتبه ويقرؤها حتى يقف على دقائقه ولطائفه فعلم من هذا ان تأثر السامع به لسر فيه وامر ربانى ولذا كان يأخذ قارئه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره (كما روى عن نصرانى) ليس من شأنه فهم القرآن ولا الوقوف على تفسيره فقيه اصطلاح لقائله (انه مر بقارئ) يتلو القرآن جهرا (فوقف) ليسمع قراءته وهو (يبكى فقيل له مم بكيت) وانما سئل عن سبب بكائه لانه لايصدق به ولا يفهمه (فقال للشجا والنظم) الشجا بفتح الشين المعجمة والجيم مقصور يقال شجى يشجى شجا وهو شج اذا حزن او طرب او غضب والثانى انسب هنا كما قاله البرهان والمراد بالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه فأثر ذلك فى نفسه وهو لايفهمه حتى ابكاه وسمع بعض العرب بخراسان مغنية حسنة الصوت تغنى بالفارسية فشوقه ذلك وابجاه وقال

ومسمعة يحار السمع فيها * ولايفهمه لايصمم صداها
ولم افهم معانيها ولكن * ورت كبدى فلم افهم سجاها
فكنت كأنى اعمى معنى * يحب الغانيات ولايراها

ولم يذكر المصنف رحمه الله تعالى ان ذلك القارئ قرأ بصوت حسن حتى يكون تأثره وطربه لسماعه وهو ابلغ وادل على مقصده (وهذه الروعة) الحاصلة عند

سماع القرآن لمن لم يسلم بعد (فقد اعترف جماعة) وحصلت لهم (قبل الاسلام) اى قبل اسلامهم (وبعده) ثم فصل حال من اعترته الروعة قبل اسلامه ايك لمسامح في العبارة لان القاء ثم تقتضي عروض الاسلام فلا ساوى قوله ومنهم من كفر وكذلك قوله بعده فعبارته لا تخلو من المسامحة وكان الظاهر ان يقول اعترت جماعة منهم من اسلم ومنهم من بقى على كفره فقوله (فمنهم من اسلم لها) اى لاجل الروعة (لاول وهلة) بفتح الواو وسكون الهاء وهي المرة من الوهل وهو الفزع فقال وهل منه واليه اذا فزع ثم قال اول وهلة لاول ما يقرع السمع ويقع في الوهم والفكر وهو المراد كما اشار اليه في الاساس واسلم بمعنى اقر واعترف (وآمن به) اى صدق بقلبه (ومنهم من كفر) اى دام على كفره لاصراره على عنادة لجافه وجاهلية (حكى في) الحديث (الصحيح) الذى رواه الشيخان مسندا (عن جبير بن مطعم) بن عدى بن نوفل بن عبد مناف الصحابي رضي الله تعالى عنه وقد تقدمت ترجمته وانه اسلم في فتح خيبر او فتح مكة انه (قال سمعت رسول الله) وفي نسخة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يقرأ في) صلاة (المغرب) وذلك قبل اسلامه (بالطور) اى بسورة الطور (فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء) اى من غير خالق لهم كما تقول الدهرية (ام هم الخالقون) لانفسهم بشهادة قوله بعده ام خلقوا السموات والارض وقرأ (الى قوله ام هم المصيطرون) اى المدبرون للاشياء كما يريدون وبينهما بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك فقال مصيطر ومسيطر للسيد المالك (كاد قلبي ان يطير للاسلام) اى حدث عندى فزع وخوف شديد حتى كان قلبي ذات وهو حتى لم تبق منى وطيران القلب يراد به تأثر شدة الخوف وهو المراد هنا لان القلب متحرك دائما لحرارته فاذا زالت الحرارة الغريزية لخوف او شدة شوق وحب زاد خفقانه فيه حينئذ يطائر شبه جناحه كما قال القائل

كأن قطاة علقت من اساقى ✽ لان فؤادى دائم الخفقان

وقلت محسا لعلى طائر فرحا ✽ وعلمه بانحل اساقى قفص

وعليه قول العرب افرع روعه كما حقق في كتب اللغة (وفي رواية) اخرى عن رواية الشيخين (وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي) وقر بالقاف بزنة شرب بمعنى سكن وثبت وذلك انه كان مشركا في اسارى بدر او في فداء اساراها فلما سمع الآية وفهمها علم ما فيها من برهان الايمان القاطع لعرق الكفر لدلالتها على انه لا خالق يستحق العبادة الا الله فسكن قلبه بعد اضطرابه حتى كاد يطير وهذه رواها البخاري ايضا في المغازى وفي رواية فصدع قلبي وقصته دال على صحة رواية المسلم مع ما تحمل حال كفره وفيه بيان لروعة القرآن لمن سمعه وان تلك الروعة سبب لاسلامه (وعن عتبة بن ربيعة) هو ابو الوليد بن عبد شمس بن عبد مناف المشهور وهو ممن

(قبل)

قتل كافرا سدر فلا نتوهم اسلامه تقول المصنف رحمه الله تعالى عن عتبة هنا وهذا
الحديث رواه ابن اسحق في سيره والبغوي في تفسيره (انه كلم النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فيما جاء به من خلاف قومه) نشر لما في السير من ان ابا جهل لعنه الله تعالى قال
لقريش قد التبس علينا امر محمد فلو اتاه ما من كلمه فذهب اليه عتبة وكان ذا رأي
وحزم وقال له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب فلم تشتم آلهتنا
وتسفه احلامنا وتضلل آباءنا فقوما فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك
اللواء وكنت رئيسنا وان كان بك الباءة زوجناك من تختار من بنات قريش وان كنت
تريد المال جمعنا لك من اموالنا حتى تكون من اكثرنا مالا وان كان لك رئي
لا تستطيع رده طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا او كما قال والنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يسمع كلامه حتى فرغ فقال له افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال اسمع
مني ما اقول (فتلا عليهم) اي على الوليد ومن معه او من علم انه سيلمه ما تلاه
عليه وفي نسخة عليه بالافراد من سورة (حم) تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب
(فصلت) آياته (الى قوله) فان اعرضوا فقل انذرتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)
اي الصاعقة التي اهلكت قوم هود وقوم صالح (فامسك عتبة على فيه) اي وضع
يده على فم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يقطع كلامه وما تلاه عليه من هذه
السورة لخوفه من وقوع ما انذرهم به وفي نسخة فامسك عتبة يده على في النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم (وناشده الرحم ان يكف) اي سأله مقسما عليه بالرحم
وهي القرابة القريبة المقتضية للرحمة والعطف عليهم من حلول ما ذكره
من العقاب بهم يقال ناشدته ونشدته اذا اقسمت عليه فهو استعطاف (وفي رواية)
اخرى لابن اسحق في سيرته عن كعب القرظي (فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ) قال الراغب جعل لفظ عام في الافعال كلها اعم من فعل وصنع واخواتهما
وتاتي على اوجه فتجري مجرى صار وطفق فلا تتعدى تقول جعل زيد يقول
كذا الخ فالمعنى انطلق في قراءة السورة وقوله لا تتعدى اي هي من افعال الشروع
والفعل خبرها لا مفعولها والشروع لا ينافي الاستمرار كما توهم (وعتبة مصغ)
اسم فاعل من اصغى بوزن مفعل اي مستمع لقراءته منصت لها (ملق يديه خلف ظهره)
لاعتماده عليهما وقوله (معتمد عليهما) كالتفسير له (حتى انتهى) اي وصل (الى)
آية (السجدة فسجد) صلى الله تعالى عليه وسلم (وقام عتبة) من عنده (لا يدري
بم يراجعه) اي يكلمه بعد تلاوته لروعته التي ادهشته عما سمعه منه صلى الله تعالى
عليه وسلم (ورجع الى اهله) اي دخل عليه منزله ولم يقابل احدا ممن كان ينتظر
خبره (ولم يخرج) من بيته (الى قومه) واستمر في بيته (حتى اتوه) ليسألوه عن

انقطاعه عنهم ماسيه (فاعتذر لهم) عن عدم خروجه لهم واخباره بما جرى له معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) فيما اعتذر لهم به (والله لقد تلى) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (كلاما) والله (ماسمعت اذناى بمثله قط) اى بمماثل له فى حسنه وحلاوته وتأثيره فى القلوب (فادريت ماأقول له) فبهت الذى كفر والله لايهدى القوم الظالمين وفيه دليل لماتحن فيه من الروعة والهيبة لمن اتى على كفره بمن اضله الله على علم وفى رواية لما رأوه قالوا والله لقد جاءكم ابوالوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ماوراءك ياابا الوليد قال ورائى انى سمعت قولا والله ماسمعت مثله قط والله ماهو بالشعر ولابالسحر ولابالكهانة يامعشر قريش اطيعونى وخلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعته نبأ عظيم فان تصبه العرب كفيتموه بغيركم وان اظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به فقالوا سحرك والله ياابا الوليد فقال هذا رأيى فيه فاصنعوا مابدا لكم (وقد حكى) بالبناء للمجهول (عن غير واحد) اى عن كثير وغير الواحد شامل للقليل والكثير ولكنه خص عرفا بهذا كما مر (ممن رام معارضته) اى قصد ان يأتى بكلام بماثله فى البلاغة (انه اعترته) اى حدث له واصابه (روعة وهيبة) حين تلاه وسمعه (كف بها) اى بتلك الروعة والفزع (عن ذلك) اى المذكور من روم المعارضة ثم ذكر بعض من سخف عقله بمن هم بذلك فقال (فحكى ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه) اى قصد معارضة القرآن والكلام بما يماثله وفى المقفى للبرهان الحلبى المقفع بضم الميم وفتح القاف والفاء المشدده قبل العين المهملة ولم يتعرض ابن ماكولا الا ان حركة الفاء وهى مضبوطة فى النسخ بالكسر والذى احفظه الفتح وذكر ابن ماكولا شخصا يقال له مروان بن المقفع فليحرر هل هو هذا ام لا انتهى وهو غريب من مثل هذا الحافظ فانه بالفتح من غير شبهة قال فى القاموس مقفع الدين كمعظم مشتحها ومروان بن المقفع تابعى وابو عبد الله بن المقفع فصيح بليغ وكان اسمه روزبة اودازبة بن داود حبس قبل اسلامه وكنيته ابو عمرو ولقب ابوه بالمقفع فقفعت يداه اى تشنجتا وهذا مما تعرفه الخاصة والعامة الا ان التلمسانى قال فى حواشيه المقفع الناس الذين والرجلين من برد وقال ابن مكى فى تثقيف اللسان ان الصواب فيه المقفع بكسر الفاء لانه كان يعمل القفاع جمع قفعة وهى شئ يشبه الزنبيل بلا عروة من خوص وليس بالكبير وقيل انه كاتب المنصور وهو اول من هذب المنطق وقتله سفيان المهلبى لما بلغه الا سيره وحضره اهاجيا وقيل ان ابن المقفع قد كرع بدء الوطيس فلم يعرفه وسال عنه من حضر فضحك ابن المقفع ثم انصرفوا فاس ابن المقفع

بالجلوس حتى خلا المجلس فامر بتنور عظيم وامر بان يسجر وامر بطرحه فيه فاحترق كما في مشكاة انوار الخلفاء وكان ابن المقفع من جملة قوم زنادقة كانوا يجتمعون لذكر مطاعن القرآن وصياغة هذيان يعارضونه بها كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وشرع فيه) اي في المعارضة وذكره لان تأنيث المصادر غير معتبر لتأويله بان والفعل (فمر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع) وقد تقدم بيان بلاغتها وما فيها من الاعجاز على ما في المصابيح وشروحه (فمحى) جمع (ما عمل) نفي غسله وابطل ما في صحفه لما رأها لامناسبة بينها وبين شيء من الكتاب العزيز (وقال اشهد) اي اقر واعترف او اعلم كل احد (ان هذا لايعارض) اي لايقدر احد على الاتيان بمثله (وماهو من كلام البشر) لظهور اعجازه (وكان افصح اهل وقته) فليس من قال ذلك غير عالم لمعرفته بصناعة الفصاحة والمراد بوقته زمانه وعصره الموجود فيه ﴿فائدة﴾ قال ابو الفرج ابن الجوزي نقلت من خط ابي الوفاء علي بن عقيل الحنبلي صاحب الفنون قال وجدت في تعاليق محقق من اهل العلم ان سبعة مات كل منهم وله ست وثلاثون سنة فعجبت من قصر اعمارهم مع بلوغ كل واحد منهم الغاية فيما كان فيه واسمي اليهم فمنهم الاسكندر ذو القرنين وابو مسلم صاحب الدولة العباسية وابن المقفع صاحب الخطابة والفصاحة وسيبويه صاحب التصانيف والمقدم في علم العربية وابو تمام الطائي ومابلغ في الشعر وعلومه وابراهيم النظام المتقدم في علم الكلام وابن الراوندي وما اسمي اليه من التوغل في المجاري فهؤلاء السبعة لم تجاوز احد منها سنا وثلاثين سنة بل اتفقوا على هذا القدر من العمر اسمي فلت فانظر الزركشي فانه لم يجاوز الاربعين فانه مات في ست وثلاثين فمضم اليهم وكذا شيخ الاسلام تقي الدين السبكي فانظر الى مؤلفاته التي زادت على اكثر من ثلاثين مابين مبسوط ومختصر مات عن خمسة وعشرين سنة فضم اليهم (وكان يحيى بن الحكم) بفتح الحاء المهملة وكاف مفتوحة بعدها وقيل انما هو الحكم بوزن الطالب كما ذكره الذهبي وقال انه من شعراء المائة الثانية توفي بعد مائة وخمسين ولست على ثقة منه وذكره ابن خلكان في تاريخه وقال انه من شعراء الاندلس وذكره في الذخيرة ايضا (الغزال) بفتح الغين وزاء مشددة وقيل انها معجمة عند الذهبي ايضا في كتاب المشتبه فعلى الاول هو وصف منسوب لصنعة الغزل وعلى الثاني هو علم منقول من اسم الحيوان وهو بكري قرطبي الدار كان في زمن هشام بن الحكم اول الذي ذكره ابن حيان في المقتبس تاريخ الاندلس انه يحيي بن الحكم البكري الجاني لقب بالغزال في صغره لحسنه وكان في المائة الثالثة حكيم الاندلس وشاعرها وله شعر في غاية الحسن وارتحل لمصر ثم عاد للاندلس

وعمر اى بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وارسل رسولا لبلاد الفرنج فاعجب ملكها فادمه وسألته امرأته عن سنه فقال عشرين سنه فقالت له فهذا الشيب فقال اما رأيت مهرا ولدا اشهب فضحكت والى هذا يشير بقوله فى قصيدة

قالت ارى فوديه قدنورا * دعابة توجب ان ادعبا

قلت لها ما بالله انه * قد ينتج المهر كذا اشهبا

قال وحكى انه اراد ان يعارض سورة الاخلاص فرفعت له حالة اوجبت توبته وهو ماذكره المصنف رحمه الله تعالى الآتى (بليغ الاندلس فى زمنه) اى معروف بالبلاغه وفصاحه النظم والنثر فى عصره والاندلس بفتح الهمزة وضم الدال وفتحها وضم اللام ليس الا وهى معربة لم يتكلم بها العرب قديما وانما عربها فى الاسلام قال ياقوت فى معجمه اشتهر على الالسنه انها بارمها الوقد وردت بدونها فى قول بعض العرب

سألت القوم عن انس فقالوا * باندلس واندلس بعيد

وهى بلامها الا نظير لها سواء قلنا فعلل او فعالل والظاهر ان الهمزة زائدة لان بعدها اربعة احرف ولو كانت عربية جاز ان تقال ورنها افعلل فان قلت قال سيبويه افعلل الشيخ المسن ولا يعرف ما فى اوله زيادة فى مثالنا جار على الفعل فالجواب هو الفرنج الحب وهى جهة بن ارض تحتوى على بلاد ولست جزيرة الا ان البحر محيط بها من ثلاث جهات فمن اكثرها عدا سموها بصيغة جزيرة (حكى) بالبناء للمجهول (انه رام شيئا من هذا) اى معارضة القرآن ونسج كلاما على منواله فى الفصاحة (فنظر فى سورة الاخلاص) التى هى اقصر سورة اى تدبر فى نظمها التى من عنده مثلها وسميت سورة الاخلاص لاشتمالها على مايجب اخلاص اعتقاده من التوحيد لذات الله وصفاته (ليحذو على مثالها) من حذوته بحاء مهملة ودال معجمة اذا قابلته بحذائه اى مقابلته وحذا النعل بالنعل اذا قطعها بمقدارها وقابلها فالمعنى ليقول مثلها وفى الحديث (لتركبن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل) اى تعملون مثل اعمالهم من غير زيادة ونقص فهو استعارة تمثيلية (وينسج بزعمه) بزاء معجمة مثلثه وهو الظن واكثر ما يستعمل فى الكذب فان الزعم مطية الكذب (على منوالها) هو عمى ماله والمنوال بكسر الميم خشبة ينسج عليها الثياب فهو استعارة تخييلية ومكنية بتشبيه الكلم والكلام بروده تنسج واثبات لها ماله من النسج والمنوال وهى عليه او بيعه وهو امر سهل (قال) اى ابن الحكم (فاعترى) اى عرض لى فى حال النظر (خشية) اى خوف وتعظيم له (ورقة) اى رقة قلب وخشوع او ضعف ولين (حمله) المات اذا الظاهر حمانى والحمل الالجاء والقسر (على التوبة) كما كتب فهمت بهوالدامه على ما عزم عليه (والانابة) اى الرجوع عنه وفى نسخة والاوبة وتركه لذلك لعلمه بانه امر لا تقدر عليه البشر (فصل ومن وجوه

(الاعجاز)

اعجازه المعدودة ﴾ اى الذى عده العلماء منها اشارة الى انه مسبوق بذكره (كونه آية) ومعجزة (باقية) فسره بقوله (لا تعدم مابقيت الدنيا) اى مدة بقائها الى قيام الساعة وما ورد فى حديث حذيفة من انه يأتى ليلة يرفع فيها القرآن لا يبقى فى الارض منه آية هو بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام وظهور يأجوج ومأجوج وهو فى حكم الساعة ووجود الدنيا حينئذ والعدم سواء وبقاؤه بقاء بلاوية محفوظا من النسخ والتبديل والتغيير وهذا فضل تميز به عن سائر الكتب الالهية فضلا عن غيرها وما قيل من ان عدهذا من وجوه الاعجاز لا وجه له فانه لا تعلق له بالنظم المعجز ساقط فان بقاءه كما ذكر من لوازم اعجازه بعدم مشابهته لكلام البشر حتى تؤتى بامثاله او يدخل فيه ماليس منه او نقول انه من جملة ما اخبر الله به عنه فهو من غيبه وهذا انسب بقوله (مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) والمراد بالذكر القرآن وضميره له لا له صلى الله تعالى عليه وسلم فانما يولى حفظه بعظمته وجلال ذاته ولم يكله لغيره كغيره المقول فيه بما استحفظوا من كتاب الله كما تقدم تأييد وتأييد حفظه لبقاء حافظه ورفعه بنعمة حفظه (وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية) فلا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات فباطله لا يكون قبله ولا بعده ما يكذبه او ينسخه (وسائر معجزات الانبياء) والرسل عليهم الصلوة والسلام اى فى غيره (انقضت) اى مضت وذهبت (بانقضاء اوقاتها) اى بعد عصرهم ومن وجودهم انعدمت (فلم يبق الا خبرها) اى الاخبار المأثورة عنها دون ذواتها وعينها كعصا موسى وناقة صالح وانفلاق البحر وغيرها مما هو مذكور فى السير كما قيل

وانما المرء حديث بعده ❊ فكن حديثا حسنا لمن وعى

(والقرآن العزيز) اى المنيع المحمى حماية من قاله (الباهرة آياته) اى الغالبة لغيرها والظاهرة وآياته بمعنى انواع معجزاته السابقة او كل آية متلوة منه فقوله (الظاهرة معجزاته) على الاول توسيع وتوكيد وعلى الثانى بيان وتأسيس باءه (على ما كان عليه اليوم) اى الى يومنا هذا فعبر عنه اليوم لامر منها الحضورى كهذا الآن والجار والمجرور خبر المبتدأ وهو القرآن والمراد باليوم عصر المؤلف كما اشار اليه بقوله (مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة) وروى سبع بدل خمس والصواب الاول لانه روى ان تأليفه للشفاء كان فى ايام قضائه فى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة قال التلمسانى هكذا نقله الفقيه عن ابى عبد الله بن مرزوق ولم اسمعه منه اسمى (لاول نزوله الى وقتنا هذا) اى من ابتداء الوحى ونزول القرآن على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الى وقت تأليف المصنف رحمه الله لهذا الكتاب فاللام بمعنى من نحو سمعت له صراخا اى منه كما ذكره النحاة وبدل

عليه مقابلته بالمثل (حجة قاهرة) المراد بالحجة نص القرآن اي هو حجة غالبة لمن كفر به او المراد مافيه من الحجج والادلة (ومعارضته ممتنعة) اي الاتيان بمثله لا يمكن ولم يقع (والاعصار كلها طائحة) الاعصار جمع عصر بفتح فسكون لاسم وسكون لان جمع الجمع غير قياسي وطائحة بطاء وحاء مهملتين بينهما الف وياء من طمح اذا فاض وتدفق (باهل البيان) متعلق بطائحة فان كان مجازا مرسلا بمعنى ممتلئة فظاهر وان كان استعارة تخييلية فعلى ان البيان مشبه بالماء على طريق الكناية والمعنى ببيان اهل الكتاب والمراد العارفون بايراد التراكيب البليغة على حسب مقاماتها (وحملة علم اللسان) حملة جمع حامل ككاتب وكتبة وهو الحافظ للسان بمعنى اللغة العربية (وائمة البلاغة) اي العلماء بعلم البلاغة من المعاني والبيان وقرض الشعر وغيره من العلوم الادبية (وفرسان الكلام) الذين لهم فطرة مجبولة على القدرة على التكلم بكلام بليغ نظما ونثرا وفيه استعارة مكنية وتخييلية اذ شبه الكلام بجواد فارس والمتكلم بحاذق رياضة والسبق به وانما قال (وجهابذة البراعة) اي اساتذة الفصاحة الفائقة في بابها جمع جهبذ بكسر الجيم والباء وبينهما هاء ساكنة وآخره ذال معجمة يقال رجل جهبذ اي عالم نحرير وهو لفظ معرب واصل معنى الجهبذ النقاد الخبير والسمسار الخبير فاستعير لما ذكر كذا قالوا والذي عندي في هذه التراكيب الخمسة ان المراد بها اهل اللسان العارفون به بجملته نقاده وظ... وقادة والعلماء بعلوم العربية واللامة فالمراد باهل البيان الفصحاء وبالحملة علماء اللغة وبالائمة البلغاء الخطباء من العرب العرباء وبالفرسان الشعراء واهل الانشاء المحدثين وبالجهابذة العلماء بقرض الشعر والانشاء المرفلا تكرار في كلامه وان كان في مقام خطابه يحمد فيه البسط والاسهاب ولذا كان هؤلاء فرقتان مهتد لا تكد طاعته في المراد وصده (والملحد فيهم كثير) الملحد اسم فاعل من الحد عن الحق اذا مال ومنه لحد القبر والالحاد كما قال الراغب ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب والاول ينافي الايمان ويبطله والثاني يوهن عراه ويحل عقده (والمعادي للشرع عتيد) اي مهيأ حاضر باذل جهده في عداوته واعتداء عارفا بهم بارفان امطا ومعنى اي مع كثرة من يريد المعارضة (فما منهم من اتى بشيء) من الكلام (يؤثر) اي يحفظ وينقل (في معارضته) والاتيان بما يماثله (ولا الف كلمتين في معناه) الى اقصه الكلم بمخالفته وبطلانه ونقائص جرير كما قدم وهي المناقضة والمحاورة (ولا قدر فيه على مطعن صحيح) اي لم يطعنه ولم يعترض عليه باعتراض يسمع منه وقد نقل ذلك بعض الزنادقة فافتضح وصار حجره كالتين في مطاعن القرآن التي ذكرها السابق (ولا قدح) القدح ذكر المعايب يقال قدح في نسبه وعرضه اذا ذمه وقدح الزناد ضربه لاخراج النار والمراد الاول

لكن فيه تورية بالثاني لقوله (المتكلف من ذهنه في ذلك الا زند شحيح) والمتكلف هو الذي يعمل مالا يحسنه بكلفة منه والذهن قوة الفكر وذلك اشارة الى القدح والطعن والشحيح البخيل استعارة للزند الذي لا تخرج منه شرر منيرة اي لم يفده قدحه شيئا غير الخيبة يقال زند شحيح اذا كان لا يوري ولله در المصنف رحمه الله تعالى ما الطف صنعه ومن لم يذق حلاوة كلامه قال لو قال ولا اضرب المتكلف بسيف ذهنه الا زند وهو جريح وحسن استعارته كون الذهن يوصف بالوقد والاشتعال كما قيل

ويكاد يحرقه توقد ذهنه * لولا مياه الجود فيه والندا

لكن لا يعدم الحسناء ذاما فالتابع السكوت في محله (بل المأثور) والمنقول (عن كل من رام ذلك) اي قصد الطعن فيه بذكر ما يؤدي ركوبه حمقه (القاؤه في البحر بيديه) الالقاء بالقاف بمعنى الرمي ومفعوله محذوف اي القاؤه نفسه ورميها في مهالك البحر ومهاويه فشبه البحر بشر ونحوه مما يهلك الواقع فيه وبيديه متعلق به اي هو الرامي والطارح لنفسه وقيل معناه القى نفسه لهما في البحر والرومه له حمله طرفاه وهو معنى ركيك وقول التلمساني انه الغاؤه بالغين المعجمة من لغو الكلام الذي يحسن السكوت عنه لا علمه (والنكوص على عقبيه) اي المأثور الرجوع عما قاله بالاعتراف بعجزه يقال نكص على عقبيه وهما مؤخر الرجل اذا رجع القهقرى وقال الراغب النكوص الاحجام عن الشيء وفي القاموس نكص على عقبيه رجع عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في اطلاقه وقيل عليه ان قلت معارضة القرآن شر فكيف يكون الرجوع عنها نكوصا على العقبين قلت هو مبني على زعمه او هو تهكم به كما اطلق على رجوع الشيطان يوم بدر عن اعانة قريش على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (فلما راءت الفئتان نكص على عقبيه) على ان الاصح جواز اطلاقه على خلافه نادرا اقول هذا استعارة من رجوع القهقرى لانه بمعنى الرجوع على العقبين حقيقة فيتجوز به عن العود الى حاله الاول مطلقا شرا كان او خيرا فالحق ما قاله الجوهري ❊ فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة ❊ ضبطه شيخ الاسلام بفتح اللام مقلد لمناسب ما قبله وقيل انه بكسرها والمراد بالاول المجتهدين ولك ان تقول انه اشارة الى ضعف اقوالهم (في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله) اي لا يسأم طبعه من كثرة قراءته ولو اعاده مرارا كثيرة مع ان الطباع جبلت على معاداة المعادات (وسامعه لا يمجه) اي لا يكره تكراره على مسامعه يقال مج الشراب ونحوه اذا رماه من فيه فالمج حقيقة طرح المائع من الفم فان كان غير مائع يقال لفظه فاقيم الاذن مقام الفم واللفظ مقام المج لرقته ولطفه وهي استعارة لطيفة كما قال المعري فيما قدم

ونغر المعاد يحسن نقصه * للورد حد بالانوف قليل

فاستعير لبركته استعارة تبعية اومكنية وتخييلية فكأنه كالنفس الذى تكرره لايمل منه لانه مادة الحيوة كما قال المعرى * ردى حديثك ما امللت مستمعا * ومن يمل من الانفاس ترديدا * وعنه مجه بضم ميم المضارع كأنه يقتله فهو من باب قتل (بل الاكباب على تلاوته) اى ملازمة قراءته وتكراره فهو مجاز من الاكباب وهو الوقوع على الوجه كما قال (افمن يمشى مكبا على وجهه) وفى اختياره على الوقوع اشارة الى توجيهه اليه قال لبيد * سوح الهالكى على يديه * مكبا يجتلى نقب النصال * (يزيده حلاوة) اى يزداد قراءته يزيده حلاوة فيه يرق من عدم الملال الى زيادة حلاوته واصابه المحر لان مانحن نكون مرا اومالحا يكرهه الطعم وهو كقول الشاطبى رحمه الله تعالى * وخير جليس لايمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا * (وترديده) اى اعادته وتكريره (يوجب له محبة) لزيادة حلاوته وحسنه (لايزال) كلما كرر (غضا) اى جديدا وهو مجاز من غض الصوت والطرف قال حارثة شابت ... انا غضا (طريا) اى رطبا ناعما فلا تتغير بهجته وبهارته قال الشاطبى رحمه الله تعالى

واخلق به اذ ليس يخلق جدة * جديدا مواليه على الجد مقبلا

وكأنه فى كل مرة فرس تعهد بالنزول (وغيره من الكلام ولو بلغ من الحسن والبلاغة مبلغه) اى لو فرض ان بعض كلام البشر وصل الى رتبة فى البلاغة (يمل) بالبناء للمجهول اى يمل قارئه وسامعه (مع الترديد) اى مع الكرر مرارا (ويعادى اذا اعيد) اى يكره ويمل وينفر منه النفس كأنه مرمى تعاديها وهذا على فرض المحال والا فقد تقدم انه لايوجد مثله ولاما يقرب منه * وابن الثريا من يدالمتناول * (وكتابنا) معاشر الامة المحمدية النازل الينا بواسطة نبينا صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (يستلذ به فى الخلوات) اى تجد قارئه لذة اذا اختلى بقراءته وخص الخلوة لانها محل اجتماع الحواس والهمة ان القلوب بذكر الله تعالى فهو فيها اعظم لذة وان كان له لذة ايضا بقراءته بين الناس ايضا (ويؤنس (٢)) بالبناء للمجهول اى يجد به انسا يدفع وحشته (فى الازمات) جمع ازمة وهى الشدة كما فى حديث * اشتدى ازمة تنفرجى * ولام خلوات وزاى ازمات ساكنان فى المفرد والجمع لانه اذا جمع على فعلات يسكن فى الاسماء وشرك فى الصفات كما بين فى الاسرين والضمير فى كتابنا لجماعة المؤمنين لالله تعالى لانه لايناسب المقام قيل ولو قال كتاب الله يستأنس به فى الخلوات ويستعان به على الازمات كان احسن وماقصده المصنف اعلى مما قاله لان الخلوة انسب بالانس وفيه ايضا لان المرء ان الخلوة من ... ولذة الانس مكسوفة * يسعى بها كل عدو وحسود * والشدائد لاتجد فيها ربما يعين عليه وتدفع كربها والتالى ما له الرساء واكل وجهه (وسواه من الكتب) سوى اذا صح

(٢) سلاوته سعه

اوله اوكسر قصر واذا فتح مد والرواية على القصر وهو بمعنى غير لكنه نص مصر فى الاول بغير وفى هذا بسوى والظاهر ان المراد بالكتب الكتب المنزلة كالزبور (لا يوجد فيها ذلك) اى اللذة والانس المذكورين (حتى احدث اصحابها) اى اخترعوا والفوا والمراد باصحابها من يقرؤها (لها لحونا) اى للكتب التى يدرسونها واللحون جمع لحن واحد الالحان الاغانى والنغمات التى يرتبها الاصوات ويوزن بضروب الموسيقى على مقاماتها وشعبها مما هو معروف عندهم يقال لحن فى قراءته اذا طرب والحن معان منها هذا والايماء والرمز وان اشتهر فى خطأ الاعراب والمراد به هنا ترجيع الاصوات للطرب والغناء بحسب القراءة والشعر وفى الحديث (اقرؤا القرآن بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكتابين) يعنى اليهود والنصارى يقرؤن كتبهم بنحو من ذلك وهكذا يفعل اهل مصر قراءتهم فى مجامع الناس المعروفة بالجوق وهى مما حرمه الفقهاء وشددوا النكير على فاعله وهو لا ينافى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ليس منا من لم يتغن بالقرآن على احد المعنيين) فان المراد به الحان العرب المذكورة من غير تمطيط وتغيير كما فصل فى ادب القارئ (وطرقا) جمع طريق وهى ما يجرى على قانون الموسيقى وضروبها الموروثة (يستخفون) اى يطلبون وجودها وتحبا وبها لهم ولمن يستمعهم (بتلك اللحون) والنغمات (نشيطهم) اى وجود نشاطهم وطربهم (على قراءتها) اى على تطويل قراءتها وزيادتها اوعلى ان تقرأها غيرهم كقراءتهم ان اريد باللحون نغمى القارئ نفسه ويحتمل ان يريد بما احدثوه ما يكون مع القارى من آلات الطرب كالمزامير وما يسمى ارغنون من اوتار كثيرة تضرب مع القراءة وتأتلف بعضها ببعض حتى كان القارئ على نغماته على قرين الآية * يمشى على عوده اتمامه * وتراه يترك ادبه ان قصرا * (ولهذا) اى لما اختص به القرآن من عدم ملل قارئه وسامعه (وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن) فى حديث رواه الترمذى عن على كرم الله وجهه بدون قوله الآتى هو الذى لم ينته الجن الخ (بانه لا يخلق) بفتح الياء وضم اللام اى لا يبلى ولا يتغير حاله بمرور الزمان ويجوز فتحهما وضم اوله وكسر ثالثه من اخلق بمعنى خلق لانه ورد متعديا ولازما ملازمه مثله بمعنى واحد (على كثرة الرد) بمعنى مع والرد كالترديد بمعنى كثرة التكرار فى قراءته ورده ورددة بمعنى كرره وكثرة التكرار فى العادة تؤثر وتنفى ما كرر كالثوب اذا تكرر لبسه كما قيل

اما ترى الحلى بتكراره * فى الصخرة الصماء قد اثرا

وفيه استعارة مكنية وتخييلية اذ شبهها برد روى بالمس ليتحمل به والمراد به اما الملل

منه فهو بمعنى ماتقدم من ان قارئه لاءله وكل مكرر يمل ولاتمير بخرسب ونسخ ولاينسي وقد ورد ان بعضهم كرر آية واحدة طول ليله (ولاتنقضي عبره) بكسر العين المهملة وفتح الباء الموحدة جمع عبرة بسكونها والمراد بها عجائبه اومواعظه التي يعمل بها ويعتبر وهو عبارة عن كثرتها وقالها والثاني اولى لئلا يتكرر مع قوله (ولاتفنى عجائبه) اى اكثرها لاتعد وتفنى جمع عجيبة وهي مايتعجب منه فكلما اعدت النظر فيها ظهر لك ماهو اغرب واعجب مما عرفته اولا (هو الفصل) اى الحد الفاصل بين الحق والباطل قال كلام فصل اى حق بين محكم او المفصول المتميز عن غيره فهو فعل بمعنى فاعل او مفعول (ليس بالهزل) كما قال تعالى (وماهو بالهزل) اى ليس فيه لعب ولا كلام سخف وهو في الاصل من الهزال ضد السمن فهو كله سمين لاغث فيه لما فيه من الاوامر والنواهي التي ينتفع بها سامعها (لاتشبع منه العلماء) اى لاتستغني عنه ولاتزال تستنبط منه معاني وفوائد في كل حين وفي الحديث (منهومان لايشبعان طالب علم وطالب دنيا) فشبهه بمأكول به قوام حياته الا ان كل مأكول تشبع آكله اذا امتلأ منه جوفه وهذا مخالف لذلك ففيه استعارة مكنية اومكنية وتخييلية فوائده فوائده ممدودة والوان لذائذه غير مقطوعة ولا ممنوعة (ولا تزيغ به الاهواء) بفتح المثناة الفوقية وزاي وغين معجمتين بينهما تحتية ساكنة من زاغ اذامال وعدل عن سمته والاهواء بالمد جمع هوى وهو ما تهواه وتشتهيه الانفس من الضلال اى لاتضل من اتبعه ويميل الى هوى نفسه الامارة (ولاتلتبس به الالسنة) جمع لسان وهو الجارحة المعروفة شاع في الكلام واللغات فالمعنى انه لاتشبه غيره من الكلام فلا يمكن اختلاطه به وادخاله فيه لان اسلوبه ونظمه لاتشبه غيره فالمراد انه لايمكن ان يدس فيه دسيسة وقيل المعنى انه لاتعسر قراءته على المؤمنين وهو بعيد لانه اومال من اللبس وهو الاشتباه وقوله (هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا) اصل معنى انتهى بلغ النهاية وهي آخر الشيء وغايته ويكون بمعنى كف وترك وهذا هو المراد هنا اى لم تكف الجن عن هذه المقالة ومن لم يترك شيئا نادر انه واول غايته ولذا قيل معناه لم يلبثوا وان مصدرية بفتح الهمزة ومحله نصب اوجر بتقدير عن وماقيل انه في معنى العلة اى لم ينتهوا عن القول من اجل قولهم لقومهم اذارجعوا اليهم فيه خلط وخبط (انا سمعنا قرآنا عجبا) اى عجيبا في بلاغته وعلو رتبته وبركته وعزته (يهدي الى الرشد) اى يدل على الصواب من الايمان والتوحيد وهو سبب لفرسين ادركوا سببين مع معرفتهم بالفصاحة لم تفهموه وهؤلاء الجن تجرد سماعهم من غير توقف آمنوا به وقال البرهان كانوا تسعة ساطر وماصر ومنسي وماسي والاحقب وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد

فى مناقب عمر بن عبد العزيز قال بينما هو يمشى بفلاة اذا هو بحية ميتة فكفنها بفضل ردائه ودفنها فاذا قائل يقول ياسرق اشهد بالله لقد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (ستموت بارض فلاة وبدفنك رجل صالح) فقال عمر رضى الله عنه من انت رحمك الله قال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا سرق قدمات وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه كان فى نفر من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار عظيم ثم انقشع فاذا حية قتيل فعمد رجل منا الى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امرأتان تسألان ايكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ماندرى من عمرو فقالتا ان كنتم ابتغيتم الاجر فقد وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع مؤمنيهم فقتل عمرو وهو الحية التى رأيتموها وهو ممن استمع القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الذهبى الذى دفنه بالعرج صفوان بن المعطل وهو من الصحابة وسماه عمرو بن طارق ومن لقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا منهم عد من الصحابة والاعتراض بانه ينبغى ان يعد منهم الملائكة ايضا كجبريل وميكائيل ورده الذهبى بانه ارسل اليهم ولم يرسل للملائكة وبيانه يحتاج لتفصيل ليس هذا محله ومشى شيخنا الرملى على مقتضى كلام الذهبى تبعا لوالده والمعتمد خلافه وارساله صلى الله تعالى عليه وسلم عام لكل الخلق حتى الملائكة وهؤلاء من جن نصيبين بلدة بالجزيرة لا باليمن كما قيل والكلام على الجن مبسوط فى كتاب لقط المرجان فى احكام الجان وسيأتى بيانه فى الكلام على نطق السحر (ومنها) اى من وجوه اعجازه التى ذكرها بعضهم (جمعه لعلوم ومعارف) اى علوم كائنة كانت فى الامم السالفة كعلم النجوم ودقائقه وعلم الطب كما فى قوله (لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر وقوله (وكلوا واشربوا ولاتسرفوا) والمعارف الجزئية كالاخبار عن قصة يوسف عليه الصلوة والسلام وغيرها مما لايعرفه الا من شاهدها ومن ثلث ما قيل ان قوله تعالى (الى ظل ذى ثلاث شعب) انه اشارة الى شكل المثلث وبعض احكامه المذكورة فى الهندسة وفيه اشارة الى انه لايفهم تفسيره الا من اطلع من جميع العلوم (لم تعهد العرب) بالبناء للمفعول اى لم تعرف فى عهدها وزمانها (عامة) اى جميع العرب وعامة منصوب على الحال لافادة العموم بل كافة وطرا (ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته) بنزول الوحى بها عليه (خاصة) اى لم يعرفه له صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه علم بها قبل البعثة اما بعدها فقد اطلعه الله تعالى على علوم الاولين والآخرين (عرفها) بمعنى شهدها والضمير للعلوم والمعارف

(ولا الفهام بها) ومداومة بقاعه (ولا يحيط بها احد من علماء الامم) اى لم يحط علم احد من علماء السلف كالحكماء والاحبار من اهل الكتاب بشئ منها (ولا اشتمل عليها كتاب من كتبهم) اى لم يدون فيه حتى يقال انه احد علمه منها وفسر ماذكره بقوله (فجمع فيه من بيان علم الشرائع) جمع مبنى للمجهول اى جمع الله تعالى فى كلامه ماذكر والشرائع جمع شريعة وهى والملة والدين بمعنى محمد الصادق المنار المفهوم وهى وضع الهى سائق الى مافيه الخير فى الدارين فمولى من اسرار به وهى موردة الماء اذا الطريق الواسع كالشارع (والتنبيه على طرق الحجج العقليات) فى تنبيه الناس وارشادهم الى نصب الادلة العقلية وكيفية الزام الخصم بها كما فى قصة ابراهيم عليه الصلوة والسلام ونظره للكواكب لاقامة الحجة على وجود الصانع وكما فى قوله (لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وغيره مما لايحصى كما أتى بيانه (والرد على فرق الامم) الضالة من عبدة الكواكب وغيرهم (ببراهين قوية) فيه كيفية الالزام جارية على قانون المناظرة والجدل وآداب البحث (وادلة بينة) ظاهرة (سهلة الالفاظ) مفهمها كل من سمعها * تكاد من عذوبة الالفاظ * تشربها مسامع الحفاظ * كأس (موجزة المقاصد) فالالفاظها الدالة على معانيها المفهمة الكثيرة فيها من الاختصار حل ولا اشارة معانيه (رام المتحذلق بعد) بالبناء على الضم اى بعد الوقوف عليها والمتحذلق اسم الفاعل بحاء مهملة ودال معجمة ولام وقاف وهو مدعى الحذق وهو سرعة الفهم اى قصد مدعي الحذق فى العلم وافادة الا اهمى يقال حذاق اذا اظهر الحذق وادعى اكثر مما عنده تحذلق فهو ماخوذ من الحذق ولامه زائدة (ان ينصبوا امثالها) نصب الدليل وافادة ذكره فى مقام المحاجة (فلم يقدروا عليها) اى لم يكن لهم قدرة على الاتيان بمثل ادلته وبراهينه (كقوله اوليس الذى خلق السموات والارض) رد على منكرى البعث والمعاد الخ عاى اى من قدر على اختراع مثل هذه الاجرام العظيمة من العدم (بقادر على ان يخلق مثلهم بلى) اى مثل هذه الاجسام الحقيرة الصغيرة بعد فنائها وهو اهون عليه كما قال تعالى (لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس) فهذه حجة ظاهرة (و) قوله (قل يحييها الذى انشأها اول مرة) اى من اوجدها من عدم محض قادر على اعادتها واحيائها بطريق الاولى وفى هذا ايضا حجة باهرة (و) فيها قوله (لوكان فيهما) اى فى السماء والارض (آلهة الا الله لفسدتا) فلو تعددت الآلهة وفسد نظام العالم وبطل وفيها برهان قوى جلى واليس اقناعيا كما فى شرح العقائد ويسمى برهان التمانع وفى بيانه واعتراضاته كلام مفصل لايسعه هذا المقام وقد افرده بالتأليف جماعة المحققين منهم الدين الالارى مختلف من الفلاسفة ما احاط

سبق المقلد فإن أكمل مقام مقالا (الى ما حواه) اى مضموما ما ذكر من البراهين الى ما اشتمل القرآن عليه (من علوم السير) جمع سيرة وهى الطريقة والاخلاق الحميدة وتخص فى العرف بالغزوات واخبار الجهاد ولكل وجهة هنا (وانباء الامم) اى اخبار من مضى منهم (والمواعظ والحكم) اى امور الترغيب والترهيب وجوامع الكلم الحكمية المرشدة لتكميل النفوس بالملكات الفاضلة (واخبار الدار الآخرة) من الجنة والنار والحشر واهوال الموقف وغير ذلك (ومحاسن الآداب) جمع ادب وهو الاوصاف المحمودة التى تشرف صاحبها (والشيم) بشين معجمة ومثناة تحتية ويطلق ايضا بزنة عنب جمع شيمة وهى الطبيعة واهل مصر تستعملها بمعنى دارات الماء كقول الفراطى رحمه الله تعالى

لك يا نيل مصرنا * كرم اخجل الديم
انت فينا حقيقة * طاهر الوصف والشيم

وهى لغة عامية لا اصل لها (قال الله جل اسمه ما فرطنا فى الكتاب من شئ) اى لم نترك شيئا يحتاج اليه الا بيناه فى القرآن بناء على ان المراد بالكتاب القرآن لا اللوح المحفوظ كما قيل والتفريط الترك المخل ضد الافراط وهو يتعدى بفى من غير تضمين معنى اغفلنا كما توهم والمعنى انه مشتمل على جميع ما يحتاج اليه اجمالا تصريحا وتلويحا كما بينه المفسرون ومن زائدة بعد النفى فى المفعول الذى يتعدى اليه بتضمين ترك ونحوه ثم اردفه بآية تؤيد ان المراد بالكتاب القرآن فقال (ونزلنا عليك) يا محمد (الكتاب تبيانا لكل شئ) اى بيانا لكل شئ يحتاج اليه وهو بكسر التاء مصدر على خلاف القياس بمعنى بين ولا ثانى له غير تلقاء على كلام فيه (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) ضرب المثل معلوم اى آيات لكل امر مهم يحتاج الى توجيه لما فى ضرب الامثال من الفوائد المهمة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الترمذى عن على رضى الله تعالى عنه تقدم بعضه واورد هنا بعضه مع زيادة فيه (ان الله انزل القرآن) من اللوح المحفوظ منجما بحسب المصالح وانزل ونزل يستعمل كل منهما بمعنى الآخر فاذا جمع بينهما او قامت قرينة ان يراد بالانزال الدفعى وبالتنزيل التدريجى كما فصلوه (آمرا) بالمد حال من الفاعل او المفعول على الاسناد المجازى (وزاجرا) اى مانعا وكافا او ناهيا والزجر الطرد بصوت ثم يستعمل تارة فى الطرد واخرى فى الصوت كما قاله الراغب (وسنة خالية) اى طريقة مضت فيمن كان قبلكم من الامم من خلا بمعنى ذهب ومضى ويكون بمعنى فرغ (ومثلا مضروبا) جعله عين المثل مبالغة لكثرة اشتماله على الامثال كغيره من الكتب الالهية وهى مقررة لمعناه لانها تنزل المعقول منزلة المحسوس قال البيضاوى ولامر ما اكثر الله والانبياء والحكماء فى كلامهم من الامثال وقوله (وفيه نبأكم) بالرفع كالمعطوف عليه ان كان نائب فاعل مضروبا فهو بتقدير مضاف

اى مثل سائكم وان كان مبتدأ فله خبر مقدم والجملة حالية وتغيير الاسلوب يحتاج لنكتة فكأنها الاشارة الى انها حال اخرى غير مختصة بالقرآن كالتى قبلها والنبأ الخبر عن امر عظيم والخطاب للامة وقيل للصحابة رضوان الله تعالى عليهم (وخبر ما كان قبلكم) عبر بالخبر تفننا واشارة لشرف هذه الامة وما شامل لمن يعقل تغليبا للاكثر او لصفات من يعقل كقوله تعالى (وما ملكت ايمانكم) (ونبأ ما بعدكم) اى ما بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وصحابه رضى الله تعالى عنهم او لما يقع بعدهم من الفتن واشراط الساعة وغير ذلك الى يوم القيامة (وحكم ما بينكم) اى بيان للاحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هذه الامة المحمدية وهو بضم الحاء المهملة وسكون الكاف (لا تخلقه طول الرد) تقدم معناه وانه بضم اوله وفتحه من الثلاثى والمزيد اى لا تبليه وتفنيه تكرار تلاوته (ولا تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل) تقدم تفسيره (من قال به صدق) اى من اخبر بما فيه وحكم به فقد اتى بامر صادق لا ريب فيه وفى القاموس قال به غلب وبه سبحان من تعطف بالعز وقال به وهذا لا يناسب قوله صدق (ومن حكم به عدل) اى قضى بما فيه من الاحكام فهو عادل فانه حكم الله وما ربك بظلام للعبيد (ومن خاصم به) اى خاصم بحججه وادلة مأخوذة منه (فلج) اى غلب وفاز بالنصر على من خاصمه وهو بفتح الفاء واللام وبضم يقال فلج اذا فاز وظفر بالغلبة (ومن قسم به قسط) بفتح القاف والسين المهملة اى من تولى قسمة امر يستحقها غيره كما بين الله كقسمة المواريث والغنائم وغيرها عدل يقال قسط اذا جار واقسط بالهمزة اذا عدل فهو مقسط فالهمزة للسلب كاشكيته اذا ازلت شكايته وهو مأخوذ من القسط وهو الميزان كالقسطاس وفى الحديث (ان الله يخفض القسط ويرفعه) وهو عدل ويقال قسط اذا عدل ايضا فهو من الاضداد (ومن عمل به اجر) بالبناء للمفعول اى نال الاجر والثواب الجزيل (ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم) هو كقوله تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) ففيه استعارة مكنية وتخييلية هنا تنزيل المعقول منزلة المحسوس لايصاله لمن اهتدى به الى الطريق الحق وهو الصراط المستقيم الذى لا عوج فيه ولا ضلالة (ومن طلب الهدى من غيره) ككتب واقوال غيره (اضله الله) اى جعله ضالا لعدوله عن الطريق الحق (ومن حكم بـ) حكم (غيره قصمه الله) اى اهلكه واهانه هلاكا شديدا واصل معنى القصم القطع بابانة والانفصال فاستعير لما ذكر ويجوز فى هذه الجملة ان تكون خبرية ودعائية انشائية (هو الذكر الحكيم) الذى يعنى القرآن والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها او سمى باسم قائله اى الحكيم قائله فعيل بمعنى فاعل اى الذى يحكم الاشياء ويتقنها او الحاكم لهم وعليهم او المحكم الذى لا اختلاف فيه (والنور المبين) الواضح البين الذى يهتدى

بانواره العقول الى الخروج من ظلمة الجهل والضلالة (والصراط المستقيم) اى الموصل الى السعادة الابدية فصل الناس به ومنه الى المقصد الاسنى كما تصل من الطريق الى ما تريد من الدار ومنازلها (وحبل الله المتين) اى عهده وامانه الذى تؤمن العذاب وكل ما تكره وتشق على النفس ويتوصل به الى ما تحبه ويوصله لمطالبه والمتين بمعنى القوى المحكم فقال متن اذا صلب (والشفاء النافع) اما ان يراد بالشفاء ظاهره لانه يسترقى به فيشفى من بعض الامراض او يراد به مطلق النفع على طريق المجاز كالمسه مر اوعلى طريقة الاستعارة بان يشبه الجهل بالداء ويجعل ما يزيله كالدواء والعلاج النافع الذى لا سقم بعده لنفعه فى الدنيا والآخرة (عصمة لمن تمسك به) بكسر العين وسكون الصاد المهملتين فعلة من العصم وهو الامساك والاعتصام التمسك ويجوز ضم عينه ايضا والاكثر الافصح الكسر وتجئ العصمة بمعنى السوار ومنه المعصم لانه محلها والمراد انه حام ومانع لمن اسعه وعمل به عن ارتكاب الفاحشة والزلل (ونجاة لمن اتبعه) اى فتح له ومخلص مما يخشاه (لا يعوج) بفتح اوله وتشديد جيمه ورفعه اى ليس فيه خلل لفظا ولا معنى كما قال تعالى (ولم يجعل له عوجا) والعوج بفتحتين الميل والانعطاف المدرك بالبصر وبكسر اوله ما يدرك بالبصيرة (فيقوم) بالنصب فى جواب النفى اى لا يحتاج الى تقويم يزيل عوجه فليس كسائر الكلام المحتاج للاصلاح (ولا يزيغ) بمعجمتين بوزن يصير اى لا يميل عن الحق والصواب (فيستعتب) بالنصب اى لا يستحق العتاب واللوم لعدم خروجه عن الاستقامة والعتب مخاطبة ادلال وموجدة ففيه استعارة مكنية وتخييلية وفى رواية الترمذى ولا يزيغ به الاهواء اى تميله (ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد) بعدم سامه (ونحوه) اى نحو هذا الحديث المروى عن على كرم الله وجهه ما رواه الحاكم (عن ابن مسعود وقال) اى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (فيه ولا يختلف) اى لا يقع فيما يخالف بعضه بعضا مع طوله وبعد عهده ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (ولا يتشان) بفتح الياء التحتية والتاء الفوقية والشين المعجمة والف بعدها نون مشددة تفاعل من الشن وهى القربة البالية فهو مستعار للبلاد والفناء بمعنى قوله فى الرواية الاخرى لا يخلق على كثرة الرد وفى رواية لا يسمه ولا يتشان والامه الحجارة وشئ فيه حجر كذا هو فى اكثر الروايات وصححوه وفى نسخة ولا يتساناً بياء تحتيه مفتوحة اومضمومة وتاء فوقية مفتوحة وشين معجمة والف بعدها نون وهمزة من الشنئ وهو البغض والعداوة فاستعير لذلك الكلمات وعدم تناسبها حتى كان بينها عداوة اولتخالف معانيه فهو كقوله ولا يختلف معنى وهو معنى ظاهر مكشوف فتأمل الصواب هو الاول ان ارادوا التحسين

الرواية فسلم وان ارادوا بحسب الدراية فلا وجه له (فيه نبأ الاولين والآخرين)
تقدم بيانه عاسمي عن اعادته (وفي الحديث) الذي رواه ابن الضريس في فضائل القرآن
عن كعب الاحبار انه قال في التورية انزلت على محمد فذكره واخرج ابن ابي شيبة
في المصنف عن مغيث بن سمي مرسلا انزلت على توريه الخ (قال الله عز وجل
لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انى منزل عليك تورية) اى كتابا سماويا شبهها
بالتورية لكثرة ما اشتمل عليه من الاحكام والمواعظ والوعد والوعيد والامثال والحكم
والعقائد اليقينية فاطلاق التورية عليه استعارة تصريحية او مجازا مرسلا او
حقيقة ان قلنا انه عبراني معناه كتاب وانما عبر به لشهرته وعظم شانه فانه اجل
كتاب نزل قبل القرآن ولشهرته بين اليهود من اهل الكتاب الذين هم اقرب اليه
وهو حديث قدسي نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الوحي او في ابتداء امره
(حديثة) اى قريبة عهد بالنزول وهو كقوله (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فلا)
دليل فيه لمن يقول بحدوث القرآن ولما كان كلام الله تعالى سمى نورا وسماء قال
(تفتح بها اعينا عميا) اى ترشد بها من كان في ضلالة كالاعمى لعدم اهتدائه للحق
(و آذانا صما) اى وتسمع بها آذانا لا تسمع الحق فقبله (وقلوبا غلفا) لا تصل
اليها ما يهديها الى السعادة كأنها في غلاف وغشاء مانع عن وصول الحق اليها
وعن الفهم وقد تقدم بيانه فسمى ازالة المانع مطابقا فتحا او هو من قبل قوله
متقلدا سيفا ورمحا (فيها) اى في التورية يعنى القرآن (ينابيع العلم) جمع ينبوع
وهى العين التى ينبع منها الماء الجارى فشبه العلم النافع بالماء الذى تحيى به النفوس
على طريق الاستعارة المكنية واثبت له الينبوع على طريق التخييل (وفهم الحكمة)
اى ما يفهم الحكم وهى المواعظ وكل كلام محكم امع حمل الفهم كأنه فيها ما الغه
لكونها منبعه ومعدنه (وربيع القلوب) الربيع يكون بمعنى الخصب والمطر اى
فيها ما تحيى به القلوب وتنموا وتخصب وتفرح وتنشرح وتسر وتفرح ففيه
استعارة لطيفة (وعن كعب) ابن مانع المعروف بكعب الاحبار كما تقدم (عليكم
بالقرآن) اسم فعل بمعنى الزموا وتمسكوا يقال عليك كذا وبكذا فالمراد الزموا تلاوته
وتدبر معانيه (فانه فهم العقول) اى مفهم للعقول ما يخفى عليها فهو مصدر بمعنى
اسم فاعل مبالغة لابمعنى مفعول كالنسخ بمعنى منسوخ فانه زكاك كما زعمه الله قوله
بعده هذا بيان للناس (ونور الحكمة) اى منورها اوهو كالعين الماء اى فيه حكم
تشرق نورها وتسلا لأ وضوحا وتهتدى بها (وقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص
على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون) يعنى انه بين فيه لاهل الكتاب
ما اشتبه عليهم واختلفوا فيه مما لم يعرفوه من كتابهم ففيه اشارة الى ان القرآن اجمع

(للاحكام)

للاحكام من غيره من الكتب المنزلة قبله واوضح (وقال) تعالى (هذا بيان للناس وهدى الآية) اى لجميع الناس (من اهل الكتاب) وغيرهم وموعظة للمتقين والاتيان بما يؤيد ماقاله كثير ثم وضح ماقاله وفسره بقوله (لجمع فيه) اى فى القرآن (مع وجازة الفاظه) اى اختصارها وقلة الفاظه مع كثرة معانيه (وجوامع كلمه) معنى جوامع الكلم انها الكلام الجامع للمعانى الجمة فى الفاظ قليلة واضحة وتطلق على القرآن كما فى حديث اوتيت جوامع الكلم (اضعاف مافى الكتب قبله) معمول جمع اى جمع مايزيد على سائر الكتب مثله اومثليه (التى الفاظها على الضعف منه مرات) اى مع زيادة الفاظها عليه بامثاله جمع من المعانى مايزيد على امثاله معانيه وضعف الشئ يكون بمعنى مثله وامثاله والضعف الزيادة مطلقا وفيه كلام لاهل اللغة ليس هذا محله (ومنها) اى من وجوه الاعجاز التى ذكروها (جمعه فيه) اى جمع الله فى القرآن (بين الدليل والمدلول) الدليل هو الدال المرشد اى مايمكن التوصل بالنظر فيه الى مطلوب خبرى والمدلول هو المطلوب بالدليل هنا وان كان بمعنى المعنى مطلقا ثم بين معنى الجمع المذكور بقوله (وذلك) اى الجمع بينهما (انه احتج) بالبناء للمجهول فهو بضم اوله وبالنيه اى ان الله اقام فيه الحجة على ما اراد اثباته والالزام به لمن احتج عليه الحجة (بنظم القرآن) اى بنظامه البديع المعجز (وحسن رصفه) براء وصاد مهملتين وفاء لابواو كما فى بعض النسخ وهو من رصف البناء وهو وضع بعضه الى بعض فالمراد حسن نظمه وتآلفه كما تؤلف البناء شيئا بعد شئ حتى يتم ويكمل فى غاية الاحكام وضمير انه لله او للقرآن (وايجازه وبلاغته) وفى نسخة ايجازه اى كونه فى اعلى طبقات البلاغة المعجزة لكل بليغ (واثناء هذه البلاغة) بالنصب على الظرفية خبر مقدم اى فى خلالها واثناء بالمد على وزن افعال جمع ثنا بالضم والقصر وهو ما انثنى ودخل بعضه فى بعض كما اشار اليه ابن هشام اللخمى فى شرح الدريدية كامر وهذا هو الدليل السابق ذكره ثم ذكر المدلول فقال (امره ونهيه ووعده ووعيده) وغير ذلك من المقاصد العظيمة التى ارادها الله تعالى (فالتالى له) اى القارئ فهم وتدبر لمعانيه (يفهم موضع الحجة والتكليف) بالجر والنصب (من كلام واحد وسورة منفردة) عن غيرها مما هو حجة او محتج عليه يعنى ان كل مقدار معجز منه دال على مقصد من مقاصده يكون دالا على مطلوب ومدعى وعبارته الدالة عليه برهان مقبوله لاعجازها وقيل المعنى انه وقع فيه الجمع المذكور كما فى قوله فى سورة الواقعة لما حكى كلام منكرى المعاد وهو ائذا متنا الخ عقبه بما قطع عرق شبههم بقوله (افرأيتم ماتمنون الى آخره) وقيل انه كقوله (فلا تقل لهما اف) انه حجة لتحريم التأفيف وكلف باحد انه وقوله (فصل لربك

والنحر) حجة لوجوب الصلوة والاضحية وانه مكلف بهما وهذا كلام لا يحصل له ومحل
محتاج للتحرير (ومنها) اى من وجوه اعجازه (ان حفظه فى حجر) يقال تحجر وتحجور
تفعيل وهذه المادة معناها فى كلام العرب يقتضى العدول من جهة اخرى من الحجر
وهو فناء الدار ومرافقها ثم قيل لكل ناحية فالمستقر فى موضعه كالجبل لا يقال له
متحيز ويراد بالمتحيز عند غير العرب ما يحيط به حيز موجود وهو اعم من هذا
والمتكلمون يريدون به اعم من هذا وهو كل ما يشار اليه سواء كان له حيز اولا فالعالم
كله متحيز كما قاله ابن تيميه (المنظوم الذى لم يعهد) اى المؤلف الواقع على طريقه
لا يشابه شيئا من كلامهم المنظوم لا شعرا ولا خطبة ولا رسالة مع كونه واضح الدلالة
بلسانهم وهذا انما يعرفه من له معرفة بكلام العرب نظمه ونثره وسجعه كما بينه
فى كتاب الابانة ثم قال * فان قلت وما هذه المباينة العظيمة التى بين القرآن وبين سائر
كلام العرب وجميع المنظوم والاوزان حتى صار لاجلها معجزا باهرا * قلت
هى ما فى القرآن من البلاغة التى لا يقدر اشد اهل البلاغة واللسن تقدما فى البيان
ان يأتى بمثلها او بما يقاربها (ولم يكن فى حجر المنثور) اى لم يشبه اقسام منثورهم
من السجع الملتزم فيه حروف كحروف روى الشعر ولا خطابته لمقاطع فصول الخطب
ومواضع استراحاتها لا لاشتماله على الفواصل كما توهم (لان المنظوم اسهل
على النفوس) اى الكلام المتسق نظمه وتأليفه على نهج واحد والمفصل عليه المنثور
بالمعنى السابق (واوعى للقلوب) جمع قلب اى ادخل فى وعائه وهو القوة الحافظة
له وفى الحديث بعد ذكر الانبياء الذين رآهم فى السماء اوعيت منهم اى ادخلته
فى وعاء قلبى فهو اسم تفضيل من المبنى للفاعل على القياس واللام داخلة
على الفاعل كانه قيل هو اوعى لى ولا قلب فيه والصواب والقلوب اوعى له كما توهم
(واسمح فى الاذان) بمد وحذف بينهما اى اسهل مستعار من السماحة وليس
من اسمح المزيد كما قيل وليس ايضا بخاء معجمة من السماخ وهو الصماخ اى منفذ
الاذن كما توهم (واحلى على الافهام) اى تستعذبه الذوق السليم فيجد له لذة
وحلاوة (فالناس اليه اميل) اى اكثر ميلا ومحبة كما قال الشنفرى * فانى الى قوم
سواكم لاميل * (والاهواء اليه اسرع) جمع هوى وهو ميل النفس واتحادها
اى ميل القلوب نحوه اشد من ميلها لغيره (ومنها) اى من وجوه اعجازه
(تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه) اى من يريد تعلمه (وتقريبه على متحفظيه) اى تسهيل
حفظه لمن يريده (قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر) فى الكشاف معنى
الآية سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد
والوعيد وقيل معناها سهلناه للحفظ واعنا من اراد حفظه ويجوز ان يكون معنى
يسرناه هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه كما قال

وقمت اليها بالحمام ميسرا * هنالك يجزى الذى كنت اصنع

وعلى الوجه الثانى فى المصنف استشهاده بالآية (وسائر الامم) الى قبل هذه الامة من اهل الكتابين وغيرهم (لا يحفظ كتبها الواحد منهم) اى لا يوجد فيها واحد يحفظ كتابهم المنزل على انبيائهم الا نادرا وروى عن ابن جبير ان بنى اسرائيل لم يكن فيهم من يحفظ التورية فكانوا لا يقرؤنها الا نظروا فى صحفها غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير فقيل انها وضعها الله تعالى وقيل انها حرفت فجاء عزير وتلاها عليهم كما انزلت من حفظه فافتتنوا به وقالوا انه ابن الله وقد من الله تعالى على هذه الامة بان يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة لا تحصى الى الآن (فكيف الجماء) منهم اى فاذا لم يتيسر ذلك لواحد منهم الا نادرا كيف يتيسر للكثير والجماء بفتح الجيم المشددة والمد بعدها جيم مفتوحة من الجموم وهو الاجتماع والكثرة التى لا تعد وفى بعض النسخ فكيف الجم بدون مد وكلاهما صحيح رواية ودراية وفى الاساس عدد جم وجمك وجما جما وجاؤا جما غفيرا والجماء الغفير استق من جمة الشعر وماقيل من ان الصواب الجم لانه لا يلفظ بالجماء الا موصوفا نحو جاؤا الجماء الغفير لا اصل له وذلك اغاهو اذا كان منصوبا كما ذكره اهل العربية (على مرور السنين عليهم) اى مع طول اعمارهم وامتداد ازمنتهم لم يتيسر لهم حفظ كتبهم (والقرآن ميسر حفظه للغلمان) اى لغلمان هذه الامة واطفالهم فى مكاتبهم (فى اقرب مدة) اى فى زمن قليل كسنة ونحوها كما شاهدناه وغلمان بكسر الغين المعجمة وهو من حين يولد الى ان يشب (ومنها) اى من وجوه الاعجاز عند بعضهم (مشاكلة بعض اجزائه بعضا) اى مشابهة بعضه لبعض قال الراغب المشاكلة فى الهيئة والصورة والند فى الجنسية والشبه فى الكيف والشكل الدل وهو فى الحقيقة الانس الذى بين المتماثلين فى الطريقة ومن هذا قيل الناس اشكال وآلاف واصل المشاكلة من الشكل اى تقييد الدابة بالشكال ومنه شكل الكتاب (وحسن ائتلاف انواعها) اى مناسبة انواع تلك الاجزاء وكون كلماته متناسبة وجمله المركبة ايضا بينها الفة وحسن مناسبة تامة (والتئام اقسامها) بتقديره وتحرير ابدالها بياء ايضا اى توافقها والتئام كل قسم الى مشاكله (وحسن التخلص من قصة الى اخرى) وهو ان يوافق مطلع السابقة منتهاه اللاحقة حتى تصير كالقصة الواحدة (والخروج من باب الى غيره) اى الانتقال من نوع من الكلام الى نوع آخر وفى ذكر الخروج مع الباب لطف ظاهر (على اختلاف معانيه) الضمير للقرآن وعلى بمعنى مع اى نراه مع اختلاف مقاصده لا يخرج عن المناسبة التامة فى جمله وتناسبه وهذا يعلم من كتاب المناسبات وقد صنف فيه كتب اجلها مناسبات البقاعى وحسن التخلص مما اعتنى به البلغاء والشعراء كقوله

يقول فى فرس تحى وقد احدث * مى السرى وحظى المهرية القؤد
امطلع الشمس تبغى ان تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود

والانتقال من غير مناسبة يسمى اقتضابا (وانقسام السورة الواحدة على امر ونهى وخبر واستخبار) اى استفهام وهو احد اقسام الانشاء المقابل للخبر وعدى الانقسام بعلى والمعروف تعديته بالى الى اقسامه وانما تتعدى بعلى لمن يعطى تلك الاقسام فقول النقد ينقسم الى دراهم ودنانير وتقول قسمته على الفقراء والمساكين فاذا استعمل احدهما فى مكان الآخر واراد الكلام كان تجوزا آكثة وهى هنا جعل المقسم الكلى كانه امر خارج قسم على افراده او انواعه فال كلاحصة منه لوجوده فى ضمنه فلا يحس ذلك فى كل محل ولا من كل قائل (ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد) كقوله وما كنت ثاويا فى اهل مدين اذ قضينا الى موسى الامر وقوله انما الله اله واحد (وتقرير (٢)) امر ماشرع اولا (وترغيب وترهيب) بوعد من اتقى بالنعيم الخالد وان من كفر فى سواء الجحيم مقتحما ذكر (الى غير ذلك من فوائده) كضرب الامثال وذكر القصص للعبرة بها (دون خلل) اى امر يخل به وينقصه (يحال فصوله) اى يكون فى اثناء فصوله والفصل عبارة عن جمل من الكلام مستقلة وقيل انه بمعنى الفاصلة وهى الكلمة مما يضاهى السجع (والكلام الفصيح) من كلام البشر (اذا اعتوره) اى ورد عليه وطرأ وتداوله (مثل هذا) اى نحو انواعا من المقاصد كوعد ووعيد وعبرة ويحال فصوله التى يشتمل الكلام الفصيح (ضعفت قوته) لانه يكل خاطر قائله بتعدد انواع المقاصد وينزل عن مرتبتها التى سامها فى اوله (ولانت جزالته) اى صلابته وشدته تتمثل لضدها (وقل رونقه) اى صفاؤه ونضارته (وتقلقلت الفاظه) اى اضطربت والقلقلة فى الاصل الحركة يذهب ويقال تقلقل فى البلاد اذا طال سفره فاستعير لما اور الكلام الطويل (وتأمل) اى تدبر واطل النظر والفكر (اول) سورة (ص) والقرآن ذى الذكر الى آخره (وما جمع فيها) بالبناء للفاعل او المفعول وان ضمير اول لانه بمعنى الفاتحة اولا كتسابه التأنيث مما اضيف اليه من اسم السورة (من اخبار الكفار) اى كفار قريش من بعضهم بان جاءهم منذر منهم وقولهم انه ساحر كذاب وغيره (وشقاقهم) اى عداوتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم بقوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق (وتقريعهم) وتوبيخهم (بالاهلاك للقرون من قبلهم) بقوله (كم اهلكنا قبلهم من قرن) (وما ذكر) فيها (من تكذيبهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فى قولهم (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق) (وتعجبهم مما اوتى به) فى قوله أانزل عليه الذكر من بيننا الى آخره (والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر) الخبر بمعنى الاخبار والملأ

(٢) وفى نسخ النسخ وقع وتعزيز فاله ط

جماعة الاشراف والرؤساء وذلك انه لما اسلم عمر رضي الله تعالى عنه شق عليهم اسلامه فاجتمعوا عند ابى طالب وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد رأيت مايفعل هؤلاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن اخيك فجاء بهم له صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد هؤلاء قومك يسألونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل فقال لهم ما تسألونى قالوا دعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال ارأيتم ان اعطيتكم ماسألتموه اتعطونى انتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب والعجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشئ يراد (وماظهر من الحسد فى كلامهم) اى ماظهر فى كلامهم ممايدل على حسدهم له صلى الله تعالى عليه وسلم على ما آتاه الله فى قولهم ءانزل عليه الذكر من بيننا مما يدل على اعترافهم وتيقنهم بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان الحسد اخرس السنتهم واعمى قلوبهم (وتعجيزهم) حيث قال ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض ومابينهما فليرتقوا فى الاسباب فانهم لما انكروا اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم من بينهم بالنبوة بين لهم انها رحمة منه يصيب بها من يشاء ممن ارتضاه من عباده فلامانع لما اراد فانهم لايملكون خزائنه والتصرف فيها حتى يمنعوا النبوة فى صناديدهم فان انكروا ذلك فليصعدوا الى السماء وينزلوا الوحى لمن ارادوه وفى هذا غاية التهكم بهم واظهار عجزهم وقصورهم (وتوهينهم) اى اظهار ضعفهم ووهن كيدهم وتحقيرهم بقوله جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب اى هؤلاء الذين كذبوك وتحزبوا عليك جند دون واحقاره لاقدرة لهم على التصرف فى الامور الرياسة فلاتكترث بهم (ووعدهم بخزى الدنيا) بهزيمتهم (والآخرة) بذوقهم العذاب فيها (وتكذيب الامم قبلهم) اى وعيدهم بذكر من كذب من الامم قبلهم (واهلاك الله لهم) بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون الى قوله فحق عقاب (ووعيد هؤلاء) يعنى كفار قريش الذين كذبوه كما كذب الامم رسلهم فيحل بهم ماحل بهم (مثل مصابهم) منصوب بقوله وعيدهم (وتصبير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على اذاتهم) اى امره بالصبر بقوله (اصبر على مايقولون الى آخره) (وتسليته بكل ماتقدم ذكره) من بيان ما آل اليه امرهم وان له صلى الله تعالى عليه وسلم فيمن تقدمه من الرسل اسوة (ثم اخذ) اى شرع بعد تصبيره وتسليته (فى ذكر داود عليه الصلوة والسلام) بقوله واذكر عبدنا داود الى آخره وبل لما فى قصته من قطع المعصية بذكر ماصدر منه من خلاف الاولى الذى صدر منه فعوتب عليه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب * فغفرنا له ذلك بعده فهذا وجه ذكره هنا فتدبر (وقصص الانبياء) بفتح القاف وكسرها كسليمان وايوب وابراهيم واسحق ويعقوب عليهم

الصلوة والسلام بقوله (ولقد فتنا سليمان الى آخره) فذكرهم الله تعالى مثنيا عليهم (وكل هذا) المذكور في اول سورة ص مذكور (في اوجز كلام واحسن نظام) على اتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويقل ماء فصاحته (ومنه) اى من اعجاز القرآن وفي بعض النسخ ومنها ويحتمل ان يريد مما ذكر في اول سورة ص (الجمل الكثيرة) من المعاني لقوله (التي انطوت عليها) واشتملت (الكلمات القليلة) بالنسبة لمعانيها وفي القلة والكثرة طباق البديع وقيل عليه ان يحصل هذا انه اعجاز وقد تقدم ذكره غير مرة فلا حاجة لاعادته وعده وجها مستقلا ولذا استدركه بقوله (وهذا كله) اى ما ذكرنا (وكثير مما ذكرنا) في هذا الفصل من اوله الى هنا (انه ذكر في اعجاز القرآن) مضافا (الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اذ اكثرها داخل في باب بلاغته) اشار بقوله اكثرها الى ان منها ما لا يدخل في البلاغة كسهولة حفظه وان كان يرجع اليه بوجه بعيد والا لم يعده الائمة من وجوه الاعجاز (فلا يجب ان يعد فنا مفردا في اعجازه) بل يجعل من توابعه او ثمراته (الا في باب تفصيل فنون البلاغة) يعد فنا منها كمشاكلة اجزائه وحسن التخلص فانه فن مفرد من البلاغة لا من الاعجاز فانه لا يتوقف عليه اذ من المعجز ما لا يكون فيه ذلك كسورة الاخلاص مثلا (وكذلك) اى من مثل المذكور (كثير مما قدمنا انه ذكره عنهم) اى عن الائمة (يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه) لانه لا مدخل له فيه (وحقيقة الاعجاز) عند من لم يقل بالصرفة انما هي (الوجوه الاربعة) التي قدمها المصنف رحمه الله تعالى اولا كما قال (التي ذكرنا فليعتمد عليها) في تحقيق الاعجاز وسنده انها من اراد تحقيقه (وما بعدها) مما ذكر في هذا الكتاب فانما هو (من خواص القرآن) التي لا توجد في كلام غيره (وعجائبه التي لا تنقضي) اى لا تعد ولا تتناهى (والله الموفق) اى مالك التوفيق والهداية للوقوف على عجائبه التي لا تتناهى الا بالله وعنايته وفي بعض النسخ والله الموفق وفي حديث قدسي (من شغله القرآن

عن دعائي ومسألتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين) اللهم فاجعله ربيع قلبي

وشفاء همي وغمي ثم عقب معجزة القرآن التي هي اعظم معجزاته

صلى الله تعالى عليه وسلم بمعجزة اخرى عظيمة

مناسبة له في انها سماوية ومعجزة

علمية فقال فصل

تم الجلد الثاني من نسيم الرياض على الشفاء

ويليه الجلد الثالث منه تعالى